سِيْدِي عُمَر

ذكريات الشيخ محمد أبو طير

تحرير

بلال محمد شلش

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

Sidi ‘Umar: The Memoirs of Muhammad Abu Tair About Resistance and His 33 Years in the Israeli Jails

هذا الكتاب

يسجل هذا الكتاب ذكريات مسيرة طويلة لشيخ مجاهد، وشخصية إسلامية وطنية، برزت في سبعينيات القرن الماضي كأحد رموز المقاومة من أبناء حركة فتح. ثم أصبحت أحد أبرز مؤسسي الجماعة الإسلامية وحركة حماس في سجون الاحتلال الإسرائيلي.

في هذا الكتاب، يشرح الشيخ محمد أبو طير تجربة 33 عاماً في سجون الاحتلال، ومواقفه ومواقف الحركة الأسيرة من القضايا الوطنية وهموم الأمة المختلفة. ويسجّل جزءاً مهماً من تاريخ الأسرى في سجون الاحتلال، وخصوصاً أسرى حماس، وما رافق ذلك من معاناة في السجون ومواجهات مع السجّانين. كما يتعرض لعلاقات أسرى حماس بالأسرى من باقي الفصائل الفلسطينية، وما رافق ذلك من حالات تعاون أو شدّ واحتكاك.

وتبرز في هذه الذكريات جوانب من تجارب العمل العسكري المقاوم الذي خاضه أبو طير من خلال فتح، ثم على مدى زمني أوسع من خلال حماس. بالإضافة إلى تجربته في العمل السياسي، وانتخابات المجلس التشريعي للسلطة الفلسطينية.

ويسر مركز الزيتونة طباعة هذا الكتاب الذي يخط شهادة وحكاية الشيخ أبي طير، شيخ بيت المقدس، الذي عُرف بين إخوانه بـــ"سيدي عمر"؛ ليكون أحد أهم ما صدر من كتب في تجربة الأسرى والمعتقلين في سجون الاحتلال الإسرائيلي.

ISBN 978-9953-500-62-1

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations
ص.ب: 14-5034 بيروت – لبنان
تلفون: 644 803 1 961+ | تلفاكس: 643 803 1 961+
info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net

بسم الله الرحمن الرحيم

سِيْدِي عُمَر

ذكريات الشيخ محمد أبو طير في المقاومة وثلاثة وثلاثين عاماً من الاعتقال

تحرير

بلال محمد شلش

مركز الزيتونة

للدراسات والاستشارات

بيروت - لبنان

Sidi ‘Umar
The Memoirs of Muhammad Abu Tair About Resistance and His 33 Years in the Israeli Jails

Edited by:
Bilal Mohammad Shalash

جميع الحقوق محفوظة ©
الطبعة الأولى
2017م – 1438هـ
بيروت – لبنان

ISBN 978-9953-500-62-1

يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك التسجيل الفوتوغرافي، والتسجيل على أشرطة أو أقراص مدمجة أو أي وسيلة نشر أخرى أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطّي من الناشر.

(الآراء الواردة في الكتاب لا تُعبّر بالضرورة عن وجهة نظر مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات)

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
تلفون: 44 36 80 1 961 +
تلفاكس: 43 36 80 1 961 +
ص.ب.: 5034–14 **بيروت – لبنان**
بريد إلكتروني: info@alzaytouna.net
الموقع: www.alzaytouna.net

إخراج
مروة غلاييني

طباعة
CA s.a.r.l. Beirut, Lebanon

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات 3

الإهداء 7

التقديم 9

التمهيد 11

المقدمة 19

الفصل الأول: بداية الحكاية 25

الفصل الثاني: لكل مقدمة نتائجها: الاحتلال، الكفاح المسلح 51

الفصل الثالث: خيَّم ظلام السجن 69

الفصل الرابع: المفاصلة: الجماعة الإسلامية في السجون 83

الفصل الخامس: قطوف من ذاكرة السجن الأول 123

الفصل السادس: وجاء الفرج 143

الفصل السابع: اعتقالان بينهما اعتقال إداري 157

الفصل الثامن: بدايتي مع القسام واعتقال جديد 197

الفصل التاسع: مع القسام من السجن نواصل 261

الفصل العاشر: خيَّم ظلام السجن من جديد 283

الفصل الحادي عشر: يدٌ تبني ويدٌ تقاوم 323

الفصل الثاني عشر: الاعتقال التاسع والإضراب الفريد،
ذكريات وخواطر 409

الخاتمة 459
ملحق الصور 465
ملحق الوثائق 493
ملحق حول عملية نقل الأسرى "البوسطة" 560
أبرز التواريخ في سيرة محمد أبو طير 567
فهرست 571

من القلب

إن للشهادة موقعاً ومكانة، لا يجيب عنها كل ما في الأرض من مصطلحات، بل إن لها كبرياء واستعلاء، لا يرقى إليهما إلا من اتخذه الله شهيداً. فالشهادة لها رجالها، كما أن للمعارك رجالها، وللحروب وقودها... إذا ما حميت الخيل... وتميز فرسانها.

إنها خلاص النفس، وانقضاء الأجل بنشوة الروح، وقد اصطفاها الله بزينة الدماء، تأتي يوم القيامة بريح المسك، وجراحات الجسد... تحت ظلال السيوف إلى الفردوس الأعلى، حيث الأحبة محمد وصحبه.

وإن الأمة التي لا تنسجم إرادتها مع عقيدتها، أمة غثائية، تعيش بلا هيبة، وتعيش حالة الانفصام ما بين ماضيها وحاضرها، وتتخبط في الطريق إلى مستقبلها، بل وأنَّى لها أن تنطلق من جديد، ما لم تنسجم مع سنن الله في التدافع والتغيير!

أبو مصعب
محمد أبو طير

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

الإهداء

إلى روح أمي وأبي رحمهما الله... أمي التي وقَّعت على هذا الدرب ببصماتها، والتي آمنت بالمقاومة والجهاد في سبيل الله طريقاً إلى رضوانه، بل وشاركت فيه منذ الأيام الأولى ما استطاعت. وأبي الذي دفع بي إلى هذا السبيل دفعاً، وقد غذّاني بلبانه مُذْ كنا صغاراً، وهو يحدثنا عن تجربة الإخوان المسلمين في مقارعة الصهاينة على ثرى القدس وقراها، وعلى الخصوص في قريتنا "أم طوبا"، وجاراتها صور باهر، وشرفات، وجبل أبو غنيم، المطل على المغتصبات الصهيونية.

وإلى أرواح الشهداء جميعاً في كل ديار الإسلام: إلى روح سيد قطب، ومروان حديد[1]، وسعد صايل، وأحمد ياسين، وحسن القيق، وإبراهيم المقادمة، وعبد العزيز الرنتيسي، وصلاح شحادة، وإسماعيل أبو شنب، وجمال منصور، وعادل عوض الله، ويحيى عيّاش، ومحيي الدين الشريف، وعمر سعادة، وصالح تلاحمة، وعبد المنعم أبو حميد، وإسلام أبو ارميلة، وزهير فرّاح، ونصر جرار.

وإلى إخواني الأسرى الذين تحرروا من قبضة السجان، والذين لم يتحرروا، وقد دفعوا ضريبة الجهاد من أعمارهم وأعصابهم.

وإلى أعظم ثورة في زماننا... وأعظم ثورة في حياة أُمتنا... ثورة الشعب السوريّ البطل، الذي عمّر الله قلبه بالإيمان، على حساب هذا الخراب والدّمار الذي خلّفه النظام.

وإلى أُمةٍ تريد صياغة التاريخ من جديد، في مصر وتونس وليبيا واليمن، وتريد أن تعود إلى سيرتها الأولى، إن شاء الله تعالى، رغم مكر الليل والنهار، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وأخيراً وليس آخراً، أهدي هذا الكتاب إلى الأستاذين الكريمين (أبي محمد) محمود مصلح و(أبي محمد) عماد الترتير، الذين تولّيا مراجعة هذا النص لغوياً، وإلى الأستاذ

[1] انظر تعريف سيد قطب ومروان حديد في هوامش ص 31.

بلال محمد محرر النص مع الشكر لهم، وللأخ رامي الأقرع، وللأخت الفاضلة أم عمرو مديرة مكتب نواب كتلة التغيير والإصلاح.

القدس – أم طوبا
6 جمادى الأولى 1434
الموافق 2013/3/18م

التقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد،

لا شكّ أن التاريخ هو ذاكرة الجنس البشري، وربما تصح مقولة بعض الفلاسفة أن تاريخ العالم هو مجموع تاريخ عظمائه.

نحن اليوم أمام سطور كتابٍ من هذا الطراز، يتحدث عن مذكرات قامةٍ كبيرة من قامات فلسطين، نبت في أطراف القدس وتعشَّق حبها، وهوى إلى مآذنها وحاراتها العتيقة فؤاده، فكانت بوصلته على الدوام، وكان محراب الأقصى مستراحه بعد كل جولة وصولة.

الشيخ محمد محمود أبو طير غنيّ عن التعريف، فقد أضحى ملء السمع والبصر، علماً مجاهداً، وداعية معلماً، وسياسياً موجهاً.

ومثل هذا النموذج من القادة لا يخطّ مذكراته ليلقي مزيداً من التعريف عن نفسه، فهو غنيّ عن ذلك بكل تأكيد، بيد أنها شهادته التي يخلدها التاريخ عن مجموعة من الأحداث والأشخاص الذين عاصرهم، وخاض تجارب الحياة معهم أو ضدهم. وها هو اليوم بعد هذه الرحلة الطويلة على مدى عشرات السنين من العمل الدؤوب والعطاء المتواصل، الذي عزّ نظيره بين أترابه، يقف مع نفسه من جديد ليراجع حكاية العمر بأثر رجعي، ويخط بأنامله —التي قبضت على الزناد كثيراً، وعلى قضبان السجن ما يزيد على 33 عاماً، وعلى قلم الدعوة والسياسة ما يوازي ذلك— شهادته وحكايته؛ شهادة وحكاية شيخ بيت المقدس، الذي لم تُتعبه الحروب، ولم تَفتَّ في عضده المصائب والكروب، فما فتئ مُسرجاً للقدس خيله، ومُوْقداً لها قناديل عمره، وواهباً لها أنفاسه. كذا عاش لها فتى يافعاً وشاباً جلداً وشيخاً صلباً، لم يزده مضاء السنين وتداول الليل والنهار إلا مضاءً وعزيمة، وقوة وشكيمة.

سطور الشيخ محمد أبو طير (شيخ بيت المقدس) حفظه الله، شهادة حيّة تكتسب أهمية خاصة لرجل عاصر مراحل متعددة من تاريخ القضية الفلسطينية، ومن تاريخ الثورة الفلسطينية، ومن تاريخ الحركة الإسلامية، وكان جزءاً من صناعة الأحداث،

والتأثير في مسارها. ومما يزيد أهمية هذه السطور أيضاً أن صاحبها كان صاحب تجارب متعددة في العمل الوطني والإسلامي، في البناء العسكري والأمني، وفي المجال التنظيمي والإداري، وفي العمل الدعوي والتربوي، وكذلك في العمل السياسي والعام.

أعرف أن سيكون لكل قارئ لهذه السطور تقييمه الخاص. وربما تلقى عند البعض قبولاً وترحاباً، وعند آخرين نقداً واستهجاناً. ومع أني قد أتفق مع صاحبها في الكثير أو أختلف في القليل، لكني أقدّم له مذكراته، لما له عندي وعند كثير من إخواننا في فلسطين، التقدير والاحترام، ولتجربته الطويلة وباعه الرحيب، ولأنه قدوة وصاحب سَبْق في مجالات كثيرة؛ وكذلك تقديراً لذكرى عمل مشترك في بعض جوانب هذه التجربة، وذكرى معاناة مشتركة خلف قضبان الأسر، وإبرازاً لشهادة حيّة على مراحل متعددة من أهم مراحل العمل الوطني والإسلامي في تاريخ شعبنا.

ختاماً، فإن هذه السطور التي كتبتها ليست نهاية المطاف بالنسبة للشيخ المجاهد أبي مصعب، فهو ما زال كما كان في العطاء والعمل والتضحية، لكنها غيض من فيض في حياة هذا الرجل الكبير.

بقلم الشيخ صالح العاروري

عضو المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)

التمهيد

قالت: "أخاف عليكَ السجنَ" قلتُ لها:
"من أجل شعبي ظلامُ السجنِ يُلتحَفُ
لو يقْصرون الذي في السجن من غرفٍ
على اللصوص لهدّتْ نفسَها الغُرف
لكنْ لها أملٌ أن يُستضافَ بها
حُرٌّ فيعبق في أنحائها الشرف"...
قالت: "بساتينُنا أزهارُها نُسفتْ
متى تعود الأزاهيرُ التي نسفوا!؟"
قلتُ: "انظري! في سَمانا لم تزل سحبٌ
غداً تزخّ إلى أن يُزهرَ الأسف!"...
قالت: "حلمتُ بطفلٍ لا أريد له
أباً سجيناً!" فقلتُ: "الحلمُ يعتكف
أتحلمين بطفلٍ قلبُ والدهِ
عبدٌ؟ أعيذكِ من عبدٍ له خلف!"...[1].

تبرز المذكرات والسير الذاتية كمصدر مركزي في التأريخ لفلسطين المعاصرة عموماً، وللحركة الإسلامية خصوصاً، لما تسده من ثغرات بفعل غياب المصادر الأولية الأخرى، وتفتحه من أفاق لفهم أدق[2]، وفي هذا النص الذي سجله الشيخ محمد أبو طير لذكرياته عن مسيرته الطويلة في المقاومة مقاتلاً، ومطارداً، ومعتقلاً، تأكيد للافتراض

[1] شعر الشاعر الفلسطيني راشد حسين.

[2] سبق للمحرر مناقشة ذلك في تمهيده لنص ذكريات الدكتور عدنان مسودي الذي نشر عن مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات. انظر: بلال محمد (محرر)، **إلى المواجهة: ذكريات د. عدنان مسودي عن الإخوان المسلمين في الضفة الغربية وتأسيس حماس** (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2013)، ص 15–23.

السابق، وفتح لأبواب ونوافذ جديدة لدارسي ومؤرخي القضية الفلسطينية، وحركتها الإسلامية، يُفتح الكثير منها لأول مرة.

ولد الشيخ محمد محمود أبو طير في 16 نيسان/ أبريل 1951، لأسرة متواضعة من قرية أم طوبا جنوب القدس، أنهى تعليمه الثانوي في العام الدراسي 1971/1970 من مدرسة الأقصى الشرعية. التحق بالعمل إماماً، ومدرساً، وخطيباً للجمعة لمسجد قرية الجيب أواخر 1972، بعد أن قطع رحلته للأردن من أجل استكمال تعليمه الجامعي. سافر الشيخ في صيف 1972 إلى بيروت متعللاً باستكمال تعليمه، ليلتحق بحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) ويبدأ باسمه الحركي (طارق بن زياد) الإعداد لعمل ثوري في منطقة القدس. تواصلت رحلات الشيخ إلى بيروت من دون أن تأتي أُكلها، وبعد رغبة في الاستنكاف عن العمل في صفوف الثورة، التقى بسعد صايل[3] ليبدأ مرحلة جديدة من العمل العسكري في صفوف فتح، انتهت باعتقاله يوم 12 أيلول/ سبتمبر 1974، والحكم عليه بالسجن الفعلي لمدة 13 عاماً.

خلفية الشيخ أبو طير الدينية دفعته لمفارقة حركة فتح، وتشكيل "الجماعة الإسلامية" في سجن الرملة أواخر 1976، ليدخل في صراع مفتوح من أجل تثبيت خياره في وجه فصائل منظمة التحرير، في مسيرة استمرت إلى أن أفرج عنه في "عملية الجليل" يوم 20 أيار/ مايو 1985، التي كان أحد مشرفيها.

ترافق خروج الشيخ من السجن مع تصاعد وتيرة العمل الإسلامي في الضفة الغربية وقطاع غزة وداخل فلسطين المحتلة عام 1948، الأمر الذي توج بانطلاقة حركة المقاومة الإسلامية (حماس) مع اندلاع الانتفاضة، فعمل الشيخ مبكراً للإعداد لعمل عسكري "حمساوي" بالتنسيق مع قيادة الجبهة الشعبية – القيادة العامة خارج فلسطين، إلى أن اعتقل في 1 شباط/ فبراير، 1989، وحكم بالسجن لمدة 13 شهراً.

---

[3] **سعد صايل سلمان (1932–1982):** ولد في قرية كفر قليل قضاء نابلس. التحق سنة 1951 بالجيش الأردني، وتزوج سنة 1952 ورزق بتسعة من الأبناء. التحق بعدة دورات عسكرية، واعتقل سنة 1963 بتهمة محاولة اغتيال الملك الأردني حسين. برأته المحكمة وعاد للجيش إلى أن تركه إثر أحداث أيلول/ سبتمبر 1970. التحق بصفوف فتح وانتقل إلى بيروت ليتولى إدارة غرفة العمليات المركزية للثورة الفلسطينية. انتخب سنة 1980 لعضوية اللجنة المركزية لفتح، وقاد الدفاع عن بيروت إثر اجتياح 1982. استشهد في عملية اغتيال غامضة يوم الإثنين 1982/9/27.

خرج الشيخ من السجن ليعود إليه للمرة الثالثة في 30 آب/ أغسطس 1990، معتقلاً إدارياً لمدة ستة أشهر، ثمّ للمرة الرابعة بعد اعتقاله في كمين نصبته له المخابرات الصهيونية، بعد إتمام صفقة أسلحة لصالح الجناح العسكري لحركة حماس، وحكم بالسجن لست سنوات. في هذا الاعتقال تعرف الشيخ على عدد كبير من كوادر العمل العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) ، وبدأ الشيخ أبو طير، الذي اتخذ من عمر المختار اسماً حركياً (أو سِيدي عُمَر كما سماه إخوانه)، ومجموعة من كوادر هذا العمل بتأسيس جهاز عسكري مركزي، احتضن السجن هيئة أركانه. عمل على التخطيط والتنفيذ للعشرات من العمليات، التي قادها من خارج السجن الشهيد عادل عوض الله وأخوه عماد، والشهيد محيي الدين الشريف، وعدد من مهندسي وكوادر القسام، إلا أن استشهاد عادل عوض الله وشقيقه عادل في أيلول/ سبتمبر 1998، أدى لاكتشاف أمر التنظيم، وإعادة اعتقال الشيخ أبو طير —الذي خرج من السجن حديثاً— لدوره القيادي في هذا التنظيم. والحكم عليه بالسجن لمدة سبع سنوات.

بعد خروج الشيخ من السجن، وفي 25 كانون الثاني/ يناير 2006، وتحت شعار "يدٌ تبني ويدٌ تقاوم"، انتخب الشعب الفلسطيني "قائمة التغيير والإصلاح"، التي حجز الشيخ مقعدها الثاني لقيادة المجلس التشريعي الفلسطيني. منصب الشيخ الجديد لم يمنع قوات الاحتلال من اعتقاله، فأعيد اعتقاله يوم 30 حزيران/ يونيو 2006، ضمن حملة استهدفت وزراء ونواب حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وكتلة التغيير والإصلاح، ثمّ أبعدته سلطات الاحتلال عن بيته في القدس، وعدّته متسللاً لـ"أرض إسرائيل"، وطبق هذا يوم 8 كانون الأول/ ديسمبر 2010، ولم تكتفِ قوات الاحتلال بإبعاده عن أهله وبيته، فأعادت اعتقاله في 2011/9/6، وأطلق سراحه يوم 2012/9/5، ليعاد اعتقاله من جديد يوم 2013/7/2، ليقضي 25 شهراً في سجون الاحتلال[4].

في هذا النص يُدوّن الشيخ أبو طير ذكرياته عن هذه المسيرة الطويلة، جندياً وقائداً وأسيراً، في سيرة يتماهى فيها الخاص مع العام، وتتجاوز التأريخ للشخص

[4] أعيد اعتقال الشيخ أبو طير من جديد يوم 2016/1/28 وما زال موقوفاً بانتظار المحاكمة.

لصالح المجموع[5]، لتقدم إضافات مهمة لدارسي العمل الإسلامي، وتأريخ المقاومة الفلسطينية، من ذلك:

– الإضاءة على التحولات التي شهدتها الثورة الفلسطينية، فالشيخ أبو طير يشكل نموذجاً لهذه التحولات، إذ إنه بدأ عمله المقاوم في صفوف حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) ، كرد فعل على احتلال عام 1967، ثم كان من مؤسسي الجماعة الإسلامية في السجون، فقيادي في الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وتسجل هذه الذكريات هذا التحول وتقرأ أسبابه.

– التأريخ للجماعة الإسلامية في السجون، ولرجالها، وبيان دورها في تأسيس العمل الإسلامي الوطني في فلسطين[6]، وصراعها مع فصائل منظمة التحرير. فالشيخ أبو طير أحد مؤسسي "الجماعة"، وأبرز رموزها، وستكون ذكرياته عن هذه الجماعة، والتي سجلها في باب من أكثر أبواب النص تفصيلاً، من أبرز ما كتب عن هذا التاريخ[7].

– تأريخ العمل العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) ، ففي النص تسجيل لمسيرة هذا العمل، من خلال مسيرة الشيخ أبو طير، الذي رافقه من لحظة التأسيس إلى لحظة الذروة، ويورد النص آراء جديدة في قضايا حساسة في هذا التاريخ، كتفاصيل الجهاز العسكري، الذي أسس أواسط التسعينيات [من القرن الماضي] في الضفة، ودور الأسرى في التأسيس لهذا العمل وتطويره، وروايته عن ملابسات استشهاد المهندس محيي الدين الشريف.

– التأريخ للحركة الفلسطينية الأسيرة بعين جديدة، فالنص يفتح أفقاً جديداً في هذا التاريخ، بتسجيله رؤية أحد أقدم أسرى الحركة الإسلامية، ويبين نظرته لتفاصيل الحياة الداخلية لمجتمع الأسرى في فترات زمنية مختلفة، كما يبرز دور أسرى الحركة

---

[5] يتقلص في هذه السيرة الحديث عن الجانب الشخصي لصالح الجانب العام، خصوصاً وأن الشيخ أبو طير منذ أن اعتقل لأول مرة امتزجت حياته الشخصية بالجانب العام، ولم يبقَ له من حياة خاصة إلا شهور معدودة قضاها بعيداً عن الاعتقال والمطاردة.

[6] سيتضح من خلال النص احتضان "الجماعة الإسلامية" لمن صار من الكوادر الأساسيين في العمل العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) وبعض رموز العمل العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، ومن أبرز هؤلاء الشهيد أحمد الجعبري، قائد أركان كتائب القسام، والذي استشهد في 2012/11/14 في قطاع غزة، والشهيد مصباح الصوري أحد رموز حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين.

[7] لم يكتب عن هذا التاريخ الكثير، وأبرز نصّ سُجِّل في ذلك نصّ كُتب باسم حركي "محسن ثابت" ونشر في طبعة محدودة العدد، مجهولة الناشر والتاريخ. انظر: محسن ثابت، **نشأة الجماعة الإسلامية في سجون الاحتلال الإسرائيلي** ([فلسطين]: [منشورات محسن ثابت] ، د.ت).

الإسلامية في الصراع مع السجان، خصوصاً في "الإضرابات"، التي خاض الشيخ أبو طير أبرزها، وساهم في قيادة بعضها[8].

– الكشف عن أدوارٍ والتأريخ لرجال ونساء، اختفت أدوارهم بسبب ظروف العمل المقاوم وسريته، أو لتطاول الزمن وعدم حفظ سِيَرِهم وتدوينها في كتب التاريخ، كوالدته، والمهندس حسن القيق.

بدأ المحرر عمله في هذا النص أواسط عام 2011، الذي بدأت نواته بتدوين محاضرات عن تجربة الشيخ قدمها لأسرى حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في سجن مجدو سنة 2004. ثمّ عكف الشيخ على تنقيح النص والإضافة إليه من أجل نشره سنة 2011. لكن اعتقال الشيخ في 6 أيلول/ سبتمبر 2011 أدى لوقف العمل في النص، إلى أن خرج الشيخ في 5 أيلول/ سبتمبر 2012، فاكتملت النسخة الأولى من النص. وخلال تحريرها اعتقل الشيخ من جديد في 2 تموز/ يوليو 2013، وعندما خرج الشيخ من اعتقاله، ألحق في النص مجموعة جديدة، تُسجل ذكرياته وخواطره في أثناء اعتقاله التاسع. وتتميز هذه المجموعة بأنها صيغت في السجن، وتضم بين ثناياها ذكريات وخواطر يومية، توثق نشاط وهموم مجتمع الأسرى اليومي. كما أنها تؤرخ لتجربة الإضراب العام للمعتقلين الإداريين، والسجالات التي دارت قبيل الإضراب وخلاله. وسيشكل هذا الجزء من النص إضافة نوعية لخصوصية الإضراب، وتمايزه عن إضرابات الحركة الأسيرة السابقة.

اقتصر عمل المحرر في متن النص على إعادة ترتيبه، تحت فصول تراعي التقسيم الزمني والموضوعي قدر الإمكان، ووضع بعض العناوين الفرعية. وارتأى المحرر أن لا يتدخل في لغة النص، وأن لا يسبغ عليه رؤيته الشخصية، لأن النص في النهاية مرآة لصاحبه لغةً وفكراً، وانعكاس لتجربته ومعايشته للحدث[9]. وعمل على تخريج

[8] دوَّن عدد كبير من أسرى الحركة الوطنية تجربتهم الاعتقالية، لكن النصوص التي تؤرّخ وجهة نظر أسرى الحركة الوطنية الإسلامية مفقودة. للاطلاع على قائمة ببليوغرافية للعناوين التي ألفها الأسرى الفلسطينيون والعرب انظر: "ثبت بأسماء الكتب والدراسات التي كتبها الأسرى الفلسطينيون والعرب وتلك التي كتبت عن الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة"، فهد أبو الحاج (مشرف عام)، **موسوعة تجارب الأسرى الفلسطينيين والعرب** (القدس: مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة؛ جامعة القدس، 2014)، الجزء الأول، ص 123–137.

[9] اعتقد المحرر بضرورة أن لا يؤثر على صاحب النص في لغته وإن كان فيها حدة أو تأجج لعاطفة، للأسباب السالفة، ولتقديره أن هذا النص تسجيل لحوادث عاشها صاحبها ودفع ثمنها من حريته وحياته ودم إخوانه الكثير، فوجب الحفاظ على هذه اللغة لأنها ستكون الأكثر تعبيراً ومصداقية.

الأحاديث، والآيات القرآنية، وتوثيق النصوص المقتبسة من مصادر أخرى، وشرح بعض المصطلحات المتعلقة بحياة المعتقلين في سجون الاحتلال[10]. والترجمة المختصرة للأسرى والشهداء الذين كان لهم ذكريات مع الشيخ، وكان بالإمكان توفير سيرهم[11].

وتجاوز المحرر تحقيق التصريحات والوقائع التاريخية، التي ينسبها النص لعدد من القادة العرب والصهاينة، وذلك لاعتقاد المحرر بأن تسجيل مثل هذه التصريحات —وإن لم يصح بعضها— والتي تُتداول في الحوارات اليومية، وتحفظ في الذاكرة الجمعية، ميزة من مزايا السير والمذكرات، وجب الحفاظ عليها في هذا النص، لكونها تشكل انعكاساً للتاريخ، الذي يؤمن بصحته عموم الناس، وكما قيل "التاريخ ما آمنت به الناس".

وفي نهاية النص أثبت عدد من الملاحق أعدها المحرر، أولها ملحق وثائقي، غطى أولاً حياة الشيخ أبو طير في الأسر، وقدم نماذج لمراسلاته مع الأسرى، ثمّ غطى مشاركة الشيخ في انتخابات المجلس التشريعي لعام 2006، وغطى أخيراً حادثة استشهاد محيي الدين الشريف. وثانيها ملحق عن "البوسطة"[12]، كتبه الدكتور عبد الرحمن زيدان[13]،

[10] لبيان هذه المصطلحات بالإضافة لشرح الشيخ أبو طير وعدد من الأسرى المحررين، تمّ العودة إلى: فهد أبو الحاج (المشرف العام)، **مرجع سابق**، ص 43–73.

[11] واجه المحرر صعوبة كبيرة في الترجمة للأسماء الواردة في هذا الملحق، وفي هذا مؤشر على ضعف الاهتمام بذاكرة المقاومة الفلسطينية، وضوء إنذار لضرورة الاهتمام بهذا الجانب بعمل توثيقي؛ وكان مصدر المعلومات الأساسي لهذه السير المختصرة التواصل الشخصي، بالإضافة لبعض المواد المنشورة على: أرشيف موقع المركز الفلسطيني للإعلام، وموقع المكتب الإعلامي لكتائب الشهيد عز الدين القسام، وموقع مركز أحرار لدراسات الأسرى، وموقع "أحرار ولدنا". والباعث لهذا الملحق أن لا يكون مرور القارئ على أسمائهم مروراً عادياً. فكما سيتضح فإن خلف كل اسم، مسيرة حافلة بالجهاد والتضحية وبذل الحرية والدم. ومن ذلك أيضاً خروج عدد كبير جداً من الأسرى، الذين وردت أسماءهم في المتن، من سجون الاحتلال الصهيوني بعد إتمام صفقة وفاء الأحرار في 2011/10/18، وفي هذا ومضة أمل.

[12] انظر: ملحق حول عملية نقل الأسرى "البوسطة"، ص 560–566 .

[13] **عبد الرحمن فهمي زيدان (1961–):** ولد في بلدة دير الغصون قضاء طولكرم لعائلة هجرت من خرب يمّا. يحمل شهادة بكالوريوس هندسة مدنية من جامعة إلباما/ أمريكا، وماجستير في هندسة الطرق والمواصلات من جامعة النجاح الوطنية. اعتقل سنة 1993 لمسؤوليته عن المجموعات العسكرية لحركة حماس المعروفة بكتائب الشهيد عبد الله عزام. شغل عضوية عدد من المؤسسات والجمعيات. عمل مشرفاً على مشاريع "بكدار" في الضفة الغربية. انتخب لعضوية المجلس التشريعي الفلسطيني سنة 2006 عن منطقة طولكرم، وشغل وزارة الأشغال العامة والإسكان في الحكومة الفلسطينية العاشرة سنة 2006، واعتقل لذلك في سجون الاحتلال الصهيوني.

بناء على طلب من الشيخ أبو طير، وختمت بملحق "تواريخ"، يقدم تأريخاً موجزاً لحوادث النص، ومسيرة صاحبه.

ختاماً لا بدّ من شكر الشيخ أبو طير على قراره بتدوين ذكرياته ونشرها، وعلى صبره ودماثة خلقه، التي تجلت أثناء فترة عمل المحرر، وشكر كل من ساهم في إعداد هذا النص.

والله ولي التوفيق

بلال محمد

المقدمة

﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[1]

بعد أن مضت بي السنون بما حملت من أثقال، وقاسيت من الضرّ ما تنوء عن حمله الجبال، وانتهت إلى الشطآن أمواجها، واستوى على ظهور الخيل فرسانها، فقد لجأت إلى الله سبحانه وتعالى، وبأكف الضراعة، وبلسان عربي مبين، أن يفتح علي فتوح العارفين، وأن يعينني على ما عزمت عليه، فقد تباعدت الأيام كثيراً، وطوت من الأحداث ما هو عزيزٌ عليَّ ضياعه، بسبب الحرب المشبوبة، التي يتعرض لها الرواد داخل السجون وخارجها.

مضت بي السنون، وَحُقَّ للأنفاس أن توقِّع على مراحل الابتلاء، وقد استجمعت قواها، ولملمت جراحاتها، وأتت عليَّ الأيام بلياليها بما حملت من محن، وعزمت —إن شاء الله تعالى— أن أطوي هذه التجربة بما ملكت من على صفحات نفسي، التي أدماها القيد، إلى مَنْ يعشق حرية قومه، وخلاص أرضه، وتحرير أوطانه بأبنائها، وقد استباحها المحتل، وعربد من فوق ثراها، وانتهك الحرمات، بل والمقدسات، وألقى بالخيرة من أبناء هذا الشعب، حتى النساء والأطفال، في سجونه ومعتقلاته، التي تفنن في جعلها مقابر للأحياء، بعدما تفنن في قهر الرجال، من خلال أقبية التحقيق والزنازين.

ومن خلال هذه التجربة، لقد زرعنا، وبارك الله في زرعنا، حتى اطمأنت نفوسنا لما زرعناه والحمد لله. وانتصرت الأرض والسماء لمّا صبرنا على البلاء، واتسع الكهف علينا برحمة من الله. وضاقت الأرض على من حاربنا، وضاقت عليه نفسه، حتى أصبح يتنفس من سَمِّ الخياط، وعمّا قليل، فالطوفان قادم، ودولة الاحتلال إلى زوال، ولن يبقى على أرضنا غرباء، فلن تعيشوا بقية أعماركم يا معشر الصهاينة. وما كان لكم أن تعيشوا لحظة من الطمأنينة في حمى قوتكم، وظلال جبروتكم، منذ أن قامت دولتكم، بما كسبت أيديكم، من جرائم. ولأن السارق، مهما تمرّس في الاحتراف، فالخوف لا يفارقه،

[1] **القرآن الكريم**، سورة الأعراف، آية 196.

لأجل هذا لن تعيشوا بقية أعماركم على أرضنا، وستتقطع بكم السبل، وهيهات من سبيل. وستتقطع نياط قلوبكم حسرة، وأنتم تشاهدون ما شيّدتم من مشاريع، وهي تنهار وتترنح، وقد أتاها الله من القواعد. وعندها لن تجدوا في الأرض من يُجيركم، أو تستجيرون به، وعند ذلك كل مَنْ في الأرض له حصانة، إلا أنتم، وقد انتهى بكم السلف والغرور إلى هذه النهاية التعيسة.

على كل حال، تجربة الحياة غنية لمن عاش همومها، وجعل من عمره حقاً لدعوته، وأعطاها أكثر مما أخذ منها، وغلَّب المعاني الممزوجة بالهموم على ما سواها، وجعل من ضريبة الأيام حقاً وجسراً لمن اكتوى بنار العدا؛ لأن لها في النفس طغياناً على قليل من حلاوة الدنيا، والذي قضيناه من العمر في مواجهة البغي وصراع الظلمة، أخذ منا الكثير، حتى إنه ما استبقى لنا ظلالاً نتفيأها ونستروح بها مع أهلنا، إلا ظلال الإيمان التي هي سبيلنا إلى الآخرة، بل إنه أخذ منا لحظات الراحة من على فرشنا والحمد لله، فكانت همومنا هي الوسائد، وما ندمنا، وما ينبغي لنا أن نندم على صنيع أردنا به وجه الله، لا، ولن نندم على بَيْع وثّقناه، ولا على عهد أمضيناه. فأن تنتصر للمظلوم، وترفع عنه حرج الأيام، خير لك من الدنيا وما فيها، وأن تأخذ الناس إلى العفة، والطهارة، فذلك جماع الخير، فما بالك؟ إذا كان همك أن تعيد للرسالة دورها وحضورها؟ وأن يكون همك منصبّاً على استئناف الحياة في ظلّ شريعة الإسلام، وأن تأخذ بالنفس من قارعة الطريق، إلى رائعة النهار، حتى يألف الناس شمس الحقيقة بلا كسوف.

إنه على أثر مَنْ مضى على الحق نمضي، ونتعلم الجود بما عندنا من الخير، ونثري أنفساً لأحباب لنا، انتظروا تجربتنا، كي يوقِّعوا عليها بما يتناغم مع الحقيقة، التي عاشوها، وشاركوا في صياغة أحداثها. فهم، والله، مَنْ عشنا وإياهم أكثر من العيش في بيوتنا، وهم جيل يحتقر التمرد نفسه أمام عنفوانهم، تفور وتهيج بهم الحنايا لدفع الظلم عن الأقصى، وقد ملك من نفوسهم الحشاشة، فوالله إنهم جيلٌ لا تتجمجم هممُهم، وتفور نفوسهم لدين عظم أمره في قلوبهم، وقد أرادوا بيانه ليتفيؤوا بظلاله، ولشعبٍ قد أرادوا له الخلاص، وقد لحق به الضيم، وطال عليه البلاء، ولعدوٍ قد أرادوا هلاكه، وقد علا وعربد. وعلى أثر مَنْ مضى على الحق نمضي، لعلنا نحظى بدعوة من ولدٍ صالح، أو أخ حبيب، عنده سهام الليل نافذة، أو كريم، أخذت به نفسه إلى مواطن النبل، فهو لا يطيق البخل. وإن خواطرنا هذه أحداث نكتبها ممهورة بألم السنين، وجراحات الأيام،

وممزوجة بأنفاس حبيسة وطليقة. الحبيس منها ما آن له أن ينطلق، حتى يتكشف عن حقائق مخبوءة في صراعنا مع أعدائنا، كما قالت لي أمي رحمها الله، لما كانت الزيارة الأولى بعد الحكم لمدة ستة عشر عاماً كان ذلك عام 1975، قالت، رحمها الله: "صُم يا ولدي"، ولأكثر من مرة ردَّدتها صُم. والمقصود هو الصيام عن الكلام؛ لأن أمي، وهي رفيقة دربي وموطن سري، كانت تعلم عني ورفاقي ما لم يرد ذكره في التحقيق، وقد غبت عنها وعن البيت ليلة، بعد حادث تعرضت فيه للإصابة في جسدي، وقد آثرت أمي أن تعالجني دون علم الطبيب. وأما الطليق فقد أتى على رجالنا بالسجن والشهادة، والأعصاب والإعاقات حتى قلت من الشعر في ذلك:

مكوث ومهري سبوق الهوى　　لنا في الوغى عزمة لا تُفَلّ

وفي شبابنا يقال:

ولسنا على الأعقاب تَدمى كلومنا　　ولكن على أعقابنا تقطر الدِّماء

إنها ضريبة أخذت منا بقدر ما جرت الدماء في عروقنا، ولا عجب، فقد التاثت الخطوب من حولنا، وعربدت الأمزجة على حساب الحس الوطني، واختلطت الأوراق بعيداً عن الحكمة، التي هي بوصلة الطريق لكل مشروع وطني، ولأنها تجمع الأحلام على الصواب.

وعلى هذا، فإنه من يحيط نفسه بالحكمة ومن حوله أقطارها بما تقرأ من كتاب الله، وبما تملأ به نفسك مع كل حديث قاله نبيك ﷺ ومع كل بيت من الشعر يخطر ببالك، وترددده مُوَقَعاً به على أمر حصل، ومع كل مزاج من أمزجة البشر، فإن الحياة تبقى سجينة ما لم ينتصر جهاز الردع في نفوسنا، فالدنيا سجن، والسجن فصل من فصول الحياة، ولا تنقطع همومك إلا بانقطاع أنفاسك. لكن لك في الله عزاء، فبقدر ما تعيش هذه الهموم، بقدر ما تتساقط عنك الأوزار، لأن سبيلك إن انتهى هنا، فقد ابتدأ هناك حيث في انتظارك "روح وريحان وجنة نعيم"، عند من لا يظلم مثقال ذرة، ولا تضيع عنده الودائع والأعمال.

ومن نِعَم الله، ومن سابغ فضله عليّ فقد هداني إلى دينه، وحملني على دعوته وإخواني إلى السير في ركب هذه الدعوة المباركة، ومَنْ أنا بلا هذه الدعوة، ولا أريد أن أكون إن لم أركب هذه السفينة المباركة.

ومن أول يوم ابتدأت طريقي مع هذه الدعوة تعلمت من السلف الصالح: "ذنب في الحق، ولا رأس في الباطل"، والحمد لله ما كنت ذنباً في يوم من الأيام، بل لنا الصدر دون العالمين أو القبرُ.

وهذا ما لزم وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

الفقير إلى الله
محمد بن محمود حسن أبو طير
القدس – أم طوبا

الفصل الأول

بداية الحكاية

بداية الحكاية

قال تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

بهذا البيان أبتدئ هذه الرحلة، حيث كان اختياري أن أعيش حراً على أرضي، وأن تعيش أرضي حرة، وأن تعيش قُدْسي حرةً، وأن تعيش فلسطين حرة عربية، تلفظ الغرباء، ولا تقبل الدخلاء أياً كانوا.

وما إن وقعت القدس، وبقية فلسطين، وسيناء والجولان سنة 1967، تحت الاحتلال، حتى ضاقت نفسي بهذا الدخيل، وسبق فعلي حديث النفس في مقاومته ومقارعته، كنت في بداية الثانوية العامة أتلقى علومي في ثانوية الأقصى الشرعية في باب السلسلة، وكان لي أبناء عمومة التحقوا بركب الثورة الفلسطينية، ومنهم من قضى نحبه شهيداً في معركة الكرامة في 1968/3/21، الشهيد فوزي موسى أبو طير، ومنهم من وقع أسيراً، المجاهد المناضل منير محمود أبو طير، والذي يعيش حالياً في الأردن، ولم يطل به الأسر، وكنت مع الأخ منير قبل الأسر، وبعد الأسر، حيث استأنفنا نشاطنا، وجمعتنا الأيام بعد أحداث أيلول/ سبتمبر وخلالها عام 1970 في الأردن.. ثمّ دفعت بي روح التحدي، وثورة نفسي، أن ألقي بعصا الترحال إلى سورية ولبنان، من أجل أن أواصل المسيرة، وأن أعود إلى أرض الوطن، وقد حصنت نفسي بالمعنويات العالية، والتدريب على ما يستطاع ويخدم في حرب العصابات ضدّ الاحتلال وكان لي ذلك. وما بين القدس والأردن وسورية ولبنان كانت رحلة الذهاب والإياب، تحت غطاء الدراسة الجامعية، حتى كان اعتقالي الأول في 1974/9/13.

بطاقة تعريف:

أنا العبد الفقير إلى رحمة الله محمد بن محمود بن حسن أبو طير، والمشهور بين الناس، بالشيخ أبو طير، ولها قصة سأتحدث عنها[2]. ولدت ونشأت وترعرعت في

---

[1] **القرآن الكريم**، سورة البقرة، آية 216.

[2] انظر: شجرة عائلة أبو طير، التي قام على إعداداها أعضاء مركز عبد الله بن مسعود لتحفيظ القرآن الكريم: الشيخ حامد محمد أبو طير، المحامي علي محمد أبو طير وآخرون، 2007، ص 491. [المحرر]

قريتي المعروفة بأم طوبا، وأم طوبا قرية وادعة تعتلي بيوتُها سفوح الجبال بين القدس وبيت لحم، وهي أقرب إلى الوعر منها إلى السهل، وتقع إلى الجنوب من مدينة القدس. وهي أقرب إلى بيت لحم، وهي وتجاور بلدة صور باهر، وتمتاز هذه القرية بأن جميع سكانها من آل أبو طير.

وُلدتُ في هذه القرية بتاريخ 1951/4/16 لعائلة متواضعة ومحافظة، وهي أقرب إلى الفقر منها إلى الغنى. وتلقيت تعليمي الابتدائي والإعدادي في مدرسة صور باهر التابعة لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا) United Nations Relief and Works Agency for Palestine Refugees in the Near East (UNRWA). وخلال الأيام الدراسية، ومع حضور شهر الصيام، شهر رمضان، كنت كثير التردد على مسجد صور باهر للصلاة ولقراءة القرآن، على يدي الشيخ سليمان العظمية رحمه الله، وإن كان لتلك الأيام وصف، فهي أيام غربة، وكأن المسجد والتدين لا يصلحان إلا لكبار السن، بل إن مِنْ كبار السن مَنْ كان يطردنا من المسجد.

وقفة مع الأسرة:

أمي رحمها الله، كانت مربية، ونِعم المربية، حتى قال لي الأخ والابن المجاهد محمود عطون[3]، من صور باهر شقيق النائب الحبيب أحمد عطون (أبو مجاهد)[4]، وهما من عائلة مجاهدة، وبيتهما بحق عنوان للمشروع الجهادي، قال ونحنُ في سجن عسقلان، وعلى مسمع من الإخوة ولم يكونوا على علم بتاريخ أمي المجاهدة، التي سأتحدث عن جهادها إن شاء الله، قال لي الأخ محمود: أُمُّك ربت أخواتك من البنات كالضباط. وهذه شهادة أفتخر بها.

---

[3] **محمود أحمد عطون (1970–):** أسير مقدسي من صور باهر، كان طالباً في كلية العلوم الإسلامية. نشط في كتائب القسام، وهو أحد منفذي عملية خطف الجندي الصهيوني نسيم توليدانو Nissim Toledano في 1992/12/13 بهدف مبادلته بالشيخ أحمد ياسين. أسهم في عدد من العمليات ضدّ الاحتلال الصهيوني، واعتقل في 1993/6/3، وحكم لمدة ثلاثة مؤبدات وأربعين عاماً. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18.

[4] **أحمد محمد عطون (1968–):** ولد في قرية صور باهر، وحصل على درجة البكالوريوس من كلية الدعوة وأصول الدين في جامعة القدس، وحصل على درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية من جامعة القدس. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال لنشاطه في حركة حماس. انتخب لعضوية المجلس التشريعي عن مدينة القدس سنة 2006، واعتقل لذلك في سجون الاحتلال وتقرر إبعاده وحرمانه من هويته المقدسية.

أمي رحمها الله، قامت على تربيتنا جيداً، وكانت أمي إذا احتاجت إلى أن تضربنا تفعل ذلك، وما كان لأبي أن يتدخل في ذلك إلاّ إذا اقتضى الأمر. وكانت فينا روح التمرد؛ لأن حال القرى ومشاكلات الأولاد والريف والخلاء، ورعي الأغنام، وأيام الحصاد، والأعوام المتقلبة والمتلاحقة، كانت تجبل فينا الصدامية، والقوة النفسية والجسدية.

أمي رحمها الله، كانت راجحة العقل، حتى أن السيد الوالد رحمه الله، كان يقول عنها: الجازية، (والجازية معروفة من خلال تغريبة بني هلال أنها كانت المستشارة لأبي زيد الهلالي والأمير حسن).

أمي رحمها الله، رفيقة دربي، وموطن سري، وكانت والوالد رحمهما الله، على دراية وعلم بكل خطوة في هذه الطريق، وعلى هذا الدرب، درب الجهاد والثورة ضدّ المحتل؛ لأني كنت أطلب رضاهما، وكانا على قناعة بهذا الدرب.

أما السيد الوالد رحمه الله، فكان عصامياً حازماً، ولا يعرف الاتكالية، حتى ولو في شربة ماء. وكان من قوة نفسه وحزمه أنه ذات مرة في سنة 1992، سألني عن أخي (أبو زيد) واسمه راضي، لماذا لم يذهب أبو زيد للعمل؟ قلت له: لأمر ما لم يذهب، حتى إذا سأل ثانية فلا بدّ من الجواب. فقلت له بصراحة: عندنا مهمة جهادية، ذهب لإنجازها، ولإحضار أدوات قتالية، وأسلحة نارية، فما كان إلا أن قال: "طريق الجنة مش ببلاش"، وكان متكئاً على عصاه على حائط أمام البيت، ثمّ دخل إلى غرفة نومه.

السيد الوالد رحمه الله، كان يعمل في المحاجر، ويحصل على قوت يومه كما كان يقول: من بين الحديد والصوان، والصوان اسم لنوع من الحجارة شديد الصلابة. كان يعمل دقاقاً وبنّاءً للحجر، وكان يتفنن في عمله ويحبه، حتى أنه كان يحضن حجر البناء كأنه ولده، وهو يعده للبناء. وإلى جانب هذا، كان مهتماً بالسياسة، ومتابعاً للأحداث والتطورات، كان يعرف أبعاد الصراع، وعاش احتلالين لفلسطين، ودفع الضريبة من عمره وأبنائه؛ فالاحتلال الأول كان الانتداب البريطاني على فلسطين، وشارك في مواجهته من خلال جماعة الإخوان المسلمين، التي جاءت للدفاع عن القدس وفلسطين أعوام 1948 و49 و50، من مصر والسودان وسورية والأردن والعراق. ولقد حدثني شيخ جليل من قريتنا، ومن حفظة كتاب الله، هو الشيخ (أبو منير) أحمد أبو طير أن والدي كان يسرق السلاح من معسكرات الجيش البريطاني ويأتي به للمجاهدين من

جماعة الإخوان، وكان متميزاً في جرأته، حتى أنه كان سَليطاً على الحنش والأفاعي. وعايش احتلال الصهاينة لأرض فلسطين عام 1948، وعام الهزيمة والنكبة 1967.

صاحب السيد الوالد رحمه الله، المجاهد محمود عبده، من قادة الإخوان الذين قدموا من مصر للدفاع عن القدس وفلسطين، وعرف كثيراً منهم وبأسمائهم، منهم مالك من السودان. وقال لي ذات مرة: إن محمود عبده تدحرج من على الثلوج في ظلمة إحدى الليالي، فكان يقول: اللهم أشهدك أن هذا في سبيلك، وكان يقوم على حراسة الخنادق، ويأتي عساكره وأبناء القرى، الذين يقومون بواجب الحراسة ليلاً، فمن وجده نائماً أيقظه موبخاً، لمن تترك ثغرك؟ للصهاينة حتى يفاجئوك ويستبيحوا الأعراض، ويروّعوا الأطفال والنساء؟

هذا ما ذكره لي أبي رحمه الله، عن هذا القائد المجاهد محمود عبده. ومن حُبّ أبي له، ومن حُبّ القائد محمود عبده لأبي، طلب من أبي أن يرافقه إلى مصر، لكن أبي رفض ذلك.

وكان من اهتمام أبي بما حلّ بالأمة، وما دهى فلسطين، أنه كان يتابع هموم السياسة، وكنت أسمع معه من خلال "الراديو" المذياع المقال الأسبوعي لمحمد حسنين هيكل، وأخبار القاهرة، وصوت العرب، وتعليقات أحمد سعيد، وعناوين الصحف المصرية؛ الأهرام، والجمهورية، والأخبار.

أما بقية الأسرة، (فنحن خمسة إخوة وأربع أخوات)، منهم من دخل السجن على خلفية هذا الصراع، فأخي عمر سجن لأكثر من مرة، ولكن لفترات قصيرة، وأخي راضي (أبو زيد) سجن لأكثر من مرة، وسجن معي سنة 1992، لثلاث سنوات بتهمة حيازة السلاح، والانتماء لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وكذلك أتى على بيتنا أعياد ونحن جميعاً في السجن، والحمد لله. وأخي الحاج عمر (أبو خالد) سجن سنة 1976 لستة أشهر، وكسر يد محقق في التحقيق، حيث كان يمارس لعبة الكراتيه.

المدرسة ودورها في نشأتي:

كانت المدرسة في أيامها الأولى، أيام الابتدائية، قائمة على الاختلاط. وهي تابعة لوكالة الأونروا، ولما كانت السنة الرابعة الابتدائية انتقلت إلى مدرسة صور باهر الإعدادية للبنين، وهناك واصلت ما تبقى من تعليمي الابتدائي والإعدادي، وكنت من المتقدمين لا

من المتفوقين، حتى كان الثاني الإعدادي والثالث الإعدادي فكنت من المتفوقين خاصة في الرياضيات ما عدا الحساب، وفي الطبيعيات ما عدا علم الأحياء.

في هذه المرحلة درَّسَنا أساتذة، منهم من كَرَّهنا في الدراسة وخاصة اللغة العربية؛ لأساليبهم الفاشلة، ومنهم من كان موفقاً في تعليمنا، وخاصة أساتذة الرياضيات والعلوم واللغة الإنجليزية. وبقيت اللغة العربية ثقيلة وغريبة على فهمي وعالمي، حتى قيض الله لي ولبقية التلاميذ في المرحلة الثانوية أستاذاً فاضلاً؛ كان له الفضل في إفهامنا لغة العرب، حتى أصبحت من عشاقها، ومضغت كلماتها، وهو الأستاذ عبد المحسن جابر. أما مادة الدين الإسلامي، فكان الحاضر القوي هو الأستاذ فياض محمد فياض، من بيت ساحور، وكان له فضل علينا، وإن كانت الأفهام قاصرة عن التألق والنضج، لغربة الدين وقتذاك، ولغربة الدعوة والدعاة، وطغيان المد القومي، وما جاءنا من زبد الحضارة الغربية.

وذات يوم، ونحن نتلقّى من أستاذنا فياض مادة الدين وتحفيظ القرآن، طلب من تلامذة الصف أن يتقدم واحد منهم ليرفع الأذان، ومن كان يرفع الأذان وقتذاك كان يُضحك عليه، فما استجاب أحدٌ لذلك، فتقدمت ورفعت الأذان، ومن يومها شاع بين الناس لقبي بالشيخ، منذ الأيام الأولى من عمري، وكان يطيب لأمي رحمها الله، أن تناديني بالشيخ.

في الفترة الإعدادية، كما ذكرت من قبل، كنت أحب الهندسة والجبر... بل كنت الأول في هذه المادة على أبناء صفي، بينما كنت أكره الحساب، وليومنا هذا أكره الحساب، وكنت أحب الفيزياء، وعوضني عن ذلك أن أصغر إخوتي سناً هو اليوم أستاذ فيزياء، بعد أن حصل على شهادة الدكتوراه. وأذكر أن الأستاذ عيسى بنوره (مسيحي من بيت ساحور وأتخول به؛ لأن جدتي لأمي من بيت ساحور)... هذا الأستاذ كان يسأل عني ويقول: أين محمد أبو طير؟ لأني كنت بارعاً في مادة الهندسة.

الدراسة بعد الاحتلال:

بعد حرب 1967، فرض الاحتلال على مدارس القدس المنهج التابع لوزارة المعارف الإسرائيلية. وبدلاً من التوجيهي الأردني، حلَّ "البجروت الإسرائيلي"، فذهبت إلى مدرسة الرشيدية، وكان مديرها يومذاك المربي الفاضل والأستاذ القدير ابن القدس

البار الأستاذ راتب الرابي، وبعد أسبوع من الدراسة في الرشيدية، ذهبت إلى المدير وطلبت منه ورقة انتقال إلى ثانوية الأقصى الشرعية، فما ساعدني في ذلك، فذهبت دون ورقة نقل أو كتاب نقل، واستقبلني مديرها، وهو الدكتور عكرمة صبري، والمعروف بصدق وطنيته، وهو خطيب المسجد الأقصى المبارك، وابن قاضي القدس الراحل سماحة الشيخ سعيد صبري، رحمه الله.

وفي مدرسة ثانوية الأَقصى الشرعية، تلقيت علومي حسب المنهج الأردني، وقد ضاعت مني سنة لترددي بعد الاحتلال في أن أتعلم، أو أن لا أتعلم.

في هذه المدرسة علماء، ومواد الدراسة كثيرة، ولم ينحصر الأمر بمواد الصف الأول الثانوي، والثاني الثانوي، والثالث الثانوي، بل تعدّى ذلك إلى دراسة الفقه الإسلامي على مذهب أبي حنيفة كاملاً، من خلال المراحل الثانوية، وكذلك علم التشريع، والتوحيد، والفلسفة، والميراث، وأصول المحاكمات، وعلم الحديث، ومصطلحه، وعلم الرجال، ومواد هي من اختصاص الدراسة الجامعية، لكن بحمد الله استفدنا من ذلك، ونجحت في التوجيهي الأردني، والتوجيهي الشرعي، وما بينهما أسبوعان من الوقت، والحمد لله.

كان ممن دَرّسنا وتلقينا العلوم على أيديهم، العالم الجليل وخطيب المسجد الأقصى المبارك فضيلة الشيخ جميل الخطيب، وفضيلة الشيخ عكرمة صبري، والأستاذ الدكتور أحمد فهيم جبر، والأستاذ الشيخ شحادة حمدان، والأستاذ محمد الكفراوي، والأستاذ عبد المحسن جابر، والأستاذ عزت دوفش، وعذراً لمن لم يذكر اسمه. كما كان معي وسبقني من الطلبة فضيلة الشيخ جميل حمامي[5]، والأستاذ يوسف أبو عسلة، والشيخ محمد حسين مفتي القدس، والدكتور أحمد فواقة، والدكتور موسى البسيط، وكان معنا في تلقي العلوم من غزة هاشم ورفح وخانيونس. ومع حبي وتقديري لأساتذتنا جميعاً، والذين علمونا الفقه والتشريع، والعلوم الأخرى، كان الفقه الدعوي والحركي غائباً

[5] **جميل عبد الرحيم حمامي (1952–)**: ولد في معان بالأردن حيث كان يعمل والده شرطياً. استقرت عائلته في القدس، وأكمل تعليمه الجامعي في مصر. عمل إماماً وخطيباً وواعظاً متجولاً في منطقة رام الله، ثم مديراً لدائرة الحديث الشريف في المسجد الأقصى ومديراً لأوقاف بيت لحم. أسهم في تأسيس عدد من المؤسسات والمنظمات الخيرية، ونشط في صفوف الإخوان المسلمين في فلسطين بفترة مبكرة، وأسهم في تأسيس حركة المقاومة الإسلامية (حماس). اعتقل لدوره المؤسس في الضربة الأولى التي وجهت لحركة حماس. ناشط في الدفاع عن القدس والمسجد الأقصى.

عن تصورهم، ولولا قراءاتي للشهيد سيد قطب[6] رحمه الله، من خلال تفسيره الظلال ومعالم في الطريق ما اتضحت الأمور، ولبقيت الظلمة والجهل يعشعشان في نفسي.

وفي العام الدراسي 1971/1970 تقدمت وعشرون من أبناء صور باهر وأم طوبا للتوجيهي الأردني والشرعي، فلم ينجح سواي على ما أذكر.

وقفة مع حرب 1967:

قبل الحرب كانت قريتنا وادعة، وإن كانت قرية حدودية، وجارتنا صور باهر لها باع في الجهاد، وصيتها ذائع يوم أن استقبلت جموع المجاهدين من الإخوان سنة 1948، ولكن خالط الخيرَ دَخَنٌ، فلما دخل الجيش الأردني ليقوم بدوره بدلاً من كتائب المجاهدين، وبقيادة القائد البريطاني "غلوب" باشا المكنّى (أبو حنيك)، جاء غلوب إلى المنطقة الحدودية، وكانت مدرسة صور باهر الإعدادية هي مقر قيادة المجاهدين، فتقدم بعض المخاتير من أهل البلدة، وليسوا من الوجهاء، إلى القائد المجاهد محمود عبده، يشيرون عليه أن يستقبل غلوب، فجمع محمود عبده الناس في مدرسة صور باهر، وقال للمخاتير: "أتطلبون مني أن أستقبل هذا الكافر... هذا المتآمر، والله لو بالعصي دُول [هذه العصي]، وكان يحمل عصاه العسكرية، والله لو بالعصي دول، نقاتل اليهود، ولا نسمح لهم باحتلال أرضنا". فجاء غلوب إلى منطقة الحدود مع العدو الصهيوني، ماراً بالمدرسة ومن فيها، وما استقبله أحد، وهذا ما حدثني به أبي رحمه الله، عن هذا الموقف.

---

[6] **سيد قطب (1906–1966)**: من مواليد أحد قرى محافظة أسيوط بمصر، وهو من أبرز مفكري جماعة الإخوان وكتّابها بعد إمامها حسن البنا. تخرّج من كلية دار العلوم بالقاهرة، وشغل عدة مناصب في وزارة المعارف. نشر العشرات من المقالات في عدد من الصحف والمجلات المصرية، وأصدر عدداً منها. انتسب للجماعة سنة 1953، واستلم مسؤولية قسم نشر الدعوة. اعتقل بعد حادثة المنشية وحكم عليه بالسجن لمدة 15 عاماً، تعرض خلالها لتعذيب شديد وكتب أبرز مؤلفاته، "في ظلال القرآن" و"معالم في الطريق"، و"المستقبل لهذا الدين"، وغيرها. أفرج عنه سنة 1964 ليقبض عليه من جديد بعد اتهامه بقيادة تنظيم إخواني يهدف للانقلاب على الحكم، وأُعدم وعدد من إخوانه في 1966/8/29.

مروان خالد حديد (1934–1976): ولد في مدينة حماة بسورية، ودرس الهندسة الزراعية في مصر. شاعر، انتظم في صفوف الإخوان المسلمين في مصر وتأثر بأجواء القمع السياسي الذي كانت تتعرض له الجماعة. اعتقل وآخرين في اقتحام مسجد السلطان في حماة سنة 1964 وحكم عليه بالإعدام. أصدر الرئيس السوري أمين الحافظ عفواً عاماً عن المحكومين بالإعدام بعد واسطة للشيخ محمد الحامد. بدأ الإعداد لعمل عسكري ضدّ النظام السوري، فأنشأ تنظيماً خاصاً به بعيداً عن الإخوان المسلمين الذين رفضت قيادتهم فكرة الصدام العسكري. اعتقل بعد فترة من المطاردة في 1975/6/30، وتعرض لتعذيب شديد توفي على إثره في سجن المزة العسكري.

قبل حرب 1967 كانت الأمة وشعوبها مُخدَرة، والخطاب الملتهب يُلهب مشاعرها، ويدغدغ عواطفها، وديماغوجية أحمد سعيد وجمال عبد الناصر، وصواريخ القاهر والظافر، التي سمعنا بها وما شاهدنا طحنها، قد أثارت في الناس حمية النزال والمراغمة، وهذه الشعارات الطنانة الرنانة، "من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر لبيك عبد الناصر". هذه جميعاً ألقت بالشعب الفلسطيني على الخصوص، والشعوب العربية عامة، إلى التواكل، واستمراء الانتظار، مع عوامل الإحباط التي كان للأنظمة جميعها دورٌ في تردي الناس وأحوالهم، وقلة صبرهم، بل عجزهم عن التصدي للاحتلال ومقاومته منذ أن وطئت أقدامه أرضنا.

إن للأنظمة دوراً سيئاً في قهر شعوبها وترويضها، وإشاعة الخوف من العدو، بدلاً من التعبئة النفسية، والجهادية، وثقافة الرباط. فهذه الأنظمة حاصرت الناس وجوَّعتهم، حتى يتلهوا بطلب الرزق، ولو أدى ذلك إلى هجر الأوطان من أجل لقمة العيش، بل الأنكى من ذلك كانوا يعتقلون ويسجنون من يجدون عنده رصاصة بندقية، فكيف إذا كانت بندقية؟ وكان ممنوعاً على الناس أن يستمعوا لإذاعات التخدير في مصر والدول الأخرى، من القهر وكبت الحريات، الذي تمارسه هذه الدول. فالاحتلال بسطوته، وبالحكم العسكري لأهلنا سنة 1948، لم يمنع الناس من الاستماع لإذاعات العرب، لكن الأنظمة نجحت في ذلك. وما عندي قليل مما يعرفه الناس وعايشوه قبل سنة 1967، فقبل الحرب بأيام كانت المنطقة بمحيطها ملتهبة المشاعر، وتعيش على صفيح ساخن؛ لأن الحرب على الأبواب وتحرير فلسطين قاب قوسين أو أدنى. وجاء الشقيري، رحمه الله، إلى القدس بعد أن خرجت منظمة التحرير الفلسطينية من تحت عباءة الأنظمة العربية بقيادة جمال عبد الناصر، لتكون ملهاة بعد أن عجزت الأنظمة أمام التحديات، واستنفد التخدير أغراضه، فكان السيد أحمد الشقيري الرئيس الأول لمنظمة التحرير، وتشكل لها جيش باسمها جيش التحرير الفلسطيني، وكان لهذا الجيش دوره بعد الاحتلال سنة 1967، حيث عملت بقاياه، من على أرض غزة باسم قوات التحرير الشعبية. فقاومت الاحتلال وقارعته، وقدمت الشهداء والسجناء، منهم القادة الأبطال عبد القادر أبو الفحم، الذي استشهد في سجن عسقلان سنة 1970[7]، وهو

[7] استشهد الأسير عبد القادر جبر أحمد أبو الفحم في سجن عسقلان خلال مشاركته في الإضراب عن الطعام، وكان ذلك يوم 1970/5/11. [المحرر]

مضرب عن الطعام. ومن قادة هذا الجيش الضابط العقيد جبر علي عمار بدرساوي من بيت درّاس، وهذه القرية من قرى المجدل، ما خرَّجت إلا العنداء من الرجال، طراز عجيب، أبناء هذه القرية... فكان عناد جبر عمار داخل السجن وخارجه عجيباً، كما هي الحال في الدكتور الشهيد إبراهيم المقادمة[8]، ومحمد نصار، ونبيل نصار، والشهيد زاهر نصار، وحتى عبد العزيز أبو القرايا من الجبهة الشعبية، فقد كانوا جميعاً "نفس الطينة، ومن نفس العجينة" كما يقال.

وكان من أبطال جيش التحرير في القطاع الشهيد زياد الحسيني[9]، الذي استشهد في بيت الحاج رشاد الشوا، وكثيراً ممن التقيتهم في السجون من أبناء قوات التحرير الشعبية، وهم أكثر من كان حاضراً في الحرب ومقارعة الاحتلال، قبل حركة فتح وسواها، اللهم إلاّ الجبهة الشعبية، التي كانت حاضرة، لكن ليس بزخم قوات التحرير الشعبية.

جاء الشقيري، رحمه الله، إلى القدس قبل الحرب بأيام، وحطّت به الرحال في فندق الأمبسادور في الشيخ جراح من القدس، وغادرها يوم الحرب إلى الأردن، والشقيري خيرٌ ممن جاء بعده. ومن قبله زار القدس والحدود الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة، وعلق على اهتمام الناس بتشييد القصور، والتطاول في البنيان في بيت حنينا (إلى الشمال من القدس)، وقال: من يريد أن يحرر أرضه، لا يتطاول في البناء على هذا النحو، والمنطقة خط أمامي، وربما كان مصيباً، فقد بنى أهلنا من بيت حنينا (ومعظمهم يعمل في أمريكا منذ زمن طويل) القصور... لكن بورقيبة لم يكتفِ بالتعليق، بل دعا إلى الصلح مع

---

[8] **إبراهيم أحمد المقادمة (1952–2003):** ولد في مخيم البريج وسط قطاع غزة لأسرة هُجرت من قرية بيت دارس قضاء عسقلان. درس طب الأسنان في مصر، نشط في جماعة الإخوان المسلمين مبكراً. عضو النواة الأولى للجهاز العسكري الذي شكله الشيخ أحمد ياسين مطلع الثمانينيات. اعتقل سنة 1984 وحكم عليه بالسجن لثمانية أعوام. واعتقل سنة 1996 في سجون السلطة الفلسطينية وعُذِّب عذاباً شديداً لمسؤوليته عن بناء تنظيم عسكري جديد لحماس في القطاع. من أبرز قادة حماس في انتفاضة الأقصى، له عددٌ من المؤلفات أبرزها كتاب "معالم في الطريق إلى تحرير فلسطين". اغتيل بصواريخ طائرات الاحتلال في 2003/3/8. انظر: عاطف عدوان، **الشهيد الدكتور إبراهيم المقادمة: القائد والداعية المجاهد** (غزة: مركز أبحاث المستقبل، 2004).

[9] **زياد محمد الحسيني (1943–1971):** ولد في مدينة غزة. تخرج من الكلية العسكرية للضباط الاحتياط في القاهرة والتحق بقوات عين جالوت التابعة لجيش التحرير الفلسطيني. تولى مطلع سنة 1969 منصب قائد قوات التحرير الشعبية في قطاع غزة، والتي قادت المعركة ضدّ الاحتلال إثر احتلال سنة 1967. قاد عدداً من العمليات ضدّ الاحتلال. استشهد في 1971/11/21 في عملية اغتيال بعد اختطافه من قبل عملاء الصهاينة.

"إسرائيل"، فخرج الناس في مظاهرات ضدّه، وخاصة في مخيم عقبة جبر للاجئين، ورددوا: يا أبو رقيبة يا غدار، بعت بلادك بالدولار[10].

قبل حرب 1967 لم تتوقف اعتداءات الصهاينة ودولتهم على القرى الفلسطينية، حيث استباح الصهاينة قرى الحدود، من قبيه غرب رام الله، والقريبة من الرملة واللطرون، إلى بلدة السموع، وهي إلى الجنوب من مدينة الخليل، وعلى التخوم الشمالية لبئر السبع؛ قتلوا الرجال وبقروا بطون النساء، وهدموا البيوت. وآخر ذلك ما كان في سنة 1966، وقبل الحرب بشهور، فخرج طلبة المدارس في مظاهرات عارمة ضدّ الحكومة الأردنية نصرة للسموع، كالرشيدية ومدارس القدس ونابلس، خرجوا في مظاهرات تعامل معها النظام بقسوة[11].

كانت "إسرائيل" تُعدّ للحرب، وتستعد للانقضاض من على أراضينا، وكانت الأنظمة تحارب على جبهات أخرى، دون أن ننسى صراعها في الداخل مع شعوبها، فحزب البعث في الشمال في سورية أضعف الجيش وخرب البلد، وأفسد على الناس حياتهم. وهناك في مصر، انشغل النظام بحربه في اليمن، كما أقدم على مطاردة وإعدام قادة العمل الإسلامي من رجال الإخوان، الذين حاربوا الصهاينة في فلسطين، وشهدت لهم ربوع القدس بذلك... وممن حاربوا الإنجليز في القناة في مدينتي السويس والإسماعيلية، فقام النظام بإعدام الشيخ محمد فرغلي، ويوسف طلعت جزار الإنجليز، كما أعدم سيد قطب في 1966/8/29 (قبيل حرب حزيران/ يونيو 1967). غير أن الله سبحانه كشفهم، فلحقهم عار الهزيمة في حزيران/ يونيو 1967. وصدق الله ﴿وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[12].

لما أقدم النظام المصري على إعدام سيد قطب، رحمه الله، كنت في الإعدادية، وطلب مني الأستاذ عواد أبو قلبين، من سلوان، أن أقرأ على الطلبة في ساحة المدرسة، ساعة

---

[10] عن زيارة أبو رقيبة للضفة الغربية في آذار/ مارس 1965، وتصريحاته وردود الفعل عليها، انظر: **اليوميات الفلسطينية المجلد الأول من 1965/1/1 إلى 1965/6/30** (بيروت: مركز الأبحاث – منظمة التحرير الفلسطينية، 1966)، ص 86–99. [المحرر]

[11] شهدت الضفة الغربية اعتداءات صهيونية متتالية تفاوتت في حدتها، كان أبرزها الهجوم على بلدة قبية ليلة 1953/10/15، والهجوم على بلدة السموع ليلة 1966/11/14. للمزيد عن هذه الاعتداءات يمكن مراجعة:
Benny Morris, *Israel's Border Wars, 1949–1956: Arab Infiltration, Israeli Retaliation, and the Countdown to the Suez War* (Oxford: Clarendon Press, 1993).
مع الإشارة إلى أن جلّ مصادر الكتاب صهيونية. [المحرر]

[12] **القرآن الكريم**، سورة هود، آية 44.

الصباح، ما تيسر من القرآن عن روح الشهيد سيد قطب، كان ذلك في اليوم الذي أعدم فيه، أو بعده بيوم على ما أذكر، وفعلاً قرأت، ولا أدري لماذا اخترت الآيات من سورة الأنعام، من قوله تعالى من الآية ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[13].

هذا عما سبق الحرب والعدوان الصهيوني سنة 1967، أما عن الحرب وما بعدها، فها هم الصهاينة يوم دخول القدس، يعربدون ويتملكهم الصلف والغرور، وهم يرقصون رجالاً ونساءً في ساحة البراق، وحناجرهم تلعلع: حطّ المشمش على التفاح... دين محمد ولى وراح. وكثير منهم ألسنتهم عربية؛ منهم المغربي واليمني والعراقي، ومن أتى من الدول العربية منهم ساطياً مغتصباً لأرض فلسطين.

قبل الحرب بأيام كان في المسجد الأقصى عالم شيخ جليل اسمه محمد الصيرفي، يدرّس الناس، ويعظهم، ويحذرهم من حرب قادمة، ومن احتلالٍ للقدس، وأن الصهاينة يعدون العدة، والعرب في غفلة من هذا الذي يحاك ويدبر، فوقف له رجل من الحاضرين المستمعين، وقال له: بالأحذية هذه، وفي يده حذاؤه... وبالصرامي هذه سنردهم ونتصدى لهم. فانظروا إلى هذا المستوى من الاستهانة بالعدو، والجهل بالحال والواقع وثقافة الهزيمة. وأظن أن شيخنا الصيرفي من الشام من دمشق أو أخواتها. أما بعد الحرب، فقد كنت في السادسة عشرة من عمري، وكانت الهزيمة مدوية، وغير مقبولة لدى الجماهير، لما مَنّتهم شعارات الأنظمة من الانتصارات. والحق أن أبا جهل لما خرج بجيش جرار، تعداده ألف مقاتل من مكة إلى مياه بدر، لحرب سيدنا محمد ﷺ كان قد أعدّ العدة، وأخذ بالأسباب لتلك المواجهة، بل كان مزهواً، وكان على رأس الجيش، ولم يسجل عليه أنه هرب من المعركة، ولما قال: نرد بدراً ونشرب الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب، كان على ثقة من قوله، وإن خذله شيطانه وكفره. لكن الذين طبلوا للحرب سنة 1967 من العربان، وأغلقوا مضائق تيران، وقالوا من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر لبيك عبد الناصر، وأم كلثوم معكم في المعركة، كانوا على غفلة من أمرهم، ولم يعدوا العدة، أو يأخذوا بأسباب الحرب، كانت جعجعة لا طائل تحتها، ودفعت الجبهة المصرية ضريبة غالية، من خيرة أبنائها، بين القتل الميداني وبين الأسر،

[13] **القرآن الكريم**، سورة الأنعام، آية 75–79.

عدا عن الخسارة في المعدات وأدوات القتال. والحقيقة أنهم ما أحسنوا في شيء، حتى إن خطابهم السياسي كان عقيماً لا يرقى إلى مستوى الأحداث، وكانت أفئدة الحكام هواء. أهكذا تسقط وباقي الضفة الغربية وقطاع غزة وسيناء والجولان دون مقاومة تذكر؟!! أقول: والله، لن يغفرها لهم التاريخ، وستبقى وصمة عار في جبين كل حاكم لم يدافع عن القدس وفلسطين والبلاد العربية. ووالله كلما أتذكر ذلك، فأول خاطر يقع في نفسي، أن أقف وألعن الحكّام؛ والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَلَا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾[14].

وحتى بعد أن وضعت الحرب أوزارها، بقي الناس في حالة ذهول لما أصابهم وحلّ بهم، وبقيت الأنظمة على تعاستها، لولا أن الجماهير والأنظمة وجدت بغيتها في الثورة الفلسطينية والعمل الفدائي، الذي جاء على قدر مع تردي تلك الأيام، فكانت الثورة الفلسطينية هي الرافعة لحال الجماهير، والأمل الجديد الذي يخفف عنهم أثقالهم، ويفتح عليهم بوابات حالت دونها الأنظمة من قبل. والأنظمة كذلك، وجدت في الثورة الفلسطينية والعمل الفدائي، ما يخفف عنها ضغط الجماهير، فأخذ كل نظام يستقطب فصيلاً من فصائل المنظمة، وبعض الأنظمة أوجدت لها فصائل على ساحة العمل الفدائي، حتى تُنفذ سياستها، ويكون لها ذراعاً، حتى أن الملك حسين قال (عندما كان العمل الفدائي قوياً في الأردن): كلنا فدائيون، وقال: اقتلوهم! بأسنانكم وأظافركم، في كلام موجّهٍ للفلسطينيين ضدّ الصهاينة، وكانت موجةً سريعاً ما ركبها الناس، واستثمروها على صعيد الأنظمة والجماهير.

جاء احتلال 1967 للقدس والضفة الغربية، وخرجت الأفاعي من جحورها، وعملت دولة الاحتلال وبلديتها في القدس على طمس معالم المدينة، وتغيير المواقع والحارات تحت مسميات جديدة، وتفريغ حارات من أهلها، ومدارس من طلابها، وحتى المساجد حاصروها وعزلوها، ومنعوا رفع الأذان من على مآذنها. فحارة البراق بمدرستها هدمت بكاملها، وأخلي سكانها، بل منهم من مات تحت الهدم، والمدرسة التنكزية، والتي تلقينا فيها علومنا الشرعية، تحت مسمى ثانوية الأقصى الشرعية، أُخرجنا منها بقرار عسكري من وزير دفاع الاحتلال آنذاك موشيه ديان Moshe Dayan، كان ذلك سنة 1968، بحجة أنها مطلة على حائط البراق، الذي يسميه الصهاينة حائط المبكى،

[14] **القرآن الكريم**، سورة هود، آية 95.

ويمارسون عبادتهم قبالته، لكن دراستنا لم تتوقف، فاستوعبتنا دار الأيتام الإسلامية في حجراتها في ساعات المساء، ثمّ انتقلت الثانوية الشرعية إلى باب الأسباط أحد أبواب المسجد الأقصى.

جاء الاحتلال سنة 1967 ووضع يده على كثير من أملاك الغائبين، وعلى كل المؤسسات الحكومية، ومراكز الشرطة، التي كانت تابعة لحكومة المملكة الأردنية الهاشمية، بل تعدى ذلك، فحوّل هذه المراكز (كما هي الحال في رأس العامود والنبي يعقوب) إلى بؤر استيطانية. وما إن وطئت أقدام الاحتلال المدينة، وإلى يومنا هذا، والتهويد قائم على قدم وساق، وحرب التفريغ والتضييق، والضرائب الباهظة التي لا تطاق ولا تستطاع، حتى يهجر أهلُ المدينة بيوتهم نتيجة هذه السياسة المجرمة. لقد تحولت أحياءٌ وحارات كاملة من العرب إلى الصهاينة، ما بين سرقة، وبيع، وشراء، وسمسرة، وخراب ضمير، وما إلى ذلك. لكن كان هناك في القدس من آثر الموت والفقر، على أن يفرط ببيته، منهم أناسٌ ماتوا تحت الهدم، ولم يبرحوا بيوتهم، ومنهم الحاج موسى الخالص، رحمه الله، الذي راودوه كثيراً، وإغراءات لا مثيل لها، حتى يتنازل عن عقار من عقاراته، لكنه رفض وبإصرار، وعزة، وكرامة. فكل من يتابع الأخبار سمعه على شاشة التلفزيون يقول: إنه لا يمكن أن يبيع بيته، حتى يأخذ توكيلاً من كل أبناء الأمة الإسلامية، بما في ذلك الأطفال الصغار، لقد مات، رحمه الله، وبقي رمزاً، وأسطورة للرباط والثبات. لكن في المقابل، هناك من رخّص نفسه، وباء بخزي الدنيا والآخرة.

جاءت حرب 1967، وما كنت أتوقعها؛ لأنني كنت أتشوق لتحرير فلسطين التي احتلها الصهاينة سنة 1948، كنت على ثقة بأن العرب في طريقهم إلى تحرير فلسطين، وأن زحوفهم آتية كالطوفان، وكنت أتوجع وأتحرق على الذي دهى أهلنا سنة 1948، وأنظر إلى مغتصبة رامات راحيل Ramat Rachel، المجاورة لبلدة صور باهر، والتي أقيمت على أرض بيت صفافا وصور باهر، وأردد ما يغنيه فريد الأطرش (لمن أحبها) وما طالها (نالها): "قدام عينيّا، وبعيد عليّا، مقسوم لغيري، وهو ليَّا".

احتلت القدس، ورفع الاحتلال علمه على قبة الصخرة، ولم يمتلك أحد الجرأة على إنزاله من ذلك المكان الطاهر، وقد بلغت الهزيمة من الناس مبلغها، إلى أن جاء السفير التركي وطلب من قوات الاحتلال إنزاله، فأنزلوه.

وأذكر أن معظم أهالي القرى الحدودية تركوا قراهم، وهاجروا إلا القليل، فأهالي أم طوبا وصور باهر تركوا مساكنهم خوفاً من بطش الصهاينة، وما يعرفه الناس من أذاهم، ولأيام قليلة نزل الناس قريباً من قراهم (فنحن وأهل صور باهر نزلنا على عرب التعامرة والعبيدية)، ثمّ رجع الناس إلى بيوتهم. وبالرغم من صغر سني وقتذاك، ومن هول الصدمة وتشنج الموقف، إلا إنني، وابن عم لي، قررنا العودة إلى القرية قبل عودة الناس، حيث كانت طلقات الرصاص من جيش الاحتلال تتراشق من على مئذنة مسجد صور باهر، المطل على المحيط كله، بل وعلى جبال الكرك في الأردن. لقد عدنا إلى بيوتنا ونمنا ليلتنا، كلٌ في بيته دون أهله، وتغطيت بما في "معزل" البيت من لحف، وافترشت بما في البيت من فرش ومتكآت.

إنها جريمة أن تسقط القدس، وأن يتخذ الناس كتاب الله وراءهم ظهرياً، وإلا بأي ذنبٍ قتلت رجاء حسن أبو عماشة وهي تُنزل العلم البريطاني من على سارية القنصلية البريطانية، في مظاهرات كانون الأول/ ديسمبر 1955[15]؟

كل ذلك حتى يقتلوا في الناس روح التحدي... لكن الناس وطلبة المدارس أخذوا يرددون في المظاهرات: رجاء حسن تنادي أنقذوا لي بلادي. وكذلك بأي منطق تُفرغ حارةُ الشرف من أهلها، ويرحلون إلى مخيم شعفاط قبل الاحتلال بسنة؟ وكان في هذه الحارة ربع سكان البلدة القديمة، لقد رُحّل عنها 500 عائلة، وهم اليوم ما يقرب من ثلاثين ألف مواطن. ولقد أُفرِغت الحارة لتأخذ اسماً جديداً بدلاً من حارة الشرف، هو "حارة اليهود"، وكان معظم سكانها من الذين هجروا سنة 1948، من قرى غربي القدس. ومرة أخرى لماذا تفرغ الخطوط الأمامية وجبهة المواجهة من الدبابات والمعدات الثقيلة قبل شهر من الحرب والعدوان؟ لماذا نقل عتاد الجيش الأردني من غربي الضفة إلى شرقيها؟ ولماذا أتوا بالأغرار من الجيش الذين يجهلون المواقع، ولا يعرفون المناطق بدلاً من الجيش الذي أتته الأوامر بالانسحاب، وهو الذي ألف الخطوط الأمامية طويلاً في السنوات العجاف، ولم يبقَ من الجيش إلا من تمرد على القرار، وآثر المواجهة مع العدو على الهرب؟ وأذكر حادثة في أول يوم من الحرب أن جندياً أردنياً، من معان،

[15] قتلت رجاء أبو عماشة، من لاجئي أريحا، سقطت في القدس يوم 1955/12/17، وهي أحد كوادر الحزب الشيوعي الأردني الطلابية، في مظاهرات خرجت تنديداً بتوجه الأردن لحلف بغداد. للمزيد انظر رواية القيادي الشيوعي عبد العزيز العطي في: عبد العزيز العطي، **رحلة العمر من شاطئ غزة إلى صحراء الجفر** (عمّان: نشر خاص، 2012). ص 126–127. [المحرر].

أتوا به إلى الجبهة، وهو يجهلها ولا يعرفها، ففي يومه الأول من المعارك توجه إلى الغرب في انسحابه، بدلاً من التوجه إلى الشرق، توجه إلى مواقع الصهاينة، ولولا أقارب لنا أخذوا بيده إلى طريق السلامة والأمان، لقتل أو وقع أسيراً في أيدي الصهاينة. وصدقت العرب فيما قالت: "قتلت أرضٌ جاهلها، وقتل أرضاً عالمُها".

وقصة الجامعة العبرية، القائمة على أرض العيسوية، وما يحيط بها من مستوطنات، هذه البؤرة كانت مزروعة في محيط كلُّهُ عرب، وقوافل الإغاثة والمدد تغدو وتروح إليها كل يوم أحد وخميس من الأسبوع، وعلى أعين الناس، والنظام الأردني وصيٌّ على حراستها، وكثير من الناس يجهلون، ولا يعلمون أن استيطاناً قائماً تحت اسم جبل سكوبس وهداسا الشرقية وعلى أرض العيسوية؟ وكثير من المواقع، ومنها التلة الفرنسية وما تسمى عطروت، مُنع الناس من البناء عليها، حتى إذا جاء الاحتلال، استولى عليها وبنى عليها منطقة صناعية. وأخذت هداسا والجامعة العبرية ومستشفاها النفس العميق، لما اجتاحت جيوش الاحتلال القدس والعيسوية، وتوسعت على حسابهما، وعلى حساب شقاء الناس وحياتهم.

العمل والزواج:

بعد أن انتهيت من الدراسة الثانوية بنجاح، ومضى على الاحتلال ما يقرب من أربع سنوات ثقيلة على الناس، وعلى مفاصل حياتهم، وكلما طالت أيام الاحتلال بلا مقاومة مَع غياب الوعي، ترسخت أقدامه، واستشرى تغوله واستفحل خطره، والمقاومة وظروف العمل الفدائي لم يكونا بالمستوى المطلوب من النجاعة في إيلام العدو، أو النيل منه، فتجربة العدو في اختراق صفوفنا، وصفوف الأنظمة المحيطة بنا، فاقت قدرتنا على التصدي لضعف المناعة عندنا، وقد استبيحت الساحة من قبل الغزو الفكري، الذي استثمر جهل الأمة، ولم يتح ما عندنا من المناعة من صدها... وَصفوفنا من خلال تجربة الثورة الفلسطينية كثيراً ما اخترقها الأعداء... ليس بذكائهم بقدر ما هو إهمال منا، وعدم حصانة في قوانا البشرية، فالإغراءات، في ظلّ غياب الوازع الديني، والتربية الوطنية الصادقة، دفعت بالناس أن يقبلوا ثقافة الهزيمة، بدلاً من أن تكون فلسطين وقضيتها أكبر وأهم اعتباراً من طغيان المحسوبية باسم التنظيمات. حيث لم تأخذ حظها عند الروّاد على صعيد التعبئة، التي في غيابها دفعت بالناس إلى مجاملة الاحتلال، والسكوت عن تصرفاته على حساب الوطنية... إلاّ من رحم الله.

لقد تغول الاحتلال بمشاريعه، واستنزف ما عند الناس من قوة، وأحكم من خلال أجهزته الأمنية السطوة على كثير من المرافق العامة، حتى أن سائق الأجرة، أو مدير المدرسة، لا بدّ أن ترضى عنه المخابرات، حتى يحصل على رخصته، أو يترفع في وظيفته، إلا من رحم الله، وعلى هذا فقِس.

أكملتُ الثانوية العامة، وإلى جانبها الثانوية الشرعية، وكان بالإمكان أن أواصل تلقي علومي الشرعية من خلال كليات الشريعة، في الجامعة الأردنية، أو الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة (على سيدنا رسول الله الصلاة والسلام)، أو جامعة الأزهر في القاهرة. لكني شُغلت عن ذلك، وآثرت العمل الحر والبناء على الدراسة لسنة كاملة، حيث كانت ظروف الثورة الفلسطينية تتراجع في الأردن، بعد نجاحات أحاطت بالساحة الأردنية، لكن النظام ضاق ذرعاً من الوجود الفدائي، واستغل ممارسات وأخطاء أساءت للعمل الفدائي، ومزّقت وحدة العمل الثوري، فعمل النظام بنجاح على اختراق صفوف الثورة والتنظيمات، واستطاع أن يؤلب الرأي العام في الجيش ضدّ الثورة. وكان هناك بالمقابل شعارات وملصقات لماركس ولينين، على جدران مسجد الأشرفية، وأن عمّان هانوي العرب، فتداعت الأسباب من هنا وهناك، حتى كانت الحرب التي قذفت بالثورة الفلسطينية خارج الأردن، فكانت أحداث أيلول/ سبتمبر الداخلية، ووقعت الفتنة بين أبناء الشعب الواحد. وانتهت الحال بالساحة الأردنية أن أمنت "إسرائيل" الحدود مع الأردن، بعد أن كانت ساحة ملتهبة، وجبهة ساخنة على الدوام. هذه الأحداث كنت شاهداً على آخرها عام 1971/1970، حيث حطت بي عصا الترحال هناك في عمّان، وعايشت حساسية الظروف، وسمعت تعليقات الناس على ما مضى من حال الثورة الفلسطينية. فذات مرة وأنا في طريقي إلى الجامعة الأردنية سمعت سائق أجرة يقول: "ما بدو أبو العماير (يقصد أبو عمار) يظل حاكم من درعا إلى العقبة، أبو العماير يريد أن ينقلب على الملك". لكن فيما بعد تجاوز الناس كل هذه الهموم، وعادت الحياة إلى طبيعتها شيئاً فشيئاً، والتقيت من لي بهم رحم وصلة قربى، وكان منهم الأخ المناضل وابن مجموعتي، منير أبو طير (أبو أشرف)، وتناولنا أطراف الحديث عن الثورة وظروفها، وعن حاله وهو يتنقل بين صفوف الفدائيين في حرب أيلول/ سبتمبر، حتى انزلقت به رجله في بئر في الجبل الأخضر، وجعل من سلاحهِ الدكتريوف سُلماً للخروج من البئر.

كان حضوري إلى الأردن من أجل الدراسة في الجامعة الأردنية، ومن وراء ذلك ترتيب أموري لاستئناف العمل الجهادي من خلال صفوف الثورة؛ لأن مقارعة الاحتلال ومقاومته كانتا شغلي الشاغل، وهما اللتان طغتا على كل شيء في حياتي، حتى على الدراسة وعلى العمل الحر، وحتى على أولوياتي مهما كانت.

قطعت زيارتي لعمّان، ورجعت إلى مدينتي التي أحب "القدس"، ومن أجل عيونها أضحي بالغالي والنفيس. وذهبت إلى المحكمة الشرعية في شارع صلاح الدين، ودخلت على فضيلة الشيخ حلمي المحتسب، رحمه الله، رئيس محكمة الاستئناف الشرعية، وإلى جانبه فضيلة الشيخ سعيد صبري، قاضي القدس الشرعي، ووالد الدكتور عكرمة صبري، والذي تصدّى لقوات الاحتلال عند اقتحامها لمدينة قلقيلية، وهدمها لعشرات البيوت في المدينة؛ فكان للشيخ موقفه، حيث رفع صوته عالياً أمام السفارات الأجنبية، كي تتدخل لوقف ذبح المدينة، وإخراج أهلها منها.

دخلت على الشيخين الجليلين، وقلت لهما: انتهى إلى سمعي أن الأوقاف في حاجة إلى أئمة مساجد، وأنا أحد خريجي المدرسة الشرعية، فقال لي الشيخ حلمي المحتسب: بهذه الفتوة، وبهذا القميص "النص كم". فقلت: ما المطلوب يا سيدي؟ فقال: أن تتزيا بالزي الشرعي، وأن تلبس الجبة والعمامة. فقلت: مقبولٌ علي. وكان ذلك، واستلمت كتاب تعييني وتصنيفي بعد فترة قصيرة، من أواخر سنة 1972. فكانت الجبة والعمامة من شروط الوظيفة في كتاب التعيين، واستحضرت بيتاً من الشعر كان يردده الإمام محمد عبده:

وإن ديناً قد أردت صلاحه مخافة أن تقضي عليه العمائم

تسلمت عملي إماماً ومدرساً وخطيباً للجمعة، في مسجد قرية من قرى القدس اسمها الجيب، وهي إلى الشمال من القدس، وتجاورها قريتا بير نبالا والجديرة، وإلى الغرب منها بيت إجزا وبدو وقطنا وعدة قرى أخرى، وتعدت وظيفتي من إمام مسجد إلى مأذون شرعي للقرى الثلاث، الجيب وبير نبالا والجديرة، ومن خلال عملي، كانت لي حملة قاسية على أناس من هذه القرى وغيرها، لما فرطوا من حقوق على صعيد الوطن والوطنية، والصراع مع العدو، فقد خرج بعض الناس عن المألوف، وقبلوا على أنفسهم أن يبيعوا أراضيهم للاحتلال، وكثرت السمسرة بين الناس، وأقيمت مستوطنات من على الأراضي التي بيعت للصهاينة، مثل جفعات زئيف Giv'at Ze'ev التي أقيمت على

أراضي الجيب، فكانت حملتي شديدة على السماسرة، وعلى كل من يفرط ويبيع أرضه للصهاينة، وكنت أُلقي على الناس مِنَ الفتاوى، ما تحرم عليهم بيع الأراضي للصهاينة، وأردد على أسماع الناس أبياتاً من الشعر قالها إبراهيم طوقان من قبل:

يا بائع الأرض لم تحفل بعاقبة ... ولا تعلمت أن الخصم خداعُ

لقد جنيت على الأحفاد والهف ... يوهم عبيد وخدامٌ وأتباعُ

وغرّك الذهب اللمّاع تحرزه ... إن السراب كما تدريه لمّاعُ

فكر بموتك في أرضٍ نشأت بها ... واترك لقبرك أرضاً طولها باعُ

وبطلب من أهالي هذه القرى عرضوا عليَّ الزواج؛ لأن وظيفتي حسب عرفهم لا بدّ لها من زواج، وعملي في عقود الزواج ودخولي على بيوتهم، لا بدّ له من إحصان حسب فهمهم، وكأن على المأذون أو الشيخ أن يكون أقرب إلى الشيخوخة.

ومع هذا كانت لي رغبة في الزواج، وتمّ لي ذلك وتزوجت من أم مصعب بتاريخ 1973/3/3، والثلوج تتساقط على جبال القدس ومرتفعاتها، وفي تاريخ 1974/2/1 رزقني الله منها بابنتي "فلسطين"، وبعدها بثمانية أشهر ونصف دخلت السجن لأول مرة. وقد أثمر ارتباطي بزوجتي هذه أربعاً من البنات وولدين؛ وهم على الترتيب: فبالإضافة لفلسطين مصعب، وأروى، ومريم، وخولة، ومحمود، وعلى فترات بين الذهاب إلى السجن والإياب منه، ثمّ تعسرت العِشْرةُ بيننا؛ وكان الفراق. وأما الزوجة الثانية، فقد جاءتني إلى السجن بعد اعتقال سنة 1998، وطلبت الفراق، ولي منها ابنةٌ اسمها هند، وهي اليوم أم لطفلة، وأسأل الله تعالى أن يحفظهنّ جميعاً، وأن يجللهنّ بستره... اللهم آمين.

وللعلم، أني ما عشت مع النساء من هذا الذي مضى من العمر، أكثر من ثماني سنوات. فبحثت عن زوجة، وهي التي تعيش معي الآن، ويكفيني دينُها، وقد دخلت بها يوم 2005/2/23.

إحراق المسجد الأقصى 21 آب/ أغسطس 1969:

أن يُحرق المسجد الأقصى، وأن تلتهم النيران منبره وأعمدته وجدرانه، فذلك تتمة لما عجزت عنه المعارك في حرب 1967، ولولا وجود دعم وإسناد وتخطيط على مستوى عال،

ما نجح ذلك الحاقد الذي يدعى دينيس مايكل روهان Denis Michael Rohan بمفرده، أن يقوم بهذا الحريق، وبسرعة أذهلت المصلين، وخرجت عن سيطرة الحاضرين. وإلا كيف؟ ولماذا منعت سلطات الاحتلال إطفائية البلدية، وعمالها من العرب المقدسيين، من الوصول إلى ساحات المسجد الأقصى لإطفاء الحريق؟ وقد استنجدت الأوقاف والناس بالإطفائية لكن دون جدوى، ما دفع الناس والجيران —بما يستطيعون— نقل المياه بالدلاء، والأواني البيتية من الآبار لإطفاء الحريق، وهذا ما حصل.

إنه الحقد الصهيوني الذي دفع بروهان أن يقدم على جريمته، وأن تُبرِّئه محكمة الاحتلال، بعد ذلك بدعوى الجنون، وإنه الحقد الدفين، وإنها عداوة الدهر... وصدق الله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾[16].

إن حريق المسجد الأقصى أوجع القلوب وأدماها، وفضح الأنظمة، فضيحة لا تقل عن هزيمة حرب 1967، فمن هذا الذي لا يحترق قلبه، وهو يرى النيران تلتهم منبر صلاح الدين، الذي هو روعة في البناء، وآية في الزخرفة؟ بل روعته الحقيقية، تكمن في أنه شكّل رمزاً لمرحلة تعافت فيها الأمة، بعد تحرير بيت المقدس والمسجد الأقصى من أيدي الصليبيين، فالمنبر ابْتدئ العمل به أيام نور الدين زنكي، ولأكثر من ثلاث عشرة سنة، إلى أن جيء به من حلب إلى موقعه في المسجد الأقصى، على يد القائد والمحرر صلاح الدين الأيوبي، والمنبر على مرّ الأيام شاهد على النصر بعد هزيمة الصليبيين في حطين، وهذه أبيات من شعري، قلتها بهذا الشأن:

على القُدْسِ سَلِّم وَقَبّل ثراها ... وَحييّ رجالاً توَلّوا حِماها
وحييّ المحاريب من... أرضها ... ونادي صلاحاً وحقق مناها
إلى القدس هيا فقد أحرقت ... يهود محاريبها... بل ثراها
لئن عربد العجل فيها... وتاهى ... فجند المثنى تداعى نداها
إلى القدس هيا تعالوا سُرى ... جيوشاً، وقوموا على من قلاها
ألم يعلموا أنّ فيها... رجالا ... همو للمغيرات صبحاً... تراها
فصبراً فلسطين إنَّا... هنا ... لصبح غدا نصره في سماها
ليوم ترى أمتي... صبحه ... تعافى من الليل يبغي ضحاها

[16] **القرآن الكريم**، سورة المائدة، آية 82.

فلسطين مَنْ لليهود... سوانا ... يداوي الذي أفسدوا من رباها
بلادي التي أشبعوها أذى ... تنادي زماناً لنا فيه... جاها
فيا صخرة القدس... نحن الفدا ... لمسرى زعيم النبيين... طه
لمسرى تداعى إليه النبيون... تترى ... وباهى الإله... بأحمد... باهى
فصبراً فلسطين صبراً... إذا ... خيول التقى حمحمت يا... فتاها
فإنّا إذا الزحف قدّ الصدى ... بتكبيرةٍ ليس نبغي... سواها
فويلٌ لمن هوّدوا القدس... ويلٌ ... لمن عاث فيها فساداً... علاها
لنا في الخوالي صلاحٌ ونور ... ومن بعده آل عثمان تلاها

وأخرى:

أنادي وفي القدْس جيل الأمل ... شباب له همة في العمل
رجال إذا شمروا... للوغى ... تهاب المنايا دنو الأجل
أنادي وفي القدس حلَّ العنا ... يهودٌ تداعت وحلَّ الزلل
فيا آل عثمان يا منْ... صبر ... سلام من القدس فيه الوصل
فلولا الأفاعي ولولا الخَنا ... لما بيعت القدْس بَيْع البقل
ويا آل زنكي سلام... عليكم ... على منبرٍ آية في العمل
كُماةٌ ونورٌ يقود... الخُطا ... بجيش لتحرير أرض الرُسل
ومن بعده فَيْلقٌ ذو... تُقى ... صلاحٌ على خيله ينتقل
فشتان شتان ما بين جيش ... بناه صلاحٌ لأمر جلل
وجيش تراخت عزائمه ... عن القدس يوم اعتلاها النذل
وشتان شتان ما بين جيلٍ ... بنى منبراً بالتقى... والعمل
وجيلٍ زها بالخيانة... كِبْراً ... فيا ويحه منبرٌ... لو عقل
صلاح ومن قبله... عامرٌ[17] ... زها لهما السهل قبل الجبلْ

[17] عامر: أبو عبيدة بن الجراح.

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

إنها جراحات النفس الموجعة، وأنا أتحدث عن القدس، وما دهاها، وعن الأقصى، وما حلّ به وجرى له، في غياب أمة عجزت أن تغالب نيران الحقد، التي أحاطت بأولى القبلتين وثالث مسجد تُشدّ إليه الرحال. وفي كل يوم تُتلى آية الإسراء وسورة الإسراء على مسامع الأمة، فهي نداء للنفير ودعوةٌ للزحف، ولها جرسٌ يقرع ويذكر الأمة، بمسرى نبينا محمد ﷺ وبالمكانة التي خصّ الله تعالى هذا البيت بها، فقد ورد في الحديث المرفوع أن ميمونة مولاة النبي ﷺ قالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفْتِنَا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ. فقال: "ائْتُوهُ فَصَلُّوا فِيهِ"، وَكَانَتِ الْبِلَادُ إِذْ ذَاكَ حَرْباً، "فَإِنْ لَمْ تَأْتُوهُ وَتُصَلُّوا فِيهِ، فَابْعَثُوا بِزَيْتٍ يُسْرَجُ فِي قَنَادِيلِهِ"[18]؛ وهذا هو الفضل.

لقد التهمت النيران المنبر والمسجد، وكل من هو في محيط القدس شاهد ألسنة اللهب، تأتي على كل شيء، حتى قبة المسجد، فوالله إني شاهدت الدخان عن بعد عشرة كيلومترات، وهي آخذة سبيلها إلى السماء، وأنا في الطريق إليه مشياً على الأقدام، من أم طوبا إلى القدس، لما سمعت بالخبر. وطار حتى بلغ الآفاق، وسمعت به العرب والدول المجاورة، وعجزت أن تحرك ساكناً، حتى قالت جولدا مائير Golda Meir، رئيسة وزراء الاحتلال: "كنت أراقب ردة فعل العرب على خوف، وأعصابي مشدودة، حتى مضى اليوم الأول والثاني والثالث، ولم يحرك العرب ساكناً... فاطمأننت".

لقد التهمت النيران المنبر، الذي من عليائه خطب الخطباء، وطارت في الآفاق بشائر النصر، لما اعتلى الفاتحون المنبر، وصلى المصلون صلاة النصر والفتح. وإنّ هذا المنبر بمسجده، الذي كان مناراً للعلم وملتقى للعلماء، ويحتضن مئات من حلقات العلم، لمئات من العلماء بين أروقته وتحت ظلاله. حتى قال الإمام الغزالي رحمه الله، لما وجد أن أكثر من ثلاثمئة حلقة علم تقام فيه فقط: لقد ضاع الإسلام، فكيف بحال المسجد في الستينيات من القرن الماضي، وما بعد ذلك حتى أيامنا هذه، لا تجد فيه ثلاث حلقات من العلم، والذي يعظ فيه اليوم، هيهات أن يرقى لمستوى العلماء.

لكن بالرغم من هذه الأوضاع، وبالرغم من ما يتعرض له المسجد الأقصى، من انتهاكات وحفريات واعتداءات، على جغرافيته ومبناه، وعلى رواده، حتى أن المسجد

[18] انظر نصه في: **سنن أبي داود**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط 2 (صيدا: المكتبة العصرية، 1950)، الحديث رقم 457. [المحرر]

بأبوابه الخارجية، تحيط به شرطة الاحتلال، وأجهزة أمنه المدججة بالأسلحة، تحاصره وتحول بين الناس وبين مسجدهم وصلاتهم؛ فلا حرية عبادة للمسلمين ولا حتى للمسيحيين في ظلّ هذا الاحتلال، بل إن شرطة الاحتلال، تمنع الناس لأشهر من دخول المسجد، ولقد منعوني خمس مرات من دخول المسجد لعدة أشهر، بل منعوني من دخول البلدة القديمة من القدس. وأكثر من هذا خرجت من السجن بعد أربع سنوات من الاعتقال، مكثت بعدها في بيتي أربعين يوماً، ولم يسمحوا لي بالصلاة في الأقصى، واعتقلت ثانية، وأبعدتني قوات الاحتلال قسراً عن بيتي، وعن قدسي ومسجدي، ولم يُسمح لي بالصلاة فيه.

مرة أخرى بالرغم من هذه الأوجاع، فإنني على يقين بأن القدس والمسجد الأقصى، بين يدي فتح وتحرير جديدين، ما دام المسلمون يقرؤون الآية الأولى من سورة الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾[19]. فسيدنا محمد ﷺ صلى فيه بالنبيين لما أُسري به في تلك الليلة، وكان الإسراء فتحاً روحياً، وتوجيهاً لتحريره، ودعوة لإعماره، وسيدنا عمر، رضي الله عنه، جيّش الجيوش لحرب الروم، وتحرير أرض العرب منهم، وجاء القدس فاتحاً بسلام، وكان ذلك، والعهدة العمرية إلى يومنا هذا شاهدة على التاريخ، وصلاح الدين الأيوبي حررها بعد أن حكمها الصليبيون لأكثر من مئة عام إثر حملات صليبية شهيرة.

واليوم أقول إن التحرير قادم، وإن كل ما سوى آية الإسراء زائل؛ لأن في الآية دلالة لن تُمحى أبداً، يوحي التنزيل والتنزيه فيها: أن القدس والأقصى بين يدي فتح قادم، ما بقيت آية الإسراء. وأما رمزية الأقصى في الآية، فقد طغت على كل جغرافيا يمكن أن تذكر، وإن البركة لن تنزع من الأقصى وما حوله، فآية الإسراء تحمل بشائر الفتح. وإن آية الإسراء أكبر مِنْ أن يساوم عليها أحد، أو تكون موضعاً للتفاوض.

إن حريق الأقصى على ما أذكر، استنفر كل من هو ساكن في القدس، من العرب مسلمين ومسيحيين، رجالاً ونساءً، حتى من وقعوا فريسة الزعرنة والمخدرات، أخذتهم النخوة والحمية، واستبسلوا في إخماد الحريق، أما الصهاينة فهذه فرصتهم.

[19] **القرآن الكريم**، سورة الإسراء، آية 1.

بصحبة رسول الله ﷺ:

من دون تعليق على الرؤى، فهي ليست حُكماً شرعياً، وإنما هي مبشرات يُستأنس بها، إلا رؤى الأنبياء فهي حق، وكما جاء عن نبينا محمد ﷺ "الرؤيا الصالحةُ جزءٌ من ستةٍ وأربعينَ جزءاً من النُّبُوَّةِ"[20]. وأحاديث حولها كثير، المهم أنني رأيت فيما يرى النائم، أني في البيت، وإذا بطارق يطرق علينا البيت ويقول لي: تعال إلى النبي ﷺ فخرجت من البيت إلى الحارة، وإذا بعمود من الرخام كأعمدة المسجد الأقصى من الأرض، إلى ارتفاع يصعب اعتلاؤه، والرسول في أعلاه جالسٌ على كرسي، فقلت: يا الله !! كيف بي أن أصعد إلى أعلى، حيث النبي ﷺ وإذا أنا بقدرة قادر، واقف بين يدي رسول الله ﷺ وأعطاني من الكتب الكثير، بعدما ألقيت عليه السلام ... وحملت وحمل الناس معي هذه الكتب إلى بيتنا، ثمّ إنه أعطاني ورقة نقدية من فئة عشرة دنانير أردنية، فقال لي: تسد بها حاجتك، أو دينك وما على أهلك من دَيْن، وذهبت بالدنانير إلى الحانوت، وأحضرت حلاوة وعلب سردين إلى النبي ﷺ فقال لي: عندي منه الكثير، ولم يأخذ منه شيئاً. ولربما أذكر أنه قال: إن كنت تريد فعندي الكثير، والله أعلم، وانتهت الرؤيا الأولى إلى هنا، وتعبيرها والله أعلم قد تحقق؛ لأني بعدها ذهبت إلى ثانوية الأقصى الشرعية، وتلقيت علومي بها، وجاء السجن، وقرأت ما معدله ثماني ساعات يومياً على مدى ثلاثين سنة؛ لأنه في بعض الأيام كنت أقرأ أربع عشرة ساعة، معظمها علوم قرآنية، وأحاديث نبوية، وتفسير وفقه على مختلف مسمياته، وتاريخ، وكثيراً ما كان اهتمامي منصبّاً عليه؛ لأن مَثَل التاريخ في حياة المرء كالسائق، عن يمينه مرآة وعن شماله مرآة، وأمامه مرآة وينظر إلى الخلف... إلى ما وراءه حتى تتبين له الطريق، فهو يسير إلى الأمام وعينه إلى الوراء، وهكذا هو التاريخ مرآة للمستقبل.

أما الدنانير، فقصتها والله أعلم، أني لخمس وثلاثين سنة، وأنا موظف أوقاف وأتقاضى المعاش الشهري بالدينار الأردني، وكذلك لي أخوان هما (أبو خالد) عمر و(أبو زيد) راضي، أحدهما مراسل في دائرة الأوقاف ويتقاضى معاشه بالأردني،

---

[20] حديث متفق عليه، انظر نص الحديث في: **صحيح الإمام البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وسننه وأيامه**، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر (الرياض: دار طوق النجاة، 1422هـ)، الحديث رقم 6989. [المحرر]

وأبو زيد حارس وعامل في إطفائية الأقصى، ويتقاضى معاشه كذلك بالأردني، وأكثر ما دخل بيتنا الدينار الأردني، وما لحق بنا ضيم، والحمد لله.

وأما الرؤيا الثانية، فلربما تأويلها عجيب، ولها دلالات واضحة، فقد رأيت فيما يرى النائم، أني أحمل طفلاً صغيراً بلفاعة [قطعة قماش يلف بها الطفل الصغير] بيضاء، وسرت به إلى الجنوب من بيتنا، وبالقرب من مدرسة قريتنا أم طوبا ولم تكن من قبل. وكانت أمي واسمها هاجر رحمها الله، وجدتي واسمها علياء رحمها الله، تجلسان في ظلّ شجرة لوز كبيرة، فجئتهما وألقيت عليهما السلام، وقالت لي أمي: حتى الآن ما أخذت أخاك إلى الطبيب؟ —هي تقصد الطفل الذي بين يدي— فقلت لها: أنا ذاهب. وسرت في طريقي إليه منتحياً جانبه الأيمن، وإذا أنا برجلين من الأقارب: أحدهما اسمه محمود خليل رشيد، والثاني محمود حمدان أبو طير. وسرنا معاً في الطريق، لكننا افترقنا بعد قليل... هما سارا شرقاً للعمل في المحاجر، وأنا سرت جنوباً نحو مدينة بيت لحم، ونزلت وادياً، وإذا أنا في ظلام دامس وعتمة لا يُرى منها شيء، وقد أرخى الليل بظلامه، واعترتني حالة من الخوف، فقلت يا الله! كيف السبيل؟ وأنا خائف من الوحوش وهوام الأرض لا سواها... وإذا أنا بالنبي ﷺ يقول لي: امشِ... أنا معك، وسرت عن يمينه والطفل بين يدي، حتى وصلت به إلى بيت لحم، ودخلت على طبيب اسمه سليم جليل، وعائلة جليل في بيت لحم من النصارى، فعرضت عليه أخي دون أن يدخل النبي ﷺ معي، بل لا أدري أين ذهب؟ ونسيت أنه كان معي، وأنني رافقته الدرب. ثمّ خرجت من عند الطبيب، وإذا بالدنيا ظلام دامس، فقلت يا الله!! كيف الإياب؟ وإذا بالنبي ﷺ يقول لي: امشِ أنا بانتظارك، وارتاحت نفسي ومشيت إلى جانبه، لكن انتهت الرؤيا دون أن ينبلج الفجر. ومضى على الرؤيتين ما يقرب من خمس وأربعين سنة وما نسيت منهما شيئاً. وبعد حين ولربما جاء تأويلها، فالولد في المنام هم، وحملته طويلاً، أمي هاجر، والطريق هجرة إلى الله، وجدتي علياء، وإن شاء الله نحو العلياء، ورفيقاي ذهبا في طريق مكابدة العيش، وأنا ذهبت من خلال ظلمة الليل إلى السجن الطويل، لكن الطمأنينة في عبارتين للنبي ﷺ امشِ وأنا معك، وامشِ وأنا بانتظارك، والطبيب سليم وجليل، والله أعلم.

الفصل الثاني

لكل مقدمة نتائجها: الاحتلال، الكفاح المسلح

لكل مقدمة نتائجها: الاحتلال، الكفاح المسلح

أقول، والله أعلم، إن لكل بداية اهتماماتها، ولكل مقدمة نتائجها. فمذ كنا صغاراً، ومن الأيام الأولى لنشأتنا، وقبل أن يطأ الاحتلال أرضنا، كانت اهتماماتنا فيها أحلام وآمال لتحرير فلسطين. ويوم أن سقطت القدس، بعدما اشتد فينا العود والساق، سقطت مثخنة بالجراح، جراح التآمر والخذلان... جراح الإهمال وعدم الاهتمام، جراح الغفلة وعدم الإعداد والاستعداد... ازدادت فينا الاهتمامات، وتفجرت الطاقات، وظهر منا الرفض بالفعل لهذا الدخيل... نعم، كان هامش الحركة للشعوب أمام تلك التحديات محجوراً عليه، ولم يكن من خيارات أمام القهر، والتجويع، والحرب النفسية، التي نجحت في تخدير الرأي العام، وإضعاف الشعور الوطني والقومي، وعزل الدين عن دوره في تعبئة الجماهير، واستنهاض الوعي بشحنة من حرية التعبير، وأن تملك الشعوب خياراتها التي حوصرت، بل غيبت. لكن مع الزمن ومع حركة الوعي الوطني، استبسل الناس في التصدي للاحتلال.

إن خصوصية الحديث هنا عن القدس، ليس لأنها ذات مكانة وقداسة لديّ ولدى غيري، بل تكمن خصوصيتها لديّ في أني قد حفيت قدماي قبل الاحتلال وبعده وأنا أروح وأغدو إليها، ومشيت حافياً من أم طوبا للصلاة في المسجد الأقصى، والاسترواح في ظلاله. فالقدس احتضنتني منذ الصغر وطوال العمر، وَحُقَّ لقلبي أن يتوجع، وأن يتجرع مرارة الألم... لما وطأتها أقدام الصهاينة. وإن عزل القدس عن شدّ الرحال إلى مسجدها، بالتفريط والإهمال، قبل أن يتجرأ الصهاينة على احتلالها، هو خيانة لله وللرسول وللأمة، وإنها اللامبالاة بحقها، وعدم الاهتمام بمصيرها، وهي التي تستحق أن تحاط بكل أسباب القوة؛ حتى لا تكون لقمة سائغة للمجرمين، وهي التي تستحق أن تبقى شاهداً على هيبة الأمة وعلى عافيتها. إنها التي تستحق كُتلاً بشرية تفتديها بالأرواح والدماء، بما لا يقل عن مكة والمدينة —على ساكنها الصلاة والسلام— إنها مسرى الرسول ومعراجه إلى السماوات العلا، إلى سدرة المنتهى... عندها جنة المأوى، وإنها موطن عيسى وأمه البتول عليهما السلام وهي مهد الرسالات، فمن هذا الذي غابت عنه هذه المعاني؟ ومن هذا الذي ما عرف قدرها؟ ومن هذا التائه الضائع الذي لم يحتط لما تعنيه هذه المدينة من اعتبارات؟ مَنْ هذا الذي لم يُحطها بجهد وجهاد يليقان برمزيتها؟ وبجحافل بشرية همها أن تبقى القدس عصية على المؤامرة والاحتلال، بدلاً من خطوط

نار وهمية باهتة، يغدو الصهاينة ويروحون من خلالها إلى حيث شاؤوا، وسقطت القدس، وباء بإثمها من فرّط فيها.

على كل حال، ومنذ الأيام الأولى من العمر، كانت اهتماماتنا أرقى في حِسِّنا من مستوى أعمارنا، وكنت أعيش الهموم مع الناس في لقاءاتهم اليومية بعد الحرب، وعندما تميل الشمس للغروب، ويطول الحديث عمّا حلّ بنا، وكيف بهذه السرعة تمكنت "إسرائيل" من احتلال الأرض العربية؟ وكيف بدا الموقف العربي عاجزاً ومنهاراً، وحساباته باهتة. ولقد كان لنا أحاديث خاصة مع بعض الشبّان الذين تمردت نفوسهم على هذا العدوان، بل ومنهم من لحق بركب المقاومة والثورة من أيام معركة الكرامة. كنت أدرك تماماً أنها مخاطر، وأن فلسطين لها تجاربها مع الغزاة والمحتلين، وكانت عندي ثقافة عن الحروب الصليبية، وخلفية عن حربنا مع الصهاينة، ما دفع بي إلى أن أمضي على ما آمنت به. وقريباً منا مخيمات اللاجئين، التي ألهبت مشاعري بألم نفسي على أحوالهم وحياتهم البائسة، وكنت أنتظر عودتهم إلى ديارهم. وزاد من توجعي حال الأمة بعد الهزيمة، وكيف ضيَّع الحُكام هيبتها. ووقفت مع النفس طويلاً أياماً وأسابيع بل شهوراً، ولم تنتهِ مع السنين كي لا أكون في الحياة عالة في صناعة الحدث على غيري، فمن الناس من يمضي به القطار... قطار العمر، ولا يدري من أين ابتدأ؟ ولا أين انتهى؟ لكن الحياة مليئة بالأحداث، وحافلة بالمخاطر، وعلى درب من صنعَ الأحداث، نترك للقلم أن يسطر حروف المعاناة وضريبة العمر، وقد ابتدأتها دون العشرين، وأنا اليوم على مشارف الستين. وعلى هذا نسير، على درب الصالحين، لعلنا ننال حظاً من بركاتهم، أو نحظى بوصلٍ من جهدهم وجهادهم؛ فهم والله الرجال الذين تنتعش بهم الحياة حتى وهم في القبور، وهم الرجال الذين أعطوا للحياة وللبشرية، أكثر مما أخذوا منها، وعملوا لدنياهم كأنما الدهر حياتهم ومعاشهم، وتعلموا من نبيهم ﷺ حديثه: "إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها"[1]. وعملوا لآخرتهم كأنما تُحلِّق أرواحهم حول العرش، وكأن حظهم في الدنيا هو الاستغناء عنها، وليس لهم منها إلا الماء والهواء أكثر من الغذاء؛ لأن مَنْ غلب عليه الزهد فيها تعب جسده لترضى روحه، بل ما أهون الجسد عندما تحلِّق الروح.

[1] لتخريج الحديث ونصه انظر في: محمد ناصر الدين الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها** (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1995)، الحديث رقم 9. [المحرر]

الانضمام إلى حركة فتح:

لما اشتد عود المقاومة، وفرضت واقعاً جديداً، لم يكن بحسبان دولة الاحتلال، ولا حتى العرب، أن المفاجأة ستأتي من هذا الشتات، وأن في الأمة بقايا لا تعرف الهزيمة، وخاصة بعد معركة الكرامة في غور الأردن سنة 1968، والتي شكلت تلاحماً ما بين المقاومة والجيش الأردني، الذي سطّر أروع المواقف من خلال هذه المعركة، والفدائيون الذين أبلوا بلاءً حسناً، ما أجبر العدو الصهيوني على الانسحاب والتقهقر بعد خسائر فادحة في الأرواح والمعدات. ولقد ثأر الجيش لكرامته التي ضاعت في حرب 1967، فكان أداؤهُ بطولياً.

بقيت معركة الكرامة رصيداً للذكريات التي جُبلت بالدماء، وكان لقريتنا، ومجموعتنا حضور على أرض هذه المعركة، كما كان لبقية القرى والبلدات حضورها، ولقد امتزجت دماء الشهداء من كل صوب، وعرج فوزي أبو طير[2] ورفاقه بأرواحهم إلى علياء الخلود، ووقع في الأسر، كما ذكرت من قبل، الأخ منير أبو طير، الذي شكلنا وإياه مجموعتنا من جديد، وبقيت على الوفاء حتى يومنا هذا.

أما الشهيد فوزي، فإنه كان من رواد المساجد قبل أن يلتحق بركب الثورة وأيام غربة الصلاة، وهنيئاً له الشهادة، بل له نفسية رجال الحروب وحبّ التضحية رحمه الله، وإن العَبْرة لتستحضرني من خلال هذه الكلمات، عندما أستحضر شخصيته الوثابة.

ولقد أخذتنا الحمية، بعد الزلزال الذي ماج بالأمة، نتيجة حرب 1967، وزاد على ذلك حريق المسجد الأقصى المبارك، وجاءت معركة الكرامة، لتجدد في الأمة روحاً جديدة من التحدي والإصرار على تحرير فلسطين، وأن من ظنّ وحكم على القضية بالغياب فهو في غيبوبة من التاريخ.

كنا أكثر من مجموعة على صعيد قريتنا، الأخ منير وأنا، ثمّ لحق بنا أخ ثالث اسمه محمود أبو طير وشكلنا نواةً لمجموعة خاصة بنا. وكنت مع مجموعة أخرى فيها الإخوة (أبو العز)، رحمه الله، خالد عبد الله أبو طير، والأخ (أبو زهير) محمد محمود أبو طير، والأخ خليل محمود أبو طير، ولحق بالمجموعة الثانية الشهيد علي العقابنة من قرية

[2] **فوزي موسى أبو طير (...–1968)**: ولد في قرية أم طوبا قضاء القدس، التحق بصفوف الثورة الفلسطينية مبكراً، واستشهد في معركة الكرامة في 1968/3/21.

خاراس. ثمّ كانت لنا مجموعة أخرى، فيها الأخ لطفي أبو طير وإخوة آخرون... آثروا الانقطاع وهذا شأنهم. كل هذا الحراك ما بين سنة 1967 إلى سنة 1974، حيث اعْتُقِل الأَخَوان منير ومحمود أبو طير مرة أخرى سنة 1973، وبقيا في السجن لخمس سنوات، ولحقت بهم بعد سنة، وذلك سنة 1974، لكن قمنا بنشاطات، منها جمع ما تبقى من العتاد الذي خلفه الجيش الأردني سنة 1967. ومن خلال الجمع والتحضير انفجرت قنبلة، أو صاعق قذيفة لا أدري بالضبط... انفجر ذلك بين يدي الأخ محمود، فذهبَ بيده اليسرى، وأخذ أربعاً من أصابع يده اليمنى، ودخل السجن. وبالرغم من الإعاقة تعلم الكتابة بنصفين من الأصابع وبرع في ذلك، وكان نشيطاً على صعيد العلم والتعلم، وقد عشنا معاً وعايشته داخل السجن وفي غرفة واحدة، وقبل سنتين (من كتابة هذه الذكريات) توفاه الله، رحمه الله.

تناولت من قبل رحلتي إلى الأردن، ولقائي بالأخ منير وإخوة آخرين من المعارف والأقارب، كان ذلك سنتي 1970–1971 طلباً للعلم، وبنية الالتحاق بالجامعة. ولكن لم يحالفني التوفيق، فرجعت إلى القدس، وعملت موظفاً في وزارة الأوقاف الأردنية، وكان ذلك سنة 1972. ولكن نفسي الثائرة، وممارسات الاحتلال وأعماله الاستفزازية، أججت الصدام في نفسي ودفعت بي ثانية وثالثة إلى أن أسافر إلى سورية ولبنان، متذرعاً بالدراسة انتساباً في جامعة بيروت العربية. وفعلاً عزمت على ذلك، وما إن تقاضيت راتبي الشهري من الأوقاف حتى انطلقت إلى الأردن بتصريح خروج، وودعني الوالد رحمه الله، وهو يقول: يا ولدي، والله لو أن هؤلاء الثوار يرفعون راية لا إله إلا الله... لما سبقتني إليهم، لكن طمأنته على ذلك وكنا واقفين بباب العامود، أو ما يسمى باب الشام. وما كنت أدري أن الوالد رحمه الله، قد سبقني إلى معرفة هؤلاء القوم، فقد كان على دراية بأحوالهم، وصحّ بعد التجربة ما حذرني منه الوالد. ولما وقع الصدام بين الثورة والنظام الأردني، وتوصل الطرفان إلى الخروج بقوات الثورة من العاصمة عمّان، وبرضى رئيس المنظمة عرفات، قال الأخ الشهيد أبو علي إياد، واسمه الحقيقي وليد عقاب من قلقيلية، مدينة الرجال، ورجالها أهل النخوة كما عرفتهم، ويكفينا من قلقيلية الشهداء سعيد الحوتري، وعبد الرحمن حماد "الكرز" ومحمد السمان، قال الأخ أبو علي إياد للرئيس عرفات: إذا خرجت بالثورة من عمّان، فهذه البداية لخروجك من الأردن. وما هي إلا عشرة أيام حتى كانت الحرب على الثورة في جبال دبين والأقرع، وأحراش جرش إلى إربد، وأحراش عجلون وكل الساحة الأردنية، وصدق أبو علي إياد، رحمه الله.

وأذكر من خلال الأيام الأخيرة للثورة في عمّان، أنه لما تقرر الانسحاب، وخرج المقاتلون بأسلحتهم، وكان منها الثقيل، قال وصفي التل، رئيس الوزراء الأردني، ووزير الدفاع وقت الصدام: لا أدري من أين، وكيف دخلت هذه الأسلحة إلى عمّان؟

لما ودعني الوالد رحمه الله، وحطت بي الحافلة في مدينة عمّان، وفي العادة كنت أجنح إلى زيارة الأقارب، لكن هذه المرة لم أفعل، فمن سيارة إلى أخرى، والوجهة دمشق. وجمعتني السيارة برفيق درب أدرى مني بالشام... ومن ثمّ تبين لي أنه رفيق في حزب البعث المحسوب على العراق، كان في رحلة للقاء بعض الرفاق من الذين يعيشون في سورية، وهذا الرجل يكنى أبا محمود، وصحبته إلى الفندق... ونمنا ليلتنا وقد أعيانا السفر، وصدق رسول الله ﷺ: "السفرُ قِطعةٌ من العذابِ"[3]. وروي عن السيدة عائشة رضي الله عنها: لولا أن رسول الله ﷺ قال: إن السفر قطعة من العذاب لقلت إن العذاب قطعة من السفر.

وبعد أن استيقظت من النوم لصلاة الصبح، نزلت من الفندق، وتجولت في عاصمة الأمويين، ومضت بي الأقدام إلى سوق الحميدية، وتعجبت من رائحة التاريخ تنبعث من أروقة هذه السوق، فإذا أنا على بوابة المسجد الأموي، وما إن دخلته... وكأني والله في غير زماني، آهٍ يا شام، حتى في طعامها ومطاعمها تتميز عن غيرها، فمنذ ذلك الحين سنة 1972، وإلى يومنا هذا لم يفارقني مذاق طعامها؟! وحتى على صعيد الملابس وكل ما في الشام، هيهات أن تجد له مثيلاً في العالم، وهي بلاد العلم والعلماء.

يا شام تحت رمادك الجمر قبّل تراب الشام يا عمرو

وفي دمشق التقيت، من خلال صاحبي أبي محمود، بإخوة كرام من الأردن وفلسطين، وبعد سياحة في دمشق ركبنا حافلة، وسارت بنا إلى بلدة اسمها التل، إلى الشمال من دمشق. وبها نزلنا عند بيت لأخ من فلسطين، عرفته بالكنية (أبو حسن الفلسطيني)، واستقبلنا رجال كرام هم على دين حزب البعث، ومنهم من توطدت علاقتي به، وهو الأخ محمد الهباهبة، من الشوبك، وكنيته (أبو سلطان)، وتعرفنا من خلال هذا اللقاء على أبناء الشتات، ومَنْ دفع بهم الظلم إلى هجر الأوطان. ثمّ رجعت إلى دمشق ومنها إلى بيروت. ولما وصَلْتُ بيروت، وحبي للتاريخ والجغرافيا يُخزِّن معالم الطريق، وأسماء

[3] حديث متفق عليه، انظر نص الحديث في: **صحيح الإمام البخاري**، الحديث رقم 1804. [المحرر]

المدن والقرى التي طواها السفر، من خروجي من عمّان وإلى الحدود الأردنية فالسورية، الرمثا ودرعا والشيخ مسكين وسهل حوران، الذي طالما قرأت عنه، ثمّ إلى الغرب منه القنيطرة والجولان، ثمّ دمشق. ولا أبالغ إن قلت إن ذاكرتي في التاريخ والجغرافيا حديدية والحمد لله.

والآن هذه بيروت بعد خروج الثورة الفلسطينية من الأردن أصبحت ملتقىً للثوار، ولي فيها عنوانٌ مِنْ قديم، فبعد حرب 1967، قام بزيارتنا أبناء عمومة وقرابة من آل أبي طير، في عبسان الكبيرة شرقي خانيونس، وتبادلنا الزيارات وتعرف بعضنا على بعض بعد هذا الانقطاع، وكنت أعرف عن بعد من خلال أبناء عمومتنا في عبسان، أن الأخ أحمد أبو طير، وكنيته (أبو أنور)، له وضعه المحترم في العمل الفدائي، وخاصة على صعيد حركة فتح، وعنوانه جامعة بيروت العربية. وأنا قادم من القدس، وغطائي إلى العمل الفدائي هو الانتساب إلى جامعة بيروت العربية، ولم يكن أمر الوصول إلى الأخ (أبي أنور) سهلاً؛ لأنهم جميعاً في الثورة على حقّ في الحذر، وتخوفهم له ما يُسَوِّغه؛ لأن دولة الاحتلال ما كان لها أن تتركهم دون اختراق، لكن الذي سهل الأمور، وساعد على الثقة، أنني والأستاذ سعيد أبو طير مدير مدرسة أم طوبا اليوم، كنا نعرف الأخت (أم أنور)، زوج أحمد أبو طير، وكذلك شقيقته زكية، وهي عنده في البيت، وقد أنهت دراستها في جامعة بيروت، وكلتاهما على معرفة بنا لأنهما نزلتا في بيت جدي، وهو مختار القرية يومذاك، فللمعرفة جذور، وبقيت هذه العاطفة وفيةً لماضيها. بل ازدادت لما تلاقينا، وعادت بنا الذكريات للوراء إلى أخبار العائلة، وإلى بيت جدي الذي هو المحطة الأخيرة قبل سفرهما إلى الأردن.

استقبلني من هو قريب في العمل عند الأخ أبي أنور، واصطحبني إلى البيت في مخيم برج البراجنة، الواقع إلى الجنوب من بيروت. وتعرفت على الأخ أبي أنور وعلى أفراد العائلة، وعلى إخوة آخرين من آل أبي طير، منهم الأخوان رجب أبو طير وإبراهيم أبو طير المشهور برأفت. ومنذ اللقاء الأول مع الأخ أبي أنور قلت له: ما جئت للدراسة، إنما جئت للعمل الفدائي، والمطلوب هو تدريبي وتسليحي، وما الدراسة في الجامعة إلا ستار، ولا أريد لأيامي أن تطول هنا، ما هو مهم عندي أن أعود إلى أرض الوطن بوضع جديد يَقوى على مقاومة الاحتلال. لكن شعرت من خلال الإقامة عندهم، والتردد عليهم أني في اختبار، فأنا على عجلة من أمري، وهم على أقل من راحتهم. وكذلك لا أريد لرفاقي في السكن والجامعة من أبناء قريتنا، أن يلحظوا علي حراكي هذا من خلال الذهاب

والإياب. فالأستاذ سعيد والأستاذ محمود فواقة من صور باهر إلى جانب أنهم أساتذة في مدارس القدس، لكنهم واصلوا تعليمهم الجامعي بالانتساب، وكنا معاً، وجمعتنا بيروت والأيام، ولكلٍ منا شأنه وطريقه.

جاءني الأخ أبو أنور، وعرَّفني على رجل فاضل هو الأستاذ حمد العايدي، وكنيته (أبو رمزي)، وتناولنا أطراف الحديث عن الوطن وممارسات الاحتلال، وطلبت منهم وبإلحاح ألا يطول بي المقام هنا. وكان القرار أن أذهب إلى مخيم الرشيدية للاجئين الفلسطينيين، وأن أتدرب على السلاح هناك، ومنها صناعة المتفجرات، ولأسبوع مكثت هناك، وأنا أتدرب على ما تيسر والموجود من الأسلحة. حتى قذائف المورتر التي هي من بقايا الجيش الأردني، تدربت على كيفية إطلاقها بدون قاذف أو مدفع.

انتهيت من هناك ورجعت إلى بيروت، وخضعت لدورة أمنية قبل العودة إلى القدس، ودورة لقيادة السيارة في شوارع بيروت الصاخبة.

كانت منطقة الفاكهاني من بيروت تشكل دولة للفدائيين، وهي الأكثر حضوراً على صعيد قادة الثورة. وكان لا بدّ من الخوف والحذر؛ لأن استشهاد القادة الثلاثة أبو يوسف النجار وكمال عدوان وكمال ناصر، شكل ضربة قاسية للأمن المركزي المسؤول عن سلامة هؤلاء القادة وغيرهم.

وقبل العودة، التقاني الأخ أبو أنور، ووجه إلي بعض النصائح، وغطاني باسم حركي هو "طارق بن زياد"، وزودني بشيفرة، وقد أصبح لديه انطباعٌ عن أوضاعنا في القدس والضفة، وإمكانيات العمل والتنظيم، وكان معنياً أن يطمئن إلى هذا القادم الجديد، وحقّ له ذلك.

رجعت إلى القدس، ولا أحد يعلم برحلتي هذه من الأقارب إلا أمي وأبي، رحمهما الله، ومن سواهم يعلم أنني إمام في قرية الجيب، ومن الطبيعي أن أغيب عن البيت ولو لأسابيع، فكنت على قدر من النجاح في تغطية تحركاتي.

وذات مرة كنت في بيروت، لمرة ثانية أو ثالثة، وماتت جدتي لأبي في هذه الزيارة، فقال جدي لأمي، رحمهم الله جميعاً: أين الشيخ يا هاجر؟ قالت أمي رحمها الله: الشيخ في بيرزيت، قال لها: بيرزيت ليست بعيدة. وكان جدي يريدني أن أحضر جنازة جدتي، لكنني لم أحضر الجنازة؛ وقد كان ذلك سنة 1974.

رجعت إلى القدس، والتقيت بمن أثق بهم ميدانياً، وغلب عليهم إقدامُ الذين آمنوا بالعمل الفدائي، وهمهم مقارعة الاحتلال، وعرضت عليهم المطلوب منا، وأن عليهم الذهاب إلى هناك... إلى بيروت، من أجل التدرّب على السلاح لمن استطاع. واتفقنا على أولويات في العمل، وأول ذلك الكفاح المسلح، ثمّ تعبئة الرأي العام من خلال المنشورات، وإيقاظ الحس الوطني تجاه سماسرة الأرض والجواسيس، وكان لنا ذلك، وعملنا على هذه الأولويات دون استثناء.

ثوار بيروت:

من خلال الأيام القليلة التي قضيتها في بيروت، خرجت بانطباع سيء عن أحوال المدينة، وحتى عن العاملين في سلك العمل الفدائي، فالمدينة متبرجة إلا من رحم الله، ويسمونها باريس الشرق، وهناك سلوكيات على صعيد مَنْ يعنيني أمرهم، وهم الفدائيون أو العاملون في الأمن. قال لي إبراهيم أبو طير، وهو ضابط في الأمن: انظر إلى هذا الفتى الذي يترنح، ولا يعيب لونه؛ لأنه أسود البشرة، ولكنه يعمل في الأمن ويعاقر الخمر. بل حتى على صعيد قيادات، قال لي حَمدَ العايدي (أبو رمزي)، رحمه الله، أبو الزعيم تزوج من مارونية، دون رضى أهلها، فما كان من أبي عمار إلا أن جعله منسقاً بين الثورة والكتائب اللبنانية، وقد أصبحوا أصهاره. وقال أبو رمزي: أبو الزعيم هذا شاعر، ويكتب الشعر ويشرب الخمر، والذي عرفته عن أبي الزعيم أنه كان ضابطاً في الجيش الأردني، وخرج مع الثورة بعد أحداث أيلول/ سبتمبر 1970. وكان على العمل الفدائي أن يترفّع، وأن يحافظ على سمعته التي ملأت الآفاق. وذات مرة، وأنا في شقة من عمارة في دورة تدريبية، وإذا بفتيات فرنسيات نائمات في الشقة، وشاهدت المسؤول عن التدريب دون ذكر اسمه، ما عليه إلا ما يستر العورة، وقيل لي: إنهن متضامنات مع الثورة الفلسطينية... وهنّ في مهمة!!.

فهذه الأمور، أزعجتني وجعلتني أراجع حساباتي، وأنا ابن القرية، وما تلوثت فطرتي أبداً، والحمد لله، وتذكرت ما قاله لي أبي، رحمه الله.

بعد ترتيب الأوراق على صعيد العمل في القدس، وحتى في الضفة الغربية، ففي مكان عملي في قرية الجيب كان من حولي فتية، واستعدادهم للعمل الوطني جيد، حتى إن منهم مَنْ مشى معي إلى الأودية، منها وادي سلمان، غربي الجيب، بحثاً عن السلاح من بقايا

الجيش الأردني، وكان ذلك وقمت بنقله من ذلك الوادي إلى بيتي في قرية الجيب، هذه المحطة الأولى، ثمّ نقلته إلى بيتي في أم طوبا. وكان من ذلك قذائف الدبابات التي بالإمكان استخدامها ضدّ قوات الاحتلال، وقنابل يدوية، وكمية من الأعيرة النارية.

ووادي سلمان هذا بيع للصهاينة فيما بعد، وما حوله من التلال، وأقيمت عليه مستوطنة جفعات زئيف. وقد تغولت هذه المستوطنة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، على حساب أراضي القرى العربية المحيطة. وشكلت إزعاجاً للسيارة وللمزارعين من العرب.

ثورة خراب فلسطين:

بعد ذلك رجعت إلى بيروت، ولا أذكر التواريخ لكن كل ذلك، وكل ما أتحدث عنه جرى ما بين 1972–1974، رجعت إلى بيروت، والتقيت مَنْ تولوا أمرنا في تلك المرحلة، ولا أشك في إخلاصهم ووطنيتهم، حتى إن أبا رمزي العايدي قال لي: يا شيخ، كل مَنْ تحدثه نفسه بالصلح مع "إسرائيل"، رأس ماله رصاصة بين عينيه، وقال: أقول هذا لأنه توجد الآن رائحة لمثل هذا الطرح.

وذات يوم، ونحن مجتمعون على وجبة غداء، و"مِنْسف" فلسطيني، في بيت أبي أنور أحمد أبو طير، اجتمعنا مع الأخ هايل عبد الحميد (أبو الهول)، وتجاذبنا أطراف الحديث من هنا وهناك عن الثورة، ومدى حضورها في الأرض المحتلة، بل طلب مني أسماء للمجموعات التي انتظمت للعمل الفدائي في القدس والضفة، لكن آثرت ألا أذكر الأسماء؛ لأن ذلك لا يعنيهم في الخارج؛ ولأن خوفي من الاختراق تعزز عندما اقتحم الإسرائيليون بيوت القادة الثلاثة، وأخذوا محتويات البيوت. وشاهدت حذر الأخ أبي رمزي من حمل الأوراق، المهم أنه من خلال تردّدي على بيروت، وعلى مكاتب الثورة كنت ألح على التسليح؛ لأننا في أمس الحاجة إليه، ولكن لا أدري ما المعوقات التي حالت دون ذلك، وإن كنت ألتمس الأعذار.

على كل حال، ضاقت نفسي من هذا الإمهال، وعزمت على الرحيل، والعودة إلى القدس بلا رجعة. وحضرني في هذا الموقف الشهيد عبد القادر الحسيني، رحمه الله، لما طلب الدعم من لجنة إنقاذ فلسطين، لكنهم خذلوه، ورجع غاضباً وهو يقول: هذه لجنة دمار فلسطين، وليست بلجنة إنقاذ. وقلت ولا أدري أسمعها أحد هناك أم لا، هذه "ثورة

خراب فلسطين"، وليست بثورة تحرير فلسطين، وأتت الأيام بما قلت وإذا بها ثورة الدولارات وثوار المقاهي. وكانت خاتمتها أسوأ مما كان متصوراً، حيث عاد الثوار من المنافي "خدماً" للمشروع الصهيوني... يعملون في أجهزة الأمن الفلسطينية، ويمارسون التحقيق مع المجاهدين، بل بلغت بهم الوقاحة أن يُقتل الشيخ المجاهد مجد البرغوثي، وآخرون سواه في التحقيق على أيدي أجهزة السلطة، التي آثرت التنسيق الأمني على حساب الشعب الفلسطيني وقضيته.

قائدي سعد صايل:

بعد أن غادرت بيروت في طريق عودتي إلى القدس نزلت في دمشق، وفي نيتي أن أُعرّج على بلدة التل التي سبق أن زرتها من قبل؛ ومن أجل وداع من تعرفت عليهم، وعلى الخصوص أبو سلطان الهباهبة. ولما وصلت بلدة التل سألت عن العنوان الذي أعرفه، وهو بيت أبو الحسن الفلسطيني، فقالوا لي: إن الرجل قد رحل. وبينما أنا في حيرة من أمري سألت شاباً مكتنزاً يرتدي لباس العساكر، بعد التحية والسلام، سألته إن كان يعرف بيت أبي سلطان الهباهبة، فقال الرجل: سمعت به، ولكن لا أعرف أين بيته؟ وإذا بعسكري آخر على مقربة منا، فسأله هذا الشاب: أتعرف أين يسكن أبو سلطان الهباهبة، أو أنك سمعت عنه؟ فقال الرجل: أظنه يسكن تحت المستشفى إلى الشمال من هنا. وتأملني الشاب ملياً وسألني: من أين أنت؟ لهجتك قريبة ومعروفة لي؟ قلت له: من فلسطين، قال: كلنا من فلسطين، فاسترعى اهتمامي، وبدأت أدقق في الرجل وأتملاه، وقلت: أنا من القدس. قال: من صور باهر أم من أم طوبا، فعرفت الرجل، وقلت له: أنا من أم طوبا، وأنت سليمان داود عيسى من صور باهر، قال: نعم، قلت: أذكرك، وأنت كابتن في كرة الطائرة في مدرسة صور باهر، فقال الرجل: أنت ضيفي إذن قبل أن تكون ضيفاً على أبي سلطان، فقلت: الوفاء أن نزور الرجل ونستأذن منه، فوافق على ذلك معاً، واستقبلنا وألح على ضيافتنا، لكن الأخ أبا داود أصر على استضافتي، وودعنا الرجل بعد أن قام بواجب الضيافة على أمل اللقاء.

أما سليمان الذي نزلت في ضيافته، فقال: الليلة تتعرف على أهل بلدتنا الذين خرجوا مع الثورة، وهم في الحال كحال سليمان؛ خرج من الأردن بعد أحداث أيلول/ سبتمبر، وكان ضابطاً في سلاح الهندسة الأردني. وكذلك البقية ممن زرتهم، فايز محمد عوض عطون، ورمضان عطون، وعمر علي خليل الدويات، هؤلاء خرجوا من الأردن، وقد

كانوا جنوداً في الجيش الأردني، وكانوا فرحين بي لما نزلت بهم. وكما يقولون: رائحة البلاد، والحديث ذو شجون... وتحدثنا عن القدس، وعن صور باهر وأم طوبا، وعن الناس وأحوالهم، وكان منهم من هو قادم من الكويت لزيارة أصهاره، وبعد سهرة عند أهلنا هؤلاء اصطحبني الأخ سليمان إلى بيته لسهرة أخرى، وألقيت بنفسي على الفراش من التعب، ونمت بعد حديث طويل عن الثورة، وكنت أستمع إليه بصعوبة، من شدة التعب، وقد بلغ النعاس مني مبلغه.

حديث تلك الليلة: بعد الترحيب وقد أويت إلى الفراش، سألني الأخ سليمان عن القدس وأوضاعها، وعن تفاعل الناس مع الثورة الفلسطينية وكيف هي مشاعرهم؟ واستعداد الناس للعمل الفدائي. قلت له من حيث إنه لا يدري بالذي حصل معي في بيروت، أنتم في الثورة الفلسطينية بعيدون عن الواقع، ليس هذا فحسب، بل أنتم أقرب إلى الجعجعة من كونكم عمليين، الناس مفطورون على حبّ الأوطان، والناس لا يقبلون بالاحتلال، لكن بينكم وبين الناس حواجز كثيرة، المصداقية أساس كل شيء، والناس إن لم يجدوا هذه المصداقية في الثورة الفلسطينية، فستبقى الثورة في وادٍ والناس في وادٍ آخر، ألم يقل أبو عمار، رحمه الله، إن أخطاء الأردن لن تتكرر؟ وما شاهدته في بيروت من أخطاء وممارسات أكثر من أخطاء الأردن. وسألني: لم هذا التحامل على الثورة؟ أنت الشخص الثاني الذي يحمل على الثورة، فقد زارني قريب لي من صور باهر يبحث عن ولده الذي اختطفه الأمن المركزي بتهمة العمالة، ومدح تعامل الدولة العبرية.

قلت له: اسمع يا أبا داود، ما يقرب من سنتين وأنا أعمل مع الأمن المركزي في بيروت، وقصدتهم للتدريب وإمدادنا بالسلاح، لكن دون ما أتمنى وأريد، وتركت بيروت راجعاً إلى القدس، والنية ألاّ أعود، وذكرت له كلام الشهيد عبد القادر الحسيني في لجنة الإنقاذ.

هنا ارتاح الأخ سليمان قليلاً، وقال في الغد إن شاء الله ننزل دمشق، ونلتقي الأخ أبا جهاد الوزير، وسنجد حلاً لهذه المشكلة، والرجل قادر على ذلك. وقبلت بالأمر الواقع، وفي الصباح نزلنا إلى دمشق، وفي منطقة يقال لها "السبع بحيرات" مكتب للثورة يقال له 23. دخلنا المكتب ووجدنا الأخ أبا الوليد سعد صايل، واستقبلنا الرجل، بتواضع، واستمع إلى تجربتي في بيروت، واستعد الرجل بما لديه من إمكانيات، لتزويدنا بالسلاح، وطلب مني تقريراً عن الأرض المحتلة، وذكرت للجميع تجربتنا

السابقة في بيروت وفي دمشق منذ أيام الكرامة... وقصة الأخوين الشهيد فوزي أبو طير والأخ منير أبو طير. والتزمت مع الرجل، وهو معروف أنه مارشال الثورة الفلسطينية، وهو رئيس هيئة الأركان أيام العدوان الإسرائيلي على الجنوب اللبناني سنة 1982، وحدثني رحمه الله، أن للجنوب اللبناني استراتيجية نحو تحرير فلسطين من الشمال، بما لا يقل عن دور الساحة الأردنية، وأن الإعداد لذلك يمضي على قدم وساق. وحقيقة أن الجنوب اللبناني، بتضاريسه وموقعه الجغرافي والحضور الديموغرافي، يشكل خطراً استراتيجياً على دولة الاحتلال، وهذا ما تحقق في ظلّ المقاومة اللبنانية، ودحر قوات الغزو الصهيوني. وأبو الوليد سعد كان قائد سلاح الهندسة، وقائد لواء الحسين في الجيش الأردني، حتى أن الملك حسين طلب منه العودة إلى عمّان وإلى الجيش الأردني، لكنه رفض ذلك. وحدثني رحمه الله، عن المطران كابوتشي، وعن دوره في نقل السلاح بسيارته من لبنان إلى فلسطين المحتلة، عن طريق رأس الناقورة، واعتقل الصهاينة المطران كابوتشي، وحكمت عليه المحاكم الإسرائيلية 12 سنة، وأمضى منها 4 سنوات، وبضغط من الباباوية أفرج عنه على أن يبقى خارج البلاد.

بعدها طلب مني أبو الوليد أن أذهب في جولة تدريبية في معسكرات دوما وحمورية، التابعة للثورة الفلسطينية في الأراضي السورية، وتمّ لي ذلك، حيث أشرف على تدريبي وقتذاك عز الدين الشريف، محافظ طولكرم السابق رحمه الله، والتقيت الأخ الفاضل المتواضع أبا منير ناهض الريس، وكان مدعياً عاماً للثورة الفلسطينية، وأحاطني رحمه الله، بنصائحه وشكرت له. وبعد أن انتهيت من رحلة التدريب، ودعني أبو الوليد يوم عودتي إلى القدس. ويكفيني من هذا الرجل تواضعه، وهو من أعترف به قائداً لي في الثورة الفلسطينية.

بعد العودة إلى القدس، وقد شعرنا بالجدية والمصداقية، ومن خلال مجموعتنا الأولى مع الأخوين منير ومحمود أبو طير، كانت لنا أعمال دفعنا ضريبتها بالاعتقال والتعذيب. أما مجموعتنا الثانية فكان تنظيمها جيداً، كانت على المستوى التنظيمي قمة في العمل السري؛ فبعد اعتقالي والحكم علي بستة عشر عاماً بقي أفراد المجموعة خارج الأسوار، ومنهم من غادر البلاد خوفاً من السجن والاعتقال إلى الأردن، ورجعوا بعد حين لما اطمئنوا أن أسماءهم لم تذكر في التحقيق، ولقد كانت لنا صولة، وشعرنا بالارتياح لما أقدمنا عليه.

لم يمضِ عليّ أسبوعان حتى رجعت إلى دمشق ثانية، واستقبلني الأخ أبو الوليد في بيته، وفي جعبتي تقرير عن نشاطاتنا في الأرض المحتلة، وعن إمكانيات النجاح للعمل الفدائي عندما يتوفر لنا السلاح، والتي في النتيجة تقض مضاجع الاحتلال. ولكن لم يطل بي المقام، فرجعتُ إلى أرض الوطن. وعلى طريق العودة حجزت المخابرات الأردنية جواز سفري الأردني، عند نقطة الحدود في الرمثا، وطلبت مني مراجعة المخابرات العامة في العبدلي. وفي اليوم الثاني ذهبت إلى هناك، ودخلت على مجموعة من الضباط في مجلس عسكري، وتأملوني وسألوني عن أسباب ترددي على دمشق وبيروت، فقلت لهم: إنني أدرس في جامعة بيروت العربية عن طريق الانتساب، وسألوني عن الثورة... وإن كانت لي علاقة معها، فنفيت ذلك بثقة، وقلت لهم أنا موظف في وزارة الأوقاف الأردنية، وعندي ما يشغلني عن ذلك، وأسئلة لا أذكرها. وانفض المجلس، واصطحبني ضابط برتبة مقدم والله أعلم، إلى غرفة رئيس المخابرات العامة نذير رشيد، وقال لي الضابط في الطريق: لا تغير من كلامك، إياك ثمّ إياك، وارتحت لتصرف هذا الضابط، وشكرته في نفسي بعد أن وافقته بإيماءة من رأسي.

دخلت على نذير رشيد، ورحب بي قائلاً: أهلاً أيها الشيخ، وكنت معمماً، فرددت عليه التحية بثقة وأجلسني وسألني عن الثورة، وإن كانت لي علاقة معها، فنفيت أن تكون لي أي علاقة، وأن تجربة الثورة في الأردن كانت فاشلة، وأعطاني جواز سفري، وغادرت مبنى المخابرات العامة، ثمّ ذهبت لزيارة بعض أقاربي، وإذا بهم يعزونني في جدتي، التي ذكرت قصة غيابي عن جنازتها، بدعوى أمي رحمها الله، أنني في بيرزيت، حيث كانت فترة إقامتي في عمّان قصيرة، لا أدري أهي يومان أم ثلاثة ثمّ رجعت إلى القدس.

حرب 1973/ حرب رمضان:

ما بين حرب 1967 وحرب 1973 ما يقارب سبع سنوات، وقد تجرعت أمة العرب كأس المرارة بعد الذي أصابها في حرب 1967. وقد رفضت الشعوب العربية الهزيمة، حتى إنه لما أقدم جمال عبد الناصر على الاستقالة بعد هزيمة سنة 1967، والتخلي عن رئاسة الجمهورية وجميع صلاحياته، وتحمل مسؤولية الهزيمة، خرجت الجماهير في مظاهرات حاشدة ترفض الهزيمة، وليس كما يقال إنها مؤمنة بقيادة الزعيم، فالزعيم ما جلب لها إلا العار.

لقد رفضت الجماهير العربية نتائج الهزيمة، وجاءت الثورة الفلسطينية رافعةً لحس الجماهير، وكان لشعوب العرب نصيبٌ في الانتماء لهذه الثورة، والتحق في صفوفها أحرارُ العالم، من اليابان إلى أوروبا فأمريكا الجنوبية، ممن تفاعلوا مع الثورة الفلسطينية، وانتصروا لها.

وعلى الساحة الأردنية، كانت هناك قواعد للإخوان المسلمين تحت اسم قواعد الشيوخ، وكانت لهم معسكراتهم وعملياتهم، ومن أشهرها عملية الحزام الأخضر، التي طالما تغنت بها الثورة الفلسطينية من خلال إعلامها، وسمعتها بأذني والمذيع يخاطب الصهاينة: "أعيدوها ثانية لعملية الحزام الأخضر".

كان من شروط جمال عبد الناصر على الرئيس عرفات ألا يكون للإخوان المسلمين نصيب في هذه الثورة حتى يدعمها. وكان عرفات وقادة الفصائل الأخرى، وهم على الأغلب من اليسار، ويحملون الفكر الماركسي، ويرفضون الحضور الإسلامي في الثورة بشدة، وأن الثورة والعالم في طريقه حتماً إلى الشيوعية. ولولا أن الحضور الإسلامي فُرض بالقوة فيما بعد، لبقيت الساحة حكراً على العلمانيين واليساريين فقط، ولم تكن سجون الاحتلال في منأى عن ذلك، بل كان الاحتلال أقرب إليهم من الإخوان المسلمين، ومن كل الحركات الإسلامية، بل التهم جاهزة وعلى المقاس، أنهم عملاء للغرب. وكانوا ينعتوننا في السجون بالمنفلشين، وهي من مصطلحات الثورة البلشفية، فالخارج على البلشفية، منفلش.

على كل حال رفضت الجماهير قبول الهزيمة، وجاء الإعداد لحرب جديدة، لتحرير أرض العرب واستعادة هيبتهم في المحافل الدولية. ولن تكون لهم هيبةٌ إلا في ظلّ الإسلام، كما قال سيدنا عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله"، فالعرب في أثناء حرب 1973 تسلحوا بالتكبير، وأسموها حرب رمضان، وجعلوا كلمة السر "بدراً"، تيمناً بمعارك الإسلام، ولما انتهت الحرب أسموها حرب أكتوبر، وتشرين، وما إلى ذلك.

بدأت دول ما يسمى "الطوق" بالإعداد من أجل التحرير، والدول العربية الأخرى كان دورها الإسناد. وتشكلت صياغة جديدة لجيوش التحرير، وبروح جديدة وبقيادة جديدة وبسلاح جديد، وإن لم يَرْقَ إلى مستوى ما تتسلح به دولة الاحتلال. وبدأت حرب الاستنزاف مباشرة بعد حرب 1967، واشتد ضرامها سنتي 1969–1970. حرب

ساخنة، وضربات موجعة من الجيش المصري، على جبهة قناة السويس وعمليات داخل سيناء. عمليات مشهود لها، وكانت ردة فعل دولة الاحتلال ضرب المدارس والمصانع، فضربت مدرسة بحر البقر، ودمرت مدينة السويس، حتى أصبحت مدينة أشباح، لكن عمرتها سواعدُ الأبطال بعد حرب 1973، وضربت المصانع في أبي زعبل، وحدِّثْ عن إجرام الصهاينة ولا حرج.

وجاءت ساعة الصفر لحرب 1973، وبسرية تامة واتفاق بين مصر وسورية، ودخل الجيش المصري سيناء، ودمر "خط بارليف"، الحاجز الناري الذي لا شبيه له في العالم. وخسرت "إسرائيل" في هذه الحرب جيلاً كاملاً، وكانت أكبر حرب دبابات في العالم تدور رحاها على أرض المعركة، حتى نفد عتاد العدو الصهيوني، الذي عوضته أمريكا بجسر جوي مباشر إلى مطار العريش. ونجح السادات من قبل في تعمية الحرب، وقال عن سنوات ما قبل الحرب: سنة ضباب، لا تصلح للمعارك. وفي سنة 1971 هناك جبهة ساخنة، وحرب تدور رحاها بين الهند وباكستان، والعالم قلق من الذي يجري. ونجح الرجل في فرض واقع جديد من خلال الحرب، لكنه فشل فشلاً ذريعاً عندما ذهب إلى الصلح مع دولة الاحتلال وتوقيع اتفاقيات كامب ديفيد Camp David، حتى قال هنري كيسنجر Henry Kissinger، وزير الخارجية الأمريكية في حينها: "نجحنا في إخراج الحوت من البحر". أما اليوم، فقد رجع الحوت الأزرق إلى المحيط.

أما الجيش السوري فقد استرد معظم الجولان، ووصلت طلائعه بحيرة طبريا من الشرق، لكنه تراجع بعد ذلك؛ لأن الجولان مسألة حياة أو موت عند دولة الاحتلال؛ ولأن السادات قَبِل بوقف إطلاق النار على الجبهة المصرية، فتحول الضغط على الجبهة السورية.

الفصل الثالث

خيَّم ظلام السجن

خيَّم ظلام السجن

هاجس الأمن عند دولة الاحتلال، حاضر في جميع مؤسسات الدولة، بل هو الطاغي على حياة الصهاينة؛ لأن هذا الشعور متولد من بشاعة ظلمهم، ومن حكمهم للشعب المقهور، واغتصابهم لأرض فلسطين. والسؤال: كيف يأمن من سلب الآخرين أرضهم وشردهم خارج ديارهم؟ ها نحن في سجون العدو، ونشعر بالأمن أكثر من السجان، ننام ليلنا الطويل، أما هو بما عنده من شرطة وجيش وأجهزة أمن، وشعب كامل يعيش هوس الأمن، وإمكانيات هائلة وأموال طائلة في خدمة الأمن، ولكن هيهات لهم أن يطمئنوا أو يشعروا بالأمن!! فالقدس (ومنذ أن احتلت) في معظم حاراتها وأسواقها لا تخلو من أجهزة الأمن وحرس الحدود والجواسيس. لكنهم يُفاجَأون، وتفاجئهم القدس بأبنائها الذين أوجعوا الاحتلال، والحمد لله.

سبقتني إلى المعتقل مجموعات من شباب القدس، ومن مناضلي فتح والجبهة الشعبية والديمقراطية، فالقدس شكلت "عظم الرقبة" في جميع العمليات العسكرية، وهي كالمرآة المقعرة، كل حدث فيها ينعكس أثره على العالم كله.

وعلى كل حال... كل مَنْ يعمل في سلك العمل الفدائي، يشعر بأنه مطارد، وفي 1974/9/12 ليلاً، دهمت قوة عسكرية إسرائيلية، وبقيادة جهاز الأمن العام (الشاباك) Israel Security Agency—Isa (Shabak) وشرطة الاحتلال بيتنا، بعد حصار فرضوه على محيط البيت وعلى القرية. ودخلوا البيت بالقوة وفتشوه، وبأمر اعتقال وضعوا القيد في يدي، وبعد أن أنهوا مهمتهم في التفتيش. ساقني جنود عن اليمين وعن الشمال إلى ناقلة من ناقلاتهم، ومضوا بي إلى المسكوبية، ذات الشهرة والصيت البشع في التحقيق، وما إن وصلنا حتى باشروا التحقيق بأسئلة من هنا وهناك، ويصاحب ذلك ضربٌ لحصار النفس وكسر كبريائها... ولكن والحمد لله، كنت صبوراً، وكنت أكبر من استفزازاتهم، ولشهر كامل في زنازين الضرب والتحقيق؛ لأنه لم يكن أيامها شَبْح، بل كان ضرب وتكسير وحمل على البطانيات، وعجز عن ارتداء الثياب. وخرجت من هذه التجربة بنَفَس جديد، ونفسية أقوى وأصلب مما كنت عليه، وخرجت من هذه المحنة بأقل الخسائر، واعترفت عن تنظيم لحركة فتح في الخارج، وتدريب على السلاح وحيازة قنبلتين بلا صواعق قتلهما الصدأ، من بقايا الجيش الأردني مع كمية من الرصاص،

وبقي الأمر محصوراً بي وحدي، ولم أُلحق الأذى بغيري، إلا السيد الوالد رحمه الله، الذي حضر إلى المعتقل في المسكوبية ليزودني بالملابس، فدار بينه وبين الشاباك حوار ساخن قالوا له: إن الشيخ قد اعترف، فقال لهم الشيخ لا يعترف، ولولا أنكم ضربتموه لما نلتم منه، عندها حجزوه ووجهوا له تهمة التستر على ولده. وحكموه بسنتي سجن قضى منهما ستة أشهر، ثمّ أفرج عنه.

بعد شهر من التحقيق، وجدوا عندي آلة طباعة بدائية، وكان لها دور في طباعة المنشورات المناهضة للاحتلال، وبيانات في ذكرى استشهاد القادة الثلاثة، أبو يوسف النجار، وكمال عدوان، وكمال ناصر.

تمّ ترحيلي والوالد إلى سجن بيت ليد أو كفاريونا، واستقبلنا السجناء واستوعبتنا غرف السجن، وجمعتني والوالد وأسرى آخرين غرفة واحدة. وكنت أشعر بالضيق لوجود الوالد بيننا، ولكن ما كشفته لي الأيام، أنه كان صبوراً محتسباً وأن هذه أقدارنا، وكان يقول لي: لا عليك تنقضي الأيام، وهذه أمرٌ كتبه الله علينا. عندها استوعبت الدرس، ووجدت عند الوالد نفسية قادرة على استيعاب المحنة، وقال لي وجود الوالدين في البيت سياج، ولما مات والدي رحمه الله، أصبح البيت وكأنه بلا جدار يحيط به، وأذكر أنه رأى رؤيا قصها علي، وما أكثر رؤى المساجين. قال رأيت فيما يرى النائم أني واجهت ثلاثة من الإبل، تغلبتُ على اثنين والثالث نجا، وأولها لي فقال: الثلاثة من الإبل هم القضاة في المحكمة العسكرية (والجمل في المنام عدو)، اثنان من القضاة لصالحي في الحكم والآخر ضدي، وكان في المحكمة كما ذكر، النيابة طلبت ثلاث سنوات حكماً فعلياً، وكان حكم القضاة سنتان، ستة أشهر فعلية والباقي مع وقف التنفيذ.

من خلال التحقيق، اعترفت على علاقتي بالأمن المركزي في بيروت، وذكرت اسم الأخوين أبي رمزي العايدي، وأبي أنور أحمد أبو طير، ولم أذكر سواهما خاصة ارتباطي بدمشق بأبي الوليد، سعد صايل.

المجتمع الفصائلي في السجن:

ومن خلال الأشهر الخمسة، التي قضيناها قبل الحكم في سجن كفاريونا، كانت هناك فصائل تحت التشكيل، كانت فتح موجودة والجبهة الشعبية والصاعقة السورية والحزب الشيوعي، الذي جعل من الجبهة الوطنية غطاء لنشاطاته. فالجبهة الوطنية

تشكلت في الضفة الغربية المحتلة، والتي استثمرها الحزب الشيوعي في تنظيم الناس واحتوائهم؛ لأن الناس بفطرتهم، لا يقبلون الشيوعية، لأجل هذا، فالحزب الشيوعي غير مقبول عند الناس، أما الجبهة الوطنية فوجه جديد ومغرٍ. وعلى صعيد العمل العسكري، لا يذكر لهم نشاط أو أي عمليات عسكرية، وكان دورهم يقتصر على التنظير، والشعارات التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

أما فتح، فكانت تنظيمي الذي عملت من خلاله في الخارج وداخل السجون، وحاولت جاهداً أن أحافظ على هذا التنظيم، من خلال التعبئة واللقاءات، والوقوف في وجه التنظير للشيوعية، والحفاظ ما أمكن على تدين الشباب، وخاصة من هم عند الحزب الشيوعي والذين غُرر بهم، وكذلك مَنْ هم عند الجبهة الشعبية، التي تتبنى الماركسية منهجاً، والتي كانت في تلك الأيام حاضرة بقوة بمصطلحاتها المستوردة من الفكر الماركسي. وكان عليّ نفسياً من خلال الأيام، وعلى عقلي وفطرتي أن تقف بالمرصاد لهذه الهجمة، ومن يُنَظِّرُ لها، فالنفس لن تكون قوية ما لم تكن على أرض صلبة من الوعي والثقافة، ومعرفة الدين على حقيقته التي عملت الماركسية على تشويهه، تحت مصطلحات ما أنزل الله بها من سلطان.

فأما العقل، فما يعرض عليه من أفكار وثقافات، فعليه أن يزنها، وأن يخرج الغث من السمين. وكنت أقول: على الناس أن يراجعوا رصيدهم، وأن يراجعوا الإسلام، وأن يعرضوه على عقولهم، بدلاً من الانصراف إلى العقم في الحياة، والحجر على العقل البشري بمصطلحات ضيقة، ينخدع بها الجهلة من الناس، وشعارات خاوية من مضامينها، بل أين هم اليوم؟ وما إن انهار الاتحاد السوفييتي، فإذا هم عالة على الغرب الرأسمالي في جمعياتهم، ومؤسساتهم عالة على المنظمات غير الحكومية الـ NGOs، وإذا بالمصالح تتغلب على المبادئ. والعجيب في حملة الفكر الماركسي، من خلال الأيام الأولى في السجن، أيام السبعينيات وأوائل الثمانينيات من القرن الماضي، أنه ما من صفحة سوداء في تاريخ الإسلام إلا كان اهتمامهم بها عظيماً، فالقرامطة كانوا قدوة لهم، والاهتمام بما كُتب عنهم عجيب، وهم أسوأ ظاهرة في تاريخ الإسلام، وثورة الزنج حظيت عندهم بالتنظير. وكنت من خلال خطبة الجمعة في ساحة السجن أنعت الماركسيين بقرامطة هذا الزمان.

وأما أقوى ما في الإنسان فهي فطرته، وخلال المحنة تنقطع عنك أسباب الأرض جميعاً، لا أم ولا أب ولا أخ ولا أخت، إنما ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[1]، ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾[2]. والفطرة حاضرة لكل إشارة أو نداء، مهما تزاحمت عليها الفتن، (الشهوات منها والشبهات)، أو اعتراها من ركام التصورات، فهي أقوى ما في الإنسان. ولما دخلت السجن لأول مرة سنة 1974، كانت معرفتي الفكرية ضحلة، وكان فَهْمنا للدين قاصراً وغير ناضج. كان الفقه الحركي وفقه الدعوة في وادٍ، ونحن في وادٍ آخر، وحتى نواجه الأفكار المستوردة، وما يروج لها من أنها صانعة للثورات، ومدعومة من الاتحاد السوفييتي العظيم، والكتلة الشرقية، وأن المد الشيوعي يزحف؛ فاليمن الجنوبي ماركسي، والصومال، وأنغولا، وأثيوبيا، وأفغانستان، والوصول إلى المياه الدافئة. كل هذا كان له اهتمام في حسابات الثوار من فصائل المنظمة، أكثر من القضية الفلسطينية، حتى وإن دخلوا السجون من أجلها، لكن الانتصار للفكر له حقّ الأولوية. وأذكر ونحن في غرفة واحدة في سجن الرملة من فتح والشعبية والديمقراطية والمقاومة السرية من الجولان، وكان في الغرفة عمر القاسم، أحد قيادات الجبهة الديمقراطية، وعلى الحائط على شمال سريره خارطة أنغولا، فقلت له: بدلاً من أنغولا فلسطين، ولكن ما من جواب.

ومع ما ذكرت أن بداياتنا تحتاج إلى مخزون من المعرفة، ولولا التحدي الذي تقوده الفطرة ما نجحنا في تحييد هذه الأفكار، وإلى أن فتح الله علينا ببعض الكتب الإسلامية، منها شبهات حول الإسلام للأستاذ محمد قطب، رحمه الله.

في سجن كفاريونا تمثل الشعب الفلسطيني كله، فمن داخل الخط الأخضر شباب التحقوا بركب الثورة، وكذلك من القدس والضفة والنقب الثائر، ومن الشتات لفصائل مختلفة. وفي سجن كفاريونا والسجون الأخرى التقى شباب من الجولان السوري المحتل، ومن الأردن، ومصر، والسعودية، واليمن، والسودان، والمغرب، ولبنان، وسورية، ومن العالم كله جمعتهم القضية الفلسطينية، وقاتلوا من أجلها.

في سجن كفاريونا التقيت رجالاً من هضبة الجولان، من الطائفة الدرزية، دخلوا السجن بدافع وطنيتهم وتصميمهم على أن الجولان جزء من سورية الأم. وحسب

[1] **القرآن الكريم**، سورة النمل، آية 62.

[2] **القرآن الكريم**، سورة الأنعام، آية 63.

تقدير الاحتلال بادئ الأمر فهم على شاكلة دروز فلسطين، الذين انخرطوا في الجيش الإسرائيلي، لكن إخواننا في الجولان حافظوا على هويتهم، وانتصروا لوطنيتهم. أما دروز فلسطين، فقد سرت الصحوة الوطنية إلى فريق منهم وأصبحوا اليوم على وعي بطبيعة الصراع. ومنهم وفيهم الأحرار الذين يرفضون التجنيد والخدمة الإجبارية. ودروز هضبة الجولان، ومن لحق بهم فيما بعد، كالإخوة صدقي المقت، وبشر المقت، وإيهاب، وعصام الصفدي، وهايل، وسيطان، وعاصم الولي، وغيرهم... فلا أقول فيهم، إلا أنهم أصحاب وطنية صادقة. وعشنا وإياهم معاً، وفيهم كرم ونخوة، لكنهم ليسوا على علاقة مع التدين، ويجهلون ما عليه مشايخهم وآباءهم من التدين، وليس أمامهم إلاّ الولاء للنظام في سورية، وهم إلى الفكر الماركسي أقرب من شعارات حزب البعث.

المرض والصدام:

ليس من السهولة أن تتأقلم مع ظروف السجن، فمن الحرية —وإن لم تكن هناك حرية في ظلّ الاحتلال— فمن الحرية المجزوءة إلى غياهب السجون وغرفه المعتمة، فإن هذا أمرٌ جلل وصعب جداً، وقاسٍ على المرء وعلى النفس البشرية. فالاحتلال هو الحَقيقُ بأنْ يُسجن، وأن يغيب عن هذا الوجود، يكون التأقلم صعباً في البداية، وإن شئت فابدأ بأبناء غرفتك الذين يختلفون في تربيتهم، وفي سلوكياتهم، وأخلاقهم، ففيهم من ترتاح إلى العيش معه، ومنهم من يُتعب، ومجتمع السجن كثير المشكلات، وربما تثار عن قصد.

والطعام في السجن سيء جداً، ولا يُقيت رجالاً كما يقولون، وهذه سياسة إدارة السجن ومصلحة السجون "النتسيق"، وما هي إلا تصبير، وكم من الليالي وأبي وسوانا طوينا جائعين!!

والسجين عرضة للأمراض، ولولا الملاذ بالله سبحانه وتعالى، لضاق من حولنا كل شيء، ولضاقت علينا أنفسنا. فالحرمان وتفشي الأمراض يُسخن الأجواء ويخرج المرء عن طوره. ومن الأمراض التي أصابتنا في سجن كفاريونا، كثرة الهرش والحكاك بشكل مؤذٍ، بل تطفح على الجلد القشور والحبيبات، وعلى الخصوص في المناطق الحرجة من جسم الإنسان، وما يزيد الطين بلةً هو إهمال عيادة السجن في العلاج وعدم نجاعة الأدوية، هذا كله في الأيام الأولى من مراحل السجن.

وكل يوم جمعة من كل أسبوع يقوم مدير السجن بزيارة لأقسام السجن وحجراته، ترافقه بطانته، ويدعى هذا المدير "ابن سابو" من يهود المغرب. وبالرغم من أن البلدان العربية التي سكنها اليهود من لمْ تُسِءْ في العشرة والجيرة، وحافظت على ذمتها معهم، لكن كراهية هؤلاء لنا وللعرب أكثر ممن جاؤوا إلى فلسطين من دول أوروبا.

"ابن سابو" هذا، دخل في يوم زيارة له إلى غرفتنا، وقلت للشباب ممن هم معي في الغرفة، لا تتحدثوا معه، أنا مَنْ سيتحدث معه، فلما دخل علينا بعنجهيته قائلاً كعادته في كل زيارة، وللغرف جميعاً: "بيش بعيوت"، كلمة عبرية معناها: هل من مشكلات؟ قلت له نعم، عندنا، قال ما هي مشكلاتكم؟ قلت له: نحن، وإذا به يقاطعني ويقول لي: لا تقل نحن، قلت: نحن مرة أخرى. وهو لا يريد أن نتكلم باسم المجموع، يريد من كل واحد منا أن يطرح مشكلته فقط وبكلمة "أنا"، فرفضت ذلك، وقلت له: نحن أسرى عندك، ومن حقنا عليك أن تأمر طبيب السجن بعلاجنا فنحن مرضى، فقال: لو كنت طبيباً ما عالجتكم، أنتم قطاع طرق، فقلت له: أنتم الحرامية، أنت ودولتك، أنتم من شردتم شعبنا، واحتللتم أرضنا، وأنت تعيش هنا على حساب أرضنا، ومن خيراتها. فجُن جنونه، وقال لبطانته ولضابط الأمن عنده، أخرجوه إلى الزنازين. فخرجت إلى الزنازين ومكثت ليلة، فاحتج شباب السجن على ذلك الإجراء، وأضربوا عن الطعام لوجبتين؛ للضغط على إدارة السجن، وكان لذلك ردة فعل إيجابية.

وفي اليوم الثاني جاءني شاويش درزي، من العاملين في السجن واسمه معين عماشه، وقال لي يا شيخ، سوف يقوم المدير بزيارتك في الزنزانة، ولا بأس أن تتأسف له، قلت له: يا هذا، تريدني أن أتأسف له؟! والله لا أقبل به راعي غنم عندي، فقال يا شيخ، هذا مدير السجن، فقلت له: من هذا مدير السجن؟ وعلى بال مين؟

بعدها جاء المدير، وقال لي: شيخ، أنت رجل، قلت: نعم، فقال: إذن، إنزل معي قتال حر، بكلمة إنجليزية free fight فقلت له باستغراب: أنت مدير سجن؟ قلتها باستنكار، وعلى كتفك ورقة دوالي، أستغرب منك ذلك، فأدار ظهره ورجع من حيث أتى. عندها جاءني ضابط ممن معه، وفتح الزنزانة، ووضع يديه على وجهي محيياً... ومُعْجباً، وتعامل معي بعد ذلك باحترام.

رجعت إلى إخواني ورفاقي في السجن، واستقبلوني بأخلاقهم واحترامهم، وهم مشكورون على موقفهم، وهذه من حسنات السجن، أن للتضامن روحاً وثابة عند

جموع الأسرى. وكنت ذكرت من قبل أن الطعام في السجن سيء، لكن مَنْ يعمل في مطبخ السجانين، عرب جاؤوا على قضايا جنائية، وتعرفت إليهم. وكان من بينهم من يعمل في مطبخ السجانين، ذهبت بعمامتي إلى عمال المطبخ، والذي بابه على ساحة السجن، حيث نخرج يومياً ساعة أو ساعة ونصف (فورة) فقلت للعمال: نحن جئنا إلى السجن على خلفية وطنية، والمطلوب منكم أن تحسنوا الطعام وتزيدوا في الكمية، قالوا: ليس بأيدينا، قلت بإمكانكم أن تتعاونوا في ذلك... وإلا والله يا فلان أبعث إلى أهل غزة، وأطلب منهم أن يعلقوك على عمود كهرباء في شارع عمر المختار. والصحيح أنهم تعاونوا معنا، وطباخ آخر كان يعمل في مطبخ شرطة السجن، ساعدنا دون الطلب منه، وكان يُهرب لنا كثيراً من الخضار، كنت أخص بها كبار السن وصغار السن.

وأذكر موقفاً آخر في هذا السجن، كان مدير السجن في يوم الثلاثاء من كل أسبوع يأتي، وضابط أمنه، إلى غرفة طعام السجن، ويجلس لمن يريد امتيازات، كمنةٍ منه ربع ساعة زيادة في زيارة الأهل. وكان يعطيها لأناس دون أناس، تحت ذريعة حسن السلوك، وقد يتسبب ذلك بالتشكيك بهم. وقد عرضَ مدير السجن ذلك على السيد الوالد رحمه الله، فقررت في نفسي أن أدخل عليه الباب وأن أضربه، وكان يقف إلى جانبه في الساحة الأخ محمد اللداوي من غزة، لكن الوالد بصبره وحرصه عليّ، أثناني عن ذلك، وبتأييد من الأخ أبي حسام اللداوي، وانتهى الأمر وتراجعت.

المحاكمات والحكم:

كان لي وللسيد الوالد خلال تسعة أشهر، سفريات إلى محكمة اللد العسكرية. وسجن كفاريونا كان مركزاً للموقوفين الذين لم تصدر أحكام ضدهم، كانوا ينقلوننا إلى المحكمة بوسائل نقل تابعة لمصلحة السجون تسمى "بوسطة"[3]، ولمرتين قبل الحكم علينا، حيث قدمت النيابة لائحة اتهام للسيد الوالد ولي شخصياً. ودافعت عني وعن الوالد، رحمه الله، المحامية اليسارية فيليتسيا لانجر Felicia Langer، وقدمت بين يدي مرافعتها، أن الشيخ قام بواجبه، ونصوص القرآن الذي يؤمن به تعزز ذلك وتأمره بهذا. وكان

[3] البوسطة: سيارة نقل الأسرى، وغالباً ما تكون مركبة كبيرة لا يوجد فيها سوى فتحات صغيرة جداً. وتشبه في شكلها الخارجي خزاناً مغلقاً، يعاني فيها الأسرى، ويتحملون أبشع أنواع الإذلال والعقاب والضرر الصحي، حيث تكون مملوءة بالأوساخ وتنبعث منها الروائح الكريهة. للمزيد انظر ملحق "البوسطة"، وهو نصّ استكتبه الشيخ أبو طير للمهندس عبد الرحمن زيدان، يشرح فيه تفاصيل رحلة "البوسطة". [المحرر]

لي في المحكمة كلمة تحدثت فيها عن حقنا في الدفاع عن أرضنا، وأن هذا واجب شرعي، والاحتلال هو من أتى إلينا، ولم نذهب نحن إليه. وكان ممن حضر قرار الحكم في ذلك اليوم 1975/5/5 الأهل، والوالدة وجدّي رحمهما الله، وفضيلة الدكتور الشيخ عكرمة صبري. وصدر الحكم ضدي ستة عشر عاماً نافذة وفعلية، و37 عاماً مع وقف تنفيذ. وكان الحكم قاسياً ومفاجئاً؛ لأن لائحة الاتهام لا توجب بنودها حسب قانونهم هذا الحكم الجائر، فحمدت الله واحتسبت.

وقبل النطق بالحكم، طلب القاضي أن أقدم بين يدي المحكمة استرحاماً، فقلت: الرحمة لا تطلب إلا من الله، واستأنفت ضدّ الحكم فيما بعد، وخفّض من الحكم الأول ثلاث سنوات، فأصبح الحكم ثلاث عشرة سنة.

وخلال الفترة التي قضيناها موقوفين في سجن كفاريونا، كانت السيدة الوالدة تقوم بزيارتنا أسبوعياً هي والأهل والأقارب، ونتفاعل من خلال الزيارة. ولا يغيب عن بال أحد أن السجين كثيراً ما يفكر في الهرب من السجن، ولقد حاولت ذلك، لكن لم يكتب لي النجاح.

قم الليل إلا قليلاً:

لما انتهى التحقيق نقلت من المسكوبية إلى سجن كفاريونا، قلت: الآن تنام ليلك الطويل، وكنت أظن أن في السجن وقتاً للنوم، لكن تبين لي أنه لا راحة إلا بلقاء الله، من أين لك الراحة يا عبد الله؛ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾[4].

السجن بقدر ما هو قاسٍ على النفس، بقدر ما هو محطة للزاد. فالإنسان خارج السجن تعتريه مزاجية واستخفاف بالأمور، والعجلة والتسرع جناحيه، وتأتي عليه حالات، سهامُه فيها طائشة. وأما العبادات فكانت تفتقر إلى الطمأنينة، بل ما عرفت ولا تذوقت للصلاة طعماً ولا للمناجاة إلا في السجن، وكذلك الصيام، وكأن الله يريدها محنة فيها نقلة للتربية، فالسجن أيامُهُ لواجم، وكوابح، يقف الإنسان مع نفسه، ويتدبر الأمور بروية ومسؤولية.

[4] **القرآن الكريم**، سورة المزمل، آية 1–6.

ومسؤولية القدوة في السجن خطيرة جداً، على الدعوة وعلى العمل الدعوي، فخارج السجن لا تلتقي الناس إلا سويعات، أما داخل السجن فكل حركة محسوبة عليك، وأهم علم داخل السجن هو علم السلوك، فإنه المجاهدة. وكنت أصوم تطوعاً أياماً، وأجتهد ألا يدري مَنْ هم في الغرفة أني صائم، لأمتحن نفسي، ولأستشعر السرية في هذه العبادة، ونجحت في ذلك لعدة مرات، وأعجبني الصوم كثيراً، حتى إنني سميته "العبادة الصامتة". ووالله ما قرأت لأحد من قبل عن هذا الوصف؛ لأني سمعته فيما بعد من شيخنا وأستاذنا الدكتور الفاضل محمد راتب النابلسي، حفظه الله.

هناك لحظات فيها مذاق، محروم ثمّ محروم من لم يتذوقها، هناك خلوة تسأل صاحبها، أين كنا؟ وبالعاميّة "وين... مُدَّها طويلاً... وين كنا؟ وييين..." !!

في سجن الرملة المركزي:

بعد الحكم مباشرة، تمّ ترحيلي من كفاريونا إلى سجن الرملة، وقد سبقني الوالد من قبل، ولم يبقَ على خروجه من السجن إلا أيامٌ قليلة. وفي أول لقاء بيني وبينه في الرملة، كان صعباً للغاية، أخذنا بعضنا بالأحضان، لكن هيهات أن ينطلق اللسان، لم يكن باستطاعتي ولا بمقدوري أن أتكلم لصعوبة الموقف. ثمّ تريثت قليلاً، ودار الحديث بيننا، وطلبت من السيد الوالد، إذا ما خرج من السجن وعاد إلى القرية، أن يصطلح مع أبناء عمومتنا، وكان بيننا وبين أبناء عمومة لنا، قطيعة تامة؛ لأن منهم أَخَوان تزوجا من أختي وخالتي، وحصل الطلاق للاثنتين، ومفهوم الناس في الطلاق العداوة والقطيعة، فطلبت من الوالد أن يُصلِح الأمر، وأن تنتهي هذه القطيعة، وأوصاني وأوصيته. وحاوَلَت معه إدارةُ السجن من خلال الأيام التي قضاها، أن يعمل في نسج "شبك الدبابات" [غطاء لتمويه دبابات الاحتلال كان يجبر الأسرى على صناعته]، فرفض رحمه الله، رفضاً قاطعاً، بينما كان من يعتبر نفسه قائداً في تنظيمه، وماركسياً أممياً في تنظيره، يعمل يومياً في تلك المهنة القذرة. واشتغل أبي في صناعة الملاقط، حيث كان العمل إجبارياً داخل السجن.

في سجن الرملة، وعند وصولي إليه، استبدلوا ملابسي المدنية بملابس السجن، أخذوا كل ما لدينا من ملابس خاصة. ودخلت إلى قسم يقال له "الأغاف" وهي كلمة عبرية ومعناها "القسم"، وكان خاصاً بفصائل منظمة التحرير وأبناء هضبة الجولان،

ومن قبل كان جامعاً لأبناء الدوريات، الذين دخلوا الحدود في عمليات عسكرية، ثمّ نقلوا إلى سجن عسقلان، وكان في القسم حجرة للجنائيين يهوداً وعرباً.

دخلت إلى القسم، وكان من فيه من أبناء فتح وحتى الفصائل الأخرى بانتظاري؛ لأن أخبار السجون والمحاكم، يتناقلها السجناء من خلال رسائل أو لقاءات شخصية. كان اسمي قد وصل قبل أن أصل، وظنوا كثيراً أن الشيخ محمد أبو طير هو أبي رحمه الله. وكذلك وصلت إليهم أخبارنا في سجن كفاريونا، حتى قال لي كمال النمري، من قادة الجبهة الشعبية، أنت صدامي كما وصلتنا الأخبار، فقلت: أنا كما تراني.

استقبلني الإخوة في حجرة من حجرات السجن، وكانت خليطاً من فتح والجبهة الشعبية والديمقراطية والمقاومة السرية من دروز الجولان، والنضال الشعبي... (كوكتيل ثوري). كانت كذلك خليطاً من نفسياتٍ وأفكارٍ غير منسجمة، وكل إنسان يعيش حصاراً في نفسه وغرفته بلا تفاعل اجتماعي. بالطبع جبهات اليسار، حتى "المقاومة السرية"، كانوا أسرى للفكر الماركسي، وأسرى لثقافة الإلحاد المعمول بها، وعملية غسيل كاملة لكل من انتمى لليسار، ويأتي المناضل من الخارج وهو يصلي ويصوم، وإذا به بعد أسبوع أو أسبوعين أو أقل، يترك كل شيء، ويجهر بالمكابرة، ويقول: اقنعني أنه يوجد إله. "طيّب" أنت بالأمس كنت تتوجه بالعبادة إلى الله تصلي وتصوم، بهذه السرعة نزلت عليك القناعة أنه لا إله والحياة مادة.

عجيبة تلك المرحلة، فقد كان فيها الفكر الماركسي طاغياً، وكانت فتح بعلمانيتها مهزومة أمامه، وإن لم يكن في المقابل عقيدة تبدد هذا الوهم، فالوقتُ حليف الفكر الماركسي وأصحابه، أما العلمانية، فهي قنطرة لهؤلاء الملاحدة. وفتح كانت مخترقة بالفكر الماركسي، فيها شباب تدربوا في الصين وفي الدول الاشتراكية. وكُتُب إنجلز وماركس ولينين، تعج بها مكتبة السجن، ويقرأها الثوار قبل أن تقرأها شعوب الاتحاد السوفييتي. وعند كل فصيل مكتبة خاصة به، وأما القيِّم على المكتبة العامة فمناضل ماركسي، ويتدخل في الكتاب الذي يريده القارىء، وهذا حصل معي في كتاب اسمه الأم، عن الثورة البلشفية في روسيا، كتاب من خلال الأدب يدخل بك إلى الاشتراكية والإلحاد. وكان في غرفتي هذه عمر القاسم، عضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، وكان عبد اللطيف غيث مسؤول الجبهة الشعبية في القدس، وكان يتفنن بالسخرية من كل شيء يرتبط بالدين، حتى إنه مرة قال لأخ فاضل اسمه

خالد العمري، وكنيته أبو عمر، أصائم أنت يا أبا عمر؟! متعجباً وبسخرية، فقال له أبو عمر: نعم، رياضة!! والصوم في ديننا رياضة، رياضة نفسية وروحية ومدرسة عجيبة لا مثيل لها، لكن هذه صورة عن غربة الدين، والخجل من الصيام أمام هجمة الإلحاد... هذا هو الجو العام وقتذاك، فالصوم دولة قوانين، ينضبط من هو صائم بكامل قوانينها؛ ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[5]. هل في الأرض قوانين تضبط البشر بمثل هذا الانضباط؟ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، عند ذلك انتهى كل شيء، لا ماء ولا غذاء ولا جماع، وإلى متى؟ إلى أن يُرفَع آذانُ المغرب، وعندها الأمة قاطبة تُقبل على طعامها، أمة بالمليارات من البشر تضبطها آية، بالدقائق والثواني، قوة عجيبة يتميز بها الصائم.

وعمر القاسم درسني في مدرسة صور باهر اللغة الإنجليزية قبل الاحتلال، وأيام النظام الأردني، وكان قومياً عربياً، يحدثنا عن العمل الفدائي وعن تحرير فلسطين، وهو من القدس، خرج إلى الأردن بعد حرب 1967، ورجع في دورية قتالية للجبهة الشعبية، قبل أن تتفكك وتخرج من تحت عباءتها الديمقراطية والقيادة العامة، وفي السجن حسم أمره إلى الجبهة الديمقراطية؛ لأن خطها الماركسي أممي، والجبهة الشعبية خطها قومي. وكان معي في الغرفة خالد طنطش من القدس، ماركسي ماوي؛ لأنه تدرب في الصين، والصحيح أن الفكر الماركسي عند كثير من أتباعه، ليس إلا متسعاً لهوى الأنفس، أو فكراً يبيح لهم الانفلات، وأن يعيش بلا الضوابط التي طالما اعتنى بها الإسلام وحافظ عليها، ومن ينتهكها لا ينتهكها إلا لأنه شهواني.

كان في القسم شباب من فتح، ومنهم الأخ وليم نصار، صاحب كتاب "تغريبة بني فتح"[6]، والأخ وليم نصراني، وكان لديه انتماء لفتح أكثر من كل من هو فتحاوي من العلمانيين والماركسيين، ولصدق وطنيته كان فريقٌ من فتح يحرضون عليه أنّ أمهُ يهودية. وكان ممن عملت معه وعرفته في السجن الأخ خليل أبو زيّاد شقيق زياد أبو زيّاد، الذي كان نائباً عن القدس، في ظلّ انتخابات أوسلو Oslo. والأخ خليل

---

[5] **القرآن الكريم**، سورة البقرة، آية 187.

[6] انظر: وليم نصار، **تغريبة بني فتح أربعون عاماً في متاهة فتحاوية** (عمّان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2005).

لا يحمل انتماءاً فكرياً، وكان داخل السجن إيجابياً وخارجه كذلك، وهو من الأوائل الذين شكلوا حركة الشبيبة الفتحاوية بالتعاون مع أبي علي شاهين، الذي تولى وزارة التموين في الحكومات ما قبل العاشرة.

أنا الآن أعترف أني ما كنت ناضجاً في فهمي للإسلام، حتى وأنا في سجن الرملة، لكن كلمة شيخ مزعجة عند من يرفض التدين، بضاعتي قليلة، لكن الله يريدني لهذا الموقع، حتى قال لي الأخ محمد درويش من العيسوية، وهو من قوات التحرير الشعبية: كنت أطلب من الله أن يرزقنا بشيخ، وإذا بك قادم إلينا؛ لأن التدين محاصر، والمتدينون جدد على التدين، ورصيدهم من الفكر الديني والثقافة الإسلامية ضحل. وذات مرة ضاقت نفسي كثيراً من السجن في أثناء زيارة الأهل، فقال لي الوالد، رحمه الله: لعل الله سجنك لأجل إخوانك، ولأنهم في حاجتك. قلت: إخواني في السجن، لا إله إلا الله، مما هدأ من روعي.

لكن من يعنيني ذكرهم، وذكر أسمائهم من خلال هذه التجربة إخواني الذين شكلوا معي الجماعة الإسلامية.

الفصل الرابع

المفاصلة: الجماعة الإسلامية في السجون

المفاصلة: الجماعة الإسلامية في السجون

سجالات سجن الرملة:

الغرفة الأولى التي نزلت بها عند وصولي إلى سجن الرملة، لم تكن مريحة أبداً؛ تريد أن تباشر عبادتك، أن تقوم للوضوء صباحاً، والقوم لا يصلون وأي حركة تزعجهم، تريد أن تجهر بالصلاة صباحاً مشكلة. غربة للدين ما مثلها غربة، وكيف تكون الحال والرجل يعيّر بصلاته وصيامه كما تُعير العاهرة؟ ولقد والله عُيرنا بهذا، وصبرنا كما يقولون صبر الخشب تحت المناشير. طلبت من الإخوة في تنظيم فتح أن أنتقل إلى غرفة شبابها يقيمون صلاة الجماعة، لكن الطلب لم يتحقق بسهولة. وبعد حين، وفي أواخر سنة 1975، انتقلت إلى غرفة أخرى، هي بكل سلبياتها أفضل بكثير من الغرفة السابقة؛ لأن فيها شباباً يحافظون على صلاة الجماعة، ولديهم جاهزية للتعامل مع من لديه القدرة على الاهتمام بهم، كانت لديهم حمية للإسلام، ولكن النضج كان غائباً عنهم، والمعرفة ليست بالمستوى المطلوب، والحرب عليهم ضارية؛ لأنهم كسروا عناد من طمع بهم من الماركسيين.

في هذه الغرفة، اجتمعنا للعبادة ليس غير، ولم يكن في نيتي أن أخرج من حركة فتح، ولم يكن في واردي أن أشكل جماعة إسلامية. لكنني، ومع الأيام، ونتيجة للممارسة اليومية، تكشف لي الكثير بحكم عملي في التنظيم وكوني من كوادر قيادته، بل عضو لجنة مركزية في التنظيم داخل السجن. وذات مرة كتبت بياناً روسته بالبسملة والحمد والثناء على الله والصلاة على النبي، فاحتج القوم على ذلك، وقال أحدهم: هذا بيان ديني. وما كان البيان إلاّ عن العمل التنظيمي وعن اللائحة الداخلية، لكن الترويسة بالبسملة أزعجتهم. ولم آبه لذلك، فتنظيم فتح في سجن الرملة كان تنظيماً على المزاج، وإذا كان أحدهم عضو لجنة مركزية يعمل معك، وإن لم ينجح في الانتخابات ينأى بنفسه جانباً، ومنهم الماركسي والعلماني والقومي والبعثي... .

بقيت في تنظيم فتح لأواخر سنة 1976، وما عرفت إلا المشكلات، فمن يبقى معهم يتجرأون عليه. وخلال هذه الفترة، كنت أعب قراءة الكتب عباً، وكنت أريد أن أسمن نفسي وأحصنها. أتيت بكتب سيد قطب رحمه الله، فقرأت الظلال، وكتاب المعالم، ومقدمة ابن خلدون، وقرأت مبكراً للشيخ العلامة يوسف القرضاوي الحلال والحرام وفقه الزكاة، وقرأت للأستاذ محمد سعيد رمضان البوطي كبرى اليقينيات الكونية،

ونقض أوهام الجدلية المادية، وقرأت لعباس محمود العقاد كتباً تبدد أوهام الشيوعية وتدحض أكاذيبها، وقد كان سليط اللسان ولاذعاً في الرد عليهم، وقرأت فيما بعد جميع كتب سيد قطب وأخيه محمد قطب رحمهما الله، وقرأت للإمام الشهيد حسن البنا[1]، وما كنا نعرف عنه شيئاً قبل السجن، بل كنا نعرف سيد قطب عنواناً للإخوان المسلمين.

هذا فراق بيني وبينكم:

من خلال قراءتي لكتاب المعالم[2]، تبين لي الكثير مما كنت أجهل، حيث كنت أُعِدُ لائحةً داخلية للتنظيم، تنظيم فتح، وكتاب المعالم من خلال قراءتي له يقول لي: من أنت حتى تشرع للناس؟ المعالم غَيَّر الاتجاه والمعالم، مَنْ أنت؟ ووقفت مع نفسي قبل أن تخرج الجماعة للنور، وقلت: يا رجل، مالك؟ وما لهؤلاء الناس؟ وأخذت قراري بمفاصلة التنظيم، وخرجت إلى من يعنيه الأمر، وبلَّغت الجميع، حتى الفصائل الأخرى، أن هذه الساعة هي آخر عهدي بحركة فتح، وقلت لهم: "هذا فراق بيني وبينكم، أنتم في وادٍ وأنا في وادٍ"، قالوا: يا شيخ أنت الشيخ، شيخ الثورة الفلسطينية. وقد أتتني المحامية لانجر، بمجلة صادرة في بيروت، وفيها صورة للشيخ المعمم أبي طير، وللقدس مع صخرتها يحول بيننا قاطع من السياج، ومكتوب على البوستر، الشيخ أبو طير: حيَّ على الثورة[3]. راودوني كثيراً، وكان فيهم بسام السائح، وسعيد الددو، وأبو ماهر سرحان، وسواهم، فكان الجواب، لن أكون شاهدَ زور ضدّ الإسلام ما حييت، وقلت عبارة مشهورة قرأتها عن السلف الصالح: "لأن أكون ذَنَباً في الحقّ، أحبّ إليّ من أن أكون رأساً في الباطل". والحمد لله ما كنت ذَنباً في يوم من الأيام، فلما كنت فيهم وجيهاً ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَذَا﴾[4]، ولما فارقتهم قال أحدهم بيتاً من الشعر:

ما زاد حنّونُ في الإسلام خردلة ولا النصارى لها علم بحنون

---

[1] **حسن أحمد البنا (1906–1949):** مؤسس جماعة الإخوان المسلمين ومرشدها الأول. ولد في المحمودية بمصر، وحفظ القرآن في سنّ مبكرة. تخرّج من دار العلوم سنة 1927، وعُيِّن مدرساً في مدينة الإسماعيلية، وأسس فيها جماعة الإخوان المسلمين سنة 1928. نادى بشمولية الإسلام. وجّه الإخوان المسلمين للقتال في فلسطين سنة 1948، وجهز المئات من المتطوعين لهذا الغرض. اغتيل في 1949/2/12. انظر: حسن البنا، **مذكرات الدعوة والداعية** (بيروت: المكتب الإسلامي، 1974).

[2] انظر: سيد قطب، **معالم في الطريق** (القاهرة: دار الشروق، 1973).

[3] انظر: ملحق الوثائق، الوثيقة رقم (1)، ص 493، وخبر نُشر في مجلة **فلسطين الثورة** في 1975/5/4، وصورة للشيخ أبو طير نُشرت في إحدى مجلات الثورة الفلسطينية.

[4] **القرآن الكريم**، سورة هود، آية 62.

فقلت: هذا هو الطريق، وليكن ما يكون.

لقد بدا لي واضحاً أن ما في صدور الجاهلية التنظيمية وأتباعها، من التحامل على الدين وأتباعه، يفور فوراً، ويتميّز غيظاً وحقداً، فحركة فتح داخل السجون إلى أن خرجنا منه سنة 1985، كانت مرتعاً للغزو الماركسي وحرباً على الدين. وكان اليسار هو قبلتها بكل سلبياته، فهو أقرب إليها من الدين الذي يرمونه بالرجعية. ولأن التدين لا يتساوق مع سُعار الشهوات، وانحراف الأخلاق، التي تجنح بهم إلى فساد الفطرة، وتمييع الإرادة، وتجعل المتعة والراحة في النفس الأمّارة بالسوء، ما دام الدين بعيداً عنها لا يحصّنها من الفلتان. وإن أولئك الذين وجدوا في السجن فراغاً قاتلاً، هيهات أن يملأه لهم إلا اللجوء إلى الله والاحتماء بحماه.

لقد كانت فتح —بكل مرارة— واجهةً يختبئ من ورائها اليسار، في تنفيذ سياسة الغزو الفكري، بثوب أنهم جميعاً فصائل منظمة التحرير الفلسطينية، وأن الجماعة الإسلامية إفراز غير شرعي على صعيد العمل الفلسطيني، وهي ترى في حضورها بديلاً عن منظمة التحرير، فلا بدّ من محاربتها، وهم يقصدون من وراء ذلك الحرب على الدين وعلى الإسلام وأهله.

إن ما هو معروف عن اليسار، وما عرفته أنا عن قرب، أنه انتهازي بجميع مسمياته وفصائله، فلئن عاب على الرجعية ولاءها للغرب، وهم يقصدون الإسلام، وهم بذلك يفترون، فما لهم لا يعيبون على أنفسهم عمالتهم للاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية، وولائهم له وقتذاك.

لقد كانوا جميعاً يتقاسمون ساحة العمل الوطني ويتصارعون عليها، ويتفاوتون في ذلك، ولا يسمحون للإسلام تحت أي مسمى أن يكون له الحضور على الساحة الفلسطينية خوفاً من المنافسة، حتى قال ذات مرة جورج حبش، الأمين العام للجبهة الشعبية، في حديث له مع عرفات: لو كان اسمي علياً أو محمداً لكان حظي من الجماهير أكثر مما عندك.

وصحيح ما قاله جورج حبش، لأن طبيعة التدين عند العوام ترى في اسم جورج حاجزاً ومانعاً دون الالتحاق إلى صفوف الجبهة الشعبية، وهم يجهلون كذلك فلسفتها. ولم يحظَ اليسار كله بهذا الحضور على قلته إلا بتغرير الناس وتوريطهم من خلال السجون، فكم من شباب دخلوا السجون وهم يُصلُّون، ثم تركوا الصلاة والصيام

تحت ضغط الإرهاب الفكري، الذي كان يمارسه اليسار، وأدى بكثير من أتباعه إلى حالة من ضياع الشخصية وذوبانها.

الجماعة الإسلامية:

مَنْ في السجن مِنْ قادة الفصائل أزعجهم هذا، ولهم تجربة مع جماعة إسلامية قامت في سجن عسقلان، أنشأها الأخ القائد جبر علي عمار، وهو ضابط في قوات التحرير الشعبية، التي هي بقايا جيش التحرير الفلسطيني. وظنّ قادة الفصائل، وخاصة اليسار، أنني في الطريق إلى جماعة إسلامية. وما كان هذا في واردي، بل كل ما نريده ونبتغيه هو أن نجلس للقرآن، ونتعلم ديننا، وأن نتخلص من المشكلات التي تقتل وقتنا. ولا تستطيع أن تجمع بين متناقضات التنظيم، وأن تتصدى للفكر الماركسي من خلال النقاش أو تعبئة من معك إلا بالتفرغ، وإلا بمخزون فكري ناضج، يبدد ويدحض ما تقوم عليه الأفكار المستوردة، وهذه فرصتنا، فما العمل؟

أتيت إلى مجموعة من الإخوة كانوا معي في الغرفة، وهم الحاج ناجي أبو نجمة، كان في الخامسة والخمسين من العمر، وكنت في الخامسة والعشرين من العمر، والحاج عمران أبو خلف، وهو قريب من الستين، والحاج سلمان القواسمي، وهو في الخمسين من العمر، وعبد المطلب أبو ارميلة، ومحمد درويش، ومحمود عميرة، وأمين فرحات، ومحمود أبو طير، وصبحي أبو ميالة، ومنصور عبيدية، وقلت لهؤلاء الإخوة، تعالوا نتدارس القرآن هناك في غرفة الأكل بعيداً عن غرفتنا؛ لأن فيها الأخ وليم نصار وسواه ممن لا يروق لهم ذلك. وما إن جلسنا على الطاولة ووضعنا القرآن بيننا، وتعاهدنا على قراءة القرآن، وتعلم أحكامه، والحفاظ على أُخُوتِنا، حتى استنفرت الفصائل، ورمتنا بما لم يكن بالحُسبان، واعتدت علينا بالضرب. والحق أننا ما كنا نفكر في جماعة، ولكنهم ومن خلال تصرفاتهم دفعوا بنا إلى الجماعة، ويريد الله أن يسوقنا لهذا الأمر، ويدفعنا إليه شيئاً فشيئاً، حتى تنضج الأمور.

وبعد اعتقالي سنة 1974 كان اهتمام الثورة الفلسطينية بشأن اعتقالي متواضعاً، وعلى استحياء، بينما كان اهتمامها الإعلامي بشأن اعتقال المطران كابوتشي بالغاً ومثيراً ومتحيزاً حتى في هذه. لا يريدون لرجل الدين المسلم —بالرغم من اعتراضي على رجل الدين— أن يطغى على مصطلحات الثورة، وأشكر للشيخ حسن خالد، مفتي

الجمهورية اللبنانية، رحمه الله، تضامنه مع اعتقالي، والذي قضى نحبه شهيداً إن شاء الله، في انفجار سيارة أمام بيته، فقد دعا إلى اعتصام جماهيري تضامناً مع الشيخ أبو طير في العاصمة اللبنانية بيروت.

نواة الجماعة الإسلامية في سجن الرملة:

الحاج ناجي أبو نجمة: حارس من حراس المسجد الأقصى منذ أيام الأردن، كان يتردد على زاوية للصوفية يديرها الشيخ عبد الكريم الأفغاني، ودخل السجن في مجموعة لحركة فتح، وكان عابداً قائماً على إخوانه بالرغم من عرجه، ولما ذهب للحج أول مرة، لماضيه في الفتوة ما صدَّق الناس أنه ذاهب للحج، وكانوا يسخرون منه بهذه الكلمات: ناجي رايح للحج؟ قال، رحمه الله: وصبرت على ذلك من أجل الله، ومات بعد خروجه من السجن بعد أن أمضى خمس عشرة سنة.

الحاج عمران أبو خلف: من القدس كذلك، ودَخل السجن منتمياً لفتح، وكان بمنزلة الوالد لأنه يعرف أبي، وعملا في الدقاقة والبناء، ومات في السجن على إِثْر جلطة قلبية لم تمهله.

محمود عميرة: من صور باهر، كان قد خلع نفسه مِنْ قبل من جبهة النضال الشعبي، ولا يعترف بكل هذه الفصائل، وهو حيٌّ يرزق.

محمد درويش: من العيسوية من قوات التحرير الشعبية، وهو من أكثر الناس حرصاً على دعوته، وكان مخلصاً وخدوماً لإخوانه، وهو من اعتنى بالشيخ أحمد ياسين[5] في سجنته الأولى قبل 1985 في سجن عسقلان، كان يقوم عليه، ويحممه،

---

[5] **أحمد إسماعيل ياسين (1938–2004):** ولد في قرية الجورة قضاء المجدل. هُجِّر وأُسرته لقطاع غزة بعد حرب سنة 1948، وتعرض لإصابة رياضية أصابته بالشلل. درس اللغة العربية في مصر وعمل في التدريس والخطابة بغزة. أصبح رئيساً للمكتب الإداري للإخوان المسلمين في قطاع غزة في أيلول/ سبتمبر 1967، إثر مغادرة رئيسه السابق إسماعيل الخالدي للقطاع، أحد مؤسسي جمعية المجمع الإسلامي في غزة. اعتقل بتهمة الإعداد للعمل العسكري سنة 1983، وأفرج عنه في صفقة لتبادل الأسرى مع الجبهة الشعبية – القيادة العامة سنة 1985. عضو المكتب الإداري العام للإخوان المسلمين في قطاع غزة لحظة تأسيس حماس، وأحد أبرز مؤسسيها. اعتقل سنة 1989 مع المئات من كوادر حركة حماس، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة. أفرج عنه سنة 1997 بصفقة تبادل أسرى مع الأردن، بعد الإفراج عن عنصرين من الموساد Mossad حاولا اغتيال خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحماس. يعدُّ "الزعيم الروحي" لحركة حماس. اغتيل يوم الإثنين 2004/3/22 بقصف صاروخي استهدفه بعد خروجه من صلاة الفجر. انظر: عاطف عدوان، **الشيخ أحمد ياسين: حياته وجهاده** (غزة: الجامعة الإسلامية، 1991)؛ وأحمد منصور، **الشيخ أحمد ياسين: شاهد على عصر الانتفاضة** (بيروت: الدار العربية للعلوم، 2003).

ويغسل ثيابه، ومات رحمه الله سنة 2010، وكان يعاني من مرض القلب، لكنه من المتميزين حتى اللحظات الأخيرة، وهو ممن أحببتهم حبّاً جمّاً.

غالب درويش: شقيق محمد درويش، وهو كذلك من قوات التحرير الشعبية، والرجل مخلص لدينه ودعوته، وبقي وفياً على عهده، وكنيته (أبو الوفا).

أمين فرحات: أبو عبد الله رحمه الله، شابٌ التقيته في معسكر دوما في سورية، وجمعتنا الأيام والاعتقال ثانية داخل السجون، وكان من الإخلاص بمكان، والشيخ أحمد ياسين، رحمه الله، حضر زفافه بعد خروجنا من السجن سنة 1985. أمين ينتسب لعائلة يقال لها "السدمير"، تعود إلى عائلة ادكيدك من الخليل، لكنه من سكان القدس ومواليدها، وعم أمين هو الشهيد عبد القادر السدمير. مات أمين رحمه الله، بالسرطان في أثناء حرب الخليج سنة 1990، حيث كنت في السجن لستة أشهر إداري، ولم يحضر جنازته إلا بضعة رجال؛ لأن صواريخ صدام التي أطلقت على الكيان الصهيوني، فرضت منع التجول وقتها.

الحاج سلمان القواسمي: وله اسم شهرة آخر هو عبد العفو القواسمي، رجل فاضل قوام ليل، مستقيم، وخرج في تبادل 1985، وهو من جبهة النضال الشعبي.

عبد المطلب أبو ارميلة: دخل السجن وأوذي حتى غاب عن الوعي، ونقل إلى مستشفى هداسا من شدة التعذيب، وخرج بعد أن أمضى عشر سنوات، وهو من النضال الشعبي.

منصور عبيدية: من القدس، ودخل السجن بسبب انتمائه لفتح، وعمل في جهازها العسكري.

صبحي أبو ميالة: من القدس، ودخل السجن تحت إطار الجبهة الشعبية، ثمّ فاصلهم.

محمود عودة أبو طير: ابن عمي، ومن مجموعتي، وهو من فقد يده اليسرى وأربعاً من أصابع يده اليمنى، وتغلب على هذه المصيبة، وتزوج وقاد السيارة من بعد، ومات، رحمه الله، في 2007/12/1.

هؤلاء جميعاً هم نواة التشكيل لجماعتنا في سجن الرملة خلال الفترة 1977/1976. وقد تآمرت الفصائل علينا وبيتوا لنا أمراً، فكان الاعتداء الآثم الظالم منهم علينا،

وضربوا من ضربوا منا وسالت منا الدماء على أيديهم؛ لأنه كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[6]. ضربونا، وبعدها أعلنا عن جماعتنا، وخرجنا من القسم الذي ضُربنا فيه إلى قسم آخر، اسمه بالعبرية "الكلاليه" أي العام، وكان لنا إخوة فيه من داخل الخط الأخضر؛ من الناصرة والطيبة والطيرة والنقب، ومن القدس كذلك، وشكلنا وإخواننا هؤلاء أكبر جماعة في سجن الرملة. وكان اهتمامنا منصباً على الجنائيين من العرب، الذين دخلوا السجن على خلفية قتل شرف: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾[7]، بينما كان الثوار الذين ضربونا ينظرون إلى هؤلاء الجنائيين نظرة دونية، والصحيح أننا نجحنا في تربيتهم وإعدادهم، ومن خرج منهم من السجن استقامت حاله.

- إخواني من القدس والداخل هم الأخ **زكريا نجيب**[8]، الذي دخل السجن لمرات آخرها في سنة 1994، والذي حكمت عليه المحكمة 22 سنة؛ لأنه آوى المجموعة التي خطفت الجندي الإسرائيلي، فاكسمن، والأخ أبو عبد الله زكريا هذا هو من انتقم لنا ممن ضربونا، حيث تربص هو والأخ نبيل مخزومي من الناصرة بمن اعتدى علينا، فضربوهم وكسروا أيديهم بالعصي، وأخيراً خرج في صفقة وفاء الأحرار وأُبعد إلى غزة.
- الأخ **نبيل مخزومي**، من الناصرة، وهو الآن يتنقل ما بين سورية ولبنان، خرج من السجن في تبادل الأسرى سنة 1985، وكان محكوماً بالمؤبد.
- الأخ **الشيخ فتحي ناصر**، من الناصرة، وخرج من السجن في عملية التبادل سنة 1985، وهو رجل له حضوره واحترامه، وكان محكوماً بالمؤبد أيضاً.
- الأخ **تاج الدين الخطيب**، من الناصرة، وخرج في عملية تبادل 1985، وهو من الإخوة العاملين والملتزمين.
- الأخ **موسى قشوع**، من الطيرة (طيرة المثلث)، وهو من الرجال المشهود لهم بالحكمة والعدل والاستقامة، وخرج في عملية التبادل سنة 1985، وكان محكوماً بالسجن

---

[6] **القرآن الكريم**، سورة البروج، آية 8.

[7] **القرآن الكريم**، سورة هود، آية 88.

[8] **زكريا لطفي نجيب (1956–):** ولد في مدينة القدس، واعتقل في 1994/10/13 لمشاركته في عملية اختطاف الجندي الصهيوني فكسمان، حيث قدم المأوى والطعام للمجاهدين. حكم عليه بالسجن 22 عاماً. خرج في صفقة وفاء الأحرار في 2011/10/18، وأُبعد إلى قطاع غزة.

المؤبد. وكذلك الإخوة **بلال مصاروة وغالب حمدان** من الطيرة نفسها. هؤلاء جميعاً ما عدا بلال مصاروة كنا مجلس شورى للجماعة. ومن أول سنة 1977 إلى الشهر الأول من سنة 1980 ونحن في سجن الرملة، وقد نضجت خبرتنا ونضج الوعي عندنا، وتبين لنا من هم أقرب الناس للحق، فنحن معهم، من الجماعات الإسلامية.

أختم لهذه المرحلة التي عشناها في سجن الرملة، أنه جرت محاولات لتغيير قناعاتي والعودة بي إلى تنظيم فتح، وكان آخرها مع الأستاذ عبد الرحيم العراقي من طيرة المثلث، وهو رجل فاضل، حاول أن يثير فيَّ الحمية، وأنني محسوب على الثورة وعن موقعي في صفوفها، وبقيت على موقفي، وانتهى الأمر إلى غير رجعة، وكلام الله يتردد على لساني: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا﴾[9].

ومن خلال الأيام التي مرت علينا في سجن الرملة، ومع حساسية الاستفزاز من خلال هذه النقلة، وقف على باب غرفتنا خالد طنطش، من فتح، وهدد وتوعد أحد الإخوة، فما صبرت على تصرفه، وخرجت إليه في ساحة القسم، وواجهته قائلاً: يا خالد: مَنْ أنت حتى تهددنا في غرفتنا؟ خذ حذرك، قد جئتك ضارباً، فلكمته ضربة من قبضة يدي على وجهه، ثمّ أخرى، وتدخّل من في الساحة وحجزوا بيننا، وهو من الطول 190 سم ويزيد. بعدها غدر بي وأنا راجع من غرفة الطعام، لكنه لم يفلح في إيذائي، وإن أصابني بما لا ضرر فيه. وعلى الرغم من كل هذا، فقد عرقلتُ تنفيذ صفقة التبادل سنة 1985 لساعات، من أجل إبقائه في القدس؛ لأن الاحتلال كان يريد طرده منها.

ويوم أن كنا في سجن الرملة، حاولت إدارة السجن أن ترغمني على العمل، وعلى الخصوص في نسج شباك الدبابات، فرفضت ذلك، ومع أن العمل إلزامي فقبلت مني إدارة السجن أن أعمل في صناعة الإضبارات، ولما رحلنا من هذا القسم بعد الاعتداء علينا إلى قسم آخر، انتهت الظروف التي كانت تجبرني على العمل، وقد كان فراقاً لا رجعة إليه.

وحتى نأتي على الصورة بتمامها، كانت لنا مجموعة أخرى ذكرتها من قبل وهم الإخوة خالد عبد الله أبو طير، وكنيته أبو العز، ومحمد محمود أبو طير، وكنيته أبو زهير، ومعهم عقاب أبو طير، حيث إنهم دخلوا السجن بعد استشهاد الأخ علي العقابنة من

[9] **القرآن الكريم**، سورة الأعراف، آية 89.

خاراس، وحكموا عليهم بأحكام متفاوتة، بتهمة تهريب السلاح، ونقله من غور الأردن إلى القدس وما حولها، ودخل السجن كذلك أخي عمر لستة أشهر، قضاها عندي في سجن الرملة.

كان أبو زهير محمد محمود أبو طير يتردد على المحكمة المركزية في شارع صلاح الدين في القدس، وطلبوني مرة بدلاً منه؛ لأن اسمي مطابق لاسمه، فذهبت في بوسطة إلى القدس، وكانت الأمور سهلة لمن أراد أن يهرب. فطلبت منه ثانية إن طلبوه للمحكمة أن يخبرهم أن محمد أبو طير في قسم آخر، وفعلاً تمّ ذلك، لكن الخطأ الذي لا يبرر أني أفشيت سري لرجل وثقت به، وما إن استدعيت للبوسطة، وإذا بضابط أمن السجن يقول لي: إلى أين أيها الشيخ؟ قلت له: بوسطة إلى القدس، قال: أنت محكوم 13 سنة، والمطلوب للبوسطة محكوم 5 سنوات. لَسْتَ أنت المطلوب، فأصابني إحباط، ورجعت كسيراً، وقد رتبت للهرب جيداً. وهذا الشخص نفسه الذي أفشيت سرِّي له، وفي مرة أخرى، عندما حاولت العمل في مطبخ السجن توطئة للهرب، لم أعلمه بنيتي، لكنه كان مسؤولاً عن العمال في المطبخ، ودخلت وإياه على ضابط القسم حتى يزكيني للعمل، وهو واقف من خلفي، فلما دخلنا أعطى إشارة بعينيه للضابط ألا يقبلني، حيث كانت مني التفاتة فتأكد لي أنه "خربان". لكن وضعه التنظيمي وثقة الناس به، جعلاني أصبر على أذاه، وأخيراً فضحه الله، حتى قال فيه مدير السجن: فلان يريد أن يلعب على الحبلين، يريد أن يمسك التفاحة والكعكة في يد واحده.

ثمّ إن أبا زهير خرج من السجن بعد أن أمضى محكوميته، وكذلك الأخ الحبيب أبو العز رحمه الله، والأخوان منير أبو طير ومحمود أبو طير، كلاهما دخلا السجن في قضية التخطيط لقتل سمسار أراضٍ، وفعلاً قاما بالتنفيذ، واكتشف الأمر على يد جاسوس آخر، وانفجار الصاعق بيدي محمود، والجميع أفرج عنهم بعد قضاء المحكومية.

الجماعة الإسلامية في سجن عسقلان:

كان سجن الرملة ذا طابع مدني وجنائي، حيث كانت الأقسام خليطاً من السجناء الأمنيين والجنائيين. وكان السجن بسبب هذا الطابع أقل سوءاً من السجون الأخرى، مثل عسقلان وغزة وبئر السبع، وحرية الحركة فيه أيسر وإدارة السجن لا تتدخل في شؤوننا كثيراً، كما هي الحال في السجون الأخرى. فسياسة السجون الأخرى سياسة

إرهابية بامتياز، بالطبع هذا الحال في الأيام الأولى، أما اليوم، فالأقسام الأمنية في السجون المدنية أو الجنائية تتبع سياسة العزل، والعزل هو سياسة الإجرام التي تمارسها مصلحة السجون، بإشراف الشاباك الإسرائيلي. وفي صبيحة يوم الإثنين على ما أظن بتاريخ 1980/2/4 أقدمت مصلحة السجون على نقل أبناء القدس جميعاً من القسمين المذكورين كما أسلفت، إلى سجني عسقلان وبئر السبع. وكان سجن عسقلان وجهتنا أنا وإخواني من الجماعة الإسلامية من القدس. ولأن إجراءات التفتيش تخضع لمزاجية الابتزاز، والإذلال والكراهية، والتشفي والتخريب، فقد بعثروا أغراضنا وملابسنا، وداسوها بالأقدام، وقاموا ببعثرتها على أرض وسخة، وأخرونا حتى جاء الليل قبل أن يضعونا في الزنازين، استعداداً لنقلنا إلى غرف السجن في اليوم التالي.

نمنا ليلتنا في الزنازين، وفي تلك الليلة رأيت ابنتي فلسطين في المنام، تقف بين يديّ وتقرأ عليَّ هذا الشطر، من الآية: ﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾[10]، فانشرح صدري لهذه الزيارة، وهذه البشارة، وحمدت الله على ذلك. وفي صباح اليوم الثاني بعدما علت شمس النهار، بدأت إدارة السجن بتوزيعنا على غرف السجن، فمن هو مع الجماعة الإسلامية استوعبته غرف الجماعة الإسلامية في عسقلان، وأما أبناء التنظيمات الأخرى، فتنظيماتهم استوعبتهم عندها.

كان للجماعة في عسقلان ثلاث حجرات في قسم (أ) وهي (3+4+5)، وكل جماعة إسلامية في أي سجن من سجون الاحتلال (محاصرة إن لم تكن مقاطعة) من فصائل منظمة التحرير، سمعتها من كوادر فتح يقولون: أنتم إفراز غير شرعي على صعيد العمل الفلسطيني، قلت لهم: غرف الجواسيس ومواخير العار التي خرجت من بين ظهرانيكم، ومن صفوف تنظيماتكم، ماذا تقولون فيها؟ وأقولها شهادة للتاريخ: إن هؤلاء الجواسيس كانوا مقبولين على التنظيمات، أكثر من أي فرد من جماعة إسلامية، وصدق الله العظيم، الذي أثبت في كتابه على لسان قوم لوط قولهم في محاربة النبي وآله: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[11].

كانت ظاهرة تشكل الجماعة المسلمة في السجون مُشكلةً عند الثوار، الذين يزعمون أنهم يريدون تحرير فلسطين، ويا ليتهم حرروا أنفسهم من شهواتها، وحرروا أنفسهم

[10] **القرآن الكريم**، سورة فاطر، آية 2.

[11] **القرآن الكريم**، سورة النمل، آية 56.

من هذا الانسداد والعقم الذي لا يقبل الآخر، كأنهم والأنظمة والحكام العرب من طينة واحدة. كانت ظاهرة الجماعة مزعجة لهم، وغير مقبولة عندهم، حتى ولو كان أفرادها أكرم الرجال، وهم والله كذلك، حتى قالها رجال من فتح عن سياسة الاستقطاب: إن الشيخ أبو طير كالنحل لا "يُهدِّي" إلا على الزهرة الطيبة فيأخذها. والاستقطاب أن تنجح في كسب القلوب لدعوتك، وتحويلها إلى جماعتك. فمن استجاب لدعوتنا ونجحنا في استقطابه، تقوم الدنيا ولا تقعد، ويستنفر التنظيم، وتشحن الأجواء وتبدأ حملة التشكيك في هذا المناضل، ويقذف ويرمى بأبشع الأوصاف، وأنه ذو أخلاقيات سيئة، وربما هو مرتبط مع إدارة السجن، حتى يرعبوا هذا المخلوق، ولعلّه يتراجع عن الانضمام إلى الجماعة. ولقد وصلت "عربدة" التنظيمات وطغيانها، مع شباب اقتنعوا بفكرتنا، أن انهالوا عليهم بالضرب، ومارسوا ضدهم ما كانوا يسمونه "الإرهاب الثوري"، وكأن من انتسب إلى فتح مكتوب عليه منذ أن ولد، أنه عبد لفتح. نعم، أصبحت فتح صنماً يُعبَدُ من دون الله !! وحال التنظيمات الأخرى كذلك، ولا يجوز الخروج عليها بحال من الأحوال، أما فيما بين الفصائل، فلا حرج في حرية الاختيار، ولربما تحصل مشكلات لكن لا تصل إلى حدّ الصدام، والتنظير للماركسية لا حرج فيه بين الفصائل، أما الإسلام فإنما هي الحرب.

لقد مارسوا الإرهاب على الأفراد حتى قتلوا روح الفداء التي دخلوا بها، وباسم التنظيم وجهاز أمنه، كالحال اليوم في القمع الذي تمارسه أجهزة الأمن في الدول البوليسية. وإذا ما اقتنع فرد بالفكرة الإسلامية، فالاستنفار يبدأ عمله، ويبدأ عمل التنظيم بالترغيب، وإن لم ينفع الترغيب فالترهيب هو البديل، وإثارة الشبهات والإشاعات جاهزة، وسياسة التلفيق جاهزة، والحرب على الكتاب الإسلامي بلا هوادة. وبلغت الأحقاد عند الماركسيين، من أبناء الجبهات ومن الماركسيين عند فتح، أن أوقدوا النار في نسخ من كتاب "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي وطبخوا عليها، بحجة أنها كتب صفراء، وحصل هذا في سجن بئر السبع في السبعينيات من القرن الماضي، وامتد الحصار على الجماعات الإسلامية منذ أن ظهرت في السبعينيات، إلى أن خرجنا سنة 1985، في صفقة التبادل، وكذلك الحصار على الكتاب الإسلامي.

يقول المجاهد محسن ثابت في كتابه: نشأة الجماعة الإسلامية في سجون الاحتلال، تحت عنوان "منع تداول الكتاب الإسلامي"[12]:

لقد وضعت عناصر م.ت.ف برامج دراسة لعناصرهم لا يمكن إنجازها في أقل من خمس سنوات، ولم تتضمن كتاباً إسلامياً واحداً، كما أصدروا قراراً يُمنع فيه أخذ أي كتاب إسلامي، من مكتبة الجماعة الإسلامية إلا بإذن.

كما كانوا يحولون دون حصول أي عنصر من عناصرهم، على أي كتاب إسلامي من المكتبة العامة، وقد عاقبوا كل من اخترق هذه القرارات، حتى لجأوا إلى مصادرة عدة كتب إسلامية وتمزيقها، حصل عليها عناصرهم دون موافقتهم، مثل الإسلام ومستقبل البشرية للدكتور عبد الله عزام[13] وخصائص التصور الإسلامي للأستاذ الشهيد سيد قطب، وكثير من الكتب الأخرى، حتى إنّهم لجأوا إلى وضع الكتب الإسلامية، في أكياس تحت أسرَّتهم في قسم "3" في سجن جنيد، فقد وجد تحت سرير واحد، يعود للمدعو جمال السلامين، من السموع عدة أكياس، وحين سئل عن هذه الأكياس التي وضعها تحت سريره قال: لا يوجد لها مكان في المكتبة العامة، مع العلم أنّ المكتبة العامة يوجد فيها مجال لمثل هذه الكتب، بل لأضعاف مضاعفة منها.

كما لجأوا إلى أسلوب الإدعاء، بأن الكتاب مشغول ويقرأ فيه أحد الشباب، وهو في الحقيقة موجود عندهم في المكتبة، حتى هذه الكتب تراكم عليها الغبار، وحيل بين القارئ وبينها بالحديد والنار، ولم تسلم من عبثهم. وقد لجأ المدعو محمد سعيد أبو لاوي، إلى تمزيق كتاب الإسلام والقضية الفلسطينية لـ(عبد الله علوان) بعد دخوله المكتبة العامة بأربعة أيام. كما لجأ المدعو

[12] انظر: محسن ثابت، **مرجع سابق**، ص 54–56. [المحرر]

[13] **عبد الله يوسف عزام (1941–1989):** ولد في قرية سيلة الحارثية قضاء جنين. حصل على شهادة الدكتوراه في أصول الفقه من الأزهر في مصر، وعمل محاضراً في كلية الشريعة في الجامعة الأردنية. أحد أبرز مؤسسي "قواعد الشيوخ" والتي شاركت في العمل الفدائي ضدّ الاحتلال الصهيوني للضفة الغربية. غادر الأردن إلى السعودية ثم إلى باكستان، وأسهم في دعم الجهاد الأفغاني ضدّ الاحتلال الروسي. أسس مكتب الخدمات لدعم الجهاد الأفغاني وتفرغ لهذا العمل، واهتم في دعم الجهاد والمقاومة في فلسطين. له العشرات من المؤلفات، منها ما هو متعلق بالتحريض على الجهاد في فلسطين ودعم حركة حماس. اغتيل في 1989/11/24 بتفجير سيارته في بيشاور الباكستانية. انظر: عبد الله عزام، **حماس الجذور الأساسية والميثاق**؛ و**موسوعة الذخائر العظام في ما ورد عن الإمام الهمام القائد المجاهد الشهيد عبد الله عزام** (بيشاور: مكتب الشهيد عزام الإعلامي، 1997)، ج 1، ص 824–874؛ ومحمود عزام، **الدكتور الشهيد عبد الله يوسف عزام شيخي الذي عرفت**، سلسلة قادة معاصرون 3 (غزة: إبداع للأبحاث والدراسات والتدريب، 2011)، ص 170–193.

حسن الخطيب من حزما قضاء رام الله، إلى تمزيق كتاب السرطان الأحمر للدكتور عبد الله عزام، بحجة أنّه تهجم على الفصائل، كما أخفى أمين مقبول من نابلس —وقد تمّ إعادته— كتاب معالم في الطريق لسيد قطب عامين، ولم نستطع اكتشاف مخبئه، إلا بعد أن خرج للعمل في المكتبة، أحد العناصر المتعاطفة مع الجماعة الإسلامية سراً، اكتشفه فوجده يعلوه الغبار، ووجد كثيراً من الكتب الممزقة في إحدى زوايا المكتبة.

ومن أعجب القصص التي حدثت في معتقل بئر السبع، أن قام أحد مسؤولي فتح بتمزيق القرآن الكريم، واستخدم جلده لتجليد إحدى الكراسات، وقد رمى أوراق القرآن في المرحاض إلا أنّ الله سبحانه وتعالى، الحي القيوم الذي لا يغفل ولا ينام، اقتص منه اقتصاصاً فريداً من نوعه، فقد توفي والده أمام أنظاره أثناء الزيارة قبل أن يحدثه بكلمة واحدة، ولم يمضِ عليه بعد هذا الحادث وقت حتى وقع فريسة للمرض، وعانى معاناة لم يسبق لها مثيل، حتى غدت حياته سلسلة طويلة من العذاب المستمر، واستمر على هذه الحال ستة أشهر وتوفي بعدها.

وسألت الأخ المجاهد عمر البرغوثي (أبا عاصف) عن هذه الحادثة حيث كان موجوداً في بئر السبع وقتذاك فقال: إنّ المعني هو محمد خليل أبو الليل من الأغوار الأردنية.

حدثني الأخ المجاهد سامي حسين عن موجّه تنظيم فتح في سجن جنيد، واسمه هاشم فقوعه: أنه من باب إحدى الغرف رأى الأخ فؤاد الهودلي يقرأ القرآن وهو مضطجع على سريره، فدخل عليه الغرفة بعد أن طلب من السجان فتحها، وانتزع القرآن من يده ورمى به جانباً وهو يقول: في الخارج عندك الوقت الكافي لقراءة القرآن، أما هنا فالأولويات لكرّاسات التنظيم.

هذه أيام السبعينيات... أيام المد الشيوعي، وأيام الأممية لا أعادها الله على "أجاويده". وفي السبعينيات عند الفصائل جميعاً كان رمضان في عالم آخر، كان غائباً عن ساحتهم، فالطعام جهاراً نهاراً، وعلى أعين الناس يأكلون في الساحة ويدخنون، وأنّى لرمضان حُرمَة عندهم؟!. وبلغ الاهتراء عند أبناء التنظيمات في منتصف السبعينيات حداً غير مقبول، وهو أن مدير السجن واسمه ديسترفيلد كان يأتي بزوجه وضباطه، ويجلس على الكراسي لمشاهدة لعبة كرة السلة، بين فريقين من أبناء فتح والشعبية والفصائل الأخرى، بمناسبة عيد استقلال دولة الاحتلال!! ما حدا بشابٍ، روّي من حليب أمه، على

أن عمل عملاً أفسد على المدير نشوته، فضربه المدير فيما بعد على رأسه بالمكواة، ولا أدري ما مصيره. وقيل إنه مات رحمه الله، جرّاء تلك الضربة. المدير هذا هو من دخل علي لاحقاً في صلاة الجمعة، وبلغ الإجرام عنده أن سجاناً يهودياً تفاعلت عاطفته معنا فبكى على حالنا، وحال الأسرى في ساحة السجن، فأمسك به من أذنه وطرده من العمل. وهو من قال لي مرة على خلفية إضراب عن الطعام جمعنا مع بقية الفصائل، قال لي: أنت متدين وهؤلاء ماركسيون: "كومونست" —قالها بالعبرية— ما الذي جمعك بهم؟ فقلت له: نحن مظلومون، وأنت ظالم، هذا الذي جمعنا، فما أجاب.

استقبلنا إخواننا بحفاوة بالغة، وحتى في السجن: "من كثّر سواد قوم فهو منهم"[14]، وإخواننا في جماعة عسقلان شعروا بالنشوة، وفرحوا لحضورنا، ونحن وإياهم أبناء مدرسة واحدة، وفهمنا للإسلام منسجم مع تباين في الرؤى والآراء. لكن منذ الأيام الأولى، اتفقنا وإياهم على أننا جماعة واحدة داخل السجون، أما في الخارج فالجماعة التي تكون أقرب للحق فنحن معها، وكثيرٌ من أبناء الجماعتين كان يرى مستقبله في جماعة الإخوان المسلمين، لكن بعض إخواننا القدماء في جماعة عسقلان، كانوا يرون أن جماعة جبر عمار هي الأقرب للحق، والذي سأتحدث عنه وعن دوره في بناء الجماعة، وأنها بديل عن الجماعات، ولكنهم قلة وانتهى المطاف بجبر عمار وحيداً ليس معه أحد.

تفاعلنا مع إخواننا الذين بلغ عددهم في عسقلان 40 مجاهداً، وكنا نحن ما بين 10–15 مجاهداً، وقد ذكرت معظمهم من قبل، لكن من الوجوه البارزة التي استقبلتنا، أمير القوم الأخ صبحي الوحوش من حلحول، قائد دورية قادمة من الأردن، وذهبت ساقه بسبب لغم أصابه، وكان قائداً لجبل الخليل في مرحلة ما قبل اعتقاله، وكان شاباً مثقفاً جامعياً ذا حياء جمّ، والأخ المجاهد سعيد قاسم، من مخيم الرشيدية جنوب لبنان، وهما من المؤسسين للجماعة مع الإخوة جبر عمار وحافظ الدلقموني وجميل أبو عيشة، وجميعهم أسرى دوريات من خارج فلسطين، كانت تجربتهم قاسية ومريرة، ابتدأت بالتكفير، وانتهت بالنضوج، وكانوا يفهمون المفاصلة الشعورية التي تحدث عنها سيد قطب، باعتبارها القطيعة الفكرية مع العلمانية.

[14] لنص الحديث وتخريجه انظر في: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب (بيروت: دار المعرفة، 1379هـ)، ج 13، ص 37–38. [المحرر]

ثمّ استوعبت الجماعة فيما بعد، الإخوة: جميل نوفل، وزهير الرنتيسي، وإبراهيم مطر، وشعيب الحايك، وحمزة كنفوش، ومحمد أبو عيادة، ورجب الكيلاني، والشهيد مصباح الصوري[15]، وطلال خلف قريب لأبي إياد خلف، وعبد الحليم شهاب، وهؤلاء جميعاً من غزة، وكانوا ينتسبون إلى قوات التحرير الشعبية. وأما من فتح فالإخوة: فرحان اللوح، وعبد الرحمن الهجين، وأحمد صادق، والحاج ماجد قاسم من قلقيلية، والأخ المجاهد (أبو أحمد) عطا الله فايد، ويوسف الباز من البريج. ومن الجبهة الشعبية عماد أبو حية. كانوا رجالاً كالجبال، كأنهم "قرامي" الزيتون، ولاؤهم رائع، لا يقبلون الضيم. ومنهم من أكرمني الله بالعيش معه في غرفة واحدة، وهو الأخ المجاهد جميل نوفل (وأظن أن المجاهد القسامي أيمن نوفل، الذي سجنه نظام مبارك البائد، هو ابن أخيه)، وجميل هذا أصيب بمرض في عينيه، وذهب لعيادة السجن للعلاج، لكن دون جدوى، وانتهت به الحال أنه أصبح كالأعشى لا يرى، فقال: قرأت حديثاً للنبي ﷺ يقول: "من لزم الاستغفار جعل الله له من كل همّ فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب"[16] قال: فقلت هذا حديث عن النبي ﷺ، والذي لا ينطق عن الهوى، والأمر لا يحتاج إلا لليقين، فعزمت من كل ليلة قبل صلاة الصبح بساعة، وربما قبل ذلك بعد قيام الليل، أن أجعل للاستغفار نصيباً يزيد على نصف ساعة، والتزمت بذلك، وأتذكر ذنوبي وأستغفر حتى غلب على ظني أنني قضيت على ذنوبي بالاستغفار، وذات ليلة وبينما أنا نائم، أُدخلت غرفة عمليات للعيون، وأجريت لي عملية كاملة، ولما استيقظت من النوم شعرت بآثار العملية، وعاد لي بصري تماماً.

حصل ذلك وأنا معه في الغرفة، وكانت الغرفة تتسع لستة عشر رجلاً، جنباً إلى جنب كعلب السردين، على فرش أبلتها الرطوبة، واحدتها تسمى (الجومة)، وهي ما بين البلاستيك والجلد، سمكها أقل من نصف سنتيمتر، وكانت الغرف مضغوطة جداً، وكانت معاملة الإدارة قاسية، وكان شاويش الساحة يهودي اسمه جورنو، وهو قبيح

---

[15] **مصباح حسن الصوري ([1952]–1987):** ولد في مخيم المغازي في قطاع غزة لعائلة هجرت من بلدة الفالوجة. نشط في صفوف المقاومين إثر الاحتلال الصهيوني لقطاع غزة، واعتقل في السجون الصهيونية. قاد عملية الهروب من سجن غزة المركزي في 1987/5/18. انضم لحركة الجهاد الإسلامي وهو في السجن وتعدُّه الحركة أحد رموزها. أشرف على قتل قائد المخابرات العسكرية الصهيونية في غزة رنطال. استشهد في اشتباك مسلح مع قوات الاحتلال الصهيوني في 1987/10/6.

[16] لنص الحديث وتخريجه انظر: محمد ناصر الدين الألباني، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة** (الرياض: دار المعارف، 1992)، الحديث رقم 705. [المحرر]

المنظر، يقف في الساحة ومن لا يعجبه منظره يصفعه بيده، هذا في الأيام الأولى، يوم أن كان لا يسمح لأكثر من اثنين بالمشي معاً.

منبر الجمعة:

في سجن عسقلان منعت إدارة السجن خطبة الجمعة في الساحة، كل غرفة لها خطيبها من غرف الجماعة، أما غرف الفصائل فلا رمضان ولا صيام ولا صلاة ولا جمعة إلا القليل، الذي يقوم بهذه الفرائض على انفراد واستحياء، ولا تخلو صلاة لأحدهم من الغمز والتعليق من الشياطين حتى يوصلوه في النهاية إلى ترك الصلاة. ومع الأيام أزعجت الخطبة في الغرف والبعيدة عن الأسماع إدارة السجن، لتكون على علم فيما يُقال، فطرحت علينا وعلى الفصائل الصلاة في الساحة. لكن الفصائل رفضت الفكرة بادئ الأمر؛ لأنها منبر للجماعة، وأن الجماعة ستقول كلمتها التي حيل بينها وبين الناس، وكان حلمها من قبل، أن تصل كلمتها إلى الناس، والساحة في وسط السجن، وكل من في السجن سيستمع إلى الخطبة رغم أنفه، خاصة مع عدم وجود التلفزيون أو الراديو. واقتصر الأمر في الصلاة داخل البهو أو "المردوان" مع فتح غرفنا للصلاة، إلا أن إبقاء الغرف مفتوحة، لم يعجب الإدارة، فخرجنا للصلاة في الساحة. وكان ذلك بوابة للدعوة إلى الله، ونافذة لكل من يحب أن يستمع، ومع أن ساحة الفصائل الفكرية مادية، قائمة على الإلحاد ومَنْ لم يكن على الإلحاد فهو في السوء أسوأ من أولئك، فإن لكلمة الحق قوةً وبياناً، وفي موقف تنتظره الساحة بآذان وحواس مشدودة، افتتحت خطبة الجمعة بالآية الكريمة ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[17]، وما إن وقفت لخطبة الجمعة، وتلوْتُ الآية على مسامع الناس، وبعاطفة اقشعرت لها الأبدان، حتى لكأن ما أثقل القلوب قد انزاح عنها، فمست من الناس شغاف قلوبهم. كنت أيامها خطيباً أوتيت تأثيراً على السامعين، وما من يوم جمعة إلا والحاج ناجي أبو نجمة رحمه الله، يقول لي: أنت فارسها.

وأنّى لي اليوم أن أبلغ مرتبتي في تلك الأيام؟ ولربما أن الفترة الزمنية مع الصراع الفكري، كان لها أثرها في التحدي، وأذكر أن شاويشاً من يهود روسيا، قال على مسمع من أحد الإخوة، وأنا أخطب الجمعة، "الشيخ أبو طير كالديزل، كلما حمي... علا صوته".

[17] **القرآن الكريم**، سورة فصلت، آية 26.

ومرت سنتان ونصف السنة وأنا خطيب الجمعة في عسقلان، إلى أن رحّلتني إدارة السجن والأخوين صبحي الوحوش والحاج ماجد قاسم إلى سجن بئر السبع؛ لأني وقفت خطيباً وتناولت الحرب على الجنوب اللبناني في حزيران/ يونيو سنة 1982. وقلت إن الذي يقاتل في الجنوب اللبناني ويتصدى لقوات الغزو، كالذي يدافع عن مكة والمدينة. فكان الترحيل. وقبل الترحيل انتقلنا من قسم (أ) إلى قسم (ج) (مقابل قسم (أ) على الساحة)، انتقلنا لأن عددنا زاد على ثلاثة غرف، فامتلأ قسم (ج) بغرفه الخمس من شبابنا. وأصبح عددنا 70 مجاهداً، وأصبحنا الكتلة العقائدية الأولى في السجن. وعلى الرغم من هذا الثقل، فإن معاملة الفصائل لنا بقيت على حالها، إلا بعض الانفتاح بسبب خطب الجمعة، وأكثر من يحمل لك الكراهية هم الماركسيون، الذين يحتضنهم تنظيم فتح أكثر من الجبهة الشعبية، وكان ماركسيو فتح يكفون الشعبية أية مواجهة.

الجماعة الإسلامية والإخوان المسلمين:

وذات مرة وأنا في القسم الأول في سجن الرملة سنة 1976 أو 1977 زارني الأخ الدكتور (أبو مالك) ناجح بكيرات، وقد تخرج من المعهد الشرعي، وكان يعمل إماماً في قرية عبوين من قضاء رام الله، فسألته عن أوضاع الخارج، وعن العمل الدعوي، وفي إطار أية جماعة يعمل، فأجابني أن الظروف صعبة، وأن الناس في جفاء مع الدين لتسمم الأفكار. وقد استفحل بين الناس في تلك المناطق الحزب الشيوعي، حتى إنهم من المكر والدهاء يدخل بعضهم المسجد للصلاة من أجل الإساءة والتشكيك، وقد بدا لي أنه متحفظ من ذكر الجماعة التي ينتمي إليها، للشبهات التي تثار ضدّ العمل الإسلامي ولضراوة الحملة التي تُشن ضدّ جماعة الإخوان المسلمين من بقايا خصومة جمال عبد الناصر. فقلت له يا أخي، اصدع بالذي نؤمن به، واعلم أننا هنا في السجن، لا نجد بديلاً عن جماعة الإخوان، وقد عرفها آباؤنا من خلال حرب فلسطين.

وفي سجن عسقلان بقيت الجماعة الإسلامية متماسكة، ويغلب عليها فكر الإخوان المسلمين؛ لأنه لا يوجد في الساحة من هم أنضج منهم، وفرصتنا في الوصول إلى الصورة الناضجة، وإلى الحقيقة، من خلال قراءتنا لكتبهم، والاطلاع على تجربتهم، التي بذلوا من أجلها الدماء والأرواح في السجن. تعرفت على الأخ عبد الحليم شهاب، وتبين لي أن له بيعة مع جماعة الإخوان، وشباب آخرين مثل زهير الرنتيسي وجميل نوفل، وكنت أُنَظِّر لجماعة الإخوان قبل أن ألتحق بركبها، فمن يرى الحقيقة ويدير لها

ظهره فهو أعمى. ولقد جاءني الأخ عبد الحليم وطلب مني البيعة للإخوان، وما ترددت، أعطيته إياها ومشيت، وكان في الجماعة إخوة لهم وجهة نظر أخرى، كانوا يروْن في ثورة الخميني نموذجاً، وهم في طريق الإعداد لتشكيل حركة الجهاد الإسلامي، وكان الأخ أحمد مهنا من القرارة من غزة، يُنظِّر لهذا الاتجاه، ومن حوله إخوة كرام منهم الشهيد مصباح الصوري، والأخ المجاهد زياد نخالة، نائب الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي في الخارج، لكن بقليل من الحزم حافظنا على سلامة الجماعة.

وبقينا على الوفاء لهذه الجماعة، ولم يخرج منا أحد عن إطارها؛ لأنه كما قال رسول الله، ﷺ: "إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية"[18]، ولأن الفصائل تريد أن ترى فينا يوماً، ويوم السعد عندها أن تذهب ريح الجماعة، ولكن الله تعالى يقول على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[19].

إضراب من أجل اللحية:

كانت إدارة السجن بادئ الأمر تمنعنا من تربية لحانا، والإخوة في عسقلان قبل وصولنا إليهم، أضربوا عن الطعام سبعة عشر يوماً، من أجل تربية لحاهم. وإن كنا اليوم لا نرى ضرورة للإضراب عن الطعام، ولكنها أيام تحدٍّ وكانت التربية على نصوص السنة فولاذية، فالأخ جبر عمار مثلاً، وهو مؤسس الجماعة في عسقلان، من قسوة تربيته (ولا ألومه فهو عسكري)، كان لا يقبل كأساً من الماء، أو أي حاجة تُقدم باليد اليسرى. وَطَبَع الناس على ذلك، ونجح بين قوم كانوا في غربة عن الإسلام، وكانت إدارة السجن تستعمل الزرنيخ [مادة إزالة شعر] بالقوة، لكل من أطلق لحيته.

حرب في لقمة العيش:

هناك شيء كان على الثوار أن يترفعوا عنه، وأن لا يدخل في حساب الصراعات أو اختلاف الأفكار، هذا الشيء يخص طعام الأسرى، فإدارة السجن تأتي بالطعام لجميع الأسرى، ومَنْ في مطبخ السجن من العمال من فتح والجبهتين، ومسؤول المطبخ من العمال هو المسؤول عن توزيع الطعام على جميع الغرف بنسبة عددهم، ومعظم غرف

---

[18] لنص الحديث وتخريجه انظر: محمد ناصر الدين الألباني، **صحيح الترغيب والترهيب للمنذري** (الرياض: مكتبة المعارف، 1421هـ)، الحديث رقم 427. [المحرر]

[19] **القرآن الكريم**، سورة يوسف، آية 64.

السجن متساوية في عدد الرجال، 16 لكل غرفة فيما عدا ستّ غرف من أصل 30 غرفة، كان عدد الأسرى فيها 10 لكل غرفة، فلماذا لم يعدل الثوار في توزيع الطعام؟

في غرفنا صحن الفول لشخصين، ولربما لثلاثة أشخاص، وهي الوجبة الأساسية صباحاً ولا شيء معها، بينما في غرف المناضلين من فتح والجبهتين صحن لكل فرد. وما كنا ندري عن ذلك حتى زارنا رفاق في الشعبية ليلة أو ليلتين بسبب تصليح غرفة لهم. ولما رأوا حال الفول وسواه من الطعام والخضار تعجبوا من ذلك، وقالوا: بهذه الكمية يأتيكم الطعام؟ قلنا: نعم وعلى مرّ السنين، فقالوا: هذه حال غير مقبولة، نحن يأتينا الطعام بكميات أكبر.

فانظروا ظلمهم حتى في توزيع الطعام، ولا شكّ في أنه سيكون وبالاً عليهم.

الأذان والحاج مهاوش:

كان الأذان ممنوعاً من إدارة السجن، وكانت الإدارة بسجانيها تضيق ذرعاً بالأذان، ولا تريد أن تسمح به أو تسمعه. لكنّ شباب الجماعة، كلما ذهب واحدٌ منهم إلى الزنازين حلّ محله آخر يرفع الأذان. واستمرت الحرب طويلة، إلى أن استسلمت الإدارة، واستمر رفع الأذان.

كان من الذين رفعوا الأذان، الحاج مهاوش الحشاش من رفح، وكثيراً ما ذهب إلى الزنازين من أجل ذلك، وفي الزنازين كان يؤذن مما يزيد في سخط الإدارة؛ لأن مكاتبها قريبة منه. والحاج مهاوش يزيد على الخامسة والخمسين من عمره، وقصته كما حدثني: أنه دخل مَع دورية عن طريق وادي عربة إلى النقب، وكانت مجموعته ثلاثة وهو رابعهم، وكانت القيادة لشاب اسمه حسين، والحاج مهاوش دليل ومقاتل، وهو مَنْ نجح في تهريب الأخ ناهض الريس (أبو منير) من غزة إلى الأردن عندما كان مطارداً.

اكتُشف أمر الحاج مهاوش ومجموعته في الطريق، واشتبكوا مع العدو الصهيوني، واستشهد منهم اثنان، ووقع في الأسر حسين والحاج مهاوش. يقول حسين: قلت للحاج مهاوش، إذا سألوك في التحقيق عن قضيتنا، فقل لهم: إننا مهربون، "احنا شغل تهريب"، وأومأ الحاج برأسه علامة الموافقة. ولما وصلا إلى ساحة التحقيق في سجن غزة، سأل مدير السجن الحاج مهاوش، على ماذا أنتم معتقلون؟ فقال الحاج بثقة مطلقة كلمةً كلما أتذكرها تحضرني الابتسامة، ويغلبني الضحك لما حدثنيها. على ماذا أنتم

هنا؟ ويجيب الحاج مهاوش بما لا يتوقعه زميله حسين، نحنُ جيش تحرير، جيش تحرير، يرددها لمرتين وحسين يتميز غيظاً، من اعتراف الحاج، وبوخزة منه وصوت خافت: يا حاج، قلت لك قل لهم إننا مهربون، لكن الحاج يُسألُ مرةً أخرى: والجواب هو، هو، "إحنا جيش تحرير، جيش تحرير"، وينهال الضرب على حسين بدلاً من الحاج. وهكذا، جيش تحرير.

مؤسس الجماعة الإسلامية في سجن عسقلان:

وقبل الخروج من عسقلان لي وقفة مع الأخ الحبيب جبر علي عمار، مؤسس الجماعة الإسلامية في عسقلان، وجبر، حفظه الله، ضابط في قوات التحرير الشعبية، بقايا جيش التحرير الفلسطيني، الذي أُسس نهاية سنة 1964، وأُتبع لقيادة منظمة التحرير ورئيسها أحمد الشقيري.

جبر تخرج من جامعة الإسكندرية قبل حرب 1967، والتحق بجيش التحرير برتبة ضابط، وهو من عائلة مهجّرة، من قرية من قرى المجدل اسمها بيت دراس، وكنت قد تحدثت عنها من قبل... وتتميز بعناد رجالها، وجبر من هذا الطراز من العناد. استشهد أبوه قبل التهجير في حربه ضدّ المحتل، وتزوجت أمه وهو صغير، وقامت على تربيته جدته وعمته كذلك.

أخونا جبر هذا، لم يقتصر نشاطه على الساحة الأردنية، يوم أن كانت الثورة في الأردن بعد حرب 1967، بل تعدّى ذلك إلى الساحة السورية، وقطاع غزة أخيراً. فقواعد الفدائيين في الأردن ومعسكراتهم كانت تشهد نشاطاً وتعبئة من الأخ جبر، وهو صدامي من الدرجة الأولى، وكان يلوم وبلهجة قاسية الذين يتخذون من عمّان وفنادقها منازل، دون قواعد المقاتلين في الجبال والأغوار، وكان يقول: من يريد أن يحرر فلسطين، فليترك الفنادق إلى الخنادق. وكنت ذكرت في حديثي من قبل، القائد الفلسطيني أبا علي إياد، رحمه الله، فذات مرة قدمت مجموعة من العراق تريد اللحاق بصفوف الثورة، وكان أفرادها سكارى، فاستقبلهم أبو علي إياد بقوله: فلسطين لا حاجة لها بالسكارى، تريدون تحرير فلسطين وأنتم سكارى، كيف؟ وأمرهم بخلع ملابسهم إلا ما يستر العورة، وجلدهم عراة، كان ذلك في غور الأردن. فالأخ جبر من حرارة صدره، ضاق به المسؤولون ذرعاً، فتخلصوا منه بنقله من الساحة الأردنية إلى قطاع غزة عن طريق

سيناء، وكان لهم ذلك. فدخل القطاع وتسلّم قيادة المنطقة الشمالية، وكان من جنوده الأبطال الشهيد عبد القادر أبو الفحم، رحمه الله، والذي استشهد في الإضراب عن الطعام في سجن عسقلان سنة 1970.

كانت غزة في أيامهم في الليل للفدائيين، وفي النهار لجيش الاحتلال، وكانت عمليات عبد القادر أبو الفحم من أجرأ العمليات، وهي كثيرة، قيل إنها بلغت أكثر من 300 عملية عسكرية، رحمه الله.

وبقي جبر في قيادة المنطقة الشمالية، إلى أن أُلقي القبض عليه، واعتقل وخضع للتحقيق في سجن غزة المركزي، وهو ما يسمى السرايا اليوم، وحوكم، ورُحِّل إلى زنازين عسقلان في تلك الأيام، لما تميز به من قوة شخصية وجرأة عجيبة. ففي المحكمة، وقبل أن يصدر قرار الحكم، وقف وتحدث عن واجبه نحو وطنه وتحرير فلسطين، وأن الصهاينة محتلون لأرضنا وليس لهم مستقبل إلا الرحيل.

في زنازين عسقلان وقع بين يديه المجلد الثالث أو الرابع من تفسير ظلال القرآن لسيد قطب، رحمه الله، وقرأه جيداً وتفاعل معه، وخرج بما لم يكن في حسابه، فأقبل على القرآن وعلى كتب مثل الظلال تُنمي فيه شيئاً جديداً، وتنقله من حالة التيه والضياع إلى هدى الله، والعمل من أجل دين الله. لكن في البداية قامت فكرته على تكفير الناس؛ لأن فهمه للنصوص عند سيد قطب جنحت به، ولغة العرب عنده ما زال النحو فيها في بداياته. وما إن خرج من الزنازين إلى السجن حتى استقطب حوله رجالاً في جماعة إسلامية، لأول مرة في سجون الاحتلال. ولقوة شخصيته ولضعف التنظيمات في تلك الأيام في عسقلان، لم تواجه الجماعة في تأسيسها أي مشكلة، بل من الناس من كان يعجبه حالها لأسبوع، أو شهر، أو شهرين، ثمّ يدير لها ظهره ويخرج ويغادر؛ لأنه لا يقوى على شروط العيش فيها.

كان أكثر مَنْ في الجماعة من قوات التحرير الشعبية، ومن شباب الدوريات الذين دخلوا الحدود إلى فلسطين في عمليات عسكرية ضدّ الاحتلال ووقعوا في الأسر؛ منهم الأخ وأمير الجماعة فيما بعد أبو محمد حافظ الدلقموني، وسعيد قاسم، وصبحي الوحوش، ويوسف جاد الله، وشعيب الحايك، وقاسم دربل من سورية، وجميل أبو عيشة من الأردن، ومن قطاع غزة من ذكرتهم فيما سبق، وسلمان أبو حجاج من بدو سيناء، والأخ الفاضل عطا الله فايد أبو أحمد من فتح، وعيسى شاهين من بيت لحم. ولما قويت شوكة

الجماعة، وأصبحت قوة لها حضورها، خشي أبو علي عبد العزيز شاهين[20] من تزايد أفرادها وامتدادها، فقال للأخ جبر، الذي يتميز بقوة شخصيته، ويحظى باحترام جميع الفصائل: تعال أنت والجماعة إلى تنظيم فتح، واستلِم قيادته. فرفض جبر هذا العرض الذي من ورائه لعبة خبيثة لأبي علي شاهين، وهي ذوبان الجماعة في تنظيمه، وغياب هذه الظاهرة، التي استقطبت بمصداقيتها مَنْ فيها من أفراد، والتي كانت حاضرة بقوة في كل الخطوات الاستراتيجية داخل السجن كالإضراب.

كانت حال سجن عسقلان تعيسة، حيث كان جميع السجناء يفترشون في نومهم جلدةً؛ هي أقرب إلى البلاستيك منها إلى الجلد، وغطاؤهم من البطانيات التي تأتي بالأمراض بدلاً من الدفء، والتي تصيب الإنسان بالربو. هذه الحال طالت وجلبت إلى الأسرى الأمراض، وخاصة مرض البواسير، الذي سببه البرد والرطوبة، وكذلك أمراض أخرى. فتشاور الجميع على الإضراب عن الطعام، واتفقوا على ذلك بقيادة أربعة، هم: جبر عمار عن الجماعة الإسلامية، وأبو علي شاهين عن فتح، وعبد الله العجرمي عن الجبهة الشعبية، ومحمد حمدان عن الجبهة الديمقراطية. ودخل سجن عسقلان الإضراب أول مرة بهذا الزخم، لمدة خمسة وأربعين يوماً في المرة الأولى، وعشرين يوماً في المرة الثانية، وكان ذلك سنة 1976. ومطالبهم كانت فرشات للنوم، وتحسين أوضاع المطبخ وظروف الحياة المعيشية، وبحبوبة في الوقت أكثر عند الخروج إلى الساحة[21].

إنها معركة الأمعاء الخاوية، يعيشها الرجال في سجن عسقلان، وتتضامن معهم السجون يوماً أو يومين، وأطنان من الشحوم ذابت من أجل أن تتحسن ظروف حياتهم، لكن دون جدوى مع عدوٍ حاقد يتلذذ على عذابات السجناء. ويفرض الإعلام دوره، ويسمع العالم عن إضراب الأسرى في عسقلان، ويتوسط رئيس بلدية غزة حينذاك، الحاج رشاد الشوا، والشيخ هاشم الخزندار، لدى الأسرى ويحملون مطالبهم، ولا

[20] سيرد في هذا النص العديد من الروايات عن دور الأسير [عبد العزيز] أبو علي شاهين، وموقفه السلبي من تأسيس الجماعة الإسلامية ودوره القيادي في بعض إضرابات الحركة الأسيرة، حول أبو علي ومسيرته النضالية انظر: محمد القيسي، **الهواء المقنع: أبو علي شاهين خمسة عشر عاماً في الاعتقال الصهيوني، تاريخ شفوي** (تونس: كتاب لوتس، 1986). [المحرر].

[21] انطلق الإضراب المفتوح عن الطعام في سجن عسقلان يوم 1976/12/11، وبعد تراجع إدارة السجن عن الوعود التي قطعتها للأسرى قرر الأسرى استئناف إضرابهم من جديد يوم 1977/2/24. [المحرر]

يريدون كثيراً، إنما يريدون تحسين ظروف حياتهم. وأخيراً وبعد إضرابين كبيرين، استجابت مصلحة السجون، وقامت بتزويدهم بالفرشات.

وبعد الإضراب رحل جبر، وأبو علي شاهين، ومحمد حمدان، وعبد الله العجرمي إلى عزل سجن شطة، لأربع سنوات أو يزيد، إلى أن افتتحت مصلحة السجون سجن نفحة سنة 1980. ورحِّلوا إلى هناك، وبدأ إضراب نفحة منذ الأيام الأولى لافتتاحه[22]. وعادت مصلحة السجون بجبر وأبي علي شاهين إلى العزل مرة أخرى، وبعد حين نقل الاثنان إلى سجن غزة، وبقي جبر هناك إلى أن كانت عملية تبادل سنة 1983، فخرج مع الصفقة... وهو اليوم يعيش في السودان.

وفي إضراب نفحة هذا سقط شهداء جراء الإهمال الطبي، حيث كان يُرغم السجين على شرب الحليب عن طريق أنابيب توضع في الحلق تُسمى "الزوندا"، وتضل طريقها إلى الرئتين، مما يسبب حالة خنق تؤدي إلى وفاة السجين. وكان ممن خاض هذه المعركة ومضى شهيداً إسحق مراغة من سلوان، وهو شقيق لأبي موسى، الذي قاد فتح الانتفاضة بعد الانشقاق الذي حصل بعد الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان، وعلي الجعفري من مخيم الدهيشة، وراسم حلاوة من غزة. وحيا الله الشهداء، وحيا الله جبر وجزاه الله خيراً، ومدّ في عمره بالعمل الصالح.

من رجال الجماعة في عسقلان:

في عسقلان تعرفت على رجال، كانوا في جاهليتهم محبطين من ثقل الأيام عليهم في السجن، ومن الفراغ القاتل الذي تعاني منه الروح، بل كان عنوان حياتهم الضياع، وعلى صعيد السلوك فلا انضباط. وممن تعرفت عليه الأخ حمزة كنفوش، الذي كان بينه وبين الدين والتدين جبال ووديان، ولطالما سخر من الدين وأتباعه، وغلظة القلب سمة من سماته، قبل أن يدخل الجماعة، وفي رقبته مِنَ الأرواح عشرين قتيلاً من الجواسيس، وصوم رمضان في غير وارده، وعلى أعين الناس في رائعة النهار في رمضان يتناول طعامه. ولما أذن الله له بالهداية، ولحق بركب الجماعة، استقام أمره، ومضى على بيعته

[22] بدأ إضراب سجن نفحة في 1980/7/14 وكان السجن افتتح في أول أيار/ مايو 1980. للمزيد عن إضراب سجن نفحة المركزي انظر الوثيقة المهمة: جبريل الرجوب، **نفحة يتحدث بعد ثلاثة وثلاثين عاماً: معركة الأمعاء سجن نفحة 1980** (رام الله: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2014).

إلى يومنا هذا. ويا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك. ولما حضر الشيخ أحمد ياسين رحمه الله، إلى عسقلان سنة 1984، كان حمزة ومعه الأخ محمد درويش، رحمه الله، من القائمين على خدمته والاهتمام به، حيث إن الشيخ كان قعيداً مشلولاً، كلاهما يقومان على طهوره وغسله وقضاء حاجته، إلى أن مَنَّ الله علينا بالفرج، وخرجنا جميعاً من السجن في تبادل 1985، في صفقة التبادل التي قادها أحمد جبريل، والتي ما عاشت فلسطين فرحة مثلها. وأخونا حمزة له مع الشيخ صولات وجولات. قال له يوماً: نريدك أن تغني لنا، والشيخ رحمه الله، صاحب نكتة، أي أغنية، وإذا بالشيخ يغني لهم "الأرض بتتكلم عربي... الأرض" لسيد دوريش، وهات ضحك وانبساط. وحمزة هذا لما خرجنا من السجن عمل حارساً في الجامعة الإسلامية، إلى أن أبعد إلى مرج الزهور، وبعد عودته رجع إلى وظيفته، ولمرات زرته في بيته في مخيم الشاطئ. ومن فكاهات الشيخ أحمد ياسين أنه كان إذا خلا الجو بأحدٍ من مريديه، نادى عليه بصوته المبحوح تعال، تعال ننزل جولة مصارعة.

وكان معنا، وممن تعرفت عليهم، أبو العز الكتري محمد عبد الوهاب حمد، وهو من عائلة مناضلة ومجاهدة، وبيته كله إما لفتح أو الجهاد أو حماس، له ثلاثة إخوة في فتح، وواحد في الجهاد، وأما هو ففي حماس. وكثيراً ما مارسنا الرياضة معاً في السجن، وتشرفت بزيارته في بيته، وزارني في بيتي، وتعرفت على إخوته جميعاً، وهو اليوم وكيل وزارة الأسرى في غزة.

وفي عسقلان، وبقية السجون، كانت كتب منير شفيق، الذي صار من المفكرين الإسلاميين، هي المعتمدة عند حركة فتح. وكان حملة الفكر الماركسي في فتح يعدّونَ الأخ منير هو المنظِّر للحركة، وجعلوا من قراءة كتبه الماركسية غطاءً لنشر الفكر في التنظيم، فكان الأخ منيرُ يسرح ويمرح من خلال كتبه. ولما جاءنا بطلعته الجديدة، وبنقلته الرائعة، وخاصة كتابه الإسلام والحضارة، والذي قرأته بشغف، ووجدته في كتابه هذا أكثر من أنصف الدولة العثمانية بمنطق علمي، بعد أن ظلمها القوميون العرب، ولما قلنا لأحباب منير شفيق، إليكم ما أتى به الأخ منير، وأن الرجل قد أصاب كبد الحقيقة، لووا رؤوسهم، وتململوا وأُربكوا.

ولما تشكلت سرايا الجهاد في الثمانينيات من القرن الماضي، بفريق من الأحرار، وكان وراءهم، كما سمعت، الأخ منير شفيق، وهم من الذين لهم حضور الأبطال في

ساحات القتال، في الجنوب اللبناني، وحيثما كانوا قبل حرب حزيران/ يونيو 1982، وما بعدها، وعلى الخصوص كتائب القسطل والجرمق وغيرهما. كان من طلائع هذه الكتائب، وممن وقف على قيادة السرايا، الإخوة الشهداء: محمد حسن ابحيص، ومروان الكيالي، وحمدي سلطان التميمي. وكان وراءهم كما ذكرت في الإعداد والتنظيم والتنظير الأستاذ منير. واستطاع هؤلاء القادة استقطاب رجال المعارك، والمشهود لهم من قاعدة فتح التنظيمية. وعلى خروجهم هذا حوصر هؤلاء بالمال، حتى لا يخرجوا من تحت عباءة التنظيم، لكنهم صبروا على هذا الحصار، ودفعوا ضريبته... فرحلوا شهداء. ولقد حاول أبو جهاد الوزير جاهداً أن يحتويهم، لكنه لم يفلح أمام رجال همتهم أكبر من الابتزاز.

لقد حظي هؤلاء القادة بثقة إخوانهم من المخلصين، وكان لهم حراكهم على صعيد العمل المقاوم، وقُدِّر لثلاثتهم أن تجمعهم قبرص في مهمة، فانفجرت بهم سيارتهم في قبرص، وقيل إن الموساد Mossad هو مَنْ دبّر ذلك.

وممن تعرفت عليهم داخل السجن وخارجه، من مدرسة الأستاذ منير والقادة الثلاثة، الأخ حازم عسيلة (أبو جابر) ومجموعته، والأخ أحمد شعبان، وهو من القدس كذلك، والأخت عطاف عليان[23]، التي ضربت أروع الأمثلة في الصبر على المحنة والثبات داخل السجون. ويكفيها شرفاً وفخراً أنها أضربت عن الطعام أربعين يوماً من أجل رفع الضيم عن أخواتها. وتزوجت فيما بعد من الأخ المجاهد وليد الهودلي (أبو أحمد)[24].

---

[23] **عطاف داوود عليان (1962–):** ولدت في بيت لحم، انضمت لمجموعات سرايا الجهاد، وتدربت سنة 1980 في معسكرات حركة فتح في لبنان. شاركت في التخطيط لعملية استشهادية بسيارة مفخخة تستهدف مبنى رئاسة الحكومة الإسرائيلية سنة 1987، بإشراف من الشهيد حمدي سلطان التميمي أحد مؤسسي السرايا. اعتقلت في 1987/8/2 قبل وقت وجيز من تنفيذ العملية، حكمت بالسجن لمدة عشرة أعوام، أضيف إليها لاحقاً خمسة أعوام لمهاجمتها سجانة صهيونية. أطلق سراحها سنة 1997، ثم أعيد اعتقالها أكثر من مرة لنشاطها في حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين. ناشطة في المجال الاجتماعي والسياسي، متزوجة من الأسير المحرر وليد الهودلي ولها طفلة.

[24] **وليد إبراهيم الهودلي (1960–):** ولد في مخيم الجلزون قضاء رام الله لعائلة هجرت من قرية العباسية سنة 1948. تخرج من معهد المعلمين في مدينة رام الله، ليعمل بعدها مدة أربعة أعوام كمعلم للرياضيات. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني، أبرزها اعتقاله سنة 1990، وحكم لمدة 12 عاماً ونصف. قضى أغلب فترة سجنه في الكتابة الأدبية، حيث خرج من السجن بثلاث روايات وسبع مجموعات قصصية. مدير مركز بيت المقدس للأدب. أبرز نصوصه **مدفن الأحياء** (1998)، **وستائر العتمة** (1999).

وما زلنا في سجن عسقلان، الذي فتح أبوابه لكثير من أبناء فلسطين، ومن العرب، ومنهم الأخ حسين أبو كويك، اللاجئ من اللد في مخيم الأمعري. حسين هذا لحق بركب الجماعة منذ أن وصل إلى عسقلان، وأثار ذلك حفيظة فتح على الخصوص، والتنظيمات التي عملت وتعمل جاهدة على تحجيم الجماعة الإسلامية. ومن بعده جاءنا فتى دون الثامنة عشرة من عمره هو سلمان أبو عيد، من قرية بدو قضاء القدس، اعتقل على خلفية انضمامه للجبهة الديمقراطية، واعترف في المسكوبية بأنه انضم لصفوف هذا التنظيم، ولكنه قطع اتصاله بهم، وهجر التنظيم قبل دخول السجن. ولما انتهى به التحقيق إلى غرف المسكوبية... التقى أسرى من السجون، منهم عمر القاسم وآخرون. ومع ساعات النهار، كان الحديث يتفاعل لدى الثوريين في التنظير والتحريض على الخارجين عن الخط الوطني حسب زعمهم، وهم أفراد الجماعة الإسلامية. وكلما حضر عندهم مناضل جديد خارجٌ من زنازين التحقيق، افتعلوا له الحديث عن قصد وتخطيط، في تعبئة خاطئة وحملة ضارية، ضدّ الجماعة والمنتسبين إليها. ويذكر في السياق التحريض ضدّ الشيخ أبو طير، ليتوجس سلمان ومن يسمع مخافة أن يلحقوا بركب الجماعة، وأوحي إليهم من خلال الحملة أن الجماعة بأفرادها جواسيس.

يقول سلمان: ما سمعت بالشيخ أبي طير إلا منهم، وقلت ما شأنه أن يُذكر بالسوء؟ ولما تقرر ترحيلنا إلى عسقلان، بعد هذه الموعظة البائسة، وحطت بنا الرحال في الزنازين قبل الدخول إلى السجن، أنا والأخ نادر علاء الدين من بيت لحم، وكنتيه أبو طلحة، تشاورنا في الأمر... وفيما يقال عن الجماعة، وهل صحيح ما يشاع حولها من شبهات؟ فما العمل إذن؟ الديمقراطية عرفناها في الخارج، ونحن قوم مفطورون على التدين. فعزمنا الأمر بعد تشاور بيننا على أن نلحق بركب الجماعة، مع خطّ رجعة إذا تبين لنا ما يشاع عنها، وهو الخروج منها، والخروج أسهل من الورطة مع الفصائل. فناموا ليلتهم في الزنازين، وعند الضحى قدموا إلى غرفتنا، فاستقبلناهم ورحبنا بهم، وأخذناهم بالأحضان. ولا شكّ في أن كل من يلحق بنا، هو رصيد لنا، ودم جديد لهذه الجماعة.

وما إن علمت الديمقراطية بدخول سلمان عندنا، وإذا بمسؤول منهم يقال له فايز الغوراني يقف قبالتنا وينادي بصوت عالٍ: يا رفيق سلمان —وسلمان في حينها لا يعرف الفرق بين أخ ورفيق— يا رفيق سلمان —وكأن كلمة الرفيق عند سلمان ولدت مع لينين أو ماركس— علا صوت فايز: يا رفيق سلمان، ومرة أخرى: يا رفيق سلمان،

أنت ابن الديمقراطية، ودخلت السجن على اسمها، وهنا كل إنسان يدخل عند تنظيمه، وهؤلاء الناس الذين أنت عندهم ودخلت عليهم غير وطنيين. قالها فايز بصوت عالٍ يستفز الحجارة. وكنت وسلمان واقفيْن عند شباك الغرفة؛ لأنه يوجد بهو بين الساحة والغرف، يقال له "مردوان". قلت: يا فايز، اغرب عن هذا المكان، وإلا كان لنا معك شأن آخر. فقال لِيَ الأخ حسين أبو كويك، وكان إلى جانب فايز في الساحة: أتأمرني بضربه؟ فقلت له: لا، وهذه مشكلة سهل حلها. وقلنا لسلمان: هذه جعجعة فلا تقلق. وبقيت هذه المشكلة عالقة لأكثر من أسبوع. وقلت لأخوين كريمين، كل واحد منهما "قرمية" زيتون، الواحد منهما "مجدول جدلاً" ما شاء الله، رجب الكيلاني من بيت لاهيا من غزة، وعبد الرحمن الهجين من الزيتون من غزة، أنت عن يمين سلمان وأنت عن شماله —طبعاً هذا الاختيار له مغزاه عند الفصائل؛ لأن شريعة الغاب هي التي تحكم الساحة الاعتقالية— وإن حاول أحد من الديمقراطية الحديث مع سلمان، فقولا له: اذهب إلى الشيخ أبي طير وتحدث إليه. ثمّ عقدت جلسة اقترحتها التنظيمات فتح والشعبية والجماعة، جلس فيها الأخ زهران أبو قبيطة عن فتح، والرفيق محمود جدة عن الشعبية، وسلمان وأنا عن الجماعة، وتحدث إليهم، وخرجنا من الجلسة بأن تتراجع الديمقراطية عن استفزازها وأن تعرف حجمها، ولا سلطان لها على سلمان، وقدر الله فيما بعد أن تجمع بيننا وبين سلمان المصاهرة؛ فقد تزوج من أختي.

وفي ساحة عسقلان مات أبو عيسى الشطريط من حلحول، مات على إِثْرِ نوبة قلبية لم توصله إلى المستشفى، رحمه الله. ولما وصل جثمانه إلى حلحول، إلى مَسقط رأسه، رفضت عائلة ملحم دفنه في مقبرة البلدة؛ لأنه قتل مختارهم أيام الثورة الأولى، يوم أن كانت في الأردن، وكان لها هيبتُها. وباسم الثورة قامت مجموعة فدائية بقيادة أبو عيسى الشطريط بقتل المختار محمد ملحم بتهمة أنه عميل. فثارت عائلة المختار حميّةً له، ووقعت فتنة بين الناس، وتراجعت الثورة عن تبنّي العملية، وبرأت المختار من تهمته، وأن القتل ليس من مسؤوليتها. وبالطبع ليس هذا بجديد على الثورة الفلسطينية. ودفن أبو عيسى رحمه الله، في جوار مسجد سيدنا إبراهيم الخليل، عليه السلام.

إيه، يا عسقلان، مات أخونا يوسف كريّم من غزة في زنزانته، من المرض، ولم يعالج، بل إن أحد الإخوة أحضر له من نافذة الزنزانة علبة صغيرة من التمر، ومات وما استطاع أن يصل إليها.

من "التكفير" إلى "الجماعة" في بئر السبع:

على أثر خطب الجمعة التي كانت تعالج قضايا الساعة، وعلى الخصوص الحرب التي تدور رحاها على أرض الجنوب اللبناني، وما جرى للشعب الفلسطيني في مخيمات الشتات، خاصة صبرا وشاتيلا، والمجازر التي حلت بالأهالي هناك. والدور القذر الذي لعبته الكتائب اللبنانية بدعم من قوات الاحتلال، يوم أن اقتحمت المخيمين، وأزهقت الأرواح ومثلت بالجثث، ومقابر جماعية، يندى لها جبين البشرية.

كنا نحرص على أن نحيي في الفدائي ما مات، ونعيد له ما فات، بعد هذه السنين التي تلوثت بالأفكار المادية، والترهيب الذي مارسته التنظيمات، ضدّ أفرادها حتى يبقى الدين منعزلاً، وحتى يبقى ما بينهم وما بين الدين باهتاً. ومع الأيام ركام يجثم بثقله على الفطرة، فتتنكب البوصلةُ طريقها. وترى كثيراً من الناس يعيشون الأمية، والأمية هنا ليست أمية القراءة والكتابة فقط، ولكن الحجر على الكتاب الإسلامي؛ كي لا يصل إلى أفراد التنظيمات هو الأميّة. ففي مكتبة السجن، إذا طلب قارئ كتاباً إسلامياً، ينتظر أكثر من أسبوع، حتى يمل بعينها ويتراجع عن طلبه، وهي سياسة لا محيد عنها عند التنظيمات في حربها على الكتاب الإسلامي، فسياسة التسويف هي الفاعلة والباقية، إلى حين خروجنا من السجن سنة 1985.

على كل حال، بعد جولتين في الزنازين أو ثلاث، أقدمت الإدارة على نقلي وأخوين كريمين من الجماعة إلى سجن بئر السبع؛ لأننا أزعجنا إدارة السجن بخطب الجمعة، وكذلك كنا مزعجين لأبناء الفصائل من الماركسيين، الذين رأوا في خطبة الجمعة منبراً للفكر الإسلامي، وميداناً للتعبئة.

في صباح يوم الرحيل لملمنا أغراضنا، وغادرنا عسقلان في ناقلة يقال لها بوسطة، تابعة لمصلحة السجون، وسارت الناقلة تطوي بنا الأرض إلى أن وصلنا إلى سجن بئر السبع. وهناك استقبلتنا إدارة السجن بمديرها، وَمِنْ حوله وعن اليمين وعن الشمال شرطة السجن في موقف إرهابي، على إثر إشارة وصلت من مدير عسقلان، واسمه آشر كوهن، إلى مدير سجن السبع واسمه آشر غرافو، أن هؤلاء يشكلون خطراً وإزعاجاً، والنقل في عُرف مصلحة السجون للتأديب. ولما انتهينا من هذا الاستقبال، ودخلنا إلى السجن بعد التفتيش، استقبلتنا إدارة أخرى هي "حكومة فتح" في السجن، فمنعونا من العيش معاً في حجرة من حجر السجن، في عملية تفريق بهدف ألا نجتمع،

وألا نعيش بعيداً عن أعين التنظيم القائد، وعن رصده. وخرج علينا ذياب اللوح من غزة، وهو الموجه العام للتنظيم، ومسلم الدودة من حلحول من مجموعة الأخ صبحي الوحوش، خرج علينا ذياب بلهجة متعالية في هذا السجن، تحاول أن تفرض علينا أنه "لا يوجد ولا يسمح بجماعة إسلامية هنا، والسلطة الكاملة هنا للتنظيم". فكتبت إليه برسالة روحها التحدي، وقلت له: شئت أم لا نحنُ جماعة، ولا نعطي ولاءنا لغير الله، ولن نقبل أن تحكمنا شروطك.

بادئ الأمر دخلت غرفة لفتح فيها شبان محترمون، رحبوا بي وتعاملت معهم بالأدب الذي علمنا إياه الإسلام. ونزل الأخ صبحي عند شاب من غزة اسمه محمد كشكو، في حجرة لاثنين يقال لها "إكس"[25]. وأما الحاج ماجد، فكان لإخوة من "التكفير والهجرة" غرفة خاصة بهم وينقصها فرد واحد، فكانت من نصيب الحاج ماجد، واستقبله إخواننا من التكفير والهجرة، واعترضت فتح على دخول الحج ماجد، عند إخواننا في التكفير والهجرة؛ لأن لها وصاية علينا، فلا يجوز أن يدخل الحاج ماجد إلا بإذنهم. وكان تعليقي على ذلك أنهم لا يثقون بأنفسهم، كما كانوا يقولون، ولا يزالون يرددون، أن المنظمة هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، ولا أدري من خولهم بذلك؟ فالشعب لم ينتخبهم حتى ولو فرضوا أنفسهم عليه.

لم يصبروا على بقائي في الغرفة، فطلبوا مني الانتقال عند الأخ صبحي بديلاً عن محمد كشكو ابن تنظيم فتح، فكان ذلك. وعشت وصبحي في الإكس، إلى أن تمردنا وخرجنا من بين صفوف المناضلين الذين لا يقبلون غيرهم.

في كل يوم نخرج للساحة، ويقال لها "الفورة"[26]، ويسلم علينا الناس في القسم الذي نحن فيه، من يعرفنا ومن لا يعرفنا. لكن مع الأيام تتبدى لك الحواجز، فالناس على خوف مما يثار حولنا، وحول أي جماعة إسلامية من شبهات ويتجنبوننا، وقليل من يجرؤ أن يمشي معنا... فلا تفاعل مطلقاً، وإذا ما تفاعل أحدٌ معنا دخل الأمن أو الرصد بيننا، ليستمع إلى الحديث حتى ولو لم يكن في الدين. ولأكثر من مرة دخل علينا

---

[25] الإكس: الزنزانة الصغيرة التي يوضع فيها الأسير، إما للعقاب أو التحقيق، وهي صغيرة الحجم وتخلو من مرحاض، ويوضع فيها أحياناً تنكة لقضاء الحاجة، وبعض "إكسات" التحقيق فيها مرابط حديدية لتقييد أيدي وأرجل الأسير. انظر: فهد أبو الحاج، **مرجع سابق**، ص 72. [المحرر].

[26] الفورة: المدة الزمنية التي يسمح بها للأسير بالخروج إلى ساحة السجن للترويح عن نفسه، وعادة ما تكون في ساحة صغيرة، وهي مدة قصيرة. انظر: فهد أبو الحاج، **مرجع سابق**، ص 59. [المحرر]

الأخ نبيل دعنا مدفوعاً من خلال مهمته لينقل ما يدور من حديث مع أي عنصر من فتح إلى هيئة التنظيم. والذي يطور علاقاته معنا يُغمز به من هنا أو هناك، ويلحن عليه من متبرع آخر، وإذا ازدادت الأمور على صعيد الاجتماعيات، ازدادت الضغوط حتى تصل أحياناً إلى الضرب.

نبيل دعنا متعوب عليه عند التنظيم، شُغله الرصد، وأولاً بأول يتم النقل إلى هيئة الأمن في التنظيم. نخرج للساحة كالغرباء، وتفاعلنا مقصور على جماعة التكفير والهجرة وليس الكل. والحاج ماجد تعب منهم وتعبوا منه، دعوه أولاً للدخول في جماعتهم... لكنه رفض، وليس عن جهل بفكرتهم، بل هو على علم واطلاع بهذا الفكر، فقالوا له لا تصلِّ معنا، بدعوى أنهم أقاموا عليه الحجة، ولا يجوز أن يصلي معهم، قال لهم: أصلي إلى جانبكم، قالوا: لا، قال لهم: ولو بشبر، قالوا: لا ولا بأكثر من شبر. فانظر إلى هذا الفكر العقيم الذي عاشه هؤلاء الشبان، إلى أن مَنَّ الله عليهم بخلعه.

تفاعلوا معنا وتبادلنا الأفكار، فلا هم أفلحوا في إقناعنا بفكرتهم، ولا نحن كذلك، لكن بقيت العلاقة بيننا قائمة، وعلى وجه الخصوص، مع أميرهم الشيخ فخري أسعد؛ وهو بحق، عالم ومتبحر في علم الحديث ومصطلحه، وقارئٌ للتفسير، وعلى الخصوص، تفسير الظلال لسيد قطب، وكأنه يحفظه عن ظهر قلب، متأثرٌ بالنصوص المحمولة على غير تفسيرها، وصاحب حجة، لكن عُمّي عليه وعلى أصحابه. فناقشناه هو على وجه الخصوص؛ لأنه هو من يعنينا، وإذا توصلنا معه إلى حلّ، فالآخرون تلامذة عنده ومن السهولة علاجهم. ويشاء الله بعد حين، وبعد مراجعته لكتاب الشفاء للقاضي عياض، وإذا بفخري أسعد، وكأن على صدره صخرة فانزاحت، كان في ضيق فانشرح صدره لسطور من كتاب الشفاء، وهو شفاء. فجاءنا الرجل ووقف على باب حجرتنا، وعلى استحياء قال: إنه قضى ما مضى من العمر على هذا الفكر وكأنه مخنوق، وأن الله سبحانه وتعالى أراد له الخير، ففرحنا وطربنا لحديثه، وشجعناه على التريث، وكثيراً ما بيَّنا له أن مواطن التلبيس تحتاج إلى فقه في اللغة العربية. وحمدنا الله على هذه النتيجة، وأن الله يريد لرحلتنا هذه أن تنتهي حالة التكفير على أيدينا، والتي طال عمرها وصاحبت هؤلاء الشباب لأكثر من 7 سنوات عجاف، تعرضوا من خلالها للموت، وأتت عليهم ظروف توضأوا وصلوا صلاة الشهادة، لِما لحق بهم مِنْ ظلم ذوي القربى، ولا شكّ في أن فكرهم من التطرف والصعوبة بمكان، فكانوا يعدون كل المساجد في الأرض مساجد ضرار، ويأمرون أهلهم بعدم الصلاة فيها.

نجحنا في إقناع فخري بوجهة نظرنا، بفكرنا ونهجنا، بفكر الإخوان المسلمين، وتقبل ذلك بارتياح، وقلنا له: ابدأ بالشبان القريبين منك؛ لأنهم متفاوتون، فأتانا باثنين منهم، هما ممدوح أبو ديّة، ومصطفى سنيورة من طولكرم، ولم نجد صعوبة في إقناعهما. ثمّ جاء دور الثلاثة الآخرين، فركبوا رؤوسهم وطاش عقلهم، وقال لي أحدهم وهو ناصر الأفندي، الذي تخلى عن كل شيء فيما بعد، وهو الآن ضابط في الأمن الوقائي الفلسطيني، قال عن فخري: هو مَنْ زرعه فينا كالإبر، كإبر المورفين، والآن يقول لنا: كنا هذه السنين على خطأ.

جادلوه وعلا صوتُهم في غرفتهم وكادوا يقتتلون، ومن فصاحته أنه قال لهم وهو جالس على سريره: أخلع ما كنت عليه كما أخلع ثوبي هذا. وخلع ثوبه أمامهم، فهاجوا، وتطاولوا عليه، وقال لهم: أنتم أزارقة، طوبى لمن قتلكم، وطوبى لمن قتلتموه. وانتهت ظاهرة التكفير فيما بعد، وخرجنا للصلاة في الساحة، وعجب الناس من فخري وهو يصلي معنا، وما توقعوا ذلك أبداً، أو أن يصلي بنا جميعاً واحد من فتح في جماعة؛ لأن فتح كانت لا تسمح لنا بإمامة الناس، وأكثر من هذا أنهم منعونا من خطبة الجمعة، فإدارة السجن في عسقلان نقلتنا لأسباب عدة، وأهمها خطبة الجمعة. ولما وصلنا سجن بئر السبع، وكان يوم الجمعة وحانت الصلاة، جاءت إدارة السجن بمديرها ليروا من خطيب الجمعة؟ وفتح لم تحترم هذا الجانب فينا، والخطيب فيهم لغته العربية تشتكي إلى الله، وكنت أعلق: تململ سيبويه في قبره، بل قرأ الخطيب ذات مرة في صلاة الجمعة من سورة عمَّ يتساءلون، ﴿مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ (بكسر الصاد) قرأها المعْصَرات (بفتح الصاد). وفي جمعة أخرى حضرت الإدارة بمديرها ليروْا من يخطب الجمعة، يريد أن يستمع إلينا لعله يهتدي! ولكن الثوار كفوه ذلك، ومكثنا بين ظهرانيهم قرابة سنة، ولم يسمحوا لنا لا بالإمامة، وهم عوام، ولا بالخطبة خوفاً من التنظير. ولما فتح الله على الأخ فخري وانضوى تحت لوائنا، قال رجل من فتح واسمه محمد فياض من نابلس: مَنْ استطاع أن ينقل فخري من حالته الأولى يستطيع أن يقلب السجن بسهولة.

وتوضيحاً لحال جماعة التكفير، فقد جاء في كتاب المجاهد محسن ثابت، عن نشأة الجماعة الإسلامية في سجون الاحتلال، ما يلي:

> وأعلنوا عن تشكيل نواة الجماعة 1970 إلا أنه لم يكن لهم أي اتصال مع الخارج، ما ساهم في عدم فهم قواعد الدعوة إلى الله، لغياب التوجيه الواعي، فارتكبوا بعض الأخطاء الفادحة كان أهمها:

تكفير كل المنتمين إلى فصائل م.ت.ف، حتى إنهم كانوا يفرضون على كل مَنْ ينتمي إليهم أن ينطق بالشهادتين، وأن يستحم، وقد بلغت بهم الحال أنهم كانوا يرمون الصابون في الزبل، بعد أن يستحم بها الأخ الجديد، ظناً منهم أنها نجسة، وعدّوا كل من لم يحكم بما أنزل الله كافراً... وغاب عن أذهانهم أنّ هناك كفراً دون كفر، وشركاً دون شرك، ونسوا أن الزاني حين زنى لم يُحكم عليه بالكفر، وبقيت الجماعة على هذه الحال، حتى يَسَّرَ الله للجماعة الأخ محمد أبو طير، والذي أعاد الميزان إلى طبيعته[27].

ويتحدث عن تأسيس الجماعة الإسلامية في سجن الخليل، حيث أسس الأخوان أحمد العواودة، وأحمد النمورة (الجماعة الإسلامية). وكان عددها لا يزيد على ستة أشخاص، وواجهتهم صعوبات جمة، وأوذوا من حركة فتح، ودليل ذلك قول جمال الشوبكي: لن نسمح بوجود أية جماعة خارج إطار م.ت.ف، مهما كلف الثمن[28].

وفي معتقل جنين، شكّل الأخ الشهيد نصر جرار[29] الجماعة الإسلامية، ولاقت ما لاقته الجماعات الأخرى، من الأذى والضرب والمعاملة السيئة من حركة فتح، وقد ابتدأت سنة 1978، وبرز عداء الشبيبة لطلائع الجماعة الإسلامية، وكان من أبرز المعادين محمد سلمان شديد من مخيم اليرموك في سورية، وسمير صبيحات من رمانة جنين، وعارف خطيب من حزما، الذي حاول منع أذان الفجر في سجن جنين، وقال للأخ نصر جرار كلمة لا تُنسى: "إنْ أتممت الأذان، لأدعسنّ على لحيتك بالكندرة". وضربت الجماعة جذورها رغم أنوف الأقزام، وها هي الجماعة اليوم قد وصلت في عددها إلى 28 مجاهداً[30].

---

[27] محسن ثابت، **مرجع سابق**، ص 12.

[28] **المرجع نفسه**، ص 13–14.

[29] **نصر خالد جرار (1958–2002):** ولد في وادي برقين قرب مدينة جنين. اعتقل لمدة عشرة أعوام سنة 1978، بعد إلقاء مولوتوف Molotov على حافلة صهيونية، وهو أحد مؤسسي الجماعة الإسلامية في السجون. اعتقل عدة مرات بعد خروجه من سجنه الأول لدوره القيادي في حركة حماس، واعتقل في سجون السلطة الفلسطينية. مع اندلاع انتفاضة الأقصى وفي سنة 2001، بترت ساقه ويده بعد انفجار عبوة كان يعدها. بعد قرار قوات الاحتلال باجتياح مناطق السلطة الفلسطينية، خرج ومجموعة من مقاتلي القسام في جنين لضرب العدو من خارج المدينة، واستشهد بعد معارك خاضها تغطية على انسحاب إخوانه المجاهدين في بلدة طوباس في 2002/8/14.

[30] محسن ثابت، **مرجع سابق**، ص 14.

ذهبت والأخ صبحي إلى مسلم الدودة من حلحول، وهو الناطق باسم السجن، وتحدث إليه صبحي بأكثر من صفة، بصفة الحقوق، بأن لنا حقّ في تجميع أنفسنا في غرف خاصة بنا، ولأن لنا إخوة في الأقسام عند التنظيمات، كل اثنين في إكس، والإكس غرفة صغيرة لا تتسع إلا لاثنين.

وتحدث إليه بصفة القرابة والبلديات، وبصفة أبناء المجموعة التي كان الأخ صبحي قائدها، فكان قرار السجن بتنظيماته على لسانه: أنه لا في الحال، ولا في المستقبل، لن نسمح لكم بالتجمع، ولن نقبل بجماعة إسلامية على طراز جماعة عسقلان. فقلت له: ولماذا؟ قال: هذا قرار التنظيمات، وأنتم تشكلون خطراً علينا، فقلت له: غرف العار التي امتلأت بالجواسيس، الذين خرجوا من بين ظهرانيكم، سمحتم لهم بالتجمع، وتعملون على استيعابهم. أما نحن، فلأننا أبناء جماعة إسلامية، وما اعتلى هذا البنيان إلا على أرض طاهرة أساسها التقوى، وتقولون لا حيّز لنا بينكم، وصدق الله العظيم: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[31]. والمؤلم أن الأمور لم تقف عند هذه النقطة، بل تطورت وحدثت أحداث عظام خلال سنة 1983.

أوصدت الأبواب أمامنا، والخيارات الحلو فيها مرّ، وحملت التنظيمات حملتها علينا، ومن قبل فيما بيننا وبينهم حواجز هيهات أن تزول. واجتمع رأينا في القسم الذي نحن فيه أن نبعث إلى إخواننا في الأقسام الأخرى برسائل أولها: نطلب منهم أن يخولونا في الحديث عنهم، وباسمهم. فاستجابوا لذلك، بعد أخذ ورد منهم، وكانت فرصة لنا ولهم أن نجتمع بعد هذه السنين من العزل، وأن يخرجوا على سياسة العزل التي عانوا منها طويلاً، بواقع فرضته حركة فتح نيابة عن التنظيمات. وكان الرأي فيما بيننا جميعاً أن نخرج بأغراضنا من جميع الغرف التي نقيم فيها، وأن نشكل أزمة لإدارة السجن وللتنظيمات، حتى يستجيبوا لموقفنا، وحقنا في التجمع. وما كان منّا إلا أن حملنا أغراضنا، وجلسنا بها في ساحة "المردوان"، وقلنا للتنظيمات إننا لن نعود إلا إلى غرف تجمعنا جميعاً. وانتهى بهم الموقف أن فاوضوا إدارة السجن على خروجنا إلى الزنازين، فكانوا هم وإدارة السجن علينا.

أعود وأقول إن حياة الاختلاط في غرف التنظيمات مزعجة جداً، ففي الغرف من يدخن، وهذا لا يطاق. وأيام هذه المحنة كانت سماعات راديو الإدارة مزعجة جداً، وكان

[31] **القرآن الكريم**، سورة النمل، آية 56.

مفروضاً علينا أن نطرب مع أم كلثوم وغيرها، وكان ممنوعاً علينا أن نلتقي إخواننا، والتنقل بين الأقسام على مزاج فتح أكثر من التنظيمات الأخرى أو الإدارة.

في الزنازين عشنا شهراً تقريباً، وقد اجتمعنا من جميع الأقسام بمجموع عشرين مجاهداً، ولحق بنا من سجن غزة، أخوان كريمان هما أبو إسماعيل الغرباوي، وأخوه ظافر الغرباوي. وقال لهما الأخ جبر عمار، وهما على معرفة به: اذهبا إلى الشيخ أبي طير وقولا له: نحن من قبل جبر عمار، فرحبنا بهما وكتب الله لهما الأجر في هذه المحنة.

ضاقت إدارة السجن من سياسة الأمر الواقع، ومن الخروج عليها وعلى فتح، وحاورونا للرجوع إلى حيث كنا، "وكأنك يا أبا زيد ما غزيت". وهذا الحوار تمّ بتنسيق مع الناطق باسم السجن مسلم الدودة، فقلنا للإدارة: لن نرجع إلا إذا حصلنا على حقوقنا. ومرة أخرى حاورونا، وأخيراً جاءتنا الإدارة برجالاتها، وبالغاز والهراوات، وبالقيود والكلبشات، ودخلنا معهم في مواجهة، ضربناهم وهربوا منا، وانهالت العصي علينا، وبالغاز أعموا أبصارنا واختنقنا. وأذكر أن الأخ أبا بكر محمد الهسي تناول حذاءه بيمينه وضرب به رأس أحد الضباط، وكان قد فقدَ يده اليسرى في انفجار خارج السجن.

لقد قيّدونا، والكثرة غلبت الشجاعة، وداسوا على مصاحفنا، وحطموا نظاراتنا، وأوجعونا ضرباً، ونقلونا إلى إكسات معدة لنا في السجن نفسه، كل إكس لاثنين، وألقوا بنا أرضاً نفترش الأرض ونلتحف السماء... وجميع التنظيمات تسمع صراخنا، والغاز الذي ضربونا به، وحالات الاختناق التي حصلت بيننا، على مشهد ومسمع من هذه التنظيمات... وما حركوا ساكناً، بل إن إذاعة الثورة من سورية، وصلتها الأخبار عن مواجهةٍ بين الفدائيين وإدارة السجن، ونحن دفعنا الضريبة، والثوار حصدوا النتيجة... هذا ما حصل معنا، وبقينا في هذه الإكسات ستة أشهر، ما خرجنا منها أبداً، لا للنزهة اليومية ولو لساعة، ومنعنا الخروج للاستحمام بالماء الساخن، حُرمنا من حقنا في الشراء من "الكانتينا"[32]، ومُنعنا من زيارة الأهل. والثوار بعد كل هذا يبعثون لنا برسائل، يفتتحونها بأخوّة القيد والمعاناة، وأي أخوّة، وقد أسلمتمونا للصهاينة، وتريدون منا العودة بعد كل هذا إلى مواقعنا الأولى، ويا ليتهم فيما بعد فاوضوا الصهاينة بهذا النفس وما فرطوا؟!

[32] كانتينا: بقالة السجن، تتوفر فيها السلع التي تسمح بوجودها مصلحة السجون الصهيونية، ويحدد مخصص مالي شهري للأسير، من أجل الاستخدام الشخصي داخل السجن وشراء حاجياته، وأسعارها باهظة بالمقارنة مع سعر السوق. انظر: فهد أبو الحاج، **مرجع سابق**، ص 58. [المحرر]

وفي الإكسات، التي أقمنا فيها، توجد شبابيك مطلة على الساحة التي كنا نفور ونتنزه فيها، وكنا نطل على شبان القسم، ومنهم من ينظر إلينا وهو يتوجع لحالنا، ويشعر بأننا ظُلمنا. ويقولْ الأخ نبيل دعنا (أبو عبد الله)، حفظه الله، ويومها كان تنظيمياً حديدياً، وعين ساهرة من أجل التنظيم، يقول: سألت أبا محمد عباس (عباس محمد صالح حامد)، من بلدة سلواد، وله تجربه معنا من أيام عسقلان، يا أبا محمد، هل تظن أن هؤلاء الناس —بالطبع هو يعنينا نحن— من الممكن أن يتراجعوا عن موقفهم؟ قال له عباس: يموتون ولا يتراجعون عن موقفهم. وفعلاً ما تراجعنا، بل إدارة السجن غُلبت على أمرها، ونقلتنا إلى عسقلان ثانية. نعم خرجنا من سجن عسقلان ثلاثة، وعدنا إليه باثنين وعشرين مجاهداً. أما الأخ نبيل دعنا، فذات مرة، والأخ فايز عوض من جباليا واقف إلى جانبي نظر من الشباك على الساحة، والشبان في صلاة العصر، فقال لي الأخ فايز: هل تلاحظ شيئاً؟ قلت له نعم، ملاحظتي هي أن الأخ نبيل دعنا لأول مرة يصلي مع الشبان، وبتجرد قلت: لي فيه نظرة، وإني لأرجو أن يكون له مستقبلٌ بيننا، وقلت للأخ فايز: نبيل ما وَفَّرَنا في الرصد والتشويش علينا، لكن فيه خير. وأتت الأيام، ولحق بركب الجماعة، وأقبل على حفظ كتاب الله، حتى أتمّ حفظه، وله قصة سنتحدث عنها إن شاء الله.

كيف استقبلنا سجن عسقلان ثانية؟

بعد أن قررت إدارة بئر السبع نقلنا إلى عسقلان ثانية، حزمنا أمتعتنا وحملتنا "البوسطة" حتى وصلنا إلى ساحة عسقلان بعد التفتيش المعتاد. وكنا نتبادل الرسائل مع إخواننا في السجون، وعلى الخصوص سجن غزة مع الأخ جبر، وسجن عسقلان مع الأخ سعيد قاسم (أبو عبد الله)، وبعث سعيد برسالة إلى الأخ حافظ الدلقموني في دمشق، وقال له: إن إخوانك في بئر السبع محاصرون في شعب أبي طالب، ولعلَّ شعب أبي طالب أرحم مِنْ هذا السجن، فالسجن فيه سجنان.

وصلنا إلى ساحة عسقلان، واستقبلنا إخواننا بعاطفة جياشة، والعاطفة بيننا عارمة، ومحروم منها كثير من الناس، وملأنا الفراغ الموجود في السجن، وفرضت علينا التنظيمات مقاطعة تامة، خاصة نحن القادمين الجدد، وكان ذلك في أواخر سنة 1983.

في [تموز/ يوليو] سنة 1984 افتتحت مصلحة السجون سجن جنيد في نابلس، ونقلت إليه كل السجناء الأمنيين من بئر السبع، ليكون سجن بئر السبع للمدنيين فقط. وكان عسقلان بموقعه على طريق البوسطات، محطة من محطات النقليات، فجاءنا من

بئر السبع الأخ نبيل دعنا والأخ جبريل الرجوب وآخرون. وبعد حين رَحّلت الإدارة سجناء الضفة، أو من تبقى منهم إلى سجن جنيد. بقي عندنا في السجن الأخ نبيل دعنا، وهو لا يزال على دين تنظيمه، لكنه التزم بالصلاة وحافظ عليها. ومنهم من يصلي، ولا يخرج لصلاة الجمعة، خوفاً أن تلتقي الوجوه في صلاة الجمعة، فيؤثرون البقاء في الغرف على الخروج لصلاة الجمعة. أما نبيل، فما غاب عن صلاة الجمعة، لكنه أول من يغادر الساحة خوفاً من السلام عليه. وذات مرة قلت له: أريد الحديث معك حتى ترى أن حكمك علينا قاسٍ، وأن انطباعك عنا خاطئ، فأبدى استعداده لذلك. مع أن التعبئة ضدنا لا تتوقف، وفي كل يوم جمعة نلتقي، والحديث يأخذ منا ساعة وأكثر، حتى تكشفت له حقائق كثيرة. وذات مرة قال لي: بينكم جواسيس، قلت له: عليك بالبينة، ومَنْ تثبت عليه الجاسوسية ندينه ونعريه، وإن كنتم لا تثقون بتحقيقاتنا فلجنةٌ منا ومنكم، وقولوا لنا من هذا الجاسوس الذي بيننا؟ فنقل الصورة لتنظيمه، لكن تنظيمه ما قدم شيئاً، ولا أتانا بمعلومة أو بينة، وما هي إلا اتهامات. فقد كانت التنظيمات على اختلافها، تعبئُ عناصرها وأفرادها ضدنا، بتهمة العمالة لإدارة السجن والخيانة، والمصطلحات التي مرَّ ذكرها. والذي يعنيني هو أن يعرف الحقيقة، ويشاء الله أن تتعمق صحبتنا، وفي كل يوم أنتظره وينتظرني، حتى ضاق تنظيمه بهذه الصحبة، فقالوا له: لا تمشِ مع الشيخ أبو طير. قال لهم: ولماذا؟ قالوا: هكذا، قال لهم: هل هو جاسوس حتى لا أكلمه؟ قال أحدهم، وأظنه محمود طويط، وهو أردني من الرمثا: الذي يقول عن الشيخ أبو طير جاسوس هو الجاسوس. هذا كلام أخي نبيل لي عن تلك الأيام. وتتوطد العلاقة بيننا وأنصحه بقراءة الكتب التي أختارها له، ويطلبها من المكتبة، ولكن كما ذكرت من قبل، التسويف والحرب ما زالت قائمة على الكتاب الإسلامي، وبإلحاح من نبيل وهو صاحب شخصية، يصل إلى ما يريد، قلت له إقرأ المعالم لسيد قطب، فقرأه وانفتح على الكتاب الإسلامي، وحفظ القرآن، وقال لهم فيما بعد هذا فراق بيني وبينكم.

نعم، تمّ الفِراق، وتمت المفاصلة، ولحق بركْب الجماعة الإسلامية، بعد أن قال له التنظيم على لسان أحد مسؤوليه: إذهب وسلِّم نفسك لإدارة السجن، ولا أن تلتحق برَكْب الجماعة الإسلامية، وبلا تعليق.

لكن عندي استدراك عن سجن جنيد، ورحيل بعض مِنْ إخواننا من أبناء الجماعة إلى هناك، وكيف تعاملت معهم التنظيمات، حيث رفضوا دخولهم للأقسام... وحضر معهم إخوه من سجن نابلس القديم، وانتهى الموقف بضرب إخواننا بالغاز ثمّ أعيدوا إلى سجن نابلس القديم.

الشيخ أحمد ياسين وإخوانه:

عدت إلى سجن عسقلان، وعدت إلى خطبة الجمعة، وكان الشيخ أحمد ياسين ومجموعته من الإخوة في التحقيق؛ الشيخ في تحقيق عسقلان، وآخرون في تحقيق غزة. وكانت المجموعة تُعد العدة لانطلاق العمل الجهادي ضدّ المحتل، لا كما روجها "الاحتلال من جهة والفصائل من جهة أخرى"، أن السلاح الذي ضبط عند مجموعة الشيخ ياسين، كان لتصفية الشخصيات الوطنية، والحاكم العسكري المحتل يتصل بالدكتور حيدر عبد الشافي وبعض الشخصيات، يهنئهم بالسلامة... ومِنْ أين تتلقاها؟

وفي هذه الأيام من سنة 1984 جاءنا من سجن غزة الأخوان محمد نصار وناصر مصلح... أما الأخ محمد نصار، فهو معروف على صعيد العمل الجهادي، واحتَضَنْتُهُ داخل السجن، وكان اهتمامي به كبيراً؛ لأنه من قرية بيت دراس المشهود لها بالعناد، وكما يقولون: "فِلْفِلة" في اللباقة والرجولة، على الرغم من كونه دون الثامنة عشرة من عمره... وكان للأخ جبر عمار في سجن غزة، قبل أن يخرج في التبادل، فضل في تربيته، وهما مهجّران من بيت دراس، وخرج الأخ محمد معنا في تبادل 1985. وتبادلنا الزيارات في بيوتنا ما بين القدس وغزة، ومن خلاله تعرفت على كثير من الإخوة. تعرفت على الأخ المجاهد الشهيد محمود المبحوح[33]، وكنت آتيه على كراج له لتصليح السيارات اسمه اليرموك، وتعرفت على أبي النمر محمد الشراتحة[34]، وكان يعمل حارساً في الجامعة الإسلامية، وجمعتنا السجون كثيراً والحمد لله.

---

[33] **محمود عبد الرؤوف المبحوح (1960–2010):** ولد في مخيم جباليا في قطاع غزة لعائلة هجرت من قرية بيت طيما سنة 1948. متزوج وله أربعة أبناء. حصل على دبلوم الميكانيكا. عضو إحدى المجموعات الأولى لكتائب القسام بقيادة محمد الشراتحة المسؤولة عن خطف جنديين صهيونيين. في الأول من نيسان/ أبريل 1989، بدأت مطاردته من قبل الاحتلال بعد انكشاف أمر مجموعته فخرج إلى مصر. اعتقل في مصر وأطلق سراحه وأبعد إلى ليبيا. انتقل من ليبيا إلى دمشق ليبدأ مرحلة جديدة في خدمة الجهاز العسكري لحركة حماس. اغتالته مجموعة كبيرة من الموساد الصهيوني في أثناء تواجده في دبي في 2010/1/19.

[34] **محمد يوسف الشراتحة (1957–):** ولد في مخيم جباليا شمال قطاع غزة لعائلة هجرت من بئر السبع سنة 1948. متزوج ولديه أربعة من الأبناء. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال. انتظم في صفوف المجموعات العسكرية الأولى لحماس، واعتقل في 1989/5/9 وحكم بالسجن ثلاثة مؤبدات لمشاركته والشهيد محمود المبحوح في خطف الجنديين آفي ساسبورتس Avi Sasportas وإيلان سعدون Ilan Sa'adon، وفي عدد من العمليات ضدّ الصهاينة. حصل على بكالوريوس تاريخ من الجامعة العبرية في أثناء وجوده في السجن، خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18.

وأما الأخ الآخر ناصر مصلح، فهو مهجّر أيضاً، فوالده وأمه من اللد، ويقيم في معسكر البريج، جاءنا كذلك من سجن غزة من عند الأخ جبر، وله يد في تربيته. كان ناصر من فتح، وحباه الله بالذكاء. وقبل قدومه على زنازين عسقلان أقدم على قتل جاسوس في السجن، وهو كذلك دون الثامنة عشرة من عمره. واستفاد في فترة الزنازين بحفظ القرآن كاملاً، وقراءة تفسير الظلال لسيد قطب. ولما أنهى عقوبة الزنازين دخل ساحة السجن، وعلى غرفة الجماعة، ومن قبل الأخ محمد نصار، وهو من فتح كذلك. وكادت المشكلات تتفجر من جديد، فتح تقول هؤلاء عناصري، والخروج من الأزمة يعتمد على الشخص نفسه، محمد نصار وبقوة قال لهم: لا لكم عندي، ولا لي عندكم، وأنا ما ولدت على اسم فتح، وحسم الأمر. وأما الأخ ناصر... فجاملهم بهدوء، وبرّد الموضوع بهدوء ودون إثارة، وقال لهم وهو صلب الإرادة لكنه مرن في التعامل: أنا هنا بين الإخوة، وتريثوا علي، فقبلوا منه ذلك. وانتهى التريث أن بقي بيننا. ورأيت فيه نبوغاً وثقة، وقلت له تقدم لخطبة الجمعة. وفي يوم جمعة من الجمع فاجأ الناس بأن وقف فيهم خطيباً، وكنت أدعو الله له، وأقول: يا الله، يا الله، اجعل الحق على لسانه سلسبيلاً؛ لأني كنت خائفاً أن يُرتج عليه، وقد اختار أن يرتجل دون قصاصة ورق. وكان رائعاً في إلقائه... وفي موضوعه، وعن ظهر قلب موضوع خطبته من الظلال، وأعرف مواقع ذلك، ونجح والحمد لله. وخرج في تبادل 1985، وكان قواماً صواماً، ولا أظن أن أحداً من إخواني، قد فاته قيام الليل في السجن حتى المريض منهم.

الفصل الخامس

قطوف من ذاكرة السجن الأول

قطوف من ذاكرة السجن الأول

تخافون أن يتخطفكم الناس:

كانت أيامنا في سجن الرملة ملحمة وحرباً فكرية ساخنة ومقلقة، وحتى ونحن في الصلاة لا نأمن على أنفسنا، وكثيراً ما كنت أنتظر مَنْ يغدر بي وأنا في الصلاة، ويشهد الله أنها كانت حرباً ضروساً. وكان لنا الفوز فيها مع الأيام، ولقد عشنا هذه الأيام والأعصاب مشدودة، حتى وصل الحقد والكراهية إلى الأذى وإسالة الدماء، وحتى في الصلاة لا تأمن على نفسك من الأذى، وقد فعلها أبو علي شاهين بحق المجاهد عمر جعارة من نابلس، الذي كسرت رجله وهو في الصلاة، وصدق الله العظيم: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[35]. هموم كثيرة، وإدارة السجن علينا، وهؤلاء علينا، ومشكلات داخلية علينا، ورؤيا يقصها عليك أبو محمد من الجليل تذهب عنك هذه الهموم. قال: رأيتك يا أبا طير في المنام، في ثياب بيض تنافح عن النبي ﷺ وهو من خلفك جالس على الحائط. فقلت الحمد لله، هذا معنى ما نحن فيه من صراع فكري. نعم إن هذا يريح الأعصاب.

وما بين 1978–1980 كانت فترة غنية ونقلة ممتازة، على صعيد وعينا الحركي، وفترة حيوية في مجال طلب العلم، ولنا أُسَرٌ على صعيد التربية، ومحاضرات. وكان الكتاب خير جليس لمن هو في السجن على الخصوص، وكما يقال: الزمن كالسيف، إن لم تقطعه قطعك، والهامشية في حياة الإنسان ضياع. كان الكتاب خير جليس، وقيام الليل خير أنيس، ولنا حديث مع الليل إن شاء الله. وكانت الأميّة شائعة بين السجناء، ليس على صعيد القراءة والكتابة فحسب، ولكن كانت في أبسط أمور الدين، وقد ورد في الأثر: "يا ابن عمر، دينك، دينك إنما هو لحمك ودمك، فانظر عمن تأخذ، خذ الدين عن الذين استقاموا، ولا تأخذْ عن الذين مالوا".

هذه هي أيام السجن، أخذ وعطاء ومجاهدة على قدر أهل العزائم، والرياضة كانت شيئاً أساساً في حياتنا، لنا من النهار ساعة فقط، فيها نركض ونلعب الحبل ونمارس التمارين اليدوية.

---

[35] **القرآن الكريم**، سورة الأنفال، آية 26.

وفي سجن الرملة، حضر إلينا أخ فاضل من تنظيم القيادة العامة، لكنه كان على فهم في دينه، وكان ملتزماً بالصلاة والقيام والصيام، وأخلاقه طيبة، واسمه يوسف العجوري (أبو نضال). وقد خرج العجوري من السجن في عملية تبادل أسرى، بين القيادة العامة ودولة الاحتلال. ففي حرب 1978، والتي تسمى عملية الليطاني، استطاعت القيادة العامة أسر جندي إسرائيلي، وبعد مفاوضات خرج مقابل هذا الجندي من سجون الاحتلال ما يقرب من 90 مناضلاً فلسطينياً، معظمهم من القيادة العامة. ولم يبقَ من القيادة العامة داخل السجون إلا مناضل واحد، اسمه إسماعيل الدبج تمرد على أحمد جبريل، ولكنه نال حظه فيما بعد في عملية تبادل 1985، بعدما رجع إلى القيادة العامة. ومن الذين أفرج عنهم الإخوة من الجماعة الإسلامية في عسقلان حافظ الدلقموني، وكان أميراً لجماعة عسقلان، وقاسم محمد دربل، وآخرون لا أعرفهم، جرى ذلك سنة 1979، وللقيادة العامة حظها الوافر في أسر الجنود وعمليات التبادل.

أبو علي شاهين:

حدثني الأخ سعيد قاسم، وهو ممن أحببتهم كثيراً، وقد خرج معنا في تبادل 1985، عن مشكلة حدثت في سجن عسقلان، حصلت مشكلة مع الأخ (أبو صلاح) يوسف جاد الله، وهو من كوادر فتح ومن الصف الأول لجيل التأسيس مع الأخ أبي إياد صلاح خلف، رحمه الله، أبو صلاح هذا تعرض للأذى من شاب في الجبهة الشعبية. فصمم أبو علي شاهين على الانتقام من الجبهة الشعبية، فأوعز لعمال المطبخ من شباب فتح، أن يكثروا من الطعام في وجبة الغداء، وخاصة الأرز، لغرف الجبهة الشعبية ولشبابها الذين تجمعهم مع فتح بعض الغرف، حتى تثقل رؤوسهم من كثرة الطعام، فيسهل على المنتقمين تنفيذ ماخططوا ودبروا له، انتقاماً لأبي صلاح يوسف جاد الله، والذي أصبح من جماعتنا فيما بعد. ولما حانت ساعة الصفر، وقت قيلولة الظهر، قام شبان من فتح على شبان من الجبهة الشعبية وأوجعوهم ضرباً، ووضعوا رؤوس بعضهم في دورة المياه، مثل محمد قنديل (أبو الأسد)، وعَلَّموا على وجوه بعضهم بحديدة أو شفرة، وطعنوا ربحي حداد من نابلس، من قيادات الجبهة بسكين في رقبته. وتأزم الوضع بين التنظيمين، وألقى بظلاله على باقي السجن، وإدارة السجن تطرب لمثل هذه المشكلات، وأصبح الوضع في الغرف لا يطاق، وفي الساحة أكثر من ذلك؛ لأنها موضع احتكاك، وكذلك في مرافق العمل... وفي كل لحظة كان من الممكن أن تحدث كارثة أو مذبحة، وأي احتكاك يفجر الوضع؛ لأن أعصاب الجميع كانت مشدودة ومتوترة.

وتمضي الأيام سراعاً، ولا يلوح في الأفق أيّ حلّ لهذه المشكلة، رأت فتح كما أراد أبو علي شاهين أنها ردت اعتبارها، ورأت الجبهة فيما جرى لها أنه لا بدّ من الثأر، فكيف الخروج من هذه الحالة؟

اجتمع أربعة شبان ممن كانوا في غرفة واحدة، اثنان من فتح وهما صبحي البابا من حلحول، وماجد قاسم من قلقيلية، والآخران من الجبهة الشعبية هما عاصم حسونة وحسن شاهين، اجتمعوا بهدف إنهاء هذه الحالة، واتفقوا على ضرب ضابط عدد السجن[36] واسمه توليدانو، ووقع الاختيار عليه لأنه أسوأ مَنْ في السجن، وبذلك تنتقل المعركة مع إدارة السجن. وتمّ الاتفاق دون علم أي من التنظيمات، ولما كان عدد الظهيرة ودخل توليدانو غرفة الشبان الأربعة، أمسكوا به وأوجعوه ضرباً. ثمّ علا صوت صفارة الإنذار، واستنفرت إدارة السجن وقامت القيامة، وبدأت الحرب وهجمت الإدارة بقضها وقضيضها، وأخرجت كل مَنْ في الغرف إلى ساحة السجن، التي تتوسطه، وانهالت على الجميع ضرباً بالعصي والهروات والكرابيج، بعد أن أمرتهم جميعاً بالتعري... كما ولدتهم أمهاتهم؟ وصلت الرسالة للجميع، فلا بدّ من وقفة مع الذات؛ لأن العدو لم يوفر أحداً، ولا بدّ من التفاهم، ولا بدّ من الجلوس للخروج من هذه الإشكالية. ولما جلس المسؤولون من جميع الفصائل وتحاوروا لتجاوز هذه المصيبة، استطاعت الشعبية أن تفرض شروطها على فتح؛ ومن هذه الشروط ألا يحجر على أي عنصر من فتح تبادل الكتب مع الجبهة، وللأفراد الذين يؤمنون بالماركسية من داخل فتح حرية قراءة كتبها. واتفق الطرفان على ألا يخرج أي تنظيم عن إجماع الكل الاعتقالي، ومرفوض على أيّ بيان اعتقالي أن يُروّسَ بالبسملة، وعلى فتح أن تعطي الحرية لأفرادها لمن يرغب في دراسة الماركسية وتبنيها. ثمّ انتقلت العدوى إلى بقية السجون، وبالطبع كان هذا الاتفاق إنجازاً للشعبية، نتيجة تصرف أرعن جرّ المصائب على السجن، ومع الأيام غزا الفكر الماركسي تنظيم فتح، وأصبح على رأسه من ينظر للماركسية.

أما الشبان الأربعة، فكان نصيبهم الترحيل إلى عزل سجن الرملة لستة أشهر أو يزيد، ولما رجعوا إلى السجن استقبلوا استقبال الفاتحين. لكن تكشف مع الأيام أن إدارة

[36] عدد السجن [سفيراه]: عملية تعداد أمني تنفذها إدارة المعتقل على الأسرى بمعدل ثلاث مرات يومياً، وتبدأ عملية التعداد باستعداد الأسرى له واقفين، وفي بعض المعتقلات وهم جالسون وأيديهم ورؤوسهم إلى الخلف. انظر: فهد أبو الحاج، **مرجع سابق**، ص 65. [المحرر]

السجن أسقطت بعضهم في العمالة تحت عصا الخوف، ودفعوا ضريبة موقفهم هذا على حساب كرامتهم الوطنية، هذا الأمر عايشته بنفسي، وخرج منهم ثلاثة إلى غرف العار... غرف الجواسيس، ولم يكن لهم نصيب في عملية تبادل 1985.

مرافق العمل والعمالة:

وفي عسقلان كانت مرافق العمل تعج بالثوار، كانت طوابير تخرج إلى مرافق العمل داخل السجن. وكان من الشيوعيين من يقول: من لا يعمل لا يأكل. وكانت إدارة السجن تستغل ضعف السجين، وخاصة في غياب الوعي والثقافة الوطنية، إذ لم يكن الدين حاضراً، وحتى من الذين أتوا إلى الجماعة فيما بعد. كانت تدفع بهم الإدارة لمعرفة أخبارنا، ولا يخلو مجتمع لا يحاولون اختراقه، لكنهم كانوا لا يصبرون على حياتنا، صلاة وصيام اثنين وخميس من كل أسبوع في غير رمضان، قيام ليل، ومن لا يقوم الليل لديه خلل إلا من له عذر من المرض، وحتى المرضى كانوا يقومون الليل ويصومون.

الفصائل بمجموعها كانت تعمل في مرافق السجن، كان في السجن محددة، ومخيطة، ومغسلة كبيرة، ومطبخ، وساحات، وعمال نظافة، والذي أضرب عن الطعام لأكثر من 20 يوماً رافضاً للعمل هو الأخ جبر عمار، ونجح في ذلك حتى أصبح العمل اختيارياً.

من خلال هذه المرافق، ومن خلال العيادة، استطاع العدو أن يزرع عملاءه ممن أسقطهم بين المناضلين. حتى إن الطبيب والممرض كانا ممن يعملون على إسقاط المناضلين، وكانت عيادة السجن "ملتقى الأحبة" من الجواسيس، وتحت غطاء العلاج يذهب من يذهب إلى العيادة، ليقدم تقريره، فالعيادة غطاء لا شبهة عليه في المراحل الأولى من السجن. لكن الثوار، ومن خلال التحقيقات مع هؤلاء الجواسيس، اكتشفوا فيما بعد أن عيادة السجن وطاقمها هما المصيبة، وهما الغطاء لكل هذا الخراب. حتى عمال المطبخ والمسؤول عنهم، وآخر من يدخل إلى الغرف في السجن، تبين فيما بعد أنه عميل جاسوس، وإليكم هذه الحادثة:

إن المسؤول عن عمال المطبخ شخص اسمه يوسف عبد الرازق اتهمنا بأنه بيننا وبين غرف الجواسيس إشارات، هذا المخلوق افترى علينا: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾[37]. وما طالت الأيام، وإذا بحملة تنقلات تقوم بها إدارة السجن إلى سجون أخرى، معظمها

[37] **القرآن الكريم**، سورة طه، آية 61.

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

من صفوف التنظيمات؛ لأن التحقيقات مع شبكات العملاء نجحت في القضاء على هذه الظاهرة، ولو بالحد الأدنى، وأصبح داخل السجن حرب على العملاء، بعد أن قويت شوكة التنظيمات، وفرضت هيبتها بعد أن غابت طويلاً، بسبب العمل في مرافق السجن، وتوقف العمل تماماً، إلا من المطبخ والمغسلة، لأنهما ضروريان للسجناء، وهذا الحدّ من كشف العملاء أزعج الإدارة، فقامت على نقل قيادات التنظيمات ليتقدم وجهاء آخرون إلى واجهة العمل، وكان ممن تقدم يوسف عبد الرازق، الذي قَذَفَنا وافترى علينا زوراً وبهتاناً. قالت إدارة السجن هذا أبو السعيد وهي كنية يوسف عبد الرازق... لا نريده... عاملاً في المطبخ... هذا يقود التطرف ضدنا، ونصبت الإدارة من حوله هالة، ورفعت أسهمه، لكن الله كان له بالمرصاد، كان في غرفة 9 قسم (ب)، وفي الغرفة الأخ طالب غيث من الخليل، يوسف هذا تسلّم منصباً في التنظيم، بعد ثقة التنظيم به في المطبخ؛ لأنه لا يخرج للعمل إلا مَنْ هو موثوق به، وعنصر رصد وأمن، وهذا أبو السعيد العين الساهرة.

وتصدر يوسف هذا لكتابة بيانات التنظيم، بعد أن رحّلت إدارة السجن قيادات الصف الأول من التنظيم. وفي ساعة قريبة من الغروب كتب رسالة —والرسالة تقرير لإدارة السجن— ودخل بها على دورة مياه الغرفة، وألقى بها إلى "المردوان" خارج الغرفة ليأخذها السجان، ورجع إلى سريره كالمعتاد، والأخ طالب غيث يروح في الغرفة ذهاباً وإياباً، وإذا بالسجان، ويقال له بالعبرية "سُهير"، يقول للأخ طالب غيث لماذا ترمون علي بزبالتكم؟ فأنكر طالب ذلك متعجباً!... فقال له السجان: هاك هذه الورقة. وإذا بالورقة تقرير الجاسوس يوسف عبد الرازق أبو السعيد، وأُسقط في يده لما وقعت الورقة في يد طالب غيث. وأدرك السجان خطأه وغباءه وأخبر الإدارة بالأمر، بعد أن ارتعد الجاسوس أبو السعيد، وجاءت الإدارة على عجل، وفتحت باب الغرفة وأخرجت جاسوسها أبا السعيد.

كان أبو السعيد من فتح، أما الجبهة الشعبية، فكانت حربها الفكرية علينا قاسية، وكان عندها مُنَظِّر يقال له "سوسولوف"، نسبة إلى ميخائيل سوسلوف Mikhail Suslov المنظر العقائدي للماركسية في روسيا، وأما مناضل الجبهة، فاسمه الحقيقي عطية سواركة. عطية هذا لا تعجبه الكتابة إلا في الساحة أمام الناس، قاعداً على الأرض، واضعاً رِجْلاً على رجل، وجاعلاً من قدمه العليا، وسادة لدفتره يكتب عليها بالطبع، زيادة في الغرور، وإذا بنا بعد حين نسمعهم، ونحن في غرفنا يقولون: "عطية خرج إلى

الزنازين، عطية هرب" وإذا بالمنظِّر جاسوس كبير، "مُقرِّن" كما يقولون، أي أن له قروناً، إشارة إلى أنه جاسوس، والله أعلم بالمستور.

وفي سجن عسقلان، وأنا أخطب الجمعة في الساحة استشاط مدير السجن غضباً، ودخل الساحة بحاشيته، يريد أن يُسكتني ويأخذني إلى الزنازين، فوقف له الأخ أحمد مهنا ومن في الساحة من المصلين وقالوا له: وين؟ إلى أين أنت ذاهب؟ ورجع المدير مكسوراً مهزوماً. وذهبت إلى الزنازين بعد ذلك لأكثر من شهر، بسبب خطبة الجمعة. وبعد أن رجعت من الزنازين بأسبوع، إذا بقائد المخابرات الإسرائيلي المسؤول عن قريتيْ (صور باهر وأم طوبا) من الشاباك، يأتي لزيارتي، ويراودني على العمالة من تعاسته. فقلت له: بعدما شاب تريده عميلاً، وقدموا لي شاياً بالنعناع، فلم أشرب، فقال لي اشرب الشاي، فقلت له: لا أريد، قال: تظن فيه سُم، قلت لا، ولكن لا أشربه معك. ولسنين طويلة لم أشرب الشاي، لا بالنعناع ولا بالميرمية، وكانت فرصة ثمينة، ولكنني لم أفعل، وقدم لي مغريات، منها أن أخرج من السجن بثلث المدة، أي ما يقال له عندهم: "شليش"[38]. فقلت يا هذا: عنوانك غلط، فقال لي: ولماذا كنت في الزنازين؟ قلت له، لا يعنيك. قال: أنت قلبك أسود، قلت: أنت صغير، وهل أنت على استعداد أن تخون زوجتك وأهلك وقومك؟ قال: لا، فقلت له: فكيف بك تريدني أن أخون الله، والرسول، وأن أخون ديني وأهلي ووطني؟ يا هذا ارحل، ومرة أخرى عنوانك غلط. فنادى على السجان وانصرفت من عنده، وأنا على يقين، أن قلبه وقومه جميعاً أصحاب قلوب حاقدة سوداء، وأنه على ملة قوم لا يوقّرون الله.

عملية عنتيبي: ما شاء الله كان:

قامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، بزعامة جورج حبش، سنة 1976 بخطف طائرة تعمل على الخطوط الفرنسية[39]، وجميع مَنْ عليها من الركاب كانوا من الصهاينة. نجح الحاج فايز جابر ورفاقه من الجبهة في السيطرة على الطائرة، وكان وديع حداد هو العقل المدبر لتلك العملية. وبعد السيطرة على الطائرة ومن فيها وبأوامر الرفاق،

[38] محكمة الشليش: محكمة تعقد للأسير بعد قضائه ثلثي مدة حكمه للنظر في الإفراج عنه أو تخفيض محكوميته، إلا أن محاكم الاحتلال نادراً ما تفرج عن أسير من خلالها. انظر: فهد أبو الحاج، **مرجع سابق**، ص 65. [المحرر]

[39] عن حيثيات عملية عنتيبي انظر: بسام أبو شريف، **وديع ثائر أم إرهابي** (بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، 2014)، ص 217–226.

توجهت الطائرة إلى الجزائر، وبعد ذلك توجهت في محطتها الأخيرة إلى أوغندا، ورئيسها يوم ذاك عيدي أمين، وفي مطار عنتيبي حطت الطائرة رحالها. كنّا في سجن الرملة نتابع، والعملية في حسابات البشر ناجحة 100%، والأسرى على أعصابهم ينتظرون النهاية المرجوة، حتى تخرج هذه الجموع من سجونها. ملأت البهجة نفوس الأسرى، وتفاعلوا مع الحدث وأنا منهم، واسمي ذكر من بين المطلوبين للإفراج، والأعصاب مشدودة، وبينما أنا واقف أمام غرفتنا في ساحة القسم، وإلى جانبي رفيق من الشعبية... من حملة الفكر الماركسي، والحديث بيننا يدور حول العملية ونجاحها... وعلى هذا المستوى من النجاح... فقلت له، والله يشهد: إنّ العملية ناجحة إن شاء الله، فما كان جوابه إلا أن قال: شاء أو ما شاء ناجحة، فوالله ثمّ والله، كان أول خاطر انتابني بعد جحوده هذا وصلفه أن العملية ستفشل، وأن من تحدى مشيئة الله لا يستحق هذا النصر. وما هي إلا ساعات، وإذا بجنود دولة الاحتلال يسيطرون على الطائرة، بعد أن نجحوا في قتل الفدائيين الخاطفين، في عملية مشهود لها بالتخطيط والنجاح، في مقابل عدو له مكانته في المكر والدهاء. وبعدها أُحبط الأسرى، وناموا على وجوههم.

زيارة السادات للقدس:

خلال مرحلة المفاصلة، وقبل الاعتداء علينا، ونحن نتابع أخبار العالم من خلال راديو السجن، وتلفزيون أبيض وأسود لدى الجنائيين، ومن خلال إذاعة العدو فقط، ولمّا عزم السادات وحمل حاله وبطانته على زيارة إلى القدس المحتلة، يريد الصلح مع دولة الاحتلال، كتبت بالطباشير على لوح في غرفة الأكل، ما قاله سيد قطب رحمه الله، في كتابه "معركة الإسلام والرأسمالية" قال: لا سلام لعالمٍ لا يتمتع فيه ضمير الفرد بالسلام، وكتبت: لا سلام على حساب قضيتنا، ولا سلامٍ على حساب شعبنا، ولن يكون لمن احتل أرضنا أمان... أبداً. والذي دعاني لهذا هو أن التنظيمات اتهمتنا زوراً وبهتاناً بأننا مع رحلة السادات إلى القدس، فجاءني رفيق من الجبهة الشعبية اسمه علي جدة من القدس، من الجالية الإفريقية، وقال لي: هذا موقفنا نحن في الجبهة الشعبية. ومن ردود الفعل على زيارة السادات للقدس، قال الرئيس عرفات، رحمه الله، معلقاً: القدس لا يدخلها إلا الشرفاء، القدس لا يدخلها إلا عمر بن الخطاب، وصلاح الدين الأيوبي، والشيخ أبو طير، والمطران كابوتشي.

وتعليقاً على زيارة الرئيس السادات للقدس، وحتى لا تكون بلا اعتبار روحي حسبَ ظنه، وحتى تكون على كمالها وتمامها، فقد جعل من زيارة المسجد الأقصى المبارك، والبلدة القديمة، متكأً لهذه الرحلة. وصلّى صلاة العيد —عيد الأضحى— في المسجد الأقصى المبارك، وبصحبته المقرئ الشيخ مصطفى إسماعيل، ضمن وفد رفيع المستوى، حجزوا لهم جميعاً الصفّ الأول من المسجد. ولقد أرادوا للحاج راضي السلايمة[40] أن يتخلّى عن موقعه في الصف الأول، وهو الذي ما برحهُ حتى لقي الله تعالى، والذي كان يرتاده يومياً قبل صلاة الصبح بساعةٍ تقريباً، رحمه الله، فجلس إلى جانب الرئيس السادات، وذكّره بنفسه، لكنّ السادات تنكّر لهذه المعرفة.

يقول الحاج راضي، رحمه الله: قلت له، يا سيادة الرئيس ألا تعرفني؟ فأجاب السادات لا، لا أعرفك. فقال الحاج راضي: أنا راضي علي السلايمة، ألا تذكرني؟ فأجاب السادات: لا. فقال الحاج: أنا مَنْ كنتُ أبعث المعاش إلى عائلتك، يوم أنْ كنت سجيناً. لكنّ السادات لا يريد أن يتعرف على الحاج راضي، ولا على ماضيه يوم أن كان مسؤولاً مالياً في جماعة الإخوان في مصر، كما سمعت، وهو الذي له بيعة مع الشهيد حسن البنا، رضي الله عنه.

فضل الكويت:

وكان لدولة الكويت، ممثلة بأميرها، موقف معنوي ساندتني به وأنا في السجن، وأشكرها على ذلك، وأُكْبِرُ دعمها للقضية الفلسطينية، حيث أصدرت باسمي وصورتي طابعاً بريدياً بصحبة المطران كابوتشي، والأخت فاطمة برناوي[41]. وأنا أذكر للكويت فضلها لأنها لم تقصّر بحق القضية الفلسطينية، ويوم أن غزا صدام

[40] **راضي علي السلايمة (1904–1996):** ولد في القدس، وهو أحد أبرز وجوه الإخوان المسلمين في القدس. عاش في مصر وعمل في التجارة، ونشط في جماعة الإخوان المسلمين في مصر، وكان عضواً في أسرة ضمت عدد من قيادات الإخوان في القاهرة؛ أمثال الشهيد محمد يوسف هواش، والدكتور أحمد الملط. وكان منزله في الروضة مستقراً لاجتماعات الأخوات المسلمات. وتشير بعض الروايات إلى أنه كان مسؤول صندوق الدعوة في أثناء وجوده في القاهرة التي غادرها بعد بدء الصراع بين الإخوان المسلمين وجمال عبد الناصر سنة 1954. عمل في صفوف الإخوان المسلمين في الأردن فكان أبرز قيادات الإخوان في الضفة الغربية، واستلم إدارة مطابع الإخوان المسلمين. كان أحد الوجوه التي أسهمت في الربط بين الإخوان في قطاع غزة والضفة الغربية بعد سنة 1967. توفي في القدس.

[41] صدر هذا الطابع البريدي في 1977/7/1، ضمن فئتين 30 فلساً، و50 فلساً، معنوناً بـ"نكافح لتحرير فلسطين وإحلال السلام". انظر: ملحق الوثائق، الوثيقة رقم (2)، ص 494.

الكويت، أنكرت ذلك من على منبر مسجد صور باهر، وبعد الخطبة بيوم دخلت السجن لستة أشهر إدارياً خلال سنتي 1990–1991.

مذبحة حماة وحلبجة:

منذ أن تسلّم حزب البعث الحكم في سورية والعراق، والذي هو صفحة سوداء في تاريخ هذه الأمة، لم يأتِ عليهما إلا بالويل والمصائب والهزائم، فبعد أن تسلّم الحكم في سورية سلَّم الجولان، وأعلن عن سقوط القنيطرة قبل أن تسقط بثماني عشرة ساعة، وتفرّد في الحكم وجعل البعث دين الدولة. وفي العراق كذلك بكل ما فيه من خيرات وثروات وبترول، فشعب العراق لا يزال من الشعوب الفقيرة، ومخيمات اللاجئين هنا في فلسطين، أحسن حالاً من بعض الأحياء في بغداد العاصمة. والذي ينظر إلى حال الأكراد في العراق وفي سورية وإيران، يتوجع لأحفاد صلاح الدين الأيوبي أن ينكل بهم، وأن يعيشوا شظف العيش في بيوت هي "زرائب للدواب"، في ظلّ حكم البعثيين، سوى ما يتعرضون له من القتل والذبح والتنكيل والتعذيب.

وفي ظلّ حزب البعث، الذي نادى بشعارات القومية العربية، "أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة"، و"وحدة حرية اشتراكية"، ترعرت الطائفية، وتمزقت الأمة العربية شرّ ممزق. فالبعث حاكم في سورية والعراق، والحرب بين البلدين ضروس، والمؤامرات بين النظامين على قدم وساق. والرسالة الخالدة هي الموت والإعدامات والتغييبات، لكل من خالف النظام في القطرين... فحدثت مثلاً مذبحة حلبجة في العراق ومذبحة حماة في سورية...

فأين كانت كل هذه القوة، وكل هذا الجبروت، يوم أن احتلت "إسرائيل" الجولان؟

اجتياح بيروت وصفقة نابلس:

ونعود ثانية إلى سنة 1982 حيث كانت الحرب في الجنوب اللبناني على أشدها، وقلعة شقيف بمن فيها من الرجال الصناديد، ضربوا أروع الأمثلة في البطولة والثبات، والجنوب قاتل، إلا حفنة آثرت الفرار، فقائد منطقة الجنوب كما أشيع، وبما كان معه من ميزانية الجنوب، هرب إلى بيروت بحجة ترحيل عياله ثمّ العودة... وأنَّى له أن يعود؟ فهذا اجتياح لجيش إسرائيلي جرار، بجميع أسلحته ومعداته لاقتلاع الثورة الفلسطينية

من الجنوب ومن لبنان كله. واستبسلت المقاومة، لكن الجيش الإسرائيلي المحتل زحف حتى وصلت دباباته بيروت، ودخلها من أطرافها. وفي أثناء الحرب سقطت طائرة للإسرائيليين، ووقع طيارها أسيراً بيد المقاومة، وفرح الأسرى، وفرحت هذه الجموع؛ لأن فرصتها في التحرير مضمونة الآن، طيار إسرائيلي في الأسر عند الثورة، هذا ينظف جميع سجون الاحتلال. ويا فرحة ما تمت؛ لأن من شروط المحتل الإسرائيلي على الثورة، لما خضعت ووافقت على الخروج من بيروت، هو أن يعود الطيار وأربع جثث لجنود إسرائيليين من أيام الليطاني. وتمّ ذلك، فأُحبط الأسرى بعد أن طبلوا للثورة، وقيل إن أوري أفنيري Uri Avnery، رجل السلام الإسرائيلي، التقى عرفات في بيروت، فأطلق عرفات سراح الطيّار بادرة حسن نية وهدية لأفنيري.

كان جنرال الحرب في بيروت (أبو الوليد) سعد صايل، ومن حوله هيئة أركان، والفصائل حاضرة كذلك. أما المشهود له في حرب التفخيخ بحزام من الألغام لثغور بيروت فهو أحمد جبريل. وأما سعد فهو من أعترفُ به قائداً لي في هذه الثورة؛ ليس لأنه استقبلني في بيته بتواضع، أو لأنه استقبل أمي من بعدي، رحمها الله، ولكن لأنه حَرِيٌّ بموقعه.

أبو الوليد قتل غدراً في البقاع، في كمين نُصب له من عصابة خشيت من حسابه، لأن أبا الوليد قال: لن يفلت من العقاب من تخاذل في معركة الجنوب، أو ترك الجبهة وهرب بعياله. وأنا أقول: لا تقولوا إن سورية لها مصلحة في غياب أبي الوليد، أو قتله ولا لبنان، إنما هي عصابة الغدر التي ارتعدت من الحساب، وهي معروفة عند كثير من ضباط الثورة الفلسطينية.

وبعد أن تمّ لـ"إسرائيل" ما تريد، ولو إلى حين، وظنّ أهلها أنهم قادرون عليها، واعتقلت الآلاف من الشعبين اللبناني والفلسطيني خلال هذه الحرب، وزجّت بهم في "معسكر أنصار" في الجنوب اللبناني، وظنّ المحتل مرة أخرى أنه آمن في تلكم الأرض، وإذ بثمانية من جنوده يسقطون في كمين، نصبته لهم مجموعة مقاتلة من حركة فتح إلى الجنوب من بيروت. نجحت هذه المجموعة في أسر الجنود الثمانية، ستة منهم استوعبتهم ناقلة للمجموعة، واثنان استوعبتهم ناقلة أخرى للجبهة الشعبية – القيادة العامة، واحتفظت بهما وفاوضت عليهما مع جندي آخر في صفقة سنة 1985.

فاوضت حركة فتح والرئيس أبو عمار "إسرائيل" على الجنود الستة، وتمت صفقة تبادل سنة 1983 بإطلاق سراح من في معسكر أنصار و100 من المعتقلين في سجون الاحتلال في فلسطين. وليت الأمر انتهى عند ذلك، فها هي البحرية الإسرائيلية، تعترض قارباً في طريقه إلى طرابلس من قبرص، فيه 37 ضابطاً من فتح، استُبْدلوا بـ 37 من 100، فلم يخرج في تلكم الصفقة من سجون الاحتلال إلا 63 مناضلاً، أغلبهم من نابلس، وسميت صفقة نابلس، لأن أبا جهاد العالول، كان مِنْ ورائها أو هو صاحب ملفَها، مع العلم أن مَنْ في معسكر أنصار، تمّ الاتفاق على خروجهم مع فيليب حبيب، الذي فاوض قيادة منظمة التحرير على الخروج من بيروت من قبل الخارجية الأمريكية، ضمن اتفاق الخروج من بيروت.

هنا "كفر الثوار بالثورة"، وقد عقدوا الأمل على هذه الصفقة، وكان لِأَسْرِ الجنود في نفوس المعتقلين الفرح العظيم والأمل الكبير، ولأول مرة خرج من يسب عرفات. وحلّ بهم الإحباط، والأمر أكبر من أن يقال فيه؛ لأن حال الأسرى مؤلمة، وإن كُنا نختلف معهم، لكن هذه حالة إنسانية، نعم إنها حال مؤلمة وموجعة. وبالرغم من هذه العاطفة نحوهم، فإنهم كانوا في رسائلهم التي بلغت المئات لأبي جهاد الوزير، رحمه الله، يطلبون منه أن لا يكون لنا نحن أبناء الجماعات الإسلامية في السجون أيّ نصيب مع أي صفقة تبادل؛ لأننا كما يقولون: "منفلشون" وخارجون على الثورة الفلسطينية، وإفراز غير شرعي، ولكن ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[42]. فلم تنفعهم رسائلهم، ولا هم خرجوا من السجن. أما نحن، فكانت عندنا تطمينات من الأخ حافظ الدلقموني أننا على طريق التحرير إن شاء الله. ومثل هذا الخبر يشاع في السجن كالنار في الهشيم، وبدأ الثوار يعقدون الأمل على ما تبقى على أحمد جبريل، الذي أساؤوا إليه قبل الإفراج عنهم، وبعد الإفراج للأسف، وعضوا اليد التي امتدت لنجدتهم، بل تطاولوا عليه. عجيبة تربية هؤلاء!!

الليل خير أنيس:

قبل الرحيل إلى بئر السبع قلت إن الليل خير أنيس، كما أنَّ الكتاب خير جليس، وهذا صحيح. وفي الحديث عن نبينا محمد ﷺ، والذي له صلة بالذي يجول في صدري،

[42] **القرآن الكريم**، سورة آل عمران، آية 54.

"عينان لا تمسُّهما النَّارُ عينٌ بكت من خشيةِ اللهِ، وعينٌ باتت تحرسُ في سبيلِ اللهِ"[43]. وأحسب أني عشت حالتي العينين. لكن في الأمر استدراك يعود إلى ما قبل السجن، فقبل أن أعرف السجون كانت معاني الليل على صعيد العبادة باهتة في نفوسنا، وكان هناك شيء غالبٌ على أسلوبنا في الحياة، فتوة وميعة شباب، والأمر مقصور على الصلوات الخمس، وفلسفة الصيام في رمضان غائبة، إلى أن دخلنا السجن، ودخلت النوافل على حياتنا، وبدأت الفطرة تستجيب لنداء الروح. وطغى اللجوء إلى الله على كل شيء، وأخذنا عن الحاج ناجي أبو نجمة، رحمه الله، وعن الأخ محمود عميرة، وعن الحاج سلمان القواسمي صلاة الضحى، وقيام الليل، وقراءة سورة الكهف كل يوم جمعة. وكنت على خطيئة من أمري في التدخين، كنت مدخناً، وأشتري التمباك العجمي من الرمثا للأرجيلة في بيروت، لكن لما فاصلت الجاهلية التنظيمية في سجن الرملة، وأقبلت على كتاب الله دراسة وحفظاً... قررت قراراً حاسماً بلا تردد ألا وهو العزوف عن التدخين ما حييت، وقلت: لن يجتمع في صدري خبيث وطيب، إما القرآن وإما الدخان. والحمد لله، منذ ذلك اليوم من سنة 1976 وإلى يومنا هذا ذهب الدخان بلا رجعة.

وتمّ لي من فضل الله حفظ القرآن سنة 1983، في عزل بئر السبع. وأخذ مني هذه المساحة من الوقت لكثرة قراءاتي، والقيام على إخواني من عمل تنظيمي وتعليمي. وأذكر أنه لما وقع بين يدي كتاب "الإخوان المسلمين أحداث صنعت التاريخ"، للأخ محمود عبد الحليم، ما كنت أغيب عنه إلا للصلاة المكتوبة، أو لوجبة طعام، ومن الصباح حتى الساعة الواحدة من الليل، وأنا معه. وإذا ما أعجبني كتاب فالجَلدُ في القراءة طَبْعٌ من طباعي، وَيُرفع الأذان لصلاة الصبح وأنا مع الكتاب. وعلى سبيل المثال، قصة اسمها ذئب السهول، عن جنكيز خان Genghis Khan، أتممت قراءتها في ثلاثة أيام، وهي تحتاج عند قارئ آخر أسبوعين أو ثلاثة.

أعود إلى أُنس الليل، وإلى "عينان لا تمسهما النار"، وأحسب أني عشتهما بكل جارحة من جوارحي، وبكل ما بداخل جوانحي، ومتى استجابت الجوارح للجوانح، في العبادات على الخصوص، كان الانسجام على تمامه، وما من وتر من أوتار النفس البشرية، إلا وله إيقاع بآية من كتاب الله.

---

[43] لنص الحديث وتخريجه انظر: **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، الحديث رقم 2673. [المحرر].

عشت حالتي العينين، ولا أزكي نفسي على الله، حالة العين الجاحدة وهي تُقبل على الله بانكسار تنشد التوبة، وهي في الطريق إلى الخروج من هذا الجحود، بدمعة تطفىء خيانة العين، فتخشع القلوب وتسكن الجوارح. ولقد أخذ الليل مني نصيبه، وأخذت منه ذخيرة العمر، وزاد الطريق، وعشت خلوته بما يبدد ظلامه، ويخفف من تطاول وحشته، بالوقوف بين يدي الله، أناجيه بالذي يحب، بآيات التنزيل وما حوى، عشت حالة الفيض بالانقطاع عما سوى الله. وعشت زلفاً من الليل فيها الأُنس أكثر من حاجة الموج إلى شاطئه، مطمئناً تتفتح لي الأبواب، والسكينة تملأ نفسي. كنت أتلذذ بالعين وهي تجود بدمعة، بل بدمعات تسيل على وجنتيّ وهي في الحقيقة، وفي الشعور، تغسل الذي بين جنبيّ. إنها دمعة هي في الميزان عند الله، لا يعدلها ما في الأرض من بحار وأنهار. نعم... عشت الليل مع الله، وعاشه إخواني... لكن بقدر حبي للجود والكرم، وكرهي للبُخل، فإن قيام الليل عندي به أنانية، وأعترف بأنانيتي في حبي لقيام الليل؛ لأنني أكره التشويش، وأحب لإخواني أن يقوموا وأن يلجأوا إلى الله، لكن من الصعب أن تجمع بين الأمرين.

كنت أقوم الليل لساعات طويلة، وأصلي الصبح بالوضوء نفسه، بل ربما الضحى. وَنُقبل على المأثورات، ولكلٍ منا ورده، فنحن ليلنا مع الله، وغيرنا ليله مع أم كلثوم في "هل رأى الحب سكارى؟"، وما أكثر السكارى وإن فاتهم الشراب!!

عشت الليل بجميع فصوله، وكنت أستشعر الدفء مع شدة البرد، وأستروح بالظلال الندية مع حرارة القيظ، والله هو الشاهد... أنه لا الجاه، ولا السلطان... ولا المال... ولا متعة النساء، تعادل تلك اللحظات وغناها. فكل ذلك المتاع ذهب في حينه، أما متعة الليل، من خلال الدموع، فالبحر من بعده أبحر، والدهر من بعده دهور... لا يذهبان متعته، ولا يستنزفان طاقته. إنها لحظات السعادة والهناء التي أدعو الله سبحانه، صباح مساء، أن تعود لتحلق روحي من جديد، في جنات الخلد وهيهات أن تعود!! وإن عادت فلا أظنها تعود بسيرتها الأولى، ولا أظنها تعود بالحال التي حلقت بها الروح في حينها.

وكم من لحظات كريمة عشتها مع آيات عظيمة؟ وهي من حين إلى حين تتردد بإيقاعات جديدة، وبجرس جديد؟ وتأخذ مني مساحة كالموج، وألقي بالملامة على ما فات، وعلى من ضاق ذرعاً بالذي جاءت به الآيات من إعجاز، وما تحمله من تحديات.

وأقرأ على نفسي، وعلى الناس: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾[44]؟! وهذه الآية بعظمة السؤال، وما فيه من استنكار، تلجم كل مَنْ له خيال، أو عافاه الله من الجاهلية فتمرد عليها. أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يُتلى عليهم؟ وبلا توقف فالنفس البشرية مهما أُوتيت من أسباب القوة، ومهما جُبلت على التمرد، فالإسلام روضها، حتى قال الصحابي الجليل قيس بن سعد بن عبادة: "والله لولا الإسلام لمكرت مكراً لا تطيقه العرب". وأنا والله أقولها، والله لولا الإسلام هذب أخلاقنا، لتمردنا على الأرض جميعاً، فما بالكم في قوم خرجوا على التنظيمات وفصائل المنظمة، وهي في قمة سطوتها و"الإرهاب الثوري" قانونها. بل إن حملة التشهير ضدنا، ورَمْيِنَا بالجاسوسية، يُحطم أي نفسية مهما كانت قوتها. وكم من نفوس خانها الصبر على مثل هذه الأساليب... فكان مصيرها الانكسار. ما حديث الناس لولا هذا القرآن؟ وما تاريخهم؟ وما الذي يضبط سلوكهم؟ أسئلة كثيرة تحتاج إلى إجابات شافية، أولم يكفهم؟ فالمؤمن يقف مع خالقه، من خلال أدب الذات، ويلملم نفسه حياءً من الله، ويعجب من سوء الأدب، ومن الذوق الباهت الذي تردت إليه طباع البشر وأخلاقهم.

العين الساهرة اليوم:

هذا ما عشته من خلال أُنْس الليل، أما الحالة الأخرى، فهي العين الساهرة على الثغور، تخاف أن يؤتى من قبلها؛ "وعين باتت تحرس في سبيل الله". وهذه حالة لا تقبل أن يؤتى من قبلها، وترفض أن تبرح ثغرها خشية من الله، لئلا يباغتها عدو. فهي تتمترس لأمةٍ تمترست بها، وترى فيها الطليعة، وهي تعيش جبهة الاحتكاك الساخن مع العدو الذي احتل الأرض وشرد الأهل، وحاصر مقدساتنا وانتهك رمزيتها.

إنَّ مَنْ في بيت المقدس، وما حوله من المرابطين، هم مَنْ أطفأوا النيران التي التهمت منبر صلاح الدين، والمسجد لما أقدم الصهاينة على حرقه. وأهل القدس هم الذين يكثرون عندما يتعرض الأقصى لاعتداءات الصهاينة، فكم من مجزرة ارتكبها جنود الاحتلال وشرطته داخل المسجد الأقصى؟ ودماء شهداء من حين إلى حين، تقف بالمرصاد لمخططاته، وتفسد عليه اعتداءاته؟

[44] **القرآن الكريم**، سورة العنكبوت، آية 51.

إنَّ أهل القدس، والمؤامرة عليهم كبيرة، هم مَنْ يحفظون للأمة ما تبقى من القدس، ويحافظون على وجودهم، على الرغم من التضييق والتسلط ومحاربتهم في أرزاقهم، والضرائب التي ليس لها مثيلٌ في العالم. هذه هي العين الساهرة على المسجد الأقصى، والتي لا تتأخر إذا حزب الناس أمر مثيل الأقصى، وما في القدس الشرقية من جنود الاحتلال وشرطته ومخابرات، أكثر مما هو موجود في القدس الغربية وحيفا وتل الربيع، كل ذلك لإرهاق المقدسيين، وحتى يحولوا بينهم وبين الأقصى.

لقد عشقت القدس وعيني لا تفارقها، وهي التي في النهاية ستنتصر على المارقين، وبالرغم من السطوة الجاثمة على المدينة، فستبقى عصية على الاحتلال وسياساته. وأبناؤها ملأوا السجون، وهم مَنْ أوجعوا الاحتلال من خلال ضرباتهم. وإن الحق الذي تحمله آيات الإسراء في طياتها وإيحاءاتها... هي الشاحن لكل حركة من حركاتنا التي تقض مضجع الاحتلال. فبإمكانياتنا البسيطة، وعمق جذورنا التي تعود إلى بناء المسجد على عهد آدم عليه السلام فإن الخوف لا ينتهي عند عدونا، في الوقت الذي أستشعر فيه الأمن على الرغم من القيود. ولقد علمت بطانة العجل، أن محمداً ﷺ والخميس العرمرم غابا عن الساحة في حروبها مع أنظمة الردة، لذا لم يقاتلوا جيوشاً بسيرتها الأولى بقعقعة القعقاع، وبجندية ابن الوليد، التي كانت تَغلب ولا تُغلب، ومدرسة المثنى ابن حارثة الشيباني، التي دوخت الأكاسرة، عندها يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين: فيا هؤلاء سائلوا التاريخ عنا كما قال الشاعر:

سائل العلياء عنا والزمانا ... هل خفرنا ذمة مذ عرفانا

المروءات التي عاشت بنا ... لم تزل تجري سعيراً في دمانا

وقول الآخر:

على اليرموك قف واقرأ السلاما ... وكلمه إذا فهم الكلاما

إلى اليرموك إن تبغوا المعالي ... وفوق ضفافه فاجثوا احتراما

هنا الإسلامُ ضاء له حسام ... غداة استل خالده... الحساما

إنه يوم أن كانت جيوشنا تشكل كتلة عقائدية، تلتقي فيها جنود الأرض مع جند السماء، كان هؤلاء كالجعلان، كما قال فيهم زعيمهم كعب بن أسد القرظي: ما بات رجلٌ منكم منذ ولدته أمه، ليلة واحدة من الدهر حازماً.

إن على القدس أعيناً ساهرة، منهم من رحل إلى ربه كـ: الشيخ عبد الحميد السائح، والشيخ حلمي المحتسب، والشيخ سعيد صبري، قاضي القدس الشرعي، وخطيب المسجد الأقصى، والسيد روحي الخطيب، والأستاذ المجاهد المهندس (أبو سليمان) حسن القيق[45]، مدير مدرسة اليتيم العربي، التي تعتلي هضبة مطلة على ما حولها، فأرادها موشيه ديان مقراً للقيادة الوسطى لجيشه، ولكن أُستاذنا بصبره وإدارته، وتفعيل المدرسة بعد الحرب مباشرةً، فوّت الفرصة على ديان. وسُجن الأستاذ في الانتفاضة الأولى، وصبر على أذى التحقيق، حتى حملوه إلى مستشفى هداسا عين كارم في القدس الغربية، وسجن لمرات أُخر، وبقي صلباً عنيداً وطوداً شامخاً، وكان رحمه الله، على علم ودراية بأحوال المدينة، وله ذراع في معظم مؤسساتها، وله احترامه من جميع أبناء المدينة مسلمين ومسيحيين. وكذلك الأخ المناضل (أبو العبد) فيصل الحسيني[46]، عمدة القدس، والمدافع عنها حتى لحق بربه رحمه الله، وأبوه من قبله الشهيد عبد القادر الحسيني، قاد "الجهاد المقدس" أيام الاحتلال البريطاني لفلسطين، وهو القائل للجنة إنقاذ فلسطين، هذه لجنة دمار فلسطين، لأنهم خذلوه، وقال لهم يوم الخميس 1948/4/8 أنتم خائنون ومجرمون، وسيُسجل التاريخ أنكم أضعتم فلسطين، وسأحتل القسطل، وسأموت أنا وجميع إخواني المجاهدين... .

[45] **حسن سليمان القيق (1940–2006):** ولد في دورا الخليل. تخرج من كلية الهندسة في جامعة بغداد سنة 1966، وعمل في مجال التربية والتعليم ومديراً لمدرسة اليتيم العربي الصناعية حتى وفاته. أسهم في تأسيس عدد من المؤسسات الخيرية والاجتماعية، وشغل عضوية مجلس أمناء جامعة النجاح والجامعة الإسلامية. التحق بجماعة الإخوان المسلمين مبكراً، وشغل عضوية المكتب الإداري العام للإخوان المسلمين في الضفة الغربية وقطاع غزة. أبرز مؤسسي حركة المقاومة الإسلامية، واختار كلمة "حماس" اختصاراً لاسمها. أسهم في صياغة الكثير من أدبيات حماس ووثائقها، ولقب بـ"حكيم حماس". اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال. توفي في القدس.

[46] **فيصل عبد القادر الحسيني (1940–2001):** ولد في بغداد منفى والده عبد القادر الحسيني إثر ثورة 1936–1939. أكمل دراسته في القاهرة، واشترك في حركة القوميين العرب سنة 1957. عمل في مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في القدس سنة 1966. انضم إلى قوات جيش التحرير الفلسطيني في سورية أوائل 1967. عاد لفلسطين بعد الحرب واعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال. أسس بيت الشرق (جمعية الدراسات العربية) سنة 1979. شارك في الوفد الفلسطيني لمؤتمر مدريد Madrid Conference وترأس الوفد الفلسطيني المفاوض في محادثات واشنطن سنة 1993. عيّن وزيراً لملف القدس في الحكومة الثانية والثالثة، وشغل عضوية اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير منذ نيسان/ أبريل 1996 وحتى وفاته. توفي في الكويت.

سَـطِّروا بالدم أخبار الشـهيد كللـوه يـا صحـابـي بالورود

واحملوا فوق أعنـاق... عـوال مـا انحنى إلا لخلّاق الوجـود

ما انحنت إلا لرب الكون يوماً في ركوع أو خشوع أو سجود

ورحم الله الحاج حسين سلهب، الذي مات على بيعته، من أجل أن تحيا دعوته هنا في القدس، وكذلك الحاج رشدي الشويكي والحاج راضي السلايمة، الذين صبروا على غربة الطريق، وهم من قدامى الإخوان المسلمين.

وفي القدس الآن من الوجوه الحاضرة بقوة، والتي ضاق الاحتلال بها ذرعاً، فأقبل على سحب هوياتهم وحكم عليهم بالطرد من القدس؛ لأنهم يعبِّرون عن رمزية القدس، وهم الإخوة النائب أحمد عطون (أبو مجاهد)، ووزير القدس السابق المهندس خالد أبو عرفة (أبو محمد)[47]، والنائب محمد طوطح (أبو معاذ)[48]، والدكتور الشيخ عكرمة صبري، خطيب المسجد الأقصى المبارك، والشيخ جميل حمامي (أبو حمزة)، الذي أعطى للقدس من عمره وجهاده، وهو الذي قضى في السجن سنين موجعة من أجل هوية القدس.

هذه هي العيون التي ترى بنور الله، والتي أكرمها الله بأن حال بينها وبين النار، من خلال هذا المعيار، دمعة عنوانها الخشية، وحراسة في سبيل الله.

---

[47] **خالد إبراهيم أبو عرفة (1961–):** مقدسي من مواليد سلوان، متزوج وله خمسة أبناء، وحصل على بكالوريوس الهندسة الميكانيكية من بغداد سنة 1983. نشط في الحركة الإسلامية في القدس مبكراً واعتقل لعدة مرات في سجون الاحتلال بدءاً من سنة 1991. عيّن وزيراً لشؤون القدس في الحكومة الفلسطينية العاشرة. اعتقل في 2006/6/29 في الحملة التي استهدفت الوزراء والنواب الإسلاميين في الضفة الغربية. في 2006/5/29، سُلِّم قراراً بحرمانه من هويته المقدسية، وهو وباقي نواب القدس الإسلاميين. اختطف في قرصنة صهيونية في 2012/1/23 من مقر الصليب الأحمر في القدس بعد اعتصامه ونواب القدس المهددين بالإبعاد، لما يقارب العام والنصف.

[48] **محمد عمران طوطح (1968–):** ولد في مدينة القدس، وحصل على بكالوريوس إدارة أعمال من قبرص التركية. حصل على درجة الماجستير في إدارة الأعمال من جامعة القدس سنة 2000. عمل في القطاع الخاص والتجارة، وشغل عضوية مجلس أمناء مؤسسة اقرأ لرعاية القرآن والسنة في القدس. انتخب لعضوية المجلس التشريعي عن مدينة القدس سنة 2006، واعتقل لذلك في سجون الاحتلال وتقرر إبعاده وحرمانه من هويته المقدسية.

الفصل السادس

وجاء الفرج

وجاء الفرج

أمي رحمها الله، في دمشق:

بعد أن انتهت أجواء عملية تبادل سنة 1983 بجميع من في معسكر أنصار في الجنوب اللبناني وهم بالآلاف، وهم بالأمس دخلوا المعتقلات، ولا أعرف ما حسابات المسؤولين عن ذلك. وكان الأجدر بالمفاوض الفلسطيني أن يهتم بمن مضى من عمره خمسة عشر عاماً في السجون، بدلاً من أن تضيع فرصتهم. ولولا الله، ومن ثمّ القدرة الفائقة التي أبداها أحمد جبريل في التفاوض وعناده، لبقي هؤلاء حتى يومنا هذا في السجون، كما حصل للإخوة نائل البرغوثي[1] وفخري البرغوثي[2] وفؤاد الرازم الذين بقوا في سجنهم إلى أن خرجوا مؤخراً في صفقة وفاء الأحرار.

انتهت أجواء الإحباط التي وصلت بالمناضلين إلى أن يشتموا ياسر عرفات بعد أن كان مقدساً، وبلغت الصفاقة في العقوبات عند التنظيمات، أنه من يشتم الذات الإلهية لا يعاقب، ومن يشتم الثورة أو أبا عمار فعقوبته الجلد من ثلاثين إلى خمسين جلدة على الفور... وبلا نقاش.

انتهت أجواء الإحباط، وأقبلت أجواء التفاعل، وبرسائل متبادلة بيننا وبين الأخ حافظ الدلقموني. تبين لنا أن عند القيادة العامة جنود صهاينة، وتوجد مفاوضات حثيثة، والحديث يدور عن صفقة جديدة، فكتبت برسالة إلى الأخ حافظ في دمشق، وفيها بعد التحية والسلام صورة عن أوضاعنا، و136 اسماً من إخواننا من أبناء الجماعات الإسلامية، ومن هو محسوب علينا وقريب منا من أبناء التنظيمات. خرجت الرسالة في كبسولة[3] عن طريق الزيارة، مع السيدة الوالدة، وقلت لها على وجه السرعة تذهبين

---

[1] **نائل صالح البرغوثي (1957–):** ولد في قرية كوبر قرب رام الله. شارك في عملية قتل مستوطن صهيوني بصحبة الأسير المحرر فخري البرغوثي، وشقيقه عمر البرغوثي الذي خرج بصفقة تبادل سنة 1985. اعتقل في 1978/4/4 والتحق في السجن بحركة حماس. خرج في صفقة وفاء الأحرار في 2011/10/18.

[2] **فخري عصفور البرغوثي (1954–)**: ولد في قرية كوبر قرب رام الله، وشارك في عملية قتل مستوطن صهيوني بصحبة الأسير المحرر نائل البرغوثي، والأسير المحرر عمر البرغوثي. اعتقل في 1978/6/23. متزوج، ولديه شادي وهادي في سجون الاحتلال. خرج في صفقة وفاء الأحرار في 2011/10/18.

[3] رسالة الكبسولة: أسلوب للتواصل مع الأسرى، والكبسولة الوعاء البلاستيكي الذي يوضع فيه الدواء ويكون رقيقاً ومحكم الإغلاق، ولا يتم هضمه إلا في المعدة، ورسائل الكبسولة تكون محكمة الإغلاق وصغيرة الحجم بحيث يبلع الأسير المحرر أكبر عدد ممكن منها ولحظة الإفراج عنها يخرجها من دون أن يصيبها أي ضرر. انظر: فهد أبو الحاج، **مرجع سابق**، ص 60. [المحرر]

بهذه الرسالة إلى الأخ حافظ في دمشق وتقرئين عليه السلام، وأن يعتمد ما فيها، وعلى عجل. انطلقت الوالدة من القدس إلى عمّان، ومن عمّان إلى دمشق، وسلمت الرسالة للأخ حافظ، وأقامت بينهم، ثمّ ذهبت بزيارة للجنوب اللبناني لمخيم الرشيدية، في زيارة لأهل الأخ سعيد قاسم وعائلته. ورجعت فيما بعد سالمة غانمة، والحمد لله، وطمأنتنا عن وصول الرسالة وقد روستها بما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى مَنْ يهمه الأمر، إلى مَنْ عاش حالة السجن والقيد، ودفع ضريبة الأعصاب من أيامه، إليك أخي حافظ.. وإلى مَنْ هو قائم على هذه الصفقة بجدارة.. إلى الأخ المجاهد أبو جهاد أحمد جبريل، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

رسالة من وراء القضبان وقد انقطعت الأسباب إلا من الله، ولا أبلغ مما قاله الفاروق عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: "لئن أفك أسيراً من المسلمين، أحب إلي من جزيرة العرب".... .

وذكرت له عن رسائل التنظيمات إلى أبي جهاد الوزير، بأن لا تشملنا رحمته ويشاء الله ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[4]. وانتهت الرسالة بالأسماء.

انهيار المقاطعة تماماً:

لما لاح في الأفق أن السجون على أبواب صفقة جديدة، تقرب إلينا أبناء التنظيمات، خاصة لما علموا أن بيننا وبين الإخوة في القيادة العامة تواصل، وأنهم يفاوضون على ثلاثة جنود، فمنهم من طلب منا أن يدرج اسمه في هذه الصفقة، وكثير منهم كانوا يريدون الأخبار عن قرب الصفقة... ومتى هي؟ وكنا واقعيين، ومن العيب أن نستثمر عواطف الناس، فالحقيقة ولا غير، وليس لدينا ما نخسره، وقلت يا سبحان الله!! ما أضعف الإنسان، بالأمس بعثوا بالمئات من الرسائل لأبي جهاد الوزير، ألاّ تدرج أسماؤنا في أي صفقة تبادل، واليوم يطلبون ممنْ مِثْلُهم في الأسر أن تدرج أسماؤهم، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[5]، فهل مَنْ يَعتَبر مِنْ تقلبات الزمان؟ وكما قال الشاعر:

نسي الطين ساعة أنه طين حقير فصال تيهاً وعربد

[4] **القرآن الكريم**، سورة الأعراف، آية 56.

[5] **القرآن الكريم**، سورة آل عمران، آية 140.

الانتقال إلى سجن نفحة:

في تاريخ كذا من شهر تشرين الأول/ أكتوبر 1984، نودي اسمي للرحيل إلى نفحة، السجن الصحراوي الذي يعلو هضبة من جبال النقب. وحزمت أمتعتي، وودعت إخواني... وودعوني، وقلت عسى أن يكون خيراً، فمدير السجن الذي نقلني في المرة الأولى إلى سجن بئر السبع هو نفسه الذي نقلني ثانيةً إلى سجن نفحة، حيث ضاق ذرعاً بوجودي عنده. وصلت إلى نفحة مع العشاء بالضبط، في سيارة خاصة تأتي بالخبز لثلاثة أيام، كانت المواصلات صعبة وعدد السجناء لا يتجاوز الثمانين.

سجن نفحة مقصور على أبناء الفصائل، وأنا غير مرحب بي عندهم، وما رحب بي إلا شاب من القدس اسمه محمد عيسى النتشة، وهو الوحيد من وقف على الباب وقال: أهلاً وسهلاً نورت بك نفحة، وإذا بآخر، عرفته فيما بعد يقال له: أبو عاشور من غزة، يقول: الله لا يجيب الساعة التي جاءت بك.

دخلت غرفة من غرف فتح، وكنت أعرف معظم مَنْ في السجن؛ لأنهم مروا عليَّ، وكثير منهم قدماء منهم عمر القاسم، الذي التقيته في الأيام الأولى من السجن، والأخ عبد الله حجاج من غزة، والأخ جمال الكتري شقيق أبي العز الكتري من غزة.

انسجمت مع شباب الغرفة، وبقي الاحترام سيد الموقف. والحق أنهم ما قصروا معي أبداً، لكن الجو العام يقول: لا توجد جماعة إسلامية هنا، وفي نفسي أقول: أنا جماعة إسلامية، وفي بالي قول الصحابي الجليل، عبد الله بن مسعود: "الجماعة أن تكون على حقّ، ولو كنت وحدك". وبالطبع لم تخلُ الأيام من نكد السجن، خاصة الجو البارد الذي تتميز به نفحة.

وفي المنام ذات مرة رأيت الإمام حسن البنا يصعد جبل (أبو غنيم)، عندنا في القدس، وإلى الجنوب من قريتنا، وأنا من ورائه، والتفت إليَّ وقال: "تعال أعلمك"، وانتهت الرؤيا عند هذا الموقف.

كان الكتاب هو الصاحب على الدوام، هو خير جليس وخير أنيس كذلك. وكنت أخرج للرياضة يومياً، وفي صباح يوم كأنه الزمهرير من شدة البرد، لم يخرج أحد من الأسرى للرياضة سواي، فخرجت وعليَّ "بنطلونان"، وركضت وحدي لأكثر من ساعتين؛ لأن السجان هو الآخر لم يأتِ ليفتح لي الغرفة بسبب البرد. وهذا من أيام نفحة.

في أوائل سنة 1985 وصل إلى نفحة فضيلة الشيخ أحمد ياسين، بعد أن انتهى من التحقيق في سجن عسقلان. ونفحة جوّها بارد، والشيخ مريض يعاني من الربو، ولا أظنه كان ينام الليل من شدة البرد. استقبلته وعشنا معاً أسبوعاً؛ لأن وضعه الصحي لا يسمح له أن يبقى في نفحة، وانتقل إلى سجن عسقلان، وتحسنت أموره هناك، وقام الإخوة على خدمته. وكنت قد ذكرت أن الأخوين حمزة كنفوش من مخيم الشاطئ، وهو من قرية بشيت قضاء الرملة، والأخ محمد درويش (أبو داود) رحمه الله، وهو من العيسوية في مدينة القدس... أنهما توليّا أمر الشيخ.

في نفحة، شكا تنظيم فتح للشيخ أحمد ياسين حالي معهم على صعيد الكانتينا. ويشهد الله أن أموال قارون لا تستخِفُّني، ولا كما يقولون: "ولا تعبِّي عيني"، ولكن أن يتصرفوا بمستحقات لي كأنهم أوصياء عليَّ، فهذا لن يكون ما حييت، عن طيب خاطر لا أريد شيئاً. ولما ضاقت الحال مِنْ قبل ونحن في سجن الخليل عام 1993/1992، قبل أن يأتي أوسلو بأمواله، كنت أطلب من الإخوة في مدينة الخليل، كي يتبرعوا للإخوة في تنظيم فتح، لحالة الإفلاس التي وصلت إليها أحوال التنظيمات قبل أوسلو، وحصل أن تبرعوا بثلاثة آلاف أو أربعة آلاف شيكل (نحو 1,133–1,511 دولار) لأسرى سجن الخليل من فتح[6].

قال لي الشيخ أحمد ياسين، رحمه الله، لِمَ لا تلتزم معهم في مصروفات الكانتينا؟ فقلت: أيها الشيخ، أنا أدرى بهؤلاء منك؟ ولِي تجربة معهم، فلا تقلق، وتفهَّم الشيخ ذلك. وأقول: ولربما قادة التنظيمات في نفحة دبروا أمراً بحجة المرض، كأن يتخلصوا من وجود الشيخ بينهم، فكما يقال —وأنا تلميذ عند الشيخ— "إحنا من شيخ مش خالصين، فكيف بشيخين؟".

مفوض صفقة الأسرى:

قبل عملية التبادل سنة 1985 بشهر أو يزيد كانت السجون تعيش حالة تفاؤل على صعيد هذه الصفقة، كان المذياع، وخاصة إذاعة مونت كارلو، يتحدث عن اقتراب موعد الصفقة، وأن الخروج من السجن بات وشيكاً، والحرية على الأبواب. وأي خبر عن الصفقة يشيع بين الناس كالنار في الهشيم. وقبل الصفقة بـ 20 يوماً، وعلى التحديد

[6] تمّ احتساب سعر صرف الدولار مقابل الشيكل الإسرائيلي وفق معطيات بنك "إسرائيل" المركزي كمعدل للسنتين 1992–1993 الذي يساوي 2.6468.

في الأول من أيار/ مايو ويوم جمعة، كنت جالساً في ساحة السجن، وأستعد لأمرين، لزيارة الأهل، ولصلاة الجمعة، وإذا بأمر ثالث على الأبواب، يذهب ويتجاوز الأمرين السابقين، إذ جاءت إدارة السجن تطلب مني أن أحزم أمتعتي بسرعة؛ لأن ناقلة تنتظرني في طريقها إلى عسقلان. وفعلاً، قمت على وجه السرعة بحزم أمتعتي، وخرجت من السجن، وإذا بشاب من الجبهة الشعبية اسمه سليم نسيبة، قادم من عسقلان، ويقول لي: يا شيخ لا تركب معهم، وهو يعني الشرطة العسكرية الإسرائيلية؛ لأنها هي المسؤولة عن النقليات، التي هي ليست من صلاحيات مصلحة السجون، بل هذا شأن سلطات عليا، ومن صلاحيات جهاز أعلى من مصلحة السجون. المهم أن سليم هذا أتوا به من عسقلان؛ لأنه عضو لجنة تدقيق، ومفوض من الخارج، من القيادة العامة عن سجن نفحة، لتحديد أسماء الأسرى من أجل إتمام الصفقة، فاعترض على قسوة تعاملهم... فضربوه... أما أنا فخرجت... وفي طريقي إلى "البوسطة"، سألني ضابط أمن السجن، ونائب مدير السجن: إلى أين أنت ذاهب يا شيخ؟ فأجبت: إلى البيت إن شاء الله، وذلك من باب التفاؤل، وهما على علم بالذي يجري، فبدت عليهما الدهشة، وودعاني باحترام. وذكرت لهما أن الوالدة هناك على بوابة السجن، جاءت للزيارة، وطلبت أن أراها، ولو لخمس دقائق حتى أودعها. وفعلاً تحدثا مع الشرطة العسكرية، وأجلستني الشرطة العسكرية أرضاً داخل السيارة، وأنا مقيد اليدين من الخلف، وكذلك القدمين، وجاءتني أمي على هذه الحال، فقلت لها: لا تبالي، هو مشوار الطريق إلى عسقلان، وإن شاء الله فرج الله قريب، وأخذت الأمور ببساطة، "وخدها معود على اللطيم".

ودعت أمي وودعتني، وما أكثر الوداع! وانطلقت بي سيارة الشرطة، وقد وضعوا كيساً غطى وجهي ورأسي، كما هي الحال في التحقيق، وبقيت على هذه الحال، إلى أن وصلت إلى ساحة عسقلان مع صلاة الجمعة. فدخلت والخطيب يخطب للجمعة، وانتبه الناس إلى قدومي، مما شوش على الخطيب. وحضرت الخطبة والصلاة، وفرح الأسرى بهذه العودة، وصافحت الجميع... جميع مَنْ في الساحة.

وبعد ساعة من وصولي استقبلني مدير السجن الذي طردني مرتين من قبل، وسلَّم علي ودعاني إلى مكتبة السجن، فسألته: ما الأمر؟ فقال الآن تعرف، ولما دخلنا إلى مكتبة السجن، وكانت من قبل محظورة علينا، فرحب بي عاملا المكتبة، وهما غازي أبو جياب من الشعبية ورمضان النجار من فتح... وجَلَسْتُ والمدير، وبحضورهما قال لي: توجد

صفقة تبادل أسرى، فقلت: وما يعنيني؟ فقال: أنت المعني، وأنت على رأس اللجان كلها في السجون، وبتفويض من الصليب الأحمر الدولي، الذي فوضه أحمد جبريل لعمل هذه اللجان. قلت للمدير: وما المطلوب؟ قال: فرز الناس. وكان حظّ عسقلان عظيماً في هذه الصفقة. قلت له إذن: قل للسجانين أن يسهلوا حركتي بين الأقسام. وكان ذلك، وفرزنا الأسماء، ولجنة معي من الإخوة منهم سعيد قاسم، واجتمعنا مع مدير الصليب الأحمر الدولي لأكثر من أسبوعين، ونحن ندقق في أسماء من ورد اسمه في صفقة التبادل؛ ولأن دولة الاحتلال فيما سبق بدلت أسماء، وتحفظت على أسماء، ومن الأسرى مَنْ وصل إلى الطائرة في مطار اللد، ثمّ رجع إلى السجن ثانية.

وفي هذه الأيام العشرين، التي سبقت يوم الإفراج، عاش السجن على أعصابه... ومن الناس مَنْ تأخر اسمه من إدارة السجن عن قصد، وذلك لعب بالأعصاب مثل الأخ أحمد مهنا، وكذلك رفيق من الجبهة الشعبية اسمه شحادة، وما إن حضرت أسماؤهم كادوا يطيرون من الفرح، وانتفض أحدهم كأنَّ ثعباناً لدغه لما سمع الخبر، وقلت في نفسي: مسكين ابن آدم... سنون من التعب والتعبئة بأنه لا إله والحياة مادة، وإذا بلحظة تنتصر الفطرة لخالقها.

كنت قد كتبت بياناً اعتقالياً لجميع مَنْ في السجن حول الصفقة وظروفها، وروسته بالبسملة والثناء على الله، والصلاة على نبيه ﷺ ولم يكن معهوداً لبيان اعتقالي دون هيئة اعتقالية، وأن يُروس بالبسملة. وجاء فيه الحث على الصبر في الحالتين، للذين وردت أسماؤهم في الصفقة، والذين لم ترد أسماؤهم، وكل مَنْ ورد اسمه في هذه الصفقة من القدامى، ومن ذوي الأحكام العالية، وقلنا: على الناس أن يضبطوا أعصابهم، وأن يكثروا من الذكر، وأن مَنْ فاته الأمر، فلن يفوته الأجر، ولن تطول عليه الحال —إن شاء الله— حيث إن شريحة من الأسرى أحكامهم عالية، لم ترد أسماؤهم في الصفقة وتحفظت عليهم دولة الاحتلال، ومنهم من تمّ ذكر اسمه في الصفقة، ولم تصدر الأحكام ضدهم بعد. وفي السياق ذكرت قصة عن عبد الله بن حذافة السهمي لما قبل عمر بن الخطاب رأسه وقال: حقّ على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله، في قصة أسره عند الروم وتحرير إخوانه، واستشهدت بقول آخر لسيدنا عمر رضي الله عنه: لأن أفك أسيراً من المسلمين، أحب إلي من جزيرة العرب وقلت حديثاً عن نبيناً، ﷺ: "من لم يشكر الناس لا يشكر الله"[7].

[7] لنص الحديث وتخريجه انظر: **صحيح الترغيب والترهيب للمنذري**، الحديث رقم 976. [المحرر]

وخطبت آخر جمعة بسورة "العصر"، وقلت: إنها العهد والميثاق، واستبشر الناس خيراً أنه قد اقترب يوم الفكاك. وقلت إن التواصي بالحق يحتاج إلى قوة، فالحق الذي لا تحميه قوة ضائع، وإن التواصي بالصبر لا ينقطع حبله حتى الممات، وهذه رحلتنا مِنْ على هذه الأرض كما قال الشاعر:

مشيناها خُطاً كتبت علينا ومن كتبت عليه خُطاً مشاها

وذكرت قول الشاعر في أقدارنا:

إذا الله لم يحرسك مما تخافه فلا السيف قطاع ولا الدرع مانع

هذه هي الطريق، فلا بدّ من عصبة تعلم أنه لا راحة حتى ولو نفد الصبر، وما للصبر من نفاد، والنفوس المؤمنة تتواضع في نمائها، كما هي السنابل قبل حصادها.

مع الشيخ أحمد ياسين:

جمعتني ساحة عسقلان ثانية بالشيخ، بعد أن افترقنا يوم رحيله من سجن نفحة، وكان الشيخ ذا مزاج رائق، وهدوء تعلوه ابتسامة، جلسنا على انفراد، والشيخ حجة في التربية، حتى وإن لم يتكلم، وقال لي: الآن جاء دورنا، في هذا الصراع. وحدثني عن الأسباب التي أدت إلى إصابته بالشلل، وقال: كنت بعد الهجرة أمارس الرياضة بالقرب من شاطئ الهجرة، الذي انتحل معسكرنا اسمه، وعبد الله صيام معي يريد أن يلقي بي أرضاً، وهو ممسك برقبتي. فشعرت بشيء كأنه انقطع مني، ورجعت إلى البيت لا تحملني قدماي... وأنا موجوع لا أستطيع العودة إلى ما كنت عليه. وحالة اللجوء في المخيمات التي يصاحبها الفقر... حالت دون العلاج أو متابعة الأمر، والأطباء والمراكز الصحية على ندرة في تلك الأيام، وتطور المرض مع الأيام، والعائلة عاجزة أمام هذه الحالة. وعبد الله صيام هذا هو بطل المقاومة في خلدة جنوب بيروت، وهي أرض مكشوفة حاول العدو الإسرائيلي محاولات عدة، لإنزال قواته من الجو هناك، ففشلت كل المحاولات، إلى أن استشهد العقيد عبد الله ورفاقه في هذه الحرب سنة 1982.

وحدثني الشيخ، رحمه الله، عن الدكتور إسماعيل الخطيب، رحمه الله، وقصة التهديدات التي مارسها أبو علي شاهين ضده، ومن ورائها كان يريد احتواء الجامعة الإسلامية، والسيطرة عليها. والدكتور إسماعيل كان محاضراً للغة العربية في

الجامعة الإسلامية، ومن قبل كانت محاولات عدة للسيطرة على الجامعة، وجميعُها باءت بالفشل، حتى قلنا: لو لم يبقَ إلا "البواب" في الجامعة لجعلناه رئيسها.

هذه المحاولات انتهت باستشهاد الدكتور إسماعيل، وكان أبو علي شاهين (ومن ورائه قيادة المنظمة) قد أرسل إليه تهديدات في رسالتين، مع كل رسالة رصاصة، وكان المطلوب أن يترك الجامعة وموقعه فيها. فعرض الدكتور إسماعيل رسائل التهديد على الشيخ أحمد ياسين، فقال له الشيخ: هو تهديد أكثر منه تنفيذ، وهل هذا يخيفك؟ فأجاب الدكتور "لا"، وقال: الأعمار بيد الله.

ولما فشلت تهديدات أبي علي شاهين، بعث إلى قيادته يستشيرهم بهذا الشأن، فجاءه منها قرار الاغتيال. وقُتل الدكتور إسماعيل وهو يفتح باب سيارته لأطفاله وزوجته، وعلى أعينهم وقعت الفجيعة.

كان أبو عمار، ولو بالقوة، حريصاً على أن يغير اسم الجامعة إلى جامعة الإمام الشافعي حتى تخرج من تحت عباءة المجمّع الإسلامي. كان لا يريد للمجمع الإسلامي أن يتولاها، بل يريد لشيخ الأزهر في غزة محمد عواد، أن يرأسها.

أما مَنْ قتل الدكتور إسماعيل بيده، فقد احتوته زنازين عسقلان، بعد أن هلوس في السجن، وطارده إسماعيل في منامه.

وحدثني الشيخ عن ظروف اعتقالهم، وعن تخطيطهم، والمساحة التي يريدونها من وراء هذا التخطيط، وأنها معركتنا إلى أن ينحسم الصراع لصالحنا. وحدثني عن الدكتور إبراهيم المقادمة في موقف له في المحكمة العسكرية، يوم أن هتف ضدّ الصهاينة، والقرآن في يده يلوح به، ويشاء الله كذلك للشيخ أن تأتيه الشهادة ولو بعد حين من حيث لا يحتسب. واستشهد الدكتور إسماعيل الخطيب وإبراهيم المقادمة وصلاح شحادة[8]،

[8] **صلاح مصطفى شحادة (1952–2002):** ولد في مخيم الشاطئ لأسرة تعود أصولها لمدينة يافا. درس الخدمة الاجتماعية في الإسكندرية، وعمل في الجامعة الإسلامية في غزة. اعتقل سنة 1984 للاشتباه بنشاطه المعادي للاحتلال الصهيوني. شغل عضوية المكتب الإداري العام للإخوان المسلمين في قطاع غزة. اعتقل مرة ثانية لمسؤوليته عن الجهاز العسكري الأول لحركة حماس، "المجاهدون الفلسطينيون"، وأفرج عنه سنة 2000. مع اندلاع الانتفاضة الثانية أعاد إحياء كتائب الشهيد عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس). اغتيل بقصف جوي استهدف الحي الذي يسكنه في 2002/7/22، وسقط أكثر من 150 مواطناً بين شهيد وجريح.

و﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[9]، لكل من تآمر على هذه الدعوة، ودم إسماعيل الخطيب لعنة تطارد الظلمة، والله يمهل ولا يهمل.

مع مدير الصليب الأحمر الدولي ونهاية الصفقة:

جلست مع مدير الصليب الأحمر من قبل، ولكن هذه المرة جاءني، وفي جعبته الأخبار الأخيرة حول الصفقة، وأن الترتيبات على قدم وساق، وأن "إسرائيل" تحفظت على 36 من الأسرى. وفي النهاية قبل الطرفان بالفيتو: 18 للقيادة العامة، و18 تحفظت عليهم "إسرائيل"، وأن في الصفقة عملية تخيير، فمن أراد أن يبقى في البلاد فله ذلك، ومن أراد الرحيل إلى الخارج فله ذلك... وبعدها قلنا للناس، بل كان منا التشجيع أن يعودوا إلى بيوتهم، وإلى أهاليهم، وكان ذلك والحمد لله.

وفي اليوم الذي سبق تحريرنا... وقد جاءنا الصليب الأحمر بملابس من عنده، كنا في غرفة الزيارة ننتظر خروجنا إلى الحافلات، وإذا بقائد المنطقة الوسطى يدخل علينا، وشخصناه، وقلنا هذا عمرام متسناع Amram Mitzna. أما أهل الداخل الأخضر والخليل وغزة، فلم يخرجوا معنا، وبقوا في عسقلان إلى أن جاءتهم الحافلات في اليوم الثاني، وانطلقت بهم إلى ديارهم. وأما نحن أبناء القدس وبيت لحم والشمال كله، فذهبت بنا الحافلات إلى سجن جنيد، ونزلنا مع الغروب. وفي اليوم الثاني، وهو يوم الإثنين الأول من رمضان، والذي يوافق 1985/5/20، نوينا الصيام، وبقينا بعد مبيت ليلة في سجن جنيد، بقينا في الساحة ننتظر أن تأتي الأوامر بركوب الحافلات. وحصل أن الاحتلال كان يريد من الأخوين خالد طنطش وفضل طهبوب المغادرة خارج فلسطين، فطلبت من الصليب الأحمر أن يتحمل المسؤولية، وقلت للمسؤول الإسرائيلي، إن الصفقة ستتوقف مالم تنتهِ مشكلة الأخوين، ولساعتين والإجراءات متوقفة، حتى سارت الأمور، وخرج الأخوان من السجن إلى بيتيهما في القدس.

بقينا حتى المساء في الساحة الخارجية في سجن جنيد، والحافلات تنتظرنا؛ لأن الاحتلال مع خروج الدفعة الأولى من الأسرى، واستقبال الناس للحافلات التي تقلهم غيَّر الطريق، ولأن المستوطنين اعترضوا الحافلات على طريق نابلس. فكان حظّ من تأخر أن سارت بنا الحافلات إلى الغرب من سجن جنيد... ثم إلى عزون، والداخل الفلسطيني

[9] **القرآن الكريم**، سورة الفجر، آية 14.

وإلى الرملة، ثمّ إلى دير أبان (والتي تسمى اليوم "بيت شيمش")، وجئنا قرية الخضر من الغرب، والدهيشة وبيت لحم من الجنوب، في رحلة طويلة، فظنَّ الوالد أني خرجت مع الذين غادروا إلى سويسرا في الطائرات. وقد سمعت وأنا في سجن جنيد نهاراً إذاعة مونت كارلو تقول: إن الشيخ محمد أبو طير توجه إلى سويسرا على متن طائرة الأسرى، ولم يكن هذا صحيحاً؛ لأني موجود في جنيد، ولأن المسؤولية فرضت عليّ التأخر حتى بعد انتهاء العملية، وقلت في نفسي: إن الوالد سمع ذلك؛ لأنه يتابع الأخبار أولاً بأول. وفعلاً فقد تأخرت عن الجميع؛ لأني الوحيد في الحافلة التي تقل الأسيرات المحررات، والواجب يقتضي القيام على هذا الأمر، إلى حين يصلن إلى بيوتهن. ونظرت إلى حالي في ساحة المهد في بيت لحم، وإذا أنا وحدي... بعد أن مضى كلٌّ من الأسرى المحررين إلى بيته... وإلى ذويه وأهله. ولأول مرة ترى الشعب يفرح بعودة أبنائه بهذه الجموع، وشدني مخيم الدهيشة، وهو يخرج عن بكرة أبيه، وقد أوصد الشارع دون الحافلات التي كنا فيها. ولولا الجيش، الذي يرافق حافلاتنا منذ أن خرجنا من سجن جنيد، ما تمكنت الحافلات من الوصول إلى ساحة المهد محطتنا الأخيرة. لقد خرج الشعب يهتف لهذا العرس، وفرحت فلسطين بعودة أبنائها. هذا العرس الذي أعطى شعبنا دماً جديداً، وعمَّر بيوتاً، وفرج كُرَباً، ووسع على الناس حياتهم، وارتاحت العائلات من همٍّ يطاردها من سجن إلى سجن، في زيارات على مدى سنيّ السجن.

لقد استقبل الشعب أبناءه وعاد للوطن رجاله الذين دخلوا السجون من أجل حريته، وكان الشعور عند الناس مفعماً بالأمل، فالأسرى كان منهم التضحية والعطاء، والشعب كان منه الوفاء، والوطن لا يشعر بدفئه إلا أبناؤه.

وصلت بنا الحافلة إلى ساحة المهد في بيت لحم، وتلفّتُّ حولي بعد أن التحق الجميع بأهله، وإذْ بي أترقبُ وحيداً مَنْ يغيث ملهوفاً يريد الوصول إلى بيته، وإذا بالأخ محمود عدوي في سيارته، ومعه الأخ محمود عميرة واثنان من الذين خرجوا معنا من السجن، فرحبوا بي والفرحة تغمرهم، وسارت بنا السيارة في طريقها إلى صور باهر فأم طوبا، والعيزرية من بعد. وابتدأوا بي وقد آثروا أن يفرح أهلي بي قبل فرحة أهاليهم بهم. وطلبت منهم أن أترجل من السيارة قبل البيت بقليل، وحتى يواصلوا السير إلى قراهم وعائلاتهم التي طال انتظارها، وحتى لا يتأخر السائق محمود عدوي على أهله، وقد تعرفت عليه فيما بعد، ودخل السجن معنا سنة 1992، وشارك في الإضراب عن الطعام.

وما إن وطئت قدماي أرض القرية، والحارة التي شهدت طفولتي وميعة شبابي، وإذْ بأخي عمر ينتظرني بدموعه، والساعة تجاوزت العاشرة والنصف ليلاً. وتعانقنا بالأحضان، ثمّ سرت إلى البيت وقدماي ترتجفان، وعزيز على النفس هذا الحرمان، وهذا البعد الذي طال، ودام إحدى عشرة سنة كاملة، وصدري يضيق بحرماني من ظلال الحرية على أرضي وبين أهلي. ووصلت البيت، وأول من استقبلني جدتي لأمي واسمها عسكرية، وعلا صوتها بالزغاريد تبدّد هدأة الليل الساجي، ثمّ الوالد الذي قطع الأمل في عودتي، وقال لأمي: الحقي بولدك فقد غادر البلاد، واستقبلتني أمي، رحمها الله، رفيقة دربي، وابنتي فلسطين، وإخواني، وزوجي، ومَنْ في المحيط من الأهل والأقارب، وتوافد الناس وما انقطع حبلهم، واستقبل الناس رمضان وأتاهم رمضان بهذا النصر العظيم، وبهذه الفرحة الغامرة، وبهذا الإنجاز الكبير... وتوافد الناس وقت السّحور، إذ جاءني الشيخ كامل القاضي، والشيخ محمد حسين. وذهبت بصحبة الشيخ كامل لصلاة الصبح في المسجد الأقصى، وكانت بداية المشوار مع رمضان لأول مرة خارج السجن، بعد هذه السنين من المحنة. ولما قُضيت الصلاة رجعت إلى البيت لعلي أنال قسطاً من الراحة، وقد فاتتني ليلتان من النوم. وما إن وصلت وقد أعياني التعب، حتى ألقيت بنفسي على الفراش، وذهبت في نوم عميق، وبعد أن أخذت قسْطي من الراحة، استيقظت مع الظهر لاستقبال المهنئين.

عودة إلى الصفقة التي طال الحديث عنها، وهي تستحق كل هذا الإطراء، حيث أطلق سراح الشيخ أحمد ياسين، وقد بشرته بذلك ونحن في ساحة السجن، وقد تأخر اسمه عن القوائم الأولى؛ لأنه لم يمرّ على حبسه واعتقاله سنة، ولم يرفع اسمه مباشرة، فصدر الحكم ضده 13 عاماً، أمضى منها أقل من سنة. شملته الصفقة ولم تشمل مجموعته التي حضرت إلى عسقلان فيما بعد، وحافظت على الجماعة التي تهلهل موقفها بعد أن أفرج عن شبّانها. وفي هذه الصفقة أفرج عن المقاتل الياباني كوزو أوكاموتو Kozo Okamoto، والذي نزل بسلاحه في مطار اللد، في صبيحة يوم 1972/5/30، وأطلق الرصاص على كل مَنْ كان في قاعة المطار، وقتل ستة وعشرين من الصهاينة، منهم عالم ذرة، وهو أخ لرئيس دولة الاحتلال.

الفصل السابع

اعتقالان بينهما اعتقال إداري

اعتقالان بينهما اعتقال إداري

حال يشرح الصدر:

منذ أن مَنَّ الله علينا بالفرج، والحمد لله، وطوال شهر رمضان، بل وبعد رمضان، والمهنئون يتوافدون من القدس وضواحيها، ومن الضفة مدنها وقراها، ومن قطاع غزة ومخيماته، ومن الداخل المحتل سنة 1948 وبلداته. استقبلتُ هذه الجموع حتى وهنت يدي من كثرة المصافحة، وأصابها التهاب. وَحَدِّث عن مشاعر الناس الفياضة، وعن الروح الوطنية الصادقة، وعن عودة الناس للدين بعد هذه الغربة، وعمَّا فات من المَحْل والجفاف، الذي أعرفه أو أعهده قبل أن أُسجن. وبعد إحدى عشرة سنة من الغياب، دخلت المسجد الأقصى لأول يوم، وإذا بالجموع في صلاة الصبح تشرح الصدر، واكتظاظ المصلين في صفوفهم لم يكن معهوداً من قبل في المسجد الأقصى، كان الصف الأول قلَّما يمتلئ بالمصلين، أما اليوم، فصلاة التروايح يحضرها المصلون من كل فجّ، وكذلك سائر الصلوات، والحمد لله.

وأما صلاة الجمعة الأولى، فما إن وطئت قدماي ساحات المسجد الأقصى، حتى رأيتها عامرة بالناس رجالاً ونساءً على حدٍّ سواء. دخلت السجن، ولا أذكر فتاة محجبة إلا أخت الدكتور عكرمة صبري. أما اليوم، فقد شعرت بالنشوة والانتصار لعودة الناس من هذه الغربة، وعمران المسجد الأقصى بالمصلين، بعدما عرفته قديماً بقلة زائريه، واليوم ساحاته عامرة بشباب يفور قوة، ويقبل متحمساً، وخطباء طالما انتظرهم المسجد الأقصى ورواده، وحُقّ لهم أن يعتلوا منبره؛ كالدكتور محمد صيام (أبو محمود)، رئيس الجامعة الإسلامية الأسبق، والشيخ حامد البيتاوي[1]، الذي كان يلهب مشاعر العُبَّاد، وهو يقول من على منبر الأقصى: اسمعوها يا قوات الاحتلال... لا أسمعكم اللهُ الرعد. والشيخ عكرمة صبري، والشيخ محمد فؤاد أبو زيد، هؤلاء الخطباء أتوا على الناس بجديد، وصاروا أحاديث الناس. وكانت الصلاة في الأقصى

[1] **حامد سليمان البيتاوي (1944–2012):** ولد في قرية بيتا قرب نابلس. درس في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية، وحاصل على شهادة الماجستير في الفقه والتشريع من جامعة النجاح. عمل في سلك القضاء الشرعي، وشغل عضوية عدد من المؤسسات الاجتماعية والخيرية، ورئاسة رابطة علماء فلسطين، وخطيب المسجد الأقصى. انتخب في الانتخابات التشريعية سنة 2006 عن مدينة نابلس ضمن كتلة التغيير والإصلاح. توفي في القدس.

يوم الجمعة كأنها عرسٌ في السماء. ولا ترى في الناس إلا العاطفة الصادقة، والنفوس الفوارة التي ينتظرها الكثير، وما كانت تدري أنها مقبلة على مرحلة تفجير إيماني، وانتفاضة من رحمها تخرج حركة لا يمر عليها يومٌ إلا وهي تتعاظم، ألا وهي حركة حماس.

إن الصلاة في المسجد الأقصى هي الثغر الذي يغيظ الأعداء، ولا أظن أنني تخلفت عن الصلاة فيه في ليلٍ أو نهار إلا اضطراراً. وكنت مع الروح الصدامية التي عشناها في السجن، أقف للموعظة على مسامع الناس، وبلون جديد غير معهود. ولدي مخزون من السجن يفيض بالكثير، ومفهوم للتعبئة يختلف عن مواعظ الآخرين. واحتكاكنا بالعدو عن قرب، ومعرفتنا عن الأفكار الهدامة جاءت عن تجربة، وقد دفعنا ضريبتها من أعمارنا وأعصابنا، فكانت مواعظي من لون جديد، وأنفاس تريد للناس أن يتحرروا من هذا الكابوس الجاثم على صدورهم، ومن هذا الاحتلال الغاشم. حتى قال لي الوالد رحمه الله، وهو من الرواد: يا ولدي حديثنا للناس محسوب علينا، وأن نتكلم نحن، أخطر على الصهاينة من الرصاص بيد غيرنا. فطمأنته، وقلت له: لنا الأجر والثواب إن شاء الله.

في العشر الأواخر من رمضان، وبمبادرة وترتيب من الشيخ جميل حمامي، وهو يوم ذاك مدير المسجد الأقصى المبارك، كان الاعتكاف سُنَّة يحافظ عليها شبانٌ ملتزمون في قاعة كبيرة من باب الرحمة، في الساحة الشرقية من المسجد الأقصى، وبإدارة داخلية يقوم على إمرتها (أبو ياسين) محمد ياسين سماحة، وفي كل يوم موعظة مع الشيخ أبي إسحق الدكتور إبراهيم أبو سالم[2]. وكان الاعتكاف يقوم على المواعظ وقيام الليل، والمأثورات والدعاء والاستغفار، ونشاط تربوي رائع. وأذكر أنه كان لي لقاء مع الإخوة خلال هذا الاعتكاف، أجبتهم فيه عن أسئلة كثيرة، وكان شوق الإخوة لسماع التجربة عظيماً، وقلت: مَن اتهمنا بالعمالة ثبت مع الأيام أنه غارق في وحل العمالة.

---

[2] **إبراهيم سعيد أبو سالم (1948–):** من قرية السدرة قضاء الرملة، يسكن قرية بيرنبالا شمال القدس. درس الشريعة في الجامعة الأردنية، وعمل واعظاً في وزارة الأوقاف، وأحد أبرز الخطباء والدعاة في الضفة الغربية. حصل على الماجستير في الفقه والتشريع من جامعة الأزهر سنة 1981. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني بدءاً من سنة 1986 لنشاطه القيادي في جماعة الإخوان المسلمين. أبعد إلى مرج الزهور سنة 1992، وناقش خلال ذلك رسالة الدكتوراه في الفقه الإسلامي المقارن. أستاذ الشريعة في كلية الدعوة وأصول الدين في جامعة القدس. انتخب لعضوية المجلس التشريعي عن مدينة القدس سنة 2006، واعتقل لذلك في سجون الاحتلال.

وفي ليلة السابع والعشرين من رمضان —وَتَعَوَّدَ الناس على أنها ليلة القدر— لتلك السنة، وبعد أن صلينا التروايح مع الإمام الراتب، توجهنا إلى الساحة الشرقية من المسجد، وقد اتخذها الإخوة بإدارة الشيخ جميل موقعاً ومسجداً لقيام الليل، وإحياء ليلة القدر بالصلاة والدعاء والذكر، بدلاً من الجدل الذي لا طائل منه، فهي ليلة استغراق روحي، وما فيها من بركة يغني عن التهريج الذي يفقدها هيبتها. وما إن استوت الأمور حتى تقدم مني الشيخ جميل (أبو حمزة)، وقال: صلِّ في الناس هذه الليلة، فاستأذنته في التطويل مخيراً أو التخفيف؟ فقال: طوِّل، وهي الآن سعة لمن استطاع أو يريد. ونويت الصلاة بركعتين قرأت فيهما سورة البقرة، وهذا من فضل الله علينا، فقد مَنَّ الله علي بحفظ كتابه، وتعب من تعب من الناس وجلس من جلس، كما قيل لي، وكان الحضور من جميع أنحاء فلسطين، وإلى يومنا هذا من الناس من يذكرني بتلك الليلة المباركة، منهم الشيخ حامد البيتاوي، فهي بالنسبة لي قد تعودتها...

وكنا لعهد قريب في السجن وقد صلى الأخ الشهيد مصباح الصوري في غرفة من غرفنا في السجن ليلة 27 رمضان، بعد صلاة العشاء والتروايح، صلى ركعتين قرأ فيهما سورة البقرة، وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف، والأنفال والتوبة، وعن ظهر قلب. وصليت في رمضان سنة 2010، في "سجنتي" الأخيرة التي أعقبها الإبعاد عن القدس، بأربعة أجزاء كاملة، ختمتها بالدعاء في ليلة 27 رمضان، وفي أقل من ساعة ونصف، ما جعل من الأخ عبد الرحمن شديد، من طولكرم، وابن كتائب الشهيد عز الدين القسام، يبدي استغرابه ممّا سمع من الإخوة في غرفتنا أن ذلك حصل.

قهوة الجنة:

وكان مصباح الصوري رضي الله عنه محباً للقهوة، وفي نقاش مع فريق من الإخوة فيهم المجاهد عدنان أبو اسنينة، سأل مصباح: هل يوجد في الجنة قهوة؟ ففريق يقول لا، وفريق يقول نعم. وحجة من يقول لا، أنه لا يوجد في الجنة نار توقد عليها القهوة، وحجة مَنْ يقول نعم، قوله تعالى ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[3]. وحديث النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: "أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"[4].

[3] **القرآن الكريم**، سورة الزخرف، آية 71.

[4] حديث متفق عليه، لنصّ الحديث انظر: **صحيح الإمام البخاري**، الحديث رقم 3244. [المحرر]

وبعد فترة من استشهاده، جاء مصباح زائراً للمجاهد محمد الخطيب في منامه يقول: يوجد في الجنة قهوة. وقصّ الأخ محمد الخطيب الرؤيا على الأخ عدنان أبو اسنينة فيما بعد. وحدثني إياه الأخ الحبيب عدنان أبو اسنينة، الذي جمعتني به السجون، وخرج معنا في تبادل الأسرى، وهو والد المجاهد محمد خليل أبو اسنينة، الذي نفذ عملية الحاجز عند رأس خميس في عناتا، فقتل فيها جندياً وغنم سلاحه في جرأة منقطعة النظير، كذلك قام المجاهد المذكور بقتل شرطي صهيوني في عملية باب الأسباط، وقد جمعتني الأيام به من خلال "البوسطة".

نحن أناس عُبّاد في السجن، وعُبّاد خارج السجن، ومجاهدون يخشانا العدو، ويخشى كل حركة منا. لكن الظروف خارج السجن لها اهتمامات أخرى، وأعباؤها تأخذ منك جهد الليل والنهار. وداخل السجن في رمضان، كان منّا مَنْ يختم كل يوم مرة، وكنت أختم القرآن كل ثلاثة أيام مرة، وختمته في يوم واحد، أما خارج السجن، فالحال تختلف كثيراً للأسباب التي ذكرتها.

جيل جديد:

هذه أيام رمضان، ولياليه تتميز بمدرسة عجيبة، وكان للمهنئين لنا من الناس حظٌ معنا، أكثر من حظّ الأهل والبيت والأرحام، ونحتسب ذلك عند الله. وكان لطلبة الجامعات على الخصوص حضورهم الذي انتظروه، ولأن تربيتهم قائمة على الإعداد. وفي ظلّ المزايدة التي تمارسها الشبيبة الفتحاوية على صعيد الكفاح المسلح، جعل من هؤلاء الفتية يشعرون بحاجتهم إلى ملء هذا الفراغ، وإلى متى هذا الانتظار وقد طال؟

كانوا في شوق لمعرفة الكثير عن سيرتنا الأولى، وتجربتنا التي أخذت سنينَ عجافاً من أعمارنا، وخاصة أن لهم تجربة مشابهة في قسوتها من خلال النشاط الطلابي في الجامعات.

كنا نلتقي وإياهم في فهمنا لأبعاد الصراع، وصراع الأفكار، وحالة التيه الذي تعيشه القوى الأخرى بعيداً عن الإسلام. وكان الفتية يفصحون عن شوق للعمل الجهادي على استحياء، وبعضُهم خوفاً من الإحراج. وكانت صدروهم حامية، تبحث عمن يستوعبها ويحملها على الطريق، ومنهم مَنْ ظنَّ أنني ضالته، ولم ينقطع ترددهم على

البيت، وعرفوا الطريق، وعرضوا عليّ صحبتهم في رحلات كانوا يقومون بها من خلال الجامعة، إلى المواقع الحاسمة من تاريخ هذه الأمة بمعاركها الفاصلة، مثل عين جالوت وحطين واليرموك وأجنادين، وعكا بأسوارها ومساجدها. وكان أكثرهم تردداً عليَّ عادل عوض الله[5]، وصلاح الدين دروزة[6]، ومحيي الدين الشريف[7]، وكلهم استشهدوا لاحقاً... وكل هذا النشاط حتى يعيدوا للذاكرة أحداث تاريخ هذه الأمة وأمجادها، ولا ينقطع التعليق على ذلك.

وبعد أن انتهى شهر العسل من رمضان، وجاء العيد وخرج الناس للصلاة، صليت بهم وخطبتهم وألقيت على مسامعهم ما لم يعهدوه من قبل، وبعدها انطلقت في زيارة بيوت القرية بيتاً بيتاً مهنئاً بالعيد، وما رجعت للبيت إلا مع الغروب؛ لأن أهل القرية أبناء رجل واحد، وامرأة واحدة... فالقرية كلها "أبو طير".

وبعد العيد، تفرغت قليلاً للأهل والأقارب والأصحاب، وتنقلت ما بين المدن والقرى في فلسطين من شمالها إلى جنوبها عدا أم الرشراش. وحاضرت في المساجد وفي الجامعات

---

[5] **عادل أحمد عوض الله (1967–1998):** ولد في البيرة، ودرس الرياضيات في جامعة القدس. انضم مبكراً لجماعة الإخوان المسلمين. متزوج وله أربعة أبناء. نشط مبكراً في كتائب القسام، واعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني. بدأ عادل وعدد من إخوانه في سجون الاحتلال بالإعداد والتجهيز لتنظيم عسكري ضخم يغطي الضفة الغربية، ولهذا تمّ تدريب وتجهيز العشرات وتمّ العمل لإعداد مصنع متفجرات وتجهيز خلايا عسكرية لشن عمليات ضخمة لهز الاحتلال، وعمليات اغتيال وخطف جنود. عُدَّ القائد العام لكتائب القسام والمطلوب الأول لقوات الاحتلال الصهيوني وأجهزة السلطة الفلسطينية الأمنية. استشهد وشقيقه عماد في 1998/9/10 بعد اقتحام الاحتلال الصهيوني للمزرعة التي اختفى بها عادل بالقرب من الخليل، وكان هذا سبباً في تفكيك الاحتلال للتنظيم واعتقال العشرات وعلى رأسهم الشيخ أبو طير.

[6] **صلاح الدين نور الدين دروزة (1964–2001):** ولد في مدينة نابلس، حاصل على شهادة البكالوريوس في الأحياء من جامعة القدس، أمير الكتلة الإسلامية في الجامعة، متزوج وله ستة من الأبناء، اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني، وأبعد إلى مرج الزهور سنة 1992. اعتقل في سجون السلطة الفلسطينية. أحد قادة كتائب القسام الذين أعادوا تنظيم صفوفها تحت قيادة الشهيد جمال منصور إثر اندلاع انتفاضة الأقصى، المسؤول المباشر عن عدد من خلايا الكتائب التي أثخنت في الاحتلال الصهيوني. ممثل حركة حماس في لجنة التنسيق الفصائلي في محافظة نابلس. اغتيل في 2001/7/25 بعد أن قصفت طائرة صهيونية سيارته.

[7] **محيي الدين ربحي الشريف (1966–1998):** ولد في بلدة بيت حنينا شمال القدس. حاصل على بكالوريوس هندسة إلكترونيات من كلية العلوم والتكنولوجيا في جامعة القدس. انتظم مبكراً في صفوف كتائب القسام وكان مسؤولاً عن جهاز الاتصال داخل الكتائب. أسهم بالتجهيز والإعداد والدعم لعدد من العمليات الاستشهادية تحت قيادة الشهيد يحيى عياش. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال لنشاطه في حركة حماس ودعم مطاردي الكتائب. طورد للاحتلال بعد سنة 1995 وبدأ مع الشهيد عادل عوض الله في الإعداد والتدريب لجيل جديد من مهندسي القسام. وأشرف على عدد من العمليات. استشهد في 1998/3/29 في ظروف غامضة بعد مطاردة من أجهزة السلطة الفلسطينية الأمنية وقوات الاحتلال. استغلت السلطة الحادث للبدء بحملة تشويه للشهيد عادل عوض الله وقيادة كتائب القسام.

وما عتبت عليَّ قرية ولا مدينة، حتى القرى المهجرة زرتها، زرت عكا ومساجدها، وخطبت من على منبر الجزار في يوم جمعة، واعتليت أسوارها وتذكرت أمي، رحمها الله، في أمثلة تقولها: "لو عكا بتخاف هدير البحر، ما سكنت عليه". وزرت الناصرة واللد والرملة وراهط من أعمال بئر السبع، وزرت حيفا ويافا، وصليت في مساجدهما، وحاضرت وخطبت الجمع كذلك. زرت شفا عمرو والمشهد والرينة وكفر كنا وطرعان وكفر مندا، وحتى القرية الشركسية كفركما، وما من مسجد في هذه البلدات إلا وكانت لي فيه خطبة جمعة. وقمت بزيارة إلى قطاع غزة، وزرت الشيخ أحمد ياسين في بيته، وزرت الجامعة الإسلامية وحاضرت في طلبتها، وزرت خانيونس وبلدة عبسان الكبيرة إلى الشرق منها، لقُرْبى لنا هناك من آل أبي طير، وأقمت بينهم.

زياراتي هذه ومحاضراتي، وحتى خطب الجمعة، كانت بدعوات من إخواني وأصدقائي وشبكة علاقات واسعة، وحتى الأعراس الإسلامية شاركنا فيها بالكلمات، وزياراتي للجامعات (جامعة القدس في أبو ديس، وجامعة بيرزيت، وجامعة الخليل، والمعاهد)، لم تنقطع، ودرس الثلاثاء في مسجد الصخرة المشرفة. وأذكر أني زرت قرية المشهد إلى الشرق من الناصرة، وخاطبت فيها جمعاً مهيباً وقلت: هذا مشهد من مشاهد صلاح الدين الأيوبي، رحمه الله، ومن هذه التلال كان صلاح الدين يراقب جيوش الصليبيين ويرصد تحركاتهم، وإني لأشتم رياح النصر من حطين، فجولدا مائير، رئيسة وزاء العدو، وقفت على شاطئ أم الرشراش، والتي تسمى اليوم إيلات، وقالت: إني لأشتم رياح خيبر من هنا، وتعود بالذاكرة لقومها، الذين لا ترتفع رؤوسهم إلا حين تغيب المطرقة، كما قال سيد قطب، رحمه الله.

لقد حرصتُ وكان حرصي بالغاً، على أن أحافظ على الأذان لصلاة الصبح، أينما كنت داخل السجون وخارجها، وكنت أحياناً أرفع الأذان لصلاة الصبح والعشاء في المسجد الأقصى المبارك، وكنت أحافظ في كل يوم جمعة على الإمامة لصلاة الصبح فيه... وأصلي بسورتي السجدة والدهر.

كنا في المناسبات نتردد على غزة، وغيرها من المدن والقرى. ولما استشهد الأخوان جواد سلمية وصائب ذهب من غزة في جامعة بيرزيت، ذهبنا بوفد للتعزية، واستقبلنا

الدكتور عبد العزيز الرنتيسي[8]، في مخيم خانيونس للاجئين، وتقدمنا بالعزاء لوالد الشهيد جواد، وقدمني الدكتور لكلمة في هذه المناسبة. وفي طريق عودتنا، ذهبنا لبيت الشهيد صائب، وواسينا أهله، وأذكر كلمات للدكتور الرنتيسي، قالها لوالد الشهيد جواد: هؤلاء الإخوة من القدس، جاؤوا لتقديم واجب العزاء، وأهلنا في غزة على الخصوص يحتفون دوماً بأهل القدس.

وفي موقف آخر، كنت في ضيافة الشيخ صلاح شحادة، رفع الله درجاته في عليين، وهو أخي في الله وابن أمي في الود وما بيننا من عاطفة، تصل إلى البكاء عند اللقاء، قال لي: هيا نذهب لعرس إسلامي في جباليا أو سواها من شمال غزة، لا أذكر مع الليل. وذهبنا إلى العرس وحضرنا جانباً منه، ووقف خلال فقرات الحفل صبي صغير، أظنه في العاشرة من عمره، وَكَبَّر وعلا صوته بالهتاف، الله أكبر ولله الحمد، الله غايتنا والرسول زعيمنا... إلخ، فقال لي الشيخ صلاح: أتعرف من هذا الصبي؟ قلت: لا، وكيف أعرف؟ قال: هذا ابن المجاهد عرب مهرة، وعرب من مجموعة الشيخ الشهيد أحمد ياسين، ورفيق الشيخ صلاح في المجموعة.

ما قبل الانتفاضة:

بين أن خرجنا من السجون سنة 1985 إلى بداية الانتفاضة الأولى سنة 1988، كانت الأحداث تتسارع في هذه المرحلة، وهذه المساحة من الزمن، ومضت ثلاث سنوات من العمر، ضمن هذه النشاطات، كنت إما في ضيافة الناس (لا على صعيد بيوت الأصحاب وحدها، ولكن على صعيد كل نشاط ولقاء)، وإما هؤلاء الأحباب في ضيافتي ما بين حين وحين. وكل هذا الحراك يحمل في طياته أسئلة ولها إجابات لمرحلة قادمة. ومع نضج الصحوة على مستوى العالمين، في حقل الدعوة الإسلامية، فإن في ساحة العمل عناصر قوة ملتهبة وطاقة شبابية، فيها من الحيوية ما يعطيها الاستمرار، ولكنها تبحث عن وعاء يحتوي هذا المخزون. فالطلبة في الجامعات جذوة تتقد وضرامها لا

[8] **عبد العزيز علي الرنتيسي (1947–2004):** ولد في قرية يبنا بالقرب من عسقلان، وهجر وأسرته لقطاع غزة. درس الطب في جامعة الإسكندرية. شغل عضوية عدد من الجمعيات والمؤسسات الخيرية، وعمل محاضراً في الجامعة الإسلامية. عضو المكتب الإداري العام للإخوان المسلمين في قطاع غزة لحظة تأسيس حماس وأحد أبرز مؤسسيها. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال وسجون السلطة الفلسطينية. تسلم مسؤولية حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في قطاع غزة بعد اغتيال الشيخ أحمد ياسين. اغتيل بقصف صاروخي استهدف سيارته في مدينة غزة في 2004/4/17.

ينطفئ، والمساجد بمن فيها عطاء لا ينضب ولا ينقطع، والتغيير الذي يتجدد مع تجدد التدافع، بعدما أفلست المنظمة، وعجزت الأنظمة أن تداوي الجراح، وأن تأخذ بالناس إلى الخلاص.

إنها طاقات تحتاج إلى تفريغ واستيعاب، فالاحتلال وممارساته، وحالة التراخي والضعف، وتلوث الثقافة التي مرت بها القضية الفلسطينية، جعلت ثقافة الاحتلال تأخذ مساحة من حياة الناس، بل إن ثقافة الاحتلال اقتحمت على الناس بيوتهم، وشارك الصهاينة بعض الناس في أعراسهم ومناسباتهم. كل هذا تدافع بقوة بعد هذه التخمة من المحبطات، وفيها كذلك من الموقظات التي فجرت الانتفاضة الأولى. وما إن حضرت اللحظة الموعودة، وإذا بالطوفان قادم لا يقف في طريقه شيء، وأصبحت كلمة الانتفاضة على كل لسان، وأصبحت مصطلحاً تتناقله جميع اللغات من على فضائيات هذا العالم، وتتفاعل معه وتتابع أخباره.

إن الظروف باتت مهيأة لهذا الانفجار، الذي خرج من رحمه هذا الطوفان، والذي عجز المحتل أن يواجهه مباشرة، بعدما حشد له حشوده، وعجز عن كيفية التعامل معه... بل حدد له بعداً زمنياً ظاناً أن بيده مقاليد الأمور، وأنه قادر على إنهاء هذه الحالة، ويملك من الجيوش وأجهزة الأمن ما يكفي لاحتواء هذه الظاهرة. كما كان الظنّ عند المنظمة أنها موجة صالحة للركوب والوصول، فأتانا بعملية التفافية عجز عنها الصهاينة، أتانا بأوسلو بديلاً، ما أفسد على المشروع الوطني أن يمضي في طريق انتفاضته إلى النهاية.

اشتعال الانتفاضة وانطلاقة حماس:

كانت الأجواء مهيأة لمثل هذا الانفجار، والكون لا يعرف السكون، ويد الله تعمل، فلا تقترح عليها كيف تعمل. وخطبت الجمعة في ساحة عسقلان قبل التحرير، أي سنة 1985، قلت فيها: إن المنطقة مقبلة على مرحلة تفجير إيماني، لن تترك شيئاً إلاّ أتت عليه، وستكون معلماً من معالم التاريخ.

ومع ما ذكرت فإن تخمة الإحباطات، وتراكم السلبيات في حياة الناس، وعلى صعيد واقعهم من جانب، ومراحل الإعداد الصامت مع متابعة الشارع، ودور الجامعات وانتفاضة المساجد ونجاح العمل الإسلامي في بناء المؤسسات من جانب آخر، قد ولّد هذا كُلُّهُ اللحظة المناسبة لانطلاق الحراك الشعبي، عندما حصلت حادثة المقطورة في

قطاع غزة، واستشهد أربعة من العمال، من مخيم جباليا للاجئين الفلسطينيين أواخر 1987. والمقطورةُ شاحنةُ نقل إسرائيلية كبيرة، صدمت أربعة من العمال الفلسطينيين فقتلتهم، وما إن شاع الخبر بين الناس، حتى خرجت جباليا بمن فيها في مظاهرات عارمة ضدّ الاحتلال. واجتمع قادة العمل الإسلامي في غزة لمتابعة الأحداث، والعمل على استمرارها، وكانت الجامعة الإسلامية غرفة عمليات، واجتماعات لقادة جماعة الإخوان المسلمين، وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين، وتواصلت الأحداث منذ أن انفجرت في 1987/12/8 إلى 1987/12/14، وصدور البيان الأول للانتفاضة باسم حركة المقاومة الإسلامية، ثمّ تبعه بيان للحزب الشيوعي. وبعد ذلك بأربعين يوماً خرج إلى الناس بيان للقيادة الوطنية الموحدة، والتي تضمّ فصائل منظمة التحرير.

لقد انطلقت شرارة الانتفاضة إلى ربوع الوطن الفلسطيني، حتى مَنْ هم داخل الخط الأخضر من سنة 1948، شاركوا لوجستياً في دعم هذه الانتفاضة، وتواصلوا مع إخوانهم وساعدوهم مادياً ومعنوياً، وكل من في الداخل الفلسطيني تبرعوا بإمكانيات هائلة من الأطعمة والألبسة والمال، من أجل أهلهم وذويهم.

وبقيت الانتفاضة من يوم إلى يوم تتجدد، وواجهت العدو بشراسة، الرجال والنساء والأطفال حتى كبار السن اندفعوا للمواجهة، وسقط كثير من الشهداء، ونتجت إعاقات مؤلمة وموجعة على أيدي آلة القمع الصهيونية. ويوم أن كان الأول من كانون الثاني/ يناير من العام الجديد 1988، وصادف يوم جمعة، والمصلون على كثرتهم في المساجد، وعندهم الجاهزية التي لا تحتاج إلى تثوير، أو اندفاع إلى الشوارع، وكان هذا اليوم... ذكرى انطلاقة فتح سنة 1965، فلم تخرج الجماهير في هذا اليوم، بل كان مِنْ أهدأ أيام الانتفاضة. أقول هذا رداً على حديث لأبي إياد صلاح خلف، الذي قال: غداً ستخرج الجماهير على بكرة أبيها مع انطلاقة حركة فتح، فكان الجواب من مساجد غزة جميعها الهدوء التام؛ لأن حماس هي صاحبة الثقل على الخصوص في غزة بشأن هذه الانتفاضة. والصحافة العالمية تابعت ذلك، ومنها من زارني في بيتي، ووضحت لي حقيقة هذه الصورة كذلك لا كما يصورها إعلام المنظمة؛ كما اتضحت الصورة أكثر بعد أن اشتدت شوكة الانتفاضة، وأخذت بياناتها تتوالى مع كل شهر أو مناسبة..

لقد انطلقت شرارة الانتفاضة، وحاولت منظمة التحرير الفلسطينية، وذراعها في الأرض المحتلة وهي "القيادة الوطنية الموحدة" إقصاءنا، وكانت الحرب على شعاراتنا

ولافتاتنا وكتاباتنا ونشاطنا الجماهيري، واعتداءات على شبابنا وعناصرنا داخل السجون وخارجها. وكان أبناؤنا يفرزون تحت إطار الجبهة الشعبية في سجون الاحتلال؛ لأن فتح كانت لا تسمح أبداً لحركة حماس، أن تكون جسماً أو شريحة مستقلة بذاتها، وتحت مسمى حماس من خلال هذا المشروع الوطني، ولقد تعرض إخواننا للضرب المبرح والتكسير من شباب فتح داخل السجون.

وفي سجن الخليل، تعرّض الشيخ حسن يوسف[9]، والشيخ نايف الرجوب[10]، والشهيد جهاد السويطي[11]، والشهيد بسام مسالمة[12]، للضرب في ساحة سجن الخليل، وفرض الحصار على الفتية الصغار من حماس، ومُنعوا من الالتحاق بجماعتهم، بل عذبوا كما حصل مع عبد الناصر عيسى[13]، وجلال البراغيت في سجن الخليل. وحافظ الدبل

---

[9] **حسن يوسف دار خليل (1954–):** ولد في قرية الجانية قرب رام الله، حاصل على شهادة البكالوريوس في الشريعة من جامعة القدس، اعتقل أكثر من 14 مرة في سجون الاحتلال منذ سنة 1971. شغل عضوية اللجنة الوطنية والإسلامية في محافظة رام الله ممثلاً لحركة حماس، وعمل ناطقاً باسم الحركة في الضفة الغربية. فاز في الانتخابات التشريعية سنة 2006 عن مدينة رام الله ضمن كتلة التغيير والإصلاح وهو في السجن.

[10] **نايف محمود الرجوب (1958–):** ولد في بلدة دورا قضاء الخليل. حاصل على بكالوريوس شريعة إسلامية من الجامعة الأردنية، والماجستير في القضاء الشرعي من جامعة الخليل. عضو فاعل في كثير من المؤسسات الاجتماعية والخيرية. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال لنشاطه القيادي في حركة حماس وأبعد إلى مرج الزهور سنة 1992. انتخب لعضوية المجلس التشريعي الفلسطيني عن مدينة الخليل سنة 2006، وعيِّن وزيراً للأوقاف والشؤون الدينية في الحكومة الفلسطينية العاشرة سنة 2006، واعتقل لذلك في سجون الاحتلال الصهيوني.

[11] **جهاد محمد السويطي (1965–2004):** ولد في بلدة بيت عوا قرب دورا الخليل. انتسب إلى جامعة القدس المفتوحة وعمل رجل أمن في مستشفى الأهلي في الخليل. متزوج وله خمسة أبناء. انتمى لحركة حماس وشارك في فعالياتها منذ الانتفاضة الأولى، واعتقل لذلك في سجون الاحتلال. اعتقل في سجون السلطة الفلسطينية، وطورد للاحتلال منذ سنة 1997. قدم وخليته مساعدة للقسامي حسن سلامة، واستشهد في اشتباك مسلح مع القوات الصهيونية التي حاصرت المنزل الذي تواجد فيه في 2004/1/29.

[12] **بسام يونس مسالمة (1965–1995)**: ولد في بلدة بيت عواغر بدورا الخليل، متزوج وله ثمانية أولاد. حاصل على بكالوريوس الشريعة الإسلامية من جامعة الخليل. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني لنشاطه في حركة حماس ولعلاقته بمطاردي كتائب القسام. استشهد في اشتباك مسلح في 1995/12/1 بعد محاصرة قوات الاحتلال لمنزله ورفضه الاستسلام.

[13] **عبد الناصر عطا عيسى (1968–):** من مواليد مخيم بلاطة في مدينة نابلس. درس الشريعة في جامعة النجاح وترأس الكتلة الإسلامية فيها. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال لنشاطه في حركة حماس. التحق بكتائب القسام وعمل بصحبة الشهيد يحيى عياش. كان المسؤول المباشر عن عملية الاستشهادي لبيب عازم والاستشهادي سفيان جبارين، وعملية رامات أشكول Ramat Eshkol التي نفذت بعد اعتقاله بمتابعة من الشهيد محيي الدين الشريف. اعتقل بعد مطاردة من قبل أجهزة السلطة الفلسطينية الأمنية، وقوات الاحتلال الصهيوني في 1995/8/19. حكم بالسجن مدى الحياة، واستمر في نشاطه من داخل المعتقل، وأسهم في تأسيس خلية "شهداء من أجل الأسرى". عزل انفرادياً لسنوات.

في سجن عسقلان دخل إلى قسم (11) فقال له الناطق باسم القسم، وهو من فتح، لا يوجد هنا تنظيم حماس، فقال له حافظ: أنا حماس، وإذا لم يكن هنا حماس، فأنا وحدي حماس.

وفي معتقل مجدو وكذلك النقب، ضُرب إخواننا لأنهم أفرزوا تحت إطار حماس، وضُرب ناصر القدومي حتى أغمي عليه، ولولا أن إخواننا وأهالي المضروبين ذهبوا إلى عائلات الظلمة من قادة فتح، وهددوهم، بل إن إخواننا في خارج السجون، تربصوا بأناس ممن آذوا إخواننا داخل السجون... وقعدوا لهم يوم الإفراج عنهم، فانهالوا عليهم ضرباً ليكون المثل بالمثل، وحتى تنتهي هذه الظاهرة. وفعلاً انتهت وفرضنا أنفسنا على هذه الساحة، وذهب عرفات بعد أن عجز عن احتوائنا، وقال عنا إننا صنيعة رابين Yitzhak Rabin، وقبائل الزولو في جنوب أفريقيا، ذهب إلى إخواننا في الخارج، والتقاهم في السودان؛ ليعرض عليهم الدخول في المنظمة بعدد من المقاعد، فلما رأوا أن عرضه بعيدٌ عن الواقع أجابوه: أن هذا لا يكفي، فتركهم.

والسؤال، لماذا أقدمت دولة الاحتلال على إبعاد 416 من قيادات حماس والجهاد الإسلامي نهاية 1992، إلى مرج الزهور، دون غيرهم من المحسوبين على منظمة التحرير؟ نعم، لقد أبعدت "إسرائيل" كثيراً من أبناء الشعب الفلسطيني وهجرت شعباً كاملاً، لكنها لم تبعد قبل ذلك، مجموعات قيادية من فصائل منظمة التحرير، وأبعدت مَنْ أبعدت فُرادى.

وعلى الرغم من هذا الإبعاد، هل انتهت حماس؟ وهل رُوضت حماس؟ وقد سألوا إيهود باراك Ehud Barak أيام كان رئيساً لأركان جيش العدو.. سألوه عن حماس، فأجاب: نمرٌ لا يُروَّضْ.. هذا في الأيام الأولى من الانتفاضة. فهل انتهت حماس؟ أو غابت عن الساحة؟ أو تراجعت عن مشوارها؟ بل سألوا الشيخ أحمد ياسين عن حماس، فقال: "إنها تتعاظم"، نعم، إنها تتعاظم.

والظاهرة الأعجب والأغرب من خلال هذا الصراع، أنَّ كل مَنْ يُبْعَد مِنْ فصائل المنظمة فتح، أو الجبهة الشعبية، أو الديمقراطية، إذا ما أُبْعِد فطريقُهُ إلى بيروت أو دمشق أو تونس، ليتبوأ مقعده هناك بين الفنادق والعواصم، فهل فكروا للحظة بالذي فكر فيه إخواننا لما أُبعدوا إلى مرج الزهور على أرض لبنان؟ كان قرار إخواننا منذ اللحظة الأولى، أنهم لن يبرحوا أماكنهم حتى يعودوا إلى فلسطين، ودفعوا الثمن غالياً، وصبروا

على قسوة الطبيعة، وعلى وحشة المكان وعلى الثلوج المحيطة بهم، ولصبرهم هذا رفع الله ذكرهم وتعاطف العالم معهم، وأُرغم الاحتلال على إعادتهم إلى فلسطين بقرار من الأمم المتحدة، بعدما اضطر لتفعيل القرار 799 بهذا الخصوص.

لقد انطلقت شرارة الانتفاضة، وشاركت فيها كأنني ابن خمسة عشر عاماً، وكتبت الشعارات على الجدران في بداية الأمر، وقمت بتوزيع البيانات في الطرقات ليلاً، إلى أن زحف شبباننا من الجيل الثاني والثالث. وكان للقدس وأبنائها حضورٌ في طباعة البيانات، وتوزيعها على الضفة الغربية، وحتى قطاع غزة، وأنا بنفسي حملت بسيارتي رزماً من البيانات، إلى بيت الأخ الحبيب الدكتور إبراهيم اليازوري، وكان على رأس القائمين على هذا العمل في القدس، أستاذنا المهندس (أبو سليمان) حسن القيق، رحمه الله، وفضيلة الشيخ (أبو حمزة) جميل حمامي، حفظه الله، وصحبت الشيخ جميل في زيارة إلى غزة إلى بيت الشيخ أحمد ياسين، وقد كان حمامي منسقاً ما بين الضفة وغزة على صعيد الانتفاضة. ومضت الانتفاضة في سبيلها، وكان لشبباننا في المسجد الأقصى والقدس، وما جاورها من قرى، الحضور القوي في تطبيق ما جاء في البيانات على الأرض. وكان الشهيد إسلام أبو ارميلة، والشهيد زهير فرّاح[14] من الحاضرين بقوة في الميدان، وكان المجاهد أحمد عطون (أبو مجاهد)، هو القائد الميداني والناشط بفاعلية في منطقتنا صور باهر وأم طوبا. أما أول من سقط شهيداً، في الأيام الأولى من الانتفاضة، فقد كان أخونا الشهيد جمال مطر من جبل المكبر، الجبل الذي وقف عليه الفاروق عمر بن الخطاب مكبراً، لما رأى بيت المقدس ومسجدها.

ولما خرجت حركة حماس إلى العالم بميثاقها، وتدافعت وسائل الإعلام والصحافة تسأل عن هذا الميثاق، وعما جاء فيه، زارتني صحفية إسبانية، وكأنها في جذورها ترجع إلى العرب، الذين أرغمتهم محاكم التفتيش على التنصر، وسألتني عن الميثاق وعن أبعاد هذا الصراع، وما هي استراتيجيتنا لهذه المرحلة ولمستقبل الصراع، فقلت لها: إن السيد المسيح عليه السلام يقول: "ما أُخذ بالسيف فبالسيف يُؤخذ"، ونحن سنلجأ إلى القوة إن لم نحصل على حقوقنا، ويرحل الاحتلال عن أرضنا... فقالت والله: وبلسان عربي.. الحمد لله.

---

[14] **زهير رضوان فراح (1964–1994):** ولد في البلدة القديمة في القدس. التحق بكلية البولتكنيك في الخليل ثم بكلية العلوم والتكنولوجيا وشغل عضوية مجلس الطلبة فيها عن الكتلة الإسلامية. تزوج من شقيقة الشهيد إسلام أبو ارميلة وله ولدين إبراهيم وزهير. نشط في كتائب القسام واستشهد في 1994/5/31 بصحبة عبد المنعم أبو حميد بعد أن هاجمتهم قوة صهيونية خاصة في بلدة الرام.

وطلب المستشار الثقافي في القنصلية الأمريكية في القدس، غير مرة، زيارتي في البيت، ولو لشرب فنجان قهوة، وكنت أتردد، ولكنّه أصرّ فكان له ذلك، ودار حديث حول حركة حماس ودورها في قيادة الشعب الفلسطيني.

كانت بيانات حركة المقاومة الإسلامية (حماس) تلقى احتراماً من الجمهور. وكان لها قبولٌ في أواسط المثقفين على الخصوص، وأذكر شهادة أستاذ من قريتنا هو الأستاذ (أبو جلال) علي حسن أبو طير، أن الأساتذة من إخواننا المسيحيين في مدرسة المطران وسواها، كانوا يحترمون بياناتنا، ويقرأونها، ويقرّون بمصداقيتها.

لقد واجهتنا صعوبات جمة، إلى أن نجحنا في الوصول إلى صدارة الأحداث، ونحن نواجه العدو الصهيوني من جهة، والاعتداءات على شبّاننا ونشاطاتهم من فتح وحركة الشبيبة، والتنظيم التابع لها، من جهة أخرى. ولولا الشجاعة والثبات اللذان توفرا في عناصرنا وشبّاننا، ما استقامت الأمور، فمروان محمد سعيد أبو ارميلة[15] وفهد الشلودي[16]، والشهيدان راغب عابدين[17]، وطارق أبو عرفة[18] —الأخ الأصغر للمهندس خالد أبو عرفة— حسموا الأمور في مناطق الرام وضاحية البريد. وسلمان أبو عيد ومجموعات كان يقودها من قرى شمال القدس وغربيها، هي التي أخذت على عاتقها نجاح الإضرابات في القدس على الخصوص، ونجح سلمان أبو عيد، والإخوة منصور شماسنة

---

[15] **مروان محمد سعيد أبو ارميلة (1970–1994):** من مواليد مدينة الخليل. نشط الشهيد في كتائب القسام "وحدة الأهوال"، واستشهد والشهيدان إياد أبو حديد ومحمد الأطرش، في 1994/3/22 بعد حصار استمر لأيام في أحد بيوت وادي القاضي في مدينة الخليل، تخلله اشتباك أدى لمقتل عدد من قادة وجنود الصهاينة.

[16] **فهد صبري الشلودي (1972–):** أسير مقدسي ولد في بلدة الرام، نشط في فعاليات حماس في منطقة القدس في أثناء الانتفاضة الأولى واعتقل لذلك. انضم لكتائب القسام "مجموعة القدس" وشارك في عدد من عملياتها. اعتقل في 1993/9/29، وحكم بالسجن المؤبد وستين عاماً. خرج في صفقة وفاء الأحرار في 2011/10/18، وأبعد إلى تركيا.

[17] **راغب رفيق عابدين (1973–1994):** شهيد مقدسي من سكان الرام. نشط في كتائب القسام، وأسهم في عمليتين لأسر جنود صهاينة؛ الأولى في 1994/4/20، والثانية في 1994/7/6، وشارك في 1994/8/12 في محاولة استهداف منزل أريل شارون Ariel Sharon داخل البلدة القديمة واستطاع الانسحاب سالماً بعد أن أصيب اثنين من إخوانه. استشهد في اشتباك مسلح مع الوحدات الصهيونية الخاصة في بلدة الرام في 1994/8/12 وأخوه طارق أبو عرفة.

[18] **طارق إبراهيم أبو عرفة (...–1994):** شهيد مقدسي، نشط في كتائب القسام، وهو الشقيق الأصغر لوزير شؤون القدس في الحكومة الفلسطينية العاشرة خالد أبو عرفة. أسهم في عمليتين لأسر جنود صهاينة الأولى في 1994/4/20، والثانية في 1994/7/6. استشهد في اشتباك مسلح مع الوحدات الصهيونية الخاصة في بلدة الرام في 1994/8/12 وأخوه راغب عابدين.

وسليم شماسنة ورياض أبو عيد، من تشكيل النواة الأولى للعمل العسكري بعد هذا المخاض، ودخل سلمان السجن معنا عام 1992، ليخرج بتشكيل جديد هو والأَخَوَان زهران زهران[19]، وسليم أبو عيد، ولحق بهم زياد الخضور. وما توقف العطاء حتى بعدما استشهد الأخ الحبيب زهران، رحمة الله عليه، و(أبو سلطان) أيمن حجازي داخل البلدة القديمة، كان صاحب الحسم والجندي المجهول، وبصحبة محمد نجم تمّ تثبيت الإضرابات، وتوزيع البيانات داخل أسواق القدس، وتطبيق ما يرد فيها من فعاليات.

والله ليقتلنهم الله شرّ قِتلة:

وكمثال على ما واجهته حماس أرى نفسي تدفعني للحديث عن كيفية استشهاد المجاهد محمود الحاج محمد في 1991/9/18، مِنْ قرية قُصْرة جنوب شرقي نابلس، وكيف امتدت إليه يد الغدر برمية جبانة من سلاح أعمى، والأدهى من العمى هو الحقد الذي عشعش في قلوب من اغتالوه، والذين استمرأوا ظلم الناس.

الشهيد محمود الحاج محمد ماتت أمه ومات أبوه وهو صغير، فنشأ وترعرع في كنف خالته أم عوض، "والخالة أُم"[20]، كما قال سيدنا رسول الله ﷺ فحضنتهُ كما حضنت أبناءها، بل وأكثر بسبب يتمه. وأما أبناؤها فهم متدينون، ومعروف عنهم الالتزام في صفوف الحركة الإسلامية، فالشيخ عوض أبو سمير داعية، ويعمل مديراً لمراكز تحفيظ القرآن، والشيخ جمعة أبو أسامة كذلك داعية، وكلاهما يسكنان الآن عزبة سلمان، بالقرب من قلقيلية.

درس محمود علومه الشرعية في المدرسة الإسلامية في نابلس، وعرف طريقه إلى الله وزكّاهُ عمله الدعوي. وكان حاضر النشاط، ويتنقل بين القرى قاصداً مساجدها يدعو إلى الله، ويعظ الناس بما تجمَّل به من خُلق وأدب، ما دفع الناس إلى الإقبال عليه وعلى دعوته، وأصبحت له عندهم حظوة ومحضوه الحب والاحترام.

---

[19] **زهران إبراهيم زهران (1968–1998):** من مواليد قرية بدو قضاء القدس، حاصل على بكالوريس الشريعة الإسلامية، ومتزوج وله خمسة أطفال. نشط مبكراً في صفوف حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، واعتقل لذلك عدة مرات في سجون الاحتلال وسجون السلطة الفلسطينية، ونشط في كتائب القسام وشارك في عدد من عملياتها. استشهد في 1998/9/29 في تفجير عبوة ناسفة في أثناء استلامه لصفقة سلاح، وأصيب معه سلمان وسليم أبو عيد.

[20] لنص الحديث وتخريجه انظر: **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها،** الحديث رقم 1182. [المحرر]

وبعد أن انطلقت الانتفاضة الأولى سنة 1987، وكان لحركة فتح حضورها الواسع في القرى المحيطة بنابلس، وعلى الخصوص القرى الواقعة إلى الجنوب الشرقي من نابلس، والتي يطلقون عليها قلعة الفتح، أو منطقة الشهيد يونس عواد من قرية تلفيت، والذي استشهد في لبنان في أثناء الاجتياح، سعت حركة فتح جاهدة للسيطرة على المنطقة، وبسط نفوذها ولو بالقوة، وما يطلقون عليه "الإرهاب الثوري"، وأخذت تتدخل في كل شيء من حياة الناس، وتعمل على سحق أي منافس لها على الساحة. وجعلوا من قرية تلفيت مركزاً للقيادة والنشاط، وهي إلى الشرق من قبلان التي يسكنها عدد من كوادر فتح وقياداتها، وعلى رأسهم علي فرج، وعماد أبو عيشة، وطايل فرج، وأيسر شاهين، وقتيبة مُسَلَّمْ ونسيم مُسَلَّمْ، وأبو قاسم. وهؤلاء جميعاً فرضوا بمنطق القوة وبسطوة السلاح، سيطرتهم على المنطقة، واستعانوا بالمطاردين المسلحين، الذين تلاحقهم سلطات الاحتلال، وبعض العائلات التي لها نفوذها وشوكتها.

أما حماس، فقد انطلقت في هذه المنطقة بعد شهرين من حركة فتح، على صعيد الانتفاضة، وكان للشهيد محمود الحاج محمد حضوره ونشاطه كما أسلفنا من قبل، حتى شكّل للعمل الإسلامي رافعة تنظيمية وقاعدة جماهيرية بما تميز به من هدوء، وبعدٍ عن الإثارة أو الاستفزاز. ولقد نجح الشهيد محمود في استمالة قلوب الناس، وخصوصاً على المستوى الرياضي؛ لأنه كان من القائمين على دوري الملاعب في كرة الطائرة، إلى جانب نشاطاته الأخرى، وكذلك لأن الناس بفطرتهم، ينفرون من الاستبداد الذي تميزت به قيادة فتح في المنطقة، فكره الناس أفعالهم.

الشهيد محمود بنشاطه هذا، وبما حظي من قبول عند الناس، وكان وجهاً لحركة حماس في المنطقة، أغاظ "قلعة الفتح" وقيادتها في تلفيت، فحاولوا أن يمكروا بهذا العبد الفقير، والذي سحب البساط من تحتهم. وهذا ما كانت تتحدث به كوادرهم أن الشهيد محمود نغّص عليهم ما هم فيه من النفوذ، حيث رفضت فتح أي وجود لحماس في تلفيت، بحجة أنها "فتح لاند"، وصدر كثير من البيانات عن فتح تحذر حماس من مغبة "التطاول"!! وكان لفتح ردات فعل حادة على نشاطات حماس العادية في القرى المجاورة لتلفيت، مثل جوريش وقبلان، كادت تؤدي إلى مجازر، وكل ذلك لأن عناصر من حماس قامت بتوزيع بيانات. فكيف ستقبل قيادات القلعة في تلفيت أن تقتحم عليهم حماس مملكتهم، وعندهم من الردع بقوة السلاح والمطاردين ما يكفي.

الشهيد محمود كان وحدوياً، ويتعامى عن الشاذ من التصرفات، ويحرص على علاقات وحوارات مع قيادات فتح أينما كانت، وكان هذا سبباً لقوته وحضوره. وفي حديث لأحد الإخوة القريبين من محمود قال: كان محمود يزود فتح بمعلومات بل والسلاح لبعض نشاطاتها.

بعد قيام حماس بتصفية أحد العملاء في قرية دوما، وهي الحادثة الأولى لحماس على صعيد الانتفاضة، وتبع ذلك اختطاف عميل من بلدة قبلان، ضاقت قيادة القلعة في تلفيت من هذا الحضور لحماس، وازدادت حملتها على الحركة، حتى أصبحت تنظر إليها وكأنها كابوسٌ يلاحقها، وعليه فأول خطوة مطلوبة لقيادة القلعة هي ملاحقة الشهيد محمود الحاج.

كان الشهيد محمود في طريقه إلى بلدة قريوت للقاء الشهيد لبيب عازم، وهو من الذراع العسكرية لحماس، كما تبين لاحقاً حيث استشهد في عملية رمات غان الاستشهادية، وفي أثناء عودته من اللقاء نصبت فتح له كميناً، واحتجزته ثلاثة أيام، وحققت معه تحقيقاً قاسياً، وهددوه بالموت إن بقي على هذا المستوى من النشاط. وأقسم له المدعو عبد العظيم موسى، من قُصرة، وهي بلدة الشهيد محمود، أن القتل ينتظره إن لم يتراجع. وعبد العظيم هذا هو من نصب الكمين لمحمود كما حدّث محمود، ورفض أي ردة فعل ضدّ من اختطفوه، وقال، رحمه الله: "أكلت قتلةً [ضُربت] في سبيل الله"، وأنا أسأل الله القصاص منهم.

بسبب هذا النشاط الذي مارسه محمود استدعته المخابرات الإسرائيلية، فرفض الذهاب، وطورد لفترة قصيرة، واقتصرت مطاردته على الاختباء ليلاً.

محمود لم يقتصر نشاطه على العمل السياسي أو العسكري، وإنما امتد نشاطه إلى العمل الاجتماعي والرياضي، وعليه قررت الحركة الإسلامية إجراء "دوري أو بطولة لكرة الطائرة"، في ملعب قرية تلفيت؛ ولأن الفريق الإسلامي الخاص بقرية تلفيت مُعَدٌ جيداً لهذه المهمة، نظرت قيادة القلعة، فتح وكوادرها لهذا الأمر بحساسية بالغة... وعدّوه تحدياً، ووزعوا بياناً على مستوى تلفيت والقرى المجاورة يتهمون فيه حماس بالعمالة وعنوانه: "حماس هي شاس[21]".

[21] شاس: اختصار لقائمة السفاراديم Sephardim حامي التوراة، وهي حركة متطرفة لليهود الشرقيين تعمل وحزبها في الكنيست Knesset بتوجيهات من زعيمها الروحي الحاخام عوفاديا يوسف Ovadia Yosef؛ انظر: جوني منصور، **معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية** (رام الله: مدار المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2009) ص 198. [المحرر]

لم يتوقف النشاط، وحضرت معظم الفرق الرياضية الإسلامية، المدعوة لهذه البطولة. وفريق قُصرة الذي شكله الشهيد محمود، ضمّ بين صفوفه اثنين من جبهة التحرير العربية، وهذا يوحي أن محموداً لم يقصد التحدي، والسؤال بتجرد: ما المانع أن تلتقي الفرق الرياضية، والأندية على كل ملعب في فلسطين؟

تقدمت الفرق في طريقها إلى تلفيت، وكان ممن يرعى هذا الدوري، المجاهدون عبد الحكيم حنيني، ورياض علي العملة، النائب في المجلس التشريعي اليوم، ونديم دوابشة، وهم من التعقل ورجاحة العقل ما يوزع منه على البلاد. هؤلاء قادة، ومن أنضج مَنْ مرّ عليّ منهم، (أبو حذيفة) عبد الحكيم حنيني ورياض العملة (أبو علي). وعلى أبواب تلفيت كانت فتح قد نصبت حواجز من المسلحين، على كل منها 8–9 عناصر، وذاع بين الناس تهديد قيادة القلعة لحماس من مغبة دخول القرية. فنزل الجميع من سياراتهم، ومشياً على الأقدام تقدموا، فبدأت فتح بإطلاق النار في الهواء، فتشاور الإخوة فيما بينهم، عبد الحكيم ورياض ونديم، وقرروا الرجوع عن المواجهة والصدام، حتى لا تسيل الدماء، والشهيد محمود أقر الرأي وآثر العودة والرجوع. وبصحبة وسيط من فتح، واسمه سليم مسلم، ترجل محمود من السيارة ومعه الوسيط، وإذا بأحد الملثمين الواقفين على الحاجز، يطلق النار على محمود من بندقية إنجليزية فيرديه قتيلاً، ويجرح المجاهد لؤي شاهين من تلفيت، وياسر عناد من قبلان، وعصام الأزعر... هؤلاء المجاهدون جُرحوا على حاجز فتح، ولم تكتف فتح وقيادة القلعة بهذا، بل أصدرت بياناً اتهمت فيه حماس بأنها طعنت محموداً بسكين!. ولكن مطارداً من فتح، وهو أيسر شاهين يتفاخر فيما بعد بقتله.

اجتمع القساميون للرد، وفيهم المطارد الغزّي عماد عقل[22]، وكان عندنا في الضفة، والمجاهد نديم دوابشة (أبو مصعب) من دوما، وآخرون، وفكروا بمعاقبة كل من شارك في قتل محمود الحاج محمد، وذهبوا إلى الشيخ حامد البيتاوي، واستفتوه في ذلك فقال، رضي الله عنه: "دعوهم لسهام القدر ودعاء السحر"، وقلت لما سمعت النبأ في حينها: "والله ليقتلنهم الله جميعاً شرّ قِتلة".

[22] **عماد حسن عقل (1971–1993):** ولد في مخيم جباليا شمال قطاع غزة لعائلة هجرت من قرية برعير سنة 1948. لم يكمل تعليمه بسبب اعتقاله لنشاطه في صفوف حماس ومشاركته في الانتفاضة الأولى سنة 1988. عمل في بداية سنة 1991 ضابط اتصال بين "مجموعة الشهداء" وهي أول مجموعات كتائب عز الدين القسام وبين قيادة كتائب القسام. طورد للاحتلال منذ نهاية 1992، وانتقل إلى الضفة الغربية وأسهم في تشكيل وتدريب عدد من الخلايا العسكرية في منطقة الخليل. عاد للقطاع ليبدأ سلسلة من العمليات ضدّ جنود الاحتلال. استشهد في 1993/11/24 بعد محاصرته في منزل أم نضال فرحات في حي الشجاعية بغزة.

وفي أثناء التشييع تكلم الشيخ عوض، ابن خالة الشهيد محمود، فقال: إننا وأهلنا وأصحاب الشهيد، نطلب القصاص من الله فقط لا غير. ودعا فقال: "اللهم اضرب الظالمين بالظالمين، وأخرجنا من بين أيديهم سالمين"، اللهم آمين. وتأتي الأيام على هؤلاء بالانتقام من الله بأن أوقع بينهم، فقتل بعضُهم بعضاً، ويُقتل من الطرفين من عائلة فرج وعائلة مسلم ستة أشخاص، ومنهم ابن خالتهم الوسيط، والذي كان يشغل رئيس المجلس البلدي عندهم سليم مسلم. ويسجن قتيبة 35 سنة، وأما عبد العظيم موسى فيسجن 37 سنة، وتُشل اليد اليمنى لحسام فرج. أما من فاته ذلك، كعلي فرج وأخ له مع أحد أبنائهم، وإذا بخلاطة باطون يقودها ولد من أبناء رجل قتله علي فرج ومجموعتُه بتهمة العمالة، فطلع عليهم في سيارتهم، ولم يكتف هذا السائق بذلك، بل أخرج سلاحه وأجهز عليهم في سيارتهم، ولم يخرج منهم أحدٌ حياً. ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[23].

يوسف إسلام في فلسطين:

كان للفضائيات والمحطات الإخبارية والصحف العالمية دورها في نقل الحدث وجرائم الاحتلال وتعرية جرائمه، وما ارتكبته آلة القمع الوحشية من مجازر بحق المواطنين العزل، وسياسة تكسير العظام، ودفن الأحياء التي مارسها وزير دفاع الاحتلال إسحق رابين، ورئيس وزرائه إسحق شامير Yitzhak Shamir، الذي قال في مؤتمر مدريد Madrid Conference: "سأفاوض الفلسطينيين عشرين سنة، ولن أعطيهم شيئاً". وبعد أن غادر شامير الحلبة السياسية أو عزلوه، حيث جعلوه تحت الإقامة الجبرية في ملجأ للعجزة، ما دفعه إلى القول: "رموني كالكلاب"، وها هم الذين خدمهم طوال عمره، ينفضون أيديهم منه، ويديرون ظهورهم له...

هذه الممارسات دفعت بالرأي العام العالمي إلى أن يتعاطف مع معاناة الشعب الفلسطيني... وبعدما أربكت الانتفاضة خيارات الاحتلال، فوقف جيشه عاجزاً أمام شعب أعزل، يواجهه بصدور عارية، وضاعت هيبة هذا الجيش، وتلوث من جديد بعد المذابح الأولى سنة 1948 وما بعدها إلى مذابح اليوم. لقد قامت الانتفاضة على أكتاف هذا الشعب، وقدم هذا الشعب تضحيات وشهداء، وكل يوم تأتي الانتفاضة

[23] **القرآن الكريم**، سورة النحل، آية 118.

بجديد. ولما وصلت أخبارها إلى العالم زرانا وفد من مسلمي أوروبا، وعلى رأس هذا الوفد الداعية الأخ يوسف إسلام، بعدما كان مطرباً للروك، واسمه سابقاً كات ستيفن Cat Stevens، والذي أراد الله له الهداية، هنا في فلسطين، في المسجد الأقصى. وخلال زياراتنا إلى المواطن الساخنة في الأحداث، حدثني الأخ يوسف عن قصة إسلامه، فقال: كانت لي زيارات للأرض المقدسة، ومرشدنا يهودي لا يسمح لنا بالخروج عن النص، حيث كان يجنبنا زيارة المسجد الأقصى، والرغبة عندي جامحة، ولا أدري حينها ما السبب من وراء ذلك. ولما انتهت زيارتي دون زيارة المسجد الأقصى ورجعت إلى لندن، وتعرضت لحالة مرضية أقعدتني في المستشفى فترة طويلة، زارني أخي وأنا طريح الفراش، وأحضر لي معه قرآناً مترجماً إلى اللغة الإنجليزية. وفي أثناء مرضي أخذت أتصفح القرآن يومياً، فوجدته كتاب قوانين لا كما يقولون، ولا كما تعلمنا أن محمداً كعيسى، ينسبون له الألوهية كما نعتقد نحن في المسيحية، ونقول عن دينه الدين المحمدي كما تعودنا، أن نقول عن الدين المسيحي، وهذا ما اكتشفته أنه تجنٍّ على محمد ﷺ وظلم لرسالته بعد الهداية.

ويواصل يوسف إسلام حديثه: ولما تعافيت من المرض، وقررت أن أقوم بزيارة أخرى إلى معالم القدس، وعلى الخصوص المسجد الأقصى، الذي حاولت من قبل أن أزورهُ، لكن المرشد السياحي كان يتحاشى ذلك، وفي هذه المرة طلبت منه أن يجعل في برنامج السياحة... زيارة المسجد الأقصى، لكنه رفض ذلك مرة أخرى متذرعاً بأنه لا خروج على البرنامج، والوقت لا يسمح.

يقول يوسف: وفي اليوم الثاني اعتذرت عن صُحبة المرشد ومن معه، وبقيت في الفندق، وبعد أن غادروا طلبت سيارة أجرة، وذهبت إلى جبل الزيتون المطل على المسجد الأقصى وعلى القدس. ويقول: ثمّ نزلت من هناك مشياً على الأقدام حتى دخلت من باب الأسباط إلى ساحة المسجد الأقصى، وما إن وطئت قدماي ساحة المسجد وإذا بشعور من الرهبة يتملكني، بينما سبق لي أن زرت كنائس عدة، ومنها كنيسة القيامة، دون أن تثير فيَّ هذا الشعور. ولما أذن المؤذن لصلاة العصر، وأنا عند صحن الوضوء، طلبت من أحد الشبان أن يعلمني الوضوء، وتوضأت، وسألت عن كيفية صلاة العصر، وصليتها مع الإمام، وكانت الصلاة الأولى في حياتي. وقد سألني الشاب الذي علمني الوضوء، أأنت مسلم؟ قلت له: نعم، وبعدها ذهبت إلى المحكمة الشرعية في شارع صلاح الدين، وأشهرت إسلامي هناك، ورجعت إلى بريطانيا وأنا على دين الإسلام والحمد لله.

والأخ يوسف ومن رافقه من الوفد، كان لي ولإخوة آخرين، شرف مصاحبتهم في تنقلاتهم إلى مواقع الأحداث التي أفرزتها الانتفاضة، إلى قرية سالم، حيث دُفن الأحياء، وإلى مدينة نابلس والمخيمات... وإلى قطاع غزة ومخيماته، وأظن أننا تناولنا طعام الغداء في مطعم الجامعة الإسلامية، بضيافة الداعية ورجل الإصلاح أبو ناصر الكجك، والد الشهيد ناصر الكجك، الذي اتخذه الله شهيداً في الانتفاضة الأولى.

وصحبْنا الأخ يوسف إلى مدينة الناصرة وإلى بلدة كفر كنا، حيث كان مهرجان الفن الإسلامي، الذي تقوم عليه الحركة الإسلامية، داخل الخط الأخضر في فلسطين المحتلة سنة 1948، وكان للأخ يوسف كلمته وأناشيده الإسلامية بدلاً من الروك.

بعض الحوادث والقصص:

ذات مرة كنت ورفيق دربي ابن خالتي في طريقنا إلى غزة، وفي جعبتنا بيانات لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وانطلقت بنا سيارتنا تطوي الطريق، من القدس فبيت لحم إلى مدينة الخليل، ثمَّ عَرَّجْنا على بلدة الظاهرية، في دعوةٍ لحضور زفاف إسلامي. نزلت في الظاهرية وصلينا صلاتي المغرب والعشاء، وحضرنا جانباً من حفل الزفاف، وقد تأخرنا عن موعدنا... المهم أخذ الحفل حظاً من وقتنا، وانطلقنا إلى بئر السبع ومن هناك إلى غزة، ومن الشرق أتيناها...

ولما وصلنا إلى الحاجز العسكري الذي يسمى نحال عوز، إلى الشرق من حي الشجاعية، بادرت أنا الجندي، الذي يؤشر بمصباحه، بلكنة عبرية في السؤال عن الطريق إلى مستعمرة غوش قطيف، فدلني ظاناً أننا يهود. وسرنا حتى وصلنا إلى بغيتنا، وسلمنا البضاعة إلى أصحابها. وقفلنا راجعين عن طريق بيت حانون إلى القدس.

ومرة أخرى كنت في مهمة، وسائق السيارة من إخواننا، لكنه يحتاج إلى "دردحة"، قلت له ونحن في الطريق من القدس إلى رام الله، إياك والتردد، ثمّ إياك والارتباك فإنه يخرب علينا، قال لي: "ولا يهمك". وتوكلنا على الله، والسيارة تطوي الطريق إلى نابلس فجنين فالناصرة، ولما وصلنا حاجزاً عسكرياً يسمى زعترة إلى الشرق من سلفيت، والسيارات في صف طويل، فقلت له أعط الإشارة اليسرى من الضوء وانطلق؛ لأن سيارتنا نمرة صفراء وهويتنا زرقاء من القدس، وسيظن الجنود أننا مستوطنون، فتلعثم قليلاً ثمّ انطلق، ونظر إلينا العسكري والظن عنده أننا من قومه.

ولما وصلنا إلى أول نابلس وإذا بحواجز ترابية، وممر ضيق وعليها شرطة إسرائيلية، فارتبك الأخ مرة أخرى، وقلت له: ارجع من حيث جئنا، ومع التفاتة من ضابط الشرطة، فأنقذت الموقف وسألته: الطريق إلى الناصرة، فأشار من هنا. وسرنا على ما يرام. ولما تخطينا نابلس إلى جنين وعند دير شرف، وإذا بطابور من السيارات لِنصْف كيلومتر أو يزيد وعلى خطين، قلت لصاحبنا: أعط إشارة وتخطَّ الجميع، وكان ذلك حتى وصلنا إلى مدينة الناصرة، فشفا عمرو وحيفا، وبعد أن انتهت مهمتنا، رجعنا بحمد الله وتوفيقه.

ومرة في الليل، وكثيراً ما كنت أتجول ومسدسي على جنبي، سرت به من أم طوبا إلى شفا عمرو. ولما اقتربت الساعة من العاشرة والنصف ليلاً، وإذا بحاجز عسكري عند العوجا شمال أريحا، فأشار إلينا الجندي بمصباحه بالتوقف، فوقفنا وسألنا وهو يظن أننا مستوطنون، هل معكم سلاح؟ وهو يقصد للحماية، فأجبته بالعبرية: نعم، كل شيء تمام، وهو يقترح أن تصحبنا سيارة عسكرية للحراسة. فسرنا وقلنا له بالعبرية شكراً، لا داعي لذلك.

الاعتقال الثاني:

كان يتردد على بيتي الدكتور سفيان الخطيب من القدس، وهو محسوب في ذلك الحين على الجبهة الشعبية – القيادة العامة، وأمينها العام أحمد جبريل (أبو جهاد). ومن الوفاء أن نشير إلى أنه ساعدنا خلال صفقة التبادل، واستجاب لرسالتنا "ومَنْ لا يشكر الناس لا يشكر ربّ الناس".

سفيان أتاني غير مرة ما بين سنتي 1987–1988، وحدثني عن هموم وأخطار تواجه الانتفاضة، وأن عرفات ينتهج خطاً يريد من ورائه لهذه الانتفاضة أن تجير للحلول السلمية، فلا بدّ من جسم وطني من الداخل، يتصدى لهذا النهج الذي أخذ ينحرف بالانتفاضة عن مسارها، —وهذا ما شهدت عليه الأيام— وزودني بقائمة من الشخصيات الوطنية، وحرص أن يكون اسمي من ضمنها ممثلاً عن حماس...

توطدت علاقتي بالدكتور سفيان، ودخل على خطّ هذه العلاقة إخواني من الخارج نبيل مخزومي والحاج حافظ الدلقموني ويوسف العجوري، الذين أسهموا في بناء الجماعة الإسلامية داخل السجون. ولإيماننا بالعمل العسكري تواصل معي الأخ نبيل، بعدما التحق بصفوف الجبهة الشعبية – القيادة العامة، وجاء تواصله عن طريق أخيه

باسم، الذي التقاه غير مرة في القاهرة. ومن خلال رحلة الذهاب والإياب اعتقل باسم في مطار اللد، وهو في طريق العودة وخضع للتحقيق، واعترف على علاقته بأخيه نبيل، وذكرني في اعترافاته، وذكر حديثاً دار بيني وبينه في بيتي، ورسالة شفوية يتحدث فيها نبيل عن حاجة الساحة للعمل العسكري، وأن الإخوة في الخارج على استعداد لتلبية احتياجاتنا، في مغالبة هذا العدو.

وكلا الأخوين، الدكتور سفيان والأخ باسم، يدركان أني ملتزم بجماعة الإخوان المسلمين، وأن حماس هي العنوان في هذا الحراك، وأن هذا التفاهم وهذا التواصل... وكل دعم لتعزيز الانتفاضة، لا يُعَدّ بيعةً لأي تنظيم على الساحة، عدا تنظيمي الأساسي.

اعتقل باسم، وذكر في التحقيق أنه كان لي خطّ مع القيادة العامة. وهذا الاعتراف من ورائه اعتراف عند المخابرات، ولا يحتاج إلى طول انتظار، فعجل في اعتقالي، فكان أن اقتادوني إلى المسكوبية، ثمّ إلى مركز تحقيق الجلمة ما بين حيفا وجنين. وقبل الحديث عن رحلة التحقيق، كنت قد كتبت رسالة إلى الأخ أحمد جبريل، شكرت له صبره وجهده ونجاحه في عملية التبادل، ثمّ عرجت في الرسالة على الدكتور سفيان الخطيب، وقلت: لو كان في الساحة من هو مخلص في عمله للقيادة العامة، لكان تنظيم القيادة العامة حاضراً وقوياً في القدس والضفة. وكانت الرسالة "مكبسلة"، "وشغل أسرى حسب تقاليدهم"، ولم أجد سبيلاً لإيصالها، إلا سفيان الذي تبرع ووعد أن تصل عن طريق مأمونة... وأظنها لم تصل؛ لأنه فتحها واطلع على ما فيها، وبعدها بهتت العلاقةُ بيننا.

بتاريخ 1989/2/1 جاءت قوة من حرس الحدود والشرطة والشاباك، وأحاطوا بالبيت، وهم مدججون بالسلاح، وبأمر اعتقالي أخذوني إلى المسكوبية، لأنام تلك الليلة في زنازينها. ثمّ سفروني إلى تحقيق الجلمة، وهناك كان المسلخ، وسميتها سلخانة، وهي كذلك، وتحقيق جامد، وضرب وخلع، ودكّ بحائط مدبب كالمسامير —نقول له "مشبرس"— بظهري حتى تمزّقت ملابسي، وسال الدم من ظهري، وبقيت على هذه الحال في التحقيق شهراً على التمام حتى يئسوا مني. بعد أن التقيت الأخ باسم، واعترفت أن ما بيني وبين الأخ نبيل هي صحبة السجن، وعرض علي أن آتي بالسلاح عن طريق رفح، فما تجاوبت مع ذلك. وفي الليلة الأخيرة من التحقيق رأيت في المنام أن أفعى تتلوى بين ساقيَّ وما آذتني، وأنا على ظهر بيتي. ثمّ كنت على تلة، وإذا بإسحق شامير، وكان رئيس وزراء العدو وقتها، يزحف نحوي وهو حافي القدمين، وما وصلني،

وإذا بالآية الكريمة تختم الرؤيا من قوله تعالى ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾[24]، وبعدها استيقظت فاستبشرت وقلت كفاني الله إياهم، وما سألوني بعدها.

وقد دار حديث بيني وبين المحقق عن مقابلات صحفية مع صحف غربية، منها شيكاغو تريبيون Chicago Tribune، وأني قلت فيها إن فلسطين من بحرِها لنهرها، هي للفلسطينيين وللعرب والمسلمين، وإننا لن نتخلى عن حبة رمل من أرض فلسطين. فقال: أين نذهب؟ فقلت من حيث أتيتم، أو تقبلون بحكمنا، فقال قائد في الشاباك: نعلنها حرباً عالمية ثالثة، ولا نقبل بحكم العرب.

ومن أطراف الحديث عن مقدمة ابن خلدون، وقد سبق لي أن قرأتها في سجن الرملة، قال المحقق، أعجب من عربي لا يقرأ لابن خلدون هذه المقدمة، وكذلك كتب الجاحظ، وعلى الخصوص كتاب الحيوان، فلما قرأت كتاب الحيوان للجاحظ قلت: بقدر ما عنده أدب... بقدر ما هو قليل أدب.

وقبل أن أرحل إلى الرملة مرة أخرى، إلى سجن نيتسان، زارني بروفيسور من جامعة حيفا، وأنا في زنازين التحقيق، وجلس معي لأكثر من ساعة، في حديث عن الحركة الإسلامية وعن حماس ومستقبل الصراع، وفجأة سألني عن الدكتور الشهيد عبد الله عزام، ماذا يفعل في أفغانستان؟ فوالله ما خطر على بالي بعد سؤاله إلا أن التخطيط قائم لاغتياله. وفي السنة نفسها في 1989/10/24 استشهد عبد الله عزام، رحمه الله.

الانتقال إلى سجن نيتسان في الرملة:

بعد بوسطة لمحكمة اللد العسكرية، وبحضور قضاة المحكمة والنيابة والمحامي، قدمت النيابة العسكرية لائحة اتهام ضدي، وترافع عني في هذه المحكمة الأستاذ علي رافع من الجليل الأعلى، ثمّ استبدلته بمحام يهودي هو فيلدمان، وهو من الضالعين في القانون العسكري والمدني الإسرائيلي. ترافع عني وعن الأخ باسم مخزومي من الناصرة، ولهذه اللحظة لم تصدر أحكامٌ ضدنا. فانتقلت من سجن الجلمة إلى سجن نيتسان في الرملة، ولما وصلت إلى السجن ودخلت إلى غرفة من غرفه، استقبلني الإخوة من فتح، منهم الدكتور طلال أبو عفيفة، وهو رجل فاضل ومؤدب، والأخ صلاح زحايكة، وهما من القدس. وكان من الفتية الذين حرصوا على معرفتي، وهم من الداخل الفلسطيني الإخوة

[24] **القرآن الكريم**، سورة البقرة، آية 137.

سمير سرساوي، وعلي عمرية، ووليد أفندي، وماجد الحلف، وهم بدو من عرب الحلف في قرية اسمها إبطن، إلى الجنوب من حيفا؛ شبانٌ محترمون تمرّدوا على واقعهم، وتفاعلنا مع الشباب وقمنا بالواجب نحوهم. وكانوا عن طريق مصر والخارج قد انتظموا في صفوف الثورة الفلسطينية، ومنهم من أنهى حكمه، ومنهم من هو حتى الآن في السجن، مثل سمير، أما علي عمرية فقد حظي بالخروج في صفقة وفاء الأحرار. وتعرفت من خلال سجن نيتسان إلى الأخ والمقاتل الليبي خليفة الصغير المبروك[25]، دخل الحدود مع فلسطين عن طريق لبنان وزميل له في عملية عسكرية، من ورائها جبهة النضال الشعبي. وفي السجن كان خليفة حامل لواء القومية العربية، وعبد الناصر والقذافي تبوّآ في نفسه مقعداً، وحربه على الإخوان المسلمين بلا هوادة، ويرميهم بأنهم عملاء للغرب. فقلت له من خلال حديث غير مرة، ولأكثر من يوم: أنت يا صاحبي متسرع في حكمك على الناس، أنت تائه عن الطريق، ومعمر القذافي بكتابه الأخضر، خارج عن ملة المسلمين، وحاول أن يدافع عن القذافي وعن حروبه في تشاد، وقد كان جندياً هناك... وأستاذاً يعلم في مدارسها. ولكن مع الزمن علاجه، وصاحبنا عنده استعداد أن يسمع ويفهم، وحرصت على متابعته، إلى أن اقتنع مع الأيام، وأصبح من الإخوان المسلمين، وبقي مع الجماعة داخل السجون عشر سنوات، ثمّ أفرج عنه سنة 1999، ومجموعة أخرى من الشباب كبادرة حسن نية من الاحتلال للسلطة الفلسطينية. وخرج إلى غزة، وهناك تزوج من القطاع، وبعد ذلك عاد إلى أهله في ليبيا. وكان نعم الأخ ونعم الصاحب.

وكان في القسم الثاني من سجن نيتسان الإخوة من حركة حماس من القدس وضواحيها، من صور باهر الأخ المجاهد أحمد عطون، وهو النائب في المجلس التشريعي اليوم، والمبعد عن القدس مع نوابها الإسلاميين ووزيرها. وكان في السجن كذلك الأخ عبد الباسط الرازم، والأخ أحمد مهنا، والأخوان أبو حلمي وأبو أدهم جبارين من أم الفحم. وتعرض الأخ أبو مجاهد والأخ محمود عطون (أبو العز) إلى "قمعة" موجعة بالعصي والهراوات، وعُزلا في الزنازين، يفترشان الأرض ويلتحفان السماء لثلاثة أيام، والدماء تسيل من رأسيهما وجسديهما.

---

[25] **خليفة الصغير المبروك (1959–):** أسير ليبي ولد في منطقة الرياينة، حاصل على دبلوم معلمين خاص، وبكالوريوس علوم سياسية. انضم للثورة الفلسطينية سنة 1988، وشارك في عدد من عمليات المقاومة في الجنوب اللبناني. اعتقل في 1988/8/29 بعد اشتباك مع قوة صهيونية بالقرب من مزارع شبعا اللبنانية. حكم بالسجن لمدة عشرين عاماً، وأطلق سراحه سنة 1999 إلى قطاع غزة. رافق الشيخ أحمد ياسين في سجنه، عاد إلى ليبيا وبعد الثورة على نظام القذافي رشح نفسه لانتخابات المجلس الوطني الليبي.

انتهى إلى مسامعنا، ونحن في القسم الثاني من سجن نيتسان، خبر وفاة الرفيق عمر القاسم، نتيجة لمرض عضال ألمّ به ولم يمهله طويلاً، أعاذنا الله منه ومن كل مكروه ألا وهو مرض السرطان. وقد قامت على تأبينه في السجن الجبهتان الشعبية والديمقراطية، وقدمني رفيق (الشعبية) محمود الصفدي، لألقي كلمة باسم الجهاد الإسلامي، وقد عزّ عليه أن يعترف بحماس، ووجدت أنه لا يضيرني أن تكون الكلمة باسم الجهاد الإسلامي، فهم إخواني. ولكن ما عبرت عنه نفوس القوم هو تجاهل حماس، وجهلهم بحجم حماس، فحماس أكبر من أن يتجاهلها أحد، والتاريخ قال كلمته فيها وفي غيرها.

مات عمر القاسم، والأعمار بيد الله، ولكن كان على الجبهة الديمقراطية، أن تسعى جاهدة لعملية تبادل لجثة جندي درزي من جنود الاحتلال عندها، اسمه سمير أسعد، لتعتذر إلى عمر القاسم وأهله ورفاقه، فرحل عمر القاسم بعد أن تمكّنَ المرضُ مِنه، وبادلت الديمقراطية بالجثة كادراً من كوادرها في الخارج، واسمه علي أبو هلال من بلدة أبو ديس، ليعود من المنفى إلى أرض الوطن. وقد مضى على عمر القاسم في السجن 22 سنة.

وفي سجن نيتسان، التقيت الرجل الفاضل والأخ الحبيب المهندس مصطفى أبو زهرة (أبو الأمين) في قضية إدارية، والتقيت الرفيق عبد اللطيف غيث (أبو نضال) من الجبهة الشعبية، وهو كذلك على خلفية إدارية، وسمعت منه تعليقاً على الانتفاضة وحال المنظمة قبل الانتفاضة، فقال: إن المنظمة قد تُودِّع منها وأصبحت مكاتب، ولولا الانتفاضة ما قامت لها قائمة، ثمّ رُحِّلت إلى عسقلان.

الحكم الثاني والعودة لعسقلان:

وفي أواخر شهر كانون الأول/ ديسمبر 1989 صدر الحكم ضدي من المحكمة العسكرية في اللد لمدة سنة وشهر. والقاضي الذي حكمني يلقب بـ"الضفدع"، وهو مَنْ حكمني سنة 1975 في المحكمة نفسها. ورجعت إلى عسقلان بعد غياب أربع سنوات ونصف تقريباً، ونزلت ضيفاً على قسم (11)، في غرفة تتسع لأكثر من ثلاثين، فيها الرفيق سمعان خوري وعدنان شلالدة، وشبان كثر من الفصائل جميعها بما فيها حماس والجهاد. وأيامها كان الاتحاد السوفييتي قد بدت عليه علامات الانهيار والترهل، وانفرط عقد الكتلة الشرقية وحلف وارسو Warsaw Pact، وأتى الناس على

سور برلين فأطاحوا به، وتحرر الناس من كابوس الإلحاد والشيوعية. وخرج علينا ميخائيل غورباتشوف Mikhail Gorbachev بالبريسترويكا —وتعني إعادة البناء للاقتصاد السوفييتي—، وأذكر جيداً وقد خطبت عن ذلك الموقف خطبة جمعة، وذلك أن بوش الأب George Bush (الرئيس الأمريكي) وغورباتشوف أرادا اللقاء على بارجة لأحد الطرفين في البحر المتوسط، وحال الموجُ دون اللقاء... وعلا الموجُ كالجبال، وأخيراً نزل الاثنان إلى مالطا، وتمّ اللقاء هناك. وحاول بعض الرفاق أن يعلل سبب انهيار السوفييت، فقلت لهم: من قديم كنت أتربع للجدال، أما اليوم فسور برلين انهار وهو يجادل عنا، وسقط الفكر الماركسي بسقوطه. والعجيب أنه سقط هناك، وعاد الناس إلى المساجد والكنائس، ولكن دعاة الإلحاد في بلادنا لا يزالون على حالهم.

وجمعتني أيام السجن بالأستاذ والمهندس حسن القيق (أبو سليمان)، رحمه الله، وفي غرفة من غرف القسم عشنا معاً. وعلى عادتي كنت أخرج للرياضة من كل صباح، وهذا الأمر جديد على الأستاذ، فقلت له: أنا أميرك في السجن، وعندما نخرج من السجن فأنت أمير الكل، أما الآن فإلى الساحة وبملابس الرياضة، وقد اعتاد على الرسميات، ومشت الأمور، والأستاذ (سيِّد من تَفَهَّم). وفي الليل وخلال النهار كانت تدرو بيننا أحاديث، وأسمع منه من الشعر والأمثال، وحفظت عنه بيتاً من الشعر كان كثيراً ما يردده:

والليالي من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيبة

وفي قسم (11) كان يتردد علينا إخوة لنا، في طريقهم إلى محكمة إيرز العسكرية، وهم ممن اعتقلوا في الضربة الأولى والكبيرة لحركة حماس، وعلى إثر خطف الجنديين الإسرائيليين إيلان سعدون Ilan Sa'adon وآفي ساسبورتس Avi Sasportas سنة 1989، ولي حديث لاحق عن هذه الضربة، وعن قسم العزل. أما الآن فكان من الذين يترددون على المحكمة المهندس إسماعيل أبو شنب وكنيته أبو الحسن[26]، وكذلك المحامي محمد فرج الغول، وجميع من له محكمة، وكانا معزولين أسفل سجن الرملة.

[26] **إسماعيل حسن أبو شنب (1950–2003):** ولد في مخيم النصيرات وسط قطاع غزة لعائلة تعود أصولها لقرية الجية. درس الهندسة بمصر وفي الولايات المتحدة. عمل محاضراً في جامعة النجاح الوطنية، وله دور في العمل النقابي والاجتماعي. شغل رئاسة نقابة المهندسين، وعمل في وكالة الأونروا. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني. شغل عضوية المكتب الإداري للإخوان المسلمين في قطاع غزة —حماس لاحقاً، ورأس مركز المستقبل للدراسات، ومثّل حركة المقاومة الإسلامية حماس في اللقاءات مع السلطة الفلسطينية والفصائل. اغتيل بقصف صاروخي استهدف سيارته يوم 2003/8/21.

كان ممنوعاً على هؤلاء الإخوة، وهم في طريقهم إلى المحكمة، أن يختلطوا بأحد من السجناء، فهم معزولون حتى في ترحالهم. وكان المهندس أبو شنب على علاقة مع أستاذنا أبي سليمان، وحاول المحقق مع أبي الحسن أن يفتح في التحقيق على أبي سليمان، لكن الله سلَّم، وصبر الحاج أبو شنب، ولم ينبس ببنت شفة. وقال لي: اقرأ السلام على أبي سليمان خوفاً من الملاحظة، وقل له: سألوا عنه في التحقيق. وكان بالإمكان أن يتبادلا التحية والسلام، لكن لحساسية الوضع كنت أنا الواسطة والمرسال، رحمهما الله. وجمعنا السجن بمهندس كريم على شاكلة المهندس أبي شنب، هو المهندس خالد أبو عرفة والمقرب من أبي سليمان، ثلاثتهم درسوا الهندسة... وهندسة نفوسهم عظيمة.

لقد شكلت الانتفاضة ظاهرة عظيمة، وشغلت الرأي العام العالمي والمحلي بأحداثها، وعطاء هذا الشعب من الدماء والأشلاء والشهداء بلا حدود. وفرضت هذه الأحداث على العالم أن يتعاطف مع التضحيات الجسام التي قدمها هذا الشعب. وكان لأهلنا في الداخل المحتل حضورهم، فتعاطفوا مع إخوانهم، وتعاطف أبناء الوطن مع هذا الحراك، ومن أبنائهم من دخل السجن، من يافا والنقب وأم الفحم والناصرة واللد والجليل وقرى المثلث... التقينا أبناء هذه المدن جميعاً وعشنا وإياهم، فهم منا ونحن منهم. أما يافا، فقد عمل الاحتلال جاهداً على تفريغها وإسقاطها، وقتل الانتماء عند أبنائها، لكن هيهات، ففيها رجال أعرفهم وعندهم صدامية ووطنية صادقة، بل إنهم "نماريد" على العدو. ومع الروح الجديدة التي عززها التدين، خرج أبناؤها على الاحتلال، ومنهم من انخرط في أعمال الانتفاضة، ودخلوا السجن، وحوكموا، ومنهم من أتى إلى سجن عسقلان أيام وجودي هناك سنة 1989، وتعرفت عليهم والتزموا حماس، وآثروها عما سواها من التنظيمات فرحبنا بهم. وكان اهتمامنا بهم عظيماً، وكانت ظروفهم صعبة مع الالتزام، لكنها الأخوة، فهي إطار يتسع لأحبابنا هؤلاء، ولأن تربيتهم في الداخل لها في "النمردة" نصيب، وهذا جيد. ولما عرفتهم عن قرب، قلت: هؤلاء ذخرٌ ورصيد لنا في الداخل، وكان ذلك. فبعدما تعرفت على الحاج عادل السكسك، زودني بالخيرة من شباب يافا خارج السجن، وعرفني على زوج أخته (أبي محمد) الشهيد علي ريحان، والذي كان قد قتل قبل سنتين، بإيعاز من المخابرات الإسرائيلية على يد العملاء. ولما قُتِل جاء رجل مخابرات إسرائيلي ووضع قدمه على رأس الشهيد علي، وقال له: هل نسيت أنك حماس؟ وعرّفني الحاج عادل كذلك على إمام مسجد المحمودية الشيخ

يوسف سيد عاشور وعلى أخيه خميس، وقُتل الأَخَوان في موقف واحد على يد العملاء وبإيعاز المخابرات الإسرائيلية، تحت حجة تصفية حسابات بين الناس. وعمل كل من الشهيدين علي ريحان وخميس عاشور معي، وانتظما وكان لهما الدور المهم، في التسليح والرصد والخبرة في معرفة السلاح، فهذه حياتهم، زوداني بالسلاح وأخذا على عاتقيهما النقل والتدريب وكل دعم مع استعداد للتنفيذ رحمهما الله جميعاً، وحفظ الله يافا، فالمؤامرة عليها ليست كبيرة فقط، وإنما أحاطوا بها...

كنت أتردد على يافا، لأني أحبها، والاحتلال لا يريد ليافا أن تحيا بشبانها، كنت أتخذ من الليل ستاراً وغطاء لأي حركة إليها، أو فيها.

وفي قسم (12) من عسقلان جمعتنا غرفة أخرى مع الأستاذ حسن القيق (أبي سليمان) مرة أخرى. والحديث لا ينقطع ولا يمل مع أبي سليمان، وكان في الليل في حرب مع البق، إذ كانت لديه حساسية من لسعاته، وقد ترك بصماته على جسم الأستاذ، فيقوم في الليل ويطارده بنار القداحة. وجمعتنا الأيام في هذا القسم مع الأخ راضي الجراعي (أبو شادي) من حركة فتح، وهو شاب مؤدب ودمث الأخلاق، وهو عضو من أعضاء القيادة الوطنية الموحدة...

وكان في غرفتنا أخ من الجهاد الإسلامي من غزة اسمه صقر البلتاجي، كان يفضل العيش مع إخوانه في غرف حماس. وكان البلتاجي رجلاً في الثلاثينيات من عمره، وله مواقف فيها من حسن الخلق والإحساس بالآخرين، حيث كان يقوم كل ليلة، قبل الفجر بساعة أو ساعتين، ليصنع لي كوباً من الحلبة، وكوبين آخرين من اليانسون، للمهندسَيْن حسن القيق وخالد أبو عرفة.

لنا داخل السجن في الأقسام الداخلية إخوة قدامى وأعزاء علينا، وهؤلاء قدّموا اسمي للنقل والعيش معهم ما تبقى من الأيام، فكان ذلك وتمّ النقل. وحضرت إلى قسم (2) ونزلت ضيفاً على غرفة 6، وكان هناك الإخوة جميل حمامي (أبو حمزة)، والدكتور إبراهيم المقادمة (أبو أحمد)، والدكتور محمد شهاب (أبو العبد)، والداعية عبد الرحمن تمراز (أبو ماهر)، وولده ماهر، والأخ سامي أبو زهري، وآخرون، فرج الله عن المسلمين جميعاً.

لم يطل بي المقام بينهم، ولربما لأقل من شهر، وبعدها رحلت إلى سجن شطة، في الشمال على طريق العفولة بيسان. ولما وصلنا نزلنا على إخواننا في الجماعة الإسلامية،

وهي تجمع بين حماس والجهاد الإسلامي، ولمشكلات حصلت بيننا وبين فتح أخرجتنا الإدارة للزنازين، وكان الأخ (أبو مجاهد) أحمد عطون هناك، وناله من الضرب ما تقشعر له الأبدان، حتى قلت إنه قد فارق الحياة، حفظ الله أبا مجاهد.

ومن زنازين شطة خرجت إلى البيت، وتركت خلفي المهندس خالد أبو عرفة (أبو محمد)، وكان عوناً لأبي مجاهد.

تمّ الإفراج عني في 1990/3/1، وكان في استقبالي على بوابة السجن السيدة الوالدة، رحمها الله، وأهالي المعتقلين الذين جاؤوا لزيارتهم، وعدت إلى القدس بعد غياب موجع آخر.

حملة الاعتقالات وقسم العزل:

كنا في سجن نيتسان سنة 1989 والأخبار لا تتوقف، وفيها حرارة لسخونة الأحداث، وقد جاء في الأخبار العبرية عن اختطاف جنديين إسرائيليين. والخاطفون قالوا، من باب التمويه، إن هذه العملية جاءت رداً على اغتيال (أبي جهاد) خليل الوزير، واتضح فيما بعد أن مَنْ قام بهذه العملية مجموعة تابعة لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وتمكنت هذه المجموعة من القضاء على الجنديين، ودفنهما ومصادرة سلاحيهما، ثمّ الاختفاء عن الأنظار. وقد حُددت هوياتهم، وهم (أبو النمر) محمد الشراتحة، قائد المجموعة، ومن ورائه الشيخ صلاح شحادة (أبو مصطفى)، والشهيد محمود المبحوح، والأخ المجاهد محمد نصار، رضي الله عنهم جميعاً. أما أبو النمر والشيخ صلاح فقد اعتقلا، وأما الشهيد محمود المبحوح والأخ محمد نصار فقد غادرا القطاع إلى مصر...

وعلى إثر ذلك قامت قوات الاحتلال بأكبر عملية اعتقال، شملت غزة والضفة الغربية والقدس، حتى وصل عدد المعتقلين إلى ما يزيد على 250 معتقلاً كلهم من حماس، وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين والمهندس إسماعيل أبو شنب، وشبان يشكلون الصف الأول من قيادة الحركة، ومن القدس الأستاذ حسن القيق والشيخ جميل حمامي، والأستاذ غسان هرماس، والأستاذ علي أبو راس مدير المعهد العربي، والدكتور عدنان مسودة، والأستاذ ماهر عبيد من الخليل، والشيخ جمال الطويل، والشيخ حسن يوسف، والشيخ إبراهيم أبو سالم من رام الله، وآخرون لا أذكرهم... الله يعلمهم.

وقد سبق هذا الاعتقال اعتقال آخر لإخوة أسسوا جهاز أمن الحركة (مجد) ، وكان على رأس هذا الجهاز القائد الملهم الأخ يحيى السنوار (أبو إبراهيم)[27]، ومعه في قيادة الجهاز الإخوة روحي مشتهى (أبو جمال)[28]، وتوفيق أبو نعيم (أبو عبد الله)[29]، وحسن المقادمة (أبو علي)[30]، وهم من الكفاءة بمكان داخل السجون وخارجها.

على أثر هذه الاعتقالات تفنن العدو الصهيوني ومؤسساته الأمنية في الإجرام، وأقدمت مصلحة السجون على إجراء همجي ضدّ هذه الشريحة من المعتقلين، وفي قسم تحت الأرض كانت مصلحة السجون تستخدمه ممراً للبوسطات وللتنقلات، وللمحاكم، ويسمى "معبراً"[31] بلغتهم. وهذا القسم بلغ من السوء مبلغاً لا يطاق، فهو مزرعة للفئران والجرذان، والرطوبة فيه قاتلة، وحشرنا فيه حشراً كل اثنين في حجرة كالزنازين، بل ربما كانت الزنازين أرحم، والبعوض والحشرات والإنارة الضعيفة التي تضعف الرؤية، وتؤدي إلى العمى مع الزمن، أما الجدران والأبواب، فلها دهان خاص ومتعب للنظر، يتفننون في الإجرام وقد كنت نزيلاً فيه، يوم أن اتخذ مدير مصلحة

---

[27] **يحيى إبراهيم السنوار (1962–):** ولد في مخيم خانيونس لعائلة هجرت من بلدة المجدل سنة 1948. التحق في الجامعة الإسلامية بغزة ونشط في صفوف الكتلة الإسلامية وقاد مجلس طلبتها. أحد مؤسسي منظمة الجهاد والدعوة (مجد)، الجهاز الأمني لحركة حماس، وقائدها في جنوب قطاع غزة، بتكليف من الشيخ أحمد ياسين؛ كان للجهاز دور في ملاحقة الصهاينة وعملائهم. اعتقل في 1989/5/14، وحكم عليه بالسجن المؤبد. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18. وانتخب مؤخراً ليشغل عضوية المكتب السياسي لحركة حماس.

[28] **روحي جمال مشتهى (1959–):** مواليد حي الشجاعية في مدينة غزة، متزوج، وأحد مؤسسي منظمة الجهاد والدعوة (مجد)، الذراع الأمني لحركة حماس، ومسؤول الجهاز في منطقة غزة. اعتقل من المستشفى بعد إصابته بانفجار قنبلة خطأ يوم 1988/2/13، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة لمسؤوليته عن مقتل عدد من عملاء الاحتلال. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18، وانتخب مؤخراً ليشغل عضوية المكتب السياسي لحركة حماس.

[29] **توفيق عبد الله أبو نعيم (1962–):** ولد في منطقة وادي غزة، والتحق في كلية الدعوة بالجامعة الإسلامية في غزة. نشط في صفوف الكتلة الإسلامية وحركة حماس وشارك في فعاليات الانتفاضة الأولى واعتقل لذلك. انتمى لمنظمة الجهاد والدعوة (مجد) الجهاز الأمني الخاص بحركة حماس. اعتقل في 1989/5/14 لمشاركته في عدد من العمليات ضدّ الصهاينة وعملائه وحكم بالسجن مدى الحياة. أحد قيادات أسرى حماس، وممثل المعتقلين لفترة طويلة. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18.

[30] **حسن أحمد المقادمة (1960–):** ولد في مخيم جباليا شمال قطاع غزة، شقيق الشهيد إبراهيم المقادمة حصل على بكالوريوس الشريعة الإسلامية من الجامعة الإسلامية بغزة، متزوج وله ولد وبنت. اعتقل في 1989/5/18 لنشاطه ضدّ العملاء الصهاينة ضمن منظمة الجهاد والدعوة (مجد) جهاز حماس الأمني، وحكم بالسجن لمدة ثلاثين عاماً. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18، وأبعد إلى تركيا.

[31] المعبار: مكان احتجاز المعتقلين المؤقت، ويكون ملحقاً بكل سجن ولكنه مفصول عن المعتقلين المحتجزين بشكل دائم، ويستخدم لمبيت المعتقلين بين مراحل النقليات المختلفة التي تستغرق أكثر من يوم. انظر: فهد أبو الحاج، **مرجع سابق**، ص 67. وللمزيد انظر التعريفات الواردة في ملحق "البوسطة". [المحرر]

السجون قراره بشأن العزل، ومن ورائه سياسة عليا للشاباك بصماته واضحة فيها. ونقلت إلى القسم الآخر منه، حتى لا أختلط بهذه المجموعة.

ولم تكتف مصلحة السجون بكل هذه المواصفات، بل أتت بستين من كوادر حركة حماس، معظمهم من الناشطين سياسياً لا علاقة لهم بالعمل العسكري، ومنهم كذلك الناشط في العمل العسكري والميداني، ووضعتهم تحت سياسة خاضعة للمؤسسة العليا، بعدما دخل الشاباك على خطّ مصلحة السجون، بحيث حجّم صلاحية إدارة السجن بحق هذه الفئة. وزادت في الأبواب الموصدة، وأغلقت عليهم نوافذ صغيرة في أبواب القسم تسمى "شنافات"، بعد مصادرة ثيابهم إلا من غيارين اثنين، حتى لا يعرفوا الدفء في برد الشتاء القارس، مع برنامج سيّء للتغذية، ومنعوهم من الرياضة وصلاة الجمعة، والكانتينا، والكتب والقرطاسية. واتبعوا معهم سياسة الضرب والاعتداءات والاستفزاز، فلا يخلو يوم من ضرب الغاز بقيادة طاقم على رأسه ضابط أمن روسي اسمه سيمون. ودارت الأيام وإذا بسيمون يعيّن مديراً لسجن نفحة، ففي سنة 2003 جاءنا إلى سجن نفحة مديراً، بعدما ترقى على حساب معاناتنا وآلامنا ولبشاعة أفعاله، فالتقى الأخ توفيق أبو نعيم، الذي عاش وإياه صولات وجولات من الصدام. وكان الأخ توفيق الناطق باسم العزل قديماً، والناطق باسم السجن اليوم، وأيام العزل حصل بين الاثنين صدام أدى إلى الضرب، بحيث تركت في رأس سيمون علامة، فرد على توفيق بضربة تركت علامة في رأسه، (واحدة بواحدة). والتقيا أخيراً في غرفتي، وكلاهما ينظر إلى رأس الآخر ويبتسم، لكن بعيداً عن تلك الأيام، وهذه حادثة من حوادث كثيرة، كان بطلها غالباً الأخ المجاهد أحمد شكري[32]، الذي قتل صهيونياً في ورشة العمل، وعمل على قتله بدفنه تحت الباطون المسلح.

كانت سياسة ضرب الأسرى بالغاز منذ أن فُتحت أبوابُ السجون، ولم يسلم منها حتى من كانوا في العزل، بل ربما يضربون هناك يومياً، وطالت عليهم الأيام، وما انتهت إلا بنجاح الإضراب سنة 1992 الذي سيأتي الحديث عنه لاحقاً.

---

[32] **أحمد حسين شكري ([1963]–)**: ولد في رام الله ونشط في حركة المقاومة الإسلامية (حماس). في 1989/9/8 قام باستدراج أحد الجنود الصهاينة إلى مكان منعزل في تل أبيب، فقتله ضرباً وألقاه في بئر. توجه في اليوم التالي إلى محطة الحافلات المركزية في تل أبيب وصعد الحافلة 405 وعلى طريق تل أبيب – القدس استلّ المجاهد شكري سكيناً وهاجم سائق الحافلة وطعنه عدة طعنات في البطن والذراع ليقتله، ثم حاول دفع الحافلة إلى المنحدر، غير أن الركاب تمكنوا من السيطرة عليه قبل سقوط الحافلة ليعتقل على يد جنود الاحتلال. حكم بالسجن المؤبد، وخرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18.

وخرج الإخوة من العزل بعد سنتين ونصف، وتفرقوا على السجون إلا نفحة، حيث رفضت قيادة فتح فيه استقبال أيّ أحد من حماس، ما دفع برفيق من الشعبية وهو الأخ رأفت بدران إلى القول: لماذا نحن أضربنا، وعلى رأس مطالبنا إنهاء العزل؟ فتراجعوا عن موقفهم. وهذا موقف يسجل للأخ رأفت بدران، ورأفت هذا تحول من الشعبية إلى فتح فيما بعد، وهو من بيت عور التحتا من قرى غرب رام الله.

أما الإخوة الذين دفعوا ضريبة العزل، فهم المهندس إسماعيل أبو شنب، رحمه الله، وتوفيق أبو نعيم، والشيخ صالح العاروري[33]، والشيخ صلاح شحادة، والأخ عبد الهادي غنيم من فتح، والمجاهد محمد الشراتحة، وأبو إبراهيم السنوار، والمحامي محمد فرج الغول، والمجاهد نضال زلوم[34] من الجهاد الإسلامي، وهو من خيرة أحبابي ومن العُباد والذاكرين —فرّج الله كربه في صفقة وفاء الأحرار— والمجاهد عامر أبو سرحان[35] مفجر ثورة السكاكين... والمجاهد أسامة المزيني صهر الشيخ أحمد ياسين، وياسر داود من الجهاد الإسلامي، ولا أذكر بقيتهم.

ما بين الإفراج والاعتقال الإداري:

من سجن إلى سجن تختلف سياسة مصلحة السجون، فسجون الشمال، لكون أكثر السجانين من الدروز، سجون قاسية جداً في المعاملة. وهم —أي الدروز— في كل

---

[33] **صالح العاروري (1966–):** ولد في قرية عارورة قضاء رام الله. التحق في كلية الشريعة في جامعة الخليل، وترأس الكتلة الإسلامية في الجامعة. من مؤسسي الجناح العسكري لكتائب القسام في الضفة الغربية. اعتقل أكثر من مرة في سجون الاحتلال الصهيوني بدءاً من سنة 1991، وأحد أبرز قيادات حركة حماس في سجون الاحتلال حتى خروجه. خرج من الاعتقال الإداري مقابل إبعاده خارج فلسطين، مسؤول ملف الأسرى في حركة حماس وعضو الوفد المسؤول عن مفاوضات صفقة وفاء الأحرار مع الاحتلال. انتخب ليشغل عضوية المكتب السياسي لحركة حماس.

[34] **نضال عبد الرازق زلوم ([1963]–):** ولد في مدينة البيرة. حاصل على بكالوريوس لغة عربية من جامعة بيرزيت. في ليلة الـ 27 من رمضان، 1989/5/3، هاجم بسكين مجموعة من الصهاينة فقتل اثنين وجرح ثالث. حكم بالسجن المؤبد مرتين و35 عاماً. من قيادات حركة الجهاد الإسلامي في السجون. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18.

[35] **عامر سعود أبو سرحان (1972–):** ولد في قرية العبيدية قضاء بيت لحم. إثر مذبحة المسجد الأقصى المبارك نفذ أبو سرحان عملية طعن استهدفت عدداً من المستوطنين والجنود الصهاينة، فقتل ثلاثة منهم وأصاب عدداً آخر، وكان ذلك في 1991/10/12. اعتقل إثر ذلك بعد إصابته بقدميه وحكم بالسجن المؤبد ثلاث مرات. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18.

سجن يشكلون عصابة خارجة عن السياسة العامة للسجون، وينصرون أخاهم ظالماً أو مظلوماً! فجميعهم يشاركون الضرب، ولهم ألسنة حداد في الشتيمة والسباب، وبألفاظ نابية، ولديهم حقد عجيب، لا أدري ما أسبابه وما هي دوافعه! بل هم علينا أشد وطأة من الصهاينة، وإن الاحتلال يستغلهم، وهم من اعتدى علينا، وانهال بالضرب على المجاهد أحمد عطون، وستأتي الساعة التي لا ينفع فيها الندم جرّاء هذه الخدمة، سواء في الجيش أم في مصلحة السجون، أم في أقبية التحقيق.

وللحقيقة أقول، إن بعض هؤلاء قد طرأ على مواقفهم نوعٌ من التغيير، كثمرة لمناقشتهم في هذا الأمر. ولي صحبة مع بعضهم، وما انقطع الاحترام بيني وبينهم، فالزمن جزء من العلاج، وسياسة الاحتلال العنصرية معهم، غيرت بعضهم إلى الأحسن.

بعد الخروج من سجن شطة بتاريخ 1990/3/1، وقد عزمت ألا أعود للسجن مرة أخرى، وأن أعيش حياة الجبال، وعلى الخصوص في الليل، لا آتي إلى البيت إلا بعد صلاة الصبح، أو مع الصبح، وربما وقت السحر ولمدة ستة أشهر، والوالد بعد أن ينتهي من قيام الليل، يخرج الى ساحة البيت، ويتأمل من الليل مع هذا الهدوء بين الذكر والاستغفار، وعند عودتي يقول لي: اذهب إلى فراشك وخذ قسطاً من الراحة، وأنا أقوم بواجب الحراسة.

وبعد خروجي من السجن بقليل، كان الأستاذ حسن القيق على أبواب الفرج، وينتظر أيامه الأخيرة في سجن عسقلان. ويوم الإفراج عنه بتاريخ 1990/6/21، ذهبنا وأهل بيته ورجل الإصلاح الحاج موسى الوحيدي (أبو ماجد)، والأخ (أبو إسحق) إبراهيم أبو سالم، ذهبنا جميعاً إلى سجن عسقلان، وانتظرنا أستاذنا حتى خرج، وسلمنا عليه بعد هذا الغياب، وسرنا به إلى دورا الخليل، وهناك استقبلنا أهله وإخوانه وأقاربه، وتناولنا طعام الغداء مع حضرته في بيت والديه، ورجعنا إلى القدس، وبقي الأستاذ في كنف والديه وأهله بقية يومه.

وخلال هذه الأيام وقبلها التقيت ثلة كريمة من أبنائنا، وكانت لهم الباع الطويلة في العمل العسكري، منهم خالد الزير، والقائد الميداني لكتائب عز الدين القسام في جبل الخليل محمد عزيز[36]، وقد استشهد الأخَوَان رحمهما الله، وهنيئاً لهما الشهادة.

وأذكر أنه منذ انطلقت الانتفاضة الأولى في نهاية سنة 1987 وساحات المسجد الأقصى تشهد فترات من المواجهة مع قوات حرس الحدود الإسرائيلي. فقد بلغت الوقاحة والتبجّح بالمحتل أن يقتحم ساحات المسجد، وأن يحاصر الناس داخل المسجد ويضربهم بالغاز، وكنت من المرابطين، ومن الذين شارك هؤلاء الشبان في التصدي لقوات الاحتلال. وقد ضربونا بالغاز حتّى كدنا نختنق داخل المسجد وفي باحاته لكثرة ما تعرض المسجد لضرب الغاز.

وفي هذه الفترة، غزا صدام حسين دولة الكويت واستباحها، وخطبت الجمعة مِنْ على منبر مسجد صور باهر، وألقيت باللائمة على صدام، ومن الناس من قام ضدي فقلت لهم: صدام طاغية، وقال عن القرآن إنه لا يصلح لهذا الزمان، وخرب على الأمة كثيراً بهذا الغزو. وبعد هذه الخطبة بليلتين اعتقلت إدارياً ستة أشهر...

الاعتقال الإداري:

لم يمض على خروجي من السجن والإفراج عني سوى ستة أشهر، وإذا بي أعود أدراجي إلى السجن للمرة الثالثة. وقد حرصت ألا أسجن، ولكن هيهات أن تحتاط إذا وقع القدر. ففي الأسبوع الأخير قبل الاعتقال، كان لأخي الأصغر عرس وحفل زفاف، ومن التعب تلك الليلة استلقيت لأنال قسطاً من الراحة، بعيداً عن غرفة النوم، لكن في محيط البيت، وفي حضني ولدي مصعب قبل أن أعود فأنطلق، لكن غلبني النوم، وما

[36] **محمد عزيز رشدي (1969–1993):** ولد في مخيم العروب قرب الخليل لعائلة هجرت من قرية الفالوجة سنة 1948. أكمل تعليمه في معهد المعلمين في رام الله، وكان رئيساً لمجلس الطلبة وأمير الكتلة الإسلامية. نشط في صفوف حماس بعد اشتعال الانتفاضة الأولى، واعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني. قاد كتائب القسام في منطقة الخليل وشارك في عدد من عملياتها وأشرف وخطط لعدد آخر. استشهد في اشتباك مسلح يوم توقيع اتفاق أوسلو Oslo في وادي سعير قرب الخليل؛ يوم 1993/9/13 وبينما كان يوقع اتفاق أوسلو، كان الشهيد يعلن بدمه استمرار الثورة حتى تحرير فلسطين، حيث استشهد في أثناء اشتباك مسلح مع قوة صهيونية حاصرته وإخوانه المجاهد محمد طقاطقة، والشهيد خالد الزير، والشهيد عبد الرحمن حمدان، والشهيد إبراهيم سلامة في وادي سعير بعد انسحابهم من موقع عملية ضدّ الاحتلال. وآثر الشهيد القتال حتى يغطي على انسحاب إخوانه، إلى أن استشهد بعد أن أصابه صاروخ في رأسه مباشرة.

صحوت إلا على رنين الجرس وقرع الباب، ورجل المخابرات ينادي أن أفتح الباب. وأخذت بالصبي إلى غرفته، وفتحت الباب وفتشوا البيت، وبأمر اعتقال قيدوني وساروا بي إلى المسكوبية، لأمكث عدة أيام، أبلّغ بعدها بأمر اعتقال إداري من وزير دفاع دولة الاحتلال، وكان يومذاك موشيه آرنس Moshe Arens، وترافع عني أمام المحكمة الأستاذ عبد المالك دهامشة. وقدمت النيابة ملفاً سرياً للقاضي، ادعت فيه أن لي علاقة بالإخوة محمد نصار ومحمود المبحوح وأبو النمر الشراتحة، الذين قاموا باختطاف الجنديين الإسرائيليين إيلان سعدون وآفي ساسبورتس.

صدر قرار القاضي بحكم إداري احترازي ستة أشهر، وبعدها تمّ ترحيلي إلى سجن نيتسان، حيث استقبلني شبان من القدس والداخل الفلسطيني، منهم الأستاذ محمد صوان الأمين العام لاتحاد المعلمين، والأخ فريد أبو مخّ من باقة الغربية، وكلاهما يقضيان حكماً إدارياً.

عشت والأخ (أبا عزام) فريد أبو مخّ في حجرة واحدة بسريرين، ولا تتسع لغيرنا. وإن كان للسجن أحزانه ولا نتمناه لأحد، إلاّ أن لقائي الأخ أبا عزام والإخوة كذلك أدخل عليهم السرور، لأن في اللقاء تتجدد الحياة. ولم يسبق أن التقينا إلا لقاءً عابراً، فكان اللقاء حاراً، وتحدثنا عن ذكريات الماضي وعن مستقبل هذا الصراع، مع متابعة لأخبار الساعة من خلال المذياع والتلفزيون الأبيض والأسود.

أنهى الأخ فريد أبو مخّ سنة أو يزيد من اعتقاله الإداري، في قضية ملف سري حسب ادعاءات المخابرات يتعلق بحيازة سلاح، ثمّ أفرج عنه، وقمنا، وقام المعتقلون في قسمنا بوداعه، وبقي أربعة من الإداريين، ثلاثة في الحجرة المجاورة التي لا تتسع لأكثر من اثنين، ووجود ثالث يمنع التجول. وانتقل عندي الأخ حاتم عبد القادر، عضو المجلس الثوري لحركة فتح، وبقي في الحجرة المجاورة الأخوين سري نسيبة، الرئيس الحالي لجامعة القدس، وكمال الشويكي، نقضي وقتنا في النقاشات وأحاديث السياسة، ومطالعة الكتب، وأنهى الجميع فترته الإدارية ثلاثة أشهر لكل واحد، إلا أنا فستة أشهر أمضيتها وخرجت.

وفي ليلة من الليالي ونحن نيام، وإذا بجرذون كبير بحجم القط، يزحف في طريقه من أسفل القدمين حتى توسطني فنفضت الغطاء، لكنه رجع ثانية حتى وصل قريباً من رأسي. فقمت من النوم وقام الأخ حاتم، وأغلقنا عليه مصرف الدورة بقارورة حتى لا

يهرب من الموت، وضيقنا عليه حتى قتله الأخ حاتم بعصا المكنسة. وطريقه كانت إلينا عبر التسلق من الطابق الأرضي إلى الطابق الثالث عبر المجاري.

وكان معنا في السجن شبان من القيادة العامة، ومن حزب الله اللبناني، وجمعتنا "الساحة" في أحاديث عن المقاومة، وعن الساحة اللبنانية بعد الحرب الأهلية واحتلال الصهاينة للجنوب.

مجزرة رهيبة وحرب الخليج:

وذات صباح، وإذا بأخبار غير سارة ومجزرة رهيبة حصلت داخل المسجد الأقصى، وذهب ضحيتها عشرون شهيداً من القدس، ومن الداخل الفلسطيني والقرى المحيطة، ومنهم الشهيد أيمن الشامي، والشهيد علاء عاشور، الذي سيطر على سلاح الجندي الإسرائيلي عند باب المغاربة، ولم يفلح في استعماله، فمزقوه بالرصاص، وتناثر رأسه، رحمهم الله جميعاً، وحمله الأخ زكريا نجيب بين يديه وهو مضرج بدمائه.

هذا هو إجرام الاحتلال، حتى في دور العبادة تسيل بالدم أبطُح، فجاء الرد مدوياً على يد المجاهد عامر أبو سرحان، الذي فجر ثورة الغضب بالسكاكين، فقتل بسكينه ثلاثة من الصهاينة، ثمّ حاصروه واعتقلوه وآذوه حتى أرهقوه، ثمّ تعافى بعدها، وبعدما أمضى عشرين سنة من عمره خرج في صفقة وفاء الأحرار.

وليس بمعزل عما يجري في الخارج، فحرب الخليج كانت حاضرة، والغزو الأمريكي لدول الخليج بحجة طرد صدام من الكويت ألقى بظلاله وجثم على صدر المنطقة. وبدعم من دول التحالف، أخذ هذا الغزو شرعيته من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، ودخلت هذه القوات أرض الكويت، بعد أن حررتها من صدام، وطاب لها العيش في المنطقة، وفي دول الخليج حتى يومنا هذا. وانكفأ صدام أمام هذا الغزو، وتحررت الكويت بعد أن عاث بها صدام حسين فساداً، ونهبها وقتل أبناءها واستباحها، ولولا هذه الحرب ما وصلت صواريخه إلى أرض فلسطين، وقد كانت انفجاراتها تدوي على مقربةٍ منا، وعادت المنطقة فريسة للاحتلال.

الخروج من السجن:

ومضت الأشهر الستة، وكانت ثقيلة الظل، وخرجت من السجن بتاريخ 1991/3/1، وانتهى احتلال صدام، وانتهت حرب الخليج بدمار الكويت وهلاك الشعب العراقي، الذي جلب له صدام الحصار والدمار، فما نزل حزب البعث في أرض إلا أهلك الحرث والنسل.

خرجت من السجن واستقبلني الأهل وذوو القربى والأحباب، وهذه مناسبة لا تفوت أحداً من المهنئين، فالشيخ رائد صلاح[37] رئيس الحركة الإسلامية في الداخل الفلسطيني، وبصحبته الأخ فيصل الحسيني، رحمه الله، والدكتور أحمد الطيبي كانوا من المهنئين، ومن المتفاعلين في الحديث عما يجري حولنا، وعما تتعرض له المنطقة. وكنت خلال اعتقالي الثاني تعرفت على شاب بدوي من راهط، اسمه سالم أبو جابر، وطوال السجن أقمنا علاقات جيدة، ولم يظهر عليه ما يريب... ولا أريد أن أظلم الرجل، وربما كان ضحية لشبكة من ورائها الشاباك الإسرائيلي، لكن تبادلنا الزيارات وفتحت معه باب العمل الجهادي وآلية التسليح بعد سنة من خروجنا من السجن، وأنا أعترف بأنني أخطأت في أن أحسن الظن بهذا الرجل، ما ورطني فيما بعد بقضية كنت في غنى عنها، ودفعت ستّ سنوات أخرى من عمري في السجن، وإخوة آخرين معي قضوا من أعمارهم في السجون سنتين وثلاث سنوات، وسأتحدث عن ذلك في موقعه.

كانت لي شبكة علاقات تنظيمية داخل فلسطين المحتلة، كما ذكرت في يافا وفي النقب وأم الفحم والناصرة وشفا عمرو. وهذا النسيج أقلق الاحتلال، ولهم عيون كثيرة في كل حارة من هذه المدن وقراها، وتعرضت لمضايقات مؤلمة ومؤذية أيام أن كنت في التحقيق، واستدعي كثيرٌ ممن كانوا في هذه القرى والمدن، للتحقيق معهم عن العلاقة التي تربطني بهم، وكلها كانت في السليم والحمد لله. وكثيراً ما كنت أُسْأَلُ عن الشيخ رائد صلاح وعن آلية غسيل الأموال، ونقلها من الخارج إلى الداخل، وعن علاقته بحماس.

---

[37] **رائد صلاح سليمان (1958–):** ولد في أم الفحم أحدى المدن الفلسطينية التي احتلت سنة 1948، وحصل على بكالوريوس شريعة إسلامية من جامعة الخليل. شاعر، أسهم في تأسيس الحركة الإسلامية داخل فلسطين المحتلة سنة 1948، وشغل رئاسة تحرير مجلة **الصراط** لسان حال الحركة الإسلامية، وأسهم في تأسيس عدد من الجمعيات الخيرية. نجح في رئاسة بلدية أم الفحم لثلاث دورات متتابعة، واستقال من رئاسة البلدية ليتفرغ لقيادة الحركة الإسلامية داخل فلسطين 1948 الجناح الشمالي، ولمتابعة قضية المسجد الأقصى. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني لدفاعه عن المسجد الأقصى، ولقب بـ"شيخ الأقصى".

الفصل الثامن

بدايتي مع القسام واعتقال جديد

بدايتي مع القسام واعتقال جديد

البحث من أجل عمل مقاوم:

تطوّر العمل المقاوم خلال هذه الفترة كثيراً، وظهر العمل العسكري بعد هذه السنين من الانتفاضة الشعبية، وكنت أبحث عن مصادر لدعم هذه المرحلة. وقد شغلت هذه الساحة عالمنا العربي والإسلامي، وكانت هماً من هموم الشيخ الشهيد عبد الله عزام، رحمه الله، والشيخ أحمد ياسين في السجن. وأما القائمون على العمل الإسلامي في الضفة الغربية، فقد كانوا غير مستعدين لتجربة مثل تجربة الشيخ أحمد ياسين من العمل العسكري وضاقت بي الحال، ومن حولي شبان ينتظرون إجابات، وجاءني شاب كان مع الشيخ عبد الله عزام، على جبهة خوست في أفغانستان، لكن ما في جعبته لا يشبع جائعاً ولا يروي ظمأ عطشان. ومن خلال علاقة أخويه طيبه مع الأخ معين شبيب، من برقة نابلس، وقد تخرج من جامعة بيرزيت وصاحب حضور ونشاط خلال الانتفاضة، اجتمعت وإياه على سطح بيتي ودار الحديث بيننا حول هذه الحالة، تبرع للذهاب إلى عمّان، وبمعرفة منه سيتدبر الأمر.

وانطلق معين إلى عمّان، ووصلت الرسالة إلى مَنْ يعنيه الأمر، وجاءنا رسول من الإخوة المتابعين والمهتمين بإنضاج التجربة، ونزل صاحبُنا على بيت والد أحمد عطون، وتناولنا طعام الغداء، ثمّ استأذنا، فذهبت بصاحبي إلى بيتي، وفي البيت دار الحديث عن المطلوب، وعن إمكانيات الدعم وعن صدق النوايا والجدية في هذا الأمر، لكن صاحبنا أكد جدية الأمر، وأن من وراء ذلك قرار استراتيجي.

لقد كنا على خوف من أن يكون وراء ذلك تخدير لهؤلاء الشبان، الذين فاض بهم الكيل، وأصبحوا لا يقبلون التعليل ولا التسويف. وطلبت مِنْ صاحبي أن يرافقنا في الحديث واللقاءات الأخ عادل عوض الله (أبو الفداء)، ويشهد على ما يدور بيننا ويحتاط لمطالبنا، ويساعد حضوره على استيعاب ما يدور بيننا، وكان ممن وقع عليه الاختيار وذكر اسمه في جلستنا لهذا الأمر، الأخ الحبيب الشيخ صالح العاروري. وقلت لصاحبي: اذهب إليه أنت في جامعة الخليل، حتى نتأكد أن المشروع جدّيّ، وذهب صاحبنا وثبت مع الأيام أن الأمر جدّ، وأن القرار أخذ طريقه إلى الميدان، ولا رجعة عن ذلك.

جاءني الأخ عادل مبدياً خوفه من أن يمنعني زواجي الثاني عن ميدان العمل، فطمأنته وقلت له: الآن ابتدأ المشوار، والآية من كتاب الله حاضرة في جوابها: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[1] صدق الله العظيم، فارتاحت نفسه، وفرح للذي سمع.

وفي جلسة ثانية مع الرسول القادم من عمّان، حيث كنا ضيوفاً على الأخ عادل في بيته المقابل لمعسكر بيت إيل في مدينة البيرة، ونمنا ليلتها عنده في البيت. وفي صباح اليوم الثاني انطلقنا جميعاً إلى مدينة الناصرة، عند أخ من قرية الرينة، وطلبنا منه أن يتركنا وحدنا، وألا يأتينا إلا مع طعام الغداء في ساعة متأخرة، وكان لنا ذلك. واتفقنا على استراتيجية العمل، وعلى الدعم والتمويل، وحاجتنا إلى سيارة نقضي من خلالها حوائجنا وعملنا التنظيمي. فزودنا رسولنا بمبلغ وقدره عشرة آلاف دينار أردني (نحو 14 ألف دولار أمريكي)، واطمأنت نفوسنا للجدية التي راوحت مكانها كثيراً، ثمّ انطلقت إلى قيام الساعة إن شاء الله.

الوقوع في فخّ المخابرات:

قمنا بشراء سيارة، وكان عندي من قبل مجموعة مسدسات، بين يدي إخوة لا يعرف أحدهم عن الآخر، ومصدرها واحد. وجددت لصفقة أخرى تتميز عن سابقتها كمّاً وكيفاً، عن طريق صاحبنا البدوي سالم أبو جابر، فيها بنادق سريعة وقنابل يدوية ومادة تي أن تي T.N.T.

استلم الأَخَوان نبيل دعنا وشقيقي راضي أبو طير السلاح، وكنت معهما عند الاستلام، وانطلقا في طريق العودة إلى القدس، وإذا بحاجز عسكري إلى الجنوب من بيت لحم عند بوابة الخضر، فاستوقفنا الحاجز، وكنت من خلفهم في سيارة أخرى، وفتشت السيارة واعتقل من فيها، وجاء الدور على سيارتنا وأمرنا الجنود بالنزول منها، وجاءت سيارة عسكرية فحملتني إلى مقاطعة بيت لحم. أما صاحبي، فأطلق سراحه بعد تحقيق ميداني، وهو الأخ أنور دحدول من البيرة ويحمل جنسية أمريكية. هرول إلى أمي لتكون في صورة الحدث والاعتقال، فقالت له أمي بالعامية: "انفد بريشك"، والمكتوب ما منه مهروب.

[1] **القرآن الكريم**، سورة التوبة، آية 24.

بتاريخ 1992/3/3، الثامن من رمضان كان اعتقالنا، وسبقني إلى سجن الخليل الأخوان نبيل دعنا (أبو عبد الله)، وراضي أبو طير (أبو زيد)، ولحقت بهما مساء ذلك اليوم، وبدأ التحقيق معنا، وتبين لنا أننا وقعنا في فخّ المخابرات، وأن ما بُيّت لي هو القتل، لو كنت من تسلّم السلاح، فقد أعدوا لي قنبلة مفخخة، وقالوا للأخ أبي زيد: كانت هدية للشيخ، لكنه "ملص" كما قالوا، ويا ليتها كانت الشهادة.

وفي المناسبات التي كان صاحبنا البدوي سالم يتردد علينا، ومعه صاحبٌ له، قالت لي أمي، رحمها الله، وكانت صاحبة فراسة: أنا غير مرتاحة لهذه الزيارات، وقالت: يا أبا مصعب "نام على بطون الجبال، ولا تنام على بطون الرجال"، هذا من الأمثلة التي سمعتها من أمي، وصدق حدس أمي.

التحقيق في سجن الخليل:

كانت شبكتنا واسعة، وقاعدتنا التنظيمية عريضة في القدس والضفة الغربية، وكان للسجون دورٌ إيجابيٌّ في اختيار العناصر التي عندها قابلية للعمل العسكري. ولما ابتدأ التحقيق معي في سجن الخليل كان يدور عن السلاح ودوافع الشراء والاقتناء، فتحملت المسؤولية ليخرج الأخوان نبيل وراضي من هذه الورطة، والمحققون يعلمون أني أنا المعني في هذا الموضوع. وفعلاً خرج الأخوان من هذه الورطة، وانتهى التحقيق معهما ليبدأ معي، وبإجابة صريحة قلت لهم: جئت بهذا السلاح لحربكم، وأراني قائد التحقيق القنبلة التي أعدها لتتفجر بي.

كان التحقيق قاسياً، وبرودة الجو ورطوبة الزنازين، وجبال الخليل على الخصوص، قد نالت من عافيتنا كذلك، وأساليب التحقيق والشبح، وما علينا إلا ما يستر العورة في هذا الصقيع والجو البارد. كان يُضيق علينا الخناق من ناحية، ويُربط على قلوبنا من ناحية أخرى، فيتسع الأمل ويبدو أنّ للظلم نهاية، وأن الاحتلال ومؤسساته إلى زوال، لكن المحققين لا يكتفون بما حصَّلوا وبما بين أيديهم من معلومات، بل هم يطمعون بالنيل من المجاهد، وتحطيمه وقتل ما بداخله.

ثلاثة أشهر ما بين الخليل وبتاح تكفا، وقد دخل شباب يافا على الخط، بعدما تبين أن مسدساً كان لشخصية صهيونية اعتبارية من سكان تل أبيب، ومن قريب فقده وقد سُرِقَ وبيع. فقالوا: من أين مصدر هذا المسدس؟ مَنْ الذي أعطاك إياه —وقد حصلت

عليه من الشهيد علي ريحان—، فقلت لهم: هذا من خميس عاشور [قتل غدراً في يافا]، قالوا: أعطاك إياه من القبر، فقلت لهم: هذا ما عندي. وحاولوا ابتزازي واستفزازي بكل ما أوتوا من أساليب المكر والالتفاف، أن أُقرَّ لهم بأن مصدر المسدس غير خميس، فقلت هذا ما عندي حتى النهاية. وعن طريق هذه المسدسات، وعن طريق سالم أبو جابر، اعتقل بقية الإخوة من المجموعة، وهم المجاهد عادل عوض الله، وسلمان أبو عيد، ومازن الحجة، وإبراهيم الحزيبي؛ لأن المسدسات وزّعت عليهم، وأتى سالم أبو جابر على كل هذه الصفقة، وما أبقى على شيء، فاعترفت بأن المسدسات موجودة عند من ذكرت. واعتقل الإخوة جميعاً، إلا إبراهيم اعتقل على قضية أخرى، وهي محاولة اغتيال جاسوس، ومشاركة مع خليل أبو هنية في قتل السمسار موسى الرطاسي بالمسدس الذي أعطيته إياه، واعترف أنه ألقى بقنابل على حافلات للمستوطنين... واعترف سلمان ومازن على مسدسيهما، أما عادل، فقد صبر على هذه القسوة، ولم يسلم مسدسه، وأوذي كثيراً، وذهب بعدها للإداري، وبقي مسدسي عندي دون علمهم ودون الاعتراف عليه.

كان تنظيمنا قوياً، وكان هؤلاء الإخوة راضي وإبراهيم الحزيبي، يعملون في ورشة عمل واحدة، وسلمان صهر لنا وزوج أختي، ولا أحد منهم يدري عن تنظيم الآخر.

وفي زنازين التحقيق في سجن الخليل كان سجان درزي اسمه عصام يعلو صوته بالشتيمة والسباب على مَنْ في الزنازين من المعتقلين، وفي جلسة تحقيق قلت للمحقق: إذا لم يتوقف هذا السجان عن الشتيمة والسباب، فسأجعل من الزنازين ثورة عليه، بل والرد عليه بالضرب، فقال المحقق: يا شيخ، هذا وأمثاله، لولا هذا العمل لرأيتهم في الشوارع يتسكعون، ثمّ أحضروه عندهم وحذروه من لسانه، فرجع إلى الزنازين يقول لسجان آخر، مالي وللشيخ، أنا لم آت به.

وفي زنازين التحقيق، سمعت الناس يكبرون في ساحة السجن، وبعد حين، علمت أن أبا عمار سقطت به طائرته في الصحراء الليبية، ثمّ نجا عن طريق الأقمار الصناعية التي دلّت على مكان طائرته في الصحراء.

الحياة في سجن الخليل:

وفي سجن الخليل، التقيت شاباً من الجبهة الشعبية اسمه نايف عاصي من بيت لقيا، وبعد حديث دار بيننا قرر أنه إنْ خرج من هنا ووصل إلى المعتقل، فسيكون مع حماس ويلحق بركبها، ومضى على ما اتفقنا عليه، والتزم معنا إلى يومنا هذا.

وبعد أن انتهت فترة التحقيق، وقد استمرت ثلاثة أشهر، نزلت إلى سجن الخليل، وهو قائم على نسيج فصائلي، تقوده فتح، والفصائل الأخرى "شاهدة زور" على سياسة فتح في تلك الفترة في السجن، التي تتعامل مع حماس والجهاد الإسلامي كغرباء، بل إنها الخصمُ والحكمُ تجاه حماس.

استقبلني السجن، ونزلت على غرفة رقم 1 في قسم (هـ)، حيث شباب حماس، وفيها من الإخوة جلال البراغيت من بيت أمر، وإسماعيل السويطي من بيت عوا، ومحمد البطران من إذنا، وآخرون منهم الأخ يوسف كفاية ونبيل دعنا وأخي راضي، وأبو سلامة العبيات ومازن الحجة وسلمان أبو عيد وإبراهيم الحزيبي. ولأن هذه الغرفة مرّ عليها في السكن والعيش عشرة صاروا من الشهداء، وهم: عبد المنعم أبو حميد[2]، وإسلام أبو ارميلة[3]، وعمر سعادة[4]، ومحيي الدين الشريف، وعبد الصمد حريزات[5]، وعادل عوض الله،

---

[2] **عبد المنعم محمد أبو حميد (1970–1994):** ولد في مخيم الأمعري لعائلة مهجرة من بلدة السوافير الشمالية. اعتقل سنة 1987. نشط في صفوف الكتلة الإسلامية في جامعة بيرزيت. نشط في كتائب القسام، ولقب بـ"صائد الشاباك" لتنفيذه عملية نوعية استهدفت اغتيال أحد قادة جهاز الشاباك ISA—Israel Security Agency (Shabak) الصهيوني في 1994/2/13. استشهد بصحبة زهير فراح في 1994/5/31 بعد أن هاجمتهم قوة صهيونية خاصة في بلدة الرام.

[3] **إسلام فوزي أبو ارميله (1965–1994):** شهيد مقدسي لعائلة أصولها خليلية من سكان العيزرية. تزوج من شقيقة الشهيد جهاد فايز غلمة وله ولدين وبنتين. اعتقل مرتين في سجون الاحتلال، نشط في كتائب القسام وأسهم في نقل السلاح والمطاردين بين مدن الضفة وقراها وقطاع غزة. استشهد على حاجز إيريز Erez الصهيوني شمال قطاع غزة، بعد اشتباك مسلح بصحبة الشهيد إبراهيم سلامة من خانيونس في 1994/3/7.

[4] **عمر أحمد سعادة (1956–2001):** ولد في بيت لحم، متزوج وله 11 ابناً. التزم في صفوف جماعة الإخوان المسلمين مبكراً، واعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال. من مؤسسي كتائب القسام في جنوب الضفة الغربية وقاد مجموعة أدمت الاحتلال بعدد من العمليات النوعية حتى سنة 1992. اعتقل في سجون السلطة الفلسطينية مرتين لمسؤوليته في كتائب القسام، حيث كان أحد أكبر قادة المجموعات التي تشكلت بقيادة الشهيد عادل عوض الله. أعاد تأسيس كتائب القسام في منطقة بيت لحم بعد خروجه من سجون السلطة إثر اندلاع انتفاضة الأقصى. اغتيل في 2001/7/17 ومساعده طه عروج، وعدد من أقاربه بقصف من طائرة صهيونية.

[5] **عبد الصمد سلمان حريزات (...–1995):** من مواليد بلدة يطا قضاء الخليل. نشط في صفوف حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في أثناء الانتفاضة واعتقل إثر ذلك. أسهم في إيواء مطاردي كتائب القسام وعلى رأسهم الشهيد عماد عقل والشهيد محمد عزيز. اعتقل في 1995/4/21 واستشهد بعد تعرضه للتعذيب بالهز في "مركز المسكوبية للتحقيق" يوم 25 نيسان/ أبريل.

وأمجد شبانة[6]، وبسام مسالمة، والشيخ عبد الله القواسمي (أبو أيمن)[7] وجاد الله شوكة[8]. فقد كانت هذه الغرفة حبيبة إلى قلبي، وقد حلّ بها من قبلي، الإخوة الشيخ فتحي عمرو رحمه الله، والشيخ نايف الرجوب، والشيخ حسن يوسف، والأستاذ علي أبو راس.

ومن مكر التنظيمات، وفتح هي من تمسك بزمام الأمور، أعطت إخواننا الذين بدأت طلائعهم تفد إلى سجن الخليل... أعطتهم هذه الغرفة؛ لأنها كانت سكناً للجواسيس، وحتى يشار إليها بغرفة "العصافير"[9]، في تعبئة لعناصرها وعملية شحن قائمة على الكراهية ضدّ حماس وعناصرها. وكان محجوراً على حماس أن تمتد من هذه الغرفة إلى غرف أخرى، إلا تحت الضغط، وتمّ اتفاق مع إدارة السجن تقوده فتح، ألا يزيد حضور حماس على 90 حمساوياً من بين 500 عنصر، هم مجموع ما في السجن، والغالبية فيهم لفتح. وحصلنا فيما بعد على غرفة أخرى، وفي قسم آخر حصلنا على غرفتين. ومع إفراجات أوسلو التي استثنيت حماس والجهاد الإسلامي منها، وشملت فقط فصائل منظمة التحرير، بدأ حضورنا يزداد مع كل يوم، وليس بإمكان الفصائل أن تحجم هذه الظاهرة، وقد كثرت في صفوف حماس الاعتقالات من شمال الضفة إلى جنوبها، بسبب النهج الذي اتخذته حماس في المقاومة ومعارضة أوسلو.

---

[6] **أمجد سليم شبانة (1974–1994)**: من مواليد مدينة الخليل. نشط في كتائب القسام ضمن "مجموعة شهداء الأقصى". اعتقل لنشاطه العسكري، وفرّ من سجن الظاهرية والشهيدان طاهر قفيشة وجهاد غلمة. استشهد والقساميون أمجد أبو خلف، ومحمد صالح كميل، وفريد الجعبة، بعد معركة طويلة قصف في نهايتها البيت الذي تحصنوا فيه في وادي أبو كتيلة في مدينة الخليل يوم 1994/1/14.

[7] **عبد الله عبد القادر القواسمي (1960–2003):** ولد في مدينة الخليل. متزوج وله ستة من الأبناء والبنات. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال، وأبعد إلى مرج الزهور سنة 1992، واعتقل في سجون السلطة الفلسطينية. بعد الإفراج عنه إثر اندلاع انتفاضة الأقصى، أسهم في إعادة تأسيس وقيادة كتائب القسام في منطقة جنوب الضفة الغربية. وبعد رحلة مطاردة طويلة نفذ فيها تلاميذه وأبناء مجموعاته عدداً كبيراً من العمليات ضدّ الصهاينة. اغتالته وحدة صهيونية خاصة أمام مسجد الأنصار في 2003/6/21.

[8] **جاد الله موسى شوكة (1969–2002):** ولد في بيت لحم، متزوج وله أربعة أولاد. اعتقل في سجون الاحتلال الصهيوني سنة 1992، لنشاطه في صفوف حركة حماس. من نشطاء كتائب القسام الأوائل. أسس وقاد مجموعة "عشاق الشهادة"؛ أسهمت المجموعة في التصدي للاجتياح الصهيوني لبيت لحم سنة 2002 ونفذت عدداً من العمليات. استشهد بعد مطاردة طويلة حيث حوصر ومجموعة من المطاردين من قبل قوات الاحتلال فاشتبكوا معها حتى الشهادة.

[9] العَصافير: مفردها عصفور، اسم يطلق على الأسرى العملاء للاحتلال، ويقال من سقط في وحل العمالة وهو في السجن "عَصْفَر"، ومنذ سنوات يخصص لهؤلاء العملاء غرف خاصة بهم في معتقلات التحقيق، تحت إشراف المخابرات التي تستخدمهم لإجبار الأسرى على الإدلاء باعترافات من خلال ادعائهم بأنهم مقاومين واستدراجهم للحديث. كما يتم زرع بعضهم في غرف الأسرى للتجسس عليهم لصالح إدارة السجن ومخابراته. ويشير الشيخ أبو طير، في بعض المواضع، إلى الشخوص ذاتها بلفظ "خربان". [المحرر]

ومع أيام الإفراجات سنة 1993 لم يبق من فتح والفصائل كلها في سجن الخليل إلا أربعون فرداً، والإخوة في الجهاد أربعين كذلك، والبقية من المحسوبين على حماس، وقد جاءت الفرصة لنستلم التمثيل الاعتقالي في السجن. فجاءت رسالة من تنظيم فتح في سجن عسقلان، يلومون على من تبقى من فتح، إلى حدّ التوبيخ: كيف تقبلون على أنفسكم أن يذهب التمثيل الاعتقالي إلى حماس؟ كيف تسلّمون بذلك؟ جاء ذلك في رسالة وصلتنا عن طريق الخطأ وقرأناها، ومُوَقَّعَة من "س. أبو ص." الناطق باسم الفصائل في عسقلان، ومن أعضاء اللجنة المركزية عندهم، وكأنّ الأمور بيد أبي ص.، أو حتى من تبقى من فتح في سجن الخليل. فالعرف الاعتقالي يقتضي أن التنظيم الأكثر حضوراً وأفراداً، هو صاحب التمثيل، ومعظم مرافق العمل تكون بإمرته، من مطبخ ومغسلة ومكتبة وعمال في الأقسام، وفق مبدأ التمثيل النسبي.

في البداية، حتى ونحن الأكثرية، آثرنا أن يبقى الناطق باسم المعتقلين أو الممثل للمعتقل من فتح، وسرنا على ذلك لفترة من الزمن، لكن بعد حين، حسمنا الموقف لصالحنا؛ ولأن الناطق الفتحاوي لا يعمل على الأقل بسياستنا كمجموع اعتقالي، وسجن الخليل هو أول سجن استلمته حماس بعد هذا الصراع المرير. ويشهد الله، أننا تعاملنا معهم، لا كما تعاملوا معنا، تعاملنا من منطلق ديننا، ومن حرصنا على الوحدة الوطنية، وأذكر أنه كان عنصران لتنظيم أبي موسى (فتح الانتفاضة) في سجن الخليل، لم تسمح فتح لعامل منهما أن يخرج للعمل في مرافق السجن، بينما لما استلمنا نحن أخذا الفرصة في العمل، ولم نحجر على أحد. وعلى صعيد المكتبة، كان لها أربعة عمال، واثنان منهما للتنظيم الأكبر، تنازلنا عن عامل لصالح تنظيم آخر، حتى لا نشعرهم بالتسلط كما اتهمونا فيما بعد.

ومن الأسباب الأخرى التي جعلتنا نصبر على حقنا في التمثيل، أنّ إدارة السجن كانت خائفة من سياستنا، فلما استلمنا تبددت مخاوفها، ووجدتنا أصحاب كلمة، وأننا نحترم عهودنا، وأن تربيتنا لا تقوم على الالتفاف، وإنما على الضبط والربط. وكنت أفتعل المشكلة، حتى أُحْرِج ضابط أمن السجن، وأجعله عاجزاً عن الحل، فيقول المدير: اذهبوا للشيخ فالحل عنده.

إن فتح بمشكلاتها الداخلية، أعطت إدارة السجن مجالاً في كل مكان أن تلعب على التناقضات عندها. وغالباً كان ممثل المعتقل يُجيِّر السجن، ويرهن المعتقلين لصالح

علاقته مع إدارة السجن، بل كانت لهم تجارة مع كانتينا السجن. فالمسؤول عن الكانتينا من الإدارة سجان صهيوني، واسمه مِنَشّيه، وباتفاق مع المسؤول المالي للتنظيم يتاجران على حساب الأسرى، فأبو ماهر في سجن عسقلان، وأبو ص.، ومعهم كذلك شركاء، خرجوا برؤوس أموال من السجن. ورأيت بأم عيني السجان يلبس أساور من ذهب، سوى ما سمعت عن بيت فخم، بعد أن جاء من روسيا جائعاً؛ كل ذلك على حساب أموال الأسرى.

التفتيش ومشكلة الإكراه على التعري "العيروم":

ومع أننا سكتنا عن أن يكون التمثيل الاعتقالي من مسؤوليتنا، إلاّ أنّ مشكلةً حدثت مع عناصرنا في يوم محكمة لهم، وكان التمثيل مع فتح، وكان حضورها هو الغالب وقتذاك، وكان يجب أن يتحرك ممثل المعتقل إزاء هذه المشكلة، لكنه لم يفعل. وأُعلنت حالة الطوارئ في السجن، واعتدت الإدارة على عناصرنا، لأنهم رفضوا التعري للتفتيش، وكنا قد اتخذنا قراراً على صعيد التنظيم أنه ممنوع على عناصرنا أن يقبلوا التعري، ولو أدى إلى الصدام والضرب. وكان ذلك الرفض للتعري من عناصرنا، وحصلت المشكلة، وتأزم الموقف. والمدير القادم جديد على السجن، فطلبت من السجان أن يأتي بضابط العدد، ولكنه تأخر، وتضايقت فتح لأني اعتديت على صلاحياتها، فقلت: لماذا سكتم عن هذه المشكلة، ألأنها مع عناصرنا؟ أم هو العجز في مواجهة الإدارة؟ وما من مجيب. ثمّ جاء ضابط العدد، وما يزال السجن على حاله مغلقاً، ففتح لي الباب ونزلت إلى الإدارة، وإذا بضابط أمن الجنوب، ومدير السجن وضابط استعلاماته في انتظاري. فجلست، وقال لي ضابط أمن الجنوب، وهو أعلى رتبة من المدير: أنا عندي، مشيراً إلى الرتبة من على كتفيه، وهذا الجيش من السجانيين، فماذا عندك؟ فقلت له بثقة: أنا عنديَ الله، ومعيَ الله. فواللهِ لمّا سمع مني ذلك تراخى، وبدأ الحديث يأخذ طابعاً جديداً، وجميعهم يحاولون التعليل للتعري، وهذه قوانين سجن، ولا يجوز لأحد أن يتمرد على هذه القوانين. فقلت لهم: نحن متدينون، ولا يجوز في ديننا ولا في دينكم أن نتعرى، ولن يكون مقبولاً علينا. وفعلاً نجحنا في فرض هذه المعادلة. ووصلت الأخبار إلى سجن جنيد، وكان فيه الأخ قدورة فارس متحدثاً باسم السجن، وزارهم مدير مصلحة السجون، وطلبوا منه أن يعامل سجن جنيد كما يعامل سجن الخليل في التفتيش، فقال لهم مدير مصلحة السجون: سجن الخليل لا يقاس على بقية السجون. وانتهت المشكلة التي

ذكرت باحترام خصوصياتنا، وكان فيها عبد الصمد حريزات، والذي استشهد صبراً في زنازين المسكوبية فيما بعد، وآثر الشهادة، ولا أنْ يُؤتى على إخوانه المطاردين من قبله.

كان من المسؤولين في السجن لفتح الإخوة: ناصر عمرو من دورا، وجهاد جرادات، وموسى جرادات من سعير، ومحمد البدوي من الظاهرية. ومن خلال هذا الحدث، فرضنا احترامنا على الكل: الإدارة والفصائل.

إضراب 1992:

لما دخلت على إخواني، وبعد قليل من الراحة، وقد نالت منّا الزنازين على صعيد الصحة والنظافة والملابس، وخلعت ما عليَّ من بقايا الزنازين من الثياب، تقدم إليّ الأخ والابن جلال البراغيت، وباسم إخوانه في التنظيم، أن أتولى الأمور، وأن أقعد للمشكلات على الصعيد الداخلي والخارجي. في الشأن الداخلي فيما يتعلق بحياة أبنائنا داخل السجن، من تربية وتعليم ورياضة. وأذكر أنني كنت بعد صلاة الصبح أجلس لموعظة، أو حديث، أو جلسة قرآنية، بعد جولة من الرياضة داخل الغرفة، حتى يتنشط الجميع ويستشعرون بالدفء؛ لأن سجن الخليل على جبل، وفي الصيف لا نستغني عن الغطاء بالحرامات، فكيف في الشتاء؟

أما في الشأن الخارجي، فنحن على جبهتين، الإدارة من جهة، وهي لا تطيق حالة الاستقرار في السجن، وممنوع على السجين أن يستقر. وأذكر في الأيام الأولى من السجن سنة 1975، وقبله كان محظوراً علينا النوم بعد عدد الصباح في الساعة السادسة صباحاً، بل المطلوب منا ترتيب فُرُشِنَا؛ فعليك أن ترتب بطاطينك بطريقة عسكرية، وملعقتك وكأسك وصحنك تأخذ مكانها بشكل مُنسَّق على الفراش... وكم من جولات غاز تعرض لها الأسرى في جميع السجون ليكسروا هذه الإجراءات الصارمة؟ وكم من اعتداءات بالضرب تعرض لها المساجين حتى تنتهي مثل هذه الاستفزازات؟ كل ذلك ليقاوموا هذه الممارسات، ولتنثني الإدارة عن افتعال هذه الأزمات.

وأما من الجهة الثانية، فسياسة الفصائل العدائية نحونا، فهم والله يتمنون أن تنشق الأرض وتبتلعنا. وربما مع الزمن تراخت هذه السياسة، وبعد أن جمعتنا معركة الأمعاء الخاوية. قلت من قبل: أنَّ الأخ جلال عرض عليَّ أن أتولى مسؤولية التنظيم، فرفضت ذلك بشدة، وقلت له: اتركوني وشأني، فأنتم فيكم البركة. فما كان منهم إلا الإصرار،

وقلت كلمة صعبة مشفوعة بالقسم: إذا كنت أحب الفاحشة لأهلي، أحب عمل التنظيم؛ لأن العمل التنظيمي يقسي القلب، ولا يترك لك صاحباً.

كانت في سجن الخليل سياسة خاطئة، وكذلك في السجون الأخرى، تقوم على حرمان الأهل من الزيارة بقرار من التنظيمات، بل ويعاقبون أنفسهم، وكأنهم يعاقبون أهاليهم؟ ولا أدري كيف يفكرون؟ لقد كانت السجون تضرب عن زيارات الأهل، مع أن الأهالي كانوا يبذلون جهداً مضنياً لزيارة أقاربهم... فكم من والد يتوق لرؤية ولده، وخاصة إنْ كان شيخاً كبيراً؟ وكم من أم تتلوى من أجل رؤية ولدها، وفلذة كبدها؟ وكم من زوجة وأخت وولد وابنة ينتظرون هذه الزيارة؟ فقلت لهم وأنا في سجن الخليل: اضربوا عن كل شيء إلا زيارات الأهل؛ لتلك الأسباب التي ذكرت، ولأن السجين بالنسبة لأهله يملك أن يساعد في حلّ مشكلاتهم ومتابعة أبنائه وإخوانه، ولسبب آخر، فإن الزيارة قبل دخول الهواتف المحمولة كانت نافذة لنا مع الخارج، وخاصة مع الناشطين على صعيد العمل الأمني والعسكري. وكان الحديث يدور مع الأخ زياد الرجوب، مسؤول فتح يومها في سجن الخليل، واتفقنا على ذلك، إلى أن استلمنا نحن تمثيل السجن، وانتهت هذه الظاهرة، حتى إن الإدارة فيما بعد جعلت من منع الزيارة عقوبة ضدّ المعتقلين، فإذا ما أضربنا يوماً عن الطعام، فالإجراء العقابي من إدارة السجن هو منع الزيارة.

كانت السجون في معاشها تعاني نقصاً في احتياجاتها، وتتعرض لظلم من إدارات السجون، وكل سجن له سياسته. وكذلك كانت تعاني من الاكتظاظ في الغرف... فالحجرات لا تصلح للعيش، ولا تتسع إلا لستة أفراد، والإدارة قررت أن تكون لعشرة أفراد، والحجرات التي لا تصلح إلا لعشرة حشروا فيها عشرين فرداً. وسوء التغذية، الذي كانت تعاني منه بعض السجون، لا يعوضه إلا دعم الجمعيات الخيرية عن طريق الحاكم العسكري والإدارة المدنية، كما هي الحال في سجن الخليل. وكانت السجون في الصيف تحتاج إلى مراوح، ومواقد للطبيخ "بلاطات"، وإنارة جيدة للدراسة وأمورٍ أخرى. ما دفع بالسجون أن تنسق فيما بينها، وأن تدخل بتوقيت واحد في إضراب عن الطعام، لتحسين ظروف الحياة المعيشية، وأن تنتهي سياسة العزل التي تنتهجها مصلحة السجون، والشعار هو "نعم للجوع ولا للركوع".

استعدت السجون لهذه المعركة، وقامت بتعبئة الجدد من الأسرى، لأنهم جدد على التجربة، وكنت أقول لإخواننا: إنما هما يومان الأول والثاني، وبعدها تعتاد على الأمر،

وفعلاً ما هو إلا اليوم الأول وحالة صداع قوية تمتد إلى اليوم الثاني... ومع الماء، والماء ضروري، تذهب كل هذه الأعراض، حتى إن بعض المرضى تعافوا من قرحة المعدة. وأعرف أخاً لنا اسمه جميل أبو عيشة في إضراب سنة 1976 أضرب ثلاثين يوماً مع إخوانه، وكان قبل ذلك لا يستطيع أن يأكل شرحة من الشمام، أو البطيخ، وبعد الإضراب لا يأتي على شيء من الطيبات إلا أكله.

وابتدأت المعركة في صيف 1992، وبتجاوب الرأي العام مع الإضراب، وقام على خدمته إعلام موفق، نجحت السجون في تحقيق مطالبها، وخاصة أن مباحثات أوسلو على الطريق، وأن الاحتلال معنيّ بالتهدئة، وفي اليوم الخامس عشر توقف الإضراب، إلا في نفحة لثلاثة أيام أُخر، وحققوا زيادة على غيرهم. وانتهى العزل، وجاءت المروحة و"البلاطة"، وخفف من الاكتظاظ في الغرف، وقال رابين وقتها لمدير مصلحة السجون ديفيد ليفي David Levy، وكذلك لموشيه شاحال Moshe Shahal، اذهبا إلى نفحة، وأعطوهم ما يريدون. وهذا موقف يسجل لجميع الفصائل، ولجميع من أضرب عن الطعام، ومن لم يضرب من المرضى، لأنهم معذورون، ويسجل لحركتي حماس والجهاد الإسلامي على وجه الخصوص؛ لأن لهما حضوراً قوياً في هذه الميادين.

والإضراب معركة قاسية بين إرادتين، تستعمل كل إرادة إمكانياتها على توظيف هذه الإمكانيات في سبيل كسب المعركة؛ فإرادة الأسرى قائمة على الصبر وعلى العزيمة، وعلى هدوء الأعصاب وعلى النفس الطويل، وعلى الماء الذي هو ضروري أكثر من كل شيء، والذي يحافظ على الجسم من فقد المناعة، وعلى نجاعة الإعلام وتضامن الأهالي وجموع الشعب.

أما إرادة العدو، ممثلة في مصلحة السجون، فكانت تعتمد على الإعلام لتشويه الإضراب. فالإضراب بالنسبة للأسرى معركة إنسانية، لا يلجأ إليها السجين إلا عندما يستنفذ كل شيء، أما العدو، فيتهم الإضراب أن له طابعاً سياسياً، وهذا من كذب الاحتلال وافتراءاته، وله أساليب رخيصة، يحاول بها أن يفت في عضد المضربين، فيوقدون الجمر ويشوون اللحم تحت شبابيك الغرف حتى يثيروا شهية المضربين، وبحركات رخيصة يتناولون الطعام أمام المضربين، وينقلون المضربين وقادة الإضراب، من سجن إلى سجن، في عملية إرهاق مع ما يصاحبها من جوع وآلام.

والاحتلال يتفنن في أذى الناس، وفي قهر الأسرى، ويستغل حالاتهم الإنسانية، وهو من السفالة بمكان في استثمار هذه الأوضاع.

انتهى الإضراب وحقق نجاحاً متميزاً على صعيد السجون كلها، ودبت الحياة من جديد في عالم الأسرى، وشيئاً فشيئاً حتى خرجوا من هذه الحالة إلى وضعهم الطبيعي.

وقبل الإضراب، وبعد نزولي من زنازين التحقيق بأقل من شهرين، حضر إلينا من الزنازين الشيخ صالح العاروري، والإخوة موسى دودين[10] وهارون ناصر الدين[11]، والحاج ماجد الجعبة (أبو زيد)[12] فيما بعد، وموسى العواودة والشهيد عبد الله القواسمي. وكان لسجن الخليل حظّ وافر في استيعاب أبناء حماس، دون غيره من السجون، ثمّ انتقلت العدوى إلى السجون الأخرى. وكان ممن نزل عندنا من التحقيق، الدكتور محمود الرمحي (أبو محمد)، ومجموعة من نعلين، يقودها صلاح الخواجا ومعه شكري الخواجا (أبو ساجدة). وكان الأخ صلاح فاكهة عند الدكتور محمود الرمحي، والذي يتميز بالنكتة السريعة، والجو المرح الذي وجده عند جنون صلاح الخواجا، فلا تجد الدكتور أبا محمد، إلا ويدخل السرور على إخوانه، ويضفي على الأجواء الحياة الخالية من التعقيد. وصلاح مثّل حالة من الجنون عجيبة، ونجح في التمويه على إدارة السجن، وعلى المحكمة العسكرية حتى يخفف من حكمه. وكان ببعض تصرفاته يمنع التجول في ساحة السجن، ومن ذلك أنه ضاقت به الحال مرّةً في قضاء حاجته، فقرع على الأبواب، واستنفرت الساحة حتى تفتح له الأبواب ليعود إلى غرفته، ويفتح له

---

[10] **موسى محمد دودين (1972–):** ولد في بلدة دورا قضاء الخليل، التحق بقسم الكيمياء في جامعة الخليل في سنة 1992، نشط في كتائب القسام في منطقة الخليل وزود "مجموعة شهداء الأقصى" بالسلاح. اعتقل من قبل الاحتلال الصهيوني في كانون الأول/ ديسمبر 1992، وحكم عليه بالسجن المؤبد؛ قضى منها ستّ سنوات في العزل. شارك في إعادة بناء وقيادة كتائب القسام أواسط التسعينيات من داخل السجن. استكمل تعليمه الجامعي في السجن، وخرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18 وأبعد إلى قطر.

[11] **هارون منصور ناصر الدين (1970–):** ولد في مدينة الخليل. درس في جامعة الخليل، والتحق في صفوف كتائب القسام "مجموعة شهداء الأقصى". نفذ عدد من العمليات أبرزها عملية الحرم الإبراهيمي في 1992/10/25 بصحبة الشهيد عماد عقل. اعتقل في 1992/12/5، وحكم عليه بالسجن المؤبد. استكمل تعليمه في السجن، وشارك في إعادة بناء وقيادة كتائب القسام أواسط التسعينيات من داخل السجن. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18، وأبعد إلى تركيا.

[12] **ماجد محمد الجعبة ([1969]–):** ولد في مدينة الخليل، متزوج وله طفلان. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني بدءاً من 1989/3/31، وأبعد إلى مرج الزهور سنة 1992. نشط في كتائب القسام. اعتقل اعتقاله التاسع في 1995/4/16، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة. شارك في إعادة بناء وقيادة كتائب القسام أواسط التسعينيات من داخل السجن. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18 وأبعد إلى قطاع غزة.

السجان بصحبة الناطق باسم القسم الأخ جويلس، وهو من فتح، ويصعد صلاح، والأخ جويلس إلى القسم، وفي أول القسم غرفة للسجان ومعه مفاتيح الغرف، ويهرول السجان الهندي، والأخ جويلس ليفتحا الغرفة للأخ صلاح المتأزم. فما كان من صلاح إلا أن وضعها في غرفة السجان؛ لقد تغوط في غرفة السجان ثمّ انطلق إلى غرفته وهم ينتظرونه على بابها، ولما فرغا ورجعا إلى غرفة السجان، وإذا بصلاح قد فعلها في ساحة الغرفة، وجنّ جنون جويلس والسجان لما رأوا الكارثة أمامهما. وعلى طريقة مكره أخاك لا بطل، قاما بتنظيف المكان. أما صلاح فله المواويل في الليل والنهار، و(أبو سلامة) محمد سلامة العبيات من بيت لحم يطرب على مواويل صلاح، والآن الأخ صلاح يقود الحملة ضدّ جدار العزل العنصري في نعلين.

الإبعاد إلى مرج الزهور:

كانت هناك مجموعة مميزة من القدس، بقيادة الأخ المجاهد محمود عيسى[13] من عناتا، والأخ ماجد أبو قطيش[14] من شعفاط، والأخ محمود عطون من صور باهر، والأخ موسى العكاري[15] من مخيم شعفاط. وكل عنصر من عناصرها قائد يتمتع بصفات القيادة، فالأخ موسى العكاري، ربيناه شبلاً في اعتقاله الأول في سجن عسقلان

[13] **محمود موسى عيسى (1968–):** أسير مقدسي من عناتا، حاصل على دبلوم مختبرات طبية، وقيادي في كتائب القسام وقائد الوحدة القسامية التي خطفت الجندي الصهيوني نسيم توليدانو Nissim Toledano في 1992/12/13 بهدف مبادلته بالشيخ أحمد ياسين. أسهم في عدد من العمليات ضدّ الاحتلال الصهيوني. اعتقل في 1993/6/3، وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة مؤبدات و46 عاماً. أمضى مدة طويلة من سجنه في العزل، وأضيف إلى حكمه ستة أعوام كحكم جديد لمسؤوليته عن خلايا عسكرية لكتائب القسام وهو في السجن. انتخب لعضوية الهيئة القيادية العليا لأسرى حماس في السجون الصهيونية. له عدد من المؤلفات التي دونها في محبسه. انظر: محمود عيسى، **المقاومة بين النظرية والتطبيق** (رام الله: المركز الفلسطيني للإعلام، 2001)؛ ومحمود عيسى، **حكاية صابر** (دمشق: مؤسسة فلسطين للثقافة، 2012).

[14] **ماجد حسن أبو قطيش (1970–):** أسير مقدسي ولد في عناتا. نشط في كتائب القسام. أحد منفذي عملية خطف الجندي الصهيوني نسيم توليدانو في 1992/12/13 بهدف مبادلته بالشيخ أحمد ياسين. أسهم في عدد من العمليات ضدّ الاحتلال الصهيوني. اعتقل في 1993/6/6، وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة مؤبدات وأربعين عاماً. انتخب في السجن لعضوية الهيئة القيادية العليا لأسرى حماس. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18، وأبعد إلى قطر.

[15] **موسى محمد العكاري (1971–):** أسير مقدسي من مخيم شعفاط. نشط في كتائب القسام، وهو أحد منفذي عملية خطف الجندي الصهيوني نسيم توليدانو في 1992/12/13، بهدف مبادلته بالشيخ أحمد ياسين. أسهم في عدد من العمليات ضدّ الاحتلال الصهيوني. اعتقل في 1993/6/5، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة، واستكمل تعليمه الجامعي في السجن. شغل عضوية مجلس الشورى العام لأسرى حركة حماس، وخرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18 وأبعد إلى تركيا.

سنة 1989، وأنا من درّب الأخ محمود عطون على السلاح، وأوصيته ألا ينفتح ومن معه على أحدٍ من الناس، مهما اقتضى الأمر. والأخوان محمود عيسى وماجد طالبان في المدرسة الشرعية وكلية الدعوة، وعندهما من الجرأة والمناعة ما يؤهلهما للقيادة. ومن أول عمليات هذه المجموعة أنها قامت بخطف الجندي الإسرائيلي نسيم توليدانو Nissim Toledano، لمبادلته بالشيخ أحمد ياسين، وسميت هذه العملية، "عملية الوفاء للشيخ أحمد ياسين".

خطفت المجموعة توليدانو، ووجدته سلطات الاحتلال مقتولاً فيما بعد، فاستنفر رابين، واستنفرت هيئة أركانه، وفي ليلة ظلماء ومع برد كانون [الأول/ ديسمبر 1992]، أقدم رابين وسلطات الاحتلال على إبعاد 415 من كوادر حماس والجهاد الإسلامي إلى مرج الزهور في الجنوب اللبناني، وفي ظنّ رابين وحكومته، أنهم قادرون على اجتثاث حماس والقضاء عليها. أما ما كان فهو العكس تماماً، وها هي حماس في طريقها للقضاء عليهم بعون الله، والله وليُّ ذلك والقادر عليه.

كان ممن أُبعد مِنْ عندنا مِنَ السجن الأخ الشهيد (أبو أيمن) عبد الله القواسمي، والأخ ماجد صقر، والأخ ماهر أبو كويك، وتفاعلنا مع الإبعاد وتابعنا أخبار الذين افترشوا الأرض، والتحفوا السماء بثلوجهما وصقيعهما. وصدق الله العظيم: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[16]، ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝١ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[17].

ويريد الله لهذه الحركة أن تتعاظم كما تنبأ لها المؤسس الشيخ أحمد ياسين، وأن تصبح في جنوب لبنان حديث الساعة، وأن يتعاطف معها الرأي العام العالمي، وأن تبيّض وجه القضية الفلسطينية، بعد أن لوثها بعض من كانوا قبل سنة 1982 في الجنوب اللبناني، وبعد أن اعتدوا على أعراض الناس وعلى زروعهم ومحاصيلهم، أيام العرقوب و"فتح لاند"، فجاء الإبعاد لإخواننا هؤلاء، من أجل أن يبينوا الوجه الحقيقي لفلسطين، وأن يعيدوا الثقة التي قتلها بعض الثوار أيام الثورة الفلسطينية، حتى قال فارس بويز، وزير خارجية لبنان وقتذاك: الجنوب ليس مكباً للنفايات، ثمّ اعتذر بعد ذلك لإخواننا.

[16] **القرآن الكريم**، سورة آل عمران، آية 142.

[17] **القرآن الكريم**، سورة العنكبوت، آية 1–2.

وعاد المبعدون عودة مظفرة، ولما رجع الدكتور عبد العزيز الرنتيسي، وكان الناطق الرسمي للمبعدين، واستقبله على حاجز زمارية قائد المنطقة الشمالية، وقتذاك غابي أشكنازي Gabi Ashkenazi، وسأله: لماذا رجعت؟ فأجابه الدكتور: رجعت لأهدم أوسلو.

ويقول الشيخ الداعية راشد الغنوشي: كنا على استعداد أن ندفع مبلغ 30 ألف دولار، لنتحدث لخمس دقائق عن الإسلام، من خلال هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) BBC، ولا يقبلون... بينما حقق لنا الإبعاد الحديث عن الإسلام مجاناً، وفتح علينا الأبواب من كل صوب، وأصبح اهتمام الإعلام بحماس، تتناقله وسائل الإعلام يومياً.

قلعة خليل الرحمن:

قلعة خليل الرحمن اسم أطلقناه على سجن الخليل، تيمناً بسيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام وهو أبو الأضياف، وكما هي الحال في باقي قلاع الأسر على أرض الوطن، الذي تقوم عليه دولة الظلم والاحتلال؛ فقد أطلقنا عليها أسماء حركية، فسجن عسقلان "عسقلان الرباط"، وسجن شطة "عين جالوت"، وسجن مجدو "حطين"، وما إلى ذلك، وبقية الفصائل لها مسميات أخرى، تتعلق بشهدائها.

أما هذه القلعة، فقد كانت منذ أيام الانتداب البريطاني مرتعاً للظلم، ومحطة من محطاته. وحتى لما رحل الانتداب البريطاني، لم ينته دور "العمارة" كما يسمونها، أو المقاطعة، عن ممارسة الظلم، والاعتداء على الإنسان وحقوقه، وبقيت ظلال الخوف والريبة تخيم على ذلك المكان.

وجاء الاحتلال الإسرائيلي، وأتى على ما تبقى من فلسطين التاريخية، وأتى على "العمارة" كما يقول عنها إخواننا من أهل الخليل، واتخذها مقراً لحكمه العسكري، وجعل منها مقراً للممارسات العدوانية. ومع الأيام ازدادت اعتداءاتهم، حتى حولوا المسجد الإبراهيمي إلى كنيس، وجعلوا من البلدة القديمة في الخليل بؤراً استيطانية، ومن شرقي الخليل وجنوبها قامت المستعمرات كذلك. أما "العمارة" فذات موقع استراتيجي، فهي تُطلُ على المدينة بكاملها، ويسمى موقعها قرن الثور، وهي مقر للحكم العسكري، وللإدارة المدنية، وللمخابرات الإسرائيلية، وللشرطة الإسرائيلية، وهي سجن ومركز تحقيق. وحظّ الشاباك فيها الأوفر، فجعلوا

من طابقين كبيرين فيها مكاتب للتحقيق وحُجر للمحققين، وزنازين وساحات للممارسات القمعية، وغرف عار يسكنها الجواسيس.

والمهم أن "العمارة" اسم يدل على الممارسات الخاطئة، وعلى الظلم والرعب، وعلى مكر الليل والنهار ضدّ إرادة هذا الشعب، ليمضي في حياته وهو يشعر بالملاحقة والخوف من المجهول... ويبقى الشعور بالهزيمة يدندن من حوله، وحتى عندما رحل جيش الاحتلال مع اتفاقية أوسلو، بقي على العملاء مهمات لا تقل عن دور جيش الاحتلال، فلو رحل الاحتلال حقاً فإن عملاءه لم يرحلوا، بل بقي وراءهم عملاء، يقومون على خدمة أسيادهم، ضمن حصانة مشروطة. ولما استلمت السلطة الفلسطينية المدينة و"العمارة"، ولتلك اللحظة كنت في سجن الخليل، أعادوا لها اسم المقاطعة، وأبقوا على سجنها، ومقرات الأجهزة الأمنية، بعد أن طمع الناس برحيل هذه الحقبة من الظلم. وإذا بالظلم يحن إلى جذوره، وله بقية وخلوف حَذَوْا على سنة مَنْ قبلهم، حذو النعل بالنعل، فدارت الدائرة من جديد على المجاهدين، وأُودعوا "العمارة" من جديد، لكن على يد مَنْ هذه المرة؟ على يد إخوانهم الفلسطينيين، ممن كانوا وإياهم في السجن نفسه يعانون من حَرِّ القيد.

فما انتهى الظلم برحيل الاحتلال، وما رحل حتى مارسه آخرون، انقلب عندهم شعور المظلوم فيهم، من ظالم لنفسه إلى ظالم لغيره. وبقيت "العمارة" رسماً وعلامة ودلالة على بيت الظالمين، إلى أن أصبحت خراباً وركاماً بعد أن نسفها الاحتلال بقيادة شاؤول موفاز Shaul Mofaz، بعد أن اجتاحها في الانتفاضة الثانية، وأعاد احتلال مدن الضفة الغربية، بل قل مناطق أ؛ لأن الضفة الغربية بالمدن والقرى والريف والحضر، لم يرحل عنها الاحتلال يوماً.

لقد رجع جيش الاحتلال إلى "العمارة" ليجعلها ركاماً، نسفها على بكرة أبيها وجعلها قاعاً صفصفاً، كأن لم تغْنَ بالأمس، وقد قُدر رُكامها على لسان أحد المقاولين بـ 400 سيارة شحن كبيرة.

والمهم مرة أخرى، أن "العمارة" كانت مرتعاً للعزة الكاذبة الباهتة، وحقلاً للتجربة الخاطئة، فكم من أصوات موجوعة مظلومة، كانت تصرخ وتجأر إلى الله من ظلم "الخربانين"؟ وكم من آهات تزلزل الجبال، وأنَّات توجع الأكباد؟ خرجت من زنازين "العمارة"، حتى تصدعت جدران الزنازين من الأنفاس المكلومة والنفوس المجروحة،

وزفرات يطغى ما فيها من ألم، على كل معاني الحياة، حتى لكأنها البراكين، فكم ضمت هذه الزنازين بين جدرانها، من أجساد طاهرة أكلت منها سياط الجلادين؟

سجن الخليل أو العمارة، له حكايته الطويلة مع ملاحم البطولة، التي خرجت فصولُها من خلال جدرانها، ومع كل إمكانيات الشاباك الإسرائيلي، فقد هزم رجالنا هذه المؤسسة، بصبرهم وثباتهم. فالشهيد القائد عادل عوض الله (أبو الفداء)، ضرب أروع الأمثلة في الثبات وهزمهم في عقر قياداتهم، وأذكر أني طلبت الدخول عليه لشدة ما هو فيه، فما وجدت منه إلا الصلابة، وأسمعته ما يعزز صموده بـ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[18]. وكذلك القائد القسامي موسى دودين، تلميذ الشيخ صالح العاروري، لسبعة أشهر وهو في زنازين التحقيق، ومن مركز إلى مركز، حتى تنقل بين الخليل والمسكوبية وبتاح تكفا والجلمة، وما نالوا من عزيمته. وشيخه الشيخ صالح هزمهم وأوجعهم، وصبر على المحنة والشبح والتحقيق، حتى خرج منها منتصراً. وأذكر أنه حدثني عن رؤيا رآها، وهو يعاني من الشبح وفي عزلة تامة إلا من الله، حدثني عنها لما نزل من التحقيق إلى السجن فقال:

> رأيت فيما يرى النائم، أني مشيت قاصداً غرفة فيها النبي محمد ﷺ وإذا بسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه واقف بالباب، فاستأذنته بالدخول على النبي ﷺ، فقال الفاروق للشيخ: إن الرسول ﷺ يقول لك: ارجع إلى نوح عليه السلام وقل له: إن رسول الله يقول لك: جهز السفينة. ويقول الشيخ صالح: فرجعت إلى نوح عليه السلام وإذا به الشيخ أبو طير، في لحيته الحمراء المخضبة بالحناء. وقلت له: إن الرسول ﷺ يقول لك: جهز السفينة، فكان الجواب من الشيخ: أعلم ذلك يا بني.

وأذكر أنه حدثني بأخرى تخصه فقال إنه رأى رسول الله ﷺ يناوله السيف.

إن سجن الخليل في أيامه ما بين 1993–1996، شكل جامعة ومدرسة وتربية، وإعداداً لكل هذه المسميات. فمعظم كوادر الحركة في الضفة، كان لهم الدور الإيجابي في العطاء، وجمعتهم ساحات سجن الخليل. وقد اجتمع في قسم واحد أكثر من 40 من حملة الليسانس والماجستير والدكتوراه، منهم: المجاهد والقائد القسامي عباس السيد، والدكتور أيمن دراغمة، والدكتور محمود الرمحي، والشهيد عادل عوض الله، والشيخ

[18] **القرآن الكريم**، سورة إبراهيم، آية 27.

صالح العاروري، والأستاذ مصطفى أبو عرة، والأخ النائب رياض رداد (أبو أحمد)، والحبيب بشار الكرمي، ومن قبل سبقنا الشيخ فتحي عمرو، والشيخ نايف الرجوب، والأستاذ علي أبو راس، مدير المعهد العربي في أبو ديس، وأبو مصعب السويطي، والشهيد بسام مسالمة، والشيخ حسن يوسف ويوسف كفاية...

وكنت طوال هذه الفترة والدَهم وشيخَهم... لا أميرهم، وقد وفقنا الله في هذه المرحلة، أن جنبنا الهوس الأمني الذي وقعت فيه المعتقلات. فتجربتنا والأخ نبيل دعنا من السنين الماضية، علمتنا ألا نقع فريسة لمخططات إدارة السجن والشاباك، فسَلِم سجن الخليل من الأزمات التي مرت بها السجون الأخرى.

كنت لما التقيت الشيخ صالح العاروري في سجن الخليل، وجاءني من رضي الله عنه خلال طلاّقة الباب، وسلّم عليَّ، وقلت له بعد هذه المحنة: أبشر بخمس سنوات قادمات، وإذا بالضفة والقطاع جيش لنا، قلت بهذه العبارة: إنْ هي إلا خمس سنوات، فكان حكمه كذلك فيما بعد خمس سنوات.

كان الشهيد عمر سعادة، والشيخ ماهر أبو كويك، وسلمان أبو عيد، ويجمعهم مصطلح الحيتان لكثرة ما يأكلون، ويقول الشهيد أبو أحمد سعادة: لا أدري ما رقم الصاروخ الذي هو مُعَدٌ لي، وكان أنه استشهد والقائد الشهيد طه العروج[19] بصاروخين. كأنه كان يعلم، أو يقرأ ما ينتظره، وكانت أمي تذكره كثيراً وتحبه، لأنها كانت الرسولَ بيننا وبينه، رحمها الله.

وفي زنازين الخليل، استشهد سالم صافي من خرسة (دورا الخليل) قتلوه في التحقيق، واستطاع الأخ الشهيد شادي درويش أن يهرب من سجن الخليل، وهو قائد فتحاوي، وهرب القسامي جهاد حجة كذلك... وحدّث عن سجن الخليل ولا حرج.

إنها المعاناة، وإنها لذكريات موجعة، تطفح بالحسرة والألم، وتؤجج في النفس جمراً ولهيباً، لا يمكن أن ينطفئ ولو أتيت بمطر السماء. ما كان لها أن تنطفئ إلا أن يرحل الاحتلال، وتعلو راية التوحيد؛ لأن هذه الذكريات خبيئة في النفوس وحبيسة في

[19] **طه عيسى العروج (1966–2001):** ولد في قرية العروج بالقرب من بيت لحم، واعتقل في سجون الاحتلال عدة مرات لنشاطه في حركة حماس. طورد من قوات الاحتلال سنة 1997 لنشاطه في كتائب القسام، واغتيل في 2001/7/17 والشهيد عمر سعادة بقصف من طائرة صهيونية.

الصدور... وهيهات أن تخرج إلا مع النصر: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[20].

إنه سجن الخليل كما هو في ذاكرة المساجين، وكما هو في عُرْف المعتقلين، تتلاطم فيه الأفكار وتتزاحم فيه القوى، كلٌّ يدلي بدلوه، والاستقطاب سيد الموقف في السجن، وميدان التحدي، بالرغم من ضيق جدرانه، وبالرغم من الأسلاك الشائكة المضروبة من حوله، وبالرغم من سطوة السجان فهو ميدان للتفاعلات، وهو حقل للتربية. وبقدر ما هو محصور وضيق، بقدر ما للآمال فيه من رحاب واسعة، وللخيال فضاء خصيب. وبالرغم من القيد، فالإرادة هي صاحبة القرار، والمعاني في السجن تختلف من سجين لآخر، وكثيرٌ منهم مزاجيون، لكن أصحاب الاهتمامات الكبيرة لا تقبل الترخص.

الهروب من سجن الخليل:

الحديث عن محاولات الهرب في السجن يكثر بين المساجين، وخاصة أصحاب الأحكام العالية. فهو حديث النفوس، وهو بطانة الأسرار، حتى إذا ما خلا سجينان، أو لحق بهما ثالث، ترى العيون ترمقهم أو تتراقص من حولهم، ويتزاحم الظن بين المجموع أن خُلوتهم فيها تخطيط للهرب من السجن. ولا تستغرب، فإن العصافير خارج نوافذ السجن بزقزقتها، وحركاتها تستفزهم، وتداعب خواطرهم. وهذه الحالة تحتاج إلى السرية بالرغم من كثرة العيون، وتحتاج إلى إعداد وتخطيط، ويُنْتَقى المكان المناسب لهذا الأمر، وتؤخذ الاحتياطات حتى لا تتعثر العملية. وللتورية والتمويه دورهما، حتى يُعمَّى على إدارة السجن وعلى المساجين، وذات يوم خرج علينا الإخوة جميل مسك، وحسن العويوي، وسفيان جمجوم[21]، والمجاهد صالح الهريمي، وهو من أتى بالمناشير، خرجوا علينا بفكرة الهرب، وكانوا قد أعدوا لها، وأتوا بالإمكانيات

[20] **القرآن الكريم**، سورة الروم، آية 4–5.

[21] **سفيان هاشم جمجوم (1971–):** ولد في مدينة الخليل، واعتقل في 1989/3/6 لمشاركته في فعاليات حركة حماس في الانتفاضة الأولى. التحق في كلية الشريعة بجامعة الخليل، واعتقل للتحقيق مرة ثانية في 1991/10/23. أسس "مجموعة شهداء الأقصى" تحت قيادة الشهيد عماد عقل. اعتقل في 1992/12/15 ليحكم بالسجن 13 عاماً ونصف. خرج من السجن سنة 2006 وتزوج لكنه اعتقل مجدداً في 2007/5/23، وزرق بطفلته وهو في الأسر. خرج من السجن بعد 13 شهراً من الاعتقال الإداري، ورزق بطفلته الثانية لكنه سرعان ما اعتقل في 2010/9/17 ليحول من جديد للاعتقال الإداري.

والوسائل التي ستساعدهم في تجاوز التحديات من مناشير وما يلزم، واختاروا الغرفة المناسبة، ووضعوا خطة العمل والطريق إلى الخارج. ووقع الاختيار على غرفة 1 قسم (هـ)، وكان في الغرفة معهم، شيخٌ أمّي يُكنى أبا سلامة، محمد سلامة العبيات، تعمري من بيت لحم، وأظنه كان في الخمسين من عمره، وكان ذلك سنة 1994. وأبو سلامة هذا رجل فاضل وأحبه... وهو من الرجولة والصلابة بمكان، وكان يتغنى دائماً ببندقية إنجليزية يعشقها ويحبها، ويتوجع لاعتقالها معه، وقد أُحْضِرَت، واعْتُرِف عليها عن غير طريقه. وأبو سلامة رضي الله عنه كان يجلس إليَّ ويدور الحديث بيننا، وخاصة أنه لا يكتب ولا يقرأ، فما أثقل الزمن على مَنْ مثل أبي سلامة، فكنت أعطيه من وقتي ما يساعده على هذه المحنة، وكان يقول لي: بس معك يا أبا مصعب أعمل، ولا أعمل إلا معك. وقد قالها من قبل الشهيد عبد المنعم أبو حميد، في الغرفة نفسها، قالها لي: أنا لا أعترف بأمير عليَّ إلا أنت، رحمه الله.

أبو سلامة أخونا الفاضل، كان يسكن معنا في غرفة الهروب، والقائمون على أمر الهرب استثنوا أبا سلامة، للاعتبارات التي ذكرت. فمكروا مكراً، لكن مكرهم لم يفلح. أتوا بحبوب منومة ليلة الهروب، وقدموها له مع الشاي مرةً، ومع الماء مرةً، ومع العصير مرةً، ولكنه لم ينم، فكل ما فيه ظلّ مستيقظاً ومتحفزاً، وهيهات لجبال من النعاس أن تجعله ينام؟ فهذه فرصته. وعيناه ترقبان وأذناه تسمعان، وقد أصبح أقرب إلى الحرية منه إلى السجن، هيهات ثمّ ألف هيهات، فكل المنوّم ما نوّم أبا سلامة. فأبو سلامة يريد أن يهرب، يريد أن يصحبهم، وهو والله أهل لذلك، وأنا كلما تذكرت ذلك يغلبني الضحك من أمر أبي سلامة، الذي هجر النوم من أجل هذه اللحظة.

على كل حال، ففي اليوم الذي عزم الإخوة على الهرب فيه، جاءوني وتحدثوا إليَّ بالأمر لهرب آخر، ومن موقع آخر، فشأن غرفة 1 انتهى إلى الفشل. وبعد أن نجحوا في نشر شباك الغرفة اكتُشف أمرهم، كشفه سجان شكّ في الأمر، فتابع واتصل بإدارة السجن، وأُعْلِنت حالة الطوارئ، وتمت السيطرة على الوضع، وعُزل مَنْ عُزل، ونقل آخرون إلى سجون أخرى. وعملت إدارة السجن على تقوية وزيادة في حماية الشبابيك. وكان لهذا الفشل دواعيه، وهو اتساع دائرة المعارف، وفي العمل الأمني القاعدة تقول: المعرفة على قدر الحاجة.

وكان ممن سكن هذه الغرفة الشهيد أمجد شبانة، وجاء اسمه مِنْ قَبْلُ منقولاً إلى معتقل الظاهرية، وهناك خطط مع القائد القسامي جهاد غلمة[22]، ومعهم الشهيد أمجد أبو خلف، للهرب ونجحوا في ذلك وطاردوا العدو وطاردهم حتى استشهدوا، رحمهم الله.

إن هؤلاء الشبان كانوا يلتمسون لحظة ساخنة، ينالون فيها من عدوهم، ويوقعون به ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾[23].

الحديث عن أوسلو:

الحديث عن أوسلو مُرٌّ، وأَمَرُّ من العلقم؛ لأنه على غير إرادة الشعب الفلسطيني، وهو مشروع لا يمت إلى الوطنية بشيء، بل هو مشروع تصفية للقضية الفلسطينية، ولو لم يكن هكذا، ما قبلت به "إسرائيل". ولن تقبل "إسرائيل" بأي مشروع لا يكون تحت سيطرتها، أو تراه خطراً على أمنها، وإلا ما معنى أن تعترف المنظمة بـ"إسرائيل"، وأن تعترف "إسرائيل" بالمنظمة؟! وحتى مع اعتراف "إسرائيل" بالمنظمة، فهل قامت الدولة الفلسطينية؟ هذا كلام لا يُطعم خبزاً ولا يسقي ماءً، وضياع هذه السنين جاء على حساب القضية والشعب الفلسطيني.

كان مسار مدريد يمضي ضمن إطار دولي، ولما جاءت أوسلو كوليد غير شرعي، وتفاجأ العالم بإخراجه، أتى على محادثات مدريد فقتلها، وسكب عليها ماءً، وإن كانت كما قالت أمي، رحمها الله: "العبوا يا أولاد، واللعبة على أمكم". وغُيِّب الغطاء الدولي

---

[22] **جهاد فايز غلمة (1973–1995):** من مواليد الخليل وانضم مبكراً لصفوف جماعة الإخوان المسلمين. شارك في فعاليات الانتفاضة الأولى واعتقل في سنة 1988 في سجون الاحتلال الصهيوني. انضمّ سنة 1991 إلى "مجموعة شهداء الأقصى" التابعة لكتائب القسام والتي كان قائدها الشهيد عماد عقل، واعتقل لذلك. فرّ من سجن الظاهرية بصحبة الشهيد أمجد شبانة والشهيد طاهر قفيشة. قاد الشهيد غلمة، نهاية سنة 1993، "وحدة الدفاع عن المدنيين الفلسطينيين" والتي عرفت لاحقاً بـ"وحدة الأهوال"، ونفذت هذه المجموعة العديد من العمليات التي أسفرت عن مقتل وإصابة عدد من جنود الاحتلال ومستوطنيه، وأبرز عملياتها إطلاق صاروخ على مبنى "الدبوية" ثم مبنى "الحاكم العسكري". استشهد "الجنرال" والقساميان عادل الفلاح وطارق النتشة على يد وحدات المستعربين الصهاينة في البلدة القديمة في مدينة الخليل يوم 1995/5/16.

طاهر شحدة قفيشة (1971–1995): ولد في مدينة الخليل، عمل على توفير الدعم اللوجيتسي لعدد من مطاردي كتائب القسام فكان ذلك سبباً لاعتقاله يوم 1992/1/11. فرّ من السجن بصحبة الشهيدين أمجد شبانة وجهاد غلمة يوم 1993/11/12. نشط في الكتائب "وحدة الأهوال" ولقب بالعقيد المرعب وشارك في عدد من عملياتها. استشهد في معركة طويلة بعد محاصرة الاحتلال لمنزل في مدينة الخليل وقتل فيها ضابط الوحدة المهاجمة، يوم 1995/6/29.

[23] **القرآن الكريم**، سورة التوبة، آية 120.

عن القضية الفلسطينية، واتفاق أوسلو من المستحيل أن يقوم على الأرض، لصالح الفلسطينيين أبداً، ولا يقوم على حلّ سياسي، وإنما هو مشروع أمني لخدمة الاحتلال، ومشروع اقتصادي لإلهاء الشعب الفلسطيني، وإغراقه بالمشاريع التي تلتف على قضيته الوطنية. وأوسلو هو من أجهض الانتفاضة المباركة الأولى، وجعل من العائدين بالرقم الوطني، مستثمرين على حساب الدماء والشهداء؛ بل شجعوا غيرهم من المناضلين، أن يحذوا حذوهم حتى استشرى الفساد والخراب.

أقول: إنما جاء أوسلو لإنقاذ حالة إسرائيلية، أربكتها الانتفاضة، ولإنقاذ معنويات جيشها الذي فقد هيبته العسكرية، وهو يطارد شعباً أعزلَ، وأطفالاً صغاراً.

وجاء أوسلو ليوقف الزحف الإسلامي، الذي تمكن من الساحة الفلسطينية، ولينقذ منظمة التحرير الفلسطينية، وينقذ حركة فتح تحديداً، من الغياب والانتهاء. ولقد جاء وفد من الخارجية الأمريكية سنة 1989، إلى الرئيس عرفات في تونس، وقالوا له: إما أنت وإما أصحاب اللحى. فاستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، استبدل أوسلو بخيار شعبهِ، وبمصير قضيته.

أذكر أنني خطبت الجمعة عن أوسلو، وقلت هذا مشروع وُلِد كسيحاً، وفصل من فصول المؤامرات على الشعب الفلسطيني، ومن قام عليه غيَّب شعباً كاملاً. وحتى من المنظمة نفسها، ومن فتح، كان لبعضهم موقف من هذا الاتفاق، وتحفظوا عليه، بل رفضوه. وقلت: إن الرئيس عرفات وعد الشعب الفلسطيني بأن يحرر فلسطين، من البحر إلى النهر، وقد تحقق وعده بمشروع غزة – أريحا أولاً وآخراً؛ لأن غزة على البحر، وأريحا على النهر، فجمع بين البحر والنهر... واكتفى!!. ثمّ تناولتُ الدور القذر الذي يمارسه الاحتلال، في إذلال هذا الشعب، وقلت: هل في العُربان مَنْ يعيد سيرة المعتمد بن عباد، لما قال: رَعيُ الجِمال أحبُ إليَّ من رعي الخنازير؟ وقلت: لما تنازلت منظمة التحرير عن خيار البندقية سقطت، وكل من يتنازل عن خيار البندقية فالسقوط هو مصيره ونهايته.

وجاءني غابزون مدير سجن الخليل، كان ذلك سنة 1994، وجلس عندي في الغرفة، وقال لي: أنت في خطبك تحرض علينا، فقلت له: لا، وإنما أتحدث من وحي هذا القرآن، وفي القرآن آيات يطول حديثُها عن بني إسرائيل.

وأعلق على الخراب الذي أحدثه أوسلو، فأقول: إنه ما استفحل الاستيطان إلا في ظلّ أوسلو، فأوسلو أعطى شرعية لكل الممارسات الإسرائيلية، ولولا أوسلو ما قام جدار الفصل العنصري، ولولا أوسلو ما عُزلت القدس عن الضفة الغربية، ولولا أوسلو ما أتى الاحتلال على المؤسسات الوطنية في القدس.

المحاكمة:

كانت الجلسة الأولى في محكمة الخليل العسكرية؛ لأن حيثياتها قائمة على تقديم لائحة اتهام، من النيابة أمام القضاء العسكري، وبحضور المحامي الأستاذ عبد المالك دهامشة، والذي أصبح فيما بعد عضواً ونائباً في الكنيست Knesset الإسرائيلي عن فلسطينيي الداخل، وطلبت لي النيابة بادئ الأمر أربع سنوات. ثمّ انتقل الملف إلى المحكمة العسكرية في رام الله، وانتقل الملف إلى المحامي جواد بولص، والذي هو تاجر أكثر منه محام، ولقد وصلته مني رسالةٌ شديدةُ اللهجة لأنه تاجر، وقلت: والله لأحرمنه النوم مع زوجته، فجاءني إلى سجن الخليل مهرولاً يتلطف، وصدر القرار بعد ثلاث جلسات انتهت بحكم ستّ سنوات[24].

من خلال المحكمة كنت أتردد على سجن رام الله، والذي أصبحت حماس تمثله من بعد سجن الخليل، ونجحت في إدارته. وقد انتقل إليه الإخوة عادل عوض الله والشيخ صالح العاروري، والدكتور محمود الرمحي والأخ نايف عاصي، والأخ الحبيب أبو الأمير أنس رصرص، والأخ المجاهد معز الدين الطويل.

وكان إخواني رضي الله عنهم يحتفون بي كثيراً، وكان هذا تفضلاً منهم وحسناً في أدبهم. وكان الشيخان صالح وعادل يشكلان الجناحين بالنسبة لي، وما بيننا من العاطفة، هيهات لأحد أن يلحق بما نحن فيه على أعنّة الخيل!! وإذا ما تأخرت الرسائل بيننا، فسرعان ما أكتب إليهما بتوقيع هذا نصه: أَمِنَ الوفاء هذا الجفاء يا أبا الفداء؟ وكان عادل صاحب قلم، إلى جانب رؤية ناضجة. وكان الشيخ صالح قارئاً للتاريخ ومتّقد الذكاء، وإن كان مزاجه حاداً، لكنه عملي وميداني، وإذا ما غضب فهو بركان، وأحسب أن غضبه لله أولاً ثمّ للمصلحة العامة، ولا ينتصر لنفسه، فرضي الله عنهما وأرضاهما.

[24] انظر تغطية صحفية لخبر المحكمة في: ملحق الوثائق، الوثيقة رقم (3)، صحيفة **صوت الحق والحرية**، العدد 1412/12/25هـ الموافق 1992/6/26م، ص 495.

العلاقات الداخلية في السجن:

السجين أياً كان، مِنَ العيب أن تقف ضدّه إلى جانب السجَّان، ليس من المروءة أن تستغلَّ حجمك وقوتك في كسر الآخرين. حصلت مشكلة عندنا، كان من أثارها أحد الإخوة من بيت لحم، وهو شاب جامعي، وحافظ للقرآن، ويريد أن يجعلها عصبية، يريد أن يمزق التنظيم بين رام الله، وبيت لحم والخليل وما إلى ذلك، فكان لنا منه موقف. ودخل على الخط أخٌ آخر، من قرى شمال القدس، ومحسوب على رام الله أكثر من القدس، واسمه رائد قاسم، كان للأخ رائد خطؤه، وأراد الدكتور محمود الرمحي أن يعاقبه عقوبة دون أن تحدد، فتكلم إليَّ الأخ الشهيد عادل عوض الله، سائلاً: أتريد أن تعاقبه كما يطلب الدكتور الرمحي؟ فأجبته قائلاً: لا، لن أكسر نفسية أخي، فطابت نفس عادل رحمه الله... ونعم، لن أكسر نفسية أخي.

وأذكر كذلك أنه في يوم وصلت الأنباء إلى رفاق الشعبية في سجن بئر السبع، وتحديداً إلى الرفيق مخلص برغال، بأن: حماس تفرض سياستها علينا، وتريد أن تفرض دينها علينا، وأن حقوقنا مهضومة عندها، حتى إنها بدلت سياسة المطبخ، وتريد أن تطعمنا على مزاجها، وأن نصوم معها يومي الإثنين والخميس. ولما قرأ الرفيق مخلص الرسالة، عرضها على الأخ توفيق أبو نعيم، ممثل حماس ووجْهُها أينما حلّ، وقال له: هكذا تتعامل حماس مع الرفاق، وعلى الخصوص الشيخ أبو طير؟! فقال له الأخ توفيق ناصحاً: ابعث برسالة للشيخ أبو طير، واستوضح منه الخبر، ولا أظن الشيخ ينتهج هذه السياسة. وفعلاً وصلتني رسالة من الرفيق مخلص، وأنا أكنّ له الاحترام، وهو صادق في وطنيته. ولما قرأتها، وإذا باتهامات باطلة، وتجنٍّ على الحقيقة، وما نقل عن الرفاق، ما هو إلا زور وبهتان وكذب وافتراء، ولم تكن هذه سياستنا أبداً، بل أنصفناهم أكثر مما أنصفتهم فتح في أيامها. وبعد أن قرأنا الرسالة في التنظيم، اجتمعت مع مسؤولي التنظيمات جميعاً، كذلك إخواننا في الجهاد الإسلامي، وقلت لهم: وصلتنا رسالة، وبعد قراءتها عليهم سألتهم: هل هذا صحيح، قالوا: لا، قلت: فمن بعث الرسالة ونقل هذه الصورة؟ قالت الديمقراطية: نحن بعثنا رسالة، لكن ليس بهذه الصورة. قلت لهم: دخل علينا رمضان، وقلنا لكم، انزلوا إلى المطبخ وقوموا على طعامكم؛ لأننا نصوم وأنتم لا تصومون، فرفضتم. والمتعارف عليه في السجون وحتى في أيام فتح، أن الطعام في رمضان يأتي على وجبتين؛ وجبة الصباح ووجبة المساء، وهكذا كان حالكم مع فتح على الدوام. والأمر الآخر، قلتم إننا نجبركم على صيام يومي الإثنين والخميس، فكيف؟ نحن نأتي بالدجاج

على حساب إخواننا في الخليل، هم يتبرعون لكل سجين بنصف دجاجة، ونحن نوزعها على الأيام، فيوم الجمعة يأتينا الدجاج من إدارة السجن، ونصف الدجاجة الآخر يوم الإثنين؛ لأننا نصوم، ويوم الخميس كذلك، ونحن نختار يوماً فاختاروا أنتم يوماً آخر.

أنتم أتيتم على الفول، وهو وجبة الصباح، ونحن صائمون وطرحتموه أرضاً في باحة "المردوان"، وحضر مدير السجن وشاهد ذلك، وقال: "كيف تتعاملون هكذا مع الطعام؟ نحن يهود ونحترم الطعام، ولا نسمح لأنفسنا بأن نلقيه هكذا". لكن الرفاق، مزاجهم غير نابع من الحلال والحرام، واحترام النعمة.

قلت لهم: أنتم حسب أعراف السجن، لا تستحقون عاملاً في المكتبة، ولا نسبتكم المئوية تسمح بذلك، وما تعاملنا معكم بحسب حجمكم، بل بالتوافق والتراضي، وعلى حسابنا، حتى لا نصل إلى هذه اللحظة وتقولون: ظلمونا، أنصفناكم عن قناعاتنا، وحتى نحافظ على الوحدة الوطنية. وانتهى الإشكال بحمد الله بالتسامح.

ومرة جاءتني رسالة من الأخ قدورة فارس، المدير التنفيذي لـ"نادي الأسير الفلسطيني"، وممثل المعتقلين في سجن جنيد في نابلس، يقول لي فيها: أتريد أن تقيم إمارة إسلامية في سجن الخليل؟ وذلك أنه وصلته أخبار حول مشكلة داخلية عندنا، ليس له فيها ناقة ولا جمل، فقلت: يا سبحان الله، الكل ينتظر عثرتنا، والإشكال مع أخ خرج من صفوفنا إلى الإخوة في الجهاد الإسلامي، ولا أظن أن أمه التي أرضعته، تحملته كما تحملناه. وعوقب على تصرفات لا تليق به، فأحدث جلبة في الساحة، ما جلب انتباه السجان، فأخذته إدارة السجن، ورمته في الزنازين. ولولا الله أولاً، ثمّ لولا طلبنا من مدير السجن أن يعود إلينا، وبكفالتنا، لعاش بقية مدة سجنه مع الجواسيس، أو في العزل الانفرادي. وبعد حين، قال لي الأخ أبو علي سلمة، المسؤول عن الجهاد حينها، من كثرة ما غلَّبَهُم: يا ليتكم ضربتموه وكسرتموه، إنه يعيش على المشكلات ويثيرها طوال الوقت. هذه هي الإمارة التي عناها الأخ قدورة فارس. أما هم في العقوبات، فاسأل تاريخ السجون، كم من عقوبات ولكمات، وحتى الجلد والطرد والاتهام، لكل عنصر يخرج على سياسة التنظيم عندهم، وفي كثير من الأحيان تكون هذه العقوبات ظلماً وعدواناً.

وعلاقاتنا مع التنظيمات والإخوة في الجهاد، كانت تقوم على الاحترام، واحترام متميز مع الإخوة من فتح هناك في سجن الخليل. الإخوة الكرام عبد المنعم وهدان، وجهاد الشايب، وفاخر أبو زايد، وناصر عمرو، وجهاد جرادات، وعبد الفتاح خليل

وخالد الأزرق، والأخ أحمد العصا أبو أنس من الجهاد الإسلامي، وكثير من أبناء الجهاد هم إخواني، ومن ذكرتهم إخواني وأحبهم، لكن كان من يعكر هذه العلاقات أناس كـ"خ. ص."، وكان من الجهاد الإسلامي، وأخيراً طردوه لمشكلات مالية، وتنظيمية، لكن المعروف عنه أنه "محراك شرّ"، لا يريد للحركتين حماس والجهاد أن تتفقا أبداً، ودائماً يعمل على إثارة الفتن، ولقد كان استفزازياً أينما حلّ، حتى أن سيماء المشكلات في وجهه، وبلغ من الغيظ عليه أن أوجعوه ضرباً في مجدو.

مجزرة الحرم الإبراهيمي:

نحن في سجن الخليل نتوسط المدينة ونعلو جبلها، ونسمع الأذان يعلو ويتردد من مآذنها، حتى إن صلاة العيد تصل إلينا تكبيراتُها من المساجد، ومن شبابيك السجن نشاهد أطراف المدينة وتلالها. ومن الأسرى من يعيش مع أهله بالإنارة، التي تحيط ببيته المقابل للسجن في ساعة معينة، كالأخ المجاهد سامر النتشة، ابن الحاجة يُسرَى؛ لأنه كان يُنادى باسم أمه، وهي أختٌ جليلة القدر، وكانت تقوم على توفير احتياجاتنا من خلال الزيارة إذا لزم الأمر، فما يجري في الخليل من أحداث سرعان ما يصل إلينا.

وفي صبيحة يوم الجمعة، الخامس عشر من رمضان، الموافق 1994/2/25، والناس في صلاة الصبح، وفي سجود التلاوة، من الركعة الأولى من سورة السجدة؛ وإذا بالمجرم القاتل، ابن الصهيونية الحاقدة باروخ جولدشتاين Baruch Goldstein، يقتحم على المصلين صلاتهم في المسجد الإبراهيمي، ويطلق عليهم زخات من الرصاص وهم ساجدون، فكانت الشهادة مع أقرب لحظة من الله، ما أعظم هذه اللحظات، وما أغناها!! ويا ليتني كنت مع الركب، وكان لي مع الشهادة نصيب.

لقد صَحَت الخليل والعالم من حولنا، على وقع هذه الجريمة البشعة، التي هزت مشاعر البشر في كل مكان، وأن يقتل الناس هنا وهناك، فذلك معروف عند الاحتلال، ومعروف عنه قتل الأطفال، وحتى الأطفال في بطون أمهاتهم، أما أن يقتل الناس في دور العبادة... في صلواتهم... في سجودهم... فهذا في أيام الإلحاد لم يحصل، إلا عندما قصف حزب البعث، بقيادة حافظ الأسد مساجد حماة.

لقد استشهد في هذه المجزرة 29 شهيداً من أهل الحرم، ومن جوار الحرم ومن أهل الخليل. وسالت الدماء وأزهقت الأرواح على أرض الحرم، وشكلت لجنة تحقيق

صهيونية، انتظرها الناس أن تضيّق على الصهاينة واعتداءاتهم، وإذا باللجنة تقسّم الحرم، وتعطي الصهاينة ثلثي الحرم، بعد أن كان أقل من نصفه تحت سيطرتهم.

ولما بلغتنا الأخبار في السجن، وتناقل الناس أسماء الشهداء، وكان من بينهم الشهيد وائل المحتسب رحمه الله، وله بيننا أخ كريم، وولد حبيب، هو نائل المحتسب، هذا الفتى الذي كنت أخشى عليه من ردة الفعل، فجاءني مدير السجن، واسمه جابزون وقدم واجب العزاء، وقال عن القاتل: هذا مرفوض عندنا، كما هو مرفوض عندكم. وقبلتُ منه زيارته، وقلت له: لنا أخٌ في قسم (أ)، وأخوه من الذين استشهدوا في هذه المجزرة، فاعمل على نقله حالاً عندنا، حتى لا يخرج عن المألوف. وفعلاً أمر بنقله، وأقبل علينا ولدنا نائل وهو يضحك، ويقول: أخي شهيد، أخي شهيد، وكان فرحاً بشهادة أخيه، ويثني على الله بالحمد. وسرني من نائل هذا الموقف، وقد سبق أن استشهد من أبناء عمومته، الشيخ حاتم المحتسب[25]، واستشهد معه المجاهد يعقوب مطاوع[26]، في واد أبو اكتيلة من أرض الخليل. ويعقوب هذا كان يصعد ذات ليلة، والثلوج قد كست مدينة الخليل، إلى سطح البيت، ويقف بين يدي ربه في ركعات من الليل تشهد له يوم القيامة، فمشى على أثره أبوه ليرى من أمر ولده، وإذا به قائم يصلي، فقال أبوه: اذهب يا ولدي، أنت لست من أهل الدنيا... ورحم الله شهداءنا.

وخطبت الجمعة، ومثلي ماذا يقول في الشهداء؟ يا ليت أمي لم تلدني، تحدثت عن الأرواح وهي تصعد إلى حواصل الطيور الخضر وهي ساجدة، هناك أيام الصحابة الأوائل، قتلوهم بالوتير ركعاً سُجداً، فاستنصروا بالرسول ﷺ، فانتصر لهم رسول الله ﷺ، أما هنا فقد قتلونا ركعاً سُجداً... ولكن الله سينتصر لنا، وإنه لهم لبالمرصاد. خطبت الجمعة وقلت: نحن في ضيافة سيدنا إبراهيم، وَمَنْ يسكن هذه المدينة

---

[25] **حاتم يقين المحتسب (...–1993):** ولد في مدينة الخليل، وعمل في الدباغة. نشط في الانتفاضة الأولى واعتقل نهاية الثمانينيات لعامين في سجون الاحتلال الصهيوني. أسهم في تأسيس العمل العسكري لحركة حماس في منطقة الخليل بصحبة الشهيد عماد عقل وكان من أوائل "مجموعة شهداء الأقصى". شارك في عدد من عمليات المجموعة واستشهد والشهيد يعقوب مطاوع في 1993/5/19، بعد معركة طويلة كانت طليعة معارك الاشتباك حتى الشهادة التي سطرها مطاردو كتائب القسام في الخليل.

[26] **يعقوب يوسف مطاوع (1973–1993):** ولد في مدينة الخليل. التحق بجامعة القدس المفتوحة كلية الشريعة الإسلامية. نشط في فعاليات الانتفاضة الأولى التي كانت تنظمها حركة حماس، واعتقل لهذا في سجون الاحتلال الصهيوني. كان من أوائل المشاركين في العمل العسكري لحركة حماس واستقبل الشهيد عماد عقل في بيته. استشهد والشهيد حاتم المحتسب في 1993/5/19، بعد معركة طويلة، كانت طليعة معارك الاشتباك حتى الشهادة التي سطرها مطاردو كتائب القسام في الخليل.

فهو في ضيافة سيدنا إبراهيم، وأهل الخليل بارك الله في أرزاقهم، وهم كرماء وقد غمرونا بكرمهم، على صعيد الأهل، وما يلزم من احتياجات، عن طريق الزيارة، أو عن طريق الجمعيات الخيرية، فجزى الله أهل الخليل خير الجزاء.

وكيف لا ومنهم المشايخ الأجلاء النائب محمد جمال النتشة[27]، وأبو نعيم النتشة، وأبو جبير النتشة، والحاج ماجد الجعبة، والمجاهد هارون ناصر الدين، وشادي غلمة[28]، والدكتور مصطفى شاور، والدكتور النائب عزام سلهب[29]، والنائب نزار رمضان[30]، والشهيد عباس العويوي، والنائب الدكتور محمد ماهر بدر[31]، وأبو رضوان زكريا الديك. ومن كرم أهل الخليل وتكافلهم الاجتماعي أنه ما من بيت هدمته سلطات الاحتلال على خلفية إيواء مجاهدين، إلا وتبرع أهل الخليل ببنائه وعودته أحسن مما كان. بينما لا يوجد مثل هذا في المدن والقرى الأخرى وعلى هذه الصورة. وفي ليلة واحدة جمعوا للبيوت التي هُدمت جراء عملية الثأر التي قام بها

---

[27] **محمد جمال النتشة (1958–):** ولد في مدينة الخليل، حاصل على شهادة البكالوريوس في الشريعة الإسلامية من الجامعة الأردنية. عمل في التدريس وفي أعمال تجارية حرة، وشغل عضوية عدد من اللجان والمؤسسات الخيرية. اعتقل أكثر من مرة في سجون الاحتلال وحكم عليه ثماني سنوات لدوره القيادي في الجناح العسكري لحركة حماس، كتائب القسام. اعتقل في سجون السلطة الفلسطينية. فاز في الانتخابات التشريعية سنة 2006 عن مدينة الخليل ضمن كتلة التغيير والإصلاح، وهو معتقل في سجون الاحتلال.

[28] **شادي فايز غلمة (1979–):** ولد في مدينة الخليل، شقيق القائد القسامي الشهيد جهاد غلمة. انتظم في صفوف كتائب القسام في خلية لخطف الجنود الصهاينة بقيادة الأسير المحرر مؤاب جبارة. اعتقل يوم 1997/11/25 بعد فشله وإخوانه في محاولة اختطاف أحد الصهاينة في القدس. وبعد مطاردة لسيارتهم تمّ اعتقالهم بالقرب من رام الله. حكم لمدة 23 عاماً.

[29] **عزام نعمان سلهب (1956–):** ولد في مدينة الخليل. حاصل على شهادة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ومحاضر في كلية الشريعة في جامعة الخليل. شغل عضوية عدد من المؤسسات الاجتماعية والخيرية، واعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني لنشاطه القيادي في حركة حماس. أبعد إلى مرج الزهور سنة 1992. انتخب لعضوية المجلس التشريعي الفلسطيني عن مدينة الخليل سنة 2006، واعتقل لذلك في سجون الاحتلال.

[30] **نزار عبد العزيز رمضان (1960–):** ولد في مدينة الخليل. هاجر والده من الفالوجة سنة 1949. حاصل على درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية المعاصرة، وكان رئيساً للكتلة الإسلامية في الجامعة. عمل في مجال الصحافة والنشر، وشغل عضوية عدد من المنظمات واللجان. اعتقل عدة مرات، وألف كتاباً عن إبعاد مرج الزهور. انظر: نزار رمضان، **على مشارف الوطن** (بيروت: دار الرشاد الإسلامية، 1993).

[31] **محمد ماهر بدر (1956–):** درس في المدينة المنورة وحصل على الماجستير في تخصص أصول الفقه من الجامعة الأردنية، وعمل محاضراً في جامعة الخليل. عضو في عدد من المؤسسات الخيرية والتربوية. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني. انتخب لعضوية المجلس التشريعي سنة 2006 عن كتلة التغيير والإصلاح.

المجاهدون مروان محمد سعيد أبو ارميلة، وإياد أبو حديد[32]، وعايد الأطرش[33]، مبلغ مئه ألف دينار أردني (نحو 141 ألف دولار أمريكي)... فبارك الله في أهل الخليل.

الثأر:

بعد هذه المجزرة، أصبحت الأجواء مشحونة، وتنادى الناس بالانتقام، "الانتقام الانتقام يا كتائب القسام"، ومدينة الخليل مدينة الشهداء... ومدينة العطاء، وهي من زمن بعيد محسوبة على حماس، وأول ما تشاهده عندما تدخل الخليل، رسم على واجهة بيت كبير، "مدينة حماس ترحب بكم"، وبقي إلى أن أزاحته السلطة الفلسطينية بعد الحسم في غزة.

خرج ثلاثة من رجالنا طلباً للثأر، وبينما هم في طريقهم للعملية... وللهدف الذي حددوه، حوصروا في بيت قريب من وادي القاضي، أو هو أقرب إلى جبل جوهر، وحاول العدو أن يصل إليهم لكن دون جدوى. واشتبك الرجال، وهم: مروان محمد سعيد أبو ارميلة، وإياد أبو حديد، وعايد الأطرش، اشتبكوا مع جرافة للعدو، تريد أن تهدم عليهم البيت، وهو من ثلاثة طوابق، ومن اشتباك لاشتباك، ولثلاثة أيام. وقد جاءهم وفد من أهل الخليل حتى يسلموا أنفسهم، وبعرض من الحاكم العسكري، فكان جوابهم ارحلوا عنا، فإنا أقرب إلى الله من هذا العرض الزائل. وهُدم عليهم البيت واستشهدوا رحمهم الله، وقيل: أصيب في هذه المعركة شاؤول موفاز (وزير الحرب الصهيوني فيما بعد). واجتمع أهل الخليل على الشهداء فدفنوهم، واجتمعوا كذلك لبناء ما انهدم، فجمعوا في ليلة واحدة مئة ألف دينار أردني، وأعادوا البيت لأهله أحسن مما كان... وحيا الله أهل الخليل.

وهذه سياسة ليست بجديدة على الاحتلال، ففي انتفاضة الأقصى، هدمت قوات الاحتلال على القسامي محمد الحنبلي في نابلس عمارة الوفاء، بعد أن قتل منهم اثنين

---

[32] **إياد حسين أبو حديد (...–1994):** من مواليد مدينة الخليل. نشط في كتائب القسام وانضم لـ"مجموعة شهداء الأقصى" التي خططت لخطف جنود صهاينة. استشهد والشهيدان مروان أبو ارميلة ومحمد الأطرش، يوم 1994/3/22، بعد حصار استمر لأيام في أحد بيوت وادي القاضي في مدينة الخليل، تخلله اشتباك أدى لمقتل عدد من قادة وجنود الصهاينة.

[33] **محمد عايد الأطرش (...–1994):** ولد في مدينة الخليل. نشط في كتائب القسام "وحدة الأهوال" وشارك في تنفيذ عدد من العمليات المسلحة. استشهد والشهيد إياد أبو حديد ومروان أبو ارميلة، يوم 1994/3/22، بعد حصار استمر لأيام في أحد بيوت الخليل، تخلله اشتباك أدى لمقتل عدد من قادة وجنود الصهاينة.

وأصاب ثلاثة. وكذلك استخدمها الاحتلال في الخليل، بعد اشتباك عنيف مع القساميين الأبطال أحمد بدر، وعز الدين مسك، وحاتم القواسمي، ورحلوا شهداء بعد أن هدموا عمارة كبيرة عليهم.

بعد المجزرة توعد القائد القسامي يحيى عياش[34]، بالرد الخماسي ثأراً لشهداء الحرم الإبراهيمي، فكان له ما أراد، ونجح في إعادة البسمة على الناس بعمليات ابتدأت برائد زكارنة في العفولة، وانتهت بعملية صالح صوي في تل أبيب، وَعَلَّمت حماس الأمة أن المقاومة عزيزة، وأن حماس إذا قالت فعلت.

وقبل الرحيل عن مدينة الخليل، كان في البلدة القديمة من المدينة سوق قديمة تنبعث منها رائحة التاريخ، وكانت هذه السوق على الدوام، يأتيه الناس من المدينة ومن القرى المجاورة، وحتى من المدن الأخرى وقراها... سوق مشهورة، لها شهرة كباب خان الزيت عندنا في القدس، ففيها سوق لِلَّبَنْ، وسوق للحدادة، وسوق لِلَّحم، وللخضار والفواكه، وفيها منطقة يقال لها "خزق الفار"، ومشهور ذلك عند أهل الخليل، والقرى. فقلت للأخ الحبيب سفيان النتشة، وعلى مقربة منا الأخ الحبيب بهاء الزرو، قلت ممازحاً: يا سفيان، أين يقع خزق الفار؟ وأنا فعلاً أريد أن أعرف أين يقع؟ لأني حقاً أجهله. فأجاب بابتسامة تعلو وجهه، وبنكتة سريعة، خزق الفار، قلت: نعم، قال: تحت ذنبه، مما أضحكني، وأضحك السامعين.

انطلاقة حماس في السجن:

لكل تنظيم احتفاله في ذكرى انطلاقته، في السجن وخارج السجن، وفي ذكرى انطلاقتنا يبدأ الإعداد لحفل في ساحة المعتقل، وأتت على الأسرى سنوات كانت الساحات، هي ميادين احتفالات الانطلاقة، لكن اليوم ومع التشديد والحرب الضروس، التي يتولى كبرها العدو الصهيوني ومصلحة السجون، يقتصر الأمر على الغرف، وبلا هتافات حتى يبقى محصوراً في الغرف.

[34] **يحيى عبد اللطيف عياش (1966–1996):** ولد في قرية رافات جنوب غرب نابلس. حاصل على بكالوريوس هندسة كهربائية من جامعة بيرزيت، متزوج وله ولدان. التحق بصفوف كتائب القسام وأدخل إلى الوجود العمليات الاستشهادية بالأحزمة والسيارات المفخخة فلقب بالمهندس، واشتهر بثأره لشهداء مجزرة الحرم الإبراهيمي. اغتيل في بيت لاهيا شمال قطاع غزة في 1996/1/5، باستخدام عبوة مفخخة زرعت في هاتف نقال استخدمه الشهيد.

في الخليل في تلك الأيام، جرى احتفالنا في ساحة السجن، وافتتحه الأخ المجاهد بلال اشتيه قارئاً سورة الفلق: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[35]، وكتبتُ كلمة شارك فيها الأخ عادل عوض الله، قلت فيها بعد الحمد والثناء على الله، والصلاة على نبيه، وبآيات من سورة المجادلة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[36].

وقلت فيها، وقد ألقاها الأخ المجاهد ربحي غزال، جئنا على قدر نلبي يا فلسطين، لنطبع على شفتي البنا بسمة، ونمسح عن عيني القسام دمعة، وتابعت بتحية لشيخ الانتفاضة، الشيخ أحمد ياسين، والشهداء والأسرى، ومستقبل هذا الصراع، وانتهت الأمور على خير.

الإضراب مرة ثانية:

معروف أن المرأة الفلسطينية، كان لها حضور قوي في هذا الصراع، ومن خلال ثورة الشعب الفلسطيني وانتفاضته، صنعت المرأة أحداثاً وشاركت الرجال في همومهم، وقاتلت مع الرجال، وكفاها فخراً أنها أنجبت الرجال. وكنت أقول إن معاناة الأهل خارج السجون، لا تقل عن معاناة الأسرى داخل السجون. سنوات طويلة والأمهات والأخوات والبنات، من سجن إلى سجن في زيارات للأسرى، واعتصامات تضامناً مع الأسرى، واهتمامات يعجز الرجال عن تحقيقها أمام إصرار المرأة.

فأمهاتنا... كلُّ أمهاتنا، شكلن حضوراً تناقلته الأجيال. وأقول: مَنْ في شعبنا الفلسطيني ينسى أو يجهل الحاجة فرحة البرغوثي، والدةُ المجاهِدَيْن الصابِرَيْن البطلين: عمر البرغوثي (أبو عاصف)، ونائل البرغوثي عميد الأسرى في سجون الاحتلال (أبو النور)؟ هذه المرأة التي طرقت كل الأبواب من أجل الأسرى وتحريرهم. ذهبت إلى الأردن فسورية فلبنان، والتقت قادة الثورة، من أجل القضية ومن أجل تحرير الأسرى، دخلت على الرئيس عرفات مراراً، وكان يتحاشى لقاءها من سلاطة لسانها في الحق، ودخلت على جورج حبش، وما جاملته في حديثها، وقالت له: لماذا تجامل عرفات على حساب الحق؟ لماذا تجعله ينفرد بالقضية ومصيرها؟ هذا ما سمعته بنفسي منها وعنها.

[35] **القرآن الكريم**، سورة الفلق، آية 1.

[36] **القرآن الكريم**، سورة المجادلة، آية 20–21.

ودخلت بناتنا السجون منذ الأيام الأولى للثورة الفلسطينية، وخرجت معنا في تبادل الأسرى سنة 1985 اثنتان وعشرون أسيرة، من ذوات الأحكام العالية. وما خلت السجون من المناضلات الفلسطينيات، كالأخت والابنة المجاهدة أحلام التميمي وزميلاتها في السجون، اللواتي ضربن المثل الأعلى في العطاء والصمود، حتى إن قاضي المحكمة العسكرية، بعد أن حكم على الأخت أحلام بالمؤبدات، أوصى في قرار الحكم ألا تخرج من السجن أبداً. لكن إرادة الله كانت غالبة فخرجت في صفقة وفاء الأحرار. والأخت عطاف عليان شكلت قدوة حسنة في التضحية والعطاء، والصبر وتحدي الاحتلال.

ومن قبل كانت الأخت لمياء العبد الله (أم إبراهيم)، زوجة المناضل والمجاهد توفيق العبد الله، من أهل الصبر والعطاء، حتى خرجت في الإفراجات. وقد أضربت السجون جميعها إضراباً مفتوحاً من أجل التضامن معهن، ومن أجلها هي وأخواتها في السجون، وقد دخلن الإضراب عن الطعام من أجل حريتهن.

في سنة 1995 دخلت السجون إضراباً مفتوحاً عن الطعام، تحت أكثر من مطلب وشعار، نصرة للأسيرات، ومن أجل الاعتراف بالأسرى أنهم سياسيون وأسرى حرب، وكذلك من أجل تحسين أوضاعهم، ومن المعتاد عليه، وهو عرف اعتقالي، أن سجني عسقلان وجنيد، هما مَنْ يوقعان على أَيّ خطوة استراتيجية، وهما صاحبا القرار باتفاق مع جميع السجون، في دخول الإضراب أو فكه.

كنا في سجن الخليل، وتضامناً مع هذا الإضراب، بالرغم من أن أيامه لم تطل، تضامنا ثلاثة أيام، وانتهى إضرابنا مع انتهاء الإضراب في سجن جنيد، مع أن عسقلان كان يرفض أن يفك الإضراب. وذهبت إلى سجن عسقلان، وسجن الخليل لا يزال مضرباً، والتقيت هناك المهندس إسماعيل أبو شنب رحمه الله، وعسقلان يصرّ على إضرابه، لكن في النهاية لم يؤت الإضراب أُكله، وما تحقق له ما يريد.

وكان لسجن جنيد رؤيته في فكّ الإضراب، دون التنسيق مع عسقلان، وسمعت أنه تعرض لضغوط من الرئيس عرفات، عندها سكت الكلام. وفيما بعد رُحِّلَ مَنْ في سجن جنيد، إلى السجون الداخلية، لأن السلطة الفلسطينية في طريقها إليه، حسب اتفاقية أوسلو، ولحق به فيما بعد سجن الخليل.

قضية الأسرى واتفاق أوسلو:

من المعروف أمام أي اتفاق أن ما ترتب على قضاياه يشمل الحلول للأسس التي أدت إلى هذا الاتفاق. فجموع الأسرى بتضحياتهم، هم من أوصلوا الثورة الفلسطينية إلى جميع المنابر الدولية، مع قوافل الشهداء. فالشهداء رحلوا إلى ربهم، أما الأسرى، فهم الشاهد على جميع مراحل الثورة، وهم الجسور والوقود المتجدد لاستمرار الثورة. وكان للأسرى دورهم القوي والفاعل، على صعيد الشارع الفلسطيني والجامعات، بل هم بالنسبة لفتح وفصائل المنظمة من أوجدوا حركة الشبيبة الفتحاوية والكتل الطلابية في الجامعات والمدارس، والنقابات العمالية وما إلى ذلك.

وأن تصل المنظمة إلى اتفاق مع الاحتلال، واعتراف الطرفين بالآخر، يعني أن قضية الأسرى يجب أن تكون من الأولويات في أي اتفاق. ولكن للأسف، فإن المفاوض الفلسطيني الغائب عن قضية الأسرى، وقّع الاتفاق، وتجاهل قضية الأسرى؛ لأنها ما كانت حاضرة في نفوسهم، قبل أن تكون حاضرة في اتفاقهم. فلو كانت لها أولوية في نفوس المفاوضين، لجعلوها أولاً، ومع التوقيع يخرج من في السجون، وينتهي هذا الجرح النازف، لكن مفاوضنا الفلسطيني بعدما فات الأوان، أدرك أنه توجد قضية أسرى. وكل العالم سمع شمعون بيريز Shimon Peres في اتفاق القاهرة، برعاية الرئيس المصري السابق حسني مبارك، لما حضر عرفات ورابين وبيريز، وحصلت إشكالية، وقال مبارك لعرفات، ستوقع وأنت مثل "الك..."، والعالم من على الفضائيات، يشاهد الإرباك الذي حصل. وفي النهاية وقع عرفات على الخرائط، كما أرادها الإسرائيليون، وقال بيريز: جئت بملف الأسرى، وانتظرت من المفاوض الفلسطيني أن يطرق بابه، لكن المفاوض الفلسطيني لم يُعره انتباهاً. نعم المفاوض الفلسطيني لم يسبق له أن عانى من السجن، فما فتح هذا الملف، وتركه لحسن نوايا "إسرائيل"، حتى ابتزوه ابتزازاً مرهقاً ومذلاً.

هذا المفاوض، لو اشتغل بمنطق علمي ومسؤول، وجعل لكل قضية فريقها وملفها، وأعطى أصحاب الاختصاص مجالهم في العمل، بدلاً من أن يذهب على شاكلة المخاتير عند الحاكم العسكري... لأنتج، ولما أبقى هذه القضايا عالقة، حتى بدا ضعيفاً أمام كل موقف، يستجدي استحقاقات هذا الملف على مائدة المفاوضات مع دولة الاحتلال بِذِلَّة. والحديث عن هذه القضية طويل ومؤلم؛ لأنها أخذت طابعاً آخر، طابع التسوّل على صيت الأسرى وسمعتهم، فاستغلت دولة الاحتلال هذه الحالة الإنسانية استغلالاً بشعاً.

الأيام الأخيرة في سجن الخليل:

ذكرت من قبل، أن حماس دبت فيها الاعتقالات، على نحو غير مسبوق، وعلى اتساع مِن الضفة الغربية وقطاع غزة، وحتى من الخارج. فالإخوة أبو أنس محمد جراد، وأبو أحمد محمد صلاح، وأبو سالم جميل صرصور، الذي كنت سبباً في اعتقاله، هؤلاء يحملون الجنسية الأمريكية، واعتقالهم جاء على خلفية الدعم والتمويل الحركي لحماس. وإخوة آخرون جاؤوا من الخارج، وصدرت ضدهم أحكامٌ قاسية، وانتهى بهم المطاف أن حُرموا من العودة إلى ديارهم، وإنْ دلّ هذا على شيء، فإنما يدل على قوة الحركة الصامتة والنافذة، في نسيج حماس المحلي والإقليمي والدولي.

أما على صعيد مدينة الخليل، فكان لها نصيبها الوافر من هذه الاعتقالات. فإخواننا في الخليل بعدما تأخروا عن الانتفاضة سِتة أشهر، أتوا بما لم يأتِ به الأوائل، وشكلوا زخماً عجيباً في العطاء، واعتقلت لهم مجموعة متقدمةٌ، على صعيد العمل العسكري، بقيادة الأخ ناجي سنقرط، وعضوية الأخ أبو يحيى جواد الجعبري، والأخ عبد القادر إدريس وآخرين، وحوكمت هذه المجموعة، وجمعتنا بها الأيام.

وكانت هذه المجموعة من الوافدين على سجن الخليل، وبحضورهم حُقَّ لي أن أتفرغ من المسؤولية، وحُقَّ لهم أن يأخذوا دورهم، وهم من الوعي والنضج على مستوى متقدم، وأصحاب تجربة اعتقالية، فآثرت بوجود هؤلاء أن أتفرغ لهمومي وبعض شأني، ودون أن تجري انتخابات لما بيننا من الثقة والألفة. تسلم الأخ ناجي وفريقه مقاليد الأمور، وبقي التنظيم محافظاً على حيويته، إلى أن رحلنا إلى سجن عسقلان، بسبب أوسلو القادم إلى الخليل.

وتعليقاً على سجن الخليل أقول: إنه من أهم المحطات في حياتي، فقد نلْتُ شرفاً بلقاء هذه الجموع من الأسرى وهذه النخبة من القيادات، وعلى رأسها الشهيد القائد جمال عبد الرحمن منصور (أبو بكر)[37] بعد عودته من مرج الزهور. وكانت البركة في طيات

[37] **جمال عبد الرحمن منصور (1960–2001):** ولد في مخيم بلاطة بنابلس لأسرة هجرت من قرية سلمة سنة 1948. حاصل على شهادة البكالوريوس في المحاسبة وإدارة الأعمال من جامعة النجاح الوطنية. كان رئيساً للكتلة الإسلامية في جامعة النجاح وأحد مؤسسيها، وشغل موقع المتحدث الرسمي باسم حماس في الضفة الغربية. اعتقل أكثر من مرة في سجون الاحتلال، وفي سجون السلطة الفلسطينية. اغتيل بقصف استهدف مكتبه في 2001/7/31، واتهمه الاحتلال بالمسؤولية عن الجهاز العسكري لحماس في شمال الضفة الغربية.

هذه التجربة، وكان له من العطاء المبارك، مع حضور هذا الكم من الكوادر، التي تفجرت طاقاتها تعليماً، وتثقيفاً، وتربية وخدمة. وكانت عوامل التربية متميزة، وفيها من العز ما حافظ على صلابة النواة، داخل السجن وخارجه.

ولقد حضنت الخليل وجبالُها، ريفُها وحضرُها رجالاً عظاماً نجحوا في قيادة المرحلة، فالشيخ صالح العاروري، الذي تخرج في جامعة الخليل، والذي ترأس الكتلة الإسلامية فيها، نجح في تفريغ الرجال للعمل الجهادي، وأتى بالشامي على اليمني، واليمني على المغربي. والشيخ صالح من عارورة قضاء رام الله. ومِنْ على أرض الخليل، اجتمعوا من غزة ومن الضفة، وحملوا اللواء، فالإخوة عماد عقل، ومحمد دخان[38] من غزة، وموسى دودين، وعباس شبانة[39]، وهارون ناصر الدين، وصلاح العواودة[40]، وموسى عمرو، وسفيان جمجوم، وأبو عاصم الأخ الحبيب جميل النتشة[41] من الخليل. وهؤلاء جميعاً شكلوا رافعة للعمل الجهادي، وكانت الخليل بريفها حضناً دافئاً لحراك هؤلاء المجاهدين. وكلما دبت بينهم الاعتقالات، دبت فيهم الحياة، وتجدد فيهم العطاء. وعلى هذا الدرب، كان الحَظ الوافي والقَدَح المعلّى، من نصيب عائلة القواسمي؛ والتي وحدها شكلت تنظيماً، وقاعدة لحماس. إذْ شاع عند الصهاينة مصطلح التنظيم على

---

[38] **محمد عبد الفتاح دخان (1972–):** ولد في مخيم النصيرات وسط قطاع غزة. والده من كبار قادة جماعة الإخوان المسلمين في فلسطين ومؤسسي حركة حماس. التحق بالمدرسة الصناعية في مدينة القدس. شارك في فعاليات الانتفاضة الأولى، وانتظم في صفوف كتائب القسام بصحبة الشهيد عماد عقل وشارك في عدد من عملياتها. استشهد شقيقه طارق القيادي في كتائب القسام سنة 1992. اعتقل جريحاً بعد معركة في مخيم النصيرات يوم 1993/4/11 وحكم عليه بالسجن المؤبد ثلاث مرات وعشرين عاماً. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18.

[39] **عباس عبد الله شبانة (1971–):** ولد في مدينة الخليل، واعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال لنشاطه في صفوف حركة حماس في أثناء الانتفاضة الأولى. التحق بفرقة الأهوال إحدى مجموعات كتائب القسام الأولى. عمل مسؤولاً عن تنسيق العمليات بين مدينة الخليل وقطاع غزة في كتائب القسام، وكان له صلة بالشهيد عماد عقل. اعتقل لذلك يوم 1992/12/26، وحكم بالسجن لمدة 23 عاماً. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18.

[40] **صلاح الدين طالب العواودة (1970–):** ولد في قرية كرمة جنوب مدينة دورا بمحافظة الخليل، التحق في جامعة الخليل لدراسة التاريخ، انضم لـ"مجموعة شهداء الأقصى" إحدى المجموعات الأولى لكتائب القسام في منطقة الخليل وشارك في عملية "الحاوز". اعتقل يوم 1993/4/14 وحكم بالسجن المؤبد. استكمل تعليمه في السجن. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18 وأبعد إلى قطاع غزة.

[41] **جميل عبد الوهاب النتشة ([1963]–):** ولد في مدينة الخليل. انتمى لإحدى المجموعات الأولى لكتائب القسام في مدينة الخليل "مجموعة شهداء الأقصى". اعتقل في 1992/12/15، وحكم بالسجن 21 عاماً تاركاً خلفه زوجته وأبناءه.

عائلة القواسمي. وهذه العائلة قدمت قافلة من الشهداء، وجموعاً من الأسرى، بل ومن بيت واحد اجتمع خمسة من الإخوة في سجن واحد، منهم أربعة يحفظون كتاب الله، وهم: زياد ومحمود وَحسين وحجازي، والشهيد مراد علي القواسمي[42] شقيقهم، وكان معهم. ومن قبل في الانتفاضة الأولى، اجتمع حسام وحسين في قضية واحدة.

الانتقال إلى عسقلان:

لما تقدمت الأيام بأوسلو، بعدما انتهت مرحلة غزة أريحا – أولاً، أُذن لهذا الكسيح —أوسلو— أن يزحف أرضاً، على مدن الضفة الغربية، زَحَفَ زَحْفَ الكسيح، ومهما أوتي من أسباب القوة، فهو مهيض الجناح. ويبقى كيان السلطة الفلسطينية ضعيفاً وعالةً، حتى في لقمة العيش، على الاحتلال، وإلا ما المصلحة من وراء هذا الدعم المالي، من دولة الاحتلال ومن الدول المانحة؟!

أوسلو له استحقاقاته بالنسبة للطرفين، وهي استحقاقات ظالمة، ظاهرها فيه الدولة، وباطنها فيه العذاب والخراب، وألا تقوم دولة، ولن تقوم في ظلّ هذه الاستحقاقات. ومن استحقاقات أوسلو العودة "المظفرة" للمحاربين، وقد انتهت العداوة، ورفعت الكلفة بين أعداء الأمس، ودخلت ثقافة الغالب على المغلوب على لسان عرفات لرابين: "أنا مشتاق لك"، وأن إسحق الآن أخ لإسماعيل، وأن إبراهيم عليه السلام هو أبو الشعبين. نعم سيدنا إبراهيم والد لإسماعيل وإسحق، لكن كما قال القرآن: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلَا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[43] صدق الله العظيم.

نعم، لقد فرح الناس، وفرحنا بعودة المحاربين، الذين رضيت "إسرائيل" عنهم، بعد أن قدمت لها الكشوف بأسمائهم، وهي من تصدقت عليهم بالأرقام الوطنية، وسمحت لأسلحتهم بالدخول معهم، بعد أن رقمتها. وما كان لـ"إسرائيل" أن تسمح بعودتهم إن لم يكونوا حماةً لأسلو، وعلى الخصوص الاتفاقيات الأمنية التي وقعها الجانبان.

---

[42] **مراد علي القواسمي (1979–):** ولد في مدينة الخليل وعمل في مجال الكهرباء. تزوج في حزيران/ يونيو 2000 ورزق بأحمد. اعتقل في 2003/4/15 لعضويته في كتائب القسام ضمن خلايا الشهيد عبد الله القواسمي. خرج من السجن في 2004/4/15 ليواصل مع كتائب القسام. استشهد بعد معركة خاضها والشهيد عمر الهيموني والأسير إياد أبو اشخيدم مع القوات الصهيونية التي حاصرتهم في منزل، في مدينة الخليل في 2004/11/25.

[43] **القرآن الكريم**، سورة آل عمران، آية 67.

وكم تمنيت أن يعود هؤلاء الثوار إلى فلسطين؛ لتسقط عنهم هذه الهالة التي قدّسها فيهم شعبنا في الأراضي المحتلة، وما علم أهل فلسطين أنهم هم من صنعوهم... وأنهم هم من أعطاهم الرمزية، بتضحياتهم ودماء أطفالهم... ومنهم مَنْ له صلة بالموساد، وإلا كيف توصل الموساد إلى قتل ماجد أبو شرار في روما؟ وعلى هذا قِسْ. وعدنان ياسين مثلاً كان يرسل كلّ محضر لديه لقادة الثورة، إلى الموساد أولاً بأول.

لقد كانت لهم من بعيد هالة الثورة، وكانت لهم قدسية عند كثير من الناس. وأحمد الله على رجوعهم حيث انكشفت حقيقتهم، وكل ما كان مستوراً منها.

نعم، من حقّ هؤلاء أن يعودوا إلى ديارهم، وهذا حقّ لكل فلسطيني. لكن عودة هؤلاء على حساب الحق العام، وعودة هؤلاء بما وقعوا عليه من اتفاقيات، والاعتراف بدولة الاحتلال، وضياع 78% من أرض فلسطين التاريخية... هذا ما لم نسمع به في آبائنا الأولين، وهذا ما يرفضه الشعب الفلسطيني أينما وجد.

ومرة أخرى نعم لعودة العائدين، ولا نشك في أن كثيراً منهم فيه الوطنية الصادقة، وأن منهم وعند اللحظة المناسبة مَنْ فرغ جام غضبه في أول مواجهة مع الاحتلال، فالشهيد أبو جندل مع أول فرصة سنحت ألهب نيرانها في معركة مخيم جنين. ومن العائدين من استشهد أبناؤهم، ومنهم من انتظم في صفوف المقاومة. لكن ما أتى به أوسلو من الخراب عَمَّ وطَمَّ، فـ"إسرائيل" لم تسمح بالكازينو عندها، ولكنها سمحت به أن يقام في أريحا تحت إشراف السلطة، وسمحت بتهريب أدواته تحت غطاء أنها ألعاب للأطفال. وكذلك الفساد المالي الذي وصل غباره إلى السجون؛ والسقوط الأخلاقي الذي أتى بالشاليهات وأحيا ليالي المجون؛ وهذه من نِعَم أوسلو على القضية!! حتى قال شمعون بيريز، في جلسة للكنيست الإسرائيلي يرد على من انتقد أوسلو من المعارضة عندهم: انظروا إلى شواطئ غزة، هل سبق أن شاهدتم هذه الحرية في الاختلاط بين الرجال والنساء؟ والرؤوس الحاسرة عند النساء؟! بالطبع هذا هو المطلوب عند دهاقنة الاحتلال، أن يجد الناس ملهاةً عن واجبهم الوطني، وأن يبهت الصراع بهزيمة الدين وأتباعه.

المهم أننا رحلنا إلى عسقلان، بعد أن فرضت السلطة حضورها في رام الله ونابلس، وجنين وطولكرم والخليل، وانتقل من كان في سجن جنيد ورام الله والخليل من الأسرى، إلى سجون الاحتلال في الداخل الفلسطيني... فاستوعب النقب جزءاً من الأسرى، وبقية

السجون استوعبت من تبقى منهم. واستوعب سجن عسقلان دفعتنا التي قدمت من سجن الخليل، وفينا الإخوة موسى دودين، وماجد الجعبة، وهارون ناصر الدين، والشهيد صلاح دروزة، واستقبلتنا إدارة السجن بالتفتيش. وفجأة استنفرت الإدارة، عندما تبين لها وجود مناشير لقصّ الحديد، وقد سألني مدير سجن الخليل عنها من قبل، فنفيت علمي بذلك، وقلت له: أنا لا أعمل عندك، حتى تسألني عن هذا الأمر، فما حار جواباً. ثمّ إن الأخ ماجد الجعبة حملها معه، وهو يطمع في تهريبها لعلها تكون فرصة.

حاولت الإدارة أن تحقق في ذلك، لكن المناشير كانت في الأغراض العامة، ما جعل الأمر عائماً، وليس بالإمكان الوصول إلى صاحبها. وانتهى التفتيش بعد مشادة بيني وبين ضابط، أخذ على عاتقه التحقيق، ورفضت أن أتعاون معه ولو بكلمة، فجاء مدير السجن وهو يعرفني وأعرفه، وقال: يا شيخ، أتريد أن تذهب بهؤلاء عن كتفي، (يعني الرُتب والترقيات) فقلت له: لا تأخذ الأمر بهذه الحساسية، نجحت في الوصول إلى المناشير، وهذا يعزز موقعك.

هوس أمني:

دخلنا على إخواننا، وكان فيهم أميرهم المهندس إسماعيل أبو شنب، والمشهور بين إخوانه بالحاج، واستقبلني في غرفته، رحمه الله، وكانت الأوضاع عندهم ساخنة، والتحقيقات الأمنية الداخلية على أشدها، فراقبت الوضع فترة من الزمن، خاصة وأن الهوس الأمني استحكم في النفوس، وحالة من الرعب حلت على قواعد الأسرى، ما جعل من هذه الحالة تطغى على البرامج الأخرى، وعلى الحياة التنظيمية، كما أثَرت على العلاقات مع بقية الفصائل.

أنا حتى الآن ضيف على إخواني، وسهلٌ عليَّ أن أندمج مع هذه الكتلة الأخوية، وما بيني وبين إخواني من العاطفة يذيب التحفظ، ويرفع التكليف. فكان من السهولة، التفاعل مع القاعدة التنظيمية والقادمين الجدد من السجون الأخرى، والذين تفرغوا على الغرف. لكن في عسقلان مشكلة، وقدمتُ إليه، وقد طارت في البلاد وبين السجون سمعة التحقيقات، وهي سمعة مزعجة، وأن يُقتل في التحقيق فلان، وأن تُضخم حالة فلان، ويكتب عنها كراس أمني، والكراس وصاحبه لا يستحقان أن يذكرا وكأنهما إنجاز، وأن صاحب الكراس عمل مع القوات الخاصة الإسرائيلية، ولكن مع أول فرصة لي: أتيت على الكرّاس، وقلت للأخ هارون ناصر الدين، مزقه ولا تبق منه أثراً.

هذه السمعة السيئة للتحقيقات، جعلتني أتأنّى في الحكم على الأشياء، فما تراه عيناي وتسمعه أذناي، لا يبعث على الراحة، ولا ترتاح إليه النفس، ويوجد خوف تنهار منه الأعصاب، ومرة في غرفة 9، وأمامي شاب انهارت أعصابه، وبشفرته ضرب سجاناً في وجهه، حتى يخرج من الغرفة، وفعلاً سحبته إدارة السجن إلى الزنازين، ورجع الشاب من بعد ذلك إلى صفوف إخوانه، بعد أن انتهت هذه الحالة، وتعافى التنظيم من هذا الشر، وهو من خيرة الشباب.

نعم، يوجد خوف وهواجس أمنية، وفي ظلهما تضيع الحقيقة، وتقتل الثقة بين المجاهدين، وتزرع الشك بين إخوانك، حتى الطاهر النظيف يلتفِت من حوله، ويصل الشك إلى نفسه. ونعم للعمل الأمني، ولكن على أن يقوم على أصوله، ونعم للتحقيق، ولكن لا بدّ من معلومات دقيقة، وبعيدة عن الشك وعن الظن، وربما الكراهية توصل المعلومة مبالغاً فيها "ومُبَهَّرة"، أما أن يصل التحقيق إلى قتل، فهذه جريمة. بل قال عادل الشحاتيت في مجدو، وهو خاضع للتحقيق أنا إنْ متّ فوالله إني شهيد، وأقتل مظلوماً، وعبد الفتاح الرنتيسي في عسقلان قتل مظلوماً. والذي ادعى أن عادل الشحاتيت اعترف بالجاسوسية هو كاذب، وهو مَنْ كتب اعترافاً كاذباً بعد موتِه ليسوِّغ غلطته، ونسي أن الله له بالمرصاد.

نعم، العدو وقح، ويعمل جاهداً على إسقاط الناس، ولا يفوّت فرصة، والمعصوم من عصمه الله، لكن كما تعلمنا عن السلف الصالح، ولعله قول للإمام الحسن البصري: "لأن يخطئ الإمام في العفو، خير من أن يخطئ في العقوبة".

إن هذه الحالة مع الأيام مزقت النفوس، وكان لإصبع الشيطان فيها نصيب، وكان لمخابرات السجن دورها القذر في إشاعة الفوضى، وهي التي تأمر عناصرها حال فضيحتهم، أن يعترفوا على أسماء طاهرة ونظيفة، حتى تثير البلبلة والشكوك، وتثير الشبهات من هنا وهناك.

وعودة إلى الوراء قليلاً، كنت طلبت من الحاج (أبو حسن) أبو شنب أن يعفيني مِنَ العمل التنظيمي، فرفض ذلك، وقال: هذا العرض غير مقبول علينا، وأمام إصرار الحاج رضي الله عنه لا أملك من أمري شيئاً، ورضيت بالذي يرضى به الحاج.

وجرت الانتخابات، وهي دورية كل ستة أشهر، وهي عملية تمارسها كل التنظيمات، وهي حقّ لكل الأفراد، ولها لائحة داخلية، تقوم على شؤون الناس، وتنظيم حياتهم ضمن

قوانين اللائحة، وكل تنظيم له مسؤول خارجية، ومسؤول مالية، ومسؤول إدارية، ومسؤول ثقافية، ويوجد لجنة أمنية، ومسؤول عنها عضو من المكتب المنتخب. كما اللجان الأخرى، جرت الانتخابات، وقلت في نفسي ما قاله الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حقّ أبي بكر الصديق رضي الله عنه: "لأن تضرب عنقي، ولا أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر"، ولئن تضرب عنقي ولا أتأمر على قومٍ فيهم الحاج إسماعيل أبو شنب، رحمه الله.

ووقع الاختيار على الحاج أبو حسن رحمه الله، أميراً علينا... ونِعم الأمير. وقد بكيته لما استشهد، وما بكيت أحداً سواه إلا أمي وزوج ابنتي فلسطين، وكتبت فيه نعياً وبعثته لأهله، وكنت أنا نائباً للأمير، نعم، وشرف لي أن أكون جندياً عنده. وعملنا معاً على صعيد العمل التنظيمي، والحاج مهندس، والمهندس مرتب، وحتى فهمه للعقيدة نابع من هندسة نفسه، وهو صاحب قدرة على التخطيط. ولكن لم يعجبني فيهم جميعاً فهمهم للأمن، وأدرك الحاج فيما بعد فداحة ذلك، وتعب ومرض، وذهب إلى المستشفى، وكانت تلك فرصتي في الحدّ من هذه الظاهرة، وفرملة كلّ الفرامل، وسآتي على ذكر ذلك.

وكان الحاج من الأدب بمكان، واختلفت وإياه على صعيد التحقيقات، وما سواها، فهو مهندس لكل شيء، وفي كل شيء، وجمعتنا الساحة على طاولة التنس، لكن على شرط لا غالب ولا مغلوب، ولأني لا أقبل الخسارة، حتى ولو في الرياضة. وذات مرة طلبت من أحد الإخوة المتنفذين أمراً، فعرج على الحاج يستشيره، ومن أدب الحاج أنه قال له: ما يطلبه الشيخ وما يقوله أوامر. إيه يا حاج إسماعيل، خيَّال، وفارس على فرسه، لا يلحق به أحدٌ، وإن كان ماشياً.

بقي الحاج أبو الحسن بيننا وظلّ أميراً علينا، إلى أن حان يوم الإفراج عنه، ولا أدري في أي الشهور لسنة 1997، كان ذلك، وسهّل الله دربه ورفع درجاته في عليين، اللهم آمين. وتوليّتُ الإمارة مِنْ بعده. لكن عندي استدراكاً، فقبل أن يغادرنا الحاج إلى البيت، كنت وإياه في غرفة واحدة، وصمنا رمضان معاً، وكنت إمامهم في الصلاة... وصلاة التراويح على الخصوص، وكان سروره بي عظيماً، لحفظي وسرعة قراءتي للقرآن، في صلاة التراويح. ووقع اختياره على الأخ موسى دودين، لشعبة الأمن، وهو اختيار موفق، وكان الشيخ صلاح شحادة، وإخوة آخرون أفاضل في غرفة رقم 9، وفيها

زوايا تحقيق، وهؤلاء الإخوة ماهر زقوت[44] ابن مجموعة الشهيد عماد عقل، والأخ حازم العايدي وأيمن أبو خليل[45]، وهارون ناصر الدين والحاج محمد حسن أبو هدوان وحازم عسيلة، وآخرون؛ لأن الغرفة تتسع لعشرين رجلاً. وفي إشكالية وقعت ضمن التحقيقات، رَحَّلتْ إدارة السجن معظم كوادر الحركة في غرفة 9، فرحلوا الشيخ صلاح، وماهر زقوت، وحازم العايدي، وحازم عسيلة وآخرين، ولم يبق من العشرين إلا عشرة، وهذا الأمر شكّل ضربة للتنظيم، فطلب مني الحاج أبو حسن، أن أنتقل إلى غرفة 9، فقلت: سمعاً وطاعة. وانتقلت إلى الغرفة التي طاف عليها طائف من الرحمن، ثمّ امتلأت الغرفة بالقادمين الجدد من سجن نفحة، وهم عرفات النتشة[46]، وسلامة مرعي[47]، ومحمد الرشق[48]، وفيها زاهر جبرين[49]، وموسى العكاري، ومحمود عطون،

---

[44] **ماهر خميس زقوت ([1966]–):** ولد في معسكر جباليا لعائلة هجرت من بلدة المجدل سنة 1948. اعتقل في سجون الاحتلال لمسؤوليته عن قتل عدد من الجنود الصهاينة في 1993/10/27، وحكم بالسجن مدى الحياة. متزوج ولديه ولد وبنت. التحق في الجامعة بالسجن، وخرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18.

[45] **أيمن محمد أبو خليل (1972–):** أسير مقدسي ولد في بيت حنينا، طالب في جامعة بيرزيت وناشط في الكتلة الإسلامية، وقيادي في كتائب القسام. أسهم في عمليتين لأسر جنود صهاينة، الأولى في 1994/4/20، وأصيب خلالها في كتفه، والثانية يوم 1994/7/6، وأصيب خلالها في قدمه. اعتقل في 1994/8/13، وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة مؤبدات وتسعين عاماً. استكمل تعليمه الجامعي في السجن، وخرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18، وأبعد إلى تركيا.

[46] **عرفات سالم النتشة (1973–):** ولد في مدينة الخليل. نشط في صفوف كتائب القسام في "وحدة الأهوال" بصحبة الشهداء جهاد غلمة، وطاهر قفيشة، وحامد يغمور، والتي نفذت عدد من العمليات اتجاه العدو الصهيوني. اعتقل في 1994/8/29، وحكم عليه بالسجن المؤبد، ومنعه الاحتلال من استكمال تعليمه في السجن. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18 وأبعد إلى قطاع غزة.

[47] **سلامة عزيز مرعي ([1973]–):** ولد في قرية قراوة بني حسان، والتحق في المجموعات الأولى لكتائب القسام في منطقة سلفيت. نفذ ضمن سرية شهداء عيون قارة عملية بروقين في 1993/3/20. اعتقل يوم 1993/11/4 وحكم عليه بالسجن المؤبد. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18، وأبعد إلى دمشق.

[48] **محمد اكميل الرشق (1976–):** ولد في قرية قباطية قضاء جنين. انتظم في كتائب القسام وأسهم في التجهيز والإعداد والدعم اللوجيستي للاستشهادي رائد زكارنة منفذ عملية العفولة الاستشهادية، أولى عمليات "الرد الخماسي" ضدّ مجزرة الحرم الإبراهيم سنة 1994. اعتقل لدوره هذا أواخر شهر آب/ أغسطس 1994، وحكم بالسجن المؤبدة وعشرة أعوام. أكمل تعليمه في السجن، وخرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18. متزوج وله طفل.

[49] **زاهر علي جبرين (1968–):** ولد في سلفيت والتحق في جامعة النجاح بنابلس. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال، وهو أحد مؤسسي كتائب القسام في الضفة الغربية. اعتقل سنة 1993، وحكم بالسجن المؤبد وأربعين عاماً. شارك في إعادة بناء وقيادة كتائب القسام أواسط التسعينيات من داخل السجن. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18، وأبعد إلى دمشق. انظر: زاهر علي جبرين، **حكاية الدم من شرايين القسام شهادة للعصر والتاريخ** (دمشق: مؤسسة فلسطين للثقافة، 2012).

ومحمود عيسى، وإياد أبو حسنة[50]، وغيرهم وأيمن أبو خليل ومصطفى رمضان من خانيونس، ومازن النحال[51] من رفح. وبعض من حُقق معهم من الذين نزلوا في زوايا التحقيق، واعترفوا بجاسوسيتهم.

ولما ذهب الحاج إلى المستشفى، وطال غيابه ما يقارب ثلاثة أشهر، عملت على تهدئة الأوضاع، وشيئاً فشيئاً أوقفت التحقيقات، وقامت ضدي القيامة من شعبة الأمن، والقائمين عليها، وخصوصاً أهل غزة، وقالوا: هذا ليس صحيحاً، وهذا اتفاق مع إدارة السجن، وما إلى ذلك. فمضيت على هذا الأمر بحزم، وأحضرت موسى وهارون، وقلت لهما: اجمعوا لي جميع الملفات، واعملوا من خلال لجنة عمل على تصفيتها من الغث، وما هو قائم على الظن، وكل ما يستحق الإتلاف أتلفوه؛ لأن فيها أعراضاً لأناس من أخوات وأمهات، ونجحت في السيطرة على الموقف. وشبّهت شعبة الأمن كأجهزة الأمن في الدول العربية.

كان الحمل ثقيلاً، وللدلالة على خطأ الممارسة الأمنية، في عسقلان وغيره من السجون، أن الأخ أبا إبراهيم السنوار، وهو قائد، ونموذج في القيادة، وهو من أحبابي، أحبه كثيراً وأزكيه في كل شيء إلا الجانب الأمني، فله مطبات. وفي بئر السبع، بل في "معبار" بئر السبع، أخضع مجموعة للتحقيق، وأعتقد اعتقاداً جازماً، أنها ظُلمت إلا واحداً، بعد دراسة ملفه حسب الأدلة والشواهد، حصل على البراءة، لكني لا أرتاح إليه ما حييت. أما البقية، فوقع عليهم ظلم، ومنهم شاب اسمه زاهر، رُحل من بئر السبع إلى عسقلان، وفي جلسة استماع في الساحة، جمعت الحاج أبو حسن وموسى دودين وزاهر، تحدث فيها زاهر عن ارتباطه مع مخابرات العدو، وعن أخلاقيات لا يطاق سماعُها. وبعد أن أُشبعوا في الاستماع إلى زاهر، وزاهر راعي غنم لا يصلح للعمالة، لكن تحطمت نفسيته مع جهله وتوريط غيره؛ ثمّ قذف شاباً مِنْ أزكى الشباب، فدعاني الحاج إلى سماع زاهر مِنْ جديد. فبدأ زاهر بروايته يعيدها على مسمعي، وما تحملت

---

[50] **إياد أحمد أبو حسنة ([1974]–):** ولد في مدينة رفح جنوب قطاع غزة. اعتقل في 1989/3/15، إثر قيامه باقتحام موقع عسكري صهيوني على الحدود بين قطاع غزة والأراضي المصرية. حكم عليه بالسجن لمدة 30 عاماً. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18.

[51] **مازن محمد النحال (1974–):** من مواليد مدينة رفح. التحق بكلية العلوم في الجامعة الإسلامية. نشط في كتائب القسام وشارك في عدد من عملياتها ضدّ الصهاينة وعملائهم في قطاع غزة. اعتقل في 1992/6/7 والقسامي خميس عقل، إثر إصابتهما في اشتباك مع الجنود الصهاينة، وحكم عليه بالسجن المؤبد أربع مرات وعشرين عاماً. استكمل تعليمه الجامعي في السجن، وخرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18.

مواصلة السمع بعد أن قطع شوطاً، لفراستي أنه غير صادق، فاستأذنت من الحاج، وقلت: أتأذن لي أن أردّ عليه، وأن أناقشه فيما قال، فقال الحاج: تفضل، ولماذا دعوناك؟ فابتدأت مع زاهر بحضورهما، وخرجت عن المألوف، وتوجهت إليه بطريقتين من الكلام، مرة: زاهر، يا "شريطة"، ويا "خربان"، ويا "نذل"، ويا "جبان"، أنت راجل؟ أنت لك أم؟ لك أخوات؟ "ولك" لماذا أنت على قيد الحياة؟ انظر يا زاهر إلى الحاج إسماعيل وإلى موسى دودين، انظر إليهما، هما بشر مثلك. اسمع يا زاهر، وقل الحقيقة وأظهر رجولتك، إياك والخوف، فهؤلاء بشر مثلك، واسمع مرة أخرى، هل الذي قلته للحاج أبي حسن صحيح؟ قل يا آدمي ولا تخف، فأجاب: لا والله ما هو بصحيح. فقلت له: ولماذا كل هذا الخوف؟ ورثيت لحاله، وقلت لأبي حسن: يا حاج، يا حاج، ألا يكفي؟ وأن نصبح مضحكة لهؤلاء؟ حرام هذا يا أخي، وانفض المجلس. وبعد حين، وبعد أن فرج الله كرب الحاج أبي الحسن بتحريره من السجن، وأصبحت أميراً للقوم، أمرت بتشكيل لجنة لدراسة هذه الحالات، وبُرِّئَ زاهر وأبو فؤاد وغيرهم. وأن ترفع بلاءً وتنتصر للمظلوم، خير من الدنيا وما فيها، وجاء يوم على الشيخ صلاح شحادة، وعلى أبي حسن تبرّآ فيه من هذا الفعل.

الانطلاقة بصحبة الشيخ صلاح شحادة:

وبعد أيام حضر إلينا الشيخ صلاح شحادة (أبو مصطفى)، في رجعة أخرى لعسقلان، وجمع الله شملنا، وتلاقت أرواحنا وكما قال الشاعر:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامعُ

إنّه الشيخ صلاح... صاحب الهمة. وعلى الرغم من أني رياضي من الطراز الأول، وكنت أركض لساعتين، وأمارس اللعب على الحبل، بلياقة قلّ نظيرها، حتى قالوا عني ملك الحبل، لكن الشيخ صلاح أستاذ الكل في الرياضة. ويوم انطلاقة حماس سنة 1996، والحاج أبو حسن أميرنا، خرجنا جميعاً بأمر من الشيخ صلاح، في لباس موحد للساحة بعد عدد الصباح، وقادنا الشيخ صلاح في طابور رياضي ومارش عسكري، يقوم عليه الشهيد أبو رزق العرعير، وهتافات الصاعقة، من المجاهد خالد أبو غليون من الأردن، ولساعة صباحية، ونحن على أعين الإدارة، نحيي انطلاقتنا في رياضة الصباح. وبعد العصر، تحتفل الساحة بانطلاقة حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وجميع الفصائل تشارك في فقرات الحفل، وترفع شعاراته، وكذلك بوسترات من صنع الأسرى، وقد

تفننوا في إخراجها، وفاجأوا إدارة السجن والحاضرين بهذا الإعداد، وهذا الترتيب، وبالعمل المسرحي الذي نجحوا في إخراجه، ولسان حال الجميع يقول: كيف استطاع هؤلاء الشبان أن يعمّوا على الإدارة كل هذا النشاط؟ وفي لحظة واحدة يخرجون إلى الساحة؟ وعريف الحفل يرحب بالحاضرين، والمقرئ يصدح بالآيات والذكر الحكيم، وكلمة لحماس، وكلمة للفصائل، وأناشيد حمساوية، وسجل يا تاريخ الأمة.

أُمهُ صالحة، والرسالة مع ذي اللحية الحمراء:

وفي يوم من الأيام، كان يعيش معنا شاب اسمه باسل النتشة من بيت لحم، وتنظيمه الجبهة الشعبية، لكنه آثر العيش معنا. وكان مِنْ ضمن صلاحيات الأمن، أن يوزع على العناصر كبسولات، تحتوي على أسرار ومعلومات، والمسؤول عن أمنها الأخ المجاهد مازن النحال، فأعطى مجموعة من الكبسولات للأخ باسل النتشة... ومع خروج النزهة أو "الفورة" تخرج هذه الكبسولات للساحة، خوفاً من تفتيش مفاجئ للغرف. وفي هذا اليوم بعد العصر، والشباب في الساحة، وليس في الغرفة إلا أنا، وإذا بالأخ باسل يدخل عليَّ الغرفة وقد جاءه الفرج، فأخذ يغير ملابسه، ويحضر أغراضه والإدارة تستعجله؛ لأن الوقت يداهمه ويداهمها، وقريب من الغروب. وعندما فتش سرواله الذي خلعه، وإذا بالكبسولات منسيّة في جيبه، فأعطانيها، واحتفظت بها. وانطلق في سبيله، وودع الناس وَمَنْ في الساحة، ونسي أن يقول لهم عن الكبسولات، ونسوا بدورهم أنهم أعطوه ذلك، ففطن الأخ مازن النحال لذلك، وإذا به بصوتٍ عالٍ ينادي: قولوا للشيخ أن يطلب من الإدارة إرجاع باسل، بحجة أنهم لم يودعوه، حتى يسألوه عن الكبسولات، فكان الجواب مني: باسل غادر السجن، والإدارة لا يمكن أن ترجعه حتى لو لم يغادر. وطاش سهم مازن وشعبة الأمن، ومنهم مصطفى رمضان. وحاولوا أن يشوهوا الرجل، وظنوا به الظنون. فأتيت الحاج أبا حسن، وقلت له: سأتعبُ أعصابهم، والكبسولات عندي؛ لأن باسل أعطانيها قبل خروجه، فاسمع وانظر إلى قيل وقال عندهم. وعاشوا على أعصابهم أربع ليالٍ وقد تعبت نفسياتهم.

وفي ليلة من الليالي، وإذا بمصطفى رمضان يرى في المنام أُمَّه، ونحسبها من الصالحات، وكانت تلبس ثياباً بيضاً، فقالت لمصطفى: يا ولدي دعك من الحيرة، وغرضكم عند صاحبك ذي اللحية الحمراء المخضبة بالحناء، وصاحب السرير الأبيض. فجاءني مصطفى وقصّ عليَّ الرؤيا، فوعظته، وقلت له: لا يجوز أن نُسيء الظن، وأن

نلقي الكلام على عواهنه، وأنت يا أخ مصطفى المسؤول المباشر عن الأرشيف. وهو يعلم أني بعد الترحيلات تسلمت الملف الأمني، حتى تستريح الساحة، وحتى يتجدد العمل بروح ملتزمة، وفعلاً ارتاح مَنْ في الساحة إلا في قسم (12)؛ لانقطاعهم عنا. وكان الأخ الحبيب أبو الفضل عبد الرحمن القيق، وهو من غزة، أميراً على القسم، فتسرع هو ولجنة الأمن عندهم، وارتكبوا مخالفة، وتصرفوا على عاتقهم بحق اثنين من الإخوة، وآذوهما إيذاءً شديداً، وحضَّروا ملفهما لزاوية، فهرولت إليهم وقلت: مَنْ خولكم؟ وكيف تتصرفون بلا توجيهات مني؟ ومِنَ اللجنة الأمنية على الخصوص؟ لكن الطلقة التي لا تقتل بتدْوِشْ (يكون لها دَوِيٌّ). وقالوا: إن هذه الملفات كانت جاهزة... واتخذ فيها قرار من قبل، لكني استدركت الموقف، وأثنيتهم عن هذا الإجراء. وعودة للكبسولات فلم أحتفظ بها، بل أعطيتها للأمير أبي الحسن، واستأذنته بعد رؤيا مصطفى لأمه، أن أضعهم في حقيقة ما حصل، فأذن لي، وأتيتهم بالكبسولات، وهدأت أعصابهم، واستقامت الحال، والحمد لله.

رسالة من الشيخ صالح العاروري:

الشيخ صالح في "مجدو"، ونُطلق على "مجدو" قلعة حطين. وكانت البدايات عند الشيخ صالح في معتقل النقب، تنسجم مع الظاهرة السلبية، التي يتبعها التنظيم في شأن التحقيقات، وأخيراً أدرك أن هذه الممارسات في طريقها للإساءة إلى مشروعنا، بل ما يجري ظلم يغطيه الهوس الأمني، وما يحصل في زوايا التحقيق تقشعر له الأبدان، حتى قال لي الدكتور إبراهيم أبو سالم، عن زوايا مجدو: والله لو تعرضت لمثل ما تعرض له مَنْ في الزوايا، لكتبت ألف ورقة اعترافات. وحقاً أساءت، وجميع التنظيمات تجاوزت حدها في هذا الشأن، من خلع الأظافر وإدخال الإبر المحماة تحت الأظافر، وإطفاء السجائر على الجلد، ووضع كتلٍ من الملح في الفم، ما يدعو إلى ضرورة طلب الماء، أو التعرض للموت، كما حصل عند إخواننا في فتح. وكذلك ثَنْيُ الأرجل بالخشب، ووضع الكتل الخشبية بين أصابع الأرجل، والضغط عليها، وقد يستمر هذا نصف شهر، مع قابلية التمديد لنصف شهر آخر، وهذا جرى عند حماس.

هذه الصورة مشتركة بين جميع الفصائل، وبالإضافة إلى تعصيب الأعين طوال الوقت، وعدم النوم والإرهاق، وما يترتب على هذه الحالة، من ضرر على الصعيد

الذاتي، وعلى صعيد العائلات. فكم من أذى لحق بهؤلاء، ومنهم من هو مظلوم، وظُلِمَتْ بناته وأخواته، إذ عزف الناس عن مصاهرة هؤلاء. فبأي ذنب قتلت هذه النفسيات؟

انتقل الشيخ صالح إلى سجن مجدو، وهناك رأى المصائب، ولا بدّ من الحد من هذه الظاهرة، ففيها انتهاك للحرمات، وقتل لمستقبل الأعراض، وهذا نهج لا أدري كيف انحرف بنا، حتى احتوى التنظيم بسطوته، وما يجري غير معقول، وقصة عادل الشحاتيت ذكرتها من قبل.

على كل حال، كتب إليَّ الشيخ صالح من مجدو برسالة، وأخرى كتبها للخارج، لمن يعنيهم الأمر، من قيادات العمل في الخليل والضفة، يشرح فيها ما يجري من تجاوزات خاطئة، ولا بدّ من وقفها وتصحيح المسار، ويطلب مني رضي الله عنه المساعدة من حيث كنت، ومن الخارج لوضع حدّ لكل هذه التجاوزات، والخروج من هذه الحالة المرفوضة.

والحمد لله، جرت حركة في هذا الشأن، ونجح رضي الله عنه في السيطرة على الموقف، وشكَّل لجنة تقصي حقائق، ودراسة للملفات، وأنهى حالة استشرى خرابُها. وكان من الذين عملوا معه الأخوان (أبو بلال) الشيخ طه من قرية مراح رباح، والأخ المجاهد جلال البراغيث من بيت أمر. وبعث إليَّ بعدما خرجت من السجن أن أتولى تبرئة أخ من إخواننا من مدينة الخليل، وهناك وبصحبة الأخ الحبيب النائب أحمد عطون، وحضور الأحباب الكرام في بيت الأخ الحبيب أبو جبير، والأخ الحبيب (أبو همام) محمد جمال النتشة، وعائلة الأخ الذي وقع عليه الظلم، تمت الأمور بحمد الله، وأُعلنت براءته على الملأ. وهذه مسؤولية تنظيمية، وليس للأفراد الذين ارتكبوا حماقات في هذا العمل، أي مسؤولية للملاحقة، ورضي إخواننا وهم كرام، واحتسبوا ذلك عند الله، وخرج مجدو من هذه الحالة إلى غير رجعة. والسجون جميعها تعافت من هذا المرض، لكن هذا لا يعني أن ينام التنظيم عن متابعة الشؤون الأمنية، فلا بدّ من ترشيده، واختيار العناصر الأمنية، والمنهج العلمي الصحيح في عمله، إن أراد الحفاظ على التنظيم.

النسيج الفصائلي لعسقلان:

سجن عسقلان تجتمع فيه جميع الفصائل، والدين في حسابات معظم عناصرها ثانوي وعادة، فهو عند فتح شعائر تعبدية، وقليل جداً مَنْ يعطي هذه الشعائر روحها، ويحافظ عليها في أوقاتها. أما الجانب الاعتقادي، فهو غائب عن أفهامهم، وربما أدرك بعض أفرادهم البعد العقائدي، وقضية الولاء والبراء، لكنهم علمانيون، ولا يهتمون

بالحوار الفكري. وأما الجبهتان، بعد هذا المشوار الطويل، من سقوط الماركسية ككيان، وغيابها كلاعب في السياسة الدولية، على صعيد كل الأنظمة التي شكلت قوةً لليسار... فقد انتهى بهما المطاف إلى التقوقع والاضمحلال، وتوجهتا بعد هذا الفراغ من الولاء العقائدي للشرق، إلى منظمات المجتمع المدني، لدعم مشاريعهما وللحفاظ على كيانهما، من خلال الاحتواء المالي، وإلا فإنهما أفلستا على الصعيد الفكري، وانحصر نشاطهما في اجترار الماضي، حتى قيل عن هذه الفصائل اليسارية إنها "تنظيمات الـ NGOs" أو "تنظيمات المؤسسات غير الحكومية".

وأما حماس والجهاد الإسلامي، فإن الإسلام هو الحاضر القوي في حياتهما، وهو الذي استطاع أن يستقطب كوادر مهمة، من حَملة الفكر الماركسي، وشكل امتداداً ديموغرافياً، حاصر جميع التنظيمات بعمقه العقائدي، وبالأداء الرائع الذي قدمته المقاومة، من خلال الضربات الموجعة للعدو الصهيوني، فميدان المزايدة غيبته الأفعال، والعمل الاستشهادي ترك بصماته، من خلال الدماء والأشلاء.

سجن عسقلان بنسيجه هذا أبقى على علاقات بين الفصائل حبالُها مشدودة، خاصة فيما بين حماس وفتح. ففتح على صعيد قيادة السجن، لم تكن تُحسن أن تُغلِّب المصلحة الوطنية على مصالحها الذاتية؛ لأن المنتفعين من مشروع أوسلو، أصبحت لهم كروش منتفخة، واستثمروا أموال الكانتينا والجامعات، لحساباتهم الخاصة، فما لهم وما للصالح العام؟

على كل حال، نزلنا ساحة عسقلان، وقليل مَنْ تفاعل معنا، وبقيت الأجواء غائمة، إلى أن حضر مَنْ في سجن جنيد من جميع التنظيمات، فتحسنت الأجواء؛ إذ إنّ القادمين كانوا في طينتهم وتربيتهم، لا تظهر على سيماء وجوههم عنجهية "س. أبو ص."، ومن هم على شاكلته، ممن لم يستوعبوا غيرهم، في ميدان العمل الوطني.

نزلنا ساحة عسقلان، ولا عامل لنا في الساحة؛ فالعمال في المطبخ والمغسلة والساحات لفصائل منظمة التحرير، عمال الساحات حكرٌ على فتح، إلى أن جاء مدير جديد للسجن، كان مديراً لسجن الخليل يوم أن كنا هناك، واسمه إسحق غباي، والعلاقة بيننا وبينه قائمة على الاحترام. وأول ما تسلّم الإدارة قام بزيارة للأقسام، وبصحبته أبو ص.، ممثل المعتقل، ودخل علينا غرفتنا فسلم علينا وقدمنا له القهوة، وقمت بتعريفه على أميرنا المهندس إسماعيل أبو شنب. وفي العادة أنني أبجل إخواني أمام إدارة السجن،

وهم كذلك، وقلت لمدير السجن عن أخي أبي الحسن، هذا مهندس كبير، ورئيس قسم الهندسة في الجامعة الإسلامية، وكلمة طيبة من هنا، وكلمة طيبة من هناك، حتى قال أبو ص.: "كمان شوية تجعل المدير يقرأ المأثورات" قلت: ولم لا؟. كان أبو ص. يريد أن يستأثر بالمدير دون أن تكون له علاقة معنا، والمدير جربنا في سجن الخليل، وآمن أن لنا عهداً نحافظ عليه، وكلمة لا نكسرها.

على كل حال، طلبت من المدير عامل ساحة لحماس فوافق، وهذا ما لا يريده أبو ص.، ويعدّه خرقاً للتفاهم الفصائلي. وثمّة أمورٌ أخرى تجاوب معها المدير. والسجن متحرك ولا يهدأ، وبين يوم وآخر فيه إفراجات، وتحصل نقليات من السجن، ومنها غياب أبي ص. عن ساحة عسقلان، وأصبح الحضور القوي لأهل الضفة، وارتاحت الساحة الاعتقالية من انتفاخة أناس، أفئدتهم هواء، وحلَّ التفاهم في الساحة بعد غياب طويل. وكان للأخ زاهر جبرين من سلفيت، الدور الإيجابي في تعزيز العلاقات، ومعه من جانبنا الأخوان المجاهدان محمود مرداوي، وخالد مرداوي[52]، أما من جانب الإخوة في فتح، فكان للأخوين عثمان مصلح (أبي الناجي)، وتوفيق العبد الله (أبي إبراهيم)، الدور الذي يقدر لهما، وهو دور محترم وإيجابي... بل إن أبا إبراهيم توفيق توطدت علاقتنا به، وهو لنا أكثر منه لفتح، وما ترك كتاباً لسيد قطب، وعلى الخصوص الظلال إلا قرأه..

محاولة الهرب:

بينما أنا في الساحة في فورة الصباح، وإذا بالأخوين ماجد أبو قطيش، ومحمود عيسى، يحيطانني عن اليمين وعن الشمال، وقالا لي: مِنْ أين نبدأ الحديث معك؟ فقلت: تَفَضَّلا ويومها كنت الأمير، وبأريحية تحدثا، فأنا بمقام الوالد لكما. ومن حسن أدبهما، أي والله، ولا مجاملة في هذا الأمر، ويكررها ماجد: أنت أعز علينا من أبوينا. الله أكبر فهذا أدب لا يبارى —حفظهما الله وفرج كرب محمود— قال ماجد والبسمة تلازمه: نريد أن نهرب من السجن، قلت: بكل هذه البساطة، قالا: نعم، وكيف؟ قالا: نريد غرفة 4، ومن داخل دورة المياه نحفر نفقاً في الأرض، يؤدي بنا إلى خارج سور السجن. فكرت في الأمر ملياً، وقلت في نفسي هذا من حقهما، وحقّ جميع المؤبدات، ولا جديد يلوح في

[52] **خالد عبد الرحمن مرداوي (1965–)**: ولد في قرية حبلة جنوب قلقيلية. اعتقل في 1992/8/28، وحكم بالسجن المؤبد ثلاث مرات وأربعين عاماً. متزوج وأب لبنت. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18 وأبعد إلى قطاع غزة.

الأفق، ولا يكفي أن أكون أميراً، فالمستشار مؤتمن وناصح، فقلت لهما: اسمعا مني جيداً، غرفة 4 لا تصلح؛ لأنها قريبة من الباب الرئيس للسجن، لكن تمهلا لأسبوع أو أسبوعين لأقصى حدّ؛ لأننا في الطريق إلى غرفة 2، وقد طلبنا من الشعبية أن تفرغها لنا، وأبدوا موافقتهم، عندها أسهل لكم في اختيار عناصر الغرفة، ومن تريدونه معكم، ودون أن يكون هناك انتباه، أو لفت نظر، فقالا: هذا في السليم، لكن استعجل لنا الأمر، فقلت: صبرتم كثيراً، فاصبروا قليلاً.

وجاء اليوم الذي خرجت فيه عناصر الشعبية من الغرفة، ووقع الاختيار لنزلاء هذه الغرفة على أهم الرجال، الذين دوخوا العدو وأوجعوه، وأحكامهم بالمؤبدات، ونزل اثنان من الإخوة الكرام، من ذوي الأحكام الخفيفة، حتى يشاركوا في الجهد. وقبل ساعة الصفر، يحل مكانهما أخوان من ذوي الأحكام العالية، وهما عبد المعين المسلماني (أبو آدم)، وهو من أشد الرجال، والحبيب المجاهد بشار الكرمي، شقيق الشهيد نشأت الكرمي. نعم وقع الاختيار على محمود عيسى، وماجد أبو قطيش، وموسى العكاري، ومحمود عطون، ومروان أبو ارميلة[53]، وخليفة الصغير المبروك، وموسى دودين، وتيسير سليمان[54]، وأيمن أبو خليل، وعبد الناصر عيسى، وسلامة مرعي، وهارون ناصر الدين الذي أخرنا نزوله، وهو بديل عن الأخ بشار، والأخ جميل مسك. واستثنينا الأخ زاهر جبرين الناطق باسم حماس، إلى أن تحين ساعة الصفر، وحجبنا عنه العملية حتى لا يشغله هذا عن واجبه، أو خوفاً عليه من كلمة غير محسوبة، لا يلقي لها بالاً... تخرج منه للأخ أبي الناجي، ممثل المعتقل ووجه فتح في الساحة؛ ولأن بينهما عاطفة من الصداقة قد تدفعه للبوح إن علم بالأمر، فبقي ذلك خفياً عليه. وقد تفاجأ لاحقاً لما فشلت

[53] **مروان محمد أبو ارميلة (1971–):** أسير مقدسي من سكان بلدة الرام شمال القدس، متزوج وله ولد. نشط في كتائب القسام منذ مطلع سنة 1993 حيث انضم لمجموعة القدس وشارك في عملياتها. في 1993/9/12 حاول أن يفجر نفسه من خلال تفجير عبوة ناسفة في حافلة صهيونية، لكنها لم تنفجر بسبب خلل فني وعاد سالماً. اعتقل في 1993/9/30، وحكم عليه بالسجن المؤبد وعشرين عاماً بتهمة المشاركة في خطف جندي صهيوني وقتله. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18، وأبعد إلى تركيا.

[54] **تيسير حمدان سليمان (1973–):** أسير مقدسي ولد في بيت حنينا. انتسب للجهاز الأمني لحركة حماس (مجد) ولاحق عدداً من العملاء خلال عمله في الجهاز. قيادي في كتائب القسام والمنسق بين مجموعات القسام في الضفة الغربية وقطاع غزة. قاد مجموعة القدس التي شاركت في عدد من من عمليات إطلاق النار والخطف واقتحام المستوطنات، اعتقل في 1993/9/29، وأفراد مجموعته فهد الشلودي، ومروان أبو ارميلة، وحكم بالسجن المؤبد و60 عاماً. شارك في إعادة بناء وقيادة كتائب القسام أواسط التسعينيات من داخل السجن، وشغل عضوية مجلس الشورى العام لأسرى حركة حماس. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18، وأبعد إلى تركيا.

العملية، وعتب علينا، فقلنا له: أنت من القوم ونصيبك موفور وأنت محسوب على ذلك، لكن ظروف عملك لا تسمح أن تكون على بيّنة واطلاع.

توجه إليَّ الأخ موسى دودين، وقال: خذ البيعة من الجميع، قبل أن ينطلقوا، فقلت له: المهم أن تنجح الأمور، وأن يوفق الله إخواننا.

فنزلوا الغرفة، واختاروا دورة المياه، وخلعوا بلاطة (30 سم×30 سم) دون المساس بها، وبدأ الحفر، ونزلوا أرضاً، وتمكنوا من الحفر لستة عشر متراً.. والتراب كثير، واستعانوا بأكياس من وجوه الفرشات، لتخبئة التراب خوفاً من التفتيش، وفيهم كذلك الحوت جميل مسك، والذي شارك في هروب "الخليل". وأخذت عليهم: كم من الوقت يستغرق هذا الشغل؟ فقالوا: من أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع، وتحملنا ذلك على أعصابنا، وكان في تخطيطي إن نجح الأمر، أن أفتح شباكاً ما بين الغرفتين 2و3، لأنهما في الأساس لنا، وآتي بحسن سلامة[55] من قسم (12)، بحجة مشكلة، ويكون ضمن الخطة، كي تنهار حكومة الاحتلال بعد نجاح هذا الحدث، لكن تصريف التراب مشكلة، ولو أنه رمل لصُرّف مع الماء، أما التراب فقد حاولوا إذابته من خلال دورة المياه، وإذا بالمجاري الخارجية تطفح بالماء، وبعد الفحص تبين أن التراب قد أغلقها، وبعد البحث اكتشفت الإدارة المشروع، واستنفرت وأعلنت حالة الطوارئ، ورحّلت الغرفة. وانتهت قصة الهرب، لكن لم ينته التفكير في عملية هروب أخرى، وقد جددها من بعد الأخ المجاهد عبد الحكيم حنيني، وهو المسؤول والقائد عن زاهر جبرين، وزاهر هو المسؤول عن الشهيد يحيى عياش، فالأخ أبو حذيفة عبد الحكيم، نجح وإخوانه في سجن شطة سنة 1998، من حفر خندق ونفق من تحت غرفة 16 قسم (17)، حتى وصلوا إلى الشارع العام، ولولا الكلاب التي نبّهت الحارس البدوي بنباحها، ما اكتشف أمرهم. وقد خرج أولهم وأظنه المجاهد عباس شبانة، لكن فشلت العملية بعدما وصلت اللقمة للفم، وهي عملية تصلح أن تكون فيلماً سينمائياً.

---

[55] **حسن عبد الرحمن سلامة (1971–):** ولد في مخيم خانيونس لعائلة هجرت من بلدة الخيمة سنة 1948، أحد نشطاء كتائب القسام الأوائل. غادر لمصر بعد مطاردته من قبل الاحتلال لكنه عاد من جديد بعد تأسيس السلطة الفلسطينية فكان مصيره أن اعتقل فوراً. رافق الشهيد يحيى عياش وكلف من قبل القائد العام محمد الضيف بمهمة الثأر لاستشهاده. انتقل للضفة الغربية فخطط وجهز لثلاث عمليات استشهادية ضخمة عرفت بعمليات "الثأر المقدس". أسس والشهيد محيي الدين الشريف خلية عسكرية لاختطاف جنود صهيونية. اعتقل مصاباً بعد اشتباكه مع حاجز صهيوني مفاجئ في مدينة الخليل يوم 1996/5/17، وحكم بالسجن لمدة 48 مؤبداً وعشرين عاماً. يعيش معظم حياته في السجن في العزل الانفرادي.

وجددها كذلك ولداي الحبيبان محمد الرشق، ونزار رمضان[56]، من تِل قضاء نابلس مرة أخرى، ونجحا في الفرار في عملية جريئة تحتاج إلى إخراج سينمائي... لكن هذه ليست من تحت الأرض... وإنما هي بالحبال، بعدما جدلاها داخل السجن وربطا بها خطافاً، ورميا بها إلى سور السجن مع ساعة الإفطار، في رمضان سنة 2002، وانطلقا بسرعة مشياً على الحبال، واكتشف الأمر وطوردا حتى وصلا إلى شاطئ البحر، حيث اعتقلا وعُزلا، وهما من خيرة من أحببت من إخواني.

استشهاد المهندس الأول:

بتاريخ 1995/11/4 قُتل رابين، وكانت أمنيته أن يغتال المجاهد المهندس (أبا البراء) يحيى عياش رضي الله عنه قُتل رابين وبخاطره قتل يحيى. ولكن هيهات، فيحيى الذي دَوخهم بعملياته وزعزع أمنهم، ودبّ الذعر في مجتمعاتهم، وحرم عليهم أن يركبوا الحافلات... فرض عليهم منع التجول، وينام أحدهم وهو فزع، ويمشي وهو فزع، ويركب الحافلة وهو فزع، وخيّم عليهم الموت قبل أن يموتوا، وهم أحرص الناس على حياة.

وبعد مقتل رابين بشهرين على التمام، استشهد يحيى عياش بتاريخ 1996/1/5، بعد مطاردة طويلة؛ ابتدأت من قريته رافات قضاء سلفيت، ومحيطها، فنابلس وقراها، ورام الله وقراها، وبيت لحم وقراها، والخليل وقراها، ونجح في الوصول إلى غزة. واحتضنته غزة من شمالها لجنوبها، وتتلمذ على يديه رجال منهم عبد الناصر عيسى، وحسين هاني السرطاوي، والشهيدان صالح تلاحمة[57]، وحسنين رمانة[58]، وآخرون لا أعرفهم.

---

[56] **نزار محمد رمضان (1975–):** ولد في قرية تِل قضاء نابلس. حاصل على دبلوم الشريعة من الكلية التطبيقية في غزة. ناشط قسامي نفذ عملية قرب مستوطنة يتسهار في أيلول/ سبتمبر 1998. اعتقل في 1998/10/20 وحكم عليه بالسجن مؤبّدين وعشرين عاماً. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18 وأبعد إلى قطر.

[57] **صالح محمود التلاحمة (1966–2003):** ولد في قرية البرج أحد قرى قضاء الخليل، تخرج من كلية الهندسة في جامعة بيرزيت سنة 1993 وزامل فيها الشهيد يحيى عياش. متزوج وله خمسة أبناء. اعتقل في سجون الاحتلال الصهيوني سنة 1993، وفي سجون السلطة الفلسطينية سنة 1996. خرج من سجون السلطة بعد انطلاق انتفاضة الأقصى، ونشط في كتائب القسام وعمل مع الشهداء يحيى عياش وعادل وعماد عوض الله. أسهم في تجهيز وإعداد عدد من عملياتها، استشهد وأخوه سيد الشيخ قاسم في اشتباك مسلح على أرض رام الله فجر 2003/12/1.

[58] **حسنين حمدي رمانة (1969–2003):** ولد في مخيم الأمعري قضاء رام الله، متزوج وأب لخمسة أبناء. إمام وخطيب مسجد أبو عبيدة في البيرة. شارك في فعاليات الانتفاضة الأولى وأصيب فيها. انتمى لحركة حماس وكان له دور قيادي في كتائب القسام، ومسؤول عن عدد من العمليات ضدّ الاحتلال الصهيوني، اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال وفي سجون السلطة الفلسطينية لنشاطه هذا. بعد اندلاع انتفاضة الأقصى وخروجه من سجن السلطة طورد للاحتلال إلى أن استشهد في 2003/12/1، بعد معركة مع قوات صهيونية حاصرت المبنى الذي تواجد فيه في مدينة رام الله وانتهت بنسف المبنى.

إنها مدرسة العياش ورائدها يحيى، الذي مَرَّغ أنف العدو في الوحل، وحطم كبرياءه، وزلزل الأرض من تحت أقدامه. ولئن ظنّ العدو أنه قد أتى على المقاومة باستشهاد يحيى، أو أوقف زحفها، فهو واهم، حتى وإن كانت ضربة موجعة؛ لأن هذه الأمة نضجت فلا تعرف إلا العطاء، ولأن هذه الأمة في أسوأ ظروفها ما عقمت، فالعطاء ديدنها، والدماء في سبيل الله ما أرخصها، وبها يعلو البناء، وتحيا الشعوب.

إن الشعوب لا تبعث فيها الحياة إلا بدماء أبنائها، وإن الدماء من يحيى هي المحيا، وإن هذه الضربة لن تمر بلا عقاب، فالثأر على الأبواب، وسيكون موجعاً ومزلزلاً. وجاء الثأر من المجاهد القسامي حسن سلامة، جاء الرد والثأر مزلزلاً ومجلجلاً. ونجح حسن في اجتياز الحدود، ما بين قطاع غزة والضفة الغربية، مروراً بالأرض المحتلة سنة 1948، وقد هرَّب معه ما استطاع من المتفجرات والعبوات الناسفة، وقام على نقلها إلى القدس والخليل. ورحبت به القدس والخليل وكل الضفة الغربية، واحتضنه القساميون ووجدوا فيه بغيتهم، وشكّلوا له شبكة أمان بقيادة الشهيد المجاهد عادل عوض الله. وكان عادل حريصاً كل الحرص، كما ذكر لي، على سلامة حسن سلامة وأمنه. ومن الذين قاموا على أمنه وإيوائه الحاج رزق الرجوب، وهو نِعم المجاهد، ونوّارة آل الرجوب، كما سبق أن قلت ذلك للشيخ نايف الرجوب.

جاء حسن إلى القدس، والتقى المجاهدين من كتائب القسام أيمن الرازم[59]، وأكرم القواسمي[60]، وسامي أبو الحلاوة، ومأمون الرازم؛ هؤلاء جميعاً شكلوا دعماً لوجستياً للمجاهد حسن، ورصدوا له المواقع، واختار لهم القسامي محمد أبو وردة[61]

---

[59] **محمد أيمن نظمي الرازم (1972–):** ولد في القدس. تجند وأكرم القواسمي في كتائب القسام كـ"خلية نائمة". تمّ تفعيلها إثر القرار بمغادرة الأسير حسن سلامة قطاع غزة للرد على اغتيال المهندس يحيى عياش، وقدمت دعماً لوجيستياً للمجاهد سلامة في عمليات "الثأر المقدس" وهو من أوصل الاستشهادي مجدي أبو وردة لهدفه في الباص رقم 18 في القدس المحتلة. اعتقل يوم 1996/3/26، وحكم عليه بالسجن المؤبد مرتين. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18، وأبعد إلى دمشق.

[60] **أكرم إبراهيم القواسمي (1974–):** ولد في القدس، تجند وأيمن الرازم في كتائب القسام كـ"خلية نائمة". تمّ تفعيلها إثر القرار بمغادرة الأسير حسن سلامة قطاع غزة للرد على اغتيال المهندس يحيى عياش، وقدمت دعماً لوجستياً للمجاهد سلامة في عمليات "الثأر المقدس"، وهو من أوصل الاستشهادي إبراهيم السراحنة إلى هدفه في عسقلان. اعتقل في 1996/3/28، وحكم عليه بالسجن المؤبد مرتين.

[61] **محمد عطية أبو وردة (1976–):** ولد في مخيم الفوار جنوب الخليل لعائلة هجرت سنة 1948 من قرية عراق المنشية. التحق في كلية التربية بمعهد المعلمين في مدينة رام الله، وترأس الكتلة الإسلامية في المعهد. جند استشهاديو "الثأر المقدس" محمد أبو وردة، وإبراهيم السراحنة، ورائد الشغنوبي. اعتقل في سجون السلطة إثر عملية الشهيد رائد، وكان ذلك يوم 1996/3/4. وبعد التحقيق قضى ما يزيد على الخمس سنوات في سجونها إلى أن خرج مطلع انتفاضة الأقصى. تزوج في سنة 2002 وعاش وزوجته مطاردين إلى أن اعتقل يوم 2002/11/4، وحكم بالسجن المؤبد 48 مرة. ولد ابنه حمزة بعد اعتقال والده. اعتقلت زوجته نورة الجعبري في 2012/10/13، وأطلق سراحها في 2013/12/28.

الاستشهاديين الذين انتظروا هذه اللحظة طويلاً، وتحققت لهم أمانيهم، ففازوا بالشهادة، وهم مجدي أبو وردة[62]، وإبراهيم السراحنة[63]، ورائد الشغنوبي[64]، وموسى غنيمات[65]. وعلى أثر هذه الضربات الموجعة، قامت قيامة الصهاينة، وألّب شمعون بيريز العالم على حربنا، واجتمع في شرم الشيخ أكثر من 30 دولة في مواجهة مع حماس، لتجفيف مواردها المالية، وشنوا حرباً على كل البنوك التي تتعامل معها. وقاموا بحملة اعتقالات في صفوفها شاركت فيها سلطة أوسلو الفلسطينية. وتعرض رجالنا للتعذيب بما لا يطاق، وأقعدوهم على "القناني" ونتفوا منهم الحواجب واللحى. وكان يقود جهازي الأمن الوقائي في الضفة والقطاع حينذاك: جبريل الرجوب ومحمد دحلان.

يقول المجاهد القسامي أيمن الرازم (فرج الله كربه في صفقة وفاء الأحرار): لمّا قررنا الانتقام للشهيد المهندس يحيى عياش، قال الإخوة ومنهم حسن سلامة: أين الهدف؟ قلت لهم: باص رقم 12 في الساعة السادسة صباحاً، حيث يكون الجنود في طريقهم إلى ثكناتهم، فكان، وكان الثأر بالغاً. ولما جهزنا للعملية الثانية، قالوا: أين؟ قلت لهم: بإصرار وتحدٍّ بالغين في الباص نفسه، وعلى الخط نفسه، وأخذت الاستشهادي حتى ركب في الباص، وكان الرد مدوياً وموجعاً وصاعقاً.

ولما نفذ الشهيد إبراهيم السراحنة عمليته في محطة للجنود، بالقرب من سجن عسقلان، وقد سمعنا صوت الانفجار من بعيد، يقول المجاهد القسامي أكرم القواسمي:

---

[62] **مجدي محمد أبو وردة (1977–1996):** ولد في مخيم الفوار جنوب الخليل لعائلة هجرت سنة 1948 من قرية عراق المنشية. فجر نفسه في عملية استشهادية استهدفت الباص رقم 18 في القدس المحتلة، جاءت ضمن سلسلة من العمليات التي جاءت للرد على استشهاد المهندس يحيى عياش "الثأر المقدس"، وكان ذلك يوم 1996/2/25.

[63] **إبراهيم أحمد السراحنة (1971–1996):** ولد في مخيم الفوار جنوب الخليل، اعتقل لنشاطه في حركة حماس، فجر نفسه في عملية استهدفت تجمعاً لجنود صهاينة في عسقلان ضمن سلسلة من العمليات جاءت للرد على استشهاد المهندس يحيى عياش "الثأر المقدس"، وكان ذلك يوم 1996/2/25.

[64] **رائد عبد الكريم شغنوبي (1979–1996):** ولد في قرية برقة شمال مدينة نابلس، والتحق بدار المعلمين في مدينة رام الله ونشط في كتلتها الإسلامية. فجر نفسه في عملية استشهادية استهدفت الباص رقم 18 في القدس المحتلة الذي سبق للكتائب أن استهدفته بتفجير آخر قبل أسبوع. وجاءت العملية ضمن سلسلة من العمليات جاءت للرد على استشهاد المهندس يحيى عياش "الثأر المقدس"، وكان ذلك يوم 1996/3/3.

[65] **موسى عبد القادر غنيمات (1969–1997):** ولد في قرية صوريف قضاء الخليل، متزوج وله أربعة أولاد. انتمى إلى خلية صوريف، إحدى خلايا كتائب القسام، وشارك في عدد من عمليات الخلية وأبرزها اختطاف الجندي شارون إدري Sharon Edri، الذي أُخفيت جثته شهوراً طويلة، إلى أن استطاع جهاز الأمن الوقائي الفلسطيني الكشف عن مكان تواجده وتسليمه للاحتلال مجاناً. استشهد بعد انفجار عبوة أراد تفجيرها في مطعم صهيوني في تل أبيب، وجرح عدد كبير من الصهاينة نتيجة الانفجار يوم 1997/3/21.

ونحن في الطريق إلى مكان العملية، وإبراهيم يقول لي: أسرع لا أريد للشهيد مجدي أبو وردة أن يسبقني إلى الجنة؛ ولأن ميعادها في الساعة نفسها من الصباح.

الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين سنة 1997:

بعد صلاة الصبح بقليل، وإذا بالأخ أبو درويش الأسطة ينادي من غرفة 8 المجاورة علينا: هل سمعتم الخبر؟ وواصل حديثه: لقد تمّ الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين، الحمد لله. وكيف تمّ ذلك؟ وبدون سابق إنذار. وتوجه الناس للأخبار، وتابعوا أحداث الصفقة خبراً خبراً، وعلم الأسرى أن محاولة فاشلة قام بها الموساد لاغتيال المجاهد خالد مشعل، رئيس المكتب السياسي لحماس، وأن المحاولة عن طريق حقنه بمادة سامة من خلال جهاز خاص. ونجح الحارس الشخصي لأبي الوليد أن يلحق باثنين من رجال الموساد ويشتبك معهما، ومع حضور شرطة من الأمن الأردني، اعتقل الجميع، وتبين تورط الموساد في ذلك. وعلم الملك حسين بحقيقة الأمور، وأن ما جرى على الأراضي الأردنية، بعد الصلح الذي تمّ بين الدولتين، لم تحترمه "إسرائيل"، ومتى احترمت "إسرائيل" عهداً؟ فقامت قيامة الملك، ولجأ الأفراد الباقون من خلية الموساد إلى السفارة الإسرائيلية وحوصروا هناك. ودخل على الخط أريل شارون Ariel Sharon، بأمر من رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو Benjamin Netanyahu، وجاء للبلاط الملكي لحل الأزمة. واستعدت "إسرائيل"، بعرض منها، مقابل الإفراج عن رجال الموساد أن تفرج عن الشيخ أحمد ياسين، لكن أصر الملك إلى جانب ذلك أن يحضر الترياق أو المضاد الحيوي للسم، وفعلاً حصل الملك على ما يريد.

المهم خرج الشيخ ياسين من السجن بطريقة مشرفة، لأنه قال من قبل: لو ساوموني على أكل شريحة من البطيخ مقابل أن أخرج لما قبلت، والحمد لله الذي أعزه.

خرج الشيخ على متن طائرة عسكرية أردنية، وبصحبته مرافقه المجاهد رائد البلبول، من بيت لحم. واستقبله الملك حسين في المطار، ونقل إلى مستشفى المدينة الطبية الملكية، وعولج هناك، وعلى سرير آخر كان يعالج أبو الوليد خالد مشعل، وخرج هذا بسبب هذا، وسبحان الله العظيم. وجاءه الرئيس عرفات زائراً ومهنئاً بسلامته. وبعد أن أُجريت للشيخ ياسين الفحوص الطبية وتماثل للشفاء، وغادر الأردن إلى أكثر من عاصمة عربية وإلى إيران، واستقبل العالم الجليل، والمجاهد الكبير، والمؤسس

لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، استقبالاً يليق بمقامه، وحظي المجاهد، الذي سخر من الاحتلال واستعلى عليه، باحترام كبير في جميع الدول التي زارها.

ويقول داني ياتوم Danny Yatom الذي رأس الموساد سابقاً، وأصبح عضواً في الكنيست الإسرائيلي عن حزب العمل Labor Party، لو أن الملك حسين أصر على جميع مَنْ في السجون، مقابل رجال الموساد لخضعنا لطلبه. ولكن كما يقولون: "حسابات القرايا مِشْ زَيّ [ليست مثل] حسابات السرايا"، وكان داني ياتوم هذا قد اسودّ وجهه بسبب عملته هذه، ورفض الملك استقباله طيلة تلك الفترة.

مشكلة عند فتح:

الساحة الاعتقالية لا تخلو من المشكلات، ولكن من خلال الأيام الطويلة يتأقلم السجناء، وتتروض النفوس على استيعاب بعضها بعضاً، ومع وجود نظام العقوبات، واللائحة الداخلية التي تحكم العلاقات. ومن خلال المتابعة الإدارية، تبقى المشكلات محاصرة؛ لأن كثرة المشكلات في السجن تتعب الأعصاب، والسجين مع الزمن أهم ضروریاته الهدوء.

والتنظيمات داخل السجن مزيج من أبناء الوطن، وأبناء المناطق تجمعهم القرابة والبلديات، وكلٌ يحن إلى محيطه؛ فأبناء القدس تجمعهم عاطفة القدس، وعلى الخصوص أبناء التنظيم الواحد. ولأبناء القدس، برمزيتها، خصوصية مع عاطفة الانتماء للقدس، لم أجدها بين أبناء المناطق الأخرى.

شباب حماس مع العاطفة التي بينهم، بدافع الأخوة الإيمانية والانتماء للقدس، علاقتهم مع أبناء القدس من التنظيمات الأخرى، يظللها الانسجام، فأبناء فتح، وحماس، والجبهة الشعبية، والديمقراطية، من أبناء القدس، يتفاعلون فيما بينهم كأنهم أبناء تنظيم واحد... فعلاً هو تنظيم القدس... وبينهم عاطفة تقوم على الاحترام. هذا ما عشته، وأبناء فتح من القدس ينظرون إلَيّ كوالد لهم، وما انقطع التفاعل بيننا في معظم الأحيان، نحن نشكل عامل تهدئة في السجن.

وحتى أُنصف البقية من المناطق الأخرى: رام الله، والخليل، وجنين، ونابلس، فالاحترام موجود والعمل من أجل الجميع يقدره السجناء. وقد نضجت السجون بعد عهد من التعبئة الخاطئة، وزالت الحواجز التي افتعلتها الجاهلية التنظيمية، والتعصب التنظيمي الممقوت.

فيما سبق، لا يمكن لشاب من فتح، أو أيّ فصيل آخر، أن يترك العيش مع تنظيمه إلى العيش عند حماس على الخصوص، إلا بعد مشكلات تصل إلى العراك والضرب، أما اليوم، فالحرية في الاختيار قائمة على الاحترام. ومن حماس في السنوات الأخيرة من تركها وذهب إلى فتح، والناس أحرار في هذا، واتركوهم لفطرتهم، وقد قال الله سبحانه في حرية الاعتقاد: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[66]، ولا يضبط هذا المزاج إلا الولاء.

أتيت بهذه المقدمة؛ لأن ظروف السجن عجيبة وتقلباته مزاجية، وفي السجن "شللية" وبلديات. فأهل نابلس داخل السجون يتميزون بالشللية، وقد يشكلون تنظيماً داخل التنظيم، هذا عند الإخوة في فتح، وتثور المشكلات على هذه الخلفية. حتى خارج السجن أيام الثورة الفلسطينية في سورية ولبنان، ثارت النعرة بين خليلي ونابلسي، واحتكموا للسلاح في معسكرات الثورة.

ولافتقار فتح لأيديولوجية، تجمع الناس على أصولها، كما هو العكس عندنا في بنياننا على العقيدة الإسلامية، وعند الجبهة الشعبية التي تقوم على الفكر الماركسي فقلما تجد مشكلات؛ لأن لكلا الفكرتين أثراً في تربية النفوس وضبط السلوك.

أما فتح، فقد حصلت مشكلة في ساحة السجن في عسقلان بين ثلاث من البلديات، سببها أن التنظيم استدعى شاباً من القدس، واسمه واصف اللو، إلى مكتبة السجن، لمراجعته على خلفية مشكلات داخلية، من ورائها المزاج البلدي. وفي المكتبة، اجتمع عليه أفراد باسم التنظيم من رام الله وجنين، فاعتدوا عليه بدلاً من المراجعة، وأوجعوه ضرباً، رسالة إلى شباب القدس في التنظيم أن كل من يخرج على التنظيم فهذا هو مصيره.

ولما خرج الأخ واصف من المكتبة مضروباً، انتصر له شباب القدس من فتح كذلك، وهم من دفعوا بواصف أن يجلس إلى التنظيم، وفي ظنهم أن الأمر لا يتعدى المراجعة الكلامية، وأنه لن يخرج إلى الضرب. فتفاجأوا بذلك، فعلت الأصوات في الساحة، واختلطت الأوراق، وتشابك الفريقان بالأيدي، فمنهم من كسرت يده، ومنهم كسر فكه، بقبضة يد من (أبي إياد) صب لبن، واستمر العراك نحو ربع ساعة، وإدارة السجن تتفرج دون أن تطلق صفارات الإنذار، أو تعلن حالة الطوارئ. فنادى مَنْ في الساحة على الشيخ أن ينزل، فطلبتُ من إدارة السجن أن أنزل من غرفتي للساحة. ومَنْ في

[66] **القرآن الكريم**، سورة البقرة، آية 256.

الساحة طلبوا من المدير أن أنزل إليهم. وفعلاً نزلت إلى الساحة، وطلبتُ من مدير السجن أن يعطيني فرصة للتحرك بين الغرف والأقسام، وهدأنا من روع الناس، وقد انحاز الجميع إلى الهدوء. لكن المشكلة أن شباب القدس موزعون في سكنهم على عدة غرف، فيها إخوة من رام الله وجنين. فذهبت إلى الأخ (أبي الناجي) عثمان مصلح، وهو ممثل المعتقل وموجه عام فتح، وإلى مَنْ معه من قيادة التنظيم، وأخذت عليهم أن يتركوا لي فرصة للحل والصلح، فوافق الإخوة مشكورين. وقد صمموا على رحيل شباب القدس من السجن، وبالطبع بطلب من إدارة السجن، لكن قلت لهم: حلّ المشكلة أولاً، وطردهم من السجن لا يحل المشكلة؛ لأنها ترحيل للمشكلة، وستُفجر الأوضاع في سجون أخرى. وفعلاً، تروووا في ذلك، وأتيت بشباب القدس من فتح إلى غرفة رقم 2، بعد أن أخليتها من شباب حماس، إلى حين انتهاء المشكلة، حتى لا يبقى احتكاك داخل الغرف. وشكلنا لجنة تحكيم، وأصر تنظيم فتح على عقابهم، وأبدى شباب القدس موافقتهم على أي إجراء تنظيمي، وقبلوا العقوبة. وفي تقديري أن من وراء العقوبة كسراً لمعنويات هؤلاء الشباب، وهم رجال فيهم أحكام عالية ومؤبدات، منهم: يوسف الخالص، وأبو إياد صب لبن، ومازن علوي، وفواز بختان، وانتماؤهم للقدس ووطنيتهم لا يزايد أحدٌ عليها. ولم يكتفوا بعقوبة الجلد، بل أخرجوهم من ساحة السجن إلى غرفة خارجية، على طريق الترحيل من السجن، وتعاملوا معهم بالقطيعة. ولولا أنني كنت أزورهم يومياً، وأتضامن معهم في عزلتهم هذه، لكانت ظروفهم قاسية. وأخيراً رُحِّلوا، وقد جاءني قبل الرحيل عمال مطبخ من شبابنا فقالوا لي: مسؤول المطبخ، وهو من فتح، يريد أن يعاملهم كالمدنيين في الطعام، وأن يحرمهم من حقهم في اللحوم والدجاج، فقلت لعاملنا: اذهب إليه وقل له: إن حصتنا في الدجاج لهؤلاء الشبان، ولما وصلت الرسالة، تراجع مسؤول المطبخ.

صيام رمضان:

الصيام في السجن أو خارجه لذيذ، لكنه ألذ خارج السجن؛ لأنك مع أهلك وأبنائك وذويك من القربى والرحم. كما تعودنا على صيام رمضان مع آبائنا وأمهاتنا، فهذا جوّ يضفي شعوراً من الألفة والتراحم. أما الصيام داخل السجن، فمن الناس من ينتظرونه بشوق، ومنهم من هو ثقيل عليهم، ويودون لو يصومون رمضان خارج السجن، لكن هذا هو الموجود، من أين نأتيك برمضان خارج السجن؟

الصيام تنتظم فيه الحياة، ويخيم جوّ من الهدوء والسكينة، ويقوم السجناء لسحورهم، ومنهم من تكفيه تمرات مع الماء، ومنهم من لا تكفيه تمرات ولا "قعرات" في مصطلح المساجين، وعند الإفطار كذلك. لكنها أيام عامرة بقراءة القرآن والذكر والاستغفار، ويجلس الناس في الغرف لقراءة المأثورات قبل الإفطار، ويتناول الدعاء على مدار الشهر كل مَنْ في الغرفة على الدور. وتتميز العشر الأواخر من رمضان بإقبال شديد على النوافل، في الصلوات، والأدعية، وحتى الاعتكاف، فمنهم من يعتكف في سريره، وشعاره: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً﴾[67]. ويحيون ليلة السابع والعشرين، وهي ليلة القدر، ومن الناس من يحيي الليالي الوتر من العشر الأواخر... ومن الناس من يختم القرآن عن ظهر قلب ليلة السابع والعشرين وحدها، وقد تعوّد على ذلك.

يأتي العيد ويفرح السجناء بالعيد، والدعاء فيما بينهم: تقبل الله طاعتكم، والعيد القادم عند أهلك وفي بيتك وبين ذويك. ويصلي الناس صلاة العيد، ويخطبهم الإمام، وحسب كل خطيب، فمنهم من يرطب الأجواء، ويدخل الفرح والسرور على الناس، ومنهم مَنْ يُذيقهم ألم الفراق، ويثير فيهم الأحزان. وكان الأجدر به أن يبقي على العيد بهجته، حتى ولو كان داخل السجن.

أتت الأيام الستة من شوال بعد عيد الفطر، وجاء دور صيامها في غرفٍ كاملة، إلا أن بعض الغرف كانوا يقصرونها على صيام الإثنين والخميس، ومن الناس كالأخ حافظ الدبل من غزة، وأصوله تعود ليافا يقول: رمضان وعرفة ولا أزيد.

في رمضان يقل التفتيش (تفتيش إدارة السجن للغرف كإجراء يومي أو أسبوعي)، والإدارة أحياناً تُراعي فريضة الصيام، ومنهم من يحترمها... والتقيت مدير السجن، وبيني وبينه احترام، كان يصوم الإثنين أو الخميس، واسمه سمحون.

أما بعد رمضان، فتعود الممارسة الشرسة من الإدارة إلى سيرتها الأولى، من التفتيش وقلة المراعاة. ومرة دخلوا علينا ونحن صيام في الأيام الستة، وقاد الحملة ضابط برتبة رائد واسمه خطيبي، وفوجئنا به مع الصباح في الغرفة، وهي غرفة 9 قسم (2) فقلت له: نعم يا خطيبي، فقال: تفتيش، فقلت له: ارجع من حيث أتيت، فنحن صائمون، فقال:

[67] **القرآن الكريم**، سورة مريم، آية 26.

انتهى رمضان، قلت: نعم، ولكن هذه الأيام تابعة لرمضان، ومتى انتهينا من صيامها تأتي للتفتيش، وغُلب على أمره ورجع.

سلطان وأبو الحسن هدوان:

وفي هذه الغرفة، كان معنا من نحسبهُ شهيداً عند الله الحاج محمد حسن أبو هدوان، رحمه الله، وهو من القدس، فقد كان فتحاوياً فتركها ولحق بنا. أما أبناء مجموعته، فقد أفرج عنهم مع حُسن نوايا "إسرائيل" للسلطة الفلسطينية، وأما هو، فلم يحالفه الحظ عقاباً له؛ لأنه اختار حماس، فلبث في السجن إلى أن قضى شهيداً، إثر نوبة قلبية في مستشفى سجن الرملة، وما هو بمستشفى، بل الداخل إليه إن كان معافى يمرض، فما بالك بالمريض. وهذا ما حصل مع الحاج أبو هدوان، ذهب إلى المستشفى ومعه ضيق في التنفس، رحمه الله، وهو محبوب ومرح وصاحب نكتة، وكان يحب زوجته أم حسن حباً عجيباً، ويكتب فيها الأشعار. وإذا ما التقى مع سلطان العجلوني في المستشفى، يقول له: لو عصرتك يا سلطان، لأخرجت منك أرطالاً من "المكر". والحبيب المجاهد سلطان دخل دورية، وهو في السادسة عشرة من عمره، من الأردن إلى فلسطين، وقتل بمسدسه جندياً إسرائيلياً في خندقه، وأخذ بندقيته، وهو يجهل كيفية استعمالها. وأُلقيَ القبض عليه، وأودع السجن ليقضي حكماً مؤبداً، ثمّ يشاء الله أن يخرج في إطار صفقة مع الحكومة الأردنية، ويودع في السجون الأردنية إلى حين، وهو عند كتابة هذه السطور يقدم برنامجاً عن الأسرى على فضائية "القدس"، واستفاد من ظروف السجن، وتعلم في الجامعة العبرية، وحصل على الماجستير في العلوم السياسية.

وقصة الحاج أبو هدوان مع فتح فهي كما وردت في بيان خرج من السجن تحت شعار الآية: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[68] وكان ذلك بتاريخ 1990/5/1، وجاء بعد مقدمة البيان ما يلي:

> وهذه المواقف الجهادية الإسلامية، لم ترق للزمرة الباغية المتسلطة في تنظيم "فتح"، في معتقل نفحة الصحراوي، الذي كنّا نمضي فيه أحكامنا، وأضحى هذا الأمر الشغل الشاغل لهذه الزمرة الظالمة، فبدأت تضيق الخناق حول رقابنا، محاولة بشتى الطرق والوسائل الخسيسة، فتنتنا عن ديننا ومنهاجنا. وكان آخر هذه الممارسات الحاقدة: أن قامت هذه الزمرة المجرمة،

[68] **القرآن الكريم**، سورة البروج، آية 8.

بإخضاع الأخ المجاهد محمد حسن أبو هدوان، الذي يمضي حكماً بالسجن مدى الحياة لأعماله البطولية، إلى عملية حقيرة، بهدف كسر شوكة الإسلام ومجاهديه في معتقل نفحة. وكان هدفهم كذلك، معرفة قيادة وأعضاء العُصبة المؤمنة المجاهدة الصابرة، المقاومة لنهج الاستسلام والذل والعار. وقد استخدمت هذه الزمرة كل الأساليب الخسيسة، مع الأخ المجاهد، وهددوا بقتله وتشويه سمعته واتهامه بالخيانة، إذا لم يعطهم المعلومات الكاملة عن المجموعة الإسلامية في المعتقل، (داخل التنظيم/ فتح). وأمام هذا كلّه، فضل الأخ المجاهد الخروج من بين أنيابهم القذرة، ولم يتحمل ظلم ذوي القربى أدعياء الوطنية والثورية، ولم يكن أمامنا جميعاً سوى خيار واحد، بعد أن استنفدنا كافة الخيارات، ومنها توسيط الفصائل الأخرى الموجودة في المعتقل، كالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والتي قامت بدور رائع تُشكر عليه، ولكن للأسف دون جدوى أمام صلف الزمرة المتغطرسة من فتح. وكان الخيار صعباً لكنّه أهون الشرين، ألا وهو الخروج من هذه القرية الظالم أهلها، متضامنين مع الأخ المجاهد محمد حسن أبو هدوان، رافعين رؤوسنا عالياً، مفضلين المواجهة مع أعداء الله الصهاينة، على المواجهة التي تريد الزمرة الحاقدة من فتح جرنا إليها، وكان ذلك يوم السبت 26 رمضان 1410هـ الموافق 21 نيسان/ أبريل 1990م. وقد تضامن معنا في الخروج الإخوة في حركة فتح الانتفاضة (علاء الدين البازيان، ومنذر البازيان، وعصام جندل، وخالد أبو زيد)، ولم تنته معاناتنا، بل بدأت معركتنا مع إدارة السجون المتواطئة، مع هذه الزمرة أو المنفذة لرغبة هذه الزمرة؛ لكونها أكثرية في السجون، فنقلنا إلى زنازين العزل الانفرادي في "سجن بئر السبع"، بشكل استفزازي مهين، من قوات القمع الصهيونية. وبدأنا بإضرابنا ضدّ هذه الظروف السيئة لعدة أيام، حتى نقلنا أخيراً إلى "سجن عسقلان" في 1990/4/29م، ولا زلنا نعاني العزلة في غرفة من غرف أقسامه... العزلة التامة عن إخواننا المناضلين.

يا أبناء شعبنا المسلم المرابط المجاهد: نعاهد الله عز وجل، ونعاهدكم أن نبقى أوفياء لعهودنا وولائنا لله، مجاهدين في سبيله، غايتنا النصر أو الشهادة.

التوقيع: إخوتكم:

1- إبراهيم مصطفى بارود الحكم 27 سنة.
2- سالم سلامة العجرمي الحكم 14 سنة.

3- منذر يوسف النمري الحكم 13 سنة.
4- حسن علي سلمة الحكم مؤبد.
5- محمد حسن أبو هدوان الحكم مؤبد.
6- سفيان عيسى المغربي الحكم 15 سنة.
7- عماد طه النمري الحكم 10 سنوات.
8- هاني بدوي جابر الحكم مؤبد.
9- محمد عبد الحميد الجولاني الحكم 13 سنة.
10- محمود علي عويسات الحكم 12 سنة.
11- خليفة الصغير المبروك الحكم 20 سنة.
12- جهاد عواد أبو جريدة الحكم 9 سنوات.
13- خالد عمر أبو زيد الحكم 7 سنوات.
14- علاء الدين البازيان الحكم مؤبد.
15- عصام داود جندل الحكم مؤبد.
16- بلال شريف السيد الحكم 30 سنة.

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[69]

وعودة إلى الحاج أبو حسن هدوان، كان معنا في الغرفة، وكان يعبّ الدخان عبّاً، وهذا بحد ذاته يضر بصحة السليم، فكيف بمن يعاني من ضيق في التنفس؟ رحم الله الحاج، نصحناه لكن دون جدوى. ففي ليلة من الليالي، ونحن نيام والغرفة كبيرة، وفيها 20 رجلاً، وإذا بالحاج عند الساعة الواحدة ليلاً، يدخل إلى دورة المياه ويشعل سيجارة... وهذا ممنوع عليه وعلى غيره، من العاشرة مساءً وحتى السابعة صباحاً. وما إن قدح قداحته وأشعل سيجارته، حتى استيقظت من نومي فذهبت إليه وهو في دورة المياه، وقلت له مع المفاجأة: أطفئها، فأطفأها، رحمه الله.

أنا من أبنائه بحكم السن، لكنني أحبه ويحبني كثيراً، وكان يرددها أنت قائدي. وكنت ألاعبه الشطرنج، ويضيق صدراً إذا أخذت فرصتي في التفكير، أنا أحب أن أستمتع وهو يريد أن يكسرها كسراً، رحمه الله. وكانت أمنيته أن يجتمع بأم الحسن خارج هذه الأسوار الظالمة.

[69] **القرآن الكريم**، سورة يوسف، آية 21.

الفصل التاسع

مع القسام من السجن نواصل

مع القسام من السجن نواصل

إن ظروف العمل العسكري، بالنجاحات والإخفاقات... كان للسجون حضور في صياغتها، فقد عمل المجاهدون من داخل السجون على تفعيل العمل العسكري. ومعظم من لهم بصمات على العمل الجهادي هم خريجو مدرسة السجون، فالمجاهدون علي علان[1]، وأيمن حلاوة[2]، ومحيي الدين الشريف، وأمثالهم كُثُر، دخلوا السجن لفترات قصيرة، فكان عَطاؤهم بلا حدود. ومعظم من دخلوا السجون أخذوا على عاتقهم مواصلة الطريق مهما كانت التضحيات... وما السجن إلا محطة للزاد في هذا الصراع.

وكان لنا تواصل مع الداخل والخارج، فالشهيد أبو الفداء كان تواصله مفتوحاً مع المتفرغين لهذا العمل، مع زهير فرّاح، وعبد المنعم أبو حميد، ومحيي الدين الشريف، وكذلك الإخوة في مجموعة صوريف، التي سلمها الأمن الوقائي الفلسطيني للاحتلال سنة 1996، وهم جنرالات في الحرب، منهم: عبد الرحمن غنيمات[3]،

---

[1] **علي موسى علان (1975–2003):** ولد في مخيم عايدة – بيت لحم لأسرة هجرت من قرية المالحة سنة 1948. متزوج وله طفل. اعتقل في سجون الاحتلال سنة 1994، واعتقل في سجون السلطة بعد إصابته في تفجير استهدفه والشهيد أيمن حلاوة، وخرج بعد الاجتياح الصهيوني لمدينة نابلس سنة 2002. أسهم في إعادة تأسيس كتائب القسام في الجنوب بعد اندلاع انتفاضة الأقصى، نجا من عدة محاولات اغتيال. أسهم في إخراج عدد من العمليات ضدّ الاحتلال الصهيوني خرجت من منطقة نابلس والخليل. استشهد في اشتباك مسلح في 2003/3/18 بعد محاصرته في قرية مراح رباح بالقرب من بيت لحم.

[2] **أيمن عدنان حلاوة (1974–2001):** ولد الشهيد سنة 1974 في نابلس، ودرس الهندسة الكهربائية في جامعة بيرزيت. اعتقلته السلطة الفلسطينية سنة 1998 لمسؤوليته عن إدارة مصنع متفجرات ضخم في نابلس. لقب بالمهندس الثالث في كتائب القسام، وكان له دور بارز في إعادة بناء خلايا القسام في الضفة بعد انطلاقة انتفاضة الأقصى وفي عدد من عملياتها. درب عدداً من مهندسي القسام أبرزهم الأسير عبد الله البرغوثي. اغتيل يوم 2001/10/22 في تفجير سيارة مفخخة استهدفته والشهيد علي علان.

[3] **عبد الرحمن إسماعيل غنيمات (1972–):** ولد في قرية صوريف قضاء الخليل، أسس وجمال الهور وأيمن قفيشة خلية قسامية خلال وجودهم في سجن الظاهرية. بعد خروجهم من السجن وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 1995 بدأت الخلية عملياتها والتي استمرت إلى آذار/ مارس 1997 عندما استشهد موسى غنيمات أحد أعضاء الخلية، حيث لاحق الصهاينة بالتعاون مع أجهزة السلطة الفلسطينية الخلية، بعد أن تمكنت من قتل ثمانية صهاينة واختطاف جندي صهيوني في 1996/9/9 وإخفائه، إلى أن اكتشفت السلطة الفلسطينية أمره في نيسان/ أبريل 1997 وسلمته للاحتلال بدون ثمن، وأتبعته بتسليم غنيمات والهور إلى الاحتلال ليحكم عليه بالسجن خمسة مؤبدات وعشرين عاماً. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18، وأبعد إلى تركيا.
أيمن محمد قفيشة (1970–): ولد في مدينة الخليل، متزوج وأب لطفلة. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني وأسهم في تأسيس خلية صوريف مع إخوانه عبد الرحمن غنيمات وجمال الهور في أثناء وجودهم في سجن الظاهرية. شارك في عدد من عمليات الخلية، واعتقل يوم 1997/4/5. حكم بالسجن 35 عاماً. ألّف عدداً من الكتب في أثناء وجوده في السجن. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18 وأبعد إلى قطاع غزة. انظر: أيمن قفيشة، **الإعداد القيادي بين سورتي يوسف والقصص للأسير أيمن قفيشة** (دمشق: مؤسسة فلسطين للثقافة، 2011).

وجمال الهور[4]، ورائد أبو حمدية[5]، وإبراهيم غنيمات (أبو فادي)[6]. ولقد كانت هذه المجموعة تصول وتجول داخل الأرض المحتلة، وتأسر جنوداً وتقتل آخرين، ومنها الشهيد موسى غنيمات. وهذه المجموعة هي مَنْ أسرت الجندي الإسرائيلي شارون إدري Sharon Edri، وكان الشهيد أبو الفداء يبعث إليَّ برسائل يستثني فيها البسملة، ويبتدئها بتحية حمراء من باب التمويه على أنها رسالة من الجبهة الشعبية في الخارج إلى قيادة الجبهة في السجن، وحتى لا تدل على أثر من القسام إن وقعت في يد العدو. وتبنت الجبهة الشعبية أعمال هذه المجموعة، وكثرت الاعتقالات في صفوفها، ظناً من الصهاينة أنهم من وراء ذلك، وتبين فيما بعد أن هذا النجاح، وهذه العمليات، كان من ورائها مجموعة صوريف القسامية. وبعث إليَّ أبو الفداء برسالة فيها عتاب للأخ حسن سلامة، بعد اعتقاله ووصوله إلينا، ويلومه على تقصيره، على صعيد أمنه وتحركاته، ذكر فيها أنَّ: حسن "فعفوط". وجلست وحسن، وقلت له: "يا فَعفوط"، فرد عليَّ حسن بوجهه الطلق، والذي تغلب عليه البسمة والبراءة، وقال لي: هذه الكلمة سمعتها!! ممن سمعتها يا حسن؟! قلت له: لا بأس عليك، ولكن اهدأ، فشغلُك محروق، وإدارةُ السجن عينُها عليك، ومديرُها شكا من تصرفاتك، وعند الإدارة مَنْ ينقل أخبارك، ونحن إخوانك ولا نريد لك العزل. نريدك أن تبقى بيننا، وتعهدت للمدير أن أحافظ عليك، بشرط أن تتوقف عن نقل المعلومات إلى مَنْ حولك، وما تقوم به أولاً بأول يصل إلى إدارة السجن. فوعد خيراً، ورجع إلى قسمه. ولكن هيهات أن يهدأ، ففي داخله بركان، إنه "فعفوط"، ويريد أن يُعلّم مَنْ في السجن على تصنيع المتفجرات، ولكن حسن عُزِل بعدها.

---

[4] **جمال عبد الفتاح الهور (1970–):** ولد في قرية صوريف قضاء الخليل، متزوج وأب لولدين. أسس وعبد الرحمن غنيمات وأيمن قفيشة خلية قسامية خلال وجودهم في سجن الظاهرية. بعد خروجهم من السجن وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 1995 بدأت الخلية عملياتها والتي استمرت إلى آذار/ مارس 1997، عندما استشهد موسى غنيمات أحد أعضاء الخلية؛ حيث لاحق الصهاينة بالتعاون مع أجهزة السلطة الفلسطينية الخلية بعد أن تمكنت من قتل ثمانية صهاينة واختطاف جندي صهيوني، في 1996/9/9، وإخفائه إلى أن اكتشفت السلطة الفلسطينية أمره في نيسان/ أبريل 1997 وسلمته للاحتلال بدون ثمن، وأتبعته بتسليم الهور وغنيمات إلى الاحتلال ليحكم عليه بالسجن خمسة مؤبدات و18 عاماً. انتخب الهور عضواً في الهيئة القيادية العليا لحركة حماس في سجون الاحتلال. له عدد من المؤلفات الأدبية لم تنشر بعد.

[5] **رائد أبو حمدية (1975–):** تعود أصوله لبلدة دورا قضاء الخليل، وكان يحمل هوية إسرائيلية ويعمل في تل أبيب، فتم تجنيده من قبل خلية صوريف ليسهم في عملية اختطاف جندي صهيوني. شارك في عدد من عمليات الخلية، وأبرزها اختطاف الجندي الصهيوني شارون إدري. اعتقل في 1997/4/3، وحكم بالسجن المؤبد.

[6] **إبراهيم عبد الله غنيمات ([1958]–):** ولد في قرية صوريف قضاء الخليل، انتمى لخلية صوريف القسامية، واعتقل على يد أجهزة الفلسطينية سنة 1997. بقي مطارداً للاحتلال إلى أن اعتقل يوم 2005/10/11.

ولما رحلتُ إلى نفحة بعد حين، وجدت له دفاتر، جمع فيها معلوماته عن صنع المتفجرات، وقلت له من قبل: يا حسن، هذا كله اليوم موجود، وسهل الحصول عليه في الخارج لمن يريد. ولكن يغفر الله لحسن، بقدر ما هو حريص على العمل، بقدر ما هو مكشوف في تصرفاته، ويستهين بأَمْنِيَّاته. ولقد أضربنا سنة 1992 من أجل أن تنتهي حالة العزل، وأضرب إخواننا سنة 2000 في سجن هدريم من أجل أن تنتهي هذه الحالة. وخرج كل مَنْ في العزل، وما خرجوا إلا بعد أن تعهدنا لمصلحة السجون وللشاباك ألَّا يمارسوا نشاطاً أمنياً من داخل السجون، فقد ثبت لنا فشل هذه السياسة —قبل أن نتوصل لاتفاق مع مصلحة السجون والشاباك— فهي تجربة ثبت أن ضررها أكثر من نفعها. فبدلاً من تحرير الناس من الأسر وقع شبابنا في الأسر على خلفية هذا العمل، وفرضت علينا الملاحقة الأمنية من السلطة والاحتلال حالةً يصعب العيش معها، وسبب لنا عجز الإمكانيات الإجهاض في العمل.

وفي المقابل، كانت رسائلي إلى الشهيد أبي الفداء ترتب له لقاءات مع أناس جدد من القدس، ومن الداخل الفلسطيني، كالشاب مؤاب جبارة[7]، الطالب في الجامعة العبرية، من مدينة الطيبة في المثلث. وكنت أستحلفه بالله أن يحرق رسائلي بعد قراءتها والوصول إلى الغرض، حتى إن قائد التحقيق في المسكوبية قال لي بعد اعتقال سنة 1998، وقد سيطر على رسائل بعد استشهاد عادل وعماد عوض الله[8]، لم ينجح عادل في إتلافها ساعة المباغتة: لم نجد أثراً لرسائلك، كأنك لا تكتب، ولا تحب الكتابة،

[7] **مؤاب غسان جبارة (...–):** من سكان بيت حنينا لعائلة تعود أصولها لبلدة طيبة المثلث، انتظم في صفوف كتائب القسام منذ سنة 1994 حيث شكل خلية ضمت محمد الترتير من سكان بلدة كفر عقب، لتكون حلقة وصل بين خلايا كتائب القسام، وكانت على تواصل مع محمد الضيف (أبو خالد) القائد العام لكتائب القسام، وبتوجيه من الشهيد عادل عوض الله أسست مجموعة لخطف جنود صهاينة قادها مؤاب وضمت في عضويتها هاني الشريف، وشادي غلمة، ومجدي الجعبري. اعتقلت المجموعة يوم 1997/11/25 بعد فشلها اختطاف أحد الصهاينة في القدس. أفرج عنه مؤخراً.

[8] **عماد أحمد عوض الله (1969–1998):** ولد في مدينة البيرة، والتحق في جامعة بيرزيت لكنه لم يكمل تعليمه فيها لاندلاع الانتفاضة وإغلاق الجامعات. متزوج وله أربعة من الأبناء. نشط مبكراً في صفوف جماعة الإخوان المسلمين ثم حركة حماس. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني. انضم لكتائب القسام، وعمل بصحبة شقيقه عادل والشهيد محيي الدين الشريف على إنجاز عدد من العمليات ضدّ الاحتلال الصهيوني. اعتقل في نيسان/ أبريل 1998 من قبل أجهزة السلطة الفلسطينية الأمنية بعد مطاردة طويلة، حاولت السلطة إجباره على الاعتراف بالمسؤولية عن استشهاد محيي الدين الشريف، وخضع لتعذيب شديد تناوب عليه عدد من الأجهزة الأمنية. فرَّ من سجنه في ظروف غامضة، واستشهد وشقيقه عادل في 1998/9/10، بعد اقتحام الاحتلال الصهيوني للمزرعة التي اختفى بها عادل بالقرب من الخليل.

فقلت له: هذا صحيح. وواصل الميجر حديثه قائلاً: شيخ، والله سيطرنا على هذه الأوراق من النار، أخرجناها من الحريق.

ورحم الله أمي، فلقد كانت هي الرسول، كما سماها الحبيب أبو الفداء "السفينة". وهي الرسول والناقل بين هذه المحطات جميعاً، وكانت تأتيني بالرسائل من الشهيد عادل، ومن الشهيد محيي الدين الشريف. ولو وددت أن أعرف أي البلاد تحتضنهما، فما كنت لأسألها، وما كانت هي لتفضي بسرهما أبداً، حتى ولو كان لولدها.

ولما اعتقلنا سنة 1998، وتبين للصهاينة حجم المعلومات عن العلاقة ما بين مَنْ في السجون وخارجها، جُنَّ جنونهم، وشددوا القبضة على السجون، واتخذوا إجراءات قاسية ضدّ المعتقلين والأسرى. ودخل الشاباك على صلاحيات مصلحة السجون، بل نشرت الصحف العبرية على لسان السلطات الأمنية الإسرائيلية أن حماس جعلت من سجن عسقلان مقراً لهيئة أركانها. فبعد اعتقالنا وما تكشفت عنه التحقيقات والرسائل المضبوطة، وردت أسماء هيئة الأركان، وهم: المجاهد موسى دودين، وماجد الجعبة، وهارون ناصر الدين، وزاهر جبرين، والقائد الفذ محمود عيسى، والمجاهد الصابر الذي ما نالوا من عزيمته تيسير سليمان. رجعوا جميعاً إلى التحقيق وقاسوا الأمرّين، ومرت عليهم أيام عجاف وليالٍ موجعة رضي الله عنهم جميعاً بل والله لا أنسى ما حييت، صراخ موسى دودين وهم يلهبونه بوسائلهم الخسيسة.

نعم، لقد كنت من خلال زيارة أهلي في سجن الخليل، أبعث بالرسائل إلى المجاهدين في الخارج... وإلى أولي الأمر في عمّان، وكانت أمي رحمها الله، تغدو وتروح بحملها "مِنْ وإلى"، ولم يُكشَف أمرها. ولمّا تحقق الشاباك الإسرائيلي من نشاط السجون ودورها في العمل الجهادي، وأدرك خطورة ذلك على أمنه، اتّبَعَ سياسة العزل من جديد ضدّ العناصر الفاعلة، ومحاولة الردع في الأحكام الجائرة.

قبل اللقاء بعادل:

وقبل أن أغادر السجن بأيام قليلة، جاءني زائرٌ غير مرحب به، ثقيل الدم، ألا وهو قائد منطقة القدس في المخابرات الإسرائيلية، وقال لي: اسمع أيها الشيخ، عما قريب ستخرج من السجن، وجئتك محذراً، فعادل عوض الله ينتظرك، ونحن على يقين أنه في الطريق إليك، أو أنت في الطريق إليه، هو مطلوب لنا، ونحن نطارده، وإن جاءك فلن ترده،

ولن تقول له: لا؛ لأنك أنت مَنْ جندته للعمل العسكري. فقلت له: اسمع يا فلان، أنا عندي ما يشغلني عنك، وعن عادل عوض الله، لي أولاد حُرِمْتُ من تربيتهم، ولي بُنيات أطمع أن أعوضهن، ولو بقليل من العاطفة، وُلِدوا، وأكثرهم ما حظيت برؤيته عند الولادة، ونشأوا وترعرعوا، وحرمت عيني أن تلحظهم أيام طفولتهم، وذهابهم إلى مدارسهم. وإني بحاجة إلى متابعتهم، وهم بحاجة إلى عاطفتي، فاتركني وشأني، فأيامي عندكم شاهدة على حربي عليكم إلى يوم القيامة.

ثمّ إنه حاول ابتزازي متوعداً أنني في مرماه في اللحظة التي يريدها، وأنني محاصر بعيونه أينما حللت، فقلت له: إنْ ظفرت بي، فلا ترحمني!!، فهزّ برأسه مكابراً.

رجعت إلى غرفتي، وفيها موسى دودين، وهارون ناصر الدين، واجتمعت بهما دون غيرهما؛ لأنهما من خاصتي، فوضعتهما في صورة الحديث الذي دار بيني وبين رجل المخابرات. وقلت لهما: قبل أنْ يأتيني رجل المخابرات هذا، أعرف ما يدور في رؤوسهم، وأنهم على يقين أن عادل لن يتركني، فهو فعلاً في الطريق إليَّ. وقلت لهما: يا موسى ويا هارون، لن أفتح الخطوط مع أحد أياً كان، حتى ولو كان عادل رضي الله عنه لأنني أريد أن أنتقيَ من الفتيان، جيلاً جديداً في سنّ الثالثة عشرة من العمر، وأعمل على تربيته وإعداده لخمس سنوات قادمة، بعيداً عن كل الأعين، وهذا ما خططت له مِنْ قبل، وعلى هذا عزمنا... لأنني وعادل ورقتان محروقتان.

وفي يوم الأحد 1998/2/1 أبلغتني إدارة السجن بقرار الإفراج، فودعت الأسرى وودعوني ولسان حالهم يقول: لا ترجع بعد اليوم. فهم على عهد جديد بالعيد، فالصائمون من الأسرى احتفلوا يوم الخميس الذي سبق يوم الإفراج بعيد الفطر، وقد رحل عنهم رمضان بعد رحلة عامرة مع القرآن والصيام في النهار، والقيام في الليل، ومحطة زادُها التقوى وزيتها القرآن. والأسرى في هذا اليوم يتفاعلون ويتزاورون فيما بينهم، وعلى الرغم من الفقر في الإمكانيات، لكن الأسرى بقدر ما هم فيه من الحرمان... بقدر ما يولد الحرمان عندهم، معاني الجود والكرم، وهم في ذلك يتسابقون.

خرجت من بوابة السجن، واستقبلني على البوابة الخارجية الحبيب الوفي (أبو مجاهد) أحمد عطون، والأخ زهير الشويكي، وقد ألمت بي من قبل وعكة —على الأغلب هي الإنفلونزا—. وما إن سارت بي السيارة وقائدها أبو مجاهد، حتى أخذت أتنفس الهواء الطلق العليل، وكلما اقتربت من القدس، شعرت بالتحسن في صحتي،

حتى إذا استقبلتنا جبال القدس، وأخذت نفساً عميقاً مِنْ هوائها شعرت بالنشوة. آه، يا قدس... كيف هانت على هؤلاء الذين أسلموها وما دافعوا عنها حقّ الدفاع؟

استقبلتنا القدس، واستقبلنا أهلونا في القدس. والقدس على ميعاد مع أبنائها، يشعرون بدفئها، ويستروحون بظلالها. وكالعادة ما انقطع حبل الناس من المهنئين، من القدس وضواحيها، ومن الأهل داخل الخط الأخضر... من النقب الثائر، ومروراً باللد، والرملة، ويافا، ووادي عارة، حتى الناصرة والجليل، فجزى الله شعبنا خير الجزاء، فهم في تكافلهم هذا يعبرون عن أصالة في انتمائهم لقضيتهم الوطنية... وحتى من الناس مَنْ خاطر بنفسه، وتسلل إلى القدس عبر الجبال والوديان، مشياً على الأقدام، كوالد المجاهد موسى دودين، والأستاذ أحمد القيق شقيق أستاذنا المهندس حسن القيق، ووفد كبير جاؤوا من دورا وبيت عوا، ومن مدينة الخليل نفسها، فيهم وليد النتشة، وبهاء الزرو، ومن عرب التعامرة وما حولها... كل هؤلاء خاطروا وجاؤوا زائرين ومهنئين.

وبقيت في القدس شهرين لا أغادرها... والدعوات عن طريق الهاتف لزيارة بيت لحم، والخليل، ورام الله، لم يلبّها حرصي وحذري؛ لأني على علم أن الشهيد محيي الدين الشريف موجود في رام الله، ومختبئ في بيت أختي أم المثنى زوجة الأخ المجاهد سلمان أبو عيد. وأما الشهيد عادل عوض الله، فإني لما التقيت الشيخ المجاهد جمال أبو الهيجاء قائد معركة جنين[9]، والذي سبقته يده اليسرى إلى الجنة في هذه الحرب، واستشهد فيها المجاهد نصر جرار، والذي أعذر إلى الله، وقد بُترت ساقاه ويداه، ونحسبه طار إلى الجنة، على طريقة الصحابي الجليل جعفر الطيار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لي الشيخ أبو الهيجاء: إن الشيخ عادل كان عنده في جنين قبل خروجي من السجن، وقال لي: اقترب خروج الشيخ من السجن، وإني ذاهب إلى جنوب الضفة لأستقبله. فكنت أقدر أنه في الخليل؛ لأن أمي رحمها الله، كانت تتولى نقل الرسائل بيننا، وتلتقيه على الخصوص في بيت ساحور.

[9] **جمال عبد السلام أبو الهيجاء (1959–)**: ولد في مخيم جنين لعائلة هجرت من قرية عين حوض سنة 1948. حصل على دبلوم تربية إسلامية من عمّان، وعمل في التدريس في اليمن والسعودية. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال لنشاطه في حركة حماس. شغل منصب مدير مراكز تحفيظ القرآن الكريم في محافظة جنين، وهو أحد قادة معركة الدفاع عن مخيم جنين سنة 2002 وبترت فيها يده. اعتقل يوم 2002/8/26 وحكم عليه بالسجن المؤبد تسع مرات. عضو الهيئة القيادية العليا لأسرى حركة حماس.

بقيت على إقامتي في البيت، ولا أبرحه إلا للصلاة في المسجد، أو الذهاب للقدس للصلاة في المسجد الأقصى، حيث الصلاة أولاً، ولقاء الإخوان بعد الصلاة ثانياً... وهي سنة حافظنا عليها طويلاً.

لقاء عادل:

مرّ شهران منذ الإفراج عني وأنا لا أبرح القدس، ثمّ قمت بزيارة إلى الخليل، بعد حديث مع الأخ المجاهد عبد الخالق النتشة رضي الله عنه وقال لي: إن الخليل تنتظرك، والناس يريدون أن يسلموا عليك، ولا يستطيعون الوصول إليك، وغداً نقيم مأدبة تكريماً لك في الجمعية الخيرية الإسلامية في دورا. وحاولت أن أعتذر، لكن دون جدوى، فذهبت بصحبة الحبيب أبي مجاهد عطون، واستقبلنا أهلنا وأحبابنا في الخليل، وذهبنا لتناول طعام الغداء في دورا، والتقينا مع مَنْ نحب، وفيهم الشيخ فتحي عمرو، والدكتور عزام سلهب، وأبو معاذ الأستاذ عادل شنيور، وأبو جبير عبد الخالق النتشة، وكثير من أهل دورا والخليل. ولما انتهينا من الطعام، وقد خيَّمت على هذا اللقاء روح الأخوة، وعندما استنفدت الزيارة غرَضها... رجعت إلى الخليل.

فرغنا من زيارتنا لبلدة دورا، وودعنا أحبابنا ووجهتنا هي الخليل، على أمل العودة إلى القدس من يومي ذاك. لكن القائمين على الزيارة، قالوا: بل تنام عندنا الليلة، وفي الصباح نذهب إلى المستشفى الأهلي، ونجري لك فحوصات طبية، تطمئن فيها على صحتك، ولك محاضرة في مسجد الحرس بعد صلاة العصر، وقد عممنا على المساجد، وما بين المغرب والعشاء، حجزنا قاعة النسيم، حتى تلتقي من جاء للسلام عليك. قلت: "يا الله، ما هذا الذي دُبر بليل"؟ ثمّ توجهت إلى الأخ أبي مجاهد وقلت له: يا أبا مجاهد، انطلق إلى القدس، وغداً إن شاء الله، تأتيني مع صلاة الظهر. فانطلق رضي الله عنه وصليت العصر في مسجد الحرس، ووقفت بالناس محاضراً، وقد حضروا للموعظة والسلام على أخيهم الشيخ. وما بعد المغرب، ذهب بي الإخوة إلى القاعة المعدة للسلام واللقاء ورحب بي العريف، وتحدث الإخوة مرحبين، وقد حضرت الخليل وريفُها، وتكلم الأخ المجاهد محمد أبو جحيشة[10]، ورحب بي بكلمات طيبة. ثمّ بعد أن صافحت الناس

[10] **محمد مطلق أبو جحيشة (1955–)**: حاصل على شهادة الماجستير في الفقه والتشريع من جامعة النجاح الوطنية. عمل في سلك التعليم مدرساً ومشرفاً تربوياً، ويشغل عضوية عدد من اللجان والمؤسسات. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال. انتخب في الانتخابات التشريعية 2006 عن الخليل ضمن كتلة التغيير والإصلاح.

وصافحوني تحدثت إليهم بعاطفة الأخوة عن مدينة الخليل وأصالة أهلها وكرمهم. وبعد صلاة العشاء اصطحبني الشيخ المجاهد والقائد عبد الخالق النتشة إلى بيته، على نية المبيت. ولما اقتربت الساعة من العاشرة مساءً، وإذا بطارق يطرق علينا الباب، وإذا به أبو همام، الشيخ المجاهد ورجل الخليل المهيب محمد جمال النتشة، وبعد أن تصافحنا وأخذ بعضنا بعضاً بالأحضان... إذا به يقول: نريد الشيخ للمبيت عندنا، فحاول أبو جبير أن يثنيه عن طلبه... فأصر شيخنا على اصطحابي، مما أشعرني أن الأمر مُبيت، وليس لي من الأمر شيء. فانطلق بنا في سيارته بعد أن ودعنا الشيخ أبا جبير، حتى وصلنا بيت الشيخ أبي همام، وما إن دخلت باب الصالون، وإذا بالمجاهد الحبيب أبي الفداء عادل عوض الله، واقف ينتظر قدومي، فأخذ أحدنا أخاه بالأحضان، واغرورقت العيون بالدموع، وطال عناقنا. ثمّ جلسنا في غابة من القنابل والمسدسات، وطال الحديث بيننا عن خوالي الأيام، وعن الإعداد الذي تمّ، وعن استراتيجية العمل. وقلت هذا الأمر فيه خطورة، ولو أن المجموعات من شمالها لجنوبها أخذت طريقها إلى العمل، لأربكت العدو، وشتت تركيزه، فطمأنني على ذلك. والحديث ذو شحون، حتى وصلت به إلى ما قاله لي قائد القدس في المخابرات الإسرائيلية، في شأن اللقاء مع الأخ عادل، وقلت له: أنا في هذه المرحلة لا أنفعك، وأنا مكشوف وأوراقي محروقة عند العدو. لكنه رضي الله عنه أصر إصراراً عجيباً، فنزلت عند إلحاحه. ودار الحديث عن إشكالية مع الشهيد محيي الدين الشريف، وعرفت من محيي أنه غاضب لدخول الشهيد موسى غنيمات إلى معركة التفخيخ؛ لأن الشهيد محيي لا يريد لهذه المجموعة أن تتورط في العمل الاستشهادي، وقد نجحت هذه المجموعة، مجموعة صوريف في أعمال اصطياد جنود الصهاينة وقتلهم بجرأة نادرة. وطالب الشهيد محيي بلجنة تحقيق، تحاسب المسؤول عن توريط الشهيد موسى غنيمات في هذه العملية، وهو ربيئة القوم، ورجل الرصد الأول لهذه المجموعة. وبعد استشهاده فُتحت الأعين على صوريف ومجموعتها، وقال لي الشهيد عادل: إن محيي الدين عاتب علينا؛ لأنه يعاني من قلة المال، والعمل يحتاج إلى مصاريف باهظة. وبَيّن لي الشهيد أبو الفداء أن الكل يعاني، والجميع مرَّ بضائقة في هذا الأمر، ودفع بي إلى بعض الإخوة، للحصول على ما يسد الرمق. وكان أن ذهبت إلى أحد المجاهدين، وزودني بثمانية عشر ألف دولار، تصرف بها الأخ أبو الفداء.

مع الشهيد عمر سعادة:

انتهت زيارتي للخليل، وعدت إلى القدس على أمل اللقاء بالقائد الميداني للقسام، الشهيد عمر سعادة (أبو أحمد)، وبصحبته الشهيد القائد طه العروج (أبو مصعب) رضي الله عنهما وقليل أمثالهما. وحملنا أبو مجاهد رفيق الدرب بسيارته إلى بيت لحم، والتقينا الأحباب هناك، وفي لقاءٍ حاشد في إحدى القاعات، جاء شبابنا من بيت لحم وقراها ورحبوا بي وتحدثت إليهم... وأن هذه هي الطريق، والابتلاء معلم أساسي من معالمه، ونحن على استعداد لتسديد الضريبة مهما كانت التكاليف. وبعد أن انفض اللقاء جمعنا بيت الشهيد القائد عمر سعادة، وفي المعية الشهيد طه العروج، وفي الطريق التقيت العالم الصابر الشيخ محمد الزعتري (أبو معن) رعاه الله. وأنسنا باللقاء مع المجاهدين، وتحدثنا عن لوازم المشروع. ورفعت جلستنا على أمل اللقاء إن شاء الله.

رحلة محيي الدين إلى الشهادة:

كانت لي عودة ثانية إلى الخليل، ونمت هناك للقاء آخر مع الشهيد عادل عوض الله، كما حدثني أنه قال لزوجه أم الفداء: أنا ذاهب للقاء الشيخ، فاستحلفته أم الفداء رضي الله عنها بالله ألا تتسبب للشيخ بـ"مصيبة" أخرى. وفي الصباح، حمّلني رسالة إلى الشهيد محيي الدين الشريف، وأتاني برسالة من أخيه الشهيد عماد عوض الله، عن زيارة قام بها عماد لمكان التصنيع الذي يعمل به الشهيد محيي. قرأت فيها أن محيي كان يخلع ملابسه إلا ما يستر العورة، لحساسية الاحتكاك بالمتفجرات، ويقول عماد: كنت أمشي وأنا خائف، مِنْ حبيبات من المفرقعات، كانت تنفجر تحت نعلي. وفي الرسالة عن رحلة محيي يوم أن ضاقت به البلاد، وغادر بيت المجاهد عماد، وبنات عماد الصغيرات يمسكن بالشهيد محيي ويقلن له: عمو محيي، لا تتركنا. لكنه أصر خوفاً على أخيه عماد أن يكون الصيد ثميناً بكليهما في مكان واحد. فآثر الشهيد محيي أن يغادر ويطرق الأبواب على بعض المشايخ ﴿إِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾[11]. والتمس للناس الأعذار؛ لأنها كانت مرحلة حرجة، واعتقالات السلطة الفلسطينية والتعذيب الذي تمارسه، أشد وأنكى من ممارسات الصهاينة. الصهاينة آذونا وأذاقونا الويل، لكن لم يحدث أن نتفوا لنا لحانا ولا حواجبنا، وعلى ذلك قِسْ، كم كانت الوطأة شديدة على أبناء الحركة الإسلامية في عهد سلطة أوسلو!!

[11] **القرآن الكريم**، سورة النور، آية 28.

ترك محيي الدين بيت عماد، واحتضنه المجاهد عبد الله البكري، ومما قاله للأخ عبد الله إنه سيتوجه إما للشيخ جمال الطويل وإمّا للمجاهد سلمان أبو عيد. وذهب محيي الدين على وجهه يبحث عن سلمان أبو عيد، الذي يعمل على توسعة مسجد سيد قطب الكبير في البيرة، وسلمان مقاول بناء، وسأل أحد العمال عن سلمان، فنودي على سلمان، وحضر وإذا بالأخ محيي الدين، فاحتضنه والشهيد زهران شريكه في المقاولات... وذهبا به إلى بيت سلمان، وقال سلمان لزوجه أم المثنى: اذهبي بزيارة لبيت أهلك لفترة أسبوع؛ لأن بيتهم لا يتسع للضيافة. وقد طورد سلمان بعد خروجه من السجن سنة 1994، ولجأ إلى رام الله أيام كان الاتفاق سارياً بين السلطة و"إسرائيل" ألا تدخل قواتها الأمنية مناطق أمن أراضي السلطة، فترك بيته في قرية بدو، وعانى من شظف العيش والإيجارات في رام الله، في بيت مطمور لا يرى الشمس.

بقي محيي الدين في بيت سلمان أسبوعاً، حتى استأجرا له بعد ذلك شقة ومخزناً للعمل الجهادي والتصنيع، وقام الإخوة الثلاثة سلمان وزهران وسليم، على خدمة محيي الدين وتوفير كل ما يلزمه. وقد سبق لـ(أبي المثنى) سلمان أن التقى الشهيد محيي الدين في سجن الخليل يوم أن كنا هناك خلال سنتي 1993–1994، فالمعرفة قديمة، والأخوة متجذرة.

ومضى محيي الدين في جهاده، وذراعه سلمان أبو عيد والأخوان زهران وسليم، وينجح محيي الدين في توسيع دائرة عمله، ويقوم على تدريب الأخوين نسيم أبو الروس[12] وجاسر سمارو[13]، اللذين استشهدا مع المجاهد القسامي الشيخ يوسف السركجي[14]،

---

[12] **نسيم شفيق أبو الروس (1974–2002):** ولد في مدينة نابلس. تدرب على يد الشهيد محيي الدين الشريف على تصنيع المتفجرات. اعتقل من قبل أجهزة السلطة الفلسطينية الأمنية سنة 1997 لإسهامه في تصنيع متفجرات لعمليات "خلية شهداء من أجل الأسرى"، وأفرج عنه بعد اندلاع انتفاضة الأقصى. أسهم في عدد من عمليات كتائب القسام في منطقة نابلس، واستشهد بعد محاصرته في نابلس والشهداء نسيم أبو الروس، وكريم مفارجة، ويوسف السركجي يوم 2002/1/22.

[13] **جاسر أسعد سمارو (1974–2002):** ولد في مدينة نابلس. اعتقل في سجون الاحتلال مدة ستة أعوام لنشاطه في كتائب القسام. تدرب على يد الشهيد محيي الدين الشريف على تصنيع المتفجرات، واعتقل من قبل أجهزة السلطة الفلسطينية الأمنية سنة 1997 لإسهامه في تصنيع متفجرات لعمليات "خلية شهداء من أجل الأسرى". أفرج عنه بعد اندلاع انتفاضة الأقصى. أسهم في عدد من عمليات كتائب القسام في منطقة نابلس، واستشهد بعد محاصرته في نابلس والشهداء نسيم أبو الروس، وكريم مفارجة، ويوسف السركجي يوم 2002/1/22.

[14] **يوسف خالد السركجي (1961–2002):** ولد في مدينة نابلس، متزوج وله أربعة أولاد. نال شهادة البكالوريوس في الشريعة الإسلامية من الجامعة الأردنية. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال وكان أحد المبعدين إلى مرج الزهور سنة 1992. أحد أبرز قادة كتائب القسام في شمال فلسطين، وأسهم في تشكيل خلية "شهداء من أجل الأسرى" والتي كان الهدف منها القيام بعمليات تسهم في أسر جنود صهاينة من أجل مبادلتهم بأسرى في سجون الاحتلال الصهيوني. اعتقل لدوره هذا لدى أجهزة السلطة الفلسطينية من=

وكريم مفارجة[15]. فالشيخ يوسف تجمعنا به ساحة الجهاد، وكنت حلقة وصل بينه وبين الشهيد أبي الفداء، ونقلت إليه رسالة وهو في سجن جنيد رضي الله عنهم، ورحمهم، وهو فيما بيننا أبو تراب.

لقد كان سلمان وزهران وسليم هم المسؤولون عن أمن تلامذة المهندس الثاني من القدس، بمجموعاتها من القائد المجاهد أبو علي العباسي[16]، إلى المجاهدين الأخوين إيهاب بكيرات[17]، وإبراهيم بكيرات[18] من صور باهر، والمجاهدين الأخوين أشرف وربيع الزغل[19]، والمجاهد شعيب أبو سنينة[20] من مجموعة المجاهد إبراهيم العباسي،

= 1997/9/23 ولغاية 2001/4/18. استشهد بعد محاصرته في نابلس والشهداء نسيم أبو الروس، وكريم مفارجة، وجاسر سمارو، يوم 2002/1/22.

[15] **كريم نمر مفارجة (1979–2002):** ولد في قرية بيت لقيا قضاء رام الله، ودرس الشريعة في جامعة النجاح في نابلس. نشط في كتائب القسام وترأس خلية بروقين. اعتقلته السلطة الفلسطينية بعد استشهاد نبيل عبد الرحمن علي خاطر في أثناء إعداده لعبوة ناسفة مع المجاهد أُسَيد صلاح الذي بترت ساقه. أطلق سراحه من سجون السلطة بعد اندلاع انتفاضة الأقصى. أسهم في الإعداد والتجهيز لعدد من عمليات كتائب القسام، واستشهد بعد محاصرته في نابلس والشهداء نسيم أبو الروس، وكريم مفارجة، ويوسف السركجي يوم 2002/1/22.

[16] **إبراهيم محمد العباسي (1961–):** أسير مقدسي من مواليد سلوان، متزوج وله أربعة أولاد. نشط في كتائب القسام وعمل مع الشهيد محيي الدين الشريف بتوجيه من القائد القسامي الأسير محمود عيسى. اعتقل في 1998/9/27 وحكم عليه بالسجن لمدة 18 عاماً.

[17] **إيهاب موسى بكيرات (1973–):** أسير مقدسي من سكان قرية صور باهر، متزوج وله طفل. اعتقل لأكثر من مرة في سجن الاحتلال الصهيوني. نشط في كتائب القسام، تدرب على يد الشهيد محيي الدين الشريف على إعداد العبوات الناسفة، وأسهم في التخطيط لعدد من العمليات ضدّ الاحتلال الصهيوني. اعتقل في 1998/10/7، وحكم عليه بمدة 13 عاماً ونصف.

[18] **إبراهيم موسى بكيرات (1974–):** أسير مقدسي من سكان قرية صور باهر، نشط في كتائب القسام بعد أن جنده شقيقه إيهاب للعمل معه ضمن مجموعات قادها الشهيد محيي الدين الشريف. اعتقل مع شقيقه في تشرين الأول/ أكتوبر 1998، وحكم عليه بالسجن تسعة أعوام. أعيد اعتقاله في 2008/3/9، وحكم عليه بالسجن 34 شهراً.

[19] **أشرف سلامة زغل (1977–):** أسير مقدسي من مواليد بيت حنينا، يعمل مهندساً، جنده شقيقه ربيع للعمل في مجموعة قسامية تابعة للشهيد محيي الدين الشريف. اعتقل في 1998/10/19، وحكم عليه بالسجن لمدة 16 عاماً بتهمة التحريض على تفجير قنبلة والسعي للتدريب وامتلاك وسائل قتالية.
ربيع سلامة زغل (1975–): أسير مقدسي من مواليد بيت حنينا. نشط في صفوف كتائب القسام وتتلمذ على يد الشهيد محيي الدين الشريف على إعداد عبوات ناسفة ذكية، وصناعة المتفجرات. في آب/ أغسطس 1998، فجر عبوة ناسفة في تل أبيب، وفي مطلع أيلول/ سبتمبر 1998، فجر عبوة أخرى مستهدفاً جنوداً في موقف للحافلات في القدس، وخطط لعمليات تفجير واختطاف جنود. اعتقل في 1998/9/10 وحكم عليه بالسجن لمدة 27 عاماً. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18، وأبعد إلى دمشق.

[20] **شعيب صالح أبو سنينة (1967–):** أسير مقدسي ولد في سلوان، وناشط في كتائب القسام. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني، وعمل مع الشهيد محيي الدين الشريف ضمن مجموعة الأسير إبراهيم العباسي. متزوج وله أربعة أطفال. اعتقل اعتقاله الأخير في 1998/10/28، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18 وأبعد إلى قطاع غزة.

هؤلاء جميعاً وغيرهم، سلمان أبو عيد هو المسؤول عن أمنهم. وسلمان والأخوان زهران وسليم، لحق بهم من الديون الشيء الكثير، لاحتياجات العمل مع المهندس محيي الدين من إيجارات وتنقلات ومصاريف، ورام الله في غلاء معيشتها، أكثر من القدس. وكما هو معروف عند أهل رام الله فلا وجود لدعم خارجي لهذا المشروع، في ظلّ هذا الحصار، وتأقلمت هذه المجموعة بعائلاتها على هذا الوضع، بل إن أم المثنى زوجة سلمان طاب لها العيش مع هذا المزاج الساخن بين البنادق. وهي على دين أمها، رحمها الله.

استشهاد المهندس الثاني:

حمّلني الشهيد عادل رسالة إلى الشهيد محيي الدين، وبينما أنا في ساحة المدرسة الخيرية الإسلامية في الخليل، وإذا بالأخبار تتطاير عن انفجار قوي، له دوي هائل في المنطقة الصناعية القريبة من رام الله، وذلك بتاريخ 1998/3/29، وتبين بعد حين، أن المهندس محيي الدين الشريف هو مَنْ قضى نحبه في هذا الانفجار. فطوبى لروحه في معراجها إلى علياء الخلود، لترتاح من وعثاء السفر، بعد مشوار طويل وحافل، وهو يطارد عدو الله وعدو هذه الأمة، وما مرَّ عليه يوم إلا وفيه عطاء. فرحم الله الشهيد محيي، فقد شرفني الله بمعرفته، وهو طالب في جامعة القدس، قبل الانتفاضة الأولى وبعدها، وجمعتنا السجون، وعلى الخصوص سجنا الخليل وعسقلان. والتقى الشيخ الشهيد صلاح شحادة في سجن عسقلان، وكان يطارده مازحاً من سرير إلى سرير في غرفة 9، وقد غلب عليه الضحك والقهقهة.

بعدما تأكد لي الخبر، رجعت إلى القدس بهمّ ثقيل، والأخبار من هنا وهناك تتسارع في نقل الحدث، والمصيبة كبيرة، وأي حركة محسوبة، فكأنك في حقل ألغام. وبينما أنا مع نفسي في البيت، وإذا بالأخ ماهر عودة، من عين يبرود، يطرق عليَّ الباب، ويطلب مني على عجل، أن أنطلق إلى رام الله، وأفتح تحقيقاً في الذي جرى للشهيد محيي الدين. فتقبلت كلامه على مضض، إذ لم يسبق لي أن التقيته أو عرفته. ووعدته خيراً، وأوضحت له أن السبيل إلى معرفة الحقيقة يحتاج إلى قرائن، وأن السلطة والاحتلال، هما المسؤولان عن هذه المصيبة، وعن مصائب الشعب الفلسطيني. وإلا فلماذا هذه الحرب على المجاهدين؟ ولصالح مَنْ تطارد أجهزة أمن السلطة الطليعة من أبناء هذا الشعب، وتتنافس أجهزة أمنِها فيما بينها في ملاحقة المجاهدين، من محيي الدين الشريف إلى عادل عوض الله وبقية الإخوة؟ وكيف يقبلون على أنفسهم هذا التردي، الذي وصلوا إليه في خدمة الأمن الصهيوني؟

إن الشهادة هي ما كان يطلبه ويتمناه القائد محيي، لكنه يريد ذلك في ساحات المراغمة مع عدوه، وليس في مواجهة مع الأجهزة الأمنية الفلسطينية. وإنَّه حُقَ لنا أن نتهم السلطة والاحتلال، في ارتكاب هذه الجريمة، ولا نبرِّئ أحداً من الطرفين، حتى ولو كان استشهاد محيي الدين عن طريق الخطأ، لأنني من خلال متابعتي للذي جرى، واستماعي إلى الدائرة التي تحيط بالشهيد محيي الدين، ترجح عندي أن الخطأ هو الغالب على استشهاده. وأن التعجل في توجيه أصابع الاتهام ضدّ أي طرف كان، حتى ولو كان عدوك، ليس من طبعنا، وأن المصداقية هي الأساس في سيرتنا، وعلى هذا تعززت ثقة الناس بنا.

هذا التعجل جاء رداً على استغلال السلطة للحادثة لتشوه صورة الشهيد عادل عوض الله وإخوانه في كتائب القسام[21]، فانطلقت أبواقها تردد كل يوم اتهام ورواية. فبعد اعتقالها للمجاهد غسان العداسي وتعذيبه[22]، أجبرته على القول بأن الشهيد عادل هو من قتل محيي، ثم تراجعت فاتهمت الشهيد عماد بعد اعتقاله في سجونها، وعذبته ليقبل التهمة لكنه أبى أن يؤتى إخوانه من قبله[23]. وبهذا لم تكتف السلطة بملاحقة الشهيد وإخوانه وتعذيبهم فحاولت تشويه جهادهم وصورتهم أمام أهلهم.

وكان الشهيد محيي الدين في ليلةٍ سبقت استشهاده التقى المجاهد إبراهيم العباسي —فرج الله كربه— التقاه لقاء تخطيط وعمل، ومن وراء هذا اللقاء المجاهد محمود عيسى من داخل السجن. وكان على المجاهد شعيب أبو سنينة أن يقود سيارة أُعدت لعملية استشهادية، لكن أجهزة أمن السلطة، اعتقلت شعيباً لأيام، وحالت دون نجاح العملية، وشعيب من مجموعة القائد أبي علي العباسي. فكل هذا الحراك مِن الشمال والجنوب والوسط يقوم على أمنه دائرة ضيقة محيطة بالشهيد محيي الدين،

[21] انظر: ملحق الوثائق، الوثيقة رقم (4)، ص 497، مقتطفات من فيديو للشهيد عادل عوض الله يرد فيه على اتهام أجهزة السلطة الفلسطينية الأمنية له بمسؤوليته عن استشهاد محيي الدين الشريف، نيسان/ أبريل 1998. [المحرر]

[22] انظر: ملحق الوثائق، الوثيقة رقم (5)، ص 500، مقتطفات من رسالة المعتقل في سجون السلطة الفلسطينية غسان العداسي، الذي أجبرته السلطة على الاعتراف بأن عادل عوض الله هو من قتل محيي الدين الشريف، 1998/4/12. [المحرر]

[23] انظر: ملحق الوثائق، الوثيقة رقم (6)، ص 501، مقتطفات من رسالة الشهيد عماد عوض الله "إلى إخوانه وشعبه وأمته" بعد هروبه من سجون السلطة الفلسطينية، يتحدث فيها عن ظروف اعتقاله وتعذيبه من أجل الاعتراف بأنه هو من قتل محيي الدين الشريف، 1998/8/18. [المحرر]

ومحيي لديه حسّ أمني مرهف، وهو حريصٌ على ذلك. كما أن المجاهد سلمان أبو عيد هو المسؤول عن تنقلاته، وهو مَنْ كان يتولى أمره لأكثر من ثلاثة أشهر، فهل تقبل "إسرائيل" على أمنها أن يضرب، وأن يعاني شعبها من التفجيرات؟

هذه هي رحلة الشهيد محيي الدين، وقد أتعَب العدو في طلبه، واسمع إلى المجاهد رشدي العلمي، وهو من العاملين ومن المقربين للشهيد محيي الدين، يقول في سياق حديث مع المحقق، والمحقق منتفخ الأوداج، وهو يتباهى بنجاحاته الأمنية؛ يقول له رشدي: "أين هو أمنك؟ ومحيي الدين الشريف يصول ويجول في اللطرون" والصحيح أن أخطاءنا هي القاتلة في العمل، ولقد حققنا نجاحات بإمكانيات متواضعة، ولو أن إمكانيات حزب الله عندنا، لسبقنا السابقين، وتفوقنا على المتفوقين بامتياز، ولكن هذا هو جهد المُقِل.

عودة إلى بيت لحم:

في زيارة ثانية للأخ المجاهد عمر سعادة، وضمن المشروع الجهادي الذي يحارب على جبهتين، فإن رجالنا لا يسكتون على ضيم، ولا يقيلون إلا في جنة عرضها السماوات والأرض. وعلى هذا فالمجاهدون من يوم إلى يوم، في أمسّ الحاجة إلى معدات قتالية، لضرب هذا العدو وقطعانه من المستوطنين. ولقد عملتُ على هذا يوم أن كنت في صفوف الثورة الفلسطينية، واليوم لا يقل طلبي عما مضى. فقد ذكر لي الأخ أبو أحمد سعادة، عن حاجتنا لكمية من السلاح هي في سوق البيع والتجارة، وفيها مجموعة كلاشينات وقاذف آر بي جي RPG، مع عشر قذائف، ومأمونة الجانب، نجح المهربون أن يجتازوا بها الحدود مع الأردن، عن طريق البحر الميت.

الصفقة مغرية، لكن شحّ المال هو الذي حال دونها، وحاجتنا ملحة إلى قطعة من طراز أم 16 أو M16، أو أيّ رشاش آخر، فذهبت إلى المجاهد سلمان أبو عيد، وطلبت منه أن يزودونا بقطعة اشتراها من المجاهد ناصر الوحيدي، لا تشوبها شائبة بعد الفحص. وطلبت من الوالدة رحمها الله، أن تتولى نقلها من رام الله إلى أم طوبا، ومكثت عند الوالدة في مخزنها لأيام. ثمّ طلبت منها أن تنقلها ثانية إلى الخليل، فقامت على ذلك، وركبت وإياها السيارة مع أبي مجاهد، وكان ولدنا محمود صغيراً، وأراد أن يصحبنا فنهرته. فقالت الوالدة: اتركه يأتي معنا، لعل الله يدفع به البلاء. فسرنا في الطريق إلى الخليل وأنا ألتفت إلى أمي، وأسأل نفسي أين المعلوم؟ حتى غلب على ظني أنها لم تأت بشيء.

ولما وصلنا إلى بيت صاحبنا، وأنظر إليها متسائلاً أين حاجتنا؟ وهي تقول لي: امش، فصحبتها، واستَأذَنَتْ من صاحب البيت، وبقيت وإياها وحدنا، وخلعت عنها ثوبها، وإذا هي متحزمة بقطعة السلاح من نوع ميني عوزي Mini-Uzi، فاستلمها صاحب الشأن.

بعد ذلك قصدت رام الله للقاء المجاهد إبراهيم مرعي[24]، وهو المعروف إعلامياً بإبراهيم حامد من سلواد، ومعرفتنا به من أيام دراسته في الجامعة، وانتظم معنا في العمل عن طريق الشهيد عادل. ولقد نجح الرجل على صعيد أمنه فيما بعد، وعلى صعيد العمل العسكري، والرجل ما تأخر في شيء طلبناه منه، فعلى رغبة من الشهيد عادل التقيته في البيرة، ضمن ترتيبات أعمالنا، ومضى على الدرب، ولا يعرف إلا العطاء، وأسأل الله أن يفرج كربه ويعجل له بالفرج. وفي تقرير ذكرته إحدى الصحف العبرية عن المجاهد إبراهيم أنه رجل يشبه الخيال، وهو ينظر للصراع على أنه صراع طويل جداً. ومن الطبيعي جداً عنده أن يأتي الرد على اغتيال الشهيد عادل عوض الله وأخيه عماد، بعد فترة طويلة؛ لأنه لا يتعامل بردود الأفعال.

مقابلة مع قائد منطقة القدس في الشاباك:

بعد هذا الحراك الذي عقب الإفراج، والذي هو في ظاهره مكشوف، ولكنه في حقيقة الأمر كالماء في الشجرة، يراها الناس على ظاهرها، شجرة مورقة بأغصان متشابكة، والفعل فعل الماء الذي لا تراه العين، وهو في كل جزء من أجزاء هذه الشجرة، فبقدر ما هو مستور، بقدر ما هو فاعل، وهذا حراكنا مع تحديات هذا الصراع.

وبتبليغ من المخابرات الإسرائيلية استدعاني قائد المنطقة لمقره في شرطة رأس العامود، فذهبت إلى هناك، ودار الحديث بيني وبينه، وهو من زارني في السجن، يقول لي استعد

[24] **إبراهيم جميل مرعي "حامد" (1965–):** ولد في قرية سلواد قرب رام الله، حاصل على بكالوريوس العلوم السياسية من جامعة بيرزيت وطالب دراسات عليا فيها. عمل باحثاً في مركز أبحاث جامعة بيرزيت وعدد من المؤسسات الأخرى. متزوج وله طفلان. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني لنشاطه في حركة حماس، وطورد للاحتلال واعتقلته السلطة الفلسطينية سنة 1998 لنشاطه في كتائب القسام بصحبة الشهيد عادل عوض الله. خرج من السجن مع اندلاع انتفاضة الأقصى وأسهم في إعادة تأسيس كتائب القسام في منطقة رام الله. ترأس عدد من المجموعات العسكرية التي أثخنت في العدو الصهيوني. اعتقل في مدينة البيرة يوم 2006/5/22 بعد رحلة مطاردة واستهداف طويلة، ينتظر أن يكون أعلى صاحب حكم في تاريخ الاحتلال الصهيوني لمسؤوليته عن عشرات العمليات.

لستة أشهر إداري، فنشاطاتك زائده عن حدها. تذهب للخليل وتحاضر في جامعتها، "هي الأمور فالتة في ظنك"، وتظن أنك حُرٌ في الذهاب إلى هنا وهناك... نحن لك في كل حركة، ولا تحسب أنك حرّ، قالها مرة أخرى. فقلت له: يا هذا، اسمعها مني جيداً، والله —وأمامي على الطاولة قارورة ماء— لو وضعتني في هذه القارورة وأغلقت عليَّ بغطائها، فأنا حرّ أكثر منك، فبهت وتراجع عن حدته. وقضي الأمر، ولم يكن ذلك إلا مرّة تبعتها مرات.

عايد دودين والأرشيف:

كان مِنَ الذين يترددون على بيتي، المجاهد عايد دودين، وهو شقيق موسى دودين، كانت زياراته تحمل في طياتها رسائل وأوراقاً، لها خصوصيتها في عملنا الجهادي. كان يأتيني بها ثمّ يعود أدراجه إلى حين لقاء آخر، لأتمكن من قراءتها ومراجعتها، وأعلق على ما هو محتاج للتعليق، وكان أخطر ما في هذه الأوراق، الأسماء الحركية للعاملين في حقل مشروعنا.

وبعد أن أقضي غرضي منها، يعود إليَّ الأخ عايد وفي صحبته أحياناً المجاهد موسى العواودة، ثمّ يعود بالأوراق إلى من يعنيه الأمر. ولما اعتقلت بعد استشهاد عادل عوض الله، كنت أقول: لا يمكن أن أوتى من قبل عادل أبداً، ولكني هذه المرة أوتيت من قبل أوراقه، بعد استشهاده؛ لأن العدو لم يعلن عن استشهاده بعد. فلما اعتقلت بعد عشرة أيام من تاريخ الحدث، واجهوني في التحقيق ببعض هذه الأوراق، التي وقعت بين أيديهم. ومع المباغتة وسرعة المفاجأة، حاول المجاهد عادل أن يحرق الأوراق، لكن العدو كان أسرع إليها من النار أن تأكلها، فقد قال لي قائد التحقيق، وهو يقسم بشرفه (إنْ كانَ له شرف)، إنهم انتزعوها من براثن النار، والأوراق هي نفسها التي كان يأتيني بها المجاهد عايد دودين لأطلع عليها، والذي أطلعوني عليه، إنما كان حسب الخطة والمصلحة التي تخدمهم، وحسبما يريدون.

لقد أتت الأمور على ضربة موجعة، وجمعت في الاعتقالات بين الشمال والوسط والجنوب... وأتت بالإحباط على نجاح العمل العسكري، ولو إلى حين، حتى قال لي ميجر في التحقيق: لن تقوم لكم قائمة قبل أربع سنوات. وما علم هذا الميجر أن هذه الأمة ولود، وأن هذا الشعب معطاء. وإنْ هي إلا سنتان، وإذا بالانتفاضة الثانية تهزأ بما مكروا

ودبروا له، وتجعله حصيداً كأن لم يغْنَ بالأمس، وإذا بحماس بعد هذه الضربات، تخرج عليهم أقوى مما كانت عليه من قبل، وتأتيهم من حيث لم يحتسبوا، وتزلزل الأرض من تحت أقدامهم، وتأخذ بالشعب الفلسطيني وجميع فصائله، إلى مشروع المقاومة، ويطيش سهم الاحتلال.

يقول أليكس فيشمان Alex Fishman، المحلل العسكري ليديعوت أحرونوت Yedioth Ahronoth، عقب اغتيال الشيخ أحمد ياسين: "إن حركة حماس كالكائن الخرافي، إذا قُطِعَ رأسُهُ، نمت له ثلاثة رؤوس". ويقول شاؤول موفاز، والذي كان رئيساً لهيئة الأركان، ثم وزيراً للحرب: "حسابنا مع حماس مؤلم، وهي تختلف عن كل الحركات".

اعتقال عماد واستشهاده وعادل:

كانت أجهزة السلطة الفلسطينية قد شنت حملة اعتقالات واسعة ضدّ المجاهدين من أبناء حماس، خصوصاً بعدما استشهد المهندس الثاني محيي الدين الشريف، وذلك لأسباب عدة منها التعاون مع المشروع الصهيوني، وأن تبرّئ نفسها من دم الشهيد محيي الدين، من خلال التحقيقات التي هدفها الضغط على المجاهدين، حتى يُقوِّلُوهم ما ليس بحق، ويدينوهم بما لم يفعلوه، ويحملوهم دم محيي الدين زوراً وبهتاناً، لخلاف في وجهات النظر وقع بين عادل عوض الله ومحيي الدين الشريف. وكان من الذين اعتقلوا وعذبوا وأوذوا حتى تعرضوا للهلاك المجاهد عماد عوض الله، والمجاهد غسان العداسي وربيع الشيخ قاسم. وكان من المباشرين على هذه الإجراءات ضدّ المجاهدين أمين عام الرئاسة الفلسطينية الطيب عبد الرحيم، وقادة الأمن الوقائي جبريل الرجوب ومن دونه، كل هذا حتى يخرجوا على الرأي العام والإعلام بتخريجةٍ كاذبة خاطئة.

لقد فشلت السلطة وأجهزتها في الإيقاع بين المجاهدين، واستطاع المجاهد عماد فيما بعد أن يهرب من سجن الوقائي في أريحا، ويصل إلى رام الله. وما قيل عن عماد إنه لما تعرض للهلاك، ونقل إلى المستشفى للعلاج، زرعوا فيه ما يراقب تحركاته حتى يصلوا إلى المجاهد عادل عوض الله. وهذا مما لا علم لي به، وما عند أحد مَنْ يثبت ذلك.

بعد أن وصل المجاهد عماد إلى رام الله، وعلى عجل تمّ ترحيله إلى الخليل. ليغادرها من بعد ذلك إلى الخارج، بعد لقاء وداع مع شقيقه عادل عوض الله في ليلة جمعة 1998/9/10.

التقى الأخوان في عزبة لعائلة مسْوَدي من الخليل، وما أصبح الناس، إلا على خبر مفاده استشهاد القائدين والأخوين، عماد وعادل عوض الله، وأُعلنَ عن الخليل منطقة عسكرية مغلقة من قوات الاحتلال.

كان لي في هذا اليوم من بعد صلاة الجمعة دعوة لحضور عقد قران لأخ من إخواننا المجاهدين، هو كمال أبو قويدر، وفي المساء موعد للقاء المجاهد عادل عوض الله. وعند سماعي الخبر توقف كل شيء، وبدأت عملية جرد للحسابات لم تتوقف حتى باعتقالي بعد عشرة أيام.

غاب عادل وغاب عماد عن مسرح الأحداث، وشاع بين الناس أنهما استشهدا، ولكن حتى الآن لم يسلّم الاحتلال جسديهما الطاهرين، وسمعت من أحد الإخوة الذين تعرضوا للتحقيق عند الاحتلال، وفي السياق قال له المحقق: "نحن لم نعلن عن استشهادهما، بل أنتم مَنْ أعلن"، ولربما هما في سجون الاحتلال السرية، والله أعلم[25].

لقد عمل الشهيد عادل عوض الله طويلاً في السجون والمعتقلات على اختيار العناصر التي يمكن الاعتماد عليها، وذات الاستعداد والجاهزية لتحمّل أعباء المرحلة، وحمل الهم الفلسطيني، والبقاء في الميدان شوكة في حلق الاحتلال. ولقد عمل ضمن خط استراتيجي على تسليح جيشٍ كامل من الشمال إلى الجنوب، من جنين حتى يطا جنوب الخليل، وطاردَ العدو بما لديه من إمكانيات، وعمل على التصنيع من خلال شهداء أدّوا ما عليهم، من أمثال الشهيد محيي الدين الشريف في رام الله، وعيسى شوكة في بيت لحم[26]. ولقد نجح في حركته وتنقلاته، متخفيّاً عن العدو وعيونه، وعن السلطة الفلسطينية وأجهزتها. ولقد أحاط نفسهُ برجال، قاموا على خدمة مشروع المقاومة، وشكّلوا له غطاءً لجميع تحركاته، وظهر في كثير من الأماكن، على أنه رجل أعمال، وبقدرته على التمويه، ورغم عيون الاحتلال وحواجزه، التي كانت على طول الضفة الغربية. وهو المطلوب لقوات الاحتلال، إلاّ أنّه تنقل بينها، وتخطّاها حاجزاً حاجزاً، وهناك في معظم مدن الضفة مَنْ شَكّل له حمايةً بصورٍ مختلفة، وتحت عناوين متباينة، فمرةً في لباس شرطة فلسطينية،

[25] سُلِمَ جثمانا الشهيدين وشيعا في مدينة البيرة في 2014/4/30. [المحرر].

[26] **عيسى خليل شوكة (1956–1997)**: ولد في مدينة بيت لحم، كان متزوجاً وله ثلاثة أطفال، ودرس كهرباء السيارات. اعتقل في سجون الاحتلال بدءاً من سنة 1979. انتظم في صفوف كتائب القسام وعمل كخبير متفجرات في المجموعات التي كان على رأسها الشهيد عادل عوض الله. استشهد إثر انفجار عبوة ناسفة كان يقوم على تصنيعها في 1997/7/14.

مع بطاقةٍ زوّده بها أحد الإخوة العاملين في جهاز الشرطة، ومرّة ببار وكة، كلُّ ذلك يسّر له الحركة والحماية.

لقد كانت لديه اهتمامات كبيرة، واستعدادات كثيرة، والإصرار طبعٌ من طباعه، كان همّهُ أنْ يوجع الاحتلال، من خلال خطف جنوده —وهي استراتيجية العمل عندنا— حتى نُخرجَ إخواننا الأسرى من سجون الاحتلال، بل كان على إيمان عميق بالعمل الجهادي، والعمليات الاستشهادية، حتى لا يقرَّ الاحتلال في عيشه، وحتى يبقى مرعوباً.

كان يعمل من خلال هذا كله، على تنظيم حديدي، من خلال رجال عركتهم الحياة، ولهم تجربة في مقارعة العدو، وبأسُهم عليه شديد، ولا يزالون حتى هذه اللحظة، مفعمين بحيوية الجهاد، يُتعبون ولا يتعبون، ويشكلون هاجساً مرعباً للاحتلال، ووجعاً هيهات أنْ يبرأ منه.

كان من الذين جنّدهم الشهيد عادل، في البدايات من عملنا، الشهيد جهاد سمحان، من قرية اسمها رأس كركر، إلى الغرب من رام الله. وهو من صفوف حركة فتح، وقد بقي جندياً مجهولاً، حتى لحق بربه شهيداً، جندياً في كتائب عز الدين القسام، والكل يعلم أنه من حركة فتح، وضابط في الأمن الوقائي.

رحمَ الله أبا الفداء، فإنه ما من مدينة من مدن الضفة الغربية، وحتى الكثير من قراها، إلاّ وكان حاضراً في تنظيمه وتخطيطه، وكان له على ذلك بصمات لا تُنسى، ولا ينساها أحدٌ من إخوانه. وكلما ذُكر بين معارفه، ترى في وجوههم لسان الحال يقول: آه ليته كان معنا، فكم من المجالس كان حاضراً فيها؟ ولا غرابة أنْ ينظُم الابن البار وليد خالد[27] بهذا القائد القصائد والمدائح، وهو من الذين أخذه الحب والإعجاب بشخصه، وسلوكه. ولقد علّقت صحيفة يديعوت أحرونوت العبرية على خبر استشهاده فقالت على لسان أحد قادة العدو: هذا الرجل لا يصلح إلاّ أن يكون مهندساً في غرفة عمليات عسكرية.

رحمك الله يا أبا الفداء، ورحم الله جميع إخواننا.

---

[27] **وليد خالد حرب (1971–)**: ولد في قرية سكاكا جنوب نابلس. التحق في كلية الهندسة بجامعة النجاح. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال لنشاطه في حركة حماس وجناحها العسكري، وقضى في السجون أكثر من 15 عاماً. قيادي بارز لأسرى حركة حماس في السجون، وله عدد من المؤلفات الأدبية والدراسات، أبرزها: **عكس التيار سباحة لا بد منها**، و**محاكمة شهيد**.

الفصل العاشر

خيَّم ظلام السجن من جديد

خيَّم ظلام السجن من جديد

مضى على خروجي من السجن 7 أشهر، مثقلة بالهموم، وزاد عليها عشرون يوماً تنوء بحملها الجبال، فاستشهاد عادل وعماد بقدر ما هو اصطفاء من الله، بقدر ما هو فرصة تشفَّى بها أعداءُ الله.

إنها شهور وأيام لا تعيشها لنفسك، وما خُلقنا لهذا، بل كل من اختار ذات الشوكة سبيلاً في صراعه مع هذا المحتل، الذي لا يعرف إلا هذه اللغة، يعلم علم اليقين أن هذه هي الضريبة، وأنها طريق محفوفة بالمكاره. وقد جاء على لسان عامي أيالون Ami Ayalon، الذي ترأس الشاباك الإسرائيلي سابقاً، وكذلك سلاح البحرية: "أننا لا نستجيب لخصمنا إلا والمسدس في رؤوسنا".

فمن أين تأتي الراحة؟ وقد سخّر العدو كل إمكانياته لحربك؟ فأنت تتحرك بلا ظلّ، وفي العراء، وفي ظلّ هذه الأوضاع التي يحيط بها الاحتلال، فأنت لا تجد في النوم راحة، ولقمة العيش مغموسة بالتعب والترقب. والذين فرحوا بعودتك من أهلك وذويك، لا يجدون فرصتهم في العيش معك والشبع منك، وهم في خوف عليك... مع أنهم عون لك. فمثلنا كما قال الشاعر:

إذا الله لم يحرسك مما تخافه فلا السيف قطّاع ولا الدرع مانع

فإمكانيات الوقاية والحماية من سطوة العدو لا ترقى إلى تفويت الفرصة على العدو عندما يداهمك.

في يوم 1998/9/20 مضى على استشهاد المجَاهِدَين عادل وعماد عشرة أيام موجعة، وبينما أنا في طريقي إلى بير نبالا، بصحبة أخي عمر، لتقديم واجب العزاء بوفاة والد الشيخ عزام الخطيب، مدير الأوقاف الإسلامية في القدس، وذلك مع الغروب، وإذا بالعدو ينتظر فرصته للانقضاض عليَّ، ويتربص بي لاعتقالي في الضفة الغربية، بدلاً من القدس؛ لأن اعتقالي من القدس، لا يعطيهم الوقت الكافي والضاغط في التحقيق خلال 30 يوماً، إذا لم ينتزعوا اعترافاً مني، بينما الضفة تخضع للحكم العسكري، ومعهم من الزمن أربعة أشهر كاملة، يستطيعون من خلالها، أن يأخذوا راحتهم في التحقيق. فالقانون في القدس يحجم سلطة الشاباك، وإن كان لا يعجزهم شيء إن أرادوا الالتفاف على القانون، ومن هو على القانون حارسٌ لا يسعه إلا خدمتهم.

لما دخلت بير نبالا، وعلى مقربة من مسجدها، وإذا بسيارة حرس حدود تلحق بي، وبصحبتها سيارة مدنية تقلُّ رجالاً من الشاباك، فأوقفوني بحجة مخالفة السير وتجاوز سيارتهم، فقلت لهم: كيف ذلك وأنا أسبقكم، كقصة الذئب والحمل. فاقتادوني وأخي إلى مركز شرطة في مغتصبة جفعات زئيف، واحتفظوا بي، وعلى الفور نقلوني إلى المسكوبية، سيئة الذكر ومن فيها. وأجروا لي تفتيشاً سريعاً، وصادروا خصوصياتي، كساعة اليد والنقود وغطاء الرأس والحزام، وحتى رباط الحذاء. وجاءني مسؤول في التحقيق واسمه موفاز، واقتادني إلى غرفة عملياتهم، وإذا بهم كالشياطين من حولي، هذا يسأل والثاني يسخر... والثالث يطرح سؤالاً آخر، والرابع والخامس في هجوم مبرمج، دون أن يعطوك فرصة للكلام. وأنت لا تريد أن تتكلم... كل ذلك حتى يشلوا التركيز عندك، وحتى يربكوك. فمعرفة عدوك من خلال الكتب ثقافة بعيدة عن الممارسة، وأن تعايشه بأنفاسك، وتتعرض لبصاقه ورائحته الكريهة، فأنت في حكمك عليه ومعرفتك به، كالمعاين وكما يقال: "البعيد عن الطوشة [المشكلة] خيَّال".

إنها الحرب... وإنها عداوة الدهر، إمّا أنت وإمّا هم، فشمعون بيريز يقول: "إنه لا سلام لهذه المنطقة ما دام الإسلام شاهراً سيفه، وإنه لن يكون لنا قرار في هذه الأرض، حتى يغمد الإسلام سيفه إلى الأبد".

ونحن نقول للاحتلال: إن لنا معكم حساباً، وإن الله اصطفانا لحربكم، وأذكر من التاريخ أن الحجاج الثقفي لما وليَ العراق، خطب الناس فقال: "وإن أمير المؤمنين نثر كنانته، فعجم عيدانها عوداً عوداً، فوجدني أمَرَّها عوداً، فرماني بكم". وإن الله يعلم أيها الصهاينة، أننا أمرُّ الناس عوداً، وأننا أقدر الشعوب على حربكم، فرمانا بكم طليعةً لهذه الأمة. فكم من شعوبٍ غَلَبَها الاستبداد؟ فبادت، فيا وَيْحَكُم، ويا وَيْحَ مَنْ ألقوا أنفسهم في دربنا!! فإنا إذا نزلنا بساحة قوم ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾[1].

حاولوا جاهدين، منذ اللحظة الأولى، أن يعرفوا التنظيم عن طريقي، وأن يحيطوا بالسلاح والتسليح، وأن يعرفوا خارطة العلاقات ما بين عادل ومحيي الدين وأنا، وأن يأتوا على تنظيم القدس والضفة. ولعشرة أيام، وقد حرموني من النوم، وهم يتناوبون عليَّ ليل نهار، وعندما ينفد صبرهم يوجعونك بما لا يطاق، يضعون القيود

[1] **القرآن الكريم**، سورة الصافات، آية 177.

قريباً من المرفق، وفي عملية ضغط تفقد من خلالها أعصابك. فلا شبح الموزة، ولا الهزّ، ولا الضغط على العمود الفقري، بمثل هذا العذاب، حتى حطم صوتي وصراخي صمت الزنازين وجدرانها.

وفي اليوم الثالث من التحقيق، ولما نفد صبرهم، جاءني يوفال ديسكين Yuval Diskin، وقد أصبح رئيساً للشاباك فيما بعد، وحاول حملي على الجلوس على الكرسي، فقلت له: أجلس أرضاً؛ لأن ضباطك على قدر كبير مِنْ سوء الأخلاق، كالكلاب المسعورة، فتميزوا غيظاً، وانتظروا فرصتهم فيما بعد، فلما فشل في الحوار معي قال لهم: اكسروه. ولعشرين يوماً، وصراخ موسى دودين مع صراخي يطرق أبواب السماء. أما المجاهد تيسير سليمان، فكان أصبر منا على المحنة والابتلاء، وسمعتهم يقولون: "ما قال كلمة أخ"، أي أنه لم يظهر لهم توجعاً، بل أغاظهم، ولم يشمتهم فيه.

كان التحقيق يدور حول رسالة بعثتها للأخ عادل عن صفقة السلاح التي ذكرتها مِنْ قبل مع الأخ عمر سعادة، وفيها الآر بي جي وبقية العتاد، وعن بندقية من طراز أم 16، فواجهوني ببعض الأوراق التي تخدمهم في التحقيق، والتي كنت قرأتها في بيتي من قبل، وعثروا عليها لما اقتحموا على عادل بيته. وكانوا يسابقون الزمن حتى يصلوا إلى مجموعة أبي علي العباسي، وقد وردت عندي أسماء تبادلنا الرسائل حولها بشأن تبرئتها من الظلم الذي وقع عليها داخل السجون. فكان ظنّ المحققين أنهم مجموعة، وأني نظمتها، فقلت لهم: إن مثلي لا ينظم، ليس هذا من اختصاصي. وأتوْا بهم، وأوجعوهم ضرباً، وقالوا: لا علاقة لنا بالشيخ، وقلتها من باب النكاية بالمحققين، والالتفاف عليهم: أعطيت هذا مسدساً، وهذا كلاشينكوف وهذا مسدس وهذا... وقد أكلت المحققين العربدة، ويريدونها ساخنة، ولثلاثة أيام والضغط مستمر على أشده، وفاقد الشيء لا يعطيه، حتى جاءني مسؤول التحقيق في جهاز الشاباك برتبة جنرال، يقال له "أبو شريف"، وما هو بشريف، فقال لي: أريد الحقيقة؟ فقلت له: هؤلاء الناس لهم قصة في السجون، وقع عليهم ظلم، وأنت أدرى بهذا؛ لأنه مِنْ ضمن ألاعيبكم، فأطلق سراحهم، وقصة السلاح افتعلتها؛ لأن ضباطك يريدون مني تنظيماً أو الاعتراف على مجموعة، وهذا ليس من اختصاصي، وأخيراً أطلق سراح هؤلاء الشبان.

وأخيراً لما واجهوني بهذا الكم من الرسائل، وكأنه سدّ في طريقه إلى الانهيار، وأنت تحاول جاهداً أن تحول بين ذلك، اعترفت بعلاقتي مع المجاهد عادل، وأننا كنا نريد أن نسمم مياه المستعمرات، وتسميم الأجواء من خلال رديترات السيارات، واعترفت على مسدس كان عندي، وواجهوني برسالة بعثها أبو همام النتشة إلى عادل عوض الله يقول فيها: إن الشيخ عمر المختار في طريقه إلينا ببندقية أم 16، وطال التحقيق، حتى قالوا لي في يوم قرار الحكم: سلمنا البندقية ونحن على استعداد أن نخفف عنك الحكم، فأنكرت عليهم ذلك.

كان المجاهد أبو الفداء قد أعطى أمي رحمها الله، اسماً حركياً هو "السفينة"، واسمي الحركي كما اختاره لي في "الكتائب"، والمشروع الجهادي هو عمر المختار، وكانوا ينادونني بسِيدي عُمَر... كما يحلو للأخ المجاهد باجس نخلة، والأخ النائب (أبو مالك) أحمد مبارك.

وفي يوم من أيام التحقيق، والشر دائماً في عيونهم، قال لي أحد المجرمين من المحققين: اليوم ستبكي أختك دماً، والمقصود أم المثنى زوجة سلمان أبو عيد. فقد مكروا به عن طريق أحد عملائهم بسلاح مفخخ في صفقة شراء، وانفجرت بهم في السيارة، واستشهد زهران إبراهيم زهران، وأصيب سلمان وسليم، ونقلا إلى جهاز الأمن الوقائي، بدلاً من المستشفى. وخضعا للتحقيق حول صلتهما بالشهيد محيي الدين الشريف، وساوموهما من أجل ضرب الحركة من الداخل، واللعب على أوتار الخلافات، ولكنهما صبرا على هذا الابتلاء، وتعافيا من آثار الانفجار. وكما يقال: "اللي [الذي] له عُمُرْ... لا تضيمه شدة".

ولي تعليقٌ على هذا، يخرج علينا أهل الحل والعقد في رام الله، إنْ صحّ أن نقول عنهم أهل حلٍ وعقد، ويُفَصِّلُون لنا ثياباً لا تقاس على سلمان أبو عيد، والشهيد زهران، والأخ سليم، ويرمون هذه المجموعة بالاتهامات الباطلة. وأقول: بكل ما شغلتم من مواقع... هيهات أن تلحقوا بركب هذه المجموعة! لقد أوقعتم ظلماً، ورميتم زوراً وبهتاناً، وحتى الآن لم تعتذروا، وكأنكم في منأى عن الحساب، فالوحَا ثمّ الوحَا من قبلِ أيْ يأتي يوم الحساب.

ثمّ أشاروا لي عن علاقتي بالأخوين جميل صرصور من البيرة، ومحمد صرصور، وأنكرت صلتي بهما، وقالوا والله: نحن "نُنَشّن" عليهما. وأعترف أنني ذكرت الأخ (أبا سالم) جميل في شأن المال، وفيما بعد اعتقلوه من المطار وأتوا به. وحضرت أمي

للتحقيق وأنكرت أمي صلتها مع أي طرف، وجلست وإياها على طاولة التحقيق في غرفة العمليات، ونحن متقابلان إذ رفضوا أن نجلس جنباً إلى جنب، ثمّ تركونا وحدنا، فقالت تسأل: في شيء هنا؟ وتقصد وجود من يتجسس علينا، فقلت لها: وهل يتركوننا هكذا؟ ففهمت، ودار الحديث لساعات عن البيت والأهل والأولاد، وهم يتربصون بكلمة تسقط من بين الثنايا، وكانت صائمة ليوم الإثنين، وقد تمنطقت بملابسها، وهي لا تعرف إلا الشهادة، وقالت لعلي ألقى الله وأنا صائمة.

ثمّ دخل علينا الأخ المجاهد جميل صرصور، وقبّلها وقبّلتهُ. وانتهى الأمر بي أني تحملت إفادتها، واعترفتُ أنها نقلت المال للشهيدين عادل وعمر سعادة، ضمن صفقة تخرج بموجبها من يومها إلى البيت. وفعلاً مع المساء خرجت من المسكوبية إلى البيت، رحمها الله، وقضى الأخ أبو سالم حكماً، ثمّ أبعد إلى أمريكا.

وفي جلسة تحقيق، قال لي قائد طاقم التحقيق، واسمه مارتن، وضباطه يسمعون: شيخ أبو طير أنا متأسف للذي آذيناك به، وهذا عملنا، وخارج التحقيق، فإني أقول لك على سماع ضباطي هؤلاء: كان لي الشرف أن أحقق مع الشيخ أبو طير. وقال آخر: "سلامة خيرك، إحنا الذي أخذناه منك، أخذناه من قبل من الأوراق، وتعلمنا منك أكثر مما حققنا معك". ثمّ قال لي هذا الجنرال: يكفيك هذا، واذهب للتقاعد، اذهب إلى العمل السياسي والإعلامي، واترك العمل العسكري لغيرك بعد هذا المشوار. لكن هؤلاء القوم، لا يفرقون في حربهم بين السياسة والعسكرة، وذلك عندهم سواء؛ لأننا لما ذهبنا للانتخابات والعمل السياسي... جددوا لنا الحبس من جديد، وبحرب أشد وأنكى، وزيادة على ذلك، طردونا من بيوتنا وديارنا وحرمونا من أهالينا.

ومارتن هذا كان مسؤولاً عن التحقيق، وقائد غرفة العمليات سنة 1998، وهو المسؤول المباشر عن تصفية الشهيد عبد الصمد حريزات، في أثناء التحقيق معه. وكان مما قاله لي عن حالة التراجع، التي وصل إليها الجندي الإسرائيلي، وعن الخلل في معنوياته والاهتراء في قوته، إنه ما إن يخرج من بيته متوجهاً إلى الجبهة حتى يبدأ بمهاتفة أمه وأبيه "إيما إيما، آبا آبا" (كلمات عبرية)، ليطمئنهما على حاله، بينما كنا في أثناء الحرب على الجنوب اللبناني سنة 1982 يمرُ علينا الشهر والشهران والثلاثة ولا نتحدث إلى عائلاتنا، ولا نتواصل معهم. وأقول: ولربما منعهم من ذلك عدم وجود الهاتف المحمول في تلك الأيام.

كل أيام التحقيق هذه كان المجاهد أحمد عطون في التحقيق، ولم أكن على علم بأنهم اعتقلوه، ولما علمت باعتقاله قالوا لي: كيف لا يعتقل وهو رفيق دربك، وصاحبك في التنقلات... ولقد صبر رضي الله عنه ولم ينالوا منه، فحولوه إلى الحبس الإداري... وهو بحق لم يدخل إلى الخط الساخن.

والتقيت من خلال هذه المحنة في الزنازين، مع الحبيب المجاهد الشيخ صالح العاروري، ولما خلعت عني ملابسي، استغرب للحالة التي وصلت إليها، ولحال جسمي الذي يعرفهُ مكتنزاً، فحمدت الله، وقلت: "إنْ ظلّ العود، اللحم يعود". وقال لي الشيخ عن استشهاد عادل وأخيه: الحمد لله الذي شرفهما بالشهادة، والرسول ﷺ أول مَنْ استشهد معه، مَنْ يحبهم مِن صحابته وآل بيته: حمزة بن عبد المطلب، وجعفر بن أبي طالب، ومصعب بن عمير.

قضيت في زنازين التحقيق 120 يوماً (أربعة أشهر على التمام)، وأحتسبها عند الله، وكل مَنْ أتوا بهم للتحقيق من سجن عسقلان، وهم موسى دودين، ومحمود عيسى، وماجد الجعبة، وتيسير سليمان، صبروا على هذه الأيام... ثمّ أتوا بعد ذلك بإبراهيم العباسي ومجموعته، شعيب أبو سنينة، ومحمود إدريس، ورجب الطحان. والتحقيق مع هؤلاء مع الإقرار بفعالياتهم، خفف عني لظنهم أنّي صيد ثمين، فوجدوا الصيد الثمين، عند المجاهد أبي علي العباسي.

وفي يوم من الأيام، دخلت على المجاهد محمود عيسى، وهمه وقلقُهُ عليَّ بشأن الطعام؛ لأن طعامهم في التحقيق لا يساعد على المصابرة. والمؤذي أكثر، أنهم يقدمون لنا الطعام في زنازين، تنضح رائحتها الكريهة بما لا يطاق، والمنبعثة من المراحيض وتزكم الأنوف. وقد فعلوها معي، إذ بيّتوني ليلة من المساء حتى الصباح المتأخر في زنزانة أرضها ماء، وهي تطفح بالغائط، وأنّى لرائحتها ألا تفوح؟ وكنت طوال الليل أحاول جاهداً أن أَقِيَ نفسي هذه الرائحة، بكم قميصي، ولكن هيهات!! هذا عدا الشبْح في الليل والنهار، والقيود في الرِّجْلَين والمعصَمَين.

وفي ليلة 27 رمضان رأيت فيما يرى النائم: أني في مطبخ بيتنا، وله باب على القبلة، وقبالة الباب قِدْرٌ كبيرة فيها لحم قد نضج، لكن ما زال مرقُه ينتظر الهدوء بعد الغليان. ومشيت طريقاً على قارعتها رجلٌ أعرفه، اسمه فرّاج، بصحبة الأخ عايد دودين، فأولتها لما استيقظت وقلت: نضج اللحم الانتهاء من التحقيق، والباب مفتوح على الطريق، وفرّاج

فَرَجٌ إن شاء الله، وعايد، هو العودة إلى سجن عسقلان... وفعلاً قلت للسجان: أنا من يومي هذا خارج إلى عسقلان، فقال: ماذا تقول؟ اليوم لا توجد نقليات "بوسطة". وبعد صلاة العشاء من المساء، وإذا به يقول لي: تجهز للسفر، وفوجئ بما قلت له. وغادرنا المسكوبية، أنا وأبو علي العباسي، وقال لي: كنت أتوقع أن ألتقيك؛ فجمعتنا أيام السجن أكثر مما اجتمعنا خارجه.

لقد كانت الضربة موجعة، وأتت على قيادات العمل من الشمال إلى الجنوب، أتت بالقائد الميداني أبو أيسر نزيه أبو عون[2]، والمجاهد فازع صوافطة، والمجاهد عماد ريحان[3]، وآخرين لا يتسنى ذكر أسمائهم جميعاً.

في سجن عسقلان من جديد:

حملتنا "البوسطة" من المسكوبية في القدس إلى سجن الرملة، حيث ما يسمى "المعبار" ونمنا ليلتنا، وفي الصباح كان الرحيل إلى سجن عسقلان. أما الأخ أبو علي العباسي، فنقلوه إلى سجن شطة شمالاً. ولما وصلتُ إلى ساحة السجن بعد التفتيش والإجراءات، استقبلني مَنْ في الساحة كأنه لم يسبق ذلك وداع. فاستقبلتني دموع الحاج أبو السكر، والمجاهد عبد الحكيم حنيني، والحاج ماجد الجعبة، وأبو صهيب العجولي، وهارون ناصر الدين، وفراس جرار، ومن في الساحة جميعاً، وقد أوجعهم ما جرى لي. واستقبلتني غرفة 11 قسم (3)، وفيها الإخوة عصام قضماني[4]، ومحمد الرشق،

---

[2] **نزيه سعيد أبو عون (1962–):** ولد في قرية جبع جنوب جنين. انضم مبكراً لجماعة الإخوان المسلمين. نشط في كتائب القسام مبكراً، واعتقل لذلك، يوم 1993/6/10، وحكم عليه بالسجن أربعة أعوام. اعتقل ثانية يوم 1998/9/29 لدوره القيادي في كتائب القسام ضمن المجموعات التي ترأسها الشهيد عادل عوض الله، وحكم عليه بالسجن لمدة ستة أعوام. اعتقل في سجون السلطة الفلسطينية، وهو كتابة هذه السطور معتقل إداري في سجون الاحتلال.

[3] **عماد يوسف ريحان (1967–):** ولد في بلدة تل جنوب غرب مدينة نابلس، ودرس المحاسبة. اعتقل عدة مرات لنشاطه في صفوف حركة حماس في أثناء الانتفاضة الأولى، واعتقل في 1994/4/6 بتهمة الاتصال بالقائد الشهيد عماد عوض الله. اعتقل في سجون السلطة الفلسطينية، بعد تنفيذ كتائب القسام لعملية يتسهار Yitzhar في آب/أغسطس 1998. أعادت قوات الاحتلال اعتقاله واتهمته بالمسؤولية عن الخلية القسامية التي نفذت العملية، وبعد عجز الاحتلال عن انتزاع اعتراف منه حكم بالسجن لمدة عشرة أعوام. استشهد شقيقاه القساميان عاصم ومحمد في أثناء وجوده في السجن، وبعد الإفراج عنه أعاد الاحتلال اعتقاله إدارياً لمدة عام ونصف.

[4] **عصام طلعت قضماني (1975–):** أسير مقدسي من الرام. نشط في كتائب القسام، وأسهم في عملية لأسر جندي صهيوني يوم 1994/7/6. أصيب يوم 1994/8/12 في أثناء عملية استهدفت منزل شارون داخل البلدة القديمة في القدس في رأسه، واعتقل في ذات اليوم، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18، وأبعد إلى قطر.

وخليفة الصغير المبروك، وإبراهيم الحزيبي، وزين الدين شبانة، والمجاهد حسن الزاغة[5]. كان ذلك بتاريخ 1999/1/21، حيث دخلنا على سنة جديدة.

هموم السجن من جديد، وإدارة السجن تلاحق الأسرى بإجراءاتها الظالمة، ولن تبرح حتى تأتي على إنجازاتنا، التي دفعنا ضريبتها من خلال الإضراب عن الطعام، ومعركة الأمعاء الخاوية. واستنزفت أيامنا وأعصابنا؛ لأنك من خلال هذه المعركة، لا تستطيع القراءة أو مزاولة أي نشاط؛ لأن في ذلك إرهاقاً وتعباً على العينين أكثر من أيّ شيء. وأن تحافظ على صلاتك شيء عظيم.

ما كدت أتعافى من ضيق الزنازين، وآلام التحقيق، وإذا ببلاغ جديد لسفرية جديدة إلى المسكوبية. وأُخضعت للتحقيق مرة أخرى، على اعتراف من الأخ عاصم سيد أحمد، يتهمني أني نظمته، وأني طلبت منه أن ينقل رسالة من سجن الخليل إلى سجن رام الله للمجاهد عادل عوض الله، فأنكرت ذلك؛ وأعذرت الأخ عاصم لمرضه. ومكثت واحداً وعشرين يوماً في الشبح، والتحقيق على ما في هذه الرسالة، التي مضت عليها أربع سنوات، ثمّ رجعت إلى عسقلان، وحصل فيه مشكلات جديدة وصدام، تطور إلى ضرب بالأيادي والعصي والغاز، ما بين المجاهدين وإدارة السجن.

متاعب الزيارة و"دفاش":

زيارة الأهل يكفيها العناء الذي يرهق العائلات، فعائلات الأسرى من الآباء والأمهات، والإخوة والأخوات، والأبناء والزوجات، ترى في يوم الزيارة هذا، يوم جهاد يبدأ من قبل صلاة الفجر، ولا ينتهي مع الغروب، بل وإن بعض العائلات لا تعود إلى البيت، إلا مع منتصف الليل. نعم جُمُوع الأسرى تعاني في السجون، ومعلوم لدينا أنه لا راحة في السجن مع إدارتها، ففي كل لحظة نحن عرضة للمواجهة، وقد تتطور الأمور كثيراً، لكن معاناة الأهالي طال انتظارها، وكم من الآباء والأمهات قضوا نحبهم، والحسرة في قلوبهم؟

---

[5] **حسن مصطفى الزاغة** ([**1976**]–): ولد في مدينة نابلس. انتظم في صفوف كتائب القسام ونفذ في 1994/4/23 عملية استهدف فيها ضابط شرطة صهيوني فأصابه بجراح وأصيب في أثناء انسحابه في قدمه. اعتقل وقضى بسجون الاحتلال عشرة أعوام حصل خلالها على درجة البكالوريوس. ناشط حقوقي في مجال الأسرى، اعتقل بعد ذلك عدة مرات في سجون الاحتلال وسجون السلطة الفلسطينية وحكم عليه بالسجن عامين.

في إحدى زيارات الأهل، ضبطت أمور ممنوعة، يقوم الأهالي على تهريبها، وهي لا تستحق هذه "البَهدلة [العقوبة]"، لكن وقاحة السجَّانين القائمين على الزيارة، تفتعل المشكلات، بل هم متخصصون في ذلك. فأن تأتي بالعائلات لزيارة الأسرى، فخط أحمر ساخن، تقوم الدنيا عندهم بسببه ولا تقعد، فقام أحد الإخوة واسمه محمد دوّاس بطعن ضابط عدد السجن، والآن لا سبيل لكبح جماح إدارة السجن، في ظلّ ضابط أمن سافل وحاقد اسمه دفاش، وتعني بالعربية العسل، ومن أين يأتي العسل؟ هذا الضابط قاد عملية اقتحام للقسم الذي حدثت فيه المشكلة، واعتدى على من فيه بالضرب، وكان من بين القاطنين فيه الشيخ صالح العاروري والشيخ سعيد زعرب. وتطور الموقف، وعوقب القسم، ودخل الإخوة في إضراب عن الطعام، استمر عشرة أيام، وقيادة السجن في الداخل والأقسام الأخرى، من فتح وحماس والجهاد والشعبية، عجزت عن نصرة إخوانهم هؤلاء، ولو بيوم تضامن يضربون فيه عن الطعام، وأن تدخل حماس وحدها في المواجهة في هذه الخطوة، فالموقف ضعيف. ولأول مرة في عسقلان تموت النخوة، وإن تكررت من بعد ذلك، وعسقلان فيما مضى تاريخه حافل، ويرجع هذا الوضع المهزوم لقيادات التنظيمات، فقد آثروا حياة الدعة، وقبلوا على أنفسهم القعود عن نصرة إخوانهم، حتى إن أبناء فتح في قسم (12)، الذي حصلت فيه المشكلة، طلبوا مغادرة القسم حتى لا يلحق بهم العقاب المفروض على غرف حماس.

خرجت إلى الناس من أبناء حماس في الساحة، وجلست مع المسؤولين والقائمين على التنظيم، وقلت لهم: كفاكم هذا العجز، وتفضلوا بتقديم الاستقالة، وسنعلن حالة طوارئ تقودها لجنة سرية، هي المسؤولة عن سياسة التنظيم، وحتى نرى ردة فعل الإدارة، وقد قصدنا أن تعلم أننا في الساحة لا يمثلنا أحد، وحتى لا تعلم إدارة السجن سياستنا. وفعلاً، لقد حاولت إدارة السجن أن تتعرف على هذه السياسة، وكذلك الفصائل، ونجحنا إلى حدٍ ما في اختراق الموقف، وقمت بزيارة إلى الإخوة في قسم (12)، وعملنا على الخروج من هذه الحالة، وما طالت لأن الترحيلات والتنقلات في السجن تطورت، وافتتحت مصلحة السجون سجناً جديداً، اسمه "هدريم"، وجعلت منه قسماً خاصاً بحماس، واتبعت فيه سياسة العزل. ونقل الشيخ صالح العاروري، والشيخ سعيد زعرب، ومجموعة كبيرة كلها من حماس إلى ذلك القسم. وفرضت عليه سياسة جديدة من القهر، وصادروا أمتعتهم وملابسهم وحاجيات كثيرة، ولأول مرة تفرض عليهم

الزيارات من وراء الزجاج، ومن خلال الهاتف، ولم يكن معهوداً من قبل في السجون، وأضرب الإخوة عن زيارة الأهل، وطال إضرابهم، وسنتحدث عن ذلك فيما بعد.

حصل من خلال الترحيلات صدام وضرب بالأيدي بين أبنائنا وضباط إدارة السجن. وذات مرة كان الأخ المجاهد طه الشخشير[6] في زنزانة للترحيل، ودخل عليه ضابط أمن السجن ونائبه، فهجم عليهما كالجمل، وخلع عن أكتافهما الرتب، وكسر حوض ضابط الأمن، ولأربعين يوماً وهو في المستشفى يعالج. وكذلك نائبه الوقح تمكن منه الأخ طه وهشم رأسه، وهو مَنْ ذكرته سابقاً باسم دفاش، ثمّ قام بضربه كذلك المجاهد فازع صوافطة. وهجمت الإدارة بالعصي والهروات والغاز على المجاهد طه، وما أفلحت في تخليص الضابطين من بين يديه، إلاّ بعد جهد، حصل هذا في سنة 1999، في عسقلان، وجزى الله الأخ طه عنا خير الجزاء.

حزب الله والطرد من السجن:

عندنا في السجن شبان من الشيعة، محسوبون على حزب الله وحركة أمل اللبنانيين، هؤلاء الشبان لهم خصوصيتهم في معاشهم، وعلى صعيد عبادتهم، فهم لا يشاركوننا في صلاة الجماعة ولا الجمعة، وغالباً لا يصلون جماعة في غرفتهم، فلهم غرفة خاصة بهم، والعلاقة بيننا وبينهم قائمة على الاحترام، ومشروعنا المقاوم يلتقي مع مشروع المقاومة في الجنوب اللبناني، ونعدُّ رؤيته ناضجة في فهمه لأبعاد الصراع مع العدو الصهيوني.

وبيننا وبينهم خلاف عقائدي، إن اقتربنا منهم أبعدوا عنا، وأي قرب منهم لم يكن على حساب الصحيح في منهجنا؛ لكن لأجل تضحياتهم من أجل قضايا الأمة، حَرِصْنا على توفير أحسن العلاقات معهم، وخدمتهم بما نستطيع، وبالنسبة لي بقيت على تفهم وقرب منهم.

على أي حال، في ليلة مِنَ الليالي، اقتحمت إدارة السجن غرفة 7، وهي لأفراد حزب الله، ومعهم عدد من الإخوة في الجهاد الإسلامي، وباغتتهم في سُرُرهم، وأخرجت من بين

---

[6] **طه عادل الشخشير** ([1965]–): ولد في مدينة نابلس، شارك في فعاليات الانتفاضة الأولى واستشهد فيها شقيقه ياسين. بعد استشهاد شقيقه بدأ بصناعة قنابل بدائية واستهداف قوات الاحتلال فيها. في 1992/12/1 اقتحمت قوات الاحتلال بيته في منطقة رأس العين واعتقلته، وحكم بالسجن المؤبد و15 عاماً. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18.

أيديهم ستة هواتف محمولة، وجميع مَنْ في السجن لا يوجد عندهم هاتف محمول واحد، حتى مَنْ معهم مِنْ أهل الغرفة من شبان الجهاد لا يعلمون بها، ولم يلاحظوا عليهم أنهم يتواصلون مع أهاليهم، وأنا أحترم هذه السرية عندهم. لكن أناساً يعيشون معك ولا يفشون سرك، ولهم حقّ الجيرة والعشرة، فما المانع أن تكرمهم، خاصة وأنهم يوفرون لكم زيارة أهاليهم؟ فعائلاتنا من غزة ومن القدس، هي التي احتضنت أبناء حزب الله في الزيارات والتواصل.

وفي الصباح، تعرض السجن لعملية تفتيش واسعة وتخريب منظم، واتبعت الإدارة ومصلحة السجون سياسةً، لم تكن موجودة من قبل ولا مقبولة، ألا وهي التفتيش العاري لجميع الأسرى... وهنا توترت الأوضاع، وقالت إدارة السجن للجنة الحوار الفصائلية: إذا كانت هذه الكمية في غرفة واحدة فما بالكم بباقي غرف السجن؟ وردت لجنة الحوار إنه لا يوجد عندنا أبداً، والسجن والفصائل فوجئوا بهذا الأمر، كما فوجئتم أنتم... لكن هيهات للإدارة أن تقتنع!!

كان الأخ عثمان مصلح (أبو الناجي)، هو ممثل المعتقل عن فتح والفصائل، واتخذت قيادة فتح، ومنها أحمد عوض كميل، وفيصل أبو الرب، ويوسف عزرائيل مع أبي الناجي، وتنظيم فتح، موقفاً من حزب الله، وطالبت بطرد أفراده من السجن. تدخلنا في الأمر، ورفضنا منطق الإخوة في فتح بهذا الشأن، وقلنا لهم: لن نسمح بمرور هذا الأمر. وفي يوم الجمعة وقفت خطيباً ودافعت عن حزب الله، وقلت عنهم أنهم لا يقلون عنا شرفاً في الدفاع عن القضية الفلسطينية، وهم قوم في قطيعة من أهاليهم، ومَنْ يعتدي عليهم... يعتدي على شباب حماس.

عندها توترت الأوضاع بيننا وبين الإخوة في فتح، وطالبت فتح على إثْر ذلك بالفصل بين أسرى منظمة التحرير، وأسرى حماس والجهاد وحزب الله، وقالوا لإدارة السجن: نحن مع السلام، وبيننا وبينكم صُلح وسلام. ونادى أبو الناجي بأعلى صوته على يوسف عزرائيل: لا أُريد أن أرى أحداً من حماس هنا. وتمّ لهم ذلك، فقد وافقت إدارة السجن على طلباتهم، وفصلوا بيننا ووضعوهم في أقسام خاصة بهم. ولم يكتفوا بذلك، بل طالبوا بطردنا إلى سجون أخرى. وكان لهم ذلك، فقامت إدارة السجن بترحيلنا إلى سجني شطة ونفحة، وأتت بأسرى منظمة التحرير من نفحة إلى عسقلان، وهنيئاً لأبي الناجي وعزرائيل وأبي الرب ذلك... "ويا فرحة ما تمت"، فما إن وصل أسرى غزة

إلى عسقلان، وطالبوا بالانتخابات، وتولّى أهل غزة التنظيم، من أبي الناجي وعزرائيل وأبي الرب، حتّى دبت الخلافات بينهم، حتى قالوا "ساق الله على أيام زمان"، فَعِشْرَةُ أهل الضفة من حماس أرحم علينا مِنْ عِشْرَةِ أهل غزة من فتح. وعلى الباغي تدور الدوائر، وأذكر أن الأخ المجاهد توفيق أبو نعيم حذرهم من ذلك وأنكر عليهم، وحمّلهم مسؤولية هذه الخطوة.

وكذلك ما بعد الحسم، شبان فتح هم من دعا إلى الانفصال، وطالبوا بإلحاح، وافتعلوا المشكلات، وألقوا بالتهديدات إذا لم يتم الفصل، وكان بعض أفرادهم يقولون لإدارة السجن: إنهم في صلح مع "إسرائيل"، وهم مع السلام، بمزاج يخطبون به ودّ إدارة السجن، على حساب الكل الاعتقالي.

سجن شطة:

بعدما تمّ لفتح هذا الفصل، وقبلت على نفسها أن تلجأ إلى إدارة السجن، لفرض هذه المعادلة، وطرد أبناء حماس والجهاد من السجن، وكل الظن والحسابات بخيالها الخصيب... أن غيابنا عن الساحة... وعنهم، ورحيلنا سيوفر لهم الراحة، وأن المنظمة في صلح مع الاحتلال، ولهذا ستكافئهم الإدارة بامتيازات، حرموا منها لوجود حماس بينهم، وكأنهم طوال هذه السنين، ما عرفوا عدوهم بالفعل، ولمزاجية يتصفون بها، ستبقى معرفتهم بالاحتلال باهتة.

جاءتهم فتح مِنْ غزة، وازدادت الأمور سوءاً، والأوضاع تعقيداً، ونبشوا عما مضى باتهامات ضدّ أبناء الضفة من فتح، أنهم وراء ترحيلهم الأول، ودارت رحى الخلافات... وما انتهت إلا لما تغيرت الظروف، بعودة أبناء حماس والجهاد إلى ساحة "عسقلان" من جديد.

وفي صبيحة يوم من أيام 1999 حملت إلينا إدارة السجن نبأً بترحيل أبناء القدس والداخل الفلسطيني، من حملة الهوية الزرقاء، إلى سجن شطة، وهذا الأمر لا يحتاج إلى تفكير، فقمنا على أمتعتنا وحزمناها للرحيل. ومشى هذا على أبناء الفصائل جميعاً، تحت دعاوى تحسين ظروفنا مع عملية السلام القائمة. ولكن بدلاً من تحسين ظروفنا، استقبلتنا إدارة السجن في شطة بالعربدة والصلف، ومصادرة أمتعتنا وملابسنا، وحصرها ما بين غيارين إلى ثلاثة. ودخلنا على قسم (17) والإرهاب سيد الموقف،

وجعلوا من السكن خليطاً بين جميع الفصائل، ففي الغرفة الواحدة تجتمع فتح، وحماس، والجهاد، والشعبية، والديمقراطية، كل ذلك لافتعال المشكلات. لكن نضج الشبان المسؤولين فوت الفرصة، وصبروا حتى فرزوا الغرف، وكل فصيل اجتمع في غرف خاصة به، بعد أن توصلنا مع إدارة السجن إلى ترتيب ذلك، وقد مضى على هذه الحال أكثر من شهرين.

كان مدير السجن يهودياً مغربياً، واسمه شلومو رويمي ويعرفه السجناء، وأكثر من يعرفه أسرى سجن جنيد، قبل أن تأتي السلطة كان يومئذ ضابط أمن السجن، وأعماهم بالغاز والإجراءات القاسية، لكنه صاحب كلمة، ويهابه ضباطه وحراس السجن. وذات مرة أخطأ سجان بحق الأخ كريم يونس من فتح، فجاء يوم الجمعة من بيته، واعتذر للأخ كريم عن خطأ السجان. وكان فيما بيني وبينه احترام، حتى قال ذات مرة أمام حاشيته: لو أراد الشيخ أن آتيه بالهواء من الشبك، الذي يعلو الساحة، لأتيته به، وسبحان الله. لكنه قالها نكاية في كريم يونس والرفيق وليد دقة، وليس حباً بي.

وفي سجن شطة، التقينا رفاقاً من دروز هضبة الجولان يتميزون بوطنيةٍ صادقة، وكانوا حرباً على السجانين الدروز، الذين هم من دروز فلسطين. وخطبت الجمعة في تلك الساحة، وميزت بين مواقف هؤلاء ووطنيتهم، ومواقف أولئك من التخاذل، وقصدت أن أُسمعهم، وهم السجانون الذين ينقلون ما يسمعون، ورضوا بأن يُقْتَلَ أبناؤهم، وقد أتى الصهاينة على كل حقوقهم.

سجن شطة له ساحة أكبر من كل ساحات السجون، وكنت أمارس رياضة الركض ساعة يومياً، وبعض التمارين، والنط على الحبل. وكان الأخ سليم الجعبة[7]، والرفيق سامر أبو سير يشاركانني رياضة الصباح على توشيحات فيروز.

وفي هذا السجن على الخُصوص زارنا أعضاء الكنيست العرب جميعاً، من النائب عبد المالك دهامشة، والنائب عزمي بشارة، والنائب أحمد الطيبي، وهم لا يملكون إلا الزيارة، وهي تحت المراقبة، وشكراً لهم على هذه المجاملة.

---

[7] **سليم إسحق الجعبة (1973–):** أسير مقدسي، انتمى لحركة حماس، وهاجم ومجموعة بقيادة بسام إدريس، وعضوية بدر الحرباوي مقهىً يتجمع فيه المستوطنون سنة 1993، وحرق وأصيب عدد منهم. اعتقل في 1993/10/6 وحكم عليه بالسجن لمدة 17 عاماً، ثم اعتقل مرة ثانية وحكم عليه بالسجن لمدة أربعة أعوام.

وفي هذه الأيام دخلت علينا سنة 2000، ولسوء الأوضاع التي تمر على سجن هدريم، وما يتعرض له قسم العزل من أذى القوم وسفالة مصلحة السجون، والذي هو مخصصٌ لأبناء حماس، ويقطنه ثمانون مجاهداً، منهم اثنان من الجهاد الإسلامي، وواحد من الشعبية، دخل قسم العزل في إضراب عن الطعام، وهيأوا له الظروف، وتواصلوا مع الإعلام، وطلبوا من السجون نصرتهم. ولكن أسرى منظمة التحرير ينتظرون حسن نوايا الاحتلال بالإفراج عن الأسرى، فالنفوس في واد، والتضامن مع الإضراب في واد آخر. وعلى صعيد سجن شطة، تضامنوا ليوم أو يومين، وبقية السجون، وخصوصاً عسقلان، لم يتضامن، ولربما سجن نفحة تضامن لعدة أيام... لأن حماس هي صاحبة القرار هناك.

إضراب سنة 2000:

زحف الإضراب مع الأيام، حتى اكتمل له ثلاثون يوماً. وقد تفاعل الشارع الفلسطيني في الخارج، وانتفض الشعب، وأُطلق عليها انتفاضةُ الأسرى، وسقط شهداء من أجل قضية الأسرى. ولم تفلح مصلحة السجون في احتواء الإضراب؛ لأن المضربين رفعوا سقف المطالب، ففي البداية هم يريدون تحسين أوضاعهم المعيشية داخل السجن، والزيارة لأهاليهم بلا زجاج، وكبقية السجون عن طريق الشبك، ومع كل يوم يرتفع سقف التصميم من المضربين، فطالبوا بالدراسة الجامعية في جامعة القدس المفتوحة، وأن تنتهي حالة العزل، وأن يُسمح بالتلفون. وهذه المطالب فوق مستوى مصلحة السجون، فتدخل الشاباك، وعلى مستوى أعلى هيئة فيه.

كنت في سجن شطة، واستدعاني ضابط القسم في سفرية سريعة إلى سجن هدريم، وفي مثل هذا الجو يكون الاحترام من الضباط سيد الموقف. فانطلقت بنا الحافلة دون أن ترافقني أمتعتي، حتى وصلنا هدريم، والتقينا ضباطاً من مصلحة السجون، على مستوى قيادتها، منهم إسحق غباي، الذي كان مديراً لسجني الخليل وعسقلان، ثمّ جاءته ترقية ليصبح المسؤول الاستخباراتي عن السجون، ومنهم كذلك نائب قائد مصلحة السجون ومدير سجن هدريم إيلي غابزون. ودار الحديث بيني وبينهم عن الإضراب، وإلى أين؟ فقلت لهم: المضربون هم مَنْ يقررون. وكان ظني أن مصلحة السجون هي مِنْ وراء حضوري، لكن تبين لي فيما بعد أن الإخوة في هداريم هم من

طالبوا بي، وبإخواني من السجون الأخرى، كما أخبرني الشيخ صالح العاروري. وهؤلاء الإخوة هم: المجاهد أبو إبراهيم السنوار، وتوفيق أبو نعيم، وروحي مشتهى، وزاهر جبرين، ومحمود عيسى. وفي سجن هدريم مجموعة من قيادات الإضراب والعمل، هم الشيخ صالح العاروري، وأبو حذيفة حنيني، وعلي العامودي[8]، وموسى دودين، وهارون ناصر الدين، وزكريا نجيب، وجهاد يغمور[9].

التقينا جميعاً، وأذنت لنا إدارة السجن أن نجلس معاً، ونناقش الوضع، وأن يكون لنا لقاء مع قادة الشاباك حول مطالبنا. وتداولنا الأمر فيما بيننا، للوقوف على مطالبنا جميعها. وقمنا بتشكيل لجنة للحوار، من خمسة إخوة هم: توفيق أبو نعيم، ومحمود عيسى، وزاهر جبرين، وروحي مشتهى واختاروني رئيساً لها. والذي طلبنا لهذا الاجتماع، ووافقت عليه مصلحة السجون والشاباك، هم إخوتنا المضربون. وفي الساعة التاسعة مساءً، حضر رجال الشاباك بفريق من خمسة أفراد، يرأسهم يوفال ديسكين، وقد كان نائب رئيس الشاباك. وكان في انتظارنا خارج قاعة اللقاء الأخوان قدورة فارس وهشام عبد الرازق، ويومها كان وزيراً للأسرى، حتى يضعوا الرئيس عرفات بآخر المستجدات؛ لأنه كان معنياً أن ينتهي الإضراب. ومن خلال الحوار الطويل، الذي امتد لأكثر من أربع ساعات، وربما خمس ساعات، اتفقنا على فكّ الإضراب، مقابل أن يخرج مَنْ في العزل جميعاً، من صباح غد، ومقابل ألاّ نمارس أي نشاط أمني ضدّ قوات الاحتلال من داخل السجون. فقلت لرئيس الشاباك: نحن موافقون على ذلك، ليس من أجل سواد

---

[8] **علي أحمد العامودي (1975–)**: ولد في خانيونس لأسرة هجرت من قرية الجورة سنة 1948. انتقل للضفة الغربية لدراسة الهندسة في معهد قلنديا. التحق في كتائب القسام وعمل مع الشهيد عبد الرحمن حمدان. شارك والشهيد حمدان، وعبد المنعم أبو حميد في قتل ضابط المخابرات نوعم. شارك في عدد من العمليات الموجهة ضدّ الاحتلال وجنوده. يوم 1994/2/24 اقتحمت قوات الاحتلال بلدة أبو ديس وحاصرت منزلاً تواجد فيه الشهيد حمدان، والعامودي، والشهيد يحيى عياش، والشهيد عبد المنعم أبو حميد. انسحب الشهيد أبو حميد وعياش بعد أن بدأ الشهيد حمدان والمجاهد العامودي بالاشتباك مع القوة المحاصرة. بعد قصف بالصواريخ انتهت المعركة باستشهاد عبد الرحمن حمدان وإصابة العامودي بجروح خطيرة أُسر على إثرها. حكم بالسجن المؤبد أربع مرات وأربعين عاماً، ودرس العلوم السياسية في أثناء وجوده في السجن. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18.

[9] **جهاد محمد يغمور (1967–)**: أسير مقدسي ولد في بلدة بيت حنينا. في 1994/10/9 اختطف مجاهدو كتائب القسام صلاح جاد الله، وحسن النتشة، وعبد الكريم بدر الجندي الصهيوني نحشون فكمسان وطالبوا بمبادلته مع الشيخ أحمد ياسين وعدد من الأسرى، وكان يغمور منسق هذه العملية والمشرف عليها. اعتقل يوم 1994/10/13، وعذب بشراسة من أجل الكشف عن تفاصيل العملية. حكم بالسجن المؤبد وثلاثين عاماً. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18.

عيونكم، ولكن لأننا فشلنا في العمل ضدّ قواتكم وجنودكم من داخل السجون. وبعد الجلسة التقينا الأخوين هشام وقدورة، ووضعناهما في صورة ما جرى...

توقف الإضراب على أن تعالج بقية المشكلات، وفي الصباح خرج جميع مَنْ في العزل، ووافقوا لنا على الدراسة الجامعية، وطالبنا بالكمبيوتر، ولكنهم رفضوا، وأمّا التلفون فوافقوا مبدئياً، كما هي الحال عند السجناء المدنيين. وانتهت مشكلة الزيارة للأهل واستبدلوا بالزجاج الشبك. وأما عودتي إلى سجن شطة فانتهى أمرها ببقائي عند الإخوة في هداريم، ولحقت بي أغراضي وأمتعتي، ورجع بقية الإخوة إلى سجونهم، وجاء بقائي بطلب من الشيخ صالح، والإخوة أبي حذيفة، وموسى وهارون، وعلي العامودي، ووافق مدير السجن على ذلك، ولي به معرفة من أيام سجن الخليل، وهو إيلي غابزون، وبيني وبينه احترام. والحق يقال: إنه في سجنتي الأخيرة التي سبقت الإبعاد، أي في نهاية سنة 2010، اقتحم ضابط أمن سجن إيشل غرفتنا، لمعلومة خاطئة بوجود هاتف محمول، ففتشنا بخلع جميع ملابسنا، وتأزم الموقف، وحضر غابزون، وهو قائد المنطقة الجنوبية، فوبّخ ضابط الأمن أمامنا بكلمات قاسية؛ لأنه تعامل معي بهذا الأسلوب، واعتذر لي عن ذلك.

كادت جميع مطالبنا تتحقق، لولا أن انتفاضة الأقصى قلبت كل الموازين، ففي 2000/9/28 قام أريل شارون بزيارة استفزازية، لباحات المسجد الأقصى، ومن حوله حراسه وشرطة الاحتلال. وقال عنه من شاهده، وأنا شاهدتُه: كان ممتقع اللون، والانكسار على وجهه، وهو يتجول في ساحة المسجد، وقد انتفض الناس ورموه بالحجارة والأحذية، ولأول مرة أرى الارتباك على وجهه، وعيناه تزوغان كالذي يغشى عليه.

انتفاضة الأقصى:

منذ أن قَدِمْتُ إلى سجن هدريم أيام الإضراب سنة 2000 إلى سنة 2002، ما برحته إلاّ للتحقيق مرة أخرى لواحد وعشرين يوماً، وقد سبقها وأنا في سجن شطة أن ذهبت مرة أخرى لعشرين يوماً أيضاً إلى التحقيق في المسكوبية.

رُقّي مدير السجن غابزون، وخلفته مديرة اسمها "بيتي"، وكان التفاعل بين الإخوة على أشدّه. وفي غرفة 31 كنت أعيش مع الشيخ صالح، وهي ملتقى الأحبة ومجمع

الخلان. وذات يوم اجتمع الشيخ صالح بالإخوة علي العامودي، وموسى دودين، وأبو حذيفة حنيني، مع غيابي عنهم. وبينما هم جلوسٌ يتناولون أطراف الحديث، وإذا بالأخ منصور شماسنة يدخل عليهم الباب، فانفرجت أسارير الشيخ صالح لحركات يحبها من منصور. وهيهات أن يتمالك نفسه من الضحك، إذ دخل عليهم منصور، وفي يده سروال الشيخ، وقد عطّره، وبعدها أخذ يلوح به بين موسى وعلي وأبي حذيفة، وهذا يتمايل ذات اليمين، وذاك يتمايل ذات الشمال، ومنصور يقول لهم: ويحكم، سروال سيدكم الشيخ. وهات أن "تفرمل [توقف]" للشيخ صالح، فهذه فرصته، وموسى يقول: إبعد عني، وعلي يقول: يا راجل فُكنا منك، ومنصور يرددها عليهم، سروال سيدكم الشيخ، وقد جعله كالبرنيطة على رأس موسى.

وفي يوم من الأيام، وبيتي مديرة السجن، جاء عضو الكنيست جدعون عيزرا Gideon Ezra لزيارة القسم، ورأيته وهو يتفقد القسم بصحبتها، ودخلا غرفة الأخ مروان البرغوثي، وطال الحديث بينهم، ثمّ جاءا إلى غرفتي، والمديرة معنية أن ألتقيه، لكنني كنت قد خرجت إلى غرفة أخرى ولم تجدني. ثمّ ذهبت إلى مجمّع الحمامات ونادت بصوتها: شيخ... شيخ وأنا أسمعها، ولا أجيب. ثمّ رجعت إلى الغرفة، ونادت: شيخ... شيخ، وهو معها وما مِنْ مُجيب. ثم انصرفوا، ورجعت إلى غرفتي، وفي يوم آخر، حضرت بيتي وقالت لي: أنت متطرف، قلت لها: لا، ولماذا؟ فأخبرتني بما حصل البارحة، ثمّ جاء ترحيلي بعد ذلك، ربما لهذا السبب.

وذات مرة، تلاومت والأخ المجاهد علي العامودي، وهو من خيرة رجالنا، ومن أذكى شبابنا، وهو من قاد إضراب سنة 2000 مع الشيخ صالح وعبد الحكيم، فشعر أني قسوت عليه، فقال لي: يا راجل بيني وبينك "حلف دم". نعم، هو والشهيدان عبد الرحمن حمدان[10]، وعبد المنعم أبو حميد، من وراء تصفية رجل الشاباك في رام الله، وأنه على علم بالذي بيني وبين الشهيد عبد المنعم.

[10] **عبد الرحمن محمد حمدان (1971–):** ولد في مخيم خانيونس لأسرة هجرت من قرية السوافير الشرقية سنة 1948. طورد للاحتلال لمشاركته في فعاليات الانتفاضة الأولى. التحق بكتائب القسام وانتقل إلى الضفة الغربية. شارك في قيادة عدد من مجموعات الكتائب التي نفذت عدداً من العمليات أبرزها في ضابط المخابرات الصهيوني نوعم. استشهد في معركة انتهت بقصفه بالصواريخ يوم 1994/2/24، حين حاصرته قوات الاحتلال في بلدة أبو ديس وإخوانه المجاهد علي العامودي، والشهيد يحيى عياش، والشهيد عبد المنعم أبو حميد. وبعد انسحاب الشهيد أبو حميد وعياش، بدأ حمدان والمجاهد العامودي بالاشتباك مع القوة المحاصرة، إلى أن استشهد وأسر المجاهد العامودي مصاباً.

أما على صعيد الانتفاضة، فلقد اتخذت طابعاً متميزاً عن الانتفاضة الأُولى. فجميع الفصائل تسابقت في هذا الميدان، وتشكلت الأجنحة العسكرية، بعد أن غابت طويلاً، حيث انفرد العدو والسلطة الفلسطينية بكتائب القسام وسرايا الجهاد الإسلامي بعد أوسلو، وهذا نجاح عظيم لحركة حماس، أن تأتي بهذه الأجنحة، إلى ميدان المقاومة. ونجحت المقاومة، من خلال هذه الانتفاضة، بطرد العدو الصهيوني من قطاع غزة، واجتاحت قوّات الاحتلال مدن الضفة الغربية، وما أبقت من أوسلو على شيء، إلاّ التنسيق الأمني القائم على خدمة الاحتلال.

لقد أخذ الاحتلال يسابق الزمن، في بناء جدار الفصل العنصري، حتى يحجّم عمليات المقاومة، وما أفلح ولن يفلح. ولولا خدمة أجهزة أمن السلطة الفلسطينية للاحتلال، ما استطاع الصهاينة أن يتغلبوا على المجاهدين، وعلى حسن أدائهم وفاعلية تكتيكاتهم، وهم الذين على الدوام يُبدعون.

لقد دفع الشعب الفلسطيني دمه ثمناً لنجاح انتفاضة الأقصى، ولم يتبقَّ في سجون الاحتلال حتى سنة 2000 إلا 750 مناضلاً ومجاهداً. ولما فشل مشروع أوسلو، وعجز كامب ديفيد، عن التوصل إلى حلّ الدولتين على الأرض، اندفع الشعب الفلسطيني في العطاء بلا حدود، ووصل عدد الأسرى إلى ما يقارب 2000 أسير. والشعب لا يريد إلا قيادة وطنية صادقة، والشعب إذا تولى قيادته وطنيون أحرار فهو لا يعرف التعب. وإنه كما قال لي أخي أبو إبراهيم السنوار، ونحن في العزل في الإضراب سنة 2004، "إذا لم تخذل القيادةُ القاعدة، فعطاء القاعدة بلا حدود".

ومع استفزاز شارون مشاعر هذا الشعب، واقتحامه المسجد الأقصى، كان الرد وبالاً على الاحتلال، فذاق الويل، من خلال عمليات جريئة، هزت كيانه. وشُرِّعت أبواب السجون والمعتقلات، أمام زحوف المجاهدين. إنها المراغمة، التي أخذت شرعيتها من المسجد الأقصى المبارك، ونالت بركته، حتى انتشرت أصداؤها عبر الأرض، التي بارك الله فيها للعالمين، وإنه العطاء المتجدد، والحياة من خلال الشهادة.

مشكلة الخليل وغزة:

لم تعرف حماس منطق "الشللية" أو الفئوية، فحماس ببنائها العقائديّ أكبر وأعلى شأناً من أن تقع في البلديات و"الشلليات". وهذا أمر ظاهر لأعين الناس، ولزمن طويل، وحتى أيام الجماعة الأولى قبل سنة 1985، وأنا إمام لجميع الأسرى، على مختلف

مدنهم وقراهم، وعلى الخصوص أبناء حماس. وكان الحاج إسماعيل أبو شنب، رحمه الله، أميراً علينا... ونعم الأمير، ولا أظن أحداً شكك في قدرته وإمارته. والأخ أبو حذيفة عبد الحكيم حنيني، ونحن مشايخه، كان أميراً علينا، وهو من الأدب بمكان.

لما اجتمعت حماس في سجن نفحة سنة 1999، وبقي سجن عسقلان مقتصراً على عناصر فتح وفصائل المنظمة، دخل على خطّ حماس شخصٌ اسمه "ف. ع." من دورا الخليل، جاءنا مِنْ عند الإخوة في الجهاد الإسلامي، وعاش في نفحة، وأكثرُ القاطنين فيه من غزة والخليل. وفواز محسوب على أهل دورا الخليل، فأثار فتنة في التنظيم، واستقطب حوله إخوة كراماً، ومفاد دعواه أن أهل غزة يستأثرون بالتنظيم، وأنهم قوم مستبدون، ولا بدّ من وضع حدّ للقائمين على هذا الأمر، وتحجيم دورهم، وأن أهل الضفة، والخليل على الخصوص، لا موطئ قدم لهم في التنظيم، ومظلومون.

نعم، أنا أقر، أن بعض الإخوة القائمين على العمل التنظيمي فيهم قسوة، لكنهم والله، ثمّ والله، رجال مخلصون، ويؤثرون على أنفسهم، وهم عُباد لله، أمثال الإخوة توفيق أبو نعيم، وروحي مشتهى أبو جمال، وحسن المقادمة أبو علي، وهو شقيق الشهيد الدكتور إبراهيم المقادمة. هؤلاء رجال هيهات أن تأتيني بمثلهم، وكلّهم أفضل من هذا الشخص، الذي قسَّم العرب عربين، وجعل منها خليلياً وغزاوياً... ونجح في شرخ التنظيم، وقد شدّ على يديه إخوة كرام عن حسن نية، فحصلت المشكلات ووقعت الفتنة. وأصبح لحماس غزة قسمهم الذي يُعرف بمكة، ولأهل الخليل وريفها قسمهم. وبقي التنظيم شكلياً إلى أن قدّر الله فرحلت من سجن هدريم إلى سجن نفحة، وكان ذلك سنة 2002.

نفحة بعد ثمانية عشر عاماً:

بعد أن تجنبت لقاء الوزير جدعون عيزرا، وجاء اسمي للرحيل عن هدريم إلى نفحة، بسبب هذا الموقف، وأسباب أخرى ادعتها مديرة السجن، زاعمة أن لي اتصالاً مع خارج البلاد، من خلال الهاتف المحمول. ومعنى ذلك التواصل مع قيادة حماس في دمشق ولبنان، وربما حصل ذلك لمرة أو مرتين، وليس من وراء ذلك شيء. إنما هو الهوس عند الاستعلامات والشاباك ليس غير. حملتني "بوسطة" النقل ابتداءً من هدريم، وهي مكتظة بالأسرى، وفيها من هو متمرد على مشاعر الناس، فيشعل سيجارته غير آبهٍ لمن معه، ومنهم... ومنهم. ثمّ سارت بنا شوارع فلسطين، وعلى جوانبها وعلى مقربة منها

بساتين البرتقال، حتى وصلنا إلى سجن الرملة، وهو محطة مرور واستراحة عند شرطة مصلحة السجون... وبعدها انطلقت بنا ناقلة أخرى إلى سجن عسقلان فبئر السبع، ونمنا ليلتنا هناك. وفي الصباح غادرنا السجن إلى نفحة.

استقبلتنا إدارة نفحة بالمعلوم، وهو التفتيش الذي لا يبقي على كرامة الإنسان، ولا يتسع له القاموس لنذالة أفعالهم وممارساتهم. وكانوا يأتون ببعض الأسرى، ويرغمونهم على خلع ملابسهم، كما ولدتهم أمهاتهم. بل يبلغ أذاهم وفساد فطرتهم، أنهم يرغمون الإنسان عرياناً على جلوس القرفصاء، "وافتح رجليك، وانزل، واستدر يميناً، وشمالاً، وإلى الأمام، وإلى الخلف..."؛ كل ذلك بدعوى أن الأسير قد يخبئ في أحشائه هاتفاً محمولاً. هذه الأمور حصلت من هؤلاء السفلة. وكثيراً ما أقول: إنهم لا يحترمون الله، فكيف يحترمون البشر؟ لا، لا يمكن. إنهم يتلذذون على معاناة الأسرى. ألم تروا من على شاشات التلفزة إلى ما فعلته كلابهم بحق امرأة من أخواتنا، في بلدة العبيدية وهم يتفرجون؟

بعد أن انتهينا من التفتيش، استوعبتنا غرفة 63 من قسم (11)، فيها نوارة دورا ووجيه آل الرجوب، بعد الشيخ نايف، ألا وهو الحاج رزق الرجوب. وكنت أقول لأخي الحبيب الشيخ النائب نايف الرجوب، ومن باب المودة، إن رجل آل الرجوب هو الحاج رزق، لكن لا وجيه والشيخ نايف موجود. فأبو حذيفة شيخنا وشيخ الكل، فرج الله كربه.

استقبلنا الحاج رزق، وهو حبيب الشيخ صالح، ومعه الإخوة أحمد طبيش، وجهاد عمرو، وحسين القواسمي، وحظينا برؤيتهم. والتقيت في اليوم الثاني، من خلال "الفورة"، الأحباب جميعاً من ساكني القسم، ومعظمهم مِنْ أهل الخليل وريفها، وأنا أحب الخليل، ولولا حبي للقدس ما اخترت عن الخليل بديلاً. وكثيراً ما ألحّ علي الحبيب أبو همام النتشة، أن يشتري لي قطعة أرض في الخليل، لكن الظروف لم تساعد.

استقرت بي الأمور في القسم، وجاءني الأخ توفيق أبو نعيم، يعرض علي الدخول في الانتخابات لإدارة أسرى حماس، فاعتذرت. ويشهد الله أني لا أرغب، ولا أحب العمل في التنظيم، من موقع المسؤولية، لكنه أصر على ذلك، وشرح لي الظروف التي خلفها الشرخ، بفتنة "ف. ع."، وقال لي: أنت مقبول عند الناس، وعند أهل غزة قبل الخليل، ولا يزال في النفوس بقايا من بعد ذلك الشرخ.

فاستخرت الله، وشاورت من أثق بهم، وجميعهم دفعوا نحو ذلك، وجرت الانتخابات على صعيد قاعدة مكونة من 300، أو يزيد، من أبناء حماس، أفرزت هذه الانتخابات مجلس شورى عدده 18 عضواً، وانتخب المجلس مكتبه التنفيذي من خمسة أعضاء، منهم الحاج سعيد زعرب من غزة، والأخ توفيق أبو نعيم كذلك من غزة، والمجاهد عبد الرحمن غنيمات، ونسيت الرابع... وكنت خامسهم وأميرهم. والدورة الانتخابية ستة أشهر.

استطعنا في هذه الدورة أن ننجز كثيراً، ولو لم يكن غير إعادة الثقة بين الجناحين، الضفة وغزة، والخلاص من دوامة الماضي من إنجاز لكفى. ولكن ومن باب الاستدراك، لما وصلتُ إلى نفحة، أتيت إليه والوضع هادئ، وقد سبقه وضع متفجر، حيث أقدم أحد أبنائنا الأبطال الأخ المجاهد هاني جابر من الخليل (هو وابن مجموعته المجاهد عوض السلايمة، قاما بطعن مستوطن عند المسجد الإبراهيمي، فأردياه قتيلاً) على طعن مدير السجن عدة طعنات، بآلة حادة ذهبت به إلى المستشفى لأكثر من شهر، وكذلك سجان آخر، تعرض لمثل ذلك. ومن ثمّ قامت قيامة السجن، وهو في بدايات الهدوء، وسبب ذلك أن إدارة السجن أقدمت على تفتيش زوجة أحد الإخوة في الزيارة، وهي من غزة، فقرر فتانا هذا الانتقام، وأهدرت بأقسامها دم ضابط أمن السجن، وكانت الضربة في الأساس له، لكنه غاب فحضر المدير فكانت الطعنةُ من حظه.

المجاهد هاني رأى في المنام الإخوة الدكتور عبد العزيز الرنتيسي، والحاج إسماعيل أبو شنب، والشيخ صلاح شحادة، وأنا معهم في غرفة واحدة، وقال، من خلال الرؤيا، أنهم يستشهدون وأنا أتأخر عنهم، كما أوّلها الأخ توفيق أبو نعيم. واستشهد إخواني أولئك، وأسأل الله أن يختم عمري بالشهادة... اللهم آمين.

لقد استطاعت هذه الدورة الانتخابية أن تنجز تحسناً على الوضع العام، وكان المكتب بأعضائه يجتمع كل أسبوع مرة، ليناقش أحوال التنظيم وسياسته الإدارية، والثقافية، والأمنية، والمالية، ويضع السياسات لمندوب الخارجية مع بقية الفصائل، وأما مجلس الشورى، فكانت له اجتماعاته الشهرية، يتابع ويراقب، وهكذا لا يوجد مجتمع يخلو من المشكلات... ولكل مشكلة طبيب.

وجرت انتخابات الدورة الثانية، ولستة شهور أخرى، ورجع المكتب على هيئته الأولى ودخل أخ جديد بدلاً من أحد الإخوة السابقين. وخلال هذه الدورة، جاء مدير جديد للسجن، وأقبلت الإدارة على سحب إنجازات، ضحينا من أجل تحقيقها بالكثير.

سياسة جديدة اعتمدتها مصلحة السجون، وخاصة بعد هرب الأخوين، محمد الرشق ونزار محمد رمضان من سجن عسقلان، إلى جانب الظلال التي ألقت بها انتفاضة الأقصى، من خلال الحرب الضروس، والعمليات الاستشهادية التي تستفز مصلحة السجون، وجهاز الشاباك، والذي دخل على خط مصلحة السجون، فضيق على الأسرى معيشتهم. بل جدد سياسة العزل من جديد، بل أكثر من هذا، قلصوا ساعات النزهة اليومية، وكذلك ساعات الرياضة، وضيقوا في فتح الأبواب، وألغوا زيارات الأقسام، والخروج إلى النزهة والعودة إلى الغرف، وجعلوا ذلك تحت مراقبة السجان وتفتيشه بـ"الماغنوميتر" (آلة للكشف عن المجال المغناطيسي). وزاد الطين بلة، أنهم استبدلوا بشبك الزيارة الزجاج والتلفون. ويعني هذا أن كل حديث مع الأهل سيكون تحت المراقبة والتسجيل. ورداً على هذه الإجراءات، امتنع الأسرى عن الخروج للنزهة أو "الفورة"، ولثلاثة أشهر وهم لا يخرجون إلا لصلاة الجمعة. وخطبت الجمعة يوماً، ورداً على إجراءاتهم، قلت: إن تقتلوا منا واحداً، نقتل منكم عشرة، وحديث طويل أثار حفيظة ضباط السجن والإدارة جميعاً، ورجعنا إلى الغرف بعد ذلك. وفي المساء كبرنا لصباح العيد، وكذلك احتجاجاً على إجراءاتهم. وهذا ما دفع الإدارة أن تتخذ قراراً بنقلي من السجن إلى العزل، لولا السياسة الحكيمة، من الأخ الحبيب توفيق أبو نعيم (أبو عبد الله)، الذي قال لي: لا تخرج إلا بالفرشة إلى الزنازين، واترك جميع أغراضك في الغرفة... وبينما كان ضابط أمن السجن، وآخرون من الإدارة واقفين في مربع الأقسام، استقبلني أبو عبد الله، على مرأى منهم، فقبل يديَ عنوةً أمامهم، وإني والله لا أسمح لولدي أن يقبل يدي، لكنه أراد أمراً من وراء ذلك. وقال لهم: هذا عندنا في السجون، وفي القدس والضفة، كالشيخ أحمد ياسين في غزة، ثمّ إنه أقنعهم بالاكتفاء بعقوبة الزنزانة، بدلاً من الترحيل والعزل. وقضيت أيام العيد في الزنازين.

رجعت إلى القسم بعد الزنازين، وانتهت دورتنا الانتخابية في ظلّ هذه الأوضاع التي تتصاعد تحدياتها، وبقي الأخ أبو عبد الله ممثلاً للمعتقل. وجرت انتخابات جديدة، وتشكل مكتب تنفيذي جديد بأمير جديد هو الأخ المجاهد الدكتور عزام سلهب، ومعه في المكتب الأخ أيمن طه (أبو محمد)، لأن القانون الإداري لا يجيز الترشح لأكثر من دورتين.

جاء مدير جديد للسجن كما ذكرت، وهو على معرفة بـ(أبي عبد الله) توفيق، مِنْ أيام العزل الأولى سنة 1990، حيث جرى بينهما صدام ملخصه أن المدير الجديد كان ضابط

أمن العزل في سجن نيتسان في الرملة، وجرى اشتباك بينهما، فضرب توفيق ضابط الأمن في رأسه، "وعلَّم عليه"، وكذلك تعرض توفيق لضربة في رأسه من هذا الضابط، الذي أصبح مديراً فيما بعد لسجن نفحة، وبعد اللقاء، وتبادل الحديث تغيّرت الحال، وكأن تجربة الماضي القاسية، مهدت لعلاقة حسنة، وشيئاً فشيئاً خيم الاستقرار المشوب بالحذر.

التفتيش الليلي:

في إحدى الزيارات الدورية، حيث كان المدير يقوم بزيارات للأقسام كل يوم خميس، ويختمها عندنا في الغرفة، لكنه في هذه المرة يدخل علينا الغرفة مع طاقمه، ويدير حديثاً عن السياسة والأوضاع بشكل عام. وبحضور الأخ توفيق بصفته ممثل المعتقل، وواصل حديثه قائلاً: من الممكن أن تقوم الإدارة بتفتيش ليلي، وكل ذلك للبحث عن الهواتف المحمولة؛ لأنها كانت موجودة بكثرة. قلت له: هذا أمر غير مقبول لدينا، إن أردت التفتيش، فلك ذلك خلال النهار، والأسرى يتفهمون ذلك، أما في الليل، فهذه سابقة مرفوضة ولن يقبلها الأسرى. قال المدير: الهواتف المحمولة تشكل خطراً على أمننا، ومن بينكم من يتحدث عن تنظيم في الخارج، ودعوة إلى عمليات داخل ما يسميه هو "إسرائيل". وبالطبع هذه معلومات تنقلها المخابرات، وتتابعها، وعزلت مَنْ كان له اتصال مع المجموعات العاملة في الساحة، وانفض اللقاء دون حلّ، لكن وصلت الرسالة.

ذات ليلة قبل صلاة الصبح، اقتحمت قوة تفتيش انتخبتها مصلحة السجون لهذه الأمور، اسمها "ماتسادة"، هذه الفرقة اقتحمت غرفة للإخوة في فتح، في قسم خاص بهم، وفتشوها وأخرجوا منها الهواتف المحمولة. وفي الوقت نفسه، وبعد صلاة الصبح، جاءت القوة لتفتيش غرفة لحماس في قسم آخر، والناطق باسم القسم هو الأخ المجاهد فايق المبحوح، شقيق الشهيد محمود المبحوح، وفي الغرفة الأخ المجاهد مصطفى رمضان، ومحمد أبو عايش، والأخ أشرف أبو مرخية، وآخرون. فتحدث الضابط إلى الأخ فايق قائلاً: إنهم يريدون تفتيش الغرفة، فرد عليه الأخ فايق، دعني أتحدث إلى أبناء القسم، حتى لا تقوم فوضى. لكنه فوجئ بفتح الباب، والدخول في عراك مع الشباب في الغرفة، وعند خروج القوة، نسيت أحد ضباطها بين الشباب، فأوجعوه ضرباً، وعلّموا على عينيه بلكمات، يقول عنها هذا الضابط، إنها أقسى خمس دقائق في حياته.

قامت الأقسام بمن فيها، وبدأ الضرب على الأبواب، وأعلنت حالة الطوارئ، واستدعت إدارة السجن نجدة من السجون الأخرى لمساعدتها، وجاءت قوات خاصة. والجيش محيط بالسجن، وأخرجوا الأسرى من الغرف، وأوجعوا من رفع صوته عليهم، وكان الأخ المجاهد عماد الصفطاوي[11]، ممن انهالوا عليه ضرباً، وداسوا عليه بالنعال، حتى خرج البراز من دبره، كما قال لي، وقد قيدوه بالسلاسل، واقتادوه إلى الزنازين.

وفي القسم الذي نحن فيه، قامت دنيا الأسرى ولم تقعد، حتى إن ضابط الاستخبارات قال لي فيما بعد: كنت أريد أن أدخل القسم لأتحدث إليك، ولكنني خفت أن يرشني الأسرى بالماء الساخن، أو أي شيء آخر... نعم لقد خشي على نفسه.

تأزم الموقف، ومن أول النهار إلى آخره، والتفتيش التعسفي في غرف ذلك القسم وحده، وعاثوا في أغراضنا وأمتعتنا فساداً، وصادروا طعامنا، ووضعوا القهوة على الزيت، والزيت على الملابس، والسكر على الملح، وما أبقوا على شيء... لعنهم الله.

وبقي الوضع متوتراً لأسبوع، والأسرى على جاهزية، وعلى أعصابهم، وإدارة السجن على خشية وتخوف، إلى أن جاء مدير السجن وطلب لجنة الحوار، وهي من جميع الفصائل. وأصر توفيق أبو نعيم ممثل المعتقل على حضوري، على الرغم من أني لا أعمل في التنظيم، والأخ فؤاد الرازم عن الجهاد الإسلامي، والأخ خالد الأزرق عن فتح، والأخ ماهر أبو كرش عن الجبهة الشعبية، والأخ سمير قنطار شخصية اعتبارية، وجوده يلطف الأجواء. جاء المدير واجتمع بنا في غرفة الكانتينا، جاءنا وهو مقطب الجبين، مكفهر الوجه... ولا يضحك للرغيف الساخن، وجلسنا جميعاً على الكراسي، وهو على كرسي قبالتنا، وقال بالعبرية كيف أقول لكم "شالوم" ونحن في حرب؟ وأخذ الأَخَوان توفيق أبو نعيم وسمير قنطار يلطفان الجو بكلمة من هنا، وكلمة من هناك. ولكن المدير خرج علينا بنبرة حادة، وكأننا تلاميذ عنده؛ فقال: أنتم نسيتم أنكم أسرى؟ ونسيتم أنكم في السجن؟ ونسيتم؟ ونسيتم... كل ذلك على صيغة

[11] **عماد الدين أسعد الصفطاوي (...–):** ولد في غزة لعائلة هجرت من بلدة المجدل سنة 1948. متزوج وله ثلاثة أبناء. هرب من سجون الشجاعية في عملية هروب كبيرة بقيادة الشهيد مصباح الصوري في أيار/ مايو 1987. عمل بوزارة الأوقاف بعد عودته لغزة للمشاركة في جلسة المجلس الوطني سنة 1996. اعتقل في 2000/12/13 من على معبر رفح، وحكم عليه بالسجن لمدة 18 عاماً لمشاركته في التخطيط لعمليات استهدفت الاحتلال قبل أوسلو.

السؤال، وما مِنْ أحد يتصدى له، وبدون استئذان، ولا مقدمات قاطعته، وقلت له: اسمع يا سيمون —هذا اسمه— نحن ما نسينا أننا أسرى، وعند الصهاينة كذلك، لكن نحن أسرى حرية، وجئنا للسجن من أجل وطننا الذي سلبتموه. نحن أسرى قضية وطنية، لسنا جنائيين ولا مدنيين، نحن عسكريون. بل اسمع جيداً، هذه الانجازات التي تدَّعي أنها مِنَّة منك وتفضل، دعواك غير صحيحة، هذه الانجازات التي سحبتها، دفعنا ضريبتها أطناناً من اللحوم، في إضراباتنا عن الطعام، وسقط منا شهداء، وتأذى أناس كثيرون. وما مِنْ مرة إلا وأسلوبك في الحوار معنا إلا والغاز والعصي والهراوات حاضرة، اسمع يا سيمون: "الله لا يخلف عليك"... وفي هذا السجن الذي أنت مديره اليوم، سقط منا في إضراب سنة 1981 ثلاثة شهداء، وهم: إسحق مراغة، وعلي الجعفري، وراسم حلاوة. هؤلاء أنتم مَنْ وضع بربيج الحليب في رئة كل واحد منهم، حتى نزلت السوائل إلى الرئة فقتلتهم. وتقول نسيتم، لا والله ما نسينا. فسكت وبدأ يتراجع، وتوصلنا وإياه إلى التهدئة، واتفاق آخر يخص الزيارة وبعض الأمور. لكنه فيما بعد نكث ولم يفِ بوعده... فكان لي معه موقف.

في يوم الخميس، كما هو معهود، جاء المدير زائراً مع عدد المساء، قام ضابط العدد بما عليه فعله، فأغلق الباب بالمفتاح والقفل، ثمّ جاء المدير على باب غرفتنا، وقال بالعبرية: "عيرف توف" وتعني مساء الخير، فقلت له: مساء الخير، وأنا جالس على سريري، الذي هو عن يمين الباب، فما وقفت له؛ ويعني ذلك إهانة وردة فعل مني على موقفه، الذي تراجع عنه، وأحرجنا في لجنة الحوار أمام إخوتنا من الأسرى، لأنهم يفسرون ذلك، أننا خنعنا لشروط الإدارة. ولما رأى مني ذلك، قال للسجان: افتح الباب، فقال له السجان: انتهى العدد، فقال له آمراً وبحدة، افتح الباب، ففتح له الباب، ودخل علينا الغرفة، فلما دخل علينا، قمت له وسلم علينا جميعاً وخرج. والأدب عندنا أنه إذا دخل علينا أحد الغرفة، نقف ونسلم عليه. وبعد ساعة على التقريب رجع إلينا ووقف على الباب وقال: مساء الخير، فقمت له، ورددت عليه بتحية المساء، وقال: عن نفسه، أنا أعرف —مُوجهاً الحديث إليَّ— أنك زعلان، و"تعال نتكلم على بلاطة"، فقلت له: "اسمع يا سيمون، نعم أنا زعلان وغضبان، لأنك أحرجتنا أمام الأسرى، يوم أن وعدتنا بشأن الزيارة ثم تراجعت... اسمع يا سيمون، اعلم أنني أكبر منك، وأكبر من مدير مصلحة السجون، وأكبر من رئيس وزراء دولتك". قلت له هذا والله يشهد، وإخواني من الفرح لهذه اللهجة يشهدون، وكأنك تطعمهم عسلاً. وقلت له قصتي مع قائد الشاباك في القدس، يوم أن

قلت له: والله لو وضعتني في هذه القارورة، وأغلقت عليَّ فأنا حرٌ أكثر منك. وقلت له: أنت مدير على سجن فيه 1,000 معتقل، بينما صاحبك رجل الشاباك في القدس مسؤول عن أمن ستمئة ألف يهودي، غير العرب، إن كان مسؤولاً عن أمنهم، أو مطاردتهم. ثمّ انتهى الحديث بالتفاهم، وغادر السجن ليلتها إلى بيته.

وقصّة الزيارة هي أن الأسرى رفضوها بنسبة 62%، هؤلاء لا يريدون زيارة أهاليهم عن طريق الزجاج والتلفون. ولكن هذه الحالة طبقت على كل السجون، فلا مناص من ذلك، خاصة وأن موقف بقية السجون ضعيف، ولا بدّ من بلورة موقف جماعي لمواجهة هذه الهجمة. وأعترف أننا في الحوار تجاوزنا وارتكبنا خطأً إدارياً، كان الأجدر بنا أن نرجع إلى الإخوة في القواعد التنظيمية، لكننا اجتهدنا فأخطأنا.

والغريب فيما بعد، أن الأسرى ارتاحوا للزيارة عن طريق الزجاج والهاتف المحمول، لأنهم عاينوا ذلك. وسارت الأمور على خير ما يرام.

مع الشيخ رائد في حيفا:

وذات يوم من أيام الصيف في 2004، جاءتني سفرية في "بوسطة" السجن إلى حيفا. وأخبار السفريات عند الأسرى مزعجة، لِما شرحناه. لكن هذه المرة لم تكن رحلتي واضحة المعالم. فإلى حيفا لا يكون إلا للجلمة، والجَلَمة مركز تحقيق، وشغلت هذه السفرية بالي، منذ أن جاءني نبأُها إلى أن استقرت بي "البوسطة" في سجن الجلمة، ولم تعرج بي على مركز التحقيق. فسألت الضابط المناوب عن السبب في هذه السفرية، فقال: أنت الآن ذاهب إلى مركزية حيفا، و"البوسطة" تنتظرك. وفعلاً من بوسطة إلى أخرى، وسارت بنا الطريق إلى المحكمة المركزية في حيفا. ولما وصلت إلى غرفة الانتظار، وإذا برجل من النيابة ومحاميها يطرقان عليّ الباب، وتحدثا إليَّ أن السبب في حضوري هو محكمة الشيخ رائد صلاح، فقلت لهما: وما شأني بهذا؟ قالا: نحن على استعداد أن ننزل من حكمك، وأن تخرج بثلثي الفترة التي قضيتها، إن شهدت على الشيخ رائد بأنه يبيض الأموال. قلت لهم: بهذه البساطة، قالا: لهذا الأمر أنت هنا، قلت لهما: اسمعاني جيداً، أنا مستعد أن أقضي عمري سجناً، ولا أن أشهد على الشيخ رائد وصحبه. فغادراني إلى أن جاء موعد المحكمة. فعرجت بي الشرطة إلى قاعة المحكمة، وكان فيها الشيخ رائد، والدكتور سليمان اغبارية، والإخوة محمود أبو سمرة، وتوفيق عبد اللطيف،

وناصر خالد، وسلمت على الجميع يداً بيد، وسلمت على الحاضرين بالإشارة، واستغلت النيابةُ هذا السلام، وسألتني المحكمة بعد اليمين: أتعرف هؤلاء؟ قلت نعم أعرفهم، وشرف لي أن أعرف الرضيع من أم الفحم، ومَنْ هو في بطن أمه. ومن لا يعرف الشيخ رائد؟ وتوجهت إليَّ بالسؤال: عن العلاقة بيننا، فقلت: قضيتي أنا عسكرية وأمنية، وهذه قضية مدنية، وقد راودتني النيابة قبل دخولي إلى المحكمة، ووعدتني بتخفيض الحكم إن تعاونت معها، وأنا مستعد أن أقضي عمري سجيناً، ولا أشهد على الشيخ رائد. ولقد سبق للمخابرات في التحقيق أن سألتني عن هذه القضية، ولو كنت أعلم بذلك، أو ورد ذلك في التحقيق... لما صبرت النيابة لهذا الوقت. وانتهت المهمة التي حضرت من أجلها، وبودل هذا الموقف مِنَ الشيخ رائد ورفاقه، والحاضرين من أنصار الشيخ رائد، بالتحية والاحترام والإكبار. وجزاهم الله خيراً.

إرهاصات الإضراب الأخير:

لقد أتت انتفاضة الأقصى على الشعب الفلسطيني بإفرازات جديدة، ودخل السجون شباب لا تجربة لهم، بل منهم مَنْ هو أقرب إلى السجناء الجنائيين منهم إلى الأسرى. وهؤلاء يحتاجون إلى جهد كبير، وإلى فترة غير بسيطة، حتى يتأقلموا مع قوانين السجن، ومع أعراف السجن. ومنهم من أساء بسلوكياته، إلى سمعة الأسرى الوطنيين، حتى إن كثيراً من ضباط مصلحة السجون، وكذلك السجانين دون الضباط قالوا: إن بعض هؤلاء الأسرى، هم مدنيون وجنائيون، لأن معرفتنا وتجربتنا مع الأسرى الأمنيين غير عن هؤلاء، وأساءوا لكم. وهذا مما أحرجنا وضيق علينا، وجعل مواقفنا ضعيفة أمام مصلحة السجون، ولأن عناء التجربة الاعتقالية وتضحياتها، هي التي فرضت على عدوك أن يحترمك، ومن ثمّ يأتي من يخرب عليك بجهله كما يقال: "لا يبلغ العاقل من خصمه ما يبلغ الجاهل من نفسه".

وإن زيادة الأعداد الوافدة إلى السجون من هذه الشرائح المختلفة، يرافقها سياسة جديدة من مصلحة السجون، فيها عدوانية وتصعيد، برئاسة قائد جديد لمصلحة السجون، ومن اختيار شارون، جاء ليفرض على السجون حالة مركزية غير معهودة. فمن قبل كان لكل سجن سياسته، أما في عهد هذه الطاغية فجميع السجون خاضعة لمزاجيته. وكذلك الاعتداءات البشعة ضدّ الأسرى في سجن جلبوع، والذي كان للسجانين الدروز أسلوبهم القذر في التعامل مع أسرانا. وكانت تأتينا الرسائل من إخواننا الأسرى،

بمختلف فصائلهم عن حالة الامتهان والإذلال، التي يتعرضون لها. مما أثار حفيظة الأسرى في كل السجون، فتأهبوا لنصرة إخوانهم في سجن جلبوع، الذي يقع في شمال فلسطين، على الطريق ما بين بيسان والعفولة.

كل هذه الأسباب، مع انقطاع زيارات الأهل، لبعض المناطق في الضفة الغربية، تحت حجج واهية، يختلقها رجال الشاباك، مدعين أنها تشكل خطراً على أمنهم... كل ذلك دفع إلى التفكير والتحضير لإضراب مفتوح عن الطعام، تقوم عليه السجون جميعها.

تبادلت السجون الرسائل فيما بينها، حول حالة التردي التي وصلت إليها، وعلى الخصوص ما يتعرض له الأسرى في سجن جلبوع، على يد الجلاوزة من سجاني مصلحة السجون، وخاصة الدروز منهم، الذين يعتبرون سجون الشمال، دولة لهم وحضورهم فيها هو الغالب.

جاء مدير مصلحة السجون الجديد، واسمه يعقوب جَنوت، وهو أعور، وعينه أصيبت في أثناء الحرب، جاء مرة لزيارة سجن نفحة، وقد أحاط نفسه بهالة كاذبة وانتفاشة باهتة، في محاولة لاستعراض قوته، دون أن يلتقي ممثلي السجن. وفي زيارة أخرى، وقد وصلته الأخبار أن استقبال الأسرى له هو الإعداد لإضراب مفتوح عن الطعام. دخل علينا القسم، ثمّ فُتح باب غرفتنا أمامه، ودخل مع مدير السجن وحاشيته، وسلّم وجلس للحديث، وقال: سمعت أنكم تريدون الإضراب، وهذا ليس لصالحكم، ولغتنا معكم تختلف عن المرات السابقة، فاستأذنت من إخواني للرد عليه، وقلت له مثلاً عربياً: "ما الذي أدى بك إلى المر... إلاّ الذي أمرُّ منه"، وواصلت الحديث متهماً إياه: أنت من جعلت من سجن جلبوع، كمعتقل غوانتانامو Guantanamo، وسجن "أبو غريب" في العراق، فقال لي: ماذا تقول؟ قلت له: نعم، هذا الذي يتناقله الأسرى عن بشاعة المعالجة من سجانيك ضدّ إخواننا الأسرى. فاستفز، وقال: الآن، تذهب معي إلى سجن جلبوع، وتسمع منهم، وتشاهد أحوالهم بأم عينك. بالطبع هو غير جاد فيما يقول، ثمّ استنفد غرضه من الحديث، وخرج ومَنْ معه بحسابات جديدة لمعركة قادمة وعلى الأبواب.

إضراب سنة 2004:

تبادلت السجون الرسائل فيما بينها حول الإضراب عن الطعام، وكيف السبيل لمواجهة هذه السياسة، وصدّ هجمة الإدارة ومصلحة السجون على مقدرات الأسرى

وإنجازاتهم؟ وأصبح سجن جلبوع عنواناً للمعركة، وأكدنا، من خلال رسائلنا، أن قيادة الإضراب تتمثل في ثلاثة سجون، هي صاحبة الحل والعقد، وهي: نفحة، وعسقلان، وهدريم، واخترنا عسقلان لسمعته الماضية، وحتى نؤكد أنه قائد في هذه المرحلة، وحتى لا يخذلنا ما دام هو في موقع المسؤولية، ولأننا متخوفون من أن تؤثر بعض قياداته الراحة والدعة على دخول هذه المعركة، وهذا ما حصل عندما دخلنا الإضراب.

بعث إلينا معتقلو جلبوع برسالة يستغيثون بنا، فكان علينا النصر، واتفقنا مع السجون أن تبدأ خطوتنا بتاريخ 2004/8/15، مع العلم أن الفصائل الأخرى حددت تاريخاً آخر هو 2004/8/25.

في سجن نفحة، جاءنا قائد المنطقة الجنوبية في مصلحة السجون، واسمه آفي فاكنين، يهودي مغربي، واجتمع مع لجنة الحوار في السجن، وقال: أنصحكم ألا تخربوا عليكم هذا السجن، فأنتم دون السجون وضعكم ممتاز، فالمطبخ في أيديكم، والمغسلة. وهذان أهم مرافق السجن، وصحيح أن بقاء المطبخ على الخصوص في أيدينا مهم جداً وحيوي، وبدلاً من أن يستلمه سجناء جنائيون لا يعرفون النظافة، حتى بلغ بهم ذات مرة، أن يحركوا الطعام على النار، بمكنسة الأرض. وفعلاً كانت السجون الأخرى تحرض على نفحة، وتقول لإداراتها: سجن نفحة وضعه من النواحي التالية كذا، وكذا؛ ويعني أن الحركة والمعيشة والطعام في نفحة تفتقر إليه السجون الأخرى، وهذا كان يخرب علينا؛ لأننا كنا ناجحين في حواراتنا مع إدارة السجن. وبلغت بنا الأمور في هذا السجن، وفي سجون أخرى، أن نروّض السجانين، حتى الضباط منهم، ومنهم من جعل من تجارة الهواتف المحمولة باباً آخر لكسبه ورزقه، ومن السجانين اليهود والدروز من كان يحذرنا من التفتيش.

نعم، لما فشل قائد المنطقة الجنوبية في إقناعنا بألا ندخل الإضراب، قلنا له: هذه معركة السجون دون استثناء، ونحن جزء منها، ونحن ندرك تميز نفحة عن غيره من السجون. فقال لنا: الوضع ليس كالماضي، فالحكومة الإسرائيلية متطرفة، شارون رئيس الحكومة، وتساحي هنغبي Yitzhak "Tzachi" Hanegbi وزير الشرطة والأمن الداخلي، وليس من السهولة أن يستجيبوا لمطالبكم. لكن تجارب الماضي علمتنا أن العَصِيَّ فيهم كسرناه؛ لأنه لا ضعيف مع الله، لقد هزمنا في هذه المعارك ديفيد ميمون وغابي عمير، وهما من العتاة في الإجرام، وقد كانا مديرين سابقين لمصلحة السجون.

كان ردنا واضحاً، وهو الدخول في الإضراب ونصرة معتقلي جلبوع وباقي السجون. وتأكيداً على سجن عسقلان، كانت لنا فرصة اللقاء مع الأخ أبي الناجي، مسؤول فتح في عسقلان، وممثل المعتقل، فقد جاء إلى سجن بئر السبع لشهر من الزمان عقوبة، والتقاه إخوانُنا، ومنهم المجاهد حسن المقادمة، ودار الحديث طويلاً حول الإضراب، وأبلغه بموقفنا وموقف السجون، قائلاً: إنَّ سجن عسقلان لا غنى عن مشاركته... وهو يشكل أهم أضلاع المثلث. فرجع أبو الناجي إلى عسقلان، وهو يحمل ما اتفقت عليه السجون، وأعطى موافقته للأخ حسن المقادمة، ولا أدري أكان ذلك عن قناعة أم عن استحياء، كما تبين لنا فيما بعد.

قبل أيام من الإضراب، جاءنا مدير السجن كذلك، وحذرنا من دخول الإضراب ثانية، وقال: لا تخربوا على أنفسكم. لكنهم في الإدارة ومصلحة السجون أقدموا على خطوات استباقية، فنقلوا من نفحة 70 كادراً من حماس، وفيهم بعض الإخوة من الجهاد الإسلامي، وذهبوا بنا إلى قسم العزل في بئر السبع، وكنت في الخامسة والخمسين من عمري، ومضى علينا أربعة أيام في العزل. ويوم الأحد 15 آب/ أغسطس، دخلنا الإضراب، وتمّ تبليغ الإدارة بهذا الشأن، وجاءت إدارة السجن في جميع السجون على الأخضر واليابس، وحتى الملح تمت مصادرته. ثمّ مع الظهيرة في حملة لها أتت على جميع السجون، وعزلت اثني عشر مسؤولاً عزلاً انفرادياً في سجن أفُق المجاور لسجن هدريم. فمن حماس كان الإخوة توفيق أبو نعيم، وروحي مشتهى، وحسن المقادمة، ويحيى السنوار، وعبد الخالق النتشة، ومحمد أبو طير، ومن فتح الأخوان حسام خضر، ويوسف ارشيد، ومن الجهاد الإسلامي الأخوان طاهر الزيود، ووائل دردونة، ومن الشعبية وليد دقة، والمستقل سمير قنطار، وهو محسوب على الجميع. أما أنا وتوفيق أبو نعيم، وحسام خضر، فقد عزلونا عزلاً انفرادياً، كل واحد منا في زنزانة، توفيق في زنزانة، وحسام في زنزانة، وأنا في زنزانة، وبقية الإخوة في غرفتين صغيرتين. وتمّ الإضراب إلا عن الماء من أول يوم، وسبقت معركة الإعلام معركة الأمعاء، وخرج علينا الحاقد تساحي هنغبي، وزير الأمن الداخلي، بتصريح استفز العالم كله، لما قال معلقاً على الإضراب: "اتركوهم يموتون"، ثمّ تراجع عن تصريحه الفاشي.

دخلت السجون جميعُها الإضراب من أول يوم، إلا عسقلان دخل بعد خمسة أيام، وجلبوع بعد يومين أو ثلاثة، ولا بأس، لكن المطلوب أن يبقى عسقلان في المعركة. وما مضى على إضراب عسقلان ثلاثة أيام، إلا والأخبار يتناقلها السجانون أن عسقلان فكّ

إضرابه. فقلنا هذا أول شرخ؛ لأن الإدارة ومصلحة السجون، اجتمعوا مع أبي الناجي، وأحمد (أبي العوض)، وفيصل أبو الرب، ومنّوْهم بوعود كاذبة، وصدقوهم، والأمر لا يحتاج إلى تصديق؛ لأن هؤلاء المسؤولين لا نية لهم في الإضراب ولا عزيمة لهم عليه. بينما أقدمت إدارة السجن على عزل الأخ عبد الحكيم حنيني، وشباب من حماس، حتى يكونوا غائبين عن صورة ما يجري في عسقلان، وحتى لا يؤثر صمود عبد الحكيم حنيني وإخوانه من حماس على اتفاق مصلحة السجون مع أبي الناجي، وأبي العوض، وفيصل أبي الرب.

مشى بنا الإضراب الأسبوع الأول، وجاءنا ضابطان على مستوى قيادة مصلحة السجون، وهما إيلي غابزون وإسحق غباي، وقالا لنا إلى متى هذا الإضراب؟ وإلى أين أنتم سائرون؟ فقلنا لهما حتى النهاية، وحتى تتحقق مطالبنا. ثمّ انصرفا، ولأسبوع آخر في عزلنا هذا، ونحن ثابتون، ثبات الشم الرواسي؛ لأننا لليوم التاسع عشر، ونحن نصلي واقفين. وزادُنا الماء ولا شيء سواه. ونزلت أوزانُنا... وقلت لإخواني: العزيمة ماضية وضربت لهم مثلاً: أن الأخت عطاف عليان أضربت أربعين يوماً عن الطعام، وعلينا أن نصل أولاً إلى أربعين يوماً، وبعدها يخلق الله ما يشاء. وجاءنا غباي مرة أخرى، وقال: أنتم على أبواب رمضان، فهل سيدخل عليكم رمضان وأنتم مضربون؟ قلت له: نعم، سنواصل إن شاء الله.

بعد أسبوعين رحلونا إلى سجن الجلمة، ووضعونا في غرفتين، وأجروا لنا الفحوصات في عيادة السجن، منها فحص الضغط، ومعرفة الأوزان، والقلب أحياناً. وكان سروري عظيماً بأن نزل وزني من 85 كغ إلى 72 كغ. وحمدت الله على ذلك، لكن ضرره كان كبيراً على قوة النظر، وعلى نمو الشعر، فقد يكون الإضراب سبباً في عجز النظر، وتساقط الشعر، وهذا ما حصل معي.

توالت زيارات ضباط مصلحة السجون، وفي السجون الأخرى يكذبون على إخواننا المضربين ويقولون لهم: أنتم مضربون، والشيخ أبو طير فكّ الإضراب، وهو يتناول الطعام، لكن هذه الأكاذيب والألاعيب لا يصدقها السجناء، وكل ذلك كان حرباً نفسية ليفتوا في عضد المضربين.

ضباط مصلحة السجون تضايقوا، وهددوا بتفريقنا، وهذا لا يضيرنا، فنحن في غربة وفي عزلة. لكن الرأي العام في الخارج متلاحم معنا، ووصلت أخبار الإضراب إلى

مسامع ملك الأردن، عبد الله الثاني، ورئيس مصر السابق حسني مبارك، وتحدثا إلى الإسرائيليين بهذا الشأن. وفي اليوم السابع عشر من الإضراب، أو الثامن عشر، قام المجاهدون من كتائب القسام بعمليات نوعية، نفذها استشهاديون في مدينة بئر السبع، فأوقعت هذه العمليات قتلى وجرحى في صفوف الإسرائيليين، وعنوان هذه العمليات هو الانتصار لإضراب الأسرى. وجنَّ جنون الاحتلال، وجاء قائد مصلحة السجون وحاشيتُه، وفاوضنا طويلاً على فكّ الإضراب. والمصيبة أنّ مِنْ بيننا، دون تحديد اسمه، قال متسائلاً بيني وبينهم: إلى أين نحن ذاهبون؟ وأراد الجواب مني، فقلت له: ولماذا دخلت الإضراب؟ وقال لي الأخ أبو إبراهيم السنوار: "يا شيخ، إذا لم تخذل القيادة القاعدة، فالقاعدة مستعدة للعطاء"... وهذا صحيح من خلال التجربة. قلت: وتوفيق معي في الرأي، نواصل الأربعين يوماً مهما كانت التحديات، وقال توفيق لن نفك الإضراب قبل أن نحصل على التلفون. وخرج الجميع، بعد تشاور وضغط من مصلحة السجون، أن يعودوا إلى تنظيماتهم، وإلى السجون التي خرجوا منها، ويعرضوا عليهم تعليق الخطوة.

أما جلبوع، الذي كان الإضراب من أجله، ودخلنا حرباً لنصرته، فقد لحق بعسقلان، وفكّ إضرابه فقلت: ابتدأت مصلحة السجون بالمربعات واحداً فواحداً، عسقلان أولاً وجلبوع ثانياً، والله يعلم ما الثالث. ثمّ قلت: بأي وجه أعود إلى نفحة... بوجه الهزيمة والتراجع!! لا، لن أعود إلى نفحة إلا بالوجه الذي خرجت من أجله... وهو النصر، لقد خرجت على أمل النصر، ولن أعود بغير هذا الذي خرجت من أجله. فطلبت الذهاب إلى جلبوع، وبقيت على إضرابي لليوم التاسع عشر، ودخلت جلبوع وأنا مضرب. واجتمعت بالناس من جميع الفصائل، وشَكَوا لي قياداتهم، وبالرغم من أنهم جدد على الإضراب، وأول تجربة لهم، فإنهم لا يريدون فكّ الإضراب، ولولا أن قيادتهم قبلت فكّ الإضراب، تحت ضغط إدارة السجن ما فعلوا... ويا للأسف! وأما عسقلان، فقد باء بإثمه، وانتهى دوره القيادي، بعد أن كان الأول في قيادة السجون. وأما نفحة، ففك الإضراب في اليوم الثامن عشر... والذين واصلوا وبقي موقفهم صلباً هم الإخوة في سجنا بئر السبع (إيشل و"هو ليكيدار")، ولولا الخذلان لمضوا في الطريق حتى النهاية. وأما هدريم، فعلى دين غيره من السجون، فكّ الإضراب وانتهت هذه الجولة بالفشل والوعود الكاذبة. ومنذ سنة 2004، وإلى يومنا هذا لم تتعاف السجون من هذا الفشل. وأقولها بثقة، لو أن الناس صبروا قليلاً لانتصروا في معركتهم هذه؛ لأن العدو لا يصبر

على مثل هذه المعارك، وكانت الظروف لصالح الأسرى والإضراب، وهذه تجربة من التجارب. وحتى عسقلان لو كانت قيادته ناضجة لبقي في الصدارة، وكما قلنا آنفاً: "العاقل لا يبلغ من خصمه، ما يبلغ الجاهل من نفسه".

ذات مرة جاءني غَبايْ، وهو المسؤول عن استخبارات السجون، وعلى كتفه مقصان، فعرض عليّ، في أثناء الإضراب، الذهاب إلى معتقل مجدو، وهو يريد أن يخرجني من الإضراب إلى حيث الخيام والهواتف المحمولة، والتواصل مع الأهل في الليل والنهار، حيث أكون طليقاً، فقلت له: ما يجري على إخواني يجري عليّ، وقلت له: نحن 4,000 مضرب عن الطعام، ولو بقي منا 1,500 لكفى وقوداً لهذه المعركة. فقال: ما جدوى هذا الإضراب؟ وضربت له مثلاً بالجيش الإيرلندي.

وكان قد دار بيننا نقاشٌ داخلي، وللتاريخ، أن السجون التي قبلت على نفسها الهزيمة دفعت الضريبة أكثر من بقية السجون، التي آثرت الإضراب على الانكسار. وحول سؤال سألنيه أحد الإخوة في مجدو، من خلال لقاء ومحاضرة عن دور مروان البرغوثي في الإضراب، وقد شاع أنه كان يتناول الطعام، خلال أيام الإضراب، فقلت: كان الرجل في العزل كما سمعت، ولو كان حاضراً في الإضراب، لكان من المشاركين في اتخاذ القرار.

إنني لا أبرئ نفسي من مسؤولية هذه المرحلة، إذ الأحداث دفعت بي إلى الواجهة، وأنا لا أقبل على نفسي ذلك؛ لأنني لسنة ونصف قبل الإضراب، اعتزلت العمل التنظيمي، وقام على قيادة التنظيم إخوةٌ كرام، لكن نحن مَنْ في الواجهة مع مصلحة السجون.

أما موقفي أمام الله، فإني قد أعذرت بمواصلة الإضراب 19 يوماً، واستعليت على الفشل والانكسار، وقد ضاق العدو من هذا الصبر... ونحن على يقين من ديننا، أن النصر مع الصبر... ودخلنا الإضراب في 2004/8/15، وانتهينا منه بتاريخ 2004/9/4.

سجن جلبوع: محطة على الطريق:

بعد أن انفض الاجتماع مع مصلحة السجون، وبقينا على الإضراب إلى أن نصل السجون التي تقرر الرجوع إليها. رجع إلى هدريم الإخوة يحيى السنوار، وروحي مشتهى، وسمير قنطار، وحسام خضر، لا لفك الإضراب، ولكن ليعرضوا على بقية الأسرى، الحديث الذي دار في الاجتماع. فالذين رجعوا إلى هدريم وجدوه أقرب إلى فكّ

الإضراب. والإخوة الآخرون توفيق وحسن مقادمة، وأبو مكين، وطاهر الزيود إلى بئر السبع، ثمّ نفحة، في المهمة نفسها، وأما أنا والأخ عبد الخالق النتشة، ويوسف ارشيد، فإلى جلبوع ومعنا الرفيق وليد دقة.

حملتني "البوسطة" من الجلمة، الواقعة على السفوح الشرقية لجبل الكرمل، ما بين حيفا وجنين. حملتني إلى سجن جلبوع الحديث في بنائه، وهو إلى جوار سجن شطة، القديم منذ أيام الانتداب البريطاني.

دخلت إلى قسم (1)، واستقبلني أحبابنا من الأسرى أيما استقبال، وغمروني بعواطفهم النبيلة بشتى فصائلهم، أبناء فتح والجبهة الشعبية قبل أبناء حماس والجهاد الإسلامي. ويشهد الله أني تعاملت معهم كالوالد مع أولاده، فما كان بيني وبين أحد من هؤلاء من حواجز، إنما هو الاحترام. وما إن دخلت الغرفة التي سأحل فيها خلال هذه الأيام، وهي للإخوة في حماس، وفيها فاكهة القوم، عمار زهير أسعد، ابن أخت الشيخ حامد البيتاوي، والأخ أبو نبيل أشرف حسن، من قرية اسمها كفر ياسيف، قضاء عكا، وفيها فرسان خليفة من مخيم طولكرم، الذي ذكرته في خطبة جمعة، فقلت: نريدكم كما هي حال سلفنا الصالح، رهباناً في الليل وفرساناً في النهار، لكن ليسوا كفرسان خليفة، وإنما جعلوا من صهوات الخيل عروشاً لسيوفهم. وأصبحت هذه العبارة حديثاً للأسرى في السجون، يوقعون عليه بالتعليقات. ومن سكان الغرفة المجاهد رائد الحوتري، فرّج الله كربهم قريباً.

كل يوم جمعة أو سبت صباحاً، كان مدير مصلحة السجون "النتسيق"، يأتي لزيارتي في القسم الذي حللت فيه، ويدور الحديث الاجتماعي بيننا، لأكثر من ساعة في كل زيارة. وكنت أضيق ذرعاً من الحال التي وصلنا إليها، في ظلّ هذه السياسة التي أتت على كثير من إنجازاتنا التاريخية، وكان ثقيل الظل في زياراته؛ لأن من وراء ذلك التشفي، ولربما لقرب بيته منا.

مكثت في جلبوع قرابة أربعة أشهر، وزرت أقسامه، والتقيت كثيراً من الأحباب، من أبناء الحركة الأسيرة، وجمعتني الأيام مع المجاهد الحبيب، قائد معركة مخيم جنين الشيخ جمال أبو الهيجا، ونِعم الأخ هو، وهو (حتى كتابة هذه السطور) في العزل الانفرادي يقضي أيامه، ما بين مطالعة الكتب وقراءة القرآن يتلوه آناء الليل وأطراف النهار، فرج الله كربه. والتقيت أمير القوم هناك أبا سلمان عايد خليل، وأبا إبراهيم سامي حسين، الذي

يتميز دوماً بالعطاء، والقرب من إخوانه، وهو قائدٌ ناجح، ومحاورٌ لَبِق رضي الله عنه وكذلك الأخ الحبيب عماد ريحان شقيق الشهيدين عاصم ومحمد ريحان[12].

في نهاية شهر كانون الثاني/ يناير من سنة 2004 جاءني غباي قائد الاستخبارات في مصلحة السجون، وقال لي: نريدك أن تنتقل إلى سجن مجدو؛ لأن مصلحة السجون في طريقها إليه، بعدما تمّ الاتفاق مع الجيش في نقل صلاحيات المعتقل إلى مصلحة السجون، على أن يسلمها المعتقل بعد شهرين. ونحن في مصلحة السجون نريد ألا نصطدم مع الأسرى هناك؛ لأن الجيش يدخل عليهم للعدد ببنادقه، وهذا مستحيل عند مصلحة السجون، ونريد من يفهمنا هناك، وعلى الخصوص من حماس. فقلت له: أنا موافق بشرط أن يرافقني خمسة من كوادر الفصائل... من فتح والجهاد والشعبية، فوافق على ذلك، وأخذت معي من حماس الأخ سامي حسين.

وصلنا معتقل مجدو، واستقبلنا هناك ممثل المعتقل، وهو من فتح، وساعدنا في نقل أمتعتنا وحمل عني كل شيء، فجزاه الله خيراً، وهو الأخ أبو مروان، من قلقيلية.

دخلت على خيمة لحماس، وكل خيمة تتسع لأكثر من عشرين مجاهداً، وأمير القوم الأخ المجاهد فازع صوافطة، وابن قضيتنا وضربتنا سنة 1998. والتقيت أناساً غاية في الاحترام والتقدير، لكن المأخذ على الأسرى في مجدو أنهم لما سمعوا بمصلحة السجون قادمة انتظروها كأنها بُعبع، فبدلاً من تهدئتهم والتخفيف من نية التصادم مع مصلحة السجون، وإذا بنا نرفع من معنوياتهم، ونشجعهم على الحذر من مصلحة السجون، وقلت المثل المشهور: "جبناك يا عبد المعين حتى تعين، وإذا بك تحتاج إلى من يعين".

على كل حال، كانت فرصة جيدة جداً لي لتبليغ ما أستطيع من خلال هذه المرحلة. إذ جاءني الأخ الحبيب رامي الأقرع من بلدة قبلان، وكان رئيساً للكتلة الإسلامية في جامعة النجاح، فقال لي: نريد منك في كل يوم ساعة، تحدثنا عن تجربتك من خلال هذا المشوار الطويل، فهذا تاريخنا وحرام عليه الضياع، فلا بدّ من توثيقه. فشكرت له ذلك،

[12] **عاصم يوسف ريحان (1981–2001):** ولد في بلدة تل جنوب غرب مدينة نابلس. التحق في جامعة النجاح الوطنية في نابلس. شقيق الشهيد محمد والأسير عماد. استشهد بعد تنفيذه لهجوم بالعبوات الناسفة والسلاح الناري بالقرب من مستوطنة عمانوئيل قتل وجرح فيه العشرات من الصهاينة، يوم الجمعة 2001/10/12.

محمد يوسف ريحان (1974–2001): ولد في بلدة تل جنوب غرب مدينة نابلس. نشط في كتائب القسام ضمن مجموعة الشهيد ياسر عصيدة، واستشهد في اشتباك مسلح بعد اقتحام الصهاينة لقريته يوم، 2001/10/12. ولحقه للشهادة أخاه عاصم الذي نفذ عملية استشهادية.

وقلت هذه فرصة ثمينة، طالما انتظرتها؛ لأن مصلحة السجون فيما مضى، كانت تلاحق أوراقنا وتصادرها، وهذا ما حال دون كتابتها وتوثيقها يومياً... فوجدت في ذلك فرصة. وبدأت معهم بمحاضرات يومية، ورامي يكتب هذه المذكرات، وهو رضي الله عنه مَنْ بَوبَّها؛ حتى انتهيت منها، وقد كتب منها نسختين، واحدة عنده، والأخرى عندي.

لقد شاهدت العجب في سجن مجدو، فالجرذان من حولنا، والقطط لا تجرؤ على أن تعترضها، تصحو وتنام على خشية منها، وشاهدت قطاً لا ينام إلا على صدر صاحبه، الأخ المجاهد سليم أبو عرة، الأنف على الأنف يا سبحان الله! صحبة عجيبة. وفي مجدو مكتبة لا تجدها خارج السجن، فمنْ يقرأ؟ وكنت أخطب الجمعة في الناس، ولا أحيد عن تجديد الأمل عندهم، وأن الطريق لنا، ولن يكون لغيرنا.

وجاءني قبل أيام من الإفراج الناطق باسم مصلحة السجون واسمه عوفر، وتجاذبنا أطراف الحديث عن السجن، وعما تأتي به الأيام القادمة، وعن الانتخابات التشريعية. وقد جعلنا من ذلك في السجون موضع نقاش، وخرجنا بتوصية المشاركة في الانتخابات التشريعية، كجزء من القرار أو الإجماع الرباعي: الخارج، والضفة، وغزة، والسجون. وزارنا من وزراة الأسرى، الأخوان هشام عبد الرازق الوزير السابق للأسرى، وسفيان أبو زايدة الذي خلفه في الوزارة. ودار الحديث حول التهدئة والانتخابات، وأنهم حريصون على مشاركتنا في هذه العملية.

وقبل الإفراج كذلك، جاء قائد مصلحة السجون وحاشيته لزيارتي مودعاً، وطلب مني زيارة لبيتي فوعدته. ولما خرجت وذهبنا للانتخابات، وقد حققنا فوزاً كاسحاً فيها، اتصل بي إسحق غباي ومدير مصلحة السجون لزيارتي في البيت، فشاورت أحد الإخوة فلم يستحسن ذلك فاعتذرت لغباي. وتضايقت من تصرفي هذا؛ لأنني أخلفت بالوعد.

قبل الإفراج بيوم، اتصل بي عن طريق الهاتف المحمول من الخارج الأستاذ حسن القيق، رحمه الله، فقال لي: أخي أبا مصعب. قلت: نعم، قال: الرجاء ألا تصرح للإعلام شيئاً عن الانتخابات، واعذرني لأني لن أكون غداً مع إخوانك في استقبالك أمام السجن. فقبلت منه ذلك، وقلت: سمعاً وطاعة. ولما اتصل بي استغربت منه ذلك؛ لأنه في العادة لا يتصل على السجن، ولم تكن له سابقة. وفي البداية، بالرغم من أني أعرف صوته، سألت: مَنْ المتحدث؟ فأجاب: أبو سليمان، فرحبت به بكلمة أستاذي، وهو أستاذي

بحق. ومع ظهيرة ذلك اليوم، وكان الإخوة قد دعوا أبناء الفصائل لحفلة وداع تكريماً لي، وإذا بإدارة السجن تبلغني بقرار نقلي إلى سجن هدريم، فضربت أخماساً بأسداس؛ لأن في النقل خوفاً من الإداري بعد هذه السنين. فحزمت أمتعتي ورحلت في "بوسطة" خاصة، عربة ترانزيت إلى سجن هدريم، ونمت ليلتي في الزنزانة، ولم ألتق أحداً هناك. وفي الصباح انتظرت الإفراج، وعلى الرغم من أن الإدارة هناك قالت لي: اليوم تخرج من السجن، لكن تأخر الوقت، وقد طال الانتظار، ونمت، ثمّ استيقظت ولما تَحِن الساعة، فذهبت أفكاري وظنوني إلى السجن الإداري. وقريباً من الساعة الرابعة مساءً، وإذا بطارق يطرق عليّ باب زنزانتي، ويقول لي: هيا بأمتعتك، فقد حضر المدير، وهو ينتظرك للتوقيع على الإفراج، خرجت إليه وهو في ساحة داخلية للسجن، حيث وَقَّع على ورقة الإفراج، فطلبت منه ورقة للطريق... وقد يئس أهلي من هذا الانتظار، فقال: أهلك في الخارج ينتظرونك، وما إن صرت خارج السجن، وإذا بالقدس ورجالها ينتظرون. وتدافع الناس، وهم حمولة باص سياحي، خلا السيارات الخاصة. وسلمنا على الجميع، وفيهم الأستاذ محمود فواقة، والشيخ حامد أبو طير، والشيخ جميل حمامي، والمهندس خالد أبو عرفة، والمجاهد أحمد عطون، ووالدهُ أبو أحمد، والأخ يعقوب أبو عصب، وجزى الله الجميع خير الجزاء. رحّبوا بي وسلّمت عليهم، وركبت الباص مع هذا الجمع، وفي الطريق تحدثنا والشيخ جميل، والشيخ حامد، والشيخ إبراهيم حمادة، وكان حديثنا مشحوناً بالعاطفة الأخوية. وسارت بنا القافلة حتى وصلنا قريتي أم طوبا مع الأذان لصلاة المغرب. كان ذلك يوم 2005/6/5.

الفصل الحادي عشر

يدٌ تبني ويدٌ تقاوم

يدٌ تبني ويدٌ تقاوم

لما وصلت ساحة البيت، وقد أُعِدَّت للاستقبال، وتتسع لأكثر من 200 رجل، سلّمت على الوالدة التي أخذتني بالأحضان، ودخلت على الوالد وهو طريح الفراش، لمرضٍ ألمّ به وأقعده، رحمهما الله، وسلمت على الحاضرين وعلى الوافدين. وكان حفلاً تحدّث فيه العلماء، وتحدثت فيه إلى الحضور، وقلت: هذا البيت تشرّف بزيارة المؤسس الشهيد أحمد ياسين، وزادهُ شرفاً أنه بات فيه مرتين. وهذه بركة حظينا بها، ولمّا رأته أمي، وعلمت أنه مقعد، وأنه يتنقل على هذا الكرسي الذي يجلس عليه، قالت: "سبحان الله، يجعل سرّه في أضعف خلقه". ولكن الشيخ ما كان ضعيفاً، وإن أقعده الشلل، بل هو المربي والأستاذ، ومحرّك الجيوش بإشارةٍ منه.

ثمّ إن الأستاذ أبا سليمان حسن القيق جاءني بزيارة خاصة، وعلمت أنه يرتب لي وضعاً خاصّاً على صعيد القدس، لأتصدّى لهموم الناس من خلال مكتب في بناية من بنايات شارع صلاح الدين، ومن هذا المكتب، ومن هذه النافذة، نحاول محلياً وميدانياً استقطاب الحس الوطني، للوقوف في وجه هذا التغوّل باتجاه تهويد المدينة وتحجيمه. وكذلك كيفية دعم أهلنا في القدس، حتى يحبطوا مكر الصهاينة، ويحافظوا على وجودهم الذي يتعرض للاقتلاع.

لكن في ظني ما كان هذا الأمر لينجح؛ لأن المؤسسة الأمنية الإسرائيلية تطاولت على كل شيء في البلد حتى "بيت الشرق"، بعد أن رحل عنه عمدة القدس فيصل الحسيني، والذي لا يُلوِّح بتدمير دولة الاحتلال، بل هو وجه منظمة التحرير في القدس، والتي وقعت صلحاً مع الاحتلال. ثمّ أتت على مسرح الحكواتي، ذي الصبغة الوطنية فأغلقته، فكيف بنا نحن والحرب على أشدها مع هذا الاحتلال؟ وكيف بي أنا مع هذا الاحتلال، وعلى عينه يصبح مكتبنا خلية عمل للوافدين من القيادات الوطنية، وعامة الناس؟ والاحتلال هو من جعلني طريداً لعيونه؟

الترشح لانتخابات المجلس التشريعي:

بقيت على صمتي، ومع رغبة الأستاذ في حساباته بشأن الانتخابات، التي بدأت تتبلور معالمها، بعد أن اتخذ قرار المشاركة. وبوضوح تام، كانت رغبة الأسرى في السجون ورأيهم يدفعان بي إلى أن أرشح نفسي للانتخابات، وهذا من جميع الفصائل،

حماس وفتح والشعبية والديمقراطية. لكن جنديتي بقيت على عهدها مع حسابات الأستاذ (حسن القيق)؛ إلى أن استقرت الأمور في الترشيحات وتحديد الأسماء، وغلب الرأي عند إخواننا أن أكون حاضراً في هذه المرحلة على صعيد الانتخابات، فلقد جاءني الأخَوَان المهندس خالد أبو عرفة، والمجاهد أحمد عطون، وبتوجيه من الأستاذ قالا لي: وقع الاختيار عليك لتكون مرشحنا في القائمة عن القدس، والثاني في الترتيب بعد الأخ المجاهد إسماعيل هنية[1]. فقلت في نفسي أنا أعرف دربي، ونحن قوم لا حصانة لنا إلا عند الله، ثمّ قلت لهما أستخيرُ إن شاء الله.

والمرء كثير بإخوانه، والخيرة فيما اختاره الله. ولقد سبق أن دعيت لكلمة في مهرجان انتخابي، على صعيد المحليات والبلديات في بلدة صوريف، التي خرّجت الأبطال: جمال الهور، وعبد الرحمن غنيمات، والدكتور سمير القاضي[2]، وفي ملعب البلدة الرياضي، كان الحاضرون بالألوف، وقد رشح أهل البلدة الدكتور الفاضل سمير القاضي لرئاسة البلدية، فقلت خلال هذا اللقاء: إنه التغيير الذي انتظرته الجماهير، ويقوم عليه رجال خرجوا من حظوظ أنفسهم، وإنه الإصلاح الذي لا بديل عنه إلا الخراب. ومن اختار على التغيير والإصلاح بديلاً، فالله يقول: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً﴾[3]. وأنتم اهبطوا، لكن ليس مصرَ، وإنما "اهبطوا فتحاً، فإن لكم ما لبني إسرائيل من البقل والقثاء".

أما كون ترتيبي الثاني على القائمة، فالله يشهد وهو المطلع على السرائر، أن الدنيا بما فيها لا تستخفني لهذه المواقع. وعيب على شيبة شابت في الإسلام، وبعد خمسة وخمسين سنة أن تستهويها المناصب، إلا إذا اقتضت الحاجة التنظيمية وليست الشخصية، عندها تكليف. فقد اتصل بي من سجن النقب أحد الكرام وطلب مني أن أتخلى عن ترتيبي

---

[1] انظر: ملحق الوثائق، الوثيقة رقم (20)، ص 532، ملصق انتخابي لقائمة التغيير والإصلاح لانتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني الثانية تحت شعار "يدٌ تبني ويدٌ تقاوم"، والذي يأتي ترتيب الشيخ أبو طير فيه ثانياً. [المحرر]

[2] **سمير صالح القاضي (1956–):** حاصل على شهادة البكالوريوس في الطب من أوكرانيا، ومتخصص في الأمراض الباطنية. شغل منصب مدير المستشفى الأهلي في الخليل، وانتخب سنة 2005 رئيساً لبلدية صوريف. شغل عضوية عدد من اللجان والمؤسسات، أبزرها عضوية الهيئة الإدارية لنقابة الأطباء والهيئة الإدارية لجمعية الشبان المسلمين. اعتقل عدة مرات. وانتخب على قائمة التغيير والإصلاح ممثلاً للخليل في الانتخابات التشريعية سنة 2006.

[3] **القرآن الكريم**، سورة البقرة، آية 61.

هذا للأخ المجاهد الدكتور محمود الزهار[4]، لأنه قدم من أبنائه، والدكتور الزهار أخي، وهو حقيق بأكثر من هذا. فقلت لصاحبي (غفر الله له): الموضوع لا يتعلق بالأشخاص، وما أنا الذي اخترته، وهذا الموقع للقدس، والقدس هي أكبر من كل هذه الاعتبارات. ولو عرض هذا الترتيب على الدكتور الزهار لرفضه.

وفي جوّ الانتخابات، وخلال أيام قطف الزيتون، الذي هو إلى جانب كونه محصولاً رئيسياً، فهو غذاء أساسي عند هذا الشعب، وعند شعوب العالم، فهو شجرة مباركة، وشعار لأمة متميزة في موقعها، فهي لا شرقية ولا غربية، وللزيتون في نفسي حبّ عظيم؛ لأنه يعبر عن الجذور. وذات يوم حملتني رجلاي مشياً على الأقدام إلى وادٍ مشهور عندنا بالزيتون، واسمه "الوادي الغربي"، وبعيداً عن البيت وعلى أطراف القرية، لتحصيل القليل، بعد أن انتهى الناس من القطاف؛ لأني أجد متعتي في ذلك، ووحيداً في الخلاء. وإذا بالأخوين أبي مجاهد عطون، وإبراهيم عميرة في الطريق إليَّ بسيارتهما يجِدَّان في طلبي، وبعد التحية والسلام، اصطحباني إلى مكتب لكتلة التغيير والإصلاح في رام الله، حيث يعمل فيه فريق من الإخوة، بإدارة المجاهد باجس نخلة —رعاه الله— وقدمت إليه صوراً شخصية وأوراقاً ثبوتية، وما يلزم العملية الانتخابية.

الحملة الانتخابية:

لما بدأت الحملة الانتخابية وتصاعدت حدتها، وسط تغطية إعلامية، شملت فترة الانتخابات وما بعدها. وكان لنا فريق عمل وخطة عمل، بإمكانيات مادية متواضعة لا ترقى إلى المطلوب، لكن الحاضر القوي هو الجهد البشري، فقد تفانى شبابنا في العطاء، وخرجوا من تحت الأرض، في مفاجأة للعدو الصهيوني، الذي قال: من أين خرج هؤلاء؟ وما علم أن جذورنا ضاربة في الأرض، وعصية على الاقتلاع، مهما تفنن عدونا في حربنا[5].

---

[4] **محمود خالد الزهار (1951–)**: ولد في مدينة غزة، حاصل على شهادة البكالوريوس والماجستير في الطب من مصر. عمل في عدد من مستشفيات قطاع غزة، وعمل رئيساً ومحاضراً لقسم التمريض في الجامعة الإسلامية بغزة. شغل عضوية عدد من اللجان والمؤسسات، واعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال وفي سجون السلطة. انتخب في انتخابات المجلس التشريعي سنة 2006 ضمن كتلة التغيير والإصلاح، وشغل منصب وزير الخارجية في الحكومة التي شكلتها حماس بعد فوزها في المجلس التشريعي. جرت عدة محاولات لاغتياله واستشهد اثنان من أبنائه.

[5] انظر: ملحق الوثائق، الوثيقة رقم (22)، ص 535، خبر عن محاصرة الشرطة الصهيونية لاجتماع تمهيدي لإطلاق الحملة الانتخابية للحركة الإسلامية في القدس، وحديث للشيخ أبو طير في المؤتمر، صحيفة **منبر الإصلاح**، العدد 17، الأحد 1426/12/8هـ الموافق 2006/1/8م. [المحرر]

كانت أولى خطواتنا أن نفتتح حملتنا في ملعب مخيم قلنديا؛ لأن العدو الصهيوني حظر علينا أي دعاية، أو لقاءات انتخابية، داخل جدار الفصل العنصري، فكانت قرى شمال غربي القدس وشرقيها، هي الميدان على صعيد العمل الجماهيري.

هذه القرى التي أعطت الكثير، لكنها حتى الآن مظلومة، ولا يتعرّف عليها أحدٌ من أصحاب الشأن في القدس، الذين يقولون عن هذه القرى إنها محسوبة على رام الله، ولا ميزانية لها عندنا. وأهل رام الله يقولون هذه القرى لا تتبعنا، وللحق فلا شأن لهم بذلك، لأنها قرى شمال القدس، حتى وإن أخرجها الاحتلال من جغرافية القدس، فهذه القرى سِجِلُّها الانتخابي محسوب على القدس، وهي تاريخياً تابعة للقدس.

قلت، كان لنا فريق عمل ناجح، ونجح في إدارة الحملة الانتخابية. وكان يقود هذا الفريق شاب من خيرة شبابنا، ومجبول على الإصرار والتحدي، هو الأخ رامي الحلواني، الذي قام على الأمر بجدارة، ومعه طاقم لديه من الخبرة والكفاءة ما يكفي لتخطي الصعاب، منهم هيثم طه (أبو أحمد)، ومن وراء الجميع المهندس الأستاذ حسن القيق، يساعده المهندس خالد أبو عرفة. وقد ذهب وفد منا فيه المهندس خالد إلى فتح والجبهة الشعبية، لننزل جميعاً في قائمة وطنية واحدة، على صعيد دائرة القدس، لكنهم أخذتهم العزة... فقالوا: لا نريد، قلنا لهم: لنا نائبان، ولكم أربعة: مسلمان ومسيحيان، قالوا: لن تحصلوا على شيء.

انطلقنا إلى مخيم قلنديا، وصلينا الجمعة في مسجده، وعلمنا أن تنظيم فتح في المخيم أتى إلى الملعب الرياضي، والذي من المقرر أن يقوم عليه احتفالنا... فخربوه بالجرافات، وحرثوه حتى يعطلوا علينا خطوتنا الأولى. واتصل بي نافذ أبو شلبك، من المحسوبين على تنظيم فتح في المخيم، فقال لي: هذا المخيم مغلق أمام الدعاية الانتخابية، ولن نسمح لمحمد نافع، وهو ابن المخيم، أن يمارس حقه في الدعاية الانتخابية. وهذا كلام لا تجد فيه إلا الضعف، فهل الملعب الرياضي خاضع لمزاج نافذ أبو شلبك والتنظيم من بعده؟ غير أن هذا مزاج عبثي لفؤاد فارغ من الثقة.

على كل حال، لم نبرح المسجد، فطلبت من الأخ المجاهد ع. ا. أن يأتينا بوجهاء المخيم للحديث معهم، فاعتذروا؛ لأن المخيم يعيش على وقع قعقعة السلاح. فصبرنا لصلاة العصر، وبعدها تحدثت إلى الناس عن تأليف القلوب، وأن ما جئنا من أجله هو خيار ديمقراطي، من واجب الناس أن يحترموه. ثمّ خرجنا من المسجد في

مظاهرة تكسوها الرايات الخضراء. وما إن وصلنا إلى الشارع العام وإذا بالبلطجية، يخرجون علينا بالحجارة والأخشاب والسواطير، واعتلوا المنازل، وقذفونا بالحجارة، وجاهد إخواننا بكل الإمكانيات أن يحولوا دون الاحتكاك، لكن القوم قد أعدوا العدة، وقام فريق من الإخوة بحمايتي من الحجارة المتناثرة، وكان المجاهد (أبو صالح) محمد عمار يقيني بنفسه من هؤلاء المعتدين. وإخواني يتلقفونني من هنا وهناك، حتى مزقوا عليَّ قميصي، ولحق بي أحد أفراد التنظيم بساطور في يده وشرعهُ عليَّ، فالتفت إليه، فتمسمر في الأرض، والله يشهد كأنما أُسقط في يده. وتراجع وعلى وجهه الانكسار[6].

وفي الليلة نفسها، ذهبت وأخي أبو مجاهد عطون إلى بيت لحم، لحضور مناظرة ضمت جميع الفصائل، موضوعها الانتخابات... وكان فيها عن فتح الأخ النائب عبد الله عبد الله، وتحدث من حضر كلٌ عن برنامجه الانتخابي. ووُجِّهت إلينا أسئلة عن الشريعة وتطبيقها، وهل سنفرضها على الإخوة المسيحيين في البلاد، وكانت لنا أجوبتنا الشافية، حيث ابتدأت بالحديث، عما جرى لنا في مخيم قلنديا، والاعتداءات التي تعرضنا لها في يوم انتخابي، وتنظيم فتح في قلنديا حتى الآن لم يستوعب التغييرات، ويرفض أن يقبل غيره، وربما لا يقبل نفسه. ثمّ قلت: ما فرضنا الشريعة على أبنائنا، فليَ بُنيات ما قلت لواحدة منهنَّ البسي منديلاً أو جلباباً، وإنما هو اختيارها الشخصي وقناعاتها. وذكرت أن لي أخاً وصديقاً مسيحياً اسمه أوليغ، والعاطفة التي بيننا يفتقر إليها كثير من الناس. وذات مرة في بيتي بحضور صحفيين أجانب، وكان المترجم من فتح، وأنا لا أدري ولا يهمني انتماؤه، لكن شغلني أمر في البيت، وبقي صاحبي أوليغ مع الصحفيين، وأخذ المترجم يحرّض علينا وهو في بيتي، فرد عليه صاحبي، والمترجم والصحفيون لا يعلمون أن صاحبي مسيحي، فقال لهم: أنتم في فتح ظلمتمونا، ولم يظلمنا هؤلاء الذين تحرّض عليهم، فحماس تعاملت معنا باحترام، وهم أقرب إلينا منكم، لقد اعتدت قرية دير جرير باسم فتح على نصارى الطيبة، ولم يقف إلى جانبنا إلا حماس. لا تتحدث عن حماس في بيت الرجل، وحضرت بعد ذلك وعلمت بالقصة.

[6] انظر: ملحق الوثائق، الوثيقة رقم (21)، ص 533، بيان مرشحو كتلة التغيير والإصلاح عن دائرة القدس وأنصارهم يشجبون تعرضهم لإطلاق النار في مخيم قلنديا من قبل مسلحين من فتح، 2006/1/6. [المحرر]

ولقد علَّق الأخ رامي الحلواني على همجية من تعرضوا لنا في قلنديا، فقال: هذه بداية الانتصار. وبعد أن نجحنا في الانتخابات، قمنا بزيارة إلى مخيم قلنديا، واستقبلنا أهل المخيم استقبالاً حاراً. ويقدّر الله أن نحصد من الأصوات في المخيم، أكثر مما حصدته فتح. أما عائلة امطير في المخيم، فمنهم فتح ومنهم حماس، وشباب حماس من هذه العائلة استبسلوا في الدفاع عنا، حتى أن أخوين منهم اقتحما على الرماة أسطح البنايات، وقد أغلقوا عليهم الأبواب فكسروها، وأتوا على المعتدين فأوجعوهم ضرباً.

واصلنا حملتنا الانتخابية، ولنا في كل قرية محطة، فبلدة حزما من أهم المحطات التي يُسجل لها، فهذه البلدة يتصف رجالها بقوة الشكيمة، ومن التقيتهم من جميع الفصائل، عندهم أدب وخلق. وفي حزما كان لنا لقاء جامع مع حشد من أهل القرية، وحديثنا عن المشاركة في الانتخابات تحت شعار التغيير والإصلاح. ونحن لا نرفع شعاراً يخالف قناعاتنا، أو يخالف ما نؤمن به، فالتغيير والإصلاح دفعنا ضريبتهما على مرِّ السنين، قضيناها في سجون الاحتلال، وخاصة بعد الفوز الذي حققناه. والذي أعجبني وأُسجلهُ للتاريخ، أن رجلاً طاعناً في السن، قال موجهاً الحديث إليَّ: أيها الشيخ (وقد كان معي إخواني المرشحين، النائب أحمد عطون، والنائب محمد طوطح، والمهندس خالد أبو عرفة، ورامي الحلواني، وهيثم طه وآخرون) قال: أنتم مَنْ بقي لنا، أنتم الطلقة الأخيرة المتبقية، إياكم أن تسقطوا البندقية من خياركم... فأشفى بحديثه هذا غليلي، وقلت الحمد لله أنه يوجد مثل هذا النَفَس عند كبار السن فينا، فطمأنت الرجل والحاضرين، وقلت له: أبشر. فقد سرني هذا المنطق، ومنظمة التحرير لما أسقطت خيار البندقية سقطت وتردت، وأصبحت بلا بوصلة.

نعم، هذه ليلتنا في حزما، وما من بلدة أو قرية من قرى القدس، إلا وزرناها والتقينا أهاليها في المساجد والساحات العامة، وحظيت بلدة بدو بلقاء حاشد، من جميع القرى المحيطة بها. وفي بيت عنان، وغيرها من قرى الضفة الغربية، خرج علينا حزب التحرير بفتاويه، فالحرب مع الصهاينة ليست في وارده... ولا هي ضمن حساباته... خرج علينا بتحريم الدخول في هذه الانتخابات. ونسوا أنهم دخلوها أيام الأردن سنوات الخمسينيات من القرن الماضي، ويوم أن كان "غلوب" باشا قائداً

للجيش الأردني[7]، بينما نحن طاردنا الاحتلال، وخَذَلنا حزب التحرير، وأوذينا وسُجنا لسنين، حتى نتنازل عن فوزنا... فأبى علينا ثباتنا أن نعطي الدنية، أو أن نتراجع القهقرى أمام صلف الاحتلال، ولمن أراد أن يستزيد عن حزب التحرير، أنصحه بقراءة كِتَابَي الأستاذ جواد بحر النتشة: قراءات في فكر حزب التحرير الإسلامي، والطريق إلى الدولة الإسلامية عند حزب التحرير[8].

أما ضربة النجاح الرائعة للحملة الانتخابية فقد عمل عليها منسق الحملة الانتخابية عندنا الأخ رامي الحلواني، وأعلن للصحافة عن مؤتمر صحفي لنا عند باب الساهرة، المقابل لشارع صلاح الدين، ثمّ في اللحظة الأخيرة، وحتى يربك شرطة الاحتلال، التي لاحقتنا داخل الجدار وخارجه، وحتى بعد الانتخابات... في اللحظة الأخيرة، أعلن عن المؤتمر الصحفي أمام باب الأسباط. ونحن خارجون من صلاة الظهر، وما إن التقينا الصحافة، ولم نتمكن من افتتاح المؤتمر، وإذا بالقوات الخاصة من الشرطة، تحاصرنا وتعزلنا عن الصحافة، وتشتبك بالأيدي مع بعض الإخوة، ثمّ يقتادوننا إلى سجن المسكوبية. وحاولوا ابتزازنا واستفزازنا في التحقيق، ولكن دون جدوى، ثمّ نمنا ليلتنا في المسكوبية، ومع الساعة العاشرة صباحاً، أطلقوا سراحنا، وهم يضربون كفاً بكف، على فشلهم وتعبهم الذي ذهب سدى، وقد نقل الإعلام هذه الجولة من الصدام[9]. وكان ذلك يوم 2006/1/15.

---

[7] ترشح تقي الدين النبهاني (1914–1977) مؤسس وأمير حزب التحرير للانتخابات النيابية الأردنية قبل تأسيس الحزب، وكان ذلك في انتخابات المجلس الثالث التي جرت في آب/ أغسطس 1951، بعد أن استقال من العمل في سلك القضاء الشرعي. كما شارك الحزب في انتخابات المجلس النيابي الرابع التي جرت في تشرين الأول/ أكتوبر 1954، وترشح للحزب في هذا المجلس كل من داود حمدان (القدس)، وعبد القديم زلوم (الخليل)، وأسعد بيوض التميمي (الخليل)، وعبد الغفار كاتبة (الخليل)، وأحمد الداعور (طولكرم)، ومحمد موسى عبد الهادي (جنين)، ولم يفز للحزب سوى النائب أحمد الداعور. وبعد خروج غلوب، كانت انتخابات المجلس النيابي الخامس في تشرين الأول/ أكتوبر 1956 والتي فاز فيها الداعور كذلك، إلا أنه أسقطت عضويته في المجلس في 13 أيار/ مايو 1958 بعد الحكم عليه بالسجن بتهمة عرقلة ومقاومة موظف في أثناء عمله، ونشر وإذاعة أنباء يقصد منها زعزعة الثقة بالدولة. [المحرر]

[8] انظر: جواد بحر النتشة، **قراءات في فكر حزب التحرير الإسلامي** (الخليل: مطبعة الهدى، 2007)؛ وجواد بحر النتشة، **الطريق إلى الدولة الإسلامية عند حزب التحرير** (الخليل: مركز دراسات المستقبل، 2009).

[9] انظر: ملحق الوثائق، الوثيقة رقم (24)، ص 547، خبر عن الاعتداء الصهيوني على مرشحي حماس، في القدس مرفق بصورة لاعتداء الشرطة الصهيونية على الشيخ أبو طير أحد المرشحين، صحيفة **منبر الإصلاح**، العدد 18، الثلاثاء 1426/12/17هـ الموافق 2006/12/17م. [المحرر]

شكلت مشاركة حماس في الانتخابات التشريعية والمحلية انقلاباً اجتماعياً، وحظيت بدعم جماهيري تردد صداه في أنحاء المعمورة. وإن نجاح حماس في الانتخابات البلدية والمحلية أعطى مؤشراً واضحاً أين تتجه الأمور؟ وكذلك على صعيد الغرف التجارية، فقد فازت حماس بالغرف التجارية في معظم البلديات والمجالس المحلية... وتوقفت انتخابات بلدية الخليل بسبب المكر الذي حال دون ذلك؛ لأن الفوز محسوم لصالح حماس. وحتى كتابة هذه السطور بقيت مدينة الخليل دون انتخابات، خلافاً لكل مدن الضفة الغربية وقراها.

ولقد كنت على ثقة تامة أن الانتخابات إذا سَلِمت من التزوير فإن حماس ستحصد ما لا يقل عن 70 مقعداً، من أصل 132 مقعداً في المجلس التشريعي. وخوفي من التزوير هو الذي جعلني أتحفظ على قول الحقيقة، ولقد شهد على ذلك الأخ النائب أحمد عطون، وقال: الشيخ أبو مصعب هو الوحيد الذي كان يصر على هذه النتيجة، وبلا تحفظ.

ولما سألني الأخ الحبيب أبو العز الكتري من غزة، عن نسبة النجاح التي أتوقع حصادها، قلت له، وكان ذلك قبل يوم الانتخابات بليلة، إن الذي أتوقعه نسبة 65% من مقاعد المجلس التشريعي، وقلت له: سنحصد إن شاء الله 70 مقعداً، إن لم يحصل التزوير. ويشهد الله أني كنت وإخواني نمشي بين الناس، ونلتقيهم وأقول لإخواني: أرى النصر في عيون الناس، وكان ذلك. ويوم أن انطلق الشارع الفلسطيني للانتخابات في يوم 2006/1/25، كان السباق محموماً، وجرت اعتداءات على بعض الدوائر، خاصة دائرة الزعيّم شرقي القدس، لكن إخواننا حافظوا على حضورهم لمنع التزوير ما استطاعوا.

نتائج الانتخابات ورحيل "الأستاذ":

في اليوم الثاني من الانتخابات، خرجت النتائج بالفوز الساحق للتغيير والإصلاح، وأعلن عن أسماء الفائزين، وإذا بكتلة التغيير والإصلاح تحصد 74 مقعداً من مقاعد التشريعي 132، حيث دعمت حماس أربعة من المستقلين، هم جمال الخضري، وحسام الطويل وهو مسيحي، وزياد أبو عمرو من غزة، وحسن خريشة من الضفة الغربية، فكانت الحصيلة 78 نائباً، منها 49 مقعداً عن الدوائر، و29 مقعداً عن القائمة النسبية.

في الخليل، حصد نوابنا عن التغيير والإصلاح جميع المقاعد، عن الدوائر، وهي تسعة، وكان الشيخ نايف الرجوب أكثر النواب أصواتاً، فقد حصل على 59,885 صوتاً، بينما حصل أخوه جبريل من حركة فتح على 38,367 صوتاً، أي أقل من الشيخ نايف بـ 21,518 صوتاً.

وفي بيت لحم نجح اثنان عن التغيير والإصلاح، واثنان من فتح وفق "نظام الكوتة" للمسيحيين، وفي رام الله والبيرة حصد نوابنا أربعة مقاعد، وكان الخامس لـ"الكوتة" المسيحية. وفي نابلس كذلك حصد إخواننا ثمانية مقاعد من تسعة، على صعيد الدائرة، وفي جنين وطولكرم مناصفة. أما في غزة، فالشهيد سعيد صيام حصد أعلى رقم في الضفة الغربية وقطاع غزة، فقد حصل على ثقة 71,908 أصوات.

وبعد هذا الفوز جمعتنا الفرحة في بيت أستاذنا حسن القيق، وتناولنا الحلوى بمناسبة زواجي لا بمناسبة الفوز، وتحدث الأستاذ إلينا: الإخوة خالد أبو عرفة، وأحمد عطون، ومحمد طوطح وأنا، وحذرنا من متاعب الطريق، وقال: أنتم مقبلون على تحديات كبيرة.

وفي غمرة هذا الفوز، والمهنئون لا ينقطع حبلهم، رحل حسن القيق عن هذه الدنيا، بتاريخ 2006/2/7، بعدما ألمت به جلطة دماغية فارق على أثرها الحياة، رحل أبو سليمان ونحن في أمسّ الحاجة إليه، وكما قالوا: في لحظات النصر يرحل العظماء.

لقد كان حسن القيق، رحمه الله، وهو المربي الفاضل والمهندس البارع، بكل جوراحه، مع المقاومة، ومع عدم المهادنة، ومع المقاطعة لجميع ما يجلبه الاحتلال، وكان يفرح لضربات المجاهدين والاستشهاديين، ويفرحه وجع العدو. وذات مرة في سنة 1998 سألني، رحمه الله، عن الوضع الجهادي بشكل عام، وعن الشهيد عادل عوض الله، بشكل خاص، فشكوت له ضيق الحال على الصعيد المالي، فقال: لا تقلق، بعض أنابيب الضخ فيها "الصغيرة من الحجارة"، وستتعافى إن شاء الله.

لقد كان، رحمه الله، عندما يراني يتلألأ وجهه، وتنفرج أساريره عن ابتسامة رائعة، وهو بلا شكّ يبتسم للجميع، ولكنه كان يؤثرني في حبه. وكنت كثيراً ما أزروه في البيت، أو في المدرسة، وأضع بين يديه بعض الملمات أو الهموم أو الإشكالات، أو إحاطة بجديد، وهو يحيطني بكثير من عنده وعنده الكثير... الكثير. ولحبه لي، وكثيراً ما جمعتنا الولائم، اجتمعنا في بيته على وليمة لضيوف كرام من إخواننا خارج البلاد، فانتقاني من

بين الحاضرين أن أهتم بضيوفه، وهو الحاضر وبكلمةٍ منه: "دير بالك عليهم"، وعلى عادتنا في "المناسف"، أفتت اللحم أمامهم جميعاً، ومنهم من أخصه بلقمة في فمه.

رحمك الله يا أبا سليمان، ولا أحسبه (ولو لمرة واحدة)، أنه استقبل ضيفاً إلا بلباسه الرسمي، كائناً مَنْ كان، ولا يفتح السيارة لأم لسليمان إلاّ هو. رحمك الله يا أستاذنا، ومنذ الأيام الأولى بعد احتلال سنة 1967 للقدس والضفة، وبصحبة الحاج راضي السلايمة، وبسيارتك المتواضعة، وأنت تجوب البلاد من أجل إعادة البناء، وترتيب البيت من الداخل، ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[10]، وأحسبك عند الله هكذا.

العمل التشريعي وإعلان الحصار:

لما عزم الرئيس الفلسطيني محمود عباس على إجراء الانتخابات... اجتمع المجلس التشريعي السابق والمحسوب على فتح، وأخذ يفصل مقاسات العملية الانتخابية، مرة على القوائم، ومرة على الدوائر، وحسبوها جيداً، حتى لا تحظى حماس بحضور قوي في المجلس التشريعي... لكنهم غُلبوا، فما حصلوا إلا على 45 مقعداً منها 17 مقعداً عن الدوائر، و28 مقعداً عن القائمة. وإذا كان البيت الفتحاوي منقسماً، بل كان متآمراً على نفسه، وقبل أن تلومنا فتح على الحسم سنة 2007، أقول لهم: لوموا أنفسكم على الحرب التي خاضتها الأجهزة، بعضها ضدّ بعض، فأنتم مَنْ فتح أبواب الدماء، منذ أن أتت بكم أوسلو، واسألوا أنفسكم من قتل الأستاذ أسعد الصفطاوي؟ ومن قتل المحامي أبو شعبان؟ ومن قتل هشام مكي؟ وجميعهم محسوبون على فتح. ثمّ مَنْ المسؤول عن دماء الشهداء، التي سالت أمام مسجد فلسطين، والمصلون خارجون من الصلاة، ومن قتل طالب الجامعة من آل عقل؟ ولصالح مَنْ؟ وهل من أحد سمع، أو رأى أن دولة الاحتلال قتلت يهودياً، من أجل عيون العرب أو سواهم؟ بينما سلطة أوسلو، وكثير من الأنظمة العربية، قتلوا شعوبهم من أجل الاحتلال، ومن أجل كراسي الحكم!!.

في آخر جلسة للمجلس التشريعي السابق برئاسة روحي فتوح، وكانت غير قانونية، وتعويضاً عن الهزيمة التي مُنيت بها فتح في الانتخابات، اتخذ المجلس قرارات، ما كان ليتخذها لو بقيت الحال لصالح فتح، فسَنَّ قوانين وخرج علينا بتشريعات، وعيّن

[10] **القرآن الكريم**، سورة الواقعة، آية 10–11.

بموجبها إبراهيم خريشة أميناً عاماً للمجلس التشريعي، باعتباره مسؤولاً تشمل مسؤوليته رئيس المجلس التشريعي. وبهذا القرار صرنا تحت رحمة إبراهيم خريشة، الذي رشح نفسه للانتخابات وما نجح، وفي القانون الأساسي لا يجوز أن يبقى في وظيفته؛ لأنه قدّم استقالته، ورشح نفسه للانتخابات. ولقد حضرتُ جلسة تعيين خريشة مع أخي الشيخ النائب فضل صالح[11]، والنائب أحمد عطون كزائرين، وبدت الجلسة كأنها تعويض عن عشر سنوات ماضية، قياساً على العدد الهائل من القرارات الصادرة عن تلك الجلسة.

وفي جلسة القَسَمْ، التي كانت في قاعة المقاطعة، حضر جميع النواب إلا الأسرى منهم، وأدوا جميعاً اليمين أمام الرئيس عباس. ثمّ وقفت وأعلنت عن مرشحنا لرئاسة المجلس التشريعي الدكتور عزيز الدويك[12]، واعتمد والحمد لله، وأقمنا صلاة الظهر في القاعة نفسها، وكانت الصلاة مادة دسمة لوسائل الإعلام، التي قالت إن رجال حماس جعلوا من قاعة الاجتماعات في المقاطعة مصلىً لهم.

وبالقَسَم الذي أديناه بدهياً أصبحنا أعضاءً في المجلس الوطني الفلسطيني. وقد أعلن ذلك رئيس المَجلس الوطني (أبو الأديب) سليم الزعنون.

بعد ذلك انعقد المجلس تحت قبته الرئيسية، وافتتحها رئيس المجلس الدكتور عزيز الدويك، وبدأت المشاكلة بقيادة عزام الأحمد. وكنا نعرف أن أحدهم فيما سبق في المجلس السابق، يحضر ويثبت وجوده ثمّ ينصرف، بينما في عهدنا فلا مغادرة أبداً، وانتهى الفلتان التشريعي إلى غير رجعة، إلا أن يكون على حسابهم. أدّينا اليمين من هنا، وازداد الحصار ضراوة، وعوقب الشعب الفلسطيني من الدول التي تدعي

---

[11] **فضل محمد صالح (1953–):** ولد في قرية دورا القرع شمال رام الله، حاصل على بكالوريوس الشريعة من الجامعة الأردنية. عمل كواعظ متجول، وإمام، وخطيب؛ من أشهر خطباء ودعاة محافظة رام الله. فرضت عليه الإقامة الجبرية سنة 1986 لنشاطه القيادي في جماعة الإخوان المسلمين. أبعد إلى مرج الزهور سنة 1992، واعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني لنشاطه القيادي في حركة حماس. اعتقل في سجون السلطة الفلسطينية سنة 1996. انتخب لعضوية المجلس التشريعي الفلسطيني عن محافظة رام الله والبيرة، واعتقل لذلك في سجون الاحتلال الصهيوني.

[12] **عزيز سالم الدويك (1948–):** ولد في الخليل. حاصل على دكتوراه في التخطيط الإقليمي والحضري من الولايات المتحدة الأمريكية. عمل محاضراً في جامعة النجاح الوطنية، واعتقل عدة مرات من قبل قوات الاحتلال الصهيوني. كان الناطق الإعلامي باسم مبعدي مرج الزهور بالإنجليزية. انتخب في سنة 2006 عن محافظة الخليل لعضوية المجلس التشريعي ضمن قائمة كتلة التغيير والإصلاح، وهو حتى كتابة هذه السطور رئيس المجلس التشريعي الفلسطيني.

الديمقراطية؛ لأنه نجح في الامتحان الديمقراطي، الذي تمّ بأعلى درجات النزاهة والشفافية، وبشهادة العالم أجمع.

وبعد هذا الفوز، بدأت شرطة الاحتلال تلاحقنا من مكان إلى مكان، وكانت تعترض طريقنا، وتقيد حركتنا، حتى في زيارتنا للمستشفيات وشركة الكهرباء والكليات الجامعية. لكن، وعندما نجحنا استدعتنا هذه الشرطة، وجلست معنا بقيادتها، وقدموا لنا التهاني، وقالوا: أنتم الآن نواب عن الشعب الفلسطيني، ونرجو منكم أن تحافظوا على المزاج العام. فقلنا لهم: نحن في خدمة شعبنا، ولأجل هذا دخلنا الانتخابات، وسنعمل حسب ما يمليه ضميرنا... ثمّ انتهى اللقاء.

لكن تغيرت السياسة فيما بعد، وليس وراء ذلك إلا قرار سياسي، فبدأت المطاردة والملاحقة، والاحتجاز على بوابات القدس لأكثر من ثلاث ساعات من كل ليلة في طريق عودتنا من رام الله إلى القدس، حتى ولو كانت الساعة الواحدة ليلاً. هذه الإجراءات اقتصرت فقط على نواب القدس من كتلة التغيير والإصلاح، فنجاحنا وفوزنا بجميع المقاعد عن القدس، إلا مقعدين للإخوة المسيحيين، حسب نظام الكوتة، قد أعطى الوجه الحقيقي لطبيعة هذه المدينة ولهويتها. وجُنَّ جُنون الصهاينة لهذه النتيجة، وقالوا: من أين خرج علينا هؤلاء؟ أربعون سنة من التهويد، ثمّ تأتينا هذه المفاجأة. لقد فقدوا صوابهم؛ لأنهم لا يريدون لهذه الرمزية أن تتصدر هموم أهل القدس، وأن تشكل الوجه السياسي للقدس. ولكن: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[13].

لقد قالوا عن هذا الفوز: إنه "التسونامي" الأخضر، وإنه الزلزال الذي له ما بعده، وكما أن فوزنا حوصر من الخارج، فقد حوصر كذلك من الداخل، من خلال ممارسات فتح في مؤسسات السلطة. فالسلطة ومؤسساتها قائمة على جيش من فتح، وقالها نبيل عمرو بعد فشله في الانتخابات: سيدخل الحمساويون مؤسسات كل مَنْ فيها ينتمي إلى فتح، وهذا سيحول بينهم وبين نجاحهم. وفي زيارة لمكتب توفيق الطيراوي قال معلقاً على الأحداث في غزة: أرى الحرب الأهلية في طريقها إلى الضفة الغربية. فقلت له: الذي يتكلم عن الحرب الأهلية هو مَنْ يسعى إليها ويدبر لها.

[13] **القرآن الكريم**، سورة آل عمران، آية 54.

وعلى صعيد لجان المجلس التشريعي، فقد انتدبت في لجنتي القدس والداخلية، ومضت بنا الأيام والشهور والحصار يزداد ضراوة. فالحصار كان من قبل، ومن أيام الرئيس عرفات، لكن مؤسسات الرئاسة ومنظمة التحرير لم تخضع للحصار إلا ظاهراً، والمنظمة قبل فوزنا احتضرت وماتت، وإن لم يُصلوا عليها صلاة الجنازة، وما دبت فيها الحياة إلا بفوزنا. وأصبحت المنظمة مرجعية بعد أن طويت، وانتهى مفعول الميثاق الوطني الفلسطيني.

ظلال الحصار:

لما قضى الرئيس عرفات نحبه، وأتى إلى القيادة من بعده الرئيس محمود عباس، حرص كل الحرص على تهدئة الساحة الفلسطينية، وليس ذلك عيباً، إنْ أجمعت الفصائل على ذلك.

لقد أصبح أبو مازن حاجة ملحة بعد رحيل عرفات، ولأنه مقبول لدى المجتمع الدولي و"إسرائيل"، بعدما تبين دور الرئيس عرفات في تسليح الانتفاضة، ودعمه كتائب شهداء الأقصى المحسوبة على فتح بالمال. وأبو مازن لا يؤمن بعسكرة الانتفاضة، وهو رجل "سلام" مقبول عند "إسرائيل" والأمريكان. ومن خلاله سترتب أوراق الساحة الفلسطينية، على مزاجه، ظاناً أن "إسرائيل" ستعطيه حقه عن طريق المفاوضات، والمفاوضات لا غير، هي التي ستأتيه بالدولة الفلسطينية، وما علم أن "إسرائيل" لن تسمح بقيام دولة فلسطينية، لا في غزة ولا في الضفة الغربية. نعم، لقد توقع من الإسرائيليين أن يفتحوا أبواب المفاوضات على مصراعيها، وخصوصاً بعدما تخلصوا من عرفات، وجاءهم الرجل المناسب والمطلوب، ولكن الإسرائيليين كعادتهم، إذا لم تكن القوة حاضرة، وحارسة للمشروع الوطني، أو أن العجز في الساحة سمة الموقف، فهي لا تأبه وتدير ظهرها، ولا تعبأ بمفاوضات ولا مجاملات.

إن أبا مازن، الذي أتى بأوسلو وكان عرّابها، لا يؤمن بالخيار العسكري، حتى وإن واكب الثورة الفلسطينية منذ انطلاقتها وهو من مؤسسيها. ولقد بلغ به الأمر في لقاء جمعهُ مع شارون أن وجّه له الشكر على إخراجه الثورة الفلسطينية من لبنان عام الاجتياح 1982، لتصل سفينة العودة إلى شواطئ أوسلو، وما نسي أبو مازن ولن ينسى، أن الصهاينة هم من هجروه من مدينته صفد في الجليل الأعلى

سنة 1948، وهم من منعوه من دخولها لزيارة بيته بعد أوسلو، ليستعيد الذكريات، ورجع خائباً لا يلوي على شيء.

لقد كان أبو عمار يرفض إجراء الانتخابات لاعتباراته وحساباته، ولا يريد من أحد أن يفسد عليه مزاجه السياسي. وكان على ثقة أن حركة حماس والقوى الأخرى ستحظى بثقة الشارع من خلال صناديق الاقتراع، ولأنه لمّاح ويعرف ما يدور في الساحة. ووقع ما كان يخشاه ويحذره، فكانت الانتخابات، وكان الطوفان الذي قلب الموازين وغيّرَ الحسابات. أما أبو مازن، فقد أخذ على عاتقه أن يخرج بالساحة الفلسطينية، إلى تجربة جديدة تمّ الاتفاق عليها من خلال تفاهمات القاهرة سنة 2005، مع جميع قوى الساحة الفلسطينية. وعلى الرغم من التحذيرات من داخل فتح، وفتح لا تحسن أن تُبقي على خلافاتها مستورة، بل طغيان المصالح والانتهازية يدفع بها إلى نشر غسيلها، وعلى الرغم من التحذيرات من الانتخابات... وعملوا على إرجائها وتأخير موعدها غير مرة، ولحالة الفوضى التي عاشتها فتح، والتناحر الداخلي على مَنْ يكون، ومَنْ لا يكون، ولعشر سنوات وهي مستحوذة على المجلس التشريعي. بلغ عدد المتنافسين من فتح على أربعة مقاعد لمحافظة القدس 39 مرشحاً، فاتهم الفوز جميعاً.

إن أبا مازن، بالرغم من التحذيرات، صمم على إجراء الانتخابات، بعدما انسحب شارون من غزة من طرف واحد، ضارباً عرض الحائط بأي شراكة مع أبي مازن. وجرت انتخابات الرئاسة قبل سنة من الانتخابات التشريعية، وحصل أبو مازن على نسبة 62% من أصوات المقترعين الذين لم يتجاوزوا نسبة 65% ممن يحق لهم التصويت من الشعب الفلسطيني داخل الضفة الغربية وقطاع غزة، وهي انتخابات قاطعتها حماس. ولقد أراد أبو مازن أن يعزز موقعه من خلال تجربة ناضجة، تعيشها الساحة الفلسطينية؛ لأنه تعب من حالة الترهل التي دُهيت بها فتح. وبعد فوز حماس في الانتخابات... توجهت إليه كوادر فتح باللوم، وقد أصر على النتائج كما هي فقال لهم: حملتموني عفن أربعين سنة، فماذا تريدون مني؟

وبالفعل، تمردوا على "البرايمرز" (الانتخابات الداخلية في حركة فتح)، ولم يحترموا اللوائح الداخلية، ومنهم مَنْ فرض نفسه بقوة السلاح على القائمة النسبية، ومنهم من تنازل مقابل أن يصبح سفيراً أو محافظاً... وعلى هذا قِسْ. لقد دخلنا

الانتخابات في أعقاب وثيقة وقعها صائب عريقات والجانب الإسرائيلي، وأن القدس ضمن دائرة الانتخابات، وبموافقة أمريكية وأوروبية، ولأن مظاهر الفساد استشرت داخل مؤسسات السلطة.

إن إجراء الانتخابات كان مطلباً أمريكياً وأوروبياً وإسرائيلياً، لكن "لم تكن العتمة على قدر يد الحرامي"، بل كانت الصدمة لأمريكا و"إسرائيل" وأوروبا. فكانت ردة فعلهم تنكرهم لهذا الخيار الديمقراطي، ولم يحترموه، بل يريدونه على المزاج الأمريكي والمقاس الإسرائيلي، وهذه قرصنة مارسها الرئيس الأمريكي ووصيفه توني بلير Tony Blair، رئيس الوزراء البريطاني الأسبق.

دخلنا الانتخابات، والأماني عند مَنْ خططوا لها، أن نكون معارضة عاجزة عن التغيير، وقابلة للتحجيم، بل شاهدَ زورٍ على خطيئة أوسلو. ويريدون منّا أن نشارك ولا نزاحم، لكننا كنا واضحين في دخولنا الباب، والشعار يتردد على مسامع الناس: "يد تبني ويد تقاوم"، ولن يقوم هذا إلا بهذا، ونحن نتلو على مسامع هؤلاء من كتاب الله: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾[14] صدق الله العظيم.

لقد انتهى أوسلو بفوات وقته وسقفه، فسقفه سنة 1999، ووقته خمس سنوات ثمّ الدولة. ولكن بدلاً منها أعيد احتلال الضفة الغربية من جديد، ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾[15]، واندحر الاحتلال من غزة تحت ضربات المقاومة. ومن المعيب أن تبقى غزة تحت رحمة "إسرائيل"، وقد تحررت، والثورة كانت تقول: الأرض للسواعد الثورية التي تحررها. وقد سأل شارون المستشار القضائي للحكومة: هل بقاء قواتنا في الشريط الحدودي مع مصر، يعدُّ احتلالاً؟ فأجاب المستشار: بقاء جندي واحد احتلال. وإن العرب بعجزهم، شاركوا بدور رئيسي في حصار غزة، وبالتالي تابعت "إسرائيل" عربدتها. ونحن نعلم أن هناك مَنْ يتكئ على بقايا أوسلو، لأغراضه الشخصية ومنافعه الذاتية، وإلا مِنْ أين لقيادات السلطة وتابعيهم هذه الأموال الطائلة؟ وهذه المشاريع القائمة؟ وهذا التبذير على شراء الذمم؟ والتسليح لحرب أهلية بدلاً من الحرب مع الاحتلال؟

---

[14] **القرآن الكريم**، سورة المدثر، آية 18–24.

[15] **القرآن الكريم**، سورة الحاقة، آية 8.

مقدمات الاعتقال:

لم يمضِ على فوزنا أربعة أشهر، وإذا بوزير داخلية الاحتلال المجرم روني بار أون Roni Bar-On، الذي هاجر إلى فلسطين من المغرب، يطلُّ على نواب القدس ووزيرها المهندس خالد أبو عرفة بقرار تعسفي ظالم، حدده لنا بشهر من تاريخ صدوره وهو 2006/5/29 إلى 2006/6/29، يخيرنا فيه بين المواطنة أو الانسحاب من التشريعي، وأن تسحب هوياتنا المقدسية، أو التنازل عن عضوية التشريعي. "طيب"، لماذا نحن؟ فالقدس، ومنذ إحدى عشرة سنة ونواب التشريعي فيها، وفي هذه الدورة كذلك، من القدس نوابٌ عن فتح، ولم يتعرضوا لما تعرضنا له. "طيب يا خربانين" قلتم لي من خلال التحقيق: شيخ أبو طير، يكفيك عسكرة، واذهب إلى عالم السياسة والإعلام، وإذا بعالم السياسة أشد وأنكى في ضريبته من العسكرة. وكما قالت أمي، رحمها الله: "صحيح لا تكسر، ومكسَّر لا تأكل، وكُلْ حتى تشبع"، و"لا مع جدتي بخير، ولا مع خالتي بخير". يا بار أون.. يا ابن الحاقدة، أنت بالأمس جئت إلى فلسطين مغتصباً، وعائلتي هنا في القدس لأكثر من سبعمئة سنة. فكيف أطرد من بيتي؟! وأنت مَنْ جئت محتلاً سنة 1967؟

استدعتنا شرطة المسكوبية بتاريخ 29 أيار/ مايو، مساءً، المهندس خالد أبو عرفة، والنواب: محمد طوطح، وأحمد عطون، وأنا، وانتظرنا لساعة، لا ندري ما الأمر من وراء استدعائنا، وإذا بهم يخرجون علينا بهذا الحقد، وجودكم مرهون في القدس لفترة هذا الشهر مِنْ 29 أيار/ مايو، إلى 30 حزيران/ يونيو 2006، وبعد ذلك الطرد، إذا لم تتنازلوا عن عضوية المجلس التشريعي، "طيب"، لماذا وافقتم على دخولنا الانتخابات؟ لماذا من البداية، لم تقولوا لنا ممنوع عليكم ممارسة هذا الحق؟ وإلا ستسجنون، أو ستطردون؟ وتدخل المحامون، وفي ظنهم أنهم قادرون عليها. لكن الاحتلال لا يحتاج إلى تسويغ أفعاله وممارساته، وكل احتلال يهون عن احتلال الصهاينة، وكان معي في السجن قديماً سنة 1981، أخٌ مِنْ جباليا اسمه يوسف عبد الهادي، كان يقول لي: العيش مع القرود ولا العيش مع الصهاينة... وصدق فيما قال.

رجعنا إلى بيوتنا والهموم لا تفارقنا، والله هذه حرب، وحرب العسكرة عندي أهون من حرب السياسة، "وأعوذ بك ربِّ من غلبة الدَيْن وقهر الرجال". ومرت أيام الشهر إلا واحداً، وإذا بطارق يطرق علينا البيت بعد الساعة الواحدة ليلاً. وإذا بهم طوارق الشر،

ومعهم أمر باعتقالي بعدما فتشوا البيت، وصادروا كتباً وأوراقاً وجهاز حاسوب، وألبومات من الصور... وحتى ذكرياتك يأتون عليها فيقتلونها.

لم يكن مستغرباً عندي ذلك، فخَدِّي كما يقال، "معوّدٌ على اللَّطيم"، وحصل هذا بعد يوم ساخن من العمل النيابي المرهق، فمواقعنا جعلت منا قبلةً للناس، وفوزنا هذا إنْ وَسِعَ الناس، فلا يسع العلية من الأقوام. وهذا فوز لا تُطيقهُ الملوك، ولا أصحاب المصالح؛ لأنك لن تقبل على نفسك أن تكون مطية لغير الحق. وهذا الفوز دفع بنا إلى مواجهة مع الطغاة في الأرض، ويكفينا من هذا الفوز، أننا صححنا المسار، وعدنا بالقضية الفلسطينية إلى مربعها الأول، بعد أن ضلَّت بها السبل. وهذا الفوز ﴿نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾[16]، فهو الطوفان الذي أربك القرار السياسي لدولة الاحتلال، وفاجأ المؤسسة الأمنية المسؤولة عن القدس، حتى قالوا في إذاعة خبر الفوز: حماس تسيطر على القدس.

ولكن المصيبة أن تصادر مواطنتنا في القدس، وهناك لدى قيادة السلطة في رام الله مكْرُ الليل والنهار حتى لا يكون لنا نجاح من خلال هذه التجربة، واعتداء علينا في المجلس التشريعي، وتظاهرات مسيّسة تمنع رئيس المجلس من الدخول إلى المجلس، وإطلاق نار، وحرق داخل أبنية المجلس، وفي رئاسة الوزراء. والسؤال، لماذا الاعتداء على هذه المؤسسات؟ فهي وطنية وأملاك عامة، إن كنا فيها اليوم، فقد لا نكون فيها غداً. وما ذنب المحلات التجارية حتى تحرق؟ وما ذنب النواب الإسلاميين حتى يعتدى عليهم ويخطفوا؟ وتحرق مكاتبهم فيما بعد؟ فما هذه الازدواجية في المواقف؟ قلت لإخواني من أبناء القدس، وقد جمعنا إفطار جماعي في الساحة الشرقية من المسجد الأقصى، إننا لا نتمنى الابتلاء، ولكنه في الطريق إلينا، وأعدوا أنفسكم لذلك. وليس هذا فحسب، كل العالم له حصانة، إلا نحن، وإن كنا نواباً عن هذا الشعب، فلا حصانة لنا إلا عند الله سبحانه. ولم يطل الأمر حتى اعتقلنا. وأكثر من هذا، فإن فريقاً من جهاز المخابرات المسؤول عنه توفيق الطيراوي، يريد لَيّ ذراعي، عن طريق تهديدي بإسقاط أعزّ الناس على قلبي، إن استلمت وزارة من الوزارات، فأي مستوى وصل إليه القوم؟!

[16] **القرآن الكريم**، سورة النجم، آية 56.

ودون شرح عن بطاقة الهوية، أقول: لا يشرفني وأهلي في القدس، وعرب فلسطين في الداخل، أن نحمل بطاقتهم، ولولا العيب والحياء، لأتيت بطفل وجعلته يبول عليها أمام الصحافة.

التشريعي والوزارة في السجن!:

ليلة الاعتقال كنّا في جلسة مع الإخوة في حزب التجمع، الدكتور عزمي بشارة، والأستاذ جمال زحالقة، والأستاذ واصل طه، وهم أعضاء في الكنيست الإسرائيلي، ونناقش معهم ما خرج علينا به بار أون، كان ذلك ليلة الخميس 29 حزيران/ يونيو في فندق "كريسمس" في القدس. وكان مع النواب والوزير أبي عرفة الإخوة رامي الحلواني منسق مكتب النواب، وهيثم طه مرافق الوزير، وكان جواً أخوياً، ولا يختلف عمقهم، ولا فهمهم الوطني عما نؤمن به. فهم من النضج بمكان، وعلى الخصوص الدكتور عزمي، وهم منا ونحن منهم، ونعيش هموم هذه القضية.

ليلتها كما ذكرت، طرَقَ الأشرار علينا الباب بقوة ووحشية أفزعت الجيران، فقلت: "اللهم اكفنا شرَّ الأشرار، وكيد الفجّار، وطوارق الليل وطوارق النهار، إلا طارقاً يطرق بخير، يا أرحم الراحمين". وقد ذكرت ما فعلوا، فإنهم لا يعطونك فرصة لترتدي ثيابك، ومنهم لصّ حاول سرقة طقم أقلام باركر، وزد على ذلك يحرمونك من التلويح بيدك لأهلك، ولقد ألقوا بما في المكتبة من كتب على الأرض.

إن كل هذه الممارسات نابعة من نفسيات مهترئة خَرِبة. وساروا بي بعد ذلك إلى ناقلة حرس حدود، وهم مدججون بالسلاح. ولما وصلت إلى مغتصبة رامات راحيل، وإذا بقائد منطقة جنوب القدس في الشاباك وهو الميجر إياس يعترض الناقلة، ولما شاهدني رحّب بي، فسألته: ماذا يجري؟ وماذا من وراء هذا الاعتقال؟ وإلى أين نحن ذاهبون؟ فأجابني بصراحة: يا شيخ أبو طير، "باعل بيت" عندنا —وهو يقصد رئيس الحكومة—... جُنَّ جنونه، وفقد أعصابه، أي والله بهذه الكلمات بالعبرية. إن إيهود أولمرت Ehud Olmert هو ربّ البيت، وهو من فقد أعصابه، وخاصة بعد أن اختطفت كتائب القسام الجندي جلعاد شاليط Gilad Shalit يوم 2006/6/25. ثمّ قال لي: لا أدري إلى أين أنتم ذاهبون. وكان قد استدعاني إلى مكتبه في رأس العامود، بعد خروجي من السجن بتاريخ 2005/6/8، ومعه قائد منطقة القدس في الشاباك

واسمه باراك، وقائد منطقة المسجد الأقصى كذلك. فالأقصى له ضابط من الشاباك متخصص بالأوقاف الإسلامية. وحاصرني ثلاثتهم لأكثر من ثلاث ساعات في أسئلة من هنا وهناك، وباطنها وظاهرها فيه التهديد والوعيد. وقال لي باراك قائد منطقة القدس: لقد حذرني منك قبل عشرين سنة على التمام أبو مارون، قائد مخابرات منطقة صور باهر في الشاباك، وقال لي: "خلّ عينك على الشيخ أبي طير".

بعدها سارت بي الناقلة في شوارع القدس، حتى وصلنا إلى معسكر بيتونيا، وعند الصهاينة اسمه "عوفر"، وفيه سجن ومركز تحقيق ومحاكم عسكرية. وقبل الاحتلال كان معسكراً للجيش الأردني، وفي هذه الليلة أتوا على 64 من نواب الضفة الغربية، ورؤساء المجالس البلدية والمحلية، المحسوبة على التغيير والإصلاح، والوزراء كذلك[17]. وكان وصولنا للمعسكر متزامناً مع أذان الفجر، سمعناه من مسجد قرية رافات المجاورة، وصلينا الصبح والقيود في معاصمنا. ودخلنا على ضباط التحقيق، وكانت أسئلتهم تلفيقات خبير من جهاز الأمن عندهم، اسمه شانهاف، بعضها يناقض بعض، وَجُلُّ ما أجمعوا عليه، أن يصلوا معنا إلى اعتراف وإقرار، بأن التغيير والإصلاح وجه آخر لحماس. ولقد ناقض هذا الخبير نفسه في أداء شهادته، أمام القضاء العسكري، وقال: إنه ليس من الشرط أن تكون قائمة التغيير والإصلاح هي حماس، قلت لهم الآية: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾[18]. لكن القوم، بشانهاف أو بدونه في غيِّهم سادرون، وهم يريدون تغييبنا تحت كل الظروف. وعلى الرغم من أنهم وافقوا على إجراء العملية الانتخابية في القدس وقراها، ووضعوا في بريدها الخاضع لسلطتهم صناديق الاقتراع، والشرطة هي من حملت هذه الصناديق ونقلتها، فإنّهم ينقلبون على وعودهم ويعلنون الحرب. ولقد صبرنا على هذا الأذى، وقلنا لهم: هذه قائمة انتخابية فيها المسلم والمسيحي، ومن خلال الحديث الطبيعي الذي يديره ضابط التحقيق، وأعني ما أقول، من خلال الحديث وليس من خلال التحقيق؛ لأن حديثهم نابع من ضعف وعدم قناعة، وباهت في قوته. أما التحقيق، فظروفه قاسية وهو من الشيطنة بمكان، وكسر في كسر، فهذه المرة حديث لم يتجاوز ساعة من ليل الظالمين. وقد تعمدت أن أسأل الضابط المسؤول عن هذا الملف فقلت له: بشرفك العسكري، هل

[17] انظر: ملحق الوثائق، الوثيقة رقم (23)، ص 537، ملصق باسم المجلس التشريعي الفلسطيني يطالب بإطلاق سراح رئيسه ونوابه، ويأتي ترتيب الشيخ أبو طير فيه الأول يساراً، تشرين الأول/ أكتوبر، 2006. [المحرر]

[18] **القرآن الكريم**، سورة طه، آية 61.

أنت مقتنع بهذا العمل؟ وهذه التهمة؟ فأجابني: لا. وأذكر فيما مضى أن محققاً اسمه كرمل قال: "أنا مستعدٌ أن أحرق العالم من أجل الحقيقة"، بينما شاباك اليوم في تهمة ضدنا، مستعد أن يحرق العالم، من أجل أن يكذب علينا. فنحن شكلنا حالة نادرة على القضاء العسكري، وقلت لهم من خلال المحاكم العسكرية، نحن ظاهرة أكبر من الاعتقال والتحقيق والمحاكمة، وأنتم تعاقبون الشعب الفلسطيني على خياره. وقلت لهم: هذا ملف سياسي أكبر من القضاء العسكري، وأكبر من النيابة، والنيابة تتخبط في هذا الملف. ولقد سبق لقاضٍ في الجلسة الثانية أو الثالثة للمحكمة أن قرّر الإفراج عنا لعجز النيابة في الأدلة، ولقناعته أن القضية لا تخضع لهذا المزاج. لكن النيابة استأنفت، والحاكم الذي قبل استئناف النيابة، ردّ على قرار الإفراج، ببيان سياسي لا شأن له بالقضاء ولا بالقانون.

لليلة واحدة بقينا في "عوفر"... ثمّ رحّلونا إلى سجن الرملة، ونزلنا في قسم قديم لشهر هناك. وجاءنا قائد المنطقة، واطلع على أوضاعنا، وطلبنا منه ملابس عن طريق الأهل فوافق. ثمّ جاءنا قائد مصلحة السجون، الذي ذكرناه أيام الإضراب عن الطعام، وسلّم علينا ومعه حاشيته، ثمّ قال: أين كلمة الشيخ أبي طير؟ ألم تعدنا بزيارة لبيتك؟ فقلت له: نعم، ولكن "الكابينت" الشورى المصغرة في جماعتي تحفظت على ذلك. ودار الحديث بيننا عن هذا الاعتقال وتداعياته، ومنهم من سأل عن شاليط، فقال قائد السجون: لو أن خالد مشعل يعرف أين شاليط لعرفنا نحن أين هو. وهذا كناية عن مدى السرية عند الخاطفين.

وبقينا نتردد على المحاكم، وأصعب ما في السجن هي أيام المحاكم، وسأتحدث عنها فيما بعد، وهم قوم يتفننون في قتل أيامنا، ويمطّون في قضايانا لأزمان طويلة، وجعلوا من اعتقالنا ورقة ضغط على إخواننا في غزة للإفراج عن شاليط. وقلت في المحكمة: إذا عاد شاليط إليكم، فسنعود جميعاً وبلا محاكمة إلى بيوتنا. وكنت كثيراً ما أستشهد بأمثال حفظتها عن أمي رحمها الله، فقلت لهم: "العبوا يا أولاد، واللعبة على أمكم"، وأترجمه لهم بالعبرية. ثمّ إني كنت أُنقل بين محكمتي عوفر وسالم في الشمال، وهي بالقرب من جنين؛ طلباً لشهادتي على إخوة لا علاقة لي بهم، ولكن لأني صاحب الترتيب الثاني على القائمة؛ فالمحكمة تفترض أن أشهد على جميع النواب ورؤساء البلديات، حتى الذين لم أكن أعرفهم، فزادت تنقلاتي عن مئة وثلاثين سفرية. وهذه رحلة يطول عذابها

ولثلاثة أيام، وربما لأسبوع، وأنا على سفر، ومن خلال وسيلة نقل مكتظة بخليط من الأسرى، منهم الأمني ومنهم الجنائي، ولا تخلو من الدخان والتدخين، وليوم كامل وأنا على متنها، حتى أصل إلى المحطة التي تؤدي إلى المحكمة، في اليوم الثاني، فأُلقي بنفسي على الفراش من التعب، ودون أن أغتسل من وعثاء السفر. ويريدونني أن أشهد على الدكتور حاتم جرار، رئيس بلدية جنين، وقبل هذا الاعتقال لا أعرفه، فالدكتور حاتم من جنين وأنا من القدس، وكيف أشهد على رجل لا أعرفه، ولم يسبق لي أن ذكرته. فما وجه الشهادة في هذا المقام؟ إن كنتم تريدون محاكمتنا، فحاكموا الشعب الذي انتخبنا، اعتقلوه... ثمّ حققوا معه، وتوجهت إليّ ضابطة في النيابة فقالت، بعد أن حذرني الحاكم العسكري من القول بغير الحقيقة، والحقيقة فقط: لماذا أنت هنا؟ لماذا أنا هنا، لأنني إنسان محترم، وذلك باللغتين العربية والعبرية، فعلى ماذا تحاكموننا؟! حاولت النيابة أن تسأل جاهدةً وأنا صامتٌ لا أجيبها. حتى ضاق الحاكم العسكري من عدم جوابي، فأجبته قائلاً: هذا ملفٌ لا صلاحية لهذه المحكمة أن تبتّ فيه، نعم، فزنا في الانتخابات، وكنا أكبر من مكركم، وتبين لكم أننا منجل فبلعتموه، ثمّ رفعت الجلسة.

نعم، كثيراً ما كنت أقول: نحن نريد أن ندخل هذه الانتخابات، ليعرف كل فصيل حجمه في هذه الساحة، وحتى يرى الشعب الفلسطيني والعالم العربي والإسلامي والدولي حقيقة الأمور في فلسطين، وحتى تنتهي سيمفونية التغني بالماضي الذي لم يحافظ عليه أبناء الثورة.

ونحن في سجن عوفر، في الساعة التي اعتقلونا فيها، قال لي ضابط هناك بلكنته الركيكة: "أنتم تغيير وسلاح"، "مش تغيير وإصلاح"، قلت نعم: نحن تغيير وسلاح، وتغيير وإصلاح، وكما ذكرت رحلتنا ليلة 2006/6/30، إلى الرملة، وقلت: حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وتنهدتُ بعدما تذكرت أنني قضيت 26 عاماً في السجون، وبكلمات: إيه يا عالم الظلم، إلهي سبحانك ما أحلمك!! سبحانك على حلمك بعد علمك!!

وإن كان لي تعليق على كل ما حدث أقول: إن السلطة بزعامة أبي مازن كانت قادرة على حلّ هذه المشكلة، بموقف واحد يأخذ طابع التهديد بالاستقالة، أو رسالة إلى الأمريكان، يخبرهم أنه في الطريق إلى حلّ السلطة؛ لأن الاحتلال اعتقل نوابه في التشريعي، لكنه كان راضياً عن ذلك، حتى يبقى الفراغ قائماً، وحتى تتعطل شرعية التشريعي. ومن

الأدلة على تواطئهم، أن المحامي وإخوة لنا طلبوا من صائب عريقات بروتوكول الاتفاق، الذي وقعه مع الاحتلال بشأن الانتخابات في القدس، فماطل، وحتى كتابة هذه السطور عزّ عليه أن يعطيه لنا، حتى نواجه القضاء العسكري في حينه.

عادت الرتابة إلى السجن، ونفسي على الدوام أقوى من هذه القيود، وعندما تحضر زوجتي لزيارتي كنت أردد على مسامعها أبياتاً من شعر علي بن الجهم، وهو رهين السجن:

لا تجزعي إما رأيت قيوده إن خلاخيل الرجال قيودها

وذات مرة قلت لمدير السجن: والله لولا أن لنا في الله عزاء، وأن الله هو المعين على صبرنا ومحنتنا، لما صبرنا على مثل هذه الحياة. ولو كنا على طريق الملاحدة، لوضعت عياراً نارياً في رأسي وفارقت الحياة؛ لأنها لا تستحق هذا العناء، ولكنها في سبيل الله، وإنما الحياة في معانيها، ولولا ذلك فمن يطيق قهر السجان؟ ومن يطيق عربدته؟ مَنْ يطيق سفالة رجال "البوسطة"؟ فإذا كان إمام النحاة سيبويه قد مات غماً لمجاملة على حساب حقيقة نحوية. ومن خلال هذه المحنة الطويلة أقولها والله مطلع على النوايا، والله ما ندمت، ولو للحظة واحدة، ما دام الأمر في سبيل الله، وإن ندمت يوماً، فندمي على لحظة لم أقاتل فيها عدوي، وعدو هذه الأمة. ووالله، ما تزعزعت نفسيتي، وَتَنْهدُّ الأرض ولا تنهد نفسيتي أبداً، وكثيراً ما سمعها إخواني مني في المجالس وفي يوم الجمعة، أنه لو قُدِّر لي أن أعيش ما عاش نوح عليه السلام ما تعدّى عمري النفسي ثلاثين سنة. وكان يعجبني الذي قرأته للأستاذ الرائد في التربية محمد أحمد الراشد وهو يقول: إنه في الخامسة والستين من العمر،

أخو سبعين مجتمعٌ أشدّي سنيّ بروحي لا بِعَدِّ سنيني

فلأسخرنَّ غداً من التسعين عمري إلى السبعين يركض مسرعاً

والروح ثابتةٌ على العشرين

في سجن الرملة هذا، وقد نزلنا ما يسمى "المعبار"، جاءنا قرار نقل إلى سجن نيتسان، وهو واقع في محيط سجن الرملة، واستقبلنا ضباط السجن، وهم من بني معروف من الدروز، ولكنهم يختلفون عمن ذكرناهم سابقاً، فبلطف واحترام استقبلونا وتعاملوا معنا، وكان منهم نائل عبد الله، ضابط عدد، واحترامه لنا فيه حياء. وأعرف أخاه من

قبل، وكنيته أبو عبد الله ماجد، وهو على قدرٍ كبير من الاحترام. وكان فيهم دون رتبة الضباط، ولا أنسى معاملتهم الحسنة معنا، وهم جهاد فلاح، ويوسف طعمة، وأجود عزام، والضابط كمال سلامة، والممرض إياد قزل. وفي هذا القسم زارنا مدير مصلحة السجون نفسه، وكان برفقة وزير الأمن الداخلي حينها آفي ديختر Avi Dichter، ودخل علينا الغرفة، وتعرف علينا، وزارنا إخواننا النواب في الكنيست الإسرائيلي، فالاحترام هو الحاضر، وأما التصنع والتكلف فلا يعمران. وأحياناً، لا يجدي الحوار ولا الاحترام، إذا ما تجاوزت إدارة السجن حدود المألوف، فلا بدّ من موقف فيه تشنج. وكما ذكرت فمن الناس من لا أنسى موقفه الإيجابي معي، ومع الأخ أبي مجاهد عطون، كالضابط كمال سلامة، الذي تميز باحترامه وحسن سلوكه، إثْرَ مهاجمة سجين منّا على ضابط في عدد الصباح، بشفرة حادة نالته بأذى في رقبته، وصارت "دمایاه حمایاه" كما يقال. فالضابط كمال شكّل لنا حماية أدبية، وجعل في معاصمنا على راحتها ثمّ جاء يهودي فشدها، وبفعلة هذا السجين، تميزت الإدارة غيظاً، وكانت الهجمة السيئة التي أتت على كل شيء، وكان ذلك في 13 رمضان 1428هـ، الموافق 2007/9/23. واستنفرت إدارة السجن، ومن ورائها مصلحة السجون، وعاقبت 200 سجين أمني بجريرة هذا الحدث، وألحقت أضراراً نفسية ومادية وجسدية بالأسرى، وسحبت الأدوات الكهربائية، من تلفزيون وهوايات وبلاطات للطبيخ. وأخرجت الأسرى وقيدتهم بالقيود البلاستيكية، وجعلتهم يجلسون القرفصاء لساعات طويلة، ووجوههم على الحائط. وأتت على كل شيء، وخلطت الحابل بالنابل، وصادرت المأكولات والقهوة والشاي، ولقد أوجعونا لأيام بالقيود البلاستيكة، وآثارها الموجعة لم تنته. ولمّا جاء المدير بعد كل هذه الإهانات والاستفزازات، يريد الحديث معنا، وقفت له وقلت: هل أبقيتم على شيء حتى نتحدث؟ لقد قتلتم الاحترام، وما أبقيتم على شيء، لقد قيدتمونا كالدواب، وجعلتم منّا حديقة حيوانات، وتتلذذون على مصائبنا. عاقبوا المهاجم... أما أن تعاقبوا قسماً كاملاً فيه 100 مجاهد، فالعقاب الجماعي مرفوض. أنتم قوم لا تحترمون التوراة التي تتعبدون بها، والله سبحانه وتعالى يقول عنكم: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾[19]، ولكن، هم في وادٍ والتوراة في واد.

[19] **القرآن الكريم**، سورة المائدة، آية 45.

وذات ليلة تعرضت لوعكة صحية، فجاءني ممرض من بني معروف (الدروز) اسمه سامر، وأخرجني من الغرفة إلى عيادة السجن، وبصحبة ضابط اسمه علي، ومعه من الحراس جهاد وأجود، وأجروا لي فحوصات طبية وشكرت لهم ذلك. وخرجنا من هذه المحنة على يد مدير آخر كنت أعرفه سابقاً، وهو شلومو رويمي، وعالج الموقف سريعاً.

وفي القسم الذي نزلنا فيه أولاً، بعد "المعبار" وقبل الاعتداء على ضابط العدد، أجرت إدارة السجن تفتيشاً بعد صلاة الصبح مباشرة. والتفتيش جرى لغرفتنا لظن إدارة السجن أن عندنا هاتف محمول، والصحيح أنه لا وجود لذلك عندنا، بل كان موجوداً عند الأخ رمزي عبيد من فتح. وكان ظنّ المدير وضابط أمنه أنه لا يمكن أن يعيش الشيخ أبو طير بلا هاتف محمول، ففتشونا تفتيشاً سيئاً إذ جردونا من ملابسنا، فخرجت من غرفتي إلى قاعة أعدت لنا وقت التفتيش، خرجت غاضباً، ووصل احتجاجي لمدير السجن وضابط أمنه، وهو من الدروز. فجاء الاثنان حيث كنا والتفتيش على قدم وساق، وتحدثت للمدير بقسوة، وقلت له: أنت لا تحترم نفسك، فقال لي ضابط الأمن: شيخ، هذا المدير، فقلت له ثانية: مديرك لا يحترم نفسه، وإلا كيف يسمح بمثل هذا التفتيش. وكان إخواني يسمعون ما أقول، ومنهم النائب الدكتور إبراهيم أبو سالم، والنائب أحمد عطون. كان ذلك يوم 2006/11/16.

وجرى تفتيش غرفة الأخ رمزي عبيد، ووجدوا الهاتف المحمول عنده، وقلت لضباط الإدارة، وأنا صادق فيما أقول: أوثر أن أعيش عمري بلا هاتف محمول، ولا أن أتعرض لـ"بهدلة [عقوبة]" الإدارة.

وفي القسم نفسه من سنة 2006، جاءني خبر وفاة الوالد رحمه الله، كان ذلك يوم الإثنين 2006/11/27، وعمل المحامي كي أحضر الجنازة، لكن مصلحة السجون رفضت، وبعدها جاءني مدير مصلحة السجون وقدم لي العزاء، وكذلك الإخوة في السجن قاموا بالواجب، والحمد لله ربّ العالمين.

كنا في هذا القسم أسرة واحدة، حماس، وفتح، والجهاد، والشعبية... كل هذه الفصائل يعيش بعضها لبعض. وكان ممثل المعتقل كمال أبو شنب من فتح، لكنه كان لا يقطع أمراً إلا ويرجع إليَّ أو للأخ أبي مجاهد، وكان يتعامل معي كأني والده. وكان الإخوة رمزي عبيد، وإياد الفروخ، وناصر عبيات، وياسر أبو ترك وهم من فتح،

وكأنهم إخوتي وأبنائي. وكان الأخ مراد النجار من فتح يعمل في الـ"مردوان" ويوزع الطعام والخضار على جميع غرف السجن فتح وحماس والجهاد والشعبية دون تمييز، يا الله ما أعظم الاحترام!! وكنت أقدمه على شباب من حماس. وكان شباب من الجهاد الإسلامي من خيرة الناس، كانوا روعة في الكرم والاحترام، منهم داود الشواورة، وسلامة وعدنان وأبو خليل وأيوب العصا. ومن الشعبية مجدي ارحيمي (أبو السائد)، والذي هو قمة في الوعي والنضج، وعاش الماركسية بإلحادها... ثمّ يريد الله به الهدى واليسر وبقدر إحاطته بالماركسية، أبدله اللهُ بأكثر مما كان يتمناه من الهدى. وكان فضل الله عليه كبيراً. ولقد سبق أني التقيت رفيقاً وأخاً كريماً من الشعبية اسمه مؤيد عبد الصمد، ومشهور بين الأسرى بـ"الشيص"، ووفقني الله بعلاقة طيبة معه، وأظنه لا يقطع الصيام في رمضان، وكان يقرأ القرآن. التقيته كثيراً في عسقلان، وعشت وإياه في غرفة واحدة، ويتميز بأدب عجيب، وخلق ممتاز، وهو من عنبتا. وكتب لي رسائل وقصيدة من الشعر، سأقوم بنشرها إن شاء الله. أما الحبيب أبو السائد مجدي فترك الشعبية، وانتمى لحماس، وهو يعيش مع إخوانه في نفحة، وهو من المجموعة التي قتلت الوزير الصهيوني رحبعام زئيفي Rehavam Ze'evi.

ومن أحداث هذا القسم، وقد آليت على نفسي ألا أعمل في التنظيم، ما دام فيه من يتولى الأمور ويقوم بالواجب، لكننا نسدد ونقارب، وننصح لإخواننا العاملين. وكان على التنظيم حينها الإخوة النائب أنور الزبون، وحمزة زهران، وأحمد بديع، وهم من خيرة الرجال... لكنهم هذه المرة في سياستهم للتنظيم يريدون أن يدفعوا الأمور إلى المواجهة مع إدارة السجن، ومن ثمّ يجرّون السجن إلى حسابات خاطئة. واستُدعِيتُ للتدخل، ووقفت على باب غرفتهم فقلت لهم: إلى أين أنتم ذاهبون؟ أنتم تريدون أن تورطونا، وتورطوا السجن بفصائله الأخرى، إلى وضع مأزوم، وهذا عواقبه غير محمودة. قالوا ما المطلوب وقد أصروا على موقفهم؟ قلت: المطلوب أن تسلموا العهدة، وأسأل الله أن يعطيكم العافية. وفعلاً قالوا: رفعنا أيدينا، والأمر إليك. فشكلت لجنة، وأجرينا انتخابات جديدة، وتصرف الأخ النائب عطون مع إدارة السجن والتنظيمات إلى أن جرت الانتخابات، وقد دخلناها وأفرزت كلاً من الإخوة النائب الدكتور إبراهيم أبو سالم، والنائب أحمد عطون، ومحمد أبو طير، والأخ بلال عبد ربه. ولا أدري من الخامس وسارت الأمور على خير والحمد لله.

ليلة المحكمة ويوم المعاناة:

"اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت إن شئت تجعل الحزن سهلاً" بهذا الدعاء لنبينا محمد ﷺ انتظرت ليلة المحكمة، لما لها من هموم، ومن ظلال تنوء بحملها والصبر عليها الجبال. هذا الدعاء فيه من الندى ما يُثلج الفؤاد ويقرُّ النفس، لعله يخفف عنا المعاناة ليوم اسمه "البوسطة"، فمن الساعة السادسة صباحاً توضع القيود في رجليك وفي معصميك، ولا تفارقك عند الأكل والصلاة، أو الذهاب إلى دورة المياه، أو وأنت جالس في قاعة المحكمة، إلى أن تعود ليلاً قريباً من العاشرة مساءً إلى غرفتك في السجن الذي أنت فيه. وعلى هذه "البوسطة" فرقة اسمها "النحشون"[20]، رجالها غلاظ القلوب، مشبعون بالفحش والفجور، محرومون من الرحمة، وكثيراً ما اعتدوا على الأسرى وكسروا لهم أسنانهم. وعند التفتيش ولا نحمل معنا شيئاً إلا أوراق التواليت التي يحتاجها الأسير إن كان مريضاً بالإنفلونزا أو "نزلة البرد" ثمّ يصادرونها ويلقون بها أرضاً. وأنت مكبل في معصميك ورجليك يطلبون منك أن تخلع الحذاء والجوارب، ثمّ تعود إلى لبس ذلك. فالجميع كانوا يستجيبون، وما كنت لأستجيب لهم، وأطلب منهم فكّ القيود إن أرادوا أن أخلع نعلي، ويتدخل الضابط ويأخذني جانباً، وبلباقة منه لا أُفتش حتى لا يطمع بقية الأسرى في فرقته. إنه يوم ثقيل وطويل في تفعيلاته التي هي أطول من تفعيلات البحر الطويل. وأنتظره بعد ليلة حبلى من الهموم، أراقب لحظاتها وأنا في محراب الصلاة، وأناجي الذي بيده الأمر، والذي يكور الليل على النهار. أناجيه بإشفاق وأدب أن يخفف عنا ما نحن فيه، وأن يتكرم علينا ويكتب لنا الأجر، لعل هذه الأوجاع تكون لنا فكاكاً من حشر يوم القيامة، لأنه لا يجتمع غبارٌ في سبيل الله ودخان جهنم، ولا تجتمع قيود السجن مع سلاسل جهنم، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه جلّ وعلا أنه قال: "وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمنين، إذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة، وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيام"[21]، ولعل هذه الأوضاع فيها البراءة من محكمة يوم القيامة، حيث:

---

[20] يحيدت نحشون: وحدة عسكرية صهيونية خاصة من جنود جيش الاحتلال الذين تلقوا تدريباً خاصاً على التعامل مع الأسرى، وهي الوحدة المكلفة بعمليات القمع والتنكيل داخل المعتقلات، والنحشون في العبرية تعني الأفعى. انظر: فهد أبو الحاج، **مرجع سابق**، ص 64.

[21] لنص الحديث وتخريجه انظر: **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، الحديث رقم 2666. [المحرر]

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[22] صدق الله العظيم.

بهذه النفسية، التي لا يحيط بهمومها إلا من كابد حرّ القيد على يد بطانة العجل، ومن قاسى ضرها يعرف حجم المعاناة. ولقد كنت أقبل على نفسي زيادة في الحكم، ولا جرجرة "البوسطة" ومقاهرة رجالها. نعم، زيادة في مصيبة دون مصيبة الافتراء من النيابة مع عجز المحامي أمام خصومك. فالنيابة العسكرية ومن ورائها المخابرات هم من يُحدد حكمك... وليس القاضي، ولقد اجتمع عليّ في محكمة اللد العسكرية سنة 1999 النيابة ورجال المخابرات ليملوا على القاضي ما يريدون.

بهذه الروح الصابرة، كنت أنتظر ليلة المحكمة، و"بوسطة" النقل العجيبة... المُحْكمة في إغلاقها، وفي ظروفها الأمنية وإجراءاتها التعسفية، وفرقتها المدججة بالسلاح يصلون إلى عشرين رجلاً. ولها شبابيك مخرمة وعالية، ويصعب عليك وأنت في القيود أن تقف لتشاهد الفضاء والجبال التي على الطرقات. وإذا قصد السائق أن يفرمل، ويكبح الجوامح يتوجع الجالس، ويتردى الواقف. وعصابات "البوسطة" من النحشون يعلو صوتها بالصراخ والزجر، اجلس، اجلس... يمنعون عليك أن تغذي عينيك بالمناظر الطبيعية، أو أن تتنفس الهواء النقي. وإذا ما وصلنا غرف المحاكم يحلو لبعضهم أن يخلو بكَ لتذوق منه علقة.

نعم، إنها سيارة "البوسطة" التي تحملنا إلى ساحات الظلم... إلى المحاكم... محاكم الزور والبهتان. في يوم تهترئ فيه الأعصاب، يوم طويل لحظاتُه ساعات، وساعاته معاناة لقلوب موجوعة تبدأ بعد صلاة الفجر ومع طلوع الشمس، وأحياناً قبل صلاة الفجر، وما إن يبدأ حتى تتمنى لو ينقضي، فأنت تستعجل الدقائق، وتستعجل اللحظات، وتتمنى أن يرحل النهار سريعاً حتى وإن لم يلحق بنا الدور في قاعة المحكمة، فلكم تكون فرحتنا! ولكم نشعر بالراحة إذا عدنا إلى إخواننا في السجن!

الله أكبر، ثمّ الله أكبر واستشعر معي هذا التكبير وهذا التعظيم، أن تعود للسجن راحة بعد المعاناة، وشعور بالفرح كأننا عائدون إلى بيوتنا.

يا ليل: السجنُ متى غده أقيام الساعة موعده

[22] **القرآن الكريم**، سورة الأنبياء، آية 47.

إنه يوم طويل، وإنه همٌّ ثقيل، وإن الطيور في أعشاشها قد ضاقت ذرعاً من ظلمكم أيها الصهاينة، فهذا اليوم لا ينتهي إلا بنهاية هذه الدولة. ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾[23]، وكم تمنينا أن تقام لنا المحاكم في باحات السجون، حتى نرتاح من هذا اليوم.

نعم، مِنَ الساعات الأولى، ومع عدد الصباح، تحيط بنا القيود وظلال العربدة، والقيود و"الكلبشات" تلقي بثقلها على حركتنا، وتنتقل عدوى الألم والجراح من الجسد إلى النفس، وكثيراً ما تأكل من جلودنا ويسيل الدم. وهذا هو قهر الاحتلال، فمنذ الصباح مرة أخرى، وإلى أن تتسلل عتمة الليل والقيود تلهب معاصمنا وأرجلنا، والأنكى، هي زنازين الانتظار في المحكمة، وعليها زبانية لئام، وهي لا تصلح إلا لهم، ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾[24]. وهذه الزنازين لا يزيد طولها على عرضها (240 سم × 240 سم × ارتفاع مترين). ولكل زنزانة بابها الموصد، إلا من نافذة صغيرة، بالكاد تستطيع أن تأخذ طعامك منها، وإنارة باهتة، وبدونها لا سبيل للرؤية، ويُحشَر فيها ثمانية عشر رجلاً لا يستطيعون الحركة، فأنت مقيد بالقيود، ومقيد بهذا الضيق الذي يمنعك من الحركة. وإذا أقمنا الصلاة فالجمع والقصر أولى، والركوع والسجود على ظهور بعضنا ومنا مَنْ لا يتمكن.

أما شتاء الزنازين، فزمهرير، والبرد قارس، فموقع المحاكم قطعة من صقيع رام الله، وعن البرد في رام الله حدّث ولا حرج. وزبانية "البوسطة" لا يسمحون لك أن تتزود بالملابس الداخلية الشتوية من شدة هوسهم الأمني، لا يسمحون بأكثر من بنطلون ترتديه، ولا يسمحون لك بملابس داخلية طويلة، تقيك من برد الشتاء. والزنازين في الشتاء ثلاجة، وأي ثَلاجة؟ ومن هنا يأتيك المرض. فهذا البرد مع صقيعه ينهشان جسدك، بل لا تستطيع أن تتكئ على حائط الزنزانة، لشدة بردها وما يرشح منها من ماء وبرد. ولا تستطيع الجلوس على الأرض، أو على المقاعد المصنوعة من الباطون من شدة صقيعها. وكيف بك أن تتحرك؟ لتخرج من برودة المكان، لعلك تبعث بالدفء إلى شرايين قلبك؟ لأن فرائصك ترتعد من البرد، وحشاشة قلبك ترقص وتتلوى من البرد، وأضراسك في فمك يصك بعضها بعضاً من شدة البرد.

---

[23] **القرآن الكريم**، سورة الروم، آية 4–5.

[24] **القرآن الكريم**، سورة الشعراء، آية 152.

وأما الصيف، فحرُّه شديد، وأنفاس مَنْ في الزنزانة تزيد من حرارة الجو، حتى تصل إلى الاختناق، ويقف منا مَنْ يخلع عنه قميصه، ويدور به كالمروحة لتغيير الهواء، وتلطيف الأجواء. ومنا مَنْ يضع أنفه على النافذة الصغيرة، لعله يُبرد عن روحه. وفي كلتا الحالتين، صيفاً وشتاءً، لا يُفتح باب الزنزانة إلا عند الخروج للمحكمة أو الرجوع منها، ومرتين في النهار لدورة المياه، وذلك على المقاس ولا يزيد. في الصيف، ترى الجدران تسيل وتتصبب عرقاً من حرارة الأنفاس... إي والله، ومنا من لا يشرب ولا يأكل، ومنا من يأتي صائماً حتى لا يضغطه البول، وحتى لا يقع تحت رحمة هؤلاء السفلة.

وذات يوم، ونحن في طريق العودة من المحكمة إلى السجن، وعن قصد هذه المرة، حجزونا في مؤخرة الباص، التي قسموها إلى زنازين عن اليمين وعن الشمال، بحيث لا يستطيع الإنسان أن يأخذ راحته، لا في الحركة ولا في الجلوس، إذ الاكتظاظ والتضييق هما سيدا الموقف، ومع ما أنت فيه من القيود والسلاسل، التي تمنعك من أن تمسك بشيء حتى لا تقع، أو تحول دون النجاة إن ألمت بنا مصيبة.

وهذا ما حصل معنا عندما وصلنا إلى سجن الرملة، والطريق قبل الوصول إليه فيها "مطبات"، حتى تحول دون سرعة السائقين. لكن سائق حافلتنا، مرة "يفرمل [يضغط على الكوابح]" ومرة يسرع، حتى إذا ما وصل إلى المطبات أسرع، فإذا برؤوسنا ترتطم في سقف الحافلة، وكل ظني أن شيئاً من السماء سقط علينا. ولم يبق منا واحد في موقعه، وإذا بي ملقى على أرض الحافلة، لا أستطيع حراكاً، ولا قدرة لي على الوقوف أو الجلوس، وذهب بي الظن أن عمودي الفقري أصيب. وسألني الدكتور محمود الرمحي، إن كان في رجلي خدر، لكني كنت عاجزاً عن تحديد أي شيء، وعلى الرغم من أن الأسرى علت أصواتهم احتجاجاً، طالبين العلاج، لكن دون جدوى، ولم يلتفتوا لأن الأمر لا يعنيهم.

كان الألم شديداً، ولما نزلت من الحافلة أمسك بي أخوان، حيث لا قدرة لي على اعتدال قامتي، وأتوكأ في المشي على أَخَوَيَّ. فلا رجال "البوسطة"، ولا عيادة السجن اهتموا بالأمر، ولم يعرضوني على طبيب، وكل ما في الأمر أنهم أعطوني مسكناً للوجع.

وصلت إلى غرفتي وأنا على هذه الحال، وسلواي عاطفة إخواني، والعلاج الوحيد هو حمام الماء الساخن والادّهان بزيت الزيتون... وصلاتي جلوساً على الكرسي. وبقيت على هذه الحال ثلاثة أسابيع دون أن أتعافى جيداً.

هذا الإجرام عن نية مبيته وعن قصد، وفي العادة أننا نأخذ مواقعنا في مقدمة الحافلة، وفيها متسع، لكن الحمد لله على كل حال، وإنا لله وإنا إليه راجعون. إنه الظلم... ظلم الصهاينة، وهم مهرة في التضييق على الناس، ويتلذذون بالحركة الرخيصة، والأصوات الصاخبة. وهذه ورثوها عن أصحاب السبت، وكأن السبت الذي احتالوا على الحيتان فيه، أبقى على سلالة وصلت إليهم. وإنهم مع الاحتيال كَذَبَة، بالرغم من ما لديهم من رصيد قوة منتفخة. ولقد بلغ بهم الظلم والحقد أن ضربونا بالغاز ونحن في سيارة "البوسطة"، وحتى في زنازين المحكمة. فمدافع الغاز التي يبطشون بها، هي أرحم من قلوبهم، فهم لا يراعون عجزك ولا القيد الذي في رجليك ومعصميك، وإن كنا بإيماننا أقوى منهم، فإنهم يخافونك وأنت مكبل بالقيود. وبالرغم من أنك تختنق من الغاز وتحترق، ويلفح وجهك ويلذعه، فهم على خوف منك. ولقد شاهدت بأم عيني كيف احترقت الأرض... أرض الغرفة وأرض الساحة من هذا الغاز، فكيف بالبشر؟

ووالله، لقد مرت أيام وأعوام، والرائحة على أبواب الغرف التي نقيم فيها... فرائحة الغاز تفوح من بين ثنايا حديد الأبواب والنوافذ. وبلغ بهم الأمر أن يضربوا قنابل أوكسجين، حتى يخففوا من حالات الاختناق، لكثرة ما ضربوا بعض السجون بالغاز.

وبينما نحن على هذه الحال من الهموم، وإذا بالأخ النائب عن أريحا والأغوار الأستاذ علي رومانين، يرجع إلينا من المحكمة بخبر يحمله أدخل السرور على نفوسنا... وهو أن سلطات الاحتلال أفرجت عن الشيخ صالح العاروري، فحمدنا الله على ذلك، وسجدت لله شكراً. ودخل السرور والفرح على باقي الإخوة في الزنازين وفي السجون الأخرى، فرضي الله عن الشيخ أبي محمد، صاحب الهمة العالية.

هذا يا أخي يوم "البوسطة" ويوم المحكمة، مع فرقة النحشون، التي ترافق الأسرى إلى المحاكم كل صباح، وتعيدهم حطاماً إلى سجونهم كل مساء، ولهم نفوس شحيحة على الخير، وقلوب شداد غلاظ، وتصحبهم على الدوام كلاب، استمدت شراستها من شراستهم.

بين روابط القرى وأوسلو:

روابط القرى وَلّى زمانُها. لكن السبب الذي دفعني إلى التحدث عنها، هو مشروع أوسلو، لأن التردي الذي انتهت إليه جماعة أوسلو، لم يسبق لروابط القرى أنْ تَردت

إليه... فروابط القرى فاصلة زمنية لصيقة باتفاقيات كامب ديفيد، فهي من أرضية الجهل والعمالة انطلقت، وكان ضعف المنظمة، على صعيد العمل العسكري داخل الأرض المحتلة، سببٌ في ظهورها... فالمنظمة بقدر ما كانت دولة بإمكانياتها في الخارج، بقدر ما كان جناحها العسكري مهيضاً في الداخل.

ولما خرج السادات على الأمة باتفاقيات كامب ديفيد الرخيصة، وقد نجح كيسنجر كما قال: بإخراج الحوت من البحر. كلُ ذلك مهَّدَ لهذه الطحالب أن تنتشر، فكان ظهورها بعد رحلة السادات إلى القدس، خلال سنوات 1979–1981. وما هي إلا ثلاث سنوات، حتى انفرط جمعهم بعدما حاولوا أنْ يفرضوا أنفسهم، كظاهرة قابلة للاستمرار، ولكنهم حالة اتكأ عليها الاحتلال إلى حين.

إن روابط القرى لم يكن لها رصيد نضالي، ولا تأييد جماهيري. بل هي فاصلة زمنية باهتة، مِنْ تاريخ القضية الفلسطينية، وبقدر ما حاولت أن تطرح نفسها بديلاً عن الثورة الفلسطينية، بقدر ما انتكست وارتكست، وانطوت على نفسها، حتى وإن جعجعت. وإن خروج مصر مِنْ حلبة الصراع، على أثر كامب ديفيد، وبقاء المنظمة تراوح مكانها، واشتداد حدة المؤامرات على القضية والثورة، كل هذا يجب ألا يفتّ في عضد الثوار، أو أن يغفلوا عن حركة التاريخ، أو أن يسمحوا للبوصلة بالانحراف عن وجهتها. فمن الصحة للثورة أي ثورة، وللحركة أي حركة، أن تتأقلم مع حالات المد والجزر... ولكن لا يستساغ بتاتاً أن يخضع المد، لمزاج الثوار على حساب الثوابت، ولا يجوز لحالة الجزر أن تنال من عزيمة الثوار، فتتحكم بهم الإغراءات.

أما قوات لحد، فلها جذور قبل أن يجتاح الاحتلال الجنوب اللبناني سنة 1982، حيث كان الضابط في الجيش اللبناني سعد حداد، قد أعلن تمرده على الدولة اللبنانية بدعم من "إسرائيل". ثمّ خلفه الضابط أنطوان لحد، بعد الاجتياح، وأخذ يصول ويجول، ممتطياً ظهر الخيانة والعمالة، مدة ثماني عشرة سنة، إلى أن ركله باراك بقدمه بانسحابه من الجنوب سنة 2000، فانتهى بدون "شحطة قلم"، ومن الطبيعي أن تكون هذه نهايته.

أما أوسلو، فلا "يشقع ولا يرقع" معها، لا روابط القرى ولا جيش لحد، فأوسلو مشروع صهيوني بامتياز، قائم على خدمة أمن الاحتلال، بشرعية شعاراتها الوطنية، وقد قال أحدهم: "بعنا القضية بـ 400 بطاقة في آي بي V.I.P" (شخصية مهمة جداً).

روابط القرى سلّحها الاحتلال، والوحيد الذي كانت مِنْ وراء قتله هو الحاج محمد عفانة من قرية تِلْ قضاء نابلس. أما عصابة أوسلو، فـ"إسرائيل" سمحت لها بإدخال السلاح لقمع المقاومة، وتحجيم كل مَنْ يخرج على أوسلو بكل السبل، بالسجن والقتل والطرد من الوظائف، وإغلاق الجمعيات الخيرية، والفصل الوظيفي على خلفية الانتماء، والمسح الأمني. وكم من مجاهد قتلوه! وكم من طريد سلّموه! وكم من عائلات روعوها باسم الوطنية! فما الفرق بين السلاحين؟ سلاح روابط القرى، وسلاح أوسلو؟ وذات مرة في التحقيق سنة 1998، أخذوا مني مسدساً، فقال لي المحقق: مسدسك في الأمانات، وعندما تخرج نعيده لك. فقلت له: إن رجع لي بإذنكم "بَطَّلْ" [لم يعد] مسدساً، بل أصبح جاسوساً.

وقبل أوسلو، خرج علينا أبو عمار بإعلان الاستقلال، وأي استقلال هذا؟ وأين وصل؟ وأين هو اليوم؟ وكأن الاستقلال يُعطى ويقدم على طبق من فضة!! ورُبّ قائل يقول: قدمنا الشهداء، وأعطينا الدماء من أجل هذا الاستقلال. والسؤال: أين هو؟ وأين الوفاء؟ مَنْ منكم يتحرك إلا بإذن من دولة الاحتلال؟ حتى أبو عمار، رحمه الله؟ يا جماعة أوسلو، ديفيد بن جوريون David Ben Gurion لم يُعلن الاستقلال لدولته إلا بعدما تمكن بقواته! من فرض الأمر الواقع، واحتلال ثلثي فلسطين، وما انتظر من الفلسطينيين، ولا من العرب، ولا من العالم أن يعترفوا به، إلا لما أصبحت دولته قائمة. لا نريد أن نأتي على ما سبق أوسلو من المشاريع، لكن ما بعد أوسلو، كم من تهديد لأبي عمار تلته تهديدات، ألا يعلن عن قيام دولة فلسطين؟ واليوم هذا الوهم الذي انتظر في أيلول/ سبتمبر، أو ما يسمى "استحقاق سبتمبر"، لم تسمح به "إسرائيل" وأمريكا؟ ولن يسمحوا بذلك أبداً؛ لأن قيام دولة فلسطينية، هو المقدمة للقضاء على دولة الاحتلال، وفيه تحجيم للاستيطان... بل ونهايته، ودولة فلسطينية بلا القدس ليست بدولة، و"إسرائيل" من المستحيل أن تتخلى عن القدس إلا إذا اختلت موازين القوى في المنطقة لغير صالحها.

أما أوسلو، فما الذي أتت به أوسلو؟ أوسلو فجرت الساحة الفلسطينية، وأثارت حفيظة الفصائل فيما بينها. فبينما كانت على انسجام، ولو ظاهرياً، في أثناء مقارعة العدو، وتنافست في تسليح أجنحتها لمقارعة الاحتلال. ثمّ أصبحت في ظلّ أوسلو لا همّ لها إلا تصفية الحسابات، ولأجندات تستفيد منها "إسرائيل" وأمريكا.

لقد نقلت أوسلو إلى الساحة الفلسطينية تسعة أجهزة أمنية، وجميعها على خلاف، ويتربص بعضها بالآخر الدوائر. بعدما كانت الفصائل، تعتمد على الشارع في حضورها وحجمها، وتكتفي بما عندها من أجنحة عسكرية، تعرف إلى أين تتجه بوصلتها. وبحضور هذه الأجهزة، بدأ الصراع على أشده فيما بينها، للسيطرة والتجنيد لبسط النفوذ. وبدأت هذه الأجهزة ترهق المواطن، باعتداءاتها على خصوصياته، وفي بناء مؤسساتها التي شيدوها، وتطاولوا في بنيانها على حساب الورشات الخاصة.

لقد شكلوا "عصابات"، فاعتدوا على البيوت والمحلات... والحرمات.. وما غازي الجبالي عنكم ببعيد، فقد عرض جيش الاحتلال عندما استولى على بيته في رام الله، ومركز قيادته للشرطة، عرض على شاشات التلفزة مسروقات من الذهب والمجوهرات...

وأوسلو كما فجرت الساحة على صعيد الأجهزة، فقد فاجأت الدنيا، بفرضها على منظمة التحرير فرضاً، ومن خلف ظهر فريق المفاوضات في مدريد، مستغفلةً شعبنا الفلسطيني وفصائله. فلا حماس ولا الجهاد الإسلامي، ولا الشعبية، ولا الديمقراطية، ولا القيادة العامة، ولا أبو اللطف رفيق درب أبي عمار، ورئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير في حينها قبلوا أوسلو. ولم يرتضِ بها سوى عرفات، والمتزلفين من حوله، والسؤال هل عرض عرفات وفريق أوسلو هذا الاتفاق على الشعب الفلسطيني، حتى يقول كلمته فيه؟ والجواب واضح وغنيّ عن التعليل.

أما دولة الاحتلال، وهي مَنْ خرَّجت اتفاقية أوسلو، فقد عرضوها على الكنيست الإسرائيلي، ووافق عليها، وحتى المعارضة فيما بعد، لما تسلّمت الحكم، التزمت باتفاقيات أوسلو من نتنياهو إلى شارون.

14 حزيران/ يونيو 2007 يوم الإكراه والاضطرار:

2007/6/14 يومٌ مرير على صعيد القضية الفلسطينية، بل هو يوم إكراهٍ واضطرار... اقتضى علاجه بعد أن عجزت الوفود والعهود أن تضع حداً لهذه الفوضى مِنَ الانتاج الأمريكي، ولهذا الفلتان الذي استفحل شره بالقتل والتصفيات، والاعتداء على الأعراض، على أيدي عصابات الوقائي، وفرق الموت التابعة له بقيادة محمد دحلان، ونائبه رشيد أبو شباك.

إنه يوم إكراه واضطرار، كاد الفلتان الأمني يقوّض المقاومة، ويورد الساحة الفلسطينية إلى ساحات حرب أهلية، نذرها أوشكت أن تبيض وتفرخ، ولاح أُفقها، لولا أن اقتضى الأمر، أن يدفع المغلوب عن نفسه، وقد حصد القتل خيرة أبنائه. بما لم يدع مجالاً للصبر... أن يصبر على هذا الأذى، أو لِمَنْ توسد الأمر أن يخون أمانته، أو يتنكر لدوره في الحفاظ على السلم الاجتماعي.

وإنه يوم إكراهٍ واضطرار، فرضته إفرازات أوسلو على ساحة الوطن... التي لم تعهد هذا المنطق، والتي كانت في غنىً عنه، لولا أن انتقلت عدواه إلينا من الساحة اللبنانية، على أيدي قادة الأجهزة الأمنية، والتي تعودت على أن تحتكم إلى السلاح في فضّ الخلافات بينها. وهذا ما دأبت عليه منذ أن دخلت إلى أرض الوطن، سنة 1994، والشواهد على ذلك كثيرة، أهمها مجزرة مسجد فلسطين.

بل إنه من الضروري عندما يغيب الأمن عن المواطن، ويطغى منطق القوة وقعقعة السلاح، على حساب السلم الاجتماعي، أن يذود المسؤول عن هذا السلم، والذي تمثل يومذاك في حماس وحكومتها، وأن ينتصر صاحب القرار لأمن المواطن، وأن يُلجِم طغيان المنطق الذي ورَّث هذه الساحة أوجاعاً وأوضاعاً يصعب أن تتعافى منها، أو تتحاشاها.

ولقد خلَّف هذا المنطق، انقساماً سياسياً واجتماعياً... امتد شرخُه سنوات كانت كافية أن تُهدئ الخواطر، وأن تُدمل الجراح، وأن يفرّج عن شعب مبتلى، والذي لا يمر عليه يوم بلا اعتداء من آلة البطش الصهيونية، التي تخلف الدماء والأشلاء والخراب، ناهيك عن الفقر والبطالة. لكن الفيتو الأمريكي، وتواطؤ النظام العربي، وفي مقدمته نظام حسني مبارك الهالك، وتهافت سلطة أوسلو وخضوعها للإملاءات، جعل الانقسام حقيقة واقعة.

وعلى الرغم من أن المصالحة، التي طال انتظارها تمت بحمد الله، إلا أنها عرجاء تراوح مكانها، بسبب النوايا المترددة والحائرة، إن لم تكن خائرة، وبسبب طغيان المشروع الأمريكي، الذي كان يجري تنفيذه عبر سلام فياض، والذي جعل من الأخضرين (ظهور راية حماس، واختفاء دولار أمريكا) بُعبعاً مرعباً للفتحاويين، والمنتفعين مِنَ الانقسام، وعلى وجه الخصوص الأجهزة الأمنية، التي ترى في المصالحة عدواً لها. ولا تريدها أن تنجح أو أن تتعافى، من تداعيات هذا الانقسام.

وعلى الصعيد السياسي، الذي تغذيه آلةٌ إعلامية لا ترحم، ولها خطاب ناريٌّ لا يهدأ، بل يُلهبُ الساحة سخونةً أكثر مِنْ حرارة الدماء التي نزفت. شكّل هذا الانقسام تمادياً في القطيعة، وأرهق جناحي الوطن نفسياً، وجعله عالة على فتات أوسلو، مقابل استحقاق أمني تقوم به السلطة، لصالح دولة الاحتلال.

إن هذا الانقسام أرهق الشعب الفلسطيني، وأحدث عنده غيبوبةً في الوعي، وذلك عندما تتردى التصريحات لدى القادة، إلى مستوى هابط غريب على حِسّ شعبنا، أو تتشنج المواقف من منطلق الحقد والكراهية، بدلاً من الحلول القائمة على المعادلات العلمية. وكل ذلك بفعل الممارسات الخاطئة، والتداعيات الفاسدة، التي خلفتها الأجهزة الأمنية، وما من رقيب عليها يلجم عدوانها. وأنا أتعجب من قيادة تدّعي حرصها على الشعب وتمثيله، ولا تشعر بحالة الاهتراء التي أتت على أعصابه، نتيجة الفلتان الأمني، الذي رقصت الأجهزة الأمنية على أنغامه.

إن دولة الاحتلال، وهي ترى في غزة خاصرةً لصيقة وموجعة، تريد لها أن تبقى مشغولة في صراعاتها الداخلية، وتحرص على إذكاء نار الفتنة بين أبناء الشعب الواحد، لتبقى هي في منأى عن استحقاق الصراع، الذي تقوم به المقاومة، وتُعد له العدة، حتى تواجه هذا الاحتلال بحقها قبل قوتها، إنها تريد لهذه الساحة أن تعيش دوامة عنف لا ينتهي.

وإن ساحتنا منذ قرن من الزمان، وهي تعيش بأنفاسها زخم الثورات، لم يُعرف عنها أنها تردت إلى هذا المستوى من الاقتتال. وعلى الرغم من الاحتكاك الساخن بين الأجنحة العسكرية، فإنها حافظت على المزاج الوطني ألا يتلوث، لمصلحة الأعداء، وحافظت على المزاج عند شعبنا، ألا يقبل عربدة السلاح، ولا العيش على حساب الدماء.

لكن حضور الأجهزة الأمنية بقوة، بعد أوسلو، ومن أولوياتها بذل جهدها بما يرضي الاحتلال، وبناء قوتها وجبروتها على حساب هذا الشعب؛ كل هذا لا يُحتمل، ولا يصبر عليه أولو العزم من الذين تعبوا على مشروع المقاومة، ودفعوا الضريبة غالياً من أرواح المقاومين، والعلماء، والوجهاء، على يد فرق الموت التابعة للوقائي، بقيادة دحلان، والمخابرات العامة بقيادة الطيراوي، والتي تمردت على الحكومة المنتخبة شرعياً، وانتقلت ولايتها وصلاحياتها مباشرة، بعد نجاح قائمة التغيير والإصلاح في الانتخابات، من وزير الداخلية إلى الرئيس عباس، الذي جعل من رشيد أبي شباك، قيماً

على هذه الأجهزة، بجميع السلطات والصلاحيات، ووصياً على الداخلية ووزيرها. وما أبقى لوزير الداخلية من سلطان عليها، فوزارة الداخلية أصبحت مكتباً بلا صلاحيات، وعلى وزير الداخلية أن يستأذن رشيد أبا شباك في كل أمر، وأصبحت الحكومة عالة في أمنها على رشيد أبي شباك.

لقد بلغ الأمر في أدبيات هذه الأجهزة أن يأمر وزير الداخلية عنصراً من عناصر وزارته فلا يُطاع، وهذا نموذج صرّح به وزير الداخلية في الحكومة العاشرة الشهيد سعيد صيام، رحمه الله، قال: إنه طلب من المراسل في مكتبه كأساً من الشاي فكانت لا مبالاته هي الجواب. ودولة رئيس الوزراء تقف في وجهه المربعات الأمنية... ولا يسمح له بالمرور. فأين ظلّ الحكومة على شعبها؟ وأين سلطانُها؟ كان الإمام مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول للمسلمين: لا تذلوا السلطان، فإنه مَنْ أذل السلطان لا توبة له. فأي شريعة وأي قانون يجيز هذه الحالة؟

الرئيس عباس جعل من هذه الأجهزة الأمنية وصيّة على الحكومة العاشرة. وكان الأجدر به أن ينأى بنفسه عن هذا التصرف، وألا يخترق القانون، أو يقوم بعملية التفاف على القانون، وألاّ يسمح لهذه الأجهزة، أن تخرج على الحكومة وعلى القانون؛ لأنه عانى مِنْ مثل هذه الحالة، وشرب مِنَ الكأس، يوم أن كان رئيساً للوزراء أيام الرئيس عرفات، فاستقال، وذهب مغاضباً، واعتزل بعيداً عن الساحة، إلى أن مات عرفات. فتولى كبر هذه الأمور في عهده، وبدلاً من أن يكون عوناً لوزير داخليته، ولحكومته، التي ما اجتمع بها بعد القسم، ولو لمرة واحدة... جعل من نفسه طرفاً، في كل ما جرى على الساحة الفلسطينية.

إن هذه السياسة أدت إلى الفوضى، وإلى خراب الذمم، وإلى عربدة الأجهزة الأمنية، التي لا يستقيم حالها إلا بالامتثال لوزير الداخلية سعيد صيام، فكان لزاماً على وزير الداخلية أن يخرج من هذه الحالة. وقد رفع الأمر إلى عباس، وشكا له عربدة الأجهزة الأمنية، ثمّ استأذنه في تشكيل القوة التنفيذية، كذراع شرطي للوزير. وصدر مرسومٌ رئاسيٌ بذلك، ولكن الرئيس عباس لم يخرجه إلى النور، وتراجع عنه، وبقي رهن "الجوارير"؛ لأن وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس Condoleezza Rice تحفظت على تشكيل هذه القوة، وقالت لا. لأن الأمريكان لن يرضوا عن أي تشكيل،

خارجٍ عن إطار سياستهم، ولن يرضوا عن صياغة أي تشكيل، أو جهاز أمن نظيفٍ من الخيانة؛ ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[25].

ثمّ إن تشكيل القوة التنفيذية، ودخولها المباشر على حياة الناس وواقعهم، استفز الأجهزة الأمنية، ولم يعجبها هذا الحضور، فدخلت في احتكاك مباشر، وأخذت فرق الموت تعيث في الأرض فساداً. ودخل الجنرال كيث دايتون Keith Dayton على الخط الساخن، وجلس للتخطيط، وبدأت حرب التصفيات الممنهجة. وعاشت الساحة حالة من الفلتان والرعب لا مثيل لها، واهترأت الأعصاب، وغاب الأمن عن الوطن والمواطن، حتى بلغ الأمر، أن أحد الإخوة من أساتذة الجامعة الإسلامية، بعث برسالة إلى دولة رئيس الوزراء إسماعيل هنية قال فيها: "أسألك بالله الذي أعز فتح بدحلان وأذل حماس بإسماعيل هنية... إلى متى هذه الحال"؟ نعم إلى هذا المستوى بلغت الأمور. ولا ينسى أحد منا، ما خرج به دحلان على الناس، بعد الفوز في الانتخابات، وهو يتوعد: "راح أُرقصهم خمسة بلدي". وفي مهرجان لفتح في غزة، رفعوه على الأكتاف وهو يقول: "خلي حماس تقتلني". ولعل موقف التحدي هذا يعود إلى شعوره بالدعم الأمريكي له في الانقلاب على حماس، وهو ما ظهر لاحقاً في تصريح الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن عندما قال "He's our guy" يقصد "إنه رَجُلنا"[26].

ومن أجل أن ترضى أمريكا و"إسرائيل"، هل تقبلون يا كوادر الأجهزة الأمنية، ويا أصحاب الأجندات الخارجية، على أنفسكم هذا النزيف من الدماء، مِنْ خيرة أبناء شعبكم؟ فلماذا هذا السقوط؟ وإلى أين؟ ألا يكفيكم هذا السخاء من العطاء، الذي قدمه لكم الشعب من أمواله، تحت سطوة الإتاوات والخاوات؟ والعجب أن الوفود، في مكة وفي جوار الحرم، تعاهد الله على الصلح وحقن الدماء، وفرق الموت في غزة ترد على العهود بمزيد مِنْ سفك الدماء، "قالوا للحرامي احلف، قال: أتى الفرج".

لقد كان من شروط خارطة الطريق أن تقوم الأجهزة الأمنية على خدمة أمن العدو الصهيوني، ومعنى ذلك أن تُجْهِز على المقاومة، وأن تستبيح مشروعها، مقابل الاستحقاق المالي، الذي تجود به أمريكا والدول المانحة. ومن ثمّ القضاء على عمودها الفقري وهو حماس. ومن أجل تنفيذ المهمة وضمان نجاحها، تسلحت هذه الأجهزة

[25] **القرآن الكريم**، سورة طه، آية 39.

[26] *Vanity Fair* magazine, April 2008, http://www.vanityfair.com/news/2008/04/gaza200804

بلا حدود، حتى يطغى وجودها، وحتى تضرب ضربتها القاضية. فالاحتلال قدم لها كل التسهيلات لهذه المهمة، والنظام المصري السابق، غضّ الطرف عن التسليح والتهريب، والدعم اللوجستي... لأن الخطر الداهم والأول على "الأمن القومي المصري" هو حماس كما ادعى حسني مبارك وعمر سليمان. والرباعيتان العربية والدولية كذلك، ترى في حماس العدو الأول، أكثر من القاعدة؛ لأن معركة حماس مع الاحتلال، وما يقلق الاحتلال... يقلق الرباعيتين. وما أمر الكرفانات التي ضبطها سعيد صيام، وهي تهرب السلاح من مصر إلى غزة بإشراف دحلان، ولا الجنرال الأمريكي دايتون، الذي يتولى الشق الأمني من خريطة الطريق، والذي تولى كِبْر هذه الحرب، وخطط لها طويلاً عنا ببعيد؛ والذي صرّح من خلال محاضرةٍ له، أنه لو تأخرت حماس ساعتين في أمر الحسم، "لكنا تغدينا بها قبل أن تتعشى علينا"، فالمخطط كان جاهزاً ينتظر ساعتين للتنفيذ.

إنني أتوجع لكل الأحداث التي عاشتها الساحة الفلسطينية، وأتوجع لكل الدماء التي سالت بغير وجه حق. وكان الأولى، أن تسيل في ساحات الجهاد ومراغمة الأعداء... وإنّ الساحة قد ظُلمت، يوم أن اتهمت حماس بالانقلاب؛ لأنه مَنْ ينقلب على مَنْ؟ فالحكومة شرعية، والخارج عليها هو المنقلب على الشرعية، وهو الظلم والعدوان وهو التآمر. فماذا بقي أمام حماس؟ أن تستسلم للذبح، فذلك هو الخبل، وأن تستسلم لعربدة الأجهزة الأمنية، فهذا هو العقم بعينه، وأن يُغيِّبَ الموتُ كل يوم أستاذاً في الجامعة، أو شيخاً قسامياً، أو إماماً في مسجد، أو وجيهاً يقوم على إصلاح ذات البين، فهذا ما أبقى في قوس الصبر مِنْ منزع، وهذا كلُه حصل قبل يوم الحسم.

إن الفساد الأخلاقي، الذي تباهى به شمعون بيريز، مِنْ على شواطئ غزة والشاليهات... هو صناعة عبثية، وماركة تجارية، خرجت من تحت عباءة الوقائي والمخابرات. وإن استباحة الأملاك العامة، وحتى الخاصة، والمعروفة عند الناس، و"الخاوة" والإتاوات التي أصبحت بمنزلة مستحقات للأجهزة على التجار، بمندوبين على المعابر يتسلطون على كل وارد... على البترول والغاز ومواد البناء من إسمنت وحديد وحصمة، ومواد غذائية، واستيراد الطحين الفاسد، وزيت الزيتون من تركيا، ليضرب الزيت الوطني أيام وزارة أبي علي شاهين. كل ذلك قد انتهى إلى غير رجعة، بعدما كان مدعاةً لاستفزاز الناس.

لقد ابتدأ يوم الحسم، وقد سبق لأحد ضباط دحلان أن خرج على الإعلام ليقول عن حماس: هؤلاء لا يأخذون معي غلوة. وكان الحسم سريعاً، وحصل فيه تجاوزات، وهي مؤلمة، لكن النفوس من بعد هذا الظلم الطويل مشحونة، والحرب كما قال زهير بن أبي سلمة: وما الحرب ما علمتم وذقتم. وفي أقل من ثلاثة أيام انتهى الحسم، وسقطت المربعات الأمنية، والسرايا وتل الهوى، والسفينة. وقادة الأجهزة جميعاً في حيرة مِن أمرهم، وقد شُدِهوا لهذا السقوط المريع للأجهزة المنتفخة. ولكن الساحة ارتاحت من هذا الكابوس، الذي طال ليله، وارتاحت الأعصاب، وارتاحت الساحة من المربعات الأمنية، وتكشفت المصائب، وزكمت الأنوفَ الفضائحُ. وإذا بها أجهزة أمنية في الظاهر، والباطن أن من ورائها مشروع مقاولات لأجهزة المخابرات العالمية. وبالرغم من هذا الفساد، وبالرغم من هذا الفلتان الذي استباح الدماء، وإذا باللوم كل اللوم على الحكومة الشرعية، وعلى حماس، والمطلوب منها أن تصبر على القضاء عليها. والمعروف أن أصحاب الحس الوطني والحرص القومي، يقفون إلى جانب الشرعية، ولا يأسفون على الأجهزة التي يقودها دايتون، والعجب مِنْ هذا الانفصام، فالأستاذ هيكل الذي أتابع حديثه يقول عن حماس: إنها أشرف ظاهرة في زمن رديء، ثم سمعته يلقي اللوم على حماس بعد الحسم، فلماذا؟ وقد أعذرت في كل شيء؟ وأخذت شرعيتها من صندوق الاقتراع؟ ولماذا يا أستاذ هيكل، وأنت مَنْ شخّص المرض، وعرّيت الجنرال دايتون ومَنْ معه؟ كم بقي من الوقت؟ ومن الرجال؟ وقد حصد الفلتان أكثر من 450 شخصية قيادية حمساوية، ولقد قالت العرب مِنْ قبل: "لولا وخز الإبرة... ما استقام الثوب".

ولمّا صح الرئيس أبو مازن من هول الصدمة، خرج على العالم بهجوم كاسح شنّه على حماس، وأخرجها مِنَ الشعب الفلسطيني، وطاردها في الضفة الغربية شرَّ مطاردة، واتهمها بالانقلابية، والإمارة الظلامية. ونسي أبو مازن أن هذه الأجهزة المنفلتة انقلبت عليه يوماً، وحاولت أن تغتاله في خيمة العزاء، التي أقيمت للرئيس عرفات. ورقص أبو مازن على حبال الطائفية، وأثارها نعرة بين المسلم والمسيحي، وما علم أننا أقرب إلى المسيحي منه، وأن المسيحي أقرب إلينا منه... لأننا أبناء شعب واحد، وما اعتدينا على أعراضه وأمواله. ويا أبا مازن لي صديق مسيحي هو الأخ أوليغ من القدس، يقول لرجال الصحافة في بيتي، في ردّ له على مترجم فتحاوي يحرض علينا، يقول أوليغ إن الذي يساعد أمي وهي طاعنةٌ في السن، ويحمل أغراضها من السوق إلى البيت، هو شاب مسلم من حماس. ويا أبا مازن إن أستاذنا المهندس حسن القيق، وهو

على فراش الموت، أوصى بإخواننا المسيحيين، وقال لولده زيد: قل للشيخ أبي طير، أن يستقبل إخواننا المسيحيين في حفل الفوز.

ويريد أبو مازن أن تتراجع حماس عن حسمها، وأن تعتذر، وماذا بعد؟ وكان الأولى بأبي مازن أن يعتذر هو عن خطيئة أوسلو. وألا يتباكى على الشرعية، التي ما حضرت يوماً في ظلّ منظمة التحرير الفلسطينية، والتي استأثر بها عرفات، وحجرها على نفسه دون سواه.

وأخيراً، مَنْ قتل أبا يوسف القوقا؟ ومَنْ قتل الأستاذ أسعد الصفطاوي؟ ومن قتل حاتم أبو شعبان؟ ومن قتل أيمن رزانية وعمار الأعرج، وهما صائمان في رمضان ينتظران أذان الإفطار؟ ومَنْ قتل 17 من المصلين في مجزرة مسجد فلسطين؟ ومَنْ قتل محمد رداد في جامعة النجاح؟ وهو يذود عن أعراض المسلمين؟

وأختم أن غزة، في ظلّ هذه الأجهزة، كانت مرتعاً لتجارة المخدرات، وسوقاً رائجة لقادة الأجهزة الأمنية، ولقد أتخموا القطاع بهذه البضاعة الفاسدة. واليوم غزة أنظف بقعة في العالم من المخدرات.

بعد هذا الحسم، بقيت الحكومة المقالة في غزة، تصرف شؤون القطاع، وطوقها الحصار مِنْ كل جانب، وانتظر الخصوم والأعداء سقوطها، وسبق أن حاولوا اغتيال دولة رئيس الوزراء... وقُتل أحد حراسه، لتقوم الفوضى وتسقط الشرعية، ولكن الله موهن كيد الخائنين.

وفي الضفة الغربية، قامت حكومة تصريف أعمال، على رأسها سلام فياض، وهو يرأس ما يعرف بالتيار الثالث الذي فازت قائمته بمقعدين فقط في المجلس التشريعي، شغل فياض أحدهما، ولم تُعرض حكومته على التشريعي، وفتحت لها الدول المانحة بنوكها، والتزمت دولة الاحتلال بالإفراج عن مستحقات الضريبة. وجاءت هذه الحكومة على مقاس دايتون، فطاردت أجهزتها الأمنية كل من له علاقة بحماس، وكل مَنْ شارك في الانتخابات التشريعية، فاعتقلت، وعذبت، وقتلت رجالاً في التحقيق، وسامت أبناء حماس سوء العذاب، وتربصت بهم، ومن يخرج من سجون الاحتلال يعتقل فوراً عند أجهزة السلطة. وصادروا الأموال وأغلقوا الجميعات وما يتبع لها. وفي وزارات هذه الحكومة أُجري مسح أمني بحق كل مَنْ ينتسب لحماس، وحتى بلغت الأمور عند وزير

الأسرى أشرف العجرمي، المجهول في الأوساط النضالية، أن يطلب من الاحتلال ألا يفرج عن نواب التغيير والإصلاح، حتى لا نُسقط حكومة هو فيها ورئيسها فياض.

يوم 2007/6/14، يوم انتصار للشرعية، التي أتت عن طريق صندوق الاقتراع، ويوم خلاص من فساد الأجهزة الأمنية، وهو وجه خير تمّ في حزيران/ يونيو لأول مرة، وشفى الله به صدور قوم مؤمنين، ولأن الحروب والمصائب في العادة، تأتي في حزيران/ يونيو كحرب 1967 وحرب 1982.

أما على صعيد السجون، فكان الأمر مقلقاً وموتراً للأعصاب، وحدث انقسام في سجون الجنوب، وهناك من الفصائل من تفهمت ظروف الحسم، وحتى من فتح نفسها، لكن ليست جميع النفوس على وتيرةٍ واحدة، فآثر تنظيم فتح في سجون الجنوب، الانفصال عن حماس. أما سجون الشمال، فبقيت الحال على ما هي عليه. وقامت إدارة السجون بفصل أبناء تنظيم فتح في أقسام خاصة بهم، ومعهم فصائل المنظمة والجهاد الإسلامي، وبقي أبناء حماس في أقسام خاصة بهم، ومعهم كذلك فريق من الجهاد الإسلامي. وسجون الجنوب هي "عسقلان"، و"بئر السبع"، و"نفحة"، و"ريمون"، و"النقب"، ومعها سجن "عوفر" القريب من بيتونيا.

يومها كنا في سجن الرملة، وحاولت إدارة السجن أن تفصل فتح عن حماس. قلنا لها: لا داعي لذلك فنحن إخوة نعيش معاً، ونتعهد ألا تكون بيننا مشكلات، وفعلاً عشنا أيامنا باحترام، ودون أي مشكلات.

قرار الحكم:

بعد ثلاث سنوات من المحاكم، وأكثر من 130 رحلة "بوسطة"، بالحال التي تحدثت عنها من قبل، صدر قرار الحكم ضدي بـ 42 شهراً بالسجن الفعلي، ظلماً وعدواناً وعقاباً؛ لأن الشعب انتخبنا، وقد غيبوا إرادته، وعُذب وذاق الويل، كل مَنْ شارك في العملية الانتخابية فيما بعد، على أيدي أجهزة أمن دايتون، ولا يزالون يقبعون في السجون. كان ذلك بتاريخ 2008/11/24.

ثمّ إن النيابة لم يعجبها هذا الحكم، فاستأنفت ضدّ هذا القرار إلى محكمة ذات صلاحيات أوسع، وذلك بتاريخ 2009/4/6، وفي مرافعة منها أنني أشكل خطراً على أمن هذه الدولة، وقد أتوا على الماضي فعرضوه على المحكمة، وكأني أقود جيشاً جراراً

لتحرير فلسطين. فخرج قرار المحكمة بزيادة الحكم ستة أشهر أخرى، ليصبح 48 شهراً، وشهراً آخر؛ لأني رفضت الوقوف لـ"حضرة القاضي". كان ذلك بتاريخ 2009/4/30.

رجعت إلى سجن الرملة بعد الحكم، وفي اليوم الثاني تمّ الرحيل إلى سجن عسقلان، الذي مكثت فيه عشرة أيام، ونزلت على غرفة فيها الأحباب، وهم الدكتور النائب محمود الرمحي، وأمير القوم المجاهد عبد الحكيم حنيني، والإخوة خالد مرداوي ممثل حماس في السجن، ومحمد بشارات[27]، ومحمود مرداوي، وعصام قضماني، وشادي غنمة. والتقيت إخوةً آخرين من الذين مضى على اعتقالهم أكثر من 25 سنة، منهم المناضل فخري البرغوثي، الذي مضى على اعتقاله 33 سنة، والمناضل توفيق العبد الله، وعثمان مصلح، وناصر أبو حميد، شقيق المجاهد الشهيد عبد المنعم أبو حميد. التقيت هؤلاء الكرام وتفاعلنا معهم في حديث عن الأيام الخوالي، والشوق لا يحتاج إلى مقدمات، إنما هي العاطفة الصادقة، وأخوة القيد والمعاناة.

وفي سجن عسقلان تبدلت الأحوال عن ماضيها، وضاق الخناق كثيراً على الأسرى، وساحة عسقلان المشهورة أصبحت ممسوخة، بعدما قسموها إلى "بئرين". وإدارة السجن جعلت من حالة الضعف والاهتراء، التي رضي بها فريق من الأسرى، رهينة مقابل مصالح ذاتية على حساب قوة السجن.

وخطبت الجمعة في ساحةٍ، كأنها لا تساعد عاطفة الخطيب في أن يصول ويجول، كما كانت أيام زمان، يوم أن كانت الساحة... ساحة! والأسرى وقتئذ كأن على رؤوسهم الطير. وشتان، شتان ما بين المرحلتين.

وفي يوم الأحد (بعد خطبة الجمعة) جاء قرار نقلي إلى سجن نفحة، وحاول الإخوة أن يبطلوه، فرفضت ذلك، وقلت لهم: الخيرةُ فيما اختاره الله، والحمد لله.

سارت بي "البوسطة" إلى سجن نفحة الصحراوي، مروراً ببئر السبع، وحطت بي الرحال هناك، وعادت بنا الذكريات واللقاءات مع إخواني. فكان مِنَ المستقبلين شقيق روحي نائل البرغوثي، عميد الأسرى في سجون الاحتلال، وقد مضى على

[27] **محمد عارف بشارات (1975–):** ولد في قرية طمون قضاء نابلس. طورد للاحتلال سنة 1990 بعد تنفيذه لعملية طعن ضدّ مستوطنين صهاينة. في 1992/9/22 حاول تنفيذ هجوم مسلح يستهدف الموقف الرئيسي للجيش الصهيوني بالتلة الفرنسية في مدينة القدس. اعتقل بعد قتله لجندي صهيوني اشتبه في أمره. حكم بالسجن المؤبد، وخرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18.

اعتقاله 33 سنة، والحمد لله أن فرج كربه في صفقة وفاء الأحرار. ونزلت على غرفة 81 قسم (13)، وقد سكنتها من قبل، وكان فيها المجاهد بلال البرغوثي[28]، والمجاهد عماد صقر[29] من غزة، والمجاهد عماد الشريف وغيرهم. لكن هذه الأسماء لها حضورها في نفسي، فالأخ بلال والمجاهد عبد الله البرغوثي، الذي يعيش حياة العزل منذ اعتقاله، هما ممن دوخوا الاحتلال، وأوجعوه بعملياتهم البطولية، وعماد صقر المتفاني في خدمة إخوانه، ولا أستغني عن ذكره من خلال هذه التجربة؛ لأنه وجميع إخوانه أحاطوني بالعناية والاحترام أكثر من أهل بيتي. وعماد الشريف الأديب الحيي، وابن مجموعة صالح التلاحمة (أبو مصعب) الجندي المجهول الذي لا يعرفه كثير من الناس، ويكفي أن الله يعرفه. ووالله لقد أوجع قلبي لحيائه وعظيم أدبه، ودخل سجون الاحتلال، وقد التقيته في سجن الخليل، ثمّ سجون السلطة في رام الله وأريحا، ومنذ أن كان طالباً في جامعة بيرزيت في أواخر الثمانينيات من القرن الماضي، وإلى أن استشهد والعطاء ديدنه، وكان يُقتر على نفسه من أجل دعوته. هذا أبو مصعب صالح، وهذا حسنين رمانة، وسيد الشيخ قاسم[30]، رحمهم الله، وهنيئاً لهم الشهادة، استشهدوا في رام الله في انتفاضة الأقصى.

منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر:

أما وقد واتتني الفرصة للحديث عن هذه الصفوة، فالمقام يتسع للحديث عن بعض الشهداء من أبناء هذه الدعوة. فالشهيد محمد عزيز قائد جبل الخليل، استشهد واستشهدت بندقيته معه بعد أن غطى انسحاب إخوانه. وعماد عقل الذي احتضنته

---

[28] **بلال يعقوب البرغوثي (1976–):** ولد في الكويت لعائلة تعود أصولها لقرية بيت ريما قضاء رام الله. عاد للوطن والتحق في جامعة بيرزيت. أحد نشطاء الكتلة الإسلامية في الجامعة. مع اندلاع انتفاضة الأقصى انضم لصفوف كتائب القسام على يد الشهيد أيمن حلاوة، وجند القسامي عبد الله البرغوثي. أسهم في الإعداد والتجهيز لعدد من العمليات، واعتقل لدى أجهزة السلطة الفلسطينية الأمنية، وفي 2002/4/2 حاصرت قوات الاحتلال الصهيوني مقر الأمن الوقائي الفلسطيني في بيتونيا ليسلم بلال وإخوانه الأسرى لقوات الاحتلال. حكم عليه بالسجن المؤبد 15 مرة و35 عاماً.

[29] **عماد الدين محمد صقر (1983–):** ولد في خانيونس لعائلة هجرت من بلدة حمامة سنة 1948، والتحق لاستكمال تعليمه في جامعة الأقصى. اعتقل من على حاجز أبو هولي في 2004/6/1، وحكم بالسجن 16 عاماً بعد اتهامه بالعضوية في كتائب القسام والمشاركة في عملياتها.

[30] **سيد الشيخ قاسم (1974–2003):** ولد في البيرة واعتقل مرتين في سجون الاحتلال. اعتقل سنة 1998 في سجون السلطة الفلسطينية لنشاطه في كتائب القسام وعضويته في المجموعات التي قادها الشهيد عادل عوض الله، وخرج من سجون السلطة بعد انطلاق انتفاضة الأقصى. أسهم في إعادة تأسيس كتائب القسام في منطقة رام الله وصار أبرز قادتها، وكان المسؤول المباشر عن الأسير عبد الله البرغوثي بعد اعتقال الأسير بلال البرغوثي. استشهد وأخوه صالح التلاحمة في اشتباك مسلح على أرض رام الله فجر 2003/12/1.

جبال الخليل، وبيت لحم ورام الله ونابلس، والذي أوجع قوات الاحتلال في غزة، حتى عرض رابين على والده أن يُبعده سالماً. وعندما كنت في التحقيق سنة 1998، قال لي ضابط تحقيق: الرجل عماد عقل لا غير. فهذا عدوك يشهد لرجولة هذا القائد. وعاصم عصيدة[31] من قرية تِل (نابلس)، يغطي انسحاب أخيه الشهيد سامي زيدان[32] ابن بلدته. وبعد استشهاد عاصم وقد لفحه حرُ الهجير، وأظمأه عَطَش الملاحقة والمطاردة، عثرت قدمه بزجاجة باردٌ ماؤها... والسؤال مِنْ أين أتته؟ الله أعلم، لكنه بعد عشرة أيام من استشهاده، يصل إليه أحد المزارعين من قرية عوريف، ويجد غزالةً تحرسه ولا تفارقه، طوال أيام استشهاده العشرة، وجسده كما هو، ورائحة دمه الزكي تضوع المكان بشذاه. وعلي الحضيري[33] يغطي انسحاب مهند الطاهر[34] وعلي علان. ومع علي الحضيري كريم مفارجة، الذي استشهد مع الشيخ الرائد يوسف السركجي؛ علي يغطي الانسحاب، ويقتل ضابط الوحدة، ويجرح اثنين من جنود العدو. وببركة صنيعه هذا، نفذ الشهيد عاصم عصيدة عمليتهُ الجريئة بالعبوة، التي صنعها الأَخَوان علي علان وكريم مفارجة، وقتلت عشرة من المستوطنين الصهاينة، في عملية

---

[31] **عاصم سميح عصيدة (...–2002):** ولد في بلدة تِل جنوب غرب مدينة نابلس، والتحق في كتائب القسام سنة 1999. طورد للاحتلال سنة 2002. شارك في عملية "عمانوئيل الثانية" والتي أدت إلى مقتل وجرح العشرات من الصهاينة يوم 2002/7/16. وفي اليوم التالي للعملية كمن لمجموعة من الجنود الصهاينة التي حاولت اللحاق بالمنفذين فاشتبك معهم تغطية لانسحاب أخيه سامي زيدان إلى أن استشهد يوم 2002/7/17.

[32] **سامي محمد زيدان (1980–2003):** ولد في بلدة تِل جنوب غرب مدينة نابلس، التحق في انتفاضة الأقصى بكتائب القسام ضمن المجموعات التي قادها الشهيد نصر عصيدة. اعتقلته السلطة الفلسطينية في سجونها وبقي إلى أن اجتاحت قوات الاحتلال الصهيوني نابلس. شارك في الدفاع عن نابلس، وشارك في عملية "عمانوئيل الثانية" والتي أدت إلى مقتل وجرح العشرات من الصهاينة يوم 2002/7/16، وغطى انسحابه الشهيد عاصم عصيدة الذي استشهد يوم 2002/7/17. استشهد في 2003/1/1 بعد تنفيذه عملية في وادي قانا دمر فيها دورية صهيونية واشتبك مع قوات الدعم الصهيونية حتى استشهد.

[33] **علي منصور الحضيري (1977–2002):** ولد في مدينة طولكرم لعائلة هجرت من مدينة يافا سنة 2002. اعتقل في سجون الاحتلال الصهيوني، والتحق في كلية الهندسة بجامعة النجاح بعد خروجه من السجن. انتظم في صفوف كتائب القسام إثر اندلاع انتفاضة الأقصى. استشهد شقيقه عامر بعملية اغتيال يوم 2001/8/5 لنشاطه القيادي في كتائب القسام. استشهد بعد معركة مع جنود صهاينة حاصروا منزل تواجد فيه والشهيدين مهند الطاهر وعلي علان، اللذين انسحبا بعد أن وفّر لهم علي التغطية، وكان ذلك في مدينة نابلس يوم 2002/5/3.

[34] **مهند حافظ الطاهر ([1974]– 2002):** ولد في مدينة نابلس والتحق في كلية الشريعة بجامعة النجاح. اعتقل في سجون السلطة الفلسطينية سنة 1998 لعضويته في خلية شهداء من أجل الأسرى. مع اندلاع انتفاضة الأقصى، خرج من السجن ليواصل مقاومته للاحتلال فأسهم في إعادة تأسيس كتائب القسام تحت قيادة الشهيد جمال منصور، وخطط وجهز عدداً من العمليات الاستشهادية. استشهد إثر اشتباك مسلح بعد محاصرته والشهيد عماد دروزة في مدينة نابلس يوم 2002/6/30.

عمانوئيل الثانية. وعاصم ريحان الشهيد، وشقيق الشهيد محمد ريحان، الذي تخلّق بأخلاق نبيه محمد ﷺ، عاصم يسيطر على الحافلة بركابها، ويقوم على إخلائها من الأطفال، ويقتل مَنْ في الحافلة من المستوطنين. الله أكبر، مَنْ مثل هؤلاء الرجال؟ وعبد الرحمن حماد، وكنا نلقبه بـ"الكرز"، وأشهد أنه كان صواماً قواماً، وفي النهار تعجب من "فعفطته، وهيزعته"، وتقول: هذا عبد الرحمن!! الصوام القوام!!

فيا لِرجالنا وهم يقتحمون الأهوال، ويتفننون في إيلام عدوهم، وفي صناعة الأحداث، واسمعوا إلى الشهيد محمد هزاع[35]، وهو يُلقي كلمة الخريجين: "نحن لا نردد أغنية الموت، وإنما نتلو أناشيد الحياة"، وبعدها يلحق بالركب ويستشهد. ومجموعة القائد جاسر البرغوثي[36]، هشام حجاز، وأحمد النجار، ومراد البرغوثي... ومعذرة للذين لم أذكر أسماءهم، وهم أحق أن يذكروا. هذه المجموعة نصبت كميناً لدورية من جنود الاحتلال، وقتلت خمسةً منهم في عملية عين يبرود، وكان من جرأتهم أنهم نزلوا إلى موقع العملية، وأجهزوا على الجنود، وغنموا أسلحتهم. وقلت حينها لإخواني في سجن نفحة: إنَّ هذا العمل من صنيع رجالنا؛ لأنه لا يجرؤ على مثل هذا إلا هم وأمثالهم، وتبنت العملية كتائب شهداء الأقصى، وذهب رجالنا إلى وليد العمري مراسل الجزيرة، وسلموه بياناً عن العملية، فرفض أن يعلنه من على قناة الجزيرة، ولولا التهديد وصور البنادق التي غنموها من جنود العدو، ما قبل إذاعة البيان.

ومكثت في نفحة لأكثر من سنةٍ ونصف، وكان الناطق باسم القسم، الأخ المجاهد سليم الجعبة، وقد حالفه التوفيق في قيادة القسم. والتقيت إخواني وأحبائي ممثل المعتقل عن حماس فهد الزقزوق، هذا الفتى الذي قام على خدمة إخوانه، في مرافق العمل، وعلى الخصوص مطبخ السجن، الذي كان قيّماً عليه... ثمّ عمل في مجلس شورى الحركة،

---

[35] **محمد هزاع الغول (1978–2002):** ولد في مخيم الفارعة. حاصل على بكالوريوس الشريعة من جامعة النجاح، وكان طالب دراسات عليا فيها، وناشط في الكتلة الإسلامية في الجامعة. يوم 2002/6/18 فجر نفسه في الحافة رقم 34 في القدس ليقتل العشرات من الصهاينة المحتلين، وأشرف على العملية الشهيد مهند الطاهر.

[36] **جاسر إسماعيل البرغوثي (1973–):** من مواليد قرية كوبر قضاء رام الله، متزوج وله ولدان. اعتقل لنشاطه في فعاليات الانتفاضة الأولى مطلع التسعينيات. أسهم في إعادة تأسيس العمل العسكري لحركة حماس في الانتفاضة الثانية، وقاد وشارك في عدد من العمليات التي استهدفت الجنود الصهاينة المنتشرين على الحواجز العسكرية في منطقة رام الله، وأبرزها عملية عين يبرود التي قتل فيها ستة جنود صهاينة. اعتقل في 2003/12/20، وحكم عليه بالسجن تسعة مؤبدات. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18، وأبعد إلى قطاع غزة.

وعضواً لمكتبها الإداري، وله من الذوق والأدب الكثير. والتقيت المجاهد والحبيب أبا نضال حسان، وأبا عمران الغول[37]، وولده محموداً، وهو والد الشهيد عمران، وشقيق القائد الشهيد عدنان الغول. والتقيت حبيب قلبي هارون ناصر الدين، وعصاماً ومنصوراً وأيمن أبو خليل أبو حمزة أسد الله، كما يحب أن ينادى عليه، وهو شاب ذكي قد حَصَّل الليسانس والماجستير، من خلال السجن، وهو يعد للدكتوراه. والتقيت الشيخ صالح العاروري من خلال "البوسطات"، وجميع إخواني في المجلس التشريعي، وعلى رأسهم الدكتور عزيز الدويك، والنائب الوزير عمر عبد الرازق[38]، والمهندس عبد الرحمن زيدان، وبارك الله في الجميع.

الرد من القدس:

لما نجح الحسم، وانتهى الفلتان الأمني، بعدما انضغط الناس كثيراً وعاشوا على أعصابهم، حتى إن إخواناً لنا من أسرى غزة قالوا: إلى متى هذه الحال؟ نُذبح في كل يوم، وتسيل منا الدماء، فأين القوة؟ وأين الرد؟ وأين الإعداد عند إخواننا؟ شبابنا يتعرضون للتصفية، والأجهزة الأمنية تعيث في الأرض فساداً، ولا ترى في هؤلاء الشبان إلا مَنْ يقف حائراً ينظر إلى أخيه، وهو يعلم أنه لا جواب... ونعوذ بالله من العجز.

لقد تزعزعت ثقة إخواننا، وعلى الخصوص أسرى غزة، في قدرة إخواننا على تحجيم هذه الظاهرة، أو القضاء عليها، وتساءلوا: أين القسام مما يجري؟ وإلى متى دمنا يُستباح؟ وبلغ الأمر بأفراد أنهم كادوا يقنطون من قدرة حماس، لِما وصلوا إليه من تعبٍ في أعصابهم، وما هدأت خواطرهم ولا اطمأنت نفوسهم إلا بعد الحسم العسكري.

---

[37] **عمر محمود الغول (1962–):** ولد في رفح لعائلة هجرت من قرية هربيا سنة 1948، متزوج وله ستة من الأبناء. بدأ عمله الجهادي ضدّ الاحتلال مع شقيقه الشهيد عدنان الغول. اعتقل سنة 1987 وحكم بالسجن المؤبد. استشهد ولده عمران في حزيران/ يونيو 2003، واستشهد أخوه القائد الكبير في كتائب القسام المهندس عدنان الغول في تشرين الأول/ أكتوبر 2004. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18.

[38] **عمر مطر عبد الرازق (1958–):** ولد في سلفيت حاصل على الدكتوراه من جامعة آيوا بالويلات المتحدة في الاقتصاد الرياضي، وحاصل على عدد من الجوائز العلمية. أستاذ في قسم الاقتصاد في جامعة النجاح الوطنية. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني. انتخب على قائمة التغيير والإصلاح في انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني سنة 2006. اختير وزيراً للمالية في الحكومة الفلسطينية العاشرة التي شكلتها حركة حماس، واعتقل لذلك في سجون الاحتلال.

بعد هذه المرحلة، وقد مضى على الحسم ثمانية أشهر، قامت قوات الاحتلال بعملية اجتياح لبلدتي بيت حانون وجباليا، شمال قطاع غزة. وحاولت هذه القوات، الوصول إلى شارع صلاح الدين، الذي يصل شمال القطاع بجنوبه، لكن المقاومة الباسلة، تصدت لقوات الاحتلال، وأوقفت زحفها، وأوقعت فيها خسائر على صعيد الآليات والأفراد. وحوصر المقاتلون في مسجد بيت حانون، وخرجت النساء لحماية أبنائهن من المجاهدين، خرجن زرافات، وواصلن الطريق إلى المسجد، وكتب الله لهن أجر النصرة والجهاد، ونجح المقاتلون في الخروج من الطوق. وتقدمت الحاجة فاطمة النجار، بنفسها في عملية استشهادية، واقتحمت مجموعة من قوات الاحتلال، وفجرت نفسها بينهم، وأوقعت فيهم قتلى، فتميز العدو غيظاً، واستشرى في حربه بما لديه من دبابات ومدافع، وبلغ القصف أشده، والعدو مُمعن في حربه. وما توقف إلا بعد عملية المجاهد القسامي علاء أبو ادهيم ابن القدس، وابن جبلها الذي كبّر من على تلاله، الفاروق عمر بن الخطاب لما رأى القدس.

ففي تاريخ 2008/3/6 نفذ المجاهد علاء عمليته العسكرية، في مدرسة تقوم على تخريج العقائديين من المستوطنين، كمقدمة للإعداد العسكري، وهي من أهم روافد الاستيطان... فقتل عدداً من المنتسبين إليها وجرح آخرين، وانتهت العملية باستشهاده.

إن هذه العملية أسهمت في إيقاف الحرب، ولولاها ما انتهت سريعاً؛ لأن نذر الانتفاضة الثالثة بدأت تلوح في الأفق؛ لأن الوضع في الضفة الغربية —بالرغم من الأداء المخجل— للأجهزة الأمنية التابعة للسلطة الفلسطينية، والتي لاحقت المجاهدين ومنعت التظاهرات بالقوة، حتى لا تنتصر لغزة، والعالم من حولنا، بينما انتصرت الشعوب كلها لغزة، إلا الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية الذي حرمته السلطة من ذلك. هذا الوضع كاد ينفجر، وأن يأتي الطوفان بانتفاضة ثالثة. وأن يخرج الوضع عن السيطرة، وهذا ما قدرته الأجهزة الأمنية للاحتلال.

أما الشهيد علاء، فهو من عائلة متدينة وملتزمة، ووالده مهندس معماري وقريب، وَقد عرفته منذ سنة 1985، يوم أن تحررنا من السجون في عملية التبادل، وتوطدت العلاقات بيننا، وتبرع مشكوراً في تخطيط بيت لي، جزاه الله خيراً.

وهذه أبيات من الشعر، نظمتها تحت عنوان سراة الحمى، كان للشهيد علاء حظٌ فيها:

هنـا القـدس أجنـادهـا للتّحـدي ... ولحـن الفدا أصلـه مـن... رباهـا
فيـا موقـد الجمـر أيقـظ... لهيباً ... مـن الثـأر حتـى يطيب... هواهـا
علاءٌ... علا بـالشـهـادة... دربـاً ... فيـا جنـة الخلـد حيـي... فتـاهـا
أتـى بـالـذي هـزّ ركـن... العـدا ... وشـفى صدوراً وروى... ظماها
أتـى بالذي زلزل الأمن... قسـراً ... وشلّ مِنْ زحوف الطغاة... قواها
أتـاهم من الغيب من حيث نادى ... بـلال ليـوم الفتـوح... نـداهـا
من القـدس حيث الإباءُ... تبـاهى ... أتـاهم وخـابـت يهـود... منـاهـا
وأسمع من في الورى... حسرتاه ... فـوا نشـوة الضـارعين... دعـاهـا
هنـا القـدس أنشـودة للحمـى ... دماء الحماس... نجيـع... فـداهـا
هنـا الخُمس جـاءت علـى قـدر ... وحمُس العراق رديف... قضـاها
هنـا الشـرق كـالنخـل لا ينثنـي ... ومن حلفُه الغرب خاب... رجـاها
هنـا الدفء كالشـمس في بعثـهـا ... وليـس الغـروب يدانـي... علاهـا

وفاة الوالدة:

ومع المساء من يوم السبت 2009/1/25، وعن طريق الهاتف المحمول، وهو سبب معظم مشكلات السجن، وإذا بالأخ سليم الجعبة يبلغني بوفاة الوالدة رحمها الله، فحمدت الله واسترجعت، وفاضت عيناي عليها بالدموع. وحتى هذه اللحظة، إن كانت لي عجلة في فراق هذه الدنيا، فالله أولاً، والرسول ﷺ ثانياً، ثمّ أمي، فوالله إني أحب أن ألحق بها لأمتع عينيّ برؤيتها، لأحضنها وأجلس بين يديها.

وأتوني الهاتف المحمول، وتحدثت إلى إخواني وأخواتي، وتبادلنا البكاء من خلال الهاتف المحمول. والحمد لله ماتت وهي تقول: "اللهم لا تحوجني لأحدٍ سواك". شعرت، رحمها الله، بالألم، فذهب بها إخواني وأختي وزوجتي إلى المستشفى، وأجريت لها فحوصات أولية، فاضجعت يميناً على سريرها، وقالت لي أختي: كان من الصعب أن تضطجع يميناً لسمنتها. لكن الأمر هذه المرة تمّ بسهولة، وتوسّدت يدها اليمنى، وبلا ضجيج، ودون أن يشعر أحد نطقت بالشهادتين، كأنَّ شيئاً لم يكن. رحمها الله، وأسكنها فسيح جناته، اللهم أسكنها الفردوس الأعلى من الجنة. اللهم آمين. وحدثوني

عن جنازتها فقالوا: ما رأينا أسرع منها إلى مثواها الأخير، وما شعرنا بثقل تابوتها، وسمعت من الناس أنه لم تحظَ جنازة من قبل، بالحضور في قريتنا كما حظيت جنازتها، رحمها الله.

ومن أقوالها: مشيت دروبي وأهلي ما دروا بيّا... مشيت دروبي وما دروا بغير عجاج الدرب على رجليّا.

وكانت تدعو الله: "اللهم لا تمتني إلا وعجاج الطريق على رِجْليَّ"؛ وكان لها ذلك.

وكانت تقول:

لا تعيِّرنِّي يا بنات عمي كِتْبَةٌ عليَّ وأنا في بطين أمي

لا تعيرني يا بنات الناس كِتْبَةٌ عليَّ مِنَ القدم لِلراس

وكانت تقول:

البنت التي ما هي مجللة بجلالها اللعنة على أبوها وعلى أبو خيالها

وكان من دعائها لي: "روح يا محمد هيجر، الله يعَلِّي درجاتك".

اختطاف شاليط والحرب على غزة:

مضت الأيام ثقيلةً على الأسرى، وقد اجتمعت عليهم هموم الحرب على غزة، وهموم صفقة التبادل، لكن الحرب أخذت حقّ الأولوية، وسنعرج عليها، بعد هذه اللفتة عن اختطاف شاليط، وعن تداعيات هذا الاختطاف.

مضت الأيام ثقيلة علينا، وعلى شعبنا، يومٌ يتلوه يوم والأمل يتجدد، والانتظار صعب، وَعَصِيّ على الانكسار. وصارت الأيام شهوراً، والشهور أعواماً، والجندي المختطَف مِنْ أرض المعركة، ينتظر العودة إلى بيته، كما ينتظر أحد عشر ألفاً من الأسرى الفلسطينيين عودتهم التي طال أمدها.

خمسة أعوام، والأعصاب مشدودة، بعد اختطاف الجندي شاليط، الذي تعاطف معه العالم وانشغل بأمره، ويريد له عودة سالمة بلا ثمن. فالكل ينتظر لحظة الفكاك، ودولة الاحتلال في غير واردها... وعزيزٌ عليها أن تدفع الثمن... وتبكي أسيرها الغالي عليها في ظاهر الأمر، وتتمنى غيابه كحال رون أراد Ron Arad حتى لا تدفع الثمن.

وقد استنفدت كل السبل من أجل الوصول إليه، وفُتحت قنوات مع الجن، وتبرع لها دحلان، والنظام المصري لعلهم يصلون إليه، ولكن نسأل الله أن يردهم خائبين. ودولة الاحتلال مستعدة لأن تضحي به، لو علمت مكانه، كما ضحت بجنديها الأسير، في الحرب على غزة بالقتل لا بالأسر. كل ذلك حتى لا تُجبَر على تحرير الأسرى من سجونها.

جنديُّها له شأن، أما آلاف الأسرى الذين طال غيابهم، ويقبعون في سجون الاحتلال، فلا شأن لهم عند الظَلمة، بل هم من شجرة مقطوعة عند الاحتلال، وعند العالم الظالم. وخبر عن الصفقة، يرفع من معنويات الأسرى إلى عنان السماء، وآخر يعود بعقارب المعنويات إلى الوراء 180 درجة. وما بين حين وحين يتجدد الأمل، وفجأة يتبدد... فإذا هو بعيد، وإذا بالأحلام تتهاوى والآمال تتراجع متقهقرة، والحرمان تتفاقم همومه وتتنادى أوجاعه. والحرية قريبة... قريبة... وبعيدة... وبعيدة. ومن الأسرى مَنْ فقد الأمل؛ لأن معايير الإفراج، حسب الإخراج الصهيوني لا تنطبق عليه، لموقف عِزّة في التحقيق، كالمجاهد تيسير سليمان حمدان، كما قال لي ضابط التحقيق في المسكوبية: تيسير لن يخرج من السجن، ولا حتى في صفقة تبادل. ولماذا؟ قال: تيسير وهو يدلي بإفادته، وأنا أكتب ما يقول، قال: ثمّ قمنا بقتل الكلب. فيقول له المحقق: يا تيسير، قل: قمنا بقتل الجندي، ولكنه يصر على أنه قتل كلباً. فقال لي المحقق: نتيجة لهذا، أوصت لجنة من الشاباك، بعدم الإفراج عنه ضمن كل الظروف.

وكذلك للأسباب التي ذكرت، بأن أيدي بعض الأسرى "ملطخة" بدماء الصهاينة. والسبيل الوحيدة للخلاص من هذه الحالة هي الصبر على تبادل الأسرى حتى يذعن العدو. ولا مجال في هذا الملف لحسن النوايا عن طريق المفاوضات. فالتجربة علمتنا أن دولة الاحتلال لا تستجيب إلا بليِّ ذراعها وكسر عظمها.

وتحت مصطلح المعايير الظالمة، فلا بأس أن تقتل منا دولة الاحتلال، فهذا دفاع عن النفس، ودمنا مستباح. والعالم الظالم جاهز أن يسوِّغ لها عدوانها، أما الثأر والانتقام لشهدائنا... فوصمة "الإرهاب" جاهزة. وأسر جندي يحتل أرضنا جريمة، وتقوم الدنيا ولا تقعد!! والعالم كل العالم، وحتى المنافقون من الأعراب، تبنوا هذا الجندي، وكثر آباؤه. وتبرعت مخابرات النظام المصري، للتحقيق مع المجاهدين من غزة، للوصول إلى هذا الجندي. والمطلوب من التنظيمات أن تطلق سراحه فوراً وبلا ثمن. واهتمامات

العالم، وزيارات الوفود من زعاماته لأسرة شاليط، يجدون في ذلك سلوى التضامن، ويتشرفون بذلك —قاتلهم الله— ويزيد ذلك في عربدة الاحتلال. أما آلاف الأسرى من الفلسطينيين فلا بواكي لهم، ولا يوجد مَنْ يتبناهم. ومن أجل هذا الجندي شنّت دولة الاحتلال حرباً ضروساً على غزة... انتقاماً له، كما حصل في الجنوب اللبناني، بعد عملية أسر جنديين من جيشها، على يد حزب الله. فقتلت ودمرت وأزهقت أرواحاً، وهددت بالمزيد إن لم يطلق سراح الجندي... فالحرب... ثمّ الحرب. ومزيداً من الضغوط، كتجربة سابقة لمنظمة التحرير في الاجتياح سنة 1982، أعادت طياراً إسرائيلياً وقع في أسرها، تحت ضغط الحرب إلى دولة الاحتلال.

ومع هذا العدوان، يخرج علينا من أبناء جلدتنا ووطننا، من يسوّغ للاحتلال عدوانه فيقول: دفعنا آلاف القتلى من تحت رأس شاليط، ونحن نقول: يا هذا، لو كان أبوك في السجن، أو أخوك أو ولدك أو ابنتك... ما خرجت علينا بصوتٍ عالٍ. ونتوجه إليك بالسؤال: مَنْ لهؤلاء الأسرى، وقد عجزت المفاوضات وحسن النوايا عن أن تخرجهم من قبورهم؟ أم أن قضية الأسرى خاضعة لسوق المزايدات؟ ومن ورائها تجارة رابحة؟ فأوسلو، وكل من شارك فيه واحتضنه، لم يحرروا أسيراً مضى على اعتقاله 34 سنة حتى الآن. والأخ أحمد أبو السكر، لولا أن السلطة قايضته بالجاسوس عدنان ياسين، ما خرج من السجن، فكيف السبيل لتحرير أسرى الحرية؟! أسرى القضية والشعب الفلسطيني؟ ولولاهم ما تبوأتم مواقعكم في السلطة؟ أو ربما تريدونهم أن يخرجوا بالأكفان السوداء، كما خرج الشهداء الحاج محمد حسن أبو هدوان، وجمعة إسماعيل موسى، ويوسف العرعير، فهذه هي المعضلة. ويا حبذا لو تساعدوننا في حلها. والسؤال منذ قيام دولة الاحتلال، هل توقف عدوانها؟ وكم قتلوا من أطفال هذا الشعب؟ ومن نسائه ومن شيوخه؟ وكم هدموا من القرى والبيوت؟ أتظنون أن إجرامهم يحتاج إلى مسوّغات؟ أم أنهم أكبر من اتفاقيات جنيف Geneva Conventions، وهذه الاتفاقيات لا تخضع لإرهاب دولتهم؟ ولا يخرجون عليك إلا بوقاحة، وإذا ما نزلت بهم نازلة من نوازل المقاومة، فلا ترى على نواصيهم إلا الذلة، وتراهم يستعطفون الرأي العام العالمي لنصرتهم، والوقوف في وجه حماس. ودوماً يتباكون افتراءً على الله، وعنوانهم في البكاء اسمٌ لكتاب قرأته: "دموعٌ في عيون وقحة".

بعد هزيمة الاحتلال في الجنوب اللبناني سنة 2006 على يد حزب الله والمقاومة، تعرى جيشُه في الحرب، التي أرادتها أمريكا مشروعاً جديداً لشرق أوسط جديد. لو قدّر لهم كسب الحرب وإبادة حزب الله، فمشروع الشرق الأوسط الجديد، عملت عليه رايس، وخططت له أمريكا و"إسرائيل" وعرَّبت له وزيرة الخارجية الأمريكية رايس، لكن باؤوا جميعاً بالفشل، أمريكا والاحتلال وعرب التسوية السلمية. فقد انتصر حزب الله في هذه الحرب، وعاد جيش الاحتلال مهزوماً مدحوراً، كسيراً يجرّ مِنْ ورائه ذيول الخيبة. وعلى هذا، فلا بدّ من ردّ الاعتبار لهذا الجيش الخائب، في منطقة أخرى، وتبدو أنها لقمة سائغة في الجنوب... لكن ليس الجنوب اللبناني، إنما الحرب القادمة على الخاصرة اللصيقة، والتي تبدو ضعيفة، مع ما يملك حزب الله من عتاد. الحرب على غزة... بعد أن قامت المؤسسة العسكرية، على إعادة تأهيل جيشها المهزوم من جديد. وساحة عمليات بتدريبات متواصلة، لاجتياح القطاع بكامله، حتى تقضي على المقاومة بشكل عام، وحماس بشكل خاص. ثمّ هي فرصة للجيش المهزوم أن يرد اعتباره، ويعيد هيبته التي تمرغت في التراب، على يد حزب الله في الجنوب اللبناني.

بعد هذه الهزيمة، بأقل من سنة كان الحسم، وكانت دولة الاحتلال مشغولة في علاج آثار الهزيمة، ولو كانت بعافيتها، ما صبرت على هذا الحسم، ولتدخلت سريعاً لتفوت على حماس والحكومة هناك فرصة التفرد في قيادة القطاع. وحتى لا يأخذ الحسم شرعيته وتجذره في الواقع، وحتى لا يتشكل جيلٌ جديدٌ نظيفٌ من التلوث، وبعيدٌ لأول مرة عن عيون المخابرات الاحتلالية. وهذا ما أربكها فيما بعد، فالله سبحانه وتعالى شغلها عن غزة بهزيمتها في لبنان. وإلا كيف تصبر دولة الاحتلال على حماس أن تحكم القطاع؟ وأن تتعافى ساحة غزة من عملائها، ولو نسبياً؟ وأن تخسر أهم ركائزها وخدمها، في جهازي الأمن الوقائي والمخابرات؟

وما إن فرغت دولة الاحتلال، من صياغة جديدة لجيشها المهزوم، وإعادة تأهيله، وقد تنصلت من استحقاق التهدئة التي قادتها مصر، وهي تهدئة قامت على سياسة "القطَّارة"، فعانى القطاع من هذه السياسة. فالبترول بـ"القطارة"، والإسمنت، والحديد، والمواد الغذائية، والأدوية، كان دخولها إلى غزة بـ"القطَّارة". حتى إذا اندلعت الحرب، وخرجت المدافع عن صمتها، عاش القطاع أزمة ضروريات الحياة، وذلك حتى يخرج الشعب على حماس، وحتى يفتّ من عزيمة المقاومة، وحتى تصبح عاملاً من عوامل الهزيمة، ومدعاة لسقوط الحكومة المقاومة في غزة.

كانت نُذر الحرب تلوح في الأفق، على الرغم من التطمينات من النظام المصري الهالك، ولأن سياسة "القطَّارة" أعطت إشارة واضحة أن الحرب قادمة على الأبواب لا محالة. وفي يوم الحرب نفسه، وقبل وقوعها، سرّح قائد الشرطة الشهيد توفيق جبر كثيراً من عناصره، وهو يُخَرِّجُ فوجاً من ضباط الشرطة، لشعوره بأن الضربة قادمة. وقبل يوم من هذه الحرب كانت وزيرة خارجية الاحتلال تسيبي ليفني Tzipi Livni تعلن قرار الحرب على غزة من القاهرة، وأحمد أبو الغيط واقف إلى جانبها. وبالرغم من التطمينات من النظام المصري الهالك لحكومة السيد إسماعيل هنيّة أن الحرب بعيدةٌ أيامها، لكنها كانت تطمينات كاذبة، وعلى ألسنة كاذبة تتمنى أن تنام وتصحو، ولا تجد أثراً لحماس.

يوم الجمعة عصراً، تُعلن ليفني قرار الحرب من القاهرة، ويوم السبت، وفي تمام الساعة الحادية عشرة والنصف، وإذا بالتطمينات تسفر عن 200 طلعة جوية، في لحظة واحدة، استهدفت أرض القطاع من شماله لجنوبه، وما أبقى على مؤسسات الحكومة، ولا مراكز الشرطة، ولا الجامعة الإسلامية... وحتى المساجد والمقابر والمدارس التابعة لوكالة الأونروا، لم تسلم من هذا القصف. بل هناك قصف وطلعات زادت عما في بنك الأهداف من أهداف. كانت الغارات متتالية، والذي ينظر إلى غزة، يراها كُتلاً من اللهب، وأعمدة من الدخان تناطح عنان السماء، فالقتل في كل مكان والجرحى والدمار غير المسبوق، وعائلات واجهت الموت، لم يخرج منها مُخبّر. وما نزل على غزة من القذائف والمتفجرات، أكثر مما نزل على لندن في الحرب العالمية الثانية. وأصبحت غزة بما فيها من سكان حقلاً للتجارب.

ويوم سبتهم، الذي احتالوا فيه على الحيتان، كنا في ساحة السجن عندما بدأت الحرب، وكنا على أخبار الأمس، وما إن رجعنا إلى الغرف، وإذا بالأخبار تغطي العدوان مباشرة من الجزيرة، والكل يتابع عن طريق الراديو وعن طريق التلفزيون. وبَلغت بنا رغبة المتابعة... أنّ سماعة الراديو في أُذن وسماعة التلفزيون في أُذن أخرى... ولا نقوم إلا للصلاة المكتوبة، أو لتناول الطعام على وجه السرعة.

لقد صبر الناس على الصدمة الأولى، وشيئاً فشيئاً تأقلمنا مع ظروف الحرب، والحرب لا يصبر لها وعليها إلا المكيث. وتابعناها ليلاً ونهاراً، وهيهات لعيوننا أن تنام!!؟ فغزة ما سكتت عنها المدافع يوماً، ونزيفها "سال بالدم أبطح"، ومشروعنا عليه حرب مسعورة، وجاؤونا من فوقنا ومن أسفل منا، وما بنيناه في أربعين سنة يتعرض

للإبادة، فاللَّهم لا تشمت بنا عدواً. فكثيرٌ من ينتظر الشماتة بنا، والدعاء هو سلاحنا، ولا نملك سواه. فالقنوت مع جميع الصلوات، ومع الصيام والقيام لأهل غزة... للمجاهدين والمقاومين، والصابرين المرابطين... ونلح بالدعاء، وما فاتني في كل صلاة أن أدعوَ على رئيس النظام المصري السابق محمد حسني مبارك، لا بارك الله فيه، ومن دعائي عليه: "اللهم عليك بمبارك ونظامه، اللهم عليك بمبارك وزمرته، اللهم افجعه ببنيه، اللهم افجعه بأهله وذويه".

لقد شارك النظام المصري الهالك في هذه الحرب، وكان ظنه أن حماس قريبة الجذور، وأن اقتلاعها هيِّن. ولو أرادت دولة الاحتلال أن تصل مرة أخرى إلى قناة السويس واحتلال سيناء بكاملها لاستطاعت في ظلّ هذا النظام. ولكن غزة صبرت، وانتصرت، والذين راهنوا على هزيمتها باؤوا بالإثم والفشل، ولا ترى على نواصيهم إلا الذل والانكسار. لقد كانت عصية على الاحتلال، وحتى على الاختراق. وبدلاً من أن يتضامن النظام المصري مع مصيبتها، زاد في حصارها؛ فأغلق معبر رفح أمام حركة الناس. وحتى الحجيج لم يسلموا من تداعيات هذه الحرب، فحجاج غزة مُنعوا من حضور الموسم قبل الحرب.

ومن يوم 2008/12/27 إلى 2009/1/18 والحرب على غزة تدور رحاها، من البر والبحر والجو، وبالقنابل المحرمة دولياً، والفوسفور الأبيض الذي يهلك الحرث والنسل. وصبرت غزة، وصبر أهلها، واستبسلت المقاومة، وسخرت من هذا العدو المغرور. وقدمت الشهداء، وكثرت الجراحات، وأُبيدت أحياء كاملة. وضرب أطفالنا أروع الأمثلة في الوعي والنضج، ومن استمع إلى الطفل أحمد وهو يلقي ببيانه، رأى فيه أنه أكبر من أيّ زعيم عربي، وأفصح منهم جميعاً... وكذلك الطفلة من عائلة السموني... التي رحل جميع أفراد أسرتها شهداء، رأيناها أبلغ في مصيبتها من العجائز... وجميلة عافاها الله.. كانوا جميعاً أكبر من كل جنرالات العالم.

وفي هذه الحرب، استشهد القادة العظام... استشهد العالم الرباني والقائد الميداني الدكتور نزار ريان، وفي صحبته أهل بيته. واستشهد القائد الهمام (أبو مصعب) الأستاذ سعيد صيام، وهو في ميدان المعركة يقوم بواجبه، بل وفي الخندق المتقدم، فشتان ما بين سعيد صيام، وما بين الجالسين على مقاعد الهزيمة.

وانتهت الحرب، ولم تنته تداعياتها، فبدلاً من فكّ الحصار عن غزة، وقد اتخذت الجامعة العربية قراراً بهذا... زاد الحصار على غزة. والدولة العربية التي أسهمت "بالباع والذراع" في نصرة غزة، ودعمها سياسياً ومالياً هي دولة قطر، ولا ننسى الفضل لجمهورية السودان ولبنان وسورية، والكويت، والإمارات، والأردن والجزائر واليمن وإيران.

لقد انتهت الحرب، وما حقق جيش الاحتلال من بنك أهدافه الحقيقية شيئاً. انتهت الحرب وما لحق بهذا الجيش إلا الخزي والعار، وتمرغت هيبته بوحل الهزيمة مرة أخرى، على يد مقاومةٍ إمكانياتها بدائية، ولا تذكر مع إمكانيات دولة الاحتلال.

وفي إحدى الجمع خطبت في إخواني، فقلت لهم عن الضربة الأولى، التي استشهد فيها قائد الشرطة والأمن، اللواء المجاهد توفيق جبر، الذي شرفه الله بهذا الإنجاز العظيم. والذي ادخره الله لهذا اليوم، وإسماعيل الجعبري الذي استشهد في اليوم نفسه، وهو المسؤول عن أمن الشخصيات، قلت: في معركة اليرموك يروى أنه كان عدد المجاهدين 36 ألفاً، وكانت الروم تعُدُّ ما يزيد على 250 ألف مقاتل، وانتصر المسلمون بعد أن استشهد منهم ما يقرب من ستة آلاف مجاهد، واندحرت الروم إلى غير رجعة، ولما رجع المجاهدون إلى فلسطين، حلّ بهم الطاعون في عمواس، فاستشهد من الثلاثين ألفاً الذين رجعوا من اليرموك عشرون ألف مجاهد. وكأن الله سبحانه، لا يريد باستشهادهم في أرض المعركة أن يطمع عدوهم في قتلهم. وكذلك الرجال الذين وفرهم الله عام الحسم، بدلاً من أن يكونوا وقوداً للحرب الأهلية، ادخرهم الله لهذا اليوم، واصطفاهم من هذا الميدان.

وتأتي الحرب بعدما تخلّص القطاع مِنَ المثبطين والمتآمرين، وإن بقيت منهم بقية استمرأت الخيانة، وتعاونت مع العدو في هذه الحرب. ولا غرابة، فقد سمعت أحد الأسرى يقول في غرفة الزيارة، لزائر له: أنه مستعد أن يذهب على ظهر دبابة إسرائيلية لتحرير غزة من حماس. وتأتي الحرب، وقد تمكنت كتائب القسام من السيطرة على مفاصل البلد، وأخذت بإمكانياتها من الأسباب ما تذود به عن حياض الوطن، وأن تتحمل مسؤولية الدفاع عن هذه الأمة، وعن الأمن القومي المصري. وبالمجهود المبارك، حاصروا الجواسيس، وقد لبسوا لباس جنود العدو... ودفع بهم العدو دروعاً له، فقتلوا وماتوا على الخيانة. ومنهم من استغل الحرب، لزعزعة الأمن الداخلي، فأذاقهم الله من القتل ما يستحقون.

أما هذا العدو الذي اهترأت أعصابه، وخنق وسائل الإعلام حتى الصهيونية منها، كي لا يُفضح جيشه، ولا تُفضح ممارساتُه، بلغ الجبن والخور بجنوده أن يتحفظوا (يلبسوا الحفاظات)... كما يتحفظ الأطفال الصغار، وألا يبرحوا دباباتهم! ﴿وكفى الله المؤمنين القتال، وَكَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾[39].

مفاوضات في "النقب":

بعد أن فشل أولمرت، رئيس وزراء دولة الاحتلال، في عقد صفقة تبادل الأسرى مقابل الجندي شاليط، توجه إلينا الشاباك، يطلب منا الوساطة في هذا الأمر، ففي 2009/3/15 جاءني ضابط استعلامات السجن بعد عدد المساء، وقال: غداً أنت راحل إلى "النقب"، وكان ذلك.

في الصباح التقيت الأخوين الحبيبين محمد جمال النتشة وعبد الخالق النتشة، واستغربنا من هذا اللقاء، وقد جاؤوا بأبي همام من العزل، وبعد أن قيّدونا سارت بنا "البوسطة" إلى سجن ريمون، لنكون في صحبة الشيخ الحبيب حسن يوسف، والذي أطلق سراحه لاحقاً بتاريخ 2011/8/3. ومن هناك انطلقت بنا "البوسطة" إلى سجن النقب، وبعد التفتيش، كان في استقبالنا الشيخ صالح العاروري، ولفيف من الإخوة الكرام، فيهم جميع أعضاء المجلس التشريعي من التغيير والإصلاح، وجموع الأسرى من جميع الفصائل.

لأول مرة أدخل "النقب"، وكانت فرصة أن ألتقي هذه الجموع من أبناء حماس. فكانت لي زيارات على جميع الأقسام، وكانت الملاحظة المثيرة... مع أني على علم بحجم المعتقلين داخل السجون، لكن المعاين ليس كالسامع، فوجدت جُلَّ جسم حماس في الضفة الغربية موجود في سجن النقب، مع العلم أن جميع السجون، فيها حضور قوي لحماس، إن لم يكن النصف فدون ذلك بقليل. لقد وجدت الرئتين اللتين تتنفس من خلالهما الحركة في سجن النقب، وقلت إن الضفة الغربية سجينة في "النقب". إنهم خيرة رجال هذا الشعب، وعناوينه ورموزه. وإن ظلم الاحتلال لهذه الشريحة تحت مظلة السجن الإداري، ورأيت، وسمعت أن كل هذا الظلم، لن ينال من عزيمة هؤلاء الرجال، ولن يبدد ثقة الشعب الذي ينتمون إليه بهم. فهم فئةٌ لكل مَنْ يفيء إليها، وهم أهل الصبر والثبات.

[39] **القرآن الكريم**، سورة الأحزاب، آية 25.

وعلى صعيد الوساطة، جاء رجلان من الشاباك إلى السجن، فاجتمعا بنا وأعطونا تصورهم عن إمكانية نجاح الصفقة. وطلبوا منا أن نفتح الخطوط مع كل مَنْ يعينه الأمر، مع الإخوة في الخارج ومع غزة، لكن قبل ذلك تشاورنا جميعاً على صعيد قيادة الحركة، عن السقف المقبول عند إخواننا لهذه الصفقة، واشترطنا على الشاباك أن يأتينا بالأخوين توفيق أبو نعيم ويحيى السنوار. وفعلاً حضرا، واجتمعنا بهما، وكل واحد منا أبدى رأيه بصراحة، وإن كان هناك تفاوت في الآراء، لكن الجميع حرصوا على أن تنجح الصفقة، وألا يظلم فيها أحد.

في النهاية نفض أولمرت يده من الصفقة، وعلى الرغم من أنه خاض حربين أيام حكمه، وهو من اتخذ قرار الحرب في الجولتين؛ فإنّه عجز عن أن يتخذ قراراً بشأن صفقة التبادل. خاض الحربين من أجل الجنديين، ثمّ تخلى عنهما، لأنه لا يريد أن يدفع الثمن.

بعد أن انتهى الأسبوع وفشلت الجهود رجعت إلى "نفحة"، بالرغم من توسط الأسرى لدى إدارة السجن لكي أبقى هناك، لكن المانع هو تحفظ الشاباك على وجودي في "النقب"، كما أعلمني الشيخ صالح.

سجن النقب في بطنه وأحشائه آلاف الأسرى من جميع الفصائل، ويتميز في معظم أقسامه، بأنه مفتوح على الساحة ليلاً ونهاراً، وأجهزة الهاتف المحمولة كثيرة... وكثيرةً جداً. أما أمير هذه القلعة فهو المجاهد عايد دودين، شقيق الأخ موسى دودين، وبيتهما بيت كرم وجهاد.

عند وصولي إلى "نفحة" ثانية، استبشر الناس، ويريدون المزيد من أخبار الصفقة، وإلى أين وصلت. والجواب أنه ليس في جعبتنا شيءٌ جديد، والأمور بيد الله، والحقيقة أنها حالٌ صعبةٌ على الجميع، وربما أن للظلم بصمات باقية عند بعض الأسرى، قد تكون هي الحائل دون إتمام الصفقة. وكنت أقول من خلال خطبة الجمعة إنّه يوجد ظلم، لا بدّ للمظلومين أن يتحرروا منه.

انتظار الفرج:

يقال إن انتظار الفرج عبادة. فبعد أن وضعت الحرب أوزراها، وأخذت غزة تلتقط أنفاسها، وأخذ الأسرى يتابعون هذه الحرب، ومنهم مِنْ تنظيم فتح مَنْ وصل به التشفي، وتمنى على الدبابات الإسرائيلية أن تقضي على حماس، ومنهم مَنْ تمنى

أن تصل "إسرائيل" إلى الجندي الأسير شاليط، حتى لا يكون إنجازاً لحماس؛ حتى ولو بقي مئات الأسرى من تنظيم فتح، إلى عشرات السنين الأخرى يقبعون في ظلمات السجن.

لكن كل هذه التمنيات ماتت في صدور أصحابها، وأخذت غزة تستعيد عافيتها، وقد خرجت من هذه الحرب أقوى إيمانياً، وعلى كل الصعد مما كانت عليه. وأخذت تنفض عنها غبار المعارك، وتعالج الأضرار التي خلفتها هذه الحرب، على الصعيد النفسي لمليون ونصف المليون مواطن، والإنساني والاجتماعي والبيئي والصحي كذلك... بين يدي حصار لا يزال قائماً من العرب، قبل "إسرائيل" والغرب؛ لأن العدوان على غزة عرَّى حالة الاهتراء والتردي، التي وصلت إليها هذه الأنظمة؛ وخصوصاً النظام المصري، الذي سخط عليه شعب مصر، قبل غيره من الشعوب.

ولسنا بمعزل عن كل هذه الهموم، وقد تنادوا من كل صوب لنصرة غزة، وعقدوا المؤتمرات لإعمار ما دمرته الحرب، ولتتعافى غزة من هذا الدمار، ومضى على الحرب ما يقرب من سنتين، والحال على ما هي عليه. والمال الذي يأتي إلى غزة يذهب إلى رام الله أولاً، حتى تأخذ نصيبها على حساب البائسين من الفقراء. تنادى المخلصون من كل مكان أنه آن لغزة أن تنتعش، وقد ثبت للطغم الحاكمة أن غزة أكبر من الهزيمة، وأكبر من الحصار... وعصية على الانكسار، وهي أكبر منهم جميعاً، الصالح والطالح. وعلى أبناء الأمة أن يراهنوا على حماس، وأن يثقوا بأن مشروع المقاومة هو خيار الأقوياء، وأن مشاريع التسوية هي خيار الضعفاء.

ومن بعد هذه الحرب، وعند شواطئ غزة وعلى حدودها، وقف التاريخ احتراماً وإكباراً لشعب غزة المقاوم، كما وقفت الشمس لنبي الله يوشع بن نون عليه السلام وقف التاريخ إجلالاً لفاصلة زمنية من فواصله، حملت في طياتها أسطورة في الثبات، لن تُمحى مِنْ ذاكرته أبداً، وشهد على انتصار أطهر ظاهرة، وقد خذلتها أنظمة الردة، وتآمرت عليها. وشهد على مواقف العزة، التي أبداها أطفالنا، وما كان للجالسين على مقاعد الهزيمة، أن يبلغوها بكل جيوشهم، وما لديها من عتاد. وإن الأقزام مهما تآمروا، فهم أقزام، وهم كما قالت العرب: "كمن رضي من الدأماء بالوَشل"، والدأماء هو البحر ونحن أمواجه إن شاء الله، والوشل هو الماء القليل، يُتحلب من الصخر، فنحن بحر هذه الأمة، وأمريكا هي الوشل لهذه الأنظمة.

ولقد عادت حياتنا إلى رتابتها، ومرت الأيام، ولا يزال حديث الأسرى عن الحرب وتداعياتها... ففي كل يوم من خلال النقال تتجدد الهموم، وتأتيك الأخبار بقائمة من الشهداء لإخوة عندنا، فالمجاهد شريف زيادة[40] استشهدت أمه وأخته، وخميس عقل[41] استشهد أحد أقربائه، وآخرين ممن تعرضوا لأضرار هذه الحرب، ولا تجد الناس إلا محتسبين ومسترجعين، والحمد لله.

ومن جانب آخر، تحدث الناس عن قيم هذا الشعب العظيم وأخلاقه، فاحتضان المقاومة وتزويد عناصرها بالطعام والشراب، والتكافل الاجتماعي بين الناس في الطعام والسكن، والحديث عن الذين ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[42]، ولا غرابة، فقد جاد الناس بدمائهم وأرواحهم.

مرت علينا الأيام، ومن أسرى غزة من اقترب فرجه، بعد أن مضى على اعتقاله ثمانية عشر عاماً، فالإخوة ضياء الشرفا، وعبد الناصر البحر، ومحمد عاصم الحشاش، وعطا أبو خبيزة، طالت عليهم أيام السجن، وغزة تنتظرهم على شوق أحرّ من الجمر، بعد هذا النصر، وخرجوا جميعاً رضي الله عنهم وأما المجاهد سليم الجعبة، فالقدس وأهلها في استقباله على بوابة السجن، فتاريخ 2010/4/20 يوم العتق من السجن، بعد أن قضى ستة عشر عاماً.

وبعد أن فارقنا سليم في رحلته الميمونة، وعلى رغبة إخواني في قسم (11) لأعيش بينهم ما تبقى من قليل الأيام، ودَّعتُ إخواني في قسم (13) وأبو نضال حسان يقول لي: لا تعد، وبقيتهم يؤمنون من ورائه. وما كان في ظني أن أعود قريباً. وبناءً على طلبي، وطلب إخواني من فتح، التقيت الإخوة رمزي عبيد وإياد الفروخ وياسر أبو ترك، من

---

[40] **شريف حسين زيادة (1971–):** ولد في مخيم البريج وسط قطاع غزة لعائلة هجرت من قرية الفالوجة سنة 1948. متزوج وله أربعة من الأبناء. من مؤسسي ألوية الناصر صلاح الدين. اعتقل في 2005/10/5 في النقب في أثناء محاولته وعدد من إخوانه للانتقال للضفة الغربية بعد الاندحار الصهيوني من القطاع من أجل نقل الخبرات العسكرية الصاروخية إليها. حكم بالسجن المؤبد مرتين وثمانية أعوام لمشاركته في عدد من العمليات وإطلاق الصواريخ على مستوطنات الاحتلال، خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18.

[41] **خميس زكي عقل (1966–):** ولد في مخيم النصيرات في قطاع غزة. شارك في فعاليات الانتفاضة الأولى من خلال جهاز الأحداث التابع لحماس. انتظم في صفوف كتائب القسام منذ نشأتها، وشارك في عدد من عملياتها ضدّ قوات الاحتلال الصهيوني وعملائه. اعتقل في 1992/6/7 والقسامي مازن النحال، إثر إصابتهما في اشتباك مع الجنود الصهاينة. حكم عليه بالسجن 16 مؤبداً، وخرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18.

[42] **القرآن الكريم**، سورة الحشر، آية 9.

قسم (14) ولساعة والحديث بيننا عن هموم السجن، أوصيهم ويوصونني، وفي الختام تعانقنا عناق الوداع، على أمل اللقاء في الخارج، إن شاء الله.

نزلت قسم (11) على غرفة الأخ الحبيب فهد الزقزوق، وفيها الرجال من أبناء هذه الدعوة، وهذه الحركة من المجاهدين، محمد عثمان، وسعيد سكيك الحافظ لكتاب الله، وأيمن الشوا. ومن خلال ساحة القسم التي تتسع لـ 120 مجاهداً حمساوياً، التقيت بقية إخواني هارون ومجدي الريماوي، وفي الساحة كان لقاء الأحبة جميعهم أبو النمر الشراتحة، وماهر زقوت رفيق درب عماد عقل، وعماد الصفطاوي، وخميس عقل، ومؤنس العقاد، والقدوة، والحلاق، وأسأل الله أن يفرج كربهم.

وقبل الإفراج بيومين، جمعنا مكتب ضابط السجن بالأخ الحبيب والابن البار أبي إبراهيم السنوار، الذي كان يدعو لي بهذا الدعاء: "أسأل الله أن يكون بك حفياً". فودعني ووصاني وكان للعيون في حديثنا نصيب... لأنه لا يُسمح باللقاء بعيداً عن عيني الضابط.

خرج سليم الجعبة من السجن باحتفال مهيب، وقد استقبله الأهل والأصدقاء على بوابة السجن، وكل هذا في سجن نفحة الصحراوي، وعاد بمن معه في ركب مهيب إلى مدينة القدس. وبعده بشهر على التمام، كان يوم خروجي من السجن، بعد قضاء أربع سنوات، بتاريخ 2010/5/20. وهي المرة الثانية، بنفس التاريخ أخرج من السجن، ففي المرة الأولى يوم الإثنين 1985/5/20، في صفقة التبادل، وهذه المرة يوم خميس 2010/5/20، على ذمة التشريعي، وما بينهما 25 سنة، والمعهود أن يفرج عني من السجن الذي أنا فيه نفسه، وقد أعد الأهل والأصحاب عدة الاستقبال، وفيهم المجاهد سليم الذي خرج قبل شهر من السجن، هو والشقيقان المجاهدان أمجد ويعقوب أبو عصب من رتب لهذا، وشيخهم ورفيقهم في خدمة أهالي الأسرى المجاهد أبو أشرف الزغير.

الخروج من السجن والقرار بإبعادي:

عند المساء من ليلة الإفراج، وإذا بإدارة السجن تبلغني أن الإفراج عني سيكون من سجن الرملة، ويقتضي مني في الساعة السادسة صباحاً أن أكون جاهزاً للسفر إلى سجن الرملة. وفي مرة سابقة لليلة واحدة رُحلت من سجن مجدو إلى هدريم ومنه خرجت. على كل حال، اتصلت بالأهل عن طريق النقال الموجود عندنا في الغرفة، وقلت لهم: انتظروني على باب سجن الرملة، وفي ذلك راحة لكم وأقرب للطريق.

في الساعة السادسة والنصف صباحاً من يوم الإفراج وضعوا قيدين في معصمي، وآخرين في رِجْلي، وسألتهم عن السبب من وراء هذا الإجراء، على صعيد السفرية، وعلى صعيد القيود فقالوا هذا قرار من سلطات عليا. فاعتليت "البوسطة"، وسارت بنا وظني أنني إلى الرملة. ولكن في الطريق بعدما سمعت وسمع ضابط "البوسطة" من الإذاعة العبرية أنه تمّ الإفراج عن الشيخ أبو طير... فقال لي: مبروك، ومن القدس سيفرج عنك، فطلبت منه عن طريق جهاز نقاله، أن يتصل بالأهل ليحيطهم بالأمر، لكنه رفض واعتذر. وبعد ساعتين ونصف من السرعة العجيبة، وصلنا إلى المسكوبية. وعلى عجل، وفي أقلّ من ربع الساعة تمّ الإفراج عني، دون أن يعيدوا إليَّ بطاقة الهوية، فطلبتها منهم، فقالوا: ليست عندنا، فقلت لهم، كل ما يخصني في الأمانات. لكن دون جدوى فخرجت بلا هوية.

ومشياً على الأقدام إلى حيّ المصرارة مسافة نصف كيلومتر. عند الإشارة الضوئية استوقفتُ سيارةً للأجرة، واستأذنته أن يوصلني إلى صور باهر فأم طوبا، فتقبل مُتفضلاً، فاستأذنت منه هاتفه المحمول، فعرفني ورحب بي وهنأني بالسلامة، فشكرت له، وهو ابن البلد مقدسي، ولم يتقاضَ أجرة الطريق، وهذه أخلاق هذا الشعب، ومعذرة لأني أجهل اسمه.

اتصلت بالأهل، والأخ سليم، والنائب أبو مجاهد، وقلت لهم: أنا في الطريق إليكم، أنا بالقرب من باب الخليل، فرحبوا بي حتى وصلت على مشارف صور باهر، وبالقرب من بيت المجاهد أبي أحمد عطون كان الاستقبال من الناس، من القريتين ومن أهل القدس، والوزير خالد أبو عرفة، والنائب أحمد عطون، والإخوة يعقوب أبو عصب، ورامي الحلواني، وأبنائي والشعب الطيب الكريم المعطاء، وعادت الصحافة من طريقها إلى الرملة، وشيخهم إلياس كرام، الذي يتميز بوطنيته ومصداقيته.

لقد استقبلنا بيت المجاهدين، وأهل الكرم من آل عطون في ديوانهم، ثمّ مشياً على الأقدام لأكثر من كيلومتر إلى أم طوبا، بصحبة المهندس خالد أبو عرفة، وهو أكبر من الوزارة، والنائب أبو مجاهد عطون ولفيف من الكرام. واستقبلتنا أرحامنا وأبناؤنا... وشكر الله لهم جميعاً، وجعل ذلك في ميزان حسناتهم. وما لبثت إلا قليلاً؛ لأن برنامج الإخوة يقتضي الذهاب إلى جبل الزيتون، المطل على المسجد الأقصى، لصور تذكارية مع الأقصى، هدايا لمن في سجون الاحتلال.

وفي تمام الساعة الواحدة ظهراً من ذلك اليوم، وإذا بشرطة المسكوبية تطرق علينا الباب ببلاغ يطلب مني الحضور إليهم الساعة الخامسة مساءً، وليس في واردهم، وغير معتبرين للناس ومشاعر الناس، التي تؤم البيت للتهنئة والسلام. فذهبت إليهم، ولثلاث ساعات حجز، حتى يقولوا لي: أنت غير مرغوب بك في هذا البلد، وفترة إقامتك من اليوم 2010/5/20، إلى 2010/6/19، ترتب فيها أحوالك، وإلا فأنت خارج على القانون، ومتسلل لـ"أرض إسرائيل"؛ لأن هذا قرار وزير الداخلية، وقائد الشرطة يُنفذ. قلت له: أنا ابن هذه البلاد، وفيها ولدت ونشأت وترعرعت، وعائلتي لأكثر من 500 سنة في هذا البلد، وتدعي أني طارئ ومتسلل، وأنت الذي أتيت مغتصباً قبل 40 سنة، تدعي أنها أرضك، وتطردني منها. فقال: هذا ليس قراري، هذا قرار وزير الداخلية، فاستلمت البلاغ، وطلب مني التوقيع عليه. فرفضت ذلك وقلت الأمور واضحة لا تحتاج إلى تفسير، فالقرار سياسي، وليس قانونياً. وحتى المحكمة العليا الإسرائيلية لن تنتصر لنا ولا مرة.

غادرت المسكوبية، والمستوطنون في الخارج ينتظرون للانقضاض عليَّ، وسمعت منهم الأذى، ولا شكّ في أن جهاز الشرطة، هو من أعلمهم بحضوري، وباسمي نادوني يا كذا... ويا كذا. ولولا الحياء لأسمعتهم، وضابط الشرطة مع المحامي يطلبان مني الانضباط. وجاءت السيارة التي أقلتنا على وجه السرعة، بعد أن وقفت الشرطة حاجزاً بيننا وبينهم، وانطلقت بنا إلى البيت والناس ينتظرون.

تداولنا الأمر مع إخواننا، وبحضور الأخ المحامي فادي القواسمي، واستقر رأي الإخوة خالد أبو عرفة، وأحمد عطون، ومحمد طوطح، وقد شملهم قرار وزير الداخلية، اللجوء إلى مقر الصليب الأحمر في الشيخ جراح. وكان لي رأي أن أغيب عن الأنظار والعيون في الليل، وعزمت أمري على المبيت خارج البيت، إلى يوم أن اعتقلت؛ لأن تطمينات الرئيس عباس أعطت أملاً، من خلال وعد وعده إياه رئيس الشاباك الإسرائيلي، ومن خلال المؤتمر الصحفي، ولقائه الإخوة النائبين أحمد عطون ومحمد طوطح والوزير خالد أبو عرفة بصحبة الدكتور ناصر الدين الشاعر، والدكتور عمر عبد الرازق، بناءً على طلب أبي مازن. ولم أحضر ذلك الاجتماع لا لشيء، ولكن لعدم وجود وثيقة مرور، وعند أي حاجز من الممكن أن يقال لك: بدون بطاقة هوية لن تدخل. من خلال هذا المؤتمر قال الرئيس عباس هؤلاء اليوم نواب عن الشعب الفلسطيني، هؤلاء اليوم لا ينتمون لفصيل سواء فتح أم حماس... إنما هم نواب عن الشعب. ووقع على ذلك إخواننا، بأننا نواب عن القدس، وعن الشعب الفلسطيني.

تجاوزت حسب ادعائهم، عشرة أيام بعد الفترة التي حددوها، وكنت مع إخواني في بيت الوزير خالد أبو عرفة، لاجتماع جمعنا مع الأستاذ المحامي فادي القواسمي، على وليمة غداء. وفي طريق العودة مع الأخ النائب أحمد عطون، وإذا بكمين من الشرطة في الشارع الرئيس، المؤدي إلى وسط بلدة صور باهر، فاستوقف سيارتنا واقتادوني معتقلاً إلى شرطة المسكوبية، وهناك قالوا لي: وقع على كفالة ورقية بـ 100 ألف شيكل (نحو 27 ألف دولار)، وغادر إلى رام الله. فقلت لهم: لن يكون. فذهبوا بي إلى المحكمة بحجة أنني متسلل لـ"أرض إسرائيل"، وخرج عليَّ القاضي الأول بحكمه أن أدفع 350 ألف شيكل (نحو 94 ألف دولار) نقداً، ووجهاء من القدس كفلاء على رحيلي إلى رام الله بلا عودة. فرفضت ذلك، ومكثت في السجن خمسة أشهر وزيادة، إلى أن جاء قرار المحكمة أنها لا تستطيع أن تبقي علي في السجن هذه الفترة؛ لأن عقوبة أي متسلل لا تزيد على شهر. فأرادت النيابة أن تدخل بالسياسة إلى المحكمة، فقالت القاضية، لا تدخل بالسياسة على القضاء، وأمام قرار المحكمة أنها لا تستطيع أن تبقي عليَّ في السجن، جاءت الشرطة وحملتني إلى حاجز بيتونيا العسكري، وأخرجتني قسراً من السجن إلى المحكمة، ثمّ إلى رام الله، كان ذلك يوم الأربعاء بتاريخ 2010/12/8[43].

في الاعتقال السابع وربيع الشعوب:

بعد أن اقتادتني الشرطة مكبلاً إلى المسكوبية، مساء الأربعاء 2010/6/30، وانتهت مِنْ عرضها الرخيص، وكان مني الرفض، عزلتني شهراً كاملاً في سجنها على ملف مدني، لأول مرة بالرغم من أنهم تعاملوا معي كسجين أمني. ومن خلالها كان أكثر من يزورني الأستاذ المحامي فراس صباح، شكر الله له.

والعيش في المسكوبية ممرض؛ لأن الرطوبة أكلت من جدرانها، وأبنية قديمة جداً قبل العثمانيين، وهي مستأجرة من الكنيسة الروسية الأرثوذوكسية. وبعدما لم تفلح المحاكم في إجراءاتها، تمّ نقلي إلى سجن إيشل في بئر السبع، وهناك استقبلني أبناؤنا المجاهدون، في قسم يتسع لـ 140 من حماس والجهاد الإسلامي، وكان ذلك مع ساعات المساء والأسرى في غرفهم، إلا عمال النظافة في القسم، والناطق باسم السجن المجاهد

[43] تمّ احتساب سعر صرف الدولار مقابل الشيكل الإسرائيلي وفق معطيات بنك "إسرائيل" المركزي في سنة 2010 الذي حدد سعر الصرف بـ 3.7319.

جمال الهور، قائد مجموعة صوريف. واستقبلني مرة أخرى شقيق روحي (أبو النور) نائل البرغوثي، وأبو إبراهيم السنوار، وزهير السكافي، وليلي أبو أرجيلة، وعماد صقر، وعبد الرحمن شديد، وعلي العصافرة[44]، والشقيقان حازم ومنتصر أبو رجب، وبارك الله في الجميع. وكان في الاستقبال أيضاً، ولا أستغني عن ذكرهم، الشقيقان عثمان ومعاذ بلال[45]، أبناء الداعية سعيد بلال، رحمه الله، وولدي محمد الرشق، وفارس القواسمي، والمجاهد محمد العمصي، الأسير الوحيد من كتائب القسام في ملحمة الفرقان.

وفي يوم الجمعة الأول استقبلني الحبيب (أبو إبراهيم) السنوار بخطبة جمعة، أحاطني من خلالها بعاطفته، ومثلي عند سماعه لهذه العاطفة، عليه أن يتقي الله، والله أعلم بسريرتي، وأسأل الله أن يذكره في ملأٍ خيرٍ مني.

وجاءنا رمضان بظلاله الندية، مع أن درجة الحرارة في صيف ذلك العام ازدادت خمس درجات مئوية. وأنا من الذين يستغنون عن المراوح، لكن هذه المرة كانت وجهاً لوجه. وصمنا رمضان مع الكرام، وكنت إمامهم في الصلاة، وفي صلاة التراويح على وجه الخصوص؛ لأني كنت حريصاً أن أختم القرآن من خلال الصلاة، غيباً عن ظهر قلب والحمد لله، وفي ليلة 27 رمضان، ختمت بالأجزاء الأربعة الأخيرة في ثماني ركعات، وفي أقل من ساعتين والحمد لله. وكل ليلة كان عماد صقر يبعث لي مع الإفطار بغلاية قهوة سادة، من غرفته كرماً منه وتفضلاً... سوى صحن الفول.

---

[44] **علي محمد العصافرة (1982–):** ولد في قرية بيت كاحل قضاء الخليل. التحق بكلية الآداب في جامعة الخليل، ونشط في صفوف الكتلة الإسلامية في الجامعة. التحق بكتائب القسام ونفذ عملية كرمي تسور بالقرب من مدينة حلحول شمال الخليل. اعتقل في 2002/10/28، وحكم عليه بالسجن المؤبد أربع مرات. شاعر، صدر له ديوان اللؤلؤ والمحار وهو في السجن. خرج في صفقة وفاء الأحرار يوم 2011/10/18. انظر: علي عصافرة، تحرير وتعليق أسامة الأشقر، **ديوان اللؤلؤ والمحار** (دمشق: مؤسسة فلسطين للثقافة، 2010).

[45] **عثمان سعيد بلال (1975–):** ولد في مدينة نابلس. والده أحد قيادات جماعة الإخوان المسلمين في فلسطين. نشط في صفوف حركة حماس في أثناء الانتفاضة الأولى، واعتقل لذلك في سجن الصهاينة. انتظم في صفوف كتائب القسام ضمن مجموعات كتائب الشهيد عبد الله عزام، ثم عمل بصحبة الأسير عبد الناصر عيسى على التجهيز والإعداد لعدد من العمليات تحت إمرة الشهيد يحيى عياش. أسهم في الإعداد والتجهيز لعمليتي الاستشهاديين لبيب أنور وسفيان جبارين. اعتقل في 1995/8/20، وحكم بالسجن المؤبد 15 مرة.

معاذ سعيد بلال (1971–): ولد في مدينة نابلس. والده من كبار قادة الإخوان المسلمين في فلسطين. التحق في كلية الشريعة بجامعة النجاح، وانتظم في صفوف حماس، ونشط في صفوف الكتلة الإسلامية في الجامعة، واعتقل لذلك عدة مرات في سجون الاحتلال. عمل بصحبة الشهيد عادل عوض الله على إعادة تنظيم صفوف كتائب القسام في نابلس ونظم الشهيدين نسيم أبو الروس وجاسر سمارو ليدربهما الشهيد محيي الدين الشريف على تصنيع المتفجرات. قاد "خلية شهداء من أجل الأسرى" والتي نفذت خمس عمليات استشهادية في القدس سنة 1997. اعتقل في 1998/1/10، وحكم عليه بالسجن المؤبد 26 مرة و25 عاماً.

جاءنا العيد، وخطبنا أبو إبراهيم السنوار، يرعاه الله، وطاف بنا حول عاطفة العيد، وماذا يعني العيد في حياة المسلمين، وعرج على رحلة الصيام، وعلى ما في طياتها من خير ومن تزكية للنفس البشرية، وعلى ما أظن صلى بنا صلاة العيد المجاهد عبد الرحمن شديد.

وفي هذا السجن خطبت الجمعة وقلت لإخواني: إن عوامل التغيير في طريقها إلى المنطقة، ولن تصبروا إلا قليلاً، وإن هي إلا خمس سنوات، وإذا بانقلاب إقليمي يأتي على هذه الأنظمة، فلا يبقي منها ولا يذر. وما هي إلا خمسة أشهر بدلاً من خمس سنوات، وإذا بالشعوب قد غضبت غضبتها، وحطمت أكبر حاجز كان يعترضها ويقف في طريقها... ألا وهو حاجز الخوف، الذي اكتوت به الشعوب، والذي استشرى في المجتمعات، وشكل سوط عذاب، طوال قرنين من الزمان.

وبعدما خرجتُ من السجن، وأُبعدت إلى رام الله، وإذا بربيع الثورات على الأبواب، ومن وكر العلمانية والحرب على الله في تونس، ومن حيث كان الأذان لا يرفع من المساجد، لأكثر من ربع قرن، انطلقت الشرارة وانتصرت إرادةُ الشعب... ومن تونس قال شاعرها أبو القاسم الشابي:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر

ولا بدّ لليل أن ينجلي ولا بد للقيد أن ينكسر

وهرب ابن علي، رئيس الجمهورية التونسية، وانتقلت العدوى إلى مصر، ويشاء الله لثورة مصر أن تكون أعظم ثورة سلمية، ويسقط الطاغية، والدائرة تدور رحاها على الجميع إن شاء الله. ومن السجن اتصل بي المجاهد عبد الرحمن شديد، وذكرني بالذي خطبته فيهم... وأسأل الله أن يعجل لهم بالفرج.

وبعد شهرين مكثتهما في سجن إيشل، جاءني النقل إلى سجن نفحة مرة أخرى، لألتقي الأخ المجاهد والابن الحبيب علي العامودي. لكن قبل ذلك اقتحمت علينا غرفتنا، بعد عيد الفطر مباشرة، قوة من وحدات التفتيش في السجون، على معلومة أن عندنا هاتفاً محمولاً، وما كان عندنا، ولا حتى في القسم أبداً، ولكن هوس ضابط الأمن، كما في مرة سابقة، أنه كيف يعقل أن تكون غرفة الشيخ أبو طير بلا هاتف محمول؟ فتشوا الغرفة وخربوها وجعلوها خليطاً، ونفضوا كل ما فيها... وفتشونا عُراة. ورفعت

السجون، وعلى الخصوص النقب وعسقلان ونفحة، احتجاجاً على فعلتهم لقائد المنطقة في مصلحة السجون، وجاءني معتذراً، ووجه كلاماً قاسياً إلى ضابط الأمن.

في نفحة عشت شهرين وأياماً، والتقيت أحبابي مرة أخرى، وعشت وعلي العامودي في غرفة واحدة، وإحسان الصفدي[46]، وسعيد شلوف، وعشت مع حبيب الروح عماد صقر، ومع ولدي وحبيبي أكرم الصعيدي[47]، والمجاهد أكرم قاسم[48]، هذا الرجل الفريد في أدبه، وحسن خلقه.

الدعاء وكرامات الأسرى:

من بركات الدعاء، أن والدة الأخ المجاهد إيهاب قنَنْ من خانيونس، والذي يقضي حكماً مؤبداً، وكان قد امتنع لأيام عن الحديث مع عائلته، احتجاجاً أو ما شابه ذلك. ولا شكّ في أنه يتألم لذلك، ولكن أين قلبه من قلب أمه؟ الأم تنتظر مكالمة، وتتوجع لهذا الجفاء، وأعرف ولدنا إيهاب أنه من أهل الوفاء، وكانت أمي رحمها الله، تقول: "قلبي على ولدي، وقلب ولدي على حجر".

انْتَظَرَتْ الأم الموجوعة ولدها، وتحدثت من خلال برنامج رسائل الأسرى، عبر قناة الأقصى إلى ولدها، وقالت لكل من يسمع: قولوا لإيهاب، أن يُسمعنا صوته ويطمئننا عن حاله، كان ذلك بتاريخ 2010/12/1، يوم الأربعاء مساءً. وكنت في نفحة وإيهاب في غرفة قبالتنا، والأسرى ينادون على إيهاب، يا إيهاب أمك على الهواء تتحدث... فيذهب مسرعاً ليستمع إلى أمه. الأم الفاضلة تتحدث، وتلقي بسلاماتها عبر الأثير لولدها ولجموع الأسرى، وتدعو الله أن يعجل بالفرج، والأم تدعو وتبكي، ويسمع الأسرى

---

[46] **إحسان علي الصفدي (1975–):** ولد في قرية جماعين قضاء نابلس، اعتقل في 2001/8/23، وحكم بالسجن مدى الحياة. خرج في صفقة وفاء الأحرار في 2011/10/18.

[47] **أكرم زكي الصعيدي (1980–):** ولد في مخيم النصيرات وسط قطاع غزة، ومع بداية انتفاضة الأقصى التحق بصفوف حركة حماس. انضم لكتائب القسام وشارك في عمليات إطلاق الصواريخ ضدّ مستعمرات الاحتلال. في 2003/6/27 اقتحمت قوات صهيونية قرية المغراقة وحاصرت منزل الصعيدي، فاشتبك عدد من أفراد العائلة مع القوات المهاجمة، اعتقل على إثرها أكرم وعدد من أفراد أسرته واستشهد شقيقه زكريا. حكم على أكرم بالسجن لمدة 25 عاماً، وخرج في صفقة وفاء الأحرار في 2011/10/18.

[48] **أكرم عبد الله قاسم (1976–):** ولد في منطقة بئر نعجة شمال قطاع غزة لأسرة تعود جذورها لبلدة البطاني الشرقي. درس العلوم السياسية في الجامعة الإسلامية في غزة. استغل عمله في أحد أجهزة السلطة الفلسطينية الأمنية كغطاء للعمل منسقاً بين قيادة كتائب القسام في الضفة الغربية وقيادة القسام في قطاع غزة، وعلى رأسها الشهيد صلاح شحادة. اعتقل من مدينة رام الله في 2002/4/2، وحكم بالسجن لمدة 30 عاماً. خرج في صفقة وفاء الأحرار في 2011/10/18.

بكاءَها، وهي تدعو على الاحتلال، وتقول بالضبط هذه العبارة: "اللهم كما حرقوا قلوبنا... احرق قلوبهم" اللهم آمين.

إنه دعاء أم، من قلب مكلوم، ومع الغروب، وما هي إلا ساعات، وإذا بغابات الكرمل أو أحراش الكرمل تندلع فيها النيران، وتقف دولة الاحتلال عاجزة أمام هذا الحريق، الذي أتى على الأخضر واليابس، وأتى على أكثر من 40 ألف دونم [40 كم^2] من الأشجار الحرجية، التي تشكل رئة فلسطين.

ففي الساعة العاشرة صباحاً من يوم الخميس 2010/12/2 بدأ الحريق وأحاط بسجن الدامون، وذهبت قوة من دورة ضباط لمصلحة السجون، بعد يوم من تخرجهم، إلى هناك... لمساعدة القوة الموجودة في السجن، لترحيل الأسرى، وإذا بالنيران تحاصر القوة القادمة للنجدة، فتأتي عليهم جميعاً، وهم يزيدون على 45 ضابطاً، وليس من طبعنا التشفي، بل تعاملنا بأحسن الأدب مع هذه الحادثة، وأظهرنا تعاطفنا مع ضباط السجن عندنا. فأين إنسانيتهم —إن كان عندهم إنسانية— من إنسانيتنا؟ وقال الأسرى فيما بينهم، هذه دعوات المظلومين، هذه دعوة والدة إيهاب قنن، رضي الله عنها.

وفي حادثة أخرى من كرامات المظلومين، يقول الأخ المجاهد نضال زلوم، وكنيتُهُ أبو أنس: وقفت من الليل، وصليت وناجيت ربي، ورفعت إليه أكف الضراعة، ثمّ قلت: يا رب، نريدك أنت، لا نريد سواك، نريدك أن تدافع عنّا وأن تتولى أمرنا، ولا نريد من البشر من يدافع عنا، لا نريد محاكم ولا محامين. اللهم يا ربّ ارض عن الشيخ أبي طير، وفرج كربه واجعل علامة الرضا والفرج سقوط طائرة للعدو، فكان والله أن سقطت طائرة أف–15 أو F–15 في جبال النقب، في اليوم الثاني من هذا الدعاء، وقتل طاقمها المكوّن من الطيار ومساعده، وكان ذلك بتاريخ 2010/10/11.

والأخ نضال خرج من المسجد الأقصى المبارك، ليلة 27 رمضان للعام الميلادي 1989، وقد تزود من هذه الليلة المباركة، وقتل صهاينةً طعناً بالسكين، وبسببهم دخل السجن، وقد حكمت عليه محاكم الاحتلال بالسجن المؤبد. وهو من شباب الإخوة في الجهاد الإسلامي، وأحسبه من الصالحين، وعهدي به أنه من الذاكرين، ومن المحافظين على النوافل صياماً وقياماً لليل، وفرج الله كَربه في صفقة وفاء الأحرار.

قبل يوم المحكمة بيومين غادرت نفحة إلى المحكمة في القدس، كان ذلك مروراً ببئر السبع وعسقلان... ونمت ليلتها في سجن الرملة... وفي الصباح، صباح يوم الأربعاء

إلى محكمة الصلح في القدس، وقد تحفظت المحكمة على وجودي في السجن لهذه المدة، فنفذت الشرطة قرار وزير الداخلية بالإبعاد.

في صبيحة اليوم الثاني من اعتقالي، لجأ إخواني النواب والوزير السابق إلى مقر الصليب الأحمر الدولي. ومن يومها والحبل على الجرار، وإخواني هناك في اعتصام إلى أن اعتقلوا غيلةً. ولقد شهدت الأيام والمواقف على صبرهم وثباتهم، وعلى رمزية سياسية أزعجت العدو، واستقطبت اهتمام الرأي العام المحلي والعربي والعالمي. وشكلوا لوناً فريداً في القيادة، وأسطورة رائدة لحالة نادرة، لم يسبق لأحد في زماننا أن خاض مثل هذه التجربة.

الإبعاد:

وعند حاجز بيتونيا، توقف الزمن إن حُق لي أن أقول ذلك، وشعرت شعوراً غريباً، لم يكن في حسباني في يوم من الأيام، شعرت كأن قلبي انخلع من مكانه، فهو هناك في القدس، وفي الأقصى وفي أم طوبا. ووجدت في استقبالي إخواني النواب، الدكتور عمر عبد الرازق، والمهندس عبد الرحمن زيدان، والشيخ الداعية فتحي القرعاوي، والأخت منى منصور، والأستاذ رياض رداد، والدكتور ناصر عبد الجواد، والشيخ حسني البوريني، وأبو عمار منصور، والأخ الفاضل (أبو صالح) محمد حسن عمار. وفي مكاتب الإخوة النواب في المصايف، التقينا جميعاً إخواننا من الوسط والشمال والجنوب، وأبنائي العاملين في المكتب، مراد أبو البها، وأم عمرو الشيخ قاسم، وخلدون المظلوم، وإبراهيم السبع، وبهاء فرح، وعبد الله غانم. وأشكر لهم حسن الاستقبال، أما السلطة الفلسطينية، فلم يكن لها حضورٌ على الحاجز، ولو لعذر، أو موقف احتجاج على هذا الإجراء. بعدها جاءني الأخ عيسى قراقع بصفته وزيراً للأسرى في حكومة رام الله، ومعه وفد من الوزارة... وجاءني النائب عزام الأحمد، بتكليف ونيابة عن أبي مازن، إلى الفندق، الذي أقمت فيه، إلى أن استأجرت بيتاً. وجاءتني الوفود من القدس، ولم تتوقف إلى يومنا هذا، فالوفاء لأهل القدس، وفود لم تتسع لها قاعة الاستقبال في الفندق، ودون تمييز بجميع فصائلهم وعشائرهم... فتح مع حماس والشعبية والجهاد الإسلامي... كلهم بشعور فياض من الحب والتقدير.

أما الضفة الغربية، فقليل من إخواني زارني، وعلى خوف، وبقية الفصائل لا تسمع لهم ركزاً. حتى النواب من القوائم الأخرى لا يعيشون مع القدس من خلال موقف تضامني مع نوابها، ولو كانت حاضرة في نفوسهم لتضامنوا مع نوابها من خلال اهتمامهم بها، لا من خلال الدعاية.

هذه هي الطريق، وزادُها الصبر على المكاره، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾[49]، فبعد غربة عاشها المسلمون بعيداً عن دينهم، ها هم اليوم يعودون لترتوي أرواحهم من ماء الوحي الطهور، ويطيحون بأعمدة الحكم الجبري، ليستأنفوا الحياة الإسلامية بإذن الله.

لقد صبروا، وصابروا ورابطوا ليرتاح محمد إقبال في قبره، وقد أوجعته هموم المسلمين، وأوجعه حال الأمة. ولترتاح أرواح المجاهدين، في مصر وسورية والعراق، واليمن وليبيا والجزائر والسودان، ولترتاح هناك في الهند والصين وباكستان وأفغانستان، في كشمير وفي كوسوفا والبوسنة والهرسك، وفي الشيشان، وكل مكان من أرض الإسلام. وهنا في أرض فلسطين وفي رحاب المسجد الأقصى المبارك...

وما مَثَلي وهذه الطريق، إلا كفارسٍ امتطى صهوة جواده، لا يَقيل ولا يستقيل، ولا غنى لأحدهما عن الآخر، ولا يفارق أحدهما الآخر، حتى يفرق الموت بينهما.

إنها واحد وثلاثون عاماً، قضيتها في سجون الاحتلال، أحتسبها عند الله، وكلما شعرت بالضعف، كان دفء الإيمان يُغذي روحي بالقوة. ويعلم الله أني ما خذلت ديني، ولا خذلت إخواني في موقف هم في حاجةٍ إلَي. وأستغفر الله... ثمّ أستغفر الله على ما فرطت في جنب الله، فالحياة لا تخلو من السقطات، ولكني والله ما عاقرت خمراً في يوم من الأيام، ولا عرفت الزنا، ولا اعتديت على مال من ورائه شهوةُ السرقة، فالسارق يسرق البيضة. وانتصرت للمظلوم، واعتذرت لمن كنت سبباً في أذاه، وربأت بنفسي عن المعاصي التي تخل بالمروءة، أو تذهب بالرجولة. وأحب الأمور إلى نفسي أن يكون أخي في الله أحسن مني، في كل شيء؛ لأنه كلما كان أحسن مني كان لي أكثر مما أكون له، ولا أريده أن يكون لي لحسب أو نسب، وإنما لدينه ودعوته، وكما تعلمنا من سلفنا الصالح: "اعرف الحق تعرف أهله، الحق لا يعرف بالرجال، بل الرجال يُعرفون بالحق".

[49] **القرآن الكريم**، سورة الرعد، آية 17.

الاعتقال الثامن:

لأول مرة تمّ لنا صيام رمضان مع العائلة منذ سنة 2005، حيث كان اعتقالنا سنة 2006، بعد نجاحنا في الانتخابات التشريعية، ودخل علينا رمضان ويتلوه رمضان ونحن في غياهب السجن، غرباء حتى في أوطاننا، إلى أن خَرجنا سنة 2010، ولأربعين يوماً فقط عشتها في القدس طريداً لشرطة الاحتلال، إلى أن اعتقلت مرة أخرى لخمسة أشهر بتهمة التسلل إلى القدس، وأنا ابنها وما غادرتها ولا غادرني طيفها، وكان حظي من رمضان والعيدين من ضمن هذه الأشهر الخمس، ثمّ ختمت بالإبعاد عن القدس، وذلك بتاريخ 2010/12/8.

هذه المرة من سنة 2011، دخل علينا رمضان، وبيني وبين القدس جدار الفصل العنصري، وقرار دولة الاحتلال بالإبعاد، وفي جعبته الخير الكثير، والبركات والحسنات، وأجواء إيمانية تطغى على كل الصعاب والأحزان، لأن في رمضان سلوى وعزاء لكثير من هموم النفس، فصمته وأهلي بعيداً عن القدس، وعن المسجد الأقصى، بعيداً عن أجواء القرية، وعن الأهل والرحم والذراري، وكان العيد بما فيه من النشوة والفرحة على تمام الصيام ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[50]، إلا أنه لم يخل مِنْ مشاعر موجعة على صعيد الأرحام التي تقطعت بسبب الاحتلال والإبعاد.

بعد العيد مباشرة باشرت في صيام الأيام الستة من شوال، وبعد تمامها وليلة العيد منها، وإذا بقوات الاحتلال تطرق علينا الباب، وقد ضربت طوقاً أمنياً على الحي الذي أسكنه، فقمت فزعاً من النوم لهمجية الطرق التي أزعجت الجيران ومن في البناية، فأيقظت أهلي، ثمّ فتحت لهم الباب. وبلا مقدمات طلبوا مني أن أصحبهم دون تحديد الجهة، وأعطوني فرصة غيّرت فيها ثيابي وحملت حقيبة بها غيارات ودواء لعلاج الصدفية.

ودّعت أهلي وسرت معهم، وأنا معصوب العينين، ومقيد اليدين، وسارت بي ناقلة الجند إلى أن وصلت السجن المقام على أراضي بيتونيا ورافات ويطلقون عليه عوفر، كان ذلك في صبيحة يوم الثلاثاء 2011/9/6، وصوت الآذان ينطلق من المآذن القريبة لصلاة الصبح، فطلب الجنود مني النزول من الحافلة. ولأكثر من ساعتين وأنا جالس

[50] **القرآن الكريم**، سورة البقرة، آية 185.

على الأرض، وهم ينتظرون من المعتقل أن يستلم القادم الجديد، وقريباً من السادسة صباحاً حضر ضابط عدد السجن، يقال له الشيخ عبد الله، من دروز الشمال الفلسطيني، فاستلمني من الجيش، وسار بي إلى عيادة السجن، وقام بعرضي على الممرض، وأجرى لي بعض الفحوصات اللازمة والمتعارف عليها منها الضغط وتخطيط القلب. والحمد لله، فقد عافاني الله من هذه الأمراض، إلا الصدفية فهي مزعجة، وعانيت منها طويلاً، إذ لم يغادرني أذاها حتى الآن، ولمدة سبعة عشر عاماً، وبينما أنا بين يدي الممرض وهو من الطائفة الدرزية كذلك، وإذا بمدير السجن يدخل عليَّ العيادة، ويسلِّم علي، فسألني: هل تعرفني؟ فأجبته بنعم، وقلت له: أعرفك منذ سنة 1999، وأنت ضابط استعلامات في سجن شطة، وسميته باسمه، وهو من يهود ليبيا.

بعد أن انتهيت من الفحوصات، صحبني الشيخ عبد الله إلى ضابط استخبارات السجن وعرفني على نفسه بعد أن رحب بي. ثمّ طلب من أحد الحراس أن يأخذ بي إلى قسم (12) والمحسوب على حماس.

هذا القسم يعيش فيه 120 مجاهداً من شباب حماس وشيبه، وأول من استقبلني مع الصباح وهو ينتظر الخروج إلى المحكمة فضيلة الشيخ حسن يوسف، الذي اعتقل وهو في طريق عودته إلى البيت على حاجز زعترة، بعد أن انتهى من صلة رحمه بمناسبة العيد، اعتقلوه ولثمانية أيام بتهمة الدخول إلى القدس، في رمضان. ويشاء الله أن يذهب إلى المحكمة في هذا اليوم ولا يعود إلى السجن، ثم أطلق سراحه ليعود بعد شهرين إلى المعتقل بلا تهمة تحت اسم الحجز الإداري، وبعد حين حوَّلوه إلى قضية، والشيخ جزاه الله خيراً، نحسبه من الصابرين، وهو رجل مرحلة، والعطاء ديدن عنده، وهمه أن تنتصر دعوته.

ثمّ كان من المستقبلين الإخوة الكرام (أبو حمزة) أحمد الطيطي، الناطق باسم القسم، ونائبه حذيفة العواودة، و(أبو إبراهيم) سامي حسين أميرنا في السجن، وهو رجل محاور، وراجح العقل، وله تجربة 23 سنة سجن. ولجدارته في القيادة قال لي الأخ إسماعيل الزير في اليوم الذي خرج فيه سامي حسين من السجن، إن عشرة من الرجال لا يقومون مقامه، وزاد على ذلك، ليبقى معنا في السجن، لما فيه أبي إبراهيم من احتراف في العمل التنظيمي والإداري. كل ذلك شهادة على حسن أداء أبي إبراهيم رضي الله عنه واستقبلني أبو إبراهيم آخر، هو الحبيب عبد الله السعافين، الذي يعمل

ممرضاً في الرعاية، ونعم الرجل عبد الله، حوتٌ في عمله، عجيب في متابعته لمشاكل القسم الذي كنا فيه، لأنه كان أمير القسم، واستقبلني الأخ المجاهد رياض ناصر (أبو مسلم)، والذي تعرفت عليه لأول مرة، وهو الأمير لحماس بعد الأخ سامي حسين.

والتقيت في الأقسام الأخرى، من خلال هذه الأيام، أحباب قلبي ورفاق دربي (أبا عاصف) عمر البرغوثي، الذي قال لي فيه ضابط في الشاباك: أنتما اثنان لا غنى لكما عن السلاح، تعب الناس ولم تتعبوا: عمر البرغوثي والشيخ أبو طير. ولما جمعتني الأيام... بل السجون بالأخ الحبيب (أبي عاصف)، ذكرت له ذلك، فقال لي: إنهم قالوها له: فقلت الحمد لله أن هناك بقية لا تقيل ولا تستقيل، ولا تريح ولا تستريح، والذي بيني وبين الرجل من العاطفة أني لا أناديه إلا: يا ابن أمّ، وهو كذلك فرج الله كربه، ورضي عنه. والتقيت بالأخ الحبيب رفيق الدرب وشقيق الروح (أبا صالح) محمد عمار، رضي الله عنه.

هذه هي دولة الاحتلال، اشتغلت بها أم لا... لا يتركونك، فالأَوْلى، وهو ما آمنت به، وما تخليت عنه في يوم من الأيام، أن تبقى قدمك في الركاب، وألا تبرح صهوة جوادك.

المهم بعد يومين من الاعتقال، استدعيت إلى مقر الشاباك في منطقة "عوفر"، ولساعة تقريباً والحديث بيني وبين شرطة الشاباك يدور عن عضويتي في حماس، وعن زيارات بعض الناس لي في البيت، وعن أموال لا علاقة لي بها. وأن شاباً من الخليل ذهب إلى سورية والتقى بالشيخ صالح العاروري، وأعطاه مبلغاً من المال قدره 18 ألف دولار مخصصات لي، فقلت لرجل الشاباك هذه الأموال لم يصلني منها شيئاً، وباعتراف الأخ صاحب الشأن أنه صرفها على سداد ديونه. وشاب آخر من القدس اعترف أنه أعطاني 4,500 دولار، فقلت للمحقق: المنطق يستدعي أن أقوم أنا بإعطائه... لا هو. والصحيح أني لم أستلم شيئاً منه كذلك.

بعدها بلغوني بستة أشهر إداري، ومحكمة تثبيت واستئناف، لم تأخذ المحكمة الأولى والثانية بالذي قلته لهم، وطلبته منهم، إن كان لكم عندي شيئاً فحاكموني، أما أن تحتجزوني تحت مسمى مواد سرية، فهذا كذب. أطلب من المحكمة أن تقدم لي لائحة اتهام، وأنا أعترف لكم بكل شيء. لكنهم رفضوا وعلى الخصوص النيابة والشاباك. وقلت في مرافعتي للحاكم العسكري، لو أردت أن أشتغل فيكم، لما رأيتني واقفاً أمامك، ولما جعلت لكم سبيلاً إلَيّ... ولكن دون جدوى. وقبل أن تنتهي الستة أشهر جددوا لي بسِتة أشهر أخرى، ومحكمة تثبيت واستئناف مرة أخرى دون جدوى. ولولا ذهاب

المحامي فادي القواسمي إلى العليا الإسرائيلية، عندها أُرغمت النيابة أن تتراجع، وأنه ليس في نيتها التجديد وتكتفي بانتهاء المدة.

وجمعتنا الأيام والسجون بأحبابنا من أبناء هذا الشعب، وهذا الطريق، وهذه الدعوة، المجاهدين فتحي الجولاني ونضال القواسمي والحاج نبيل النتشة أبو نعيم، والذين تشرفت بلقائهم جميعاً. ومرة أخرى تجمعنا ساحات السجون بنواب الشرعية الفلسطينية الدكتور عزيز الدويك، رئيس المجلس التشريعي، والإخوة الشيخ حسن يوسف، والمهندس عبد الرحمن زيدان، والشيخ خالد طافش، والدكتور أيمن دراغمة، والدكتور محمد أبو جحيشة، والأخ عبد الجابر الفقهاء، والأخ أحمد مبارك، والأخ فضل حمدان، والدكتور غسان ذوقان، والدكتور محمد غزال، والدكتور محمد علي الصليبي المحاضرين في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، والإخوة فراس جرار، وعلاء أبو خضر، وسمير الأسطة، وعوض الله اشتيه الذي له باع في التمثيل الاعتقالي... وجميعهم أصحاب تجربة اعتقالية ناضجة وحصلوا على شهادات جامعية بتفوق.

هذه هي منازلنا بين حين وآخر، إنها السجون التي ظنّ العدو الصهيوني أنها نهايتنا. وذات مرة قلتها لضابط في الشاباك: أنتم على الوجهين في أزمة معنا، فحضورنا خارج السجون عبئ عليكم، ولا يطيب لكم العيش حتى وإن لم نباشر دورنا والمطلوب منا تجاه هذا الشعب، وهذه القضية. فمن الصعب عليكم أن تتركوننا نعيش ولو القليل على هامش الحرية، ولا حرية في ظلّ دولة الاحتلال. وإن كنا داخل السجون، ففيها نقوم على إخواننا وأبنائنا بما هو محرمٌ علينا في الخارج، وبما هو محظور علينا متابعته في الخارج، من تربية وتعليم وإعداد نفسي وجسدي. فعلى سبيل المثال ولدنا موسى الخطيب من حزما، أتمّ حفظ كتاب الله، وحظيت والشيخ حسن يوسف بالشهادة على السند الذي لقنه إياه الأخ الحبيب نظام اشنينة... وعلى هذا... قس. ويا سبحان الله، ما تربى سيدنا موسى عليه السلام إلا في بيت فرعون: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾[51]، ونحن جعلنا من السجون مدارس وجامعات، وحقولاً للتربية والإعداد، وما من يوم إلا وفيه عطاء، محاضرات لجميع مَنْ في القسم يوماً بعد يوم، ويقوم عليها علماء وأساتذة جامعات، ولجنة ثقافية تقوم على هذا الأمر، وفي الليل وبعد صلاة العشاء أُسر لمعظم الحجرات.

[51] **القرآن الكريم**، سورة الشعراء، آية 18.

صفقة وفاء الأحرار:

استيقظ الناس داخل السجون وخارجها على الأخبار التي تحمل في طياتها أن اليوم، يوم الثلاثاء 2011/10/18، هو يوم تحرير أسرانا من سجون الاحتلال، بموجب صفقة تمّ الاتفاق عليها وعلى تنفيذها برعاية مصرية وعلى مرحلتين؛ المرحلة الأولى بالإفراج عن قائمة قدمتها حماس، وعدد أفرادها 477 أسيراً، وفي المرحلة الثانية 550 أسيراً، وكل ذلك مقابل الجندي الصهيوني الأسير من أرض المعركة جلعاد شاليط.

هؤلاء الذين خرجوا في المرحلة الأولى... معظمهم من ذوي الأحكام المؤبدة، ومدى الحياة... لرجالٍ ونساءٍ أوجعوا العدو الصهيوني، وأصابوا منه مقتلاً، وتنادى من خلال الإعلام بصوت عال، أنه لن يفرج عمن تلطخت أيديهم بالدماء... بالطبع دماء الصهاينة. لكنه في نهاية المطاف، وبعد مفاوضات مُضنية استمرت خمس سنوات، أذعن العدو، وأُجبر على تحرير هؤلاء الأبطال، وانكسرت شروطه، ولويت ذراعه أمام تصميم المفاوض القسامي وإرادته، لتكون هذه الصفقة أعظم صفقة في تاريخ القضية الفلسطينية. حيث خرج من سجون الاحتلال 1,027 من الأسرى والأسيرات مقابل هذا الجندي.

هؤلاء الذين خرجوا في المرحلة الأولى الـ 477 أسيراً... هم جنرالات ومفكرون وقادة ميدانيون على صعيد الانتفاضتين الأولى والثانية. والعقبى إن شاء الله لمن بقي في سجون الاحتلال، وسيكون ذلك إن شاء الله.

سبق أن حصل سنة 1985 صفقة تبادل بقيادة الجبهة الشعبية – القيادة العامة. وكانت صفقة متميزة، وعرساً فلسطينياً بامتياز. وفرِح الوطن بعودة أبنائه، وكانت فرحة غامرة، وخرج من سجون الاحتلال على يد هذه الصفقة 1,150 مناضلاً... مقابل ثلاثة جنود صهاينة، كانوا وقعوا في الأسر سنة 1983، وكانوا في سجون خارج الأرض المحتلة. أما صفقة وفاء الأحرار، فكان الجندي محتجزاً في غزة في حماية المقاومة، وغزة في عُرف الاحتلال ساقطة أمنياً، وأن يده طائلة، وأنه كان يراهن على الزمن في الوصول إلى الجندي، وأنه سيحرر شاليط أو يغامر فيقتله، ولا أن تُكسر إرادته، ويذل هذا الذل.

نعم، من خَرَج في هذه الصفقة من رجالنا، أولوا بأس وعملياتهم نوعية وجريئة، منها خطف الجنود، وحصد آخرين فيهم الكثير من الجنود من خلال تفجير الحافلات التي

تُقلهم، وما سبق أن حصل بهذا الزخم في تاريخ الثورة الفلسطينية. فقد فرض مجاهدونا معادلة صعبة على الاحتلال، وبعملياتهم هذه منعوا التجول وركوب الحافلات داخل فلسطين المحتلة، وأصبحت حياة الإسرائيليين جحيماً، وتعطلت حركة السير، وامتنع الناس خوفاً من ركوب الحافلات.

لقد خرج الأسرى في جوٍ احتفالي مهيب، وشملت الصفقة جميع التنظيمات دون استثناء. وكان لحركة فتح حظ وافر في هذه الصفقة، إلا أن بعض النفوس الرديئة لا بدّ وأن تبخس هذه الصفقة؛ وهذا شأن الموتورين العاجزين، الذين لم يعجبهم ذلك، فخرجوا علينا بألسنة حداد شداد... أشحةً على الخير. وصدق الله: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾[52]، وإني لقريب من هؤلاء الناس الذين خرجوا في هذه الصفقة وأعلم جيداً أن منهم مَنْ يكيدون لنا، ويتآمرون علينا داخل السجن وخارجه، لكنها الرحمة بعائلاتهم وأهلهم وذويهم، رحمة بأبنائهم وبناتهم. وكان أجدر بهم أن يعملوا على تحرير من يخصهم، وقد كان حظهم في الإفراج على يد "حسن النوايا" من قبل الاحتلال لعيون السلطة، وافراً لفتح دون سواها، والحمد لله أن حسن النوايا هذه لم تأت علينا، ولم تشملنا.

إن قيادات حركة فتح داخل سجون الاحتلال وممثليها، وعلى رغبة منهم، طلبوا من مصلحة السجون أن تجمعهم في سجن ريمون من الشمال إلى الجنوب، ليتآمروا على الإضراب الذي قادته حركة حماس بتاريخ 2012/4/17، فوافقت لهم مصلحة السجون وجمعتهم في السجن المذكور، وأجمعوا على عدم دخول فتح في هذا الإضراب، وألا يتضامنوا معه، بل وأمروا عناصرهم التي دخلت الإضراب أن ينسحبوا منه، حتى لا يكون إنجازاً لحماس، وحتى يجهضوا الإضراب، ويفشل كما خذلونا في الإضرابات السابقة وعلى الخصوص إضراب 2004. لكن الله سبحانه أحبط مكرهم وتدبيرهم، وإن كانت وزارة الأسرى في السلطة ونادي الأسير رموا بثقلهم دعماً للإضراب ومع الإضراب، إلا أن قيادات فتح في السجون بقيادة جمال الطيراوي، وكريم يونس، وجمال الرجوب، وشادي الشلالدة وآخرين رضوا لأنفسهم دوراً انتهازياً، وأن يكونوا متكأً لمصلحة السجون في إفشال الإضراب. لكن نجح الإضراب والحمد لله، وكانت معركة فاصلة وحاسمة، وشكل انتصاراً للحركة الأسيرة، وبرعاية مصرية انتهى الإضراب

[52] **القرآن الكريم**، سورة الرعد، آية 5.

إلى إنجاز رائع وكبير هو خروج جميع مَنْ في العزل إلى السجون، وأن يسمح لعائلات أسرى غزة بزيارة أبنائهم.

على كل حال عودة إلى الصفقة، حيث انتظر الناس جميعاً هذا اليوم، وانتظرت السجون طويلاً هذه الفرصة، وأطلق سراح تيسير سليمان الذي أجمعت قيادة الشاباك على عدم إطلاق سراحه ضمن كل الظروف، وأطلق سراح الأخت المجاهدة أحلام التميمي، التي استفزت هيئة المحكمة العسكرية في حديثها ضدّ الاحتلال، وأنها غير نادمة على ما فعلت، ولو قدر لها الخروج ستعود ثانية إلى المقاومة، فكانت وصية المحكمة بعد الحكم عليها بالمؤبد ألا تخرج من السجن ضمن كل الظروف، وخرجت عزيزة كريمة رافعة الرأس وتلوح للناس بأن المقاومة هي الطريق.

وخرج في هذه الصفقة الأخ المجاهد نائل البرغوثي، عميد الأسرى في سجون الاحتلال، والذي أمضى من عمره في السجون 33 سنة ودخل الرابعة والثلاثين، خرج وهو مرفوع الرأس، ويلوح للجماهير بأن القوة هي العنوان من أجل تحرير الأسرى.

احتفلت فلسطين هنا في الضفة المحاصرة المكبلة، وكسرت الجماهير حاجز الخوف، ورفرفت رايات حماس الخضراء في مقر المقاطعة، وقالت أختنا المجاهدة أم عناد شقيقة الأخوين المجاهدين نائل البرغوثي (أبو النور) وعمر البرغوثي (أبو عاصف): بقدر ما فرحت لخروج نائل من السجن، إلا أن فرحتي كانت أكبر وأنا أرى رايات حماس ترفرف داخل المقاطعة. وذلك بسبب الظلم الذي مارسته الأجهزة الأمنية للسلطة على حركة حماس، وعلى المقاومين. خرجت الخليل بالرايات الخضر تستقبل الأبطال، وخرجت بيت لحم، ورام الله، ونابلس، وجنين، وخرجت غزة عن بكرة أبيها، وفي استقبال مهيب لهذه الفئة المباركة من الأسرى بعد أن مَنَّ الله عليهم بالفرج ومن الأسر إلى الحج مباشرة... بالأمس كانوا في السجون، واليوم يقفون من على عرفات يلبون ويتطهرون... ويذكرون الله على ما هداهم، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[53].

الإضراب عن الطعام:

بعد أن مضى على الصفقة خمسة أشهر، وبقي في السجون رجال شبعوا من حليب أمهاتهم، وهم كذلك أوجعوا الاحتلال وأفقدوه صوابه منهم الجنرال عباس السيد، والجنرال جمال الهورن والبقية من الجنرالات القائد الفذ محمود عيسى،

[53] **القرآن الكريم**، سورة الجمعة، آية 4.

وعبد الناصر عيسى، والشيخ المجاهد جمال أبو الهيجا، ومهند شريم[54]، ومعمر شحرور[55]، وحسن سلامة، وأكرم القواسمي، وأيمن سدر[56]، ومعاذ وعثمان بلال، والقائد محمود شريتح[57]، وكثير من إخواننا. بعد هذه الفترة بدأ التفكير والعمل في الهم الحاضر، والذي لا يفارق ذاكرة الأسرى، ألا وهو إخوانهم في العزل الانفرادي، والذي طال أمده؛ طال طويلاً لاثنتي عشر عاماً للأخ القائد محمود عيسى، وحسن سلامة، والشيخ جمال أبو الهيجا، وعباس السيد، طال عليهم العزل. فدفع إخواننا بثقلهم وعلى الخصوص الإخوة الذين قادوا الإضراب بجدارة وكفاءه متناهيتين القائد جمال الهور معه الابن القائد مهند شريم، والأخ علاء أبو جزر[58]، من فتح "نفحة"، واتفق هؤلاء على أن الأيام القادمة حاسمة، ولا بدّ من خطة استراتيجية تخرج مَنْ في العزل من إخواننا، وأن تعود زيارات غزة لأبنائهم في السجون بعد انقطاع دام خمس سنوات. وأن يوقفوا هجمة مصلحة السجون ضدّ الأسرى.

---

[54] **مهند طلال شريم (1975–):** ولد في مدينة طولكرم، التحق في جامعة النجاح الوطنية، نشط في صفوف كتائب القسام إثر اندلاع انتفاضة الأقصى، شارك في الإعداد والتجهيز لعملية فندق بارك التي نفذها الشهيد عبد الباسط عودة، اعتقل في 2002/5/8، وحكم بالسجن لمدة 29 مؤبداً وعشرين عاماً. وكان اعتقل قبل ذلك 14 مرة في سجون الاحتلال ليقضي ما مجموعه ست سنوات لنشاطه في الكتلة الإسلامية.

[55] **معمر فتحي شحرور (1979–):** ولد في مدينة طولكرم، وحاصل على دبلوم تربية رياضية. انتظم في صفوف كتائب القسام مع اندلاع انتفاضة الأقصى. شارك في الإعداد والتجهيز لعملية فندق بارك التي نفذها الشهيد عبد الباسط عودة. اعتقل بعد مطاردة في 2002/5/9، وحكم بالسجن المؤبد 29 مرة وعشرين عاماً.

[56] **أيمن عبد المجيد سدر (1966–):** أسير مقدسي ولد في أبو ديس، متزوج وله ولد. اعتقل سنة 1991 لمشاركته في فعاليات حركة حماس في الانتفاضة الأولى. أسّس خلية لاختطاف جنود صهاينة، ثم تواصل مع كتائب القسام والقائد محمد الضيف. كُلف بتقديم الدعم اللوجيستي للاستشهاديين عصام الجوهري والمصري حسن عباس اللذين نفذا عملية مسلحة في "نحل اتشبعاه" بالقدس في 1994/10/9، وللاستشهادي أيمن راضي الذي فجر نفسه في 1994/12/25 في عمليات جاءت رداً على مجزرة الحرم الإبراهيمي. عمل على إنشاء خلية مقدسية خططت بتوجيه من الضيف لاختطاف جنود صهاينة ونقل سلاح من قطاع غزة إلى الضفة الغربية سنة 1994. اعتقل في 1995/5/12 عند حاجز إيريز العسكري. حكم بالسجن المؤبد و35 عاماً.

[57] **محمود حماد شريتح (1977–):** ولد في بلدة يطا جنوب الخليل. تخرج من كلية الهندسة في جامعة بيرزيت، وأصبح أمير الكتلة الإسلامية في جامعة بيرزيت وشغل منصب رئيس مجلس الطلبة 2001/2000. اعتقل في سجون الاحتلال وسجون الكتلة لنشاطه في الكتلة الإسلامية. انتظم في الانتفاضة الثانية في صفوف كتائب القسام حيث أسهم في التجهيز لعمليتين استشهاديتين ضدّ الصهاينة. اعتقل في 2005/10/17، وحكم عليه بالسجن المؤبد سبع مرات.

[58] **علاء شحادة أبو جزر ([1976]–):** ولد في رفح جنوب قطاع غزة. نشط في مقاومة الاحتلال إثر اندلاع انتفاضة الأقصى. اعتقل في أثناء سفره مع والده المريض في 2001/1/15، وحكم عليه بالسجن 18 عاماً. توفيت زوجته وبقيت ابنته وحيدة. استشهد شقيقه أيمن أحد قادة ألوية الناصر صلاح الدين بعد قصف طائرات الاحتلال لسيارته في شباط/ فبراير 2009. يشغل أبو جزر مسؤولية ممثل المعتقل في سجن بئر السبع.

قبل البدء في الإضراب، رفع إخواننا برسائل كثيرة إلى مصلحة السجون، تطالبها بأن تتحرك إيجابياً على صعيد العزل، وأن تحدد جدولاً زمنياً لعلاج هذه الظاهرة، لكن مصلحة السجون بقائدها لم تتفاعل مع هذه الرسائل، إلى أن جاءت اللحظة الحاسمة. فشكلت لجنة قبل الإضراب بأيام لم يسعفها الوقت، وغير مؤهلة لقرارات ملزمة تلبي القليل من مطالب الأسرى، ومهمتها فقط أن ترفع انطباعات عن حالة الأسرى، ولا حلّ إلاّ على مزاج قائد المصلحة.

اجتمعت اللجنة بمعظم السجون، وحضرت إلينا في السجن، والتقيت بها مع الأخوين الذين قادا الإضراب سامي حسين ورياض ناصر، وقلت لها بأن لا سبيل لوقف الإضراب وعدم الدخول به إلا بخروج المعزولين من العزل. وتنقلت اللجنة بين السجون وتحدثت إلى قيادات الإضراب قبل أن يبدأ، وحاوروها وحاورتهم، وقالوا لها: إنّ السجون على صعيد حركة حماس وتنظيم فتح في نفحة فقط اتخذت قراراً في الدخول إلى الإضراب... وحددوا له تاريخاً هو 2012/4/27. ثمّ في خطوة سريعة ومفاجئة قدموا التاريخ إلى يوم 2012/4/17، يوم الأسير الفلسطيني. حيث دخل نفحة بثقله، وحماس ريمون، وحماس إيشل في بئر السبع، وباء بالخذلان سجن عسقلان بقيادة فتح. وتضامنت السجون جميعها مع الإضراب ودخلت الجبهة الشعبية والإخوة في الجهاد الإسلامي هذه الملحمة، وكان للجبهة حضورها القوي في هذه المعركة، في الوقت الذي أجمعت فيه قيادات فتح في السجون على عدم الدخول في الإضراب... واجتمعت كما ذكرت من قبل في سجن ريمون لثلاث ليالٍ، خرجوا بعدم الدخول في الإضراب، بل وألقوا بأوامرهم على عناصر فتح بالانسحاب من الإضراب، لكن شباب غزة من حركة فتح رفضوا ذلك، وحازوا على شرف المشاركة.

كانت هذه القيادات قد غلبت مصالحها الذاتية على المصلحة العامة، بل ورضيت أن تكون ورقة ضغط ضدّ الإضراب، وهم مَنْ ذكرت سابقاً جمال الطيراوي، وكريم يونس، وجمال الرجوب... وآخرون.

ابتدأت معركة الأمعاء الخاوية... ومن يوم إلى يوم مع إضراب الإخوة الإداريين تفاعلت الأرض مع الإضراب وتضامنت السجون... ونحن في سجن بيتونيا "عوفر" تضامنّا جزئياً من خلال أيام متفرقة، وأسبوعين كاملين، إلى أن انتهى الإضراب على صعيد قسم واحد، ضمّ شباب حماس والجبهة الشعبية، ومشاركة إخوة من الجهاد الإسلامي وفتح كذلك.

ومضى المضربون في معركتهم، والأرض من حولهم تتفاعل، والإعلام أحسن دوره... ولا ننكر دور نادي الأسير بقيادة قدورة فارس، وكذلك دور وزير الأسرى في حكومة السلطة عيسى قراقع، وكذلك الإعلام في غزة لعب دوراً هاماً في تفعيل الرأي العام... إلى ما قبل ذكرى يوم النكبة 2012/5/15، حيث بدأت بشائر الانتفاضة الثالثة... لكن هذه المرة تجلى زخمُها داخل فلسطين المحتلة سنة 1948. فخاف العدو، وأدرك الاحتلال، أن الوضع على صفيح ساخن، وأن ما يلوح في الأفق خطير... خطير جداً، فأذعن أخيراً وبوساطة مصرية، وبقرار في مستواه أعلى من صلاحية مصلحة السجون، وذلك بحضور الشاباك، وقبوله بمطالب الإضراب وأولها: خروج مَنْ في العزل جميعاً دون استثناء؛ حيث انتهى دور مصلحة السجون، وأسلوب "القطارة" الذي اتبعته في حقّ ملفات العزل وعرضها كل ستة أشهر على لجنة مختصة بيدها تجديد العزل. وهيهات لهذا الأسلوب أن يَرْشَح بشيء، لأن عمل اللجنة مزاجي ولا يقوم على خيارات أو قواعد من المنطق.

قبِل الشاباك ومصلحة السجون بمطالب الأسرى، وخرج مَنْ في العزل مباشرة بعد أن أوقف الأسرى إضرابهم. وعندنا في معتقل عوفر قاد المرحلة وبجدارة الأخوان الكريمان سامي حسين (أبو إبراهيم)، ورياض ناصر (أبو مسلم)، وكانا على قدر المسؤولية. وإن كنت تجاوزت حدودي في بعض المواقف الضاغطة على الأخوين، إلاّ أنهما صبرا عليّ مشكورَيْن... وهذا قمة في أدب وأخلاق الرجُلَيْن. وكان الفضل في قيادة الإضراب للأخوين من حماس جمال الهور (أبو تقي) ومهند شريم، وعلاء أبو جزر ممثل عن فتح في سجن نفحة، والذي رفض ما أجمعت عليه قيادات فتح في السجون.

لكن بعد هذا النجاح الذي طار ذكره في الآفاق، وانتصر فيه الجوع على الركوع، وبعد هذا الانتصار الذي أخرج الحركة الأسيرة، من عقدة الفشل التي لازمتها سبع سنوات، جراء إضراب سنة 2004. بعد هذا الانتصار الذي أعاد للحركة الأسيرة اعتبارها، وأن صفقة وفاء الأحرار، التي طالما كان رجالها هم القادة لهذه المعارك، تحدث هذا الإضراب عن نماذج رائعة مخزونها النفسي والمعنوي والإداري، أتى بما لم تأت به جميع الإضرابات السابقة، في ظلّ انقسام داخل السجون، وخذلان ما كان لأيامنا الأولى أن تعرفه.

بعد هذا النجاح الذي غطى على فشل التجارب السابقة، تلكأ العدو، وعلى أقل من مهل في تنفيذ هذا الإنجاز وليقتلوه. إذ لم يفِ بما تعهد به، فخروج المعزولين من العزل لا يكفي، والعزل كان العنوان لهذه المعركة، والمطلوب هو الوفاء لا غير، لكن العدو ديدنه المماطلة.

إنه يماطل بحق المطالب الأخرى، حتى وإن استجاب مؤخراً بالسماح لأهالي غزة بزيارة أبنائهم في السجون، والذين انقطعوا عنهم طويلاً، هناك مطالب تقدم بها المضربون، ووافقت عليها مصلحة السجون، وهي ملامسة لحياة الأسرى؛ منها التعليم الجامعي، وعودة التوجيهي إلى قاعات السجون، ورفع القيود عن الخروج إلى ساحات السجن لساعات أكثر، وتحسين وضع الطعام كماً ونوعاً، والحد من سياسة الغلاء الفاحش لأسعار الكانتينا، حيث على سبيل المثال، الخمسة كيلوغرامات من التمر عندنا في كانتينا السجن تباع بـ 260 شيكل، يعني 45 دينار أردني (نحو 67 دولار)، بينما هي في الخارج تباع بـ 120 شيكل (نحو 31 دولار)[59]، بل أقل من ذلك. وكثيراً من الأحيان يأتوننا بالتمر البائر الرديء، فانظروا بربكم إلى هذا الابتزاز... وهذا الاستغلال، وهناك مطالب أخرى منها المنع الأمني لكثير من العائلات على صعيد الزيارات.

على كل حال، تنفست الحركة الأسيرة بعد نجاح هذا الإضراب. وإن شاء الله لن تحتاج إلى إضرابات أخرى بل الآن هو دور المقاومة من أجل تحريرهم، كما تحرر إخوانهم الذين عاشوا هذه المحن، فمنَّ الله عليهم بالفرج.

عاد الأسرى بعد الإضراب إلى حياتهم الرتيبة، وارتاحت الأعصاب من الخوف من المجهول، وحافظ قادة الإضراب عندنا على إنجازات الأسرى، وبقي مطبخ المعتقل بأيدي الحركة الأسيرة، دون بقية السجون. إذ الدخول في الإضراب أو المشاركة فيه تهديد مباشر لسحب هذه المرافق من الحركة الأسيرة، لكن لباقة وفنّ القيادة عند الأخوين سامي حسين ورياض ناصر، لم يترك لرجالات الإدارة مجالاً للسطو على هذه الإنجازات.

هذه هي معاركنا داخل السجون، أن نحافظ على البنيان الاجتماعي لهذه الحركة، وأن يبقى البنيان النفسي شامخاً، والإرادة قوية. والحمد لله على سلامة إخواننا، والحمد لله على هذا النجاح وهذا النصر. الحمد لله على كل حال.

[59] تمّ احتساب سعر صرف الدولار مقابل الشيكل الإسرائيلي وفق معطيات بنك "إسرائيل" المركزي في سنة 2012 الذي حدد سعر الصرف بـ 3.858.

مضت الأيام بعد الصفقة والإضراب على رتاتبها، ومع كل صباح أستفتح بالأخ الحبيب (أبي صالح) محمد عمار، الذي هو شقيق روحي. ففي كل يوم أبو صالح يقرأ من القرآن ستة أجزاء ورد يومي، وله ورد آخر مع طاولة التنس التي هي رياضته المفضلة، وقلما يغلبه أحد إلا المجاهد يحيى لدادوه مرة له، ومرة عليه. وبقينا على هذا الحال مع كل يوم إلى أن رحلوه إلى سجن النقب.

وسريعاً ما تمضي الأيام، وإذا نحن على أبواب رمضان، فاستقبلناه استقبال المحتاج الذي لفحه حرُّ الهجير، ولأنه ضيف خفيف الظل، سرعان ما يرحل، صمنا نهارهُ، وأعاننا الله على قيام ليله، وخطبت الجمعة الأولى منه، وقد وافقت الأول من رمضان، وأتى رمضان على خمس جمع، فليالي رمضان مباركة، والعشر الأواخر من رمضان غالية... غالية جداً. وليلة القدر على الخصوص أحييناها جماعة إلى أن صلينا الصبح، وكان شعوري وشعور إخواني أنها ليلة القدر، وقد استشعرنا بندى هذه الليلة وطلاوتها. حتى أن الكلاب المحيطة بالسجن للحراسة لم تنبح ليلتها قط. بينما في الليالي الأخرى لا تسكت عن النباح... فيا سبحان الله.

صمنا رمضان وأتحفنا الشيخ النائب خالد طافش بخطبة العيد بعد الصلاة، وعاش الإخوة في الساحة جواً احتفالياً رائعاً، بالدبكة والأناشيد الحمساوية، بالرغم من أن ذلك محظور عند إدارة السجن، إلا أنها فرضت عليهم، وبلباقة من الأمير رياض ناصر استطاع أن يخفف من احتقان رجال الإدارة، وهذه أناشيد العيد، وفرحة العيد. وأخذ الشباب بأغنية كل عام وأنتم بخير يا أهل الضفة الغربية... ويا أهلي في القطاع كل عام وأنتم بخير... وحماس تنادي والشهدا تنادي... ثورة... ثورة على اليهود... وهات "قَطِّبها" أو هات حيكها وقد سمعوها واضحة.

انتهت الحفلة على خير، وتزاور الإخوة فيما بينهم في الحجرات. وجزى الله أخانا المجاهد (أبا سياف) عبد الكريم الجعافرة كل خير، الذي أعد للسجن كاملاً، من الحلويات ما تشتهيه النفس، وبأشكال مختلفة ومذاقات طيبة؛ إذ هو المسؤول عن مطبخ السجن.

وبعد العيد مباشرة، صمنا الأيام الستة من شوال، لحديث النبي ﷺ: "من صام رمضان ثمّ أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر"[60]. والحمد لله، جميع مَنْ في الغرفة صاموها، وهناك من الإخوة قصروها على أيام الإثنين والخميس، وتقبل الله من الجميع.

وبعد العيد لم يبقَ إلا أسبوعين على الإفراج، فجاء يوم الأربعاء 2012/9/5، ومن سجن عوفر خرجتُ بعد حفلة و"بَدْعَة" وأناشيد بقيادة المجاهد خلدون البرغوثي... ومن الحمام حيث حماماتنا في خارج الغرف، وإلى أن خرجت من ساحة القسم والزفة على أشدها. سلمت عليهم جميعاً وودعتهم وأملي بالله ألا يطول عليهم هذا الحال، وأوصيتهم باحترام الأذان، وتلوت عليهم الآية: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[61]، لأن من الناس لا يشبع من الكلام، حتى والأذان يرفع.

كانت الإجراءات سريعة، من قبل إدارة السجن، وحتى وأنت في طريقك إلى الحرية، إلا أن نائب مدير السجن، وإن كان مازحاً، قال لي: "يشي تعوت" يعني في غلط في الإفراج عنك. لم أُعر ذلك انتباهاً فوقّع على الإفراج، وحملتني بوسطة السجن إلى حاجز بيتونيا، وبصحبة ضابط استخبارات اسمه موتي. وتعامل معي بكل احترام حيث أنه لم يضع القيود في يدي ولأول مرة، يخرج سجين وبلا قيود في يديه. وقال لي في اللحظة الأخيرة بعد أن نزلت من الحافلة: شيخ أبو طير، تذكر أنه يوجد يهود جيدون، قلت له: هذا صحيح، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً﴾[62].

على الحاجز العسكري استقبلني إخواني، وكان مفاجئاً لهم أني وصلت إليهم الساعة العاشرة والنصف صباحاً. والمعروف أنهم لا يطلقون سراح الأسرى إلا مع المساء، وأحياناً ينقلونهم إلى حاجز آخر. استقبلني الإخوة الكرام النواب أحمد عطون، والدكتور محمود الرمحي، والأستاذ محمود مصلح، والمجاهد الكبير سامي حسين، والحوت عبد الله السعافين، والدكتور ابراهيم أبو سالم، والإخوة من المكتب

[60] لنص الحديث وتخريجه انظر: **صحيح الترغيب والترهيب للمنذري**، الحديث رقم 1006. [المحرر]

[61] **القرآن الكريم**، سورة الحج، آية 32.

[62] **القرآن الكريم**، سورة آل عمران، آية 75.

إبراهيم السبع، وخلدون مظلوم، وبهاء فرح. وبعد حديث مع الصحافة انطلقنا إلى مكتب النواب في المصايف... والتقينا الناس ورحبوا بنا، والتقيت بأبنائي وأشقائي، وانطلقت بعدهما إلى البيت والتقيت بأهلي جميعاً.

وفي المساء، بعد صلاة العصر، كان الاستقبال في قاعة أفراح ليومين إلى الساعة العاشرة مساءً، وبعدها بأيام في مكتبنا، وفي البيت، وإلى تاريخ كتابة هذه السطور 2012/10/6، والناس لا ينقطع حبلهم في الزيارات للتهنئة. وجزاهم الله كل خير.

الفصل الثاني عشر

الاعتقال التاسع والإضراب الفريد، ذكريات وخواطر

الاعتقال التاسع والإضراب الفريد، ذكريات وخواطر[1]

ما إن تخرج مِنَ السجن، وتغالبك الحريةُ بمشاكلها، قبل أن تداعبك بمشاعرها، حتى يحيط بك الأذى مِنْ نسج العنكبوت. وما إن تتنسم أجواء الحرية المغلوبة بعد هذا الفراق القسري، حتى يساورك القلق، وتتلاهث مِنْ حولك أنفاس موبوءة. لا شكّ أن الاحتلال مِنْ ورائها، لتفسد عليك الفرحة بلقاء الأحبة، وتفسد عليك حالة الاستقرار الباهتة — التي لا سبيل للخلاص منها إلا بهزيمة الاحتلال— حتى وأنت تستقبل المهنئين، الذين هم بلا أدنى شكّ، مِنْ بينهم مَنْ هو عين عليك، فأمثالنا هيهات، هيهات، أن ينعم بالراحة في هذه الدنيا، وعلى الخُصوص مع هذا المحتل البغيض.

هي عشرة أشهر كاملة بحلوها ومرها، وعجرها وبجرها التي عشت أيامها بعد الخروج الأخير مِنَ السجن. ومِنَ البديهي أنْ تبقى حالةُ الموج على طبيعتها بين مدٍّ وجزرٍ في هذا الصراع المحتدم حتى يُدحر الاحتلال. فإن حربك مع الاحتلال له معادلة واضحة: إنْ تسكت عنه فإنه لا يسكت عنك، وقد نغّص عليك حياتك، وأخرجك من بيتك، وحال بينك وبين أولى القبلتين أن تحظى بالصلاة فيه. لأجل هذا عيونه لك بالمرصاد، تلاحقُك وتراقبُ زوارك، وتعدُّ عليك أنفاسك، وما في الهواء بينك وبينه، يُحصي عليك كلامك، وذهابك وإيابك، وغدوك ورواحك، حتى أنَّ بيتك غيرُ آمنٍ مِنَ التجسس عليك، فهم يعيشون معك، ويتنصتون عليك، وغير بعيد أن أغطيتنا لا شيء يسترها حينما يخلو الإنسانُ إلى أهله. وليس بجديد أنهم يتفننون في الأذى والفساد، حتى إن أحد الإخوة قال لي: بيتك ملغوم، والحديث الذي دار بيننا عندهم مكشوف، وواجهوني به، وقالوا: هناك حركات تعمدها الشيخ، وتمتم بكلمات، ما هي؟

ومِنْ ثم لا حرج أن يهتكوا ما ستره الليل، فهذه "إسرائيل".

[1] يتميز هذا النص من الكتاب بأنه دُوِّن في السجن في أثناء اعتقال الشيخ أبو طير التاسع، وسيلحظ أن النص يضم خواطر قد تحوي بعض التكرار، وذكريات تسجل بالتفاصيل الدقيقة للحظات مهمة في تاريخ الحركة الأسيرة، مرتبطة بالإضراب العام للأسرى الإداريين في نيسان/ أبريل 2014، بالإضافة لتوثيق لبعض يوميات وهموم مجتمع الأسرى.

وذات ليلة مِنْ ليالي البرد، ونحو الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ليوم الأربعاء 2013/2/4، وإذا برنين الهاتف الخليوي يوقظني مِنَ النوم، فأزعجني ذلك، وعكّر مزاجي، وقلت: مَنْ هذا الذي يقصدنا في هذه الساعة مِنَ الليل؟ وأول ما ذهب إليه ظني، هو الشاباك الصهيوني. ففتحت الخط وأنا متردد، وإذا بالأخت الفاضلة أم مجاهد، زوجة الأخ المجاهد النائب أحمد عطون، تقول لي على عجل: أخي أبو مصعب، جيش الاحتلال داهم بيتنا في البيرة، واقتحموه على أبي مجاهد يريدون اعتقاله، فانتبه للأمر، وكن على حذر. وكأن لسان حالها يقول: ﴿فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾[2]. فشكرت لها ذلك، وواسيتها مصبراً، وقلت لها: سلمي الأمر لله، وانتهى الأمر عند هذه الكلمات. ليبدأ ما تبقى مِنَ الليل بالخروج من البيت، ويذهب القلق ويتنفس الصبحُ عن يوم جديد بلا اعتقال. بالطبع استيقظ أهلي مع رنين الهاتف، وعلموا بالأمر، وساعدوني على الخروج مِنْ بعد ما تلفعت بثيابي لأتوقى برد الأربعينية مِنْ ليل شباط الصقيع. فغادرتهم إلى أنْ علا أذان الفجر لصلاة الصبح مِنَ المساجد. فذهبت لصلاة الصبح التي هي في العادة أنا إمامها في مسجد حارتنا. وصليت في الناس، ومِنْ ثمّ عدت إلى البيت بعدما تنفس الصبح.

لكن الاحتلال لا يريدنا إلا في السجون أو تحت التراب، وكلها قبور. لا يريد أصواتنا أن تلعلع في كشف أباطيله، ولا أن يسمعها أحد، ولا يريد لجيراننا أن نتفاعل معهم، لا يريد لزوارنا من ذوينا وأهالينا أن يحضروا إلينا، إن استطاعوا. يريدون لنا القطيعة وأن يقتلوا الجيرة فينا. وحتى مَنْ عرفناهم داخل السجون، محظورٌ علينا أن نتواصل أو يتواصلوا معنا، وكل كلمة عند القوم لها تفسير سلبي. لا يريدون لإسماعيل الزير، الذي عشنا وإياه في السجن، أن يأتينا بما اشترياه، وقد دفعنا ثمنه من اللحم البري، والجميد مِنَ اللَّبن، الذي يتفننون في صناعته، وهو كارُهم. نعم، إنه الأخ إسماعيل الزير مِنْ عرب التعامرة، والذي طمعني في الشراء، أنه يذكرني بالأيام الخوالي، يوم أن كان الرعاةُ يعتمدون على الرعي في علف أغنامهم، والعيش معها في البراري طلباً للعشب، والخلطة والتسمين لم يُعرفا بعد.

أتيت على هذا، لأن الشاباك الإسرائيلي واجهوا إسماعيل بما اشتريناه منه، وحسبوا ذلك ألغازاً، أو أسماءً مستعارة. وفي كل مرة أعتقل فيها، لا يغيب ما مضى مِنْ عمري

[2] **القرآن الكريم**، سورة القصص، آية 20.

داخل السجون، عند مشهد الاعتقال، ليكون مادة تحريض في المحاكم، فما تقدم مِنْ أيامك في السجن شاهدٌ عليك للتحريض عليك.

وفي ليلة 2013/7/3، وإذا بجيش الاحتلال يطرق علينا الباب، فقمت فزعاً، وفتحت لهم الباب بعدما أخذ أهلي وقتهم، كان ذلك قريباً من الساعة الواحدة والنصف ليلاً، حسب التوقيت المحلي لمدينة القدس، وقد أعياني ليلتها التعب، وأنا أتابع مجريات الأحداث في مصر المبتلاة بحكم العسكر الذي أفسد الحياة وأفقر البلد.

طرق علينا الاحتلال الباب ليلة الانقلاب، ففتحت لهم الباب، وقالوا: نريدك أن تذهب معنا أيها الشيخ، فاقتادوني دون أي يعبثوا بالبيت، بعد ليلةٍ سهرها أرحم مِنْ نومِها، لأن قليل النوم يتعب ولا يريح. فاصطحبت ما يلزم مِنَ الثياب والدواء، ودون أن يضعوا القيد في يدي، ولا العصبةُ على عينيّ، والاحترام هو سيد الموقف مِنَ البيت، وحتى معسكر بيت إيل شمالي مدينة البيرة، ولا يكون هذا إلا بتعليمات. وهناك صليت الصبح بعدما عضّني الليل ببرده، حتى تمنيت على الشمس أن تأتي بدفئها. ومع ارتفاع الشمس انطلقوا بي، بصحبة آخرين اعتقلوا في تلك الليلة، منهم الأخ المجاهد عمران مظلوم، الطالب في جامعة بيرزيت، وأياديهم في القيود البلاستيكية من الخلف، وأعينهم معصوبة طيلة الليل والنهار، إلى أن وصلنا سجن عوفر مع عصر ذلك اليوم. وكان من حظنا، بل من حظي أنا، أن أتت بنا الحافلة القدس من شمالها، لأمتع ناظري بمرابعها بعد طول حرمان، بعد ذلك أخذوا بي إلى مكاتب التحقيق، واستقبلني مَنْ أعرفه ويعرفني في حجرة من حجراتها ورحب بي كالعادة، والروتين هو... هو.

ما الذي أتى بك؟ قلت: أنتم، ثمّ أردف قائلاً: يقولون إنك حماس، وكنت ضيفاً على الكتلة الإسلامية في جامعة بيرزيت في انطلاقة حماس، وخطبت فيهم كلمة حماس، وشاركت في مسيرات وحضرت مهرجانات تأييداً لحماس. قلت: هل هذا كل ما عندك؟ قال: نعم، وربما يلحق. فقلت له: يا هذا، في كل ما مضى كان جوابي أني نائب في المجلس التشريعي الفلسطيني عن القدس وأهلها، عن المدينة الصابرة التي يرزح أقصاها وأهلوها تحت ظلم الاحتلال ونير التهويد والاستيطان، أما اليوم فأنا حماس، وأبوها لحماس، فاطْوِ ما عندك، وهذا ما عندي.

بعد ذلك ذهبوا بي إلى السجن، واستقبلني ضابط مِنْ بني معروف اسمه فؤاد الشاعر، محترم بكل ما تعنيه هذه الكلمة، فؤاد الشاعر أبو بيان، هو مِنَ الأدب والاحترام

بمكان، بحيث لم يسمح لأحد العاملين معه أن يرفع صوته عليَّ، ولتجاوز مني حصل. فناداه باسمه، إياك أن تأتي بالشيخ. وضابطان آخران مِنْ ضباط السجن أعرفهما، وهما على احتكاك مباشر يومياً مع الأسرى هما إيهود وموتي، اللذان ودعاني في المرة السابقة، استقبلني إيهود بالعبرية قائلاً: شيخ، لا ما حزرت؟ أي لماذا عدت ثانية إلى السجن؟ قلت له: إنه الاحتلال يا إيهود. إيهود وموتي تعاملا على الدوام بلطف واحترام، وما أساءا الأدب، ولو لمرة واحدة، ومنهم ضابط قسمنا نور نصر الدين فلفلة في التعامل مع الأسرى في القسم. نور ضابط مؤدب ومحترم وأول ما يلقي عليّ السلام يسأل عن صحتي، وقد جاءنا بدلاً من ضابطة يهودية اسمها "أورنا"، تتعامل مع عائلاتنا في الزيارة باحترام، بعدما تركت قسمنا، ولم تُسئ الأدب معنا يوم أن كانت في القسم.

ومنهم الضابط سليم عزام، الذي لا يتحدث إليك إلا على أدب جمّ وخجل، وكذلك الضابطان عويضة وشحادة محترمان والأدب حاضر في كلامهما، وهناك مَنْ أحاطني برعايته الطبية وأدبه واحترامه، ولهم في نفسي حظهم من الاحترام. إنهم العاملون في عيادة السجن، الممرضون، الذين صبروا على حديثي معهم، والذين دعوتهم ودفعت بهم للذهاب إلى الجامعة، وألا يربطوا مستقبلهم مع مصلحة السجون.

إنهم الرئيس سامر حمود، والرئيس عزمي عبيد، الذي حلّ محل سامر، والممرض المحترم المؤدب وسيم دبور، وخزام، ومنهم الشباب المؤدب أمير صلالحة، ورامي، ونمر، وأيهم وتامير. رامي الذي قال لي: يقشعر بدني عندما أسمعك تؤذن لصلاة الصبح. هؤلاء هم الذين أرغب أن أردهم إلى بني معروف، ولقد تفانوا في خدمتنا، وتعاونوا في تقديم العلاج لنا. بل إن المسؤول العام في العيادة يهودي اسمه شاحر، غريب عجيب في أدبه، حتى إنه لا يتحدث إلينا إلا على خجل، وكذلك الممرض المتميز في أدبه كميل أبو عسلة.

بعد إجراءات الاستقبال، ذهب بي أبو بيان إلى قسم (12) لأرتاح مِنْ عناء ذلك اليوم، ومع صلاة المغرب وعدد المساء دخلت القسم، واستقبلتني غرفة 5 وعلى رأسهم الحبيب أبو عاصف [عمر] البرغوثي، وخلدون البرغوثي، وعمرو أبو غوش، الناطق باسم القسم، ومصعب غيظان، وصهيب غيظان، الذي أحبه، ومحمد المبتسم، مهند سعيد وعبد الله غيث. وفي الصباح جمعتنا الساحة بالأحباب؛ الشيخ صالح العطية، والدكتور

محمد غزال، والابن البار محمد ناجي صبحة، والحاج رزق الرجوب، والشيخ سليمان العاروري، والطبيب أمجد الحموري، والأخ جواد الجعبري، وآخرين الله يعلمهم.

وما أن استقر الحال، حتى عهدوا إليَّ بإمامة الصلاة في الحجرة وفي الساحة، فاعتمدت الدعاء والقنوت في كل صلاة جامعة أن يرفع الله البلاء عن إخواننا في مصر، أن ينصرهم، وأن يمكن لهم في الأرض، وأن ينصر الله إخواننا في سورية، وغزة، وتونس، وليبيا، وتركيا، وفي الأرض كل الأرض، وأن ينتقم الله مِنَ الظالمين... مِنَ المجرمين... مِنْ قادة الانقلاب في مصر. اعتمدت هذا الدعاء وأكثر، انتصاراً لإخواننا في مصر، وللمسجد الأقصى الذي حيل بينه وبين زواره مِنَ المصلين، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾[3]. المسجد الأقصى وعلى مرأى من العالمين العربي والإسلامي، يُمنع مصلوه مِنَ الوصول إليه، ويتعرض للهدم والتهويد.

في ظل رابعة، وانقلاب مصر:

كنا على موعد مع الشهر الفضيل، سبعَةُ أيام بيننا وبين رمضان، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[4]. شهر رمضان الذي هو سياحة الأمة، والذي هو حافل بانتصارات الأمة، شهر رمضان الذي هو مدرسة الأمة في السلوك والانضباط، والانتصار على الذات. وأتينا على لياليه بالقيام، بصلاة التراويح مع القرآن، ونهاره صيام، صيام بكل ما تعنيه هذه الكلمة. إنها رحلة النفس مع القرآن، ورحلة النفس في مراغمة الشيطان. ولقد عشنا رمضان صياماً وقياماً بجوانحنا وجوارحنا مع إخواننا في مصر على الخصوص، عشناها بهموم أثقل من الجبال، وكنت خطيباً لأكثر مِنْ جمعة في رمضان، وحظّ إخواننا هو الأوفر من خلال هذه اللقاءات. تحدثت عن مدرسة رمضان، وعن فلسفة الصيام، وعن ملكة التقوى، وعن انتصارات الأمة في يوم بدر، ويوم الفرقان، وعن فتح مكة، وعن معركة بلاط الشهداء، وعن فتح عمورية، وعن عين جالوت، التي يسميها الصهاينة عيد حيرود، وقلت: إن رمضان ميدان للنفس البشرية، وإن الذي لا ينتصر في ميدان النفس البشرية، هيهات... هيهات أن ينتصر في ميدان الحرب مع عدوه، وأتيت مِنْ خلال كل خطبة على الظروف التي تمر بها حركتنا، وعن الظلم الذي لحق بإخواننا هناك في مصر. وعن الانقضاض على الشرعية، وإلى

[3] **القرآن الكريم**، سورة البقرة، آية 114.

[4] **القرآن الكريم**، سورة البقرة، آية 185.

أين قادة الانقلاب ذاهبون بمصر وشعبها؟ وما مِنْ شكّ أن الأمة في مشارق الأرض ومغاربها، كانت تلهج بالدعاء لإخواننا على هذه البلاء الذي نزل بساحتهم، ولا شكّ أن تركيا كان لها موقفها المشرف بقيادة رجب طيب أردوغان Recep Tayyip Erdoğan مِنْ زمرة الانقلاب، فقد لذعهم في قلوبهم، ووقف مع خيار الشعوب.

أتت علينا العشر الأواخر مِنْ رمضان، واجتهدنا في العبادة حتى جفا النومُ عيوننا، وكانت ليلة القدر، وختمت القرآن بها، وجأرت إلى الله وإخواني يؤمّنون أن يرفع البلاء عن إخواننا في مصر، وفي سورية، وغزة، وتونس، وتركيا، أن ينتصر الله لإخواننا في محنتهم هذه. ولا شكّ أن الله مطلع، ويتجلى لحال عباده في محنتهم، وما هو بغافل عما يعمل الظالمون بل إنه —سبحانه— يضحك لما فيه عباده كما جاء في الحديث: "عجبَ ربُّنا من قنوطِ عبادِه وقُربِ غِيَرِه؛ ينظرُ إليكم أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يضحكُ؛ يعلمُ أن فرجَكم قريبٌ"[5].

ثمّ جاء العيد، والعيد في السجن في ظلّ هذه المحن، يحتاج إلى معنويات، وإلى تعبئة نفسية، وإلى اصطناع الفرحة وبعث الهمة. ولقد طوفت مِنْ خلال خطبة العيد بأحوال الأمة، وعن رحلتنا وأمتنا مع شهر رمضان، وعن دوره في تزكية النفوس وتربيتها، والتكبيرُ هو نشيدنا من بعد صلاة الصبح، وحتى صلينا صلاة العيد. وبعد انقضاء الخطبة، احتفلنا بالتحية والسلام، واصطفّ الجميع بشكل دائري، بعد أن تصافحت الأيادي بدفء القلوب وحرارة الأرواح وأنشدنا نشيد العيد:

هو الحق يحشد أجناده ... ويعتد للموقف الفاصل

فصفوا الكتائب آسـاده ... ودكـوا به دولة الباطـل

وبعدها:

كل عام وأنتم بخير يا أهل الضفة الغربية
كل عام وأنتم بخير، كل عام وأنتم بخير
يا أهلي بالقطاع، كل عام وأنتم بخير

وهكذا عشنا لحظات العيد، وإدارة السجن بضباطها تتميّز غيظاً للذي تسمع وترى.

[5] انظر نصه في: أحمد عبد الحليم ابن تيمية، **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، تحقيق: عبد الرحمن قاسم ([الرياض]: [د.ن]، 1978)، ج 3، ص 139. [المحرر]

على كل حال، الخُطب كلُ الخطب، في جميع المناسبات، إنْ هي إلا فتوحات ربانية تلقي بظلالها، وهيهات لذاكرتي أن تعيدها ثانية. ولقد طلب مني ولدي الحبيب سيف الإسلام دغلس أن أكتب له خطبة خطبتها يوم الجمعة، ووعدته، ولكن لم أفِ له بذلك، لأني لا أستطيع أن تعيدها ذاكرتي، وليسامحني ولدي سيف.

وذات مرة خطبت الجمعة في سجن عسقلان، في حضرة أستاذنا أبي سليمان، المهندس حسن القيق، فقال رحمه الله: هذه خطبة حقيقٌ بها المسجد الأقصى، وأن تُلقى مِنْ على منبره، فحمدت الله وقلت: يا ليتها مسجلة، فقال رحمه الله: نعم، إنها مسجلة، ففهمت قصده، أنها عند الله. كان ذلك سنة 1990، من القرن الماضي.

بعد العيد مباشرة نوينا على صيام الستة من شوال، وصمناها على ترقب وتخوف أن يفعلها المجرمون، فيقتحموا على إخواننا ميداني رابعة والنهضة. فالذي ينتظر إخواننا تنوء عن حمله الجبال، وأن تُهدم الكعبة أهون عند الله مما يخطط له هؤلاء... مِنْ عبد الفتاح السيسي إلى رفيق دربه وزير الداخلية "هامان"... وإلى عدلي "مكسور" الذي أتوا به رئيساً. إنهم يعدون العدة لأمر جلل، فالهمّ ثقيل بعد هذه الرحلة مِنْ رمضان، وما يزال قائماً بالرغم من كل الحشود بملايينها، لأن الذي استمرأ الغدر والخيانة لا يُؤمَن جانبه، ولأن الذي قد هتك الستر الذي بينه وبين الله لا يخاف الله. فالحال صعب، وأيامنا عشناها على تخوُّف، وحصل ما توقعناه، ووقع ما خشيناه، فجاء الاجتياح لميداني رابعة والنهضة، والميادين كلها، وأفسد علينا كل شيء، كان ذلك في 2013/8/25. لقد بشَّع المجرمون مِنْ قادة الانقلاب، وجعلوا مِنْ أجساد إخواننا وأخواتنا ملاعب لمجنزراتهم وطائراتهم ورشاشاتهم وقنابلهم، لقد ديست الأجسادُ الطاهرة لإخواننا وأخواتنا بالمجنزرات التي قادها السيسي وجيشه، نعم جيشه هو، وليس جيش الشعب، لأن جيوش الدول والشعوب لا تعمل بشعوبها هكذا.

على كل حال، ما مِنْ خطبة جمعة، إلا ولهذه الأحداث نصيب فيها. فهذه هموم حاضرة بقوة، وقلوبنا ملذوعة للذي دهى إخواننا في مصر. نعم تحدثت عن القلوب الملدوغة التي صبرت على هذا الطريق، ودفعت ضريبته، القلوب التي حملت همّ الدعوة إلى الله، والصابرة على المحن، والقابضة على الجمر، والتي توالت عليها الابتلاءات، وقلت مخاطباً الظلمة: لا تفرحوا يا سفلة العالم، فالطريق لنا ولن يكون لغيرنا، لا تفرحوا أيها

الظلمة، فالظلم مرتعه وخيم، ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾[6]. لا تفرحوا فالنصر آتٍ لا محالة، ومهما طال انتظاره، النصر آت، وأنتم في الهزيع الأخير من ليل الظالمين. ثمّ عرجت على الآية من سورة الحج: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾[7]. وعلقت عليها ما يكفي، وقلت: يا إخواننا في سجون الظلمة، إننا على موعد مع الفجر الصادق، وإن أعظم قرارٍ اتخذتموه هو السلمية في المظاهرات، وإن رجوعكم القهقري هو الانتحار، ولن تعود زينب الغزالي مرة أخرى إلى الزنازين، فالصبر، الصبر، والوحا، الوحا فلقد اعتلى البنيان على الهدم، وإن خصومكم لا يزالون يجهلون العناد فيكم، وكما قال الشاعر:

أرى العنقاء أكبر أن تصادا　　فعاند مَنْ تطيق له عناداً

نعم، هذه همومنا داخل السجن، وقد ابتلينا بفضائيات فُصلت على مقاس الانقلابيين، كالعربية والسكاي نيوز Sky News وفضائية السلطة، التي سمحت بها مصلحة السجون على صعيد الأخبار؛ وحتى تبقى الحقيقة غائبة، ونبقى في غيبوبة عمّا يجري في الخارج. وألا تسمع أخبار هذه الفضائيات أبقى لعافيتك، وخير لك لأنها لا تأتيك إلا بالسموم، أما الطيب من الأخبار فتأتينا عن طريق القادمين الجدد الحديثي عهد بالخارج، والأخبار التي في جعبتهم، تغنيك عن هذا الإفك الذي تطنطن به تلك الفضائيات.

عودة إلى الاعتقال الإداري:

بعدما عرضت النيابة العسكرية الملف على المحامي الأستاذ فادي القواسمي، قالوا له: عليه خمسة عشر شهراً وقف تنفيذ، هذه بهذه، فرد عليهم، هذه قضية سقفها ثلاثة أشهر، فقالوا له: إذاً ستة أشهر إداري، والستة بالطبع تبعتها ستة أخرى، ويا ليتها لا تتعدى.

وبعد أربعة أشهر على الاعتقال، حضر إلينا من "النقب" الأخ المجاهد النائب أحمد عطون، على طلبٍ منا ورغبةٍ منه. ليستريح مِنْ عناء السفر، وهمّ "البوسطة"، وليصوم معنا الأيام الأولى مِن ذي الحجة. لقد وصلنا أبو مجاهد صائماً، فكان حضوره موصولاً بعاطفة الأيام الخوالي، وصام إخواننا جميعاً يوم عرفة، والتكبير تصدح به الحناجر.

---

[6] **القرآن الكريم**، سورة الفتح، آية 10.

[7] **القرآن الكريم**، سورة الحج، آية 15.

وأصبحنا مع عيد الأضحى، واستأنفنا التكبير من بعد صلاة الصبح، وحتى قمنا لصلاة العيد فصليناها، ثمّ وقفت خطيباً مستفتحاً بالتكبير:

"الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، نشيد العيد، الله أكبر لحن الشهيد، الله أكبر يُفل بها الحديد، الله أكبر؛ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، الله أكبر ما صائم صائم وأفطر، الله أكبر ما طاف طائف بالبيت وكبر، الله أكبر ما قام قائم ليلهُ وأوتر، الله أكبر قبل الكتائب كان آذاناً يفتح الأمصارا".

نعم، لقد كان استهلالاً طويلاً. ثمّ ذكرنا أنفسنا بخير الزاد، بتقوى الله، وخاطبت أعداء الأمة:

> يا هؤلاء، لن تقتلوا فرحة العيد فينا، فنحن أمة ترى عشقها في الجهاد، ونحن أمة عنوانها التضحية والفداء. ولقد استوت الأمورُ عندنا، وهي علينا سواء، أينما كنا، وحيثما حللنا، لأنه "من رضي فله الرضى"، هنا في السجن أو هناك خارجه، نعبد الله ولا نعبد رباً سواه، نعمل جاهدين للقضاء على الجاهلية في نفوسنا، ونعمل جاهدين لاستئناف الحياة الإسلامية في قواعدنا وأوساطنا، ونعمل على تحرير أوطاننا، مِنْ سرطان الاحتلال وأخطبوط الصهيونية. يا إخواننا: إن بهجة العيد تتجلى في هذا اللقاء الإيماني، وفي هذا الصفاء الروحي، وفي هذا الدفء الإخواني. وإن بهجة العيد تتجلى في الثبات على الحق، والصبر على المكاره، وإنه العيد لهذه الأمة يردها إلى أبيهم إبراهيم عليه السلام، وولده إسماعيل: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[8]. إنه يوم الاستسلام والإذعان والانقياد لهذا الدين العظيم، وإنه يوم التضحية والفداء ويوم التلبية والعطاء. إنه يوم الحمية للذين انتفضت فيهم حميةُ الإسلام، وأكلتهم الغيرة على الإسلام، وللذين آثروا العزة على حياة الذل، وللذين يراغمون الشيطان، وصبروا على محنة السجن والسجان، للذين صبروا على أنفسهم قبل أن يصبروا على مَنْ خالفهم، إنه نداءٌ لأصحاب القلوب الملذوعة: أن قد هيئوك لأمرٍ لو فطنت له، فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل. إنه صرخة لمن أكلت قلوبَهم همومُ المسلمين هنا في فلسطين، وهناك في مصر، والصومال، وسورية والشيشان أن آمنوا ثمّ

[8] **القرآن الكريم**، سورة الصافات، آية 103–105.

آمنوا حتى يستعلي الإيمانُ على كل شيء، وحتى تستقر حقيقته في قلوبكم، وحتى تنتصر إرادتكم على الشهوات، وحتى تخرج النفسُ مِنْ حظها. وأن ازحفوا ثم ازحفوا، وزاحموا الصفوف ولسان الحال يقول:

لبيك إسلام البطولة كلنا نفدي الحمى
لبيك واجعل من جماجمنا لعزك سلما
لبيك إن عطش اللوا... سكب الشباب له الدما
لبيك... لبيك... لبيك

هذه مقتطفات من خطبة العيد، عيد الأضحى، واحتفلنا بالمألوف بعد أن تصافحت الأيادي بحرارة القلوب ودفء الأرواح، وعاطفة الأخوة، وبالأحضان كذلك، واصطف الجميع في حلقة واحدة، على صعيد الساحة، وأنشدوا نشيدنا الإخواني:

هو الحق يحشد أجناده ... ويعتد للموقف الفاصل
فصفوا الكتائب آســاده ... ودكـوا به دولـة الباطـل

ولقد اصطنعنا فرحة العيد لتخفف عن إخواننا هذا الفراق، وخاصة الذين دخلوا السجن لأول مرة، وليكون هذا اللقاء عزاءً لإخواننا، والشعور الفياض، أن الله سبحانه لا ولن يتخلى عنا، ولا عن إخواننا. ولقد استشعرت، كما استشعر غيري بنفحات الله تتجلى علينا، وصدق الله: ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِنْ أَمْرِكُم مِرْفَقاً﴾[9].

وقع الموت على الأسير:

بتاريخ 2013/9/30، وبينما نحن جلوس في غرفتنا، وإذا بالأخ أبو إبراهيم [سامي حسين] يحيطني علماً بوفاة الأخ الأستاذ أيوب عبد الجليل دلايشة (أبو ماهر)، وماهر سجين معنا وفي قسمنا، وأبو ماهر، رحمه الله، لنا معه معرفة وصحبة، وبشهادة الأحباب من مخيم الجلزون... وكما حدثني الحبيب باجس نخلة كان من العاملين في حقل الدعوة، ولا يتأخر عن طلبٍ من ليلٍ أو نهار.

[9] **القرآن الكريم**، سورة الكهف، آية 116.

على كل حال، أتينا بالأخوين ماهر والأستاذ عدنان خطاب، وقدمنا بين يديهما حديثاً عن الموت، يُفهم من خلاله أن المتوفى يخصهما، وأن الموت سُنة جارية، وكأس دائرة على الجميع، وطالب لا يمل الطلب. والأخ ماهر يحوقل، والأستاذ عدنان صامت لا يعلق، وفي ظنّ ماهر أن المتوفى هي والدة الأستاذ عدنان، وهي عمته لماهر وأخته لأبيه، فقلنا: يا ماهر، رحم الله أباك، فقد وافته المنية صباح هذا اليوم، فاصبر واحتسب. فما كان منه إلا أن رفع برأسه إلى صدري وقد أجهش بالبكاء. فرحم الله أبا ماهر، وفتحنا غرفتنا للعزاء، وأخذنا بخاطر الأخوين ماهر في والده، والأستاذ عدنان في خاله.

قسم (12):

قِسْمُنا هذا يقطنه 120 سجيناً، منهم ثمانية رفاق شعبية، والباقي حماس، وقلعتنا هي قلعة الشهيد محيي الدين الشريف. أما على صعيد الأقسام الأخرى، فهناك قسم (16) يقطنه النصف من حماس والبقية من الجبهة الشعبية. وكان لي زيارات للإخوة هناك، فيهم عدد من النواب هم الأحبة: محمد جمال النتشة، ومحمد إسماعيل الطل، وعبد الجابر فقهاء، ونزار رمضان، ومحمد ماهر بدر، والوزير السابق عيسى الجعبري، والأخ الحبيب نبيل النتشة، والأحباب عزام حسونة، ونضال القواسمي، ومحمد تحسين شاور، ومازن النتشة، والدكتور عدنان أبو تبانه، ولفيف من الكرام يعانون من ظلم السجان، ومن قهر الحيطان والقضبان. وذات مرة وعلى كرمٍ مِنْ إخواني هؤلاء، ودعوة من أبي همام النتشة خطبت الجمعة فيهم. ويكفي من هذه اللقاءات الحميمة والشحنة الأخوية التي يصنعها هذا اللقاء، بهذه الوجوه الكريمة، مما يهون على الجميع مِنْ كابوس الاعتقال، فَنَفَسُ الرجال يحيي الرجال كما يقال.

الاعتقال الإداري وقرار الإضراب:

الاعتقال الإداري اعتقال احترازي ظالم، وإجراء تعسفي جائر، ورثته دولة الاحتلال عن حكومة الانتداب البريطاني، وطورته مع الأيام وشرَّعت له في برلمانها، واستثمرت الرأي العام العالمي في حربه على الإسلام بدعوى الإرهاب، ولتجعل منه سوط عذاب تذيق به الويل لرموز الحركة الوطنية وعلى الخصوص أبناء حماس، ولتجعل منه ذريعة لممارستها الظالمة ضدّ هذه الشريحة من الشعب الفلسطيني. بل وتعدى ذلك بالضرر والأذى إلى محيط كل معتقل إلى جموع الأهالي، فما مِنْ بيت إلا وينكب مِنْ تداعيات هذا

الإجراء الظالم. حتى نواب الشرعية مِنْ حماس، دون غيرها، لم يسلموا مِنْ هذا الأذى. بل هم في دوارة متجددة، والأمر غالباً محصورٌ فيهم إلا أفراد من الجهاد الإسلامي والشعبية.

إن الجميع مِنْ أبناء حماس عانوا طويلاً مِنْ هذا الظُلم، وخاصة القيادات مِنَ الصف الأول والثاني والثالث، وإن بعض الإخوة أمضى سبع سنوات متتالية، ومنهم مَنْ أمضى اثنتي عشر سنة على فترات متقاربة. فانظر إلى هذه السنين تأكل مِنْ أعمارنا بلا ذنب ولا تهمة، فهي مشكلة استعصت على الحلّ، وحالة مرهقة لهذا الجموع، حتى بلغ السيل الزُبى عند هذه الشريحة مِنَ الإداريين، الذين طال عليهم أمدُ هذه الحالة. حتى إن الحديث يدور بين الإخوة ومندوبين عن مصلحة السجون، وعلى رأسهم الدكتور بيطون، والذي هو حلقة الوصل مع الشاباك، قالوا له: إن أيامنا هنا أكثر منها في الخارج، وإذا خرجنا فهي زيارات في ظلّ هذا الإجراء. هذا ما سمعته من الأخ الحبيب نبيل النتشة في حواره مع بيطون، فالسجن هو القاعدة والخارج هو الاستثناء في حياة المعتقل الإداري. بالطبع هي رسائل حملها الدكتور بيطون للشاباك، ولكن، "على بال مين ياللي بترقص في العتمة"، فهذه الحوارات لم يَرْشَح عنها شيء.

لذلك توجه الإخوة للاحتجاج، فتداولوا الأمر بينهم، وأشبعوه رأياً وشورى، وتشجعوا له، وتواصلوا مع الإخوة في "النقب" و"مجدو". وتشكلت لجان هنا في "عوفر"، وهناك في "النقب"، ليدخل الجميع إضراباً مفتوحاً عن الطعام، وشعاره الخلاص من الاعتقال الإداري، أو "إلغاء سياسة الاعتقال الإداري". واتفق السجنان عوفر والنقب على انتهاج خطوات تصعيدية تبدأ بمقاطعة العيادة، ثمّ مقاطعة الدواء، ثم إضراب عن الطعام ليومين في الأسبوع حتى الوصول إلى اليوم المتفق عليه لخوض غمار معركة الأمعاء الخاوية.

وفعلاً بدأت الخطوات، وباشرت لجنة "عوفر"، التي يرأسها الأخ نبيل النتشة وعضوية الأخوين عبد الجابر فقهاء وجمال الطويل، أعمالها، وكذلك الإخوة في "النقب" باشرت لجنتهم، برئاسة الأخ رأفت ناصيف وعضوية يوسف اللحام وطلال أبو عصبة، عملها. وكان الأخ المجاهد فادي حمد مندوباً للجنة "عوفر" في قسم (12)، ولم يتخلف أحد من الإداريين حتى المرضى عن المشاركة في الخطوات التصعيدية.

لكن الإخوة في "النقب" اجتهدوا أن يعلقوا الخطوة، لوعود كاذبة من الشاباك ومصلحة السجون، وسيطها الدكتور بيطون. وهي أحلامٌ دغدغت عواطف بعض الإخوة هناك، فأثاروا بها حفيظة إخوانهم في "عوفر"، واعتبروا التعليق خذلان من "النقب". ومِنْ خلال هذا التصعيد، رحَّلت إدارة "النقب" المجاهد رأفت ناصيف إلى سجن مجدو، المقطوع عن بقية السجون.

تخوفات من إضراب المعتقلين الإداريين المفتوح:

الإضراب المفتوح هو الخطوة الأخيرة في عرف المعتقلين، فهو السلاح الأخير الذي يستخدمه الأسرى في مواجهاتهم مع مصلحة السجون بعد استنفاذ جميع الجهود، وعنوانه دائماً مطلبي لتحسين ظروف الاعتقال، ولم يرتق إلى عنوان سياسي. أما الإضراب عن الطعام هذه المرة عند الإداريين لم يكن مطلبياً، ولا هو إضراب ضدّ مصلحة السجون، وإنما أخذ بُعداً آخر، بُعداً سياسياً وضدّ الشاباك، ضدّ سياسة الاعتقال الإداري.

فهو إضراب سياسي بامتياز، وهو ذاهب إلى كسر عظم إن صحّ التعبير. وتقديراً للموقف، منا مَنْ تحفظ على سقف هذا الإضراب، وعلى صيغة بيان الإضراب المصبوغة بالإلزام، وهذا لم يحصل من قبل، فالإضراب المفتوح خيارات وقدرات، أما الإلزام فهو لغة جديدة في عرف الاعتقال. بل إن الداخل على غير رغبة ولا قناعة، سيكون حمله أحمالاً، والثقل أثقالاً، والمعاناة عنده بلا حدود. لهذه الاعتبارات، ولتخوفي أن الإضراب السياسي، ضدّ الاعتقال الإداري، ومن وراءه الشاباك، ومن ورائهم جميعاً الكنيست ودولة الاحتلال، لن يكون من السهل أن تستجيب له دولة الاحتلال، لأن الاعتقال الإداري بمثابة الحزام، والدرع الواقي لسياستها الأمنية.

تحفظت وبعض الإخوة، منهم الأمير العام الأخ سامي حسين، والشيخ صالح العطية، والدكتور محمد غزال، على هذا السقف، وعلى التباين القائم بين "عوفر" و"النقب"، مع قناعاتنا أن يوماً واحداً، بل ساعة واحدة في السجن ظلم وإجحاف، وأيَّ إجحاف، فكيف بتحديد الاعتقال الإداري لمدة سنة، وبرضى منا؟

تحفظنا جميعاً والإخوة محمود الورديان وأبو مجاهد [أحمد] عطون مِنْ باب تقدير الموقف؛ لأنه تحول ملفه من الإداري إلى قضية. ووصلت رسالتنا إلى الإخوة في قسم (16)،

نقلها محرضاً الدكتور أمجد الحموري، الذي أراد أن أقود هذه الخطوة، ووجد هذا التحريض أرضاً خصبة عند إخواني في قسم (16). فكتب إليّ الأخ الحبيب أبو همام النتشة برسالة مضمونها أن هذه معركة قد آن أوانها، وأن الاستقطاب لها على أشده، فلنحرض لها، ولنمضي على بركة الله. ومع عظيم حبي لأبي همام، فقد أبديت تقديري وتخوفي، وإخوة آخرون كذلك، لأبعاد هذه الخطوة. فإن كان الهدف مِنْ ورائها هزيمة الشاباك، ومِنْ ورائه الكنيست، فإن دولة الاحتلال تقول لنا: موتوا. كما قالها من قبل وزير الأمن الداخلي تساحي هنغبي يوم أن أضربنا سنة 2004، على صعيد جميع السجون، وهو إضراب مطلبي، فكيف بهذا وهو سياسي بامتياز؟

وربما أكون مخطئاً في تقديري للموقف، لكنه رأيي، ورأي مَنْ يقرأون الواقع مِنْ أصحاب التجارب، وقد ذكرت أسماءهم. ولئن استجاب الشاباك لحلٍ بعد الإضراب، فلن يقبل أن يعالجه بشكل جماعي، بالصورة الجماعية التي دخلها المضربون، وإنما يعالج كل ملف لكل معتقل على انفراد، والله أعلم.

إنني أتحدث عن تقييم حالة، إذْ إنّ دولة الاحتلال، للاعتبارات الأمنية، لن تتخلى عن سياسة الاعتقال الإداري، وقد مارسته ضدّ الفلسطينيين في الداخل قبل حرب 1967، بعد قيام دولتها سنة 1948، ولم يكن وقتها مقاومة ولا انتفاضة. وشأنها في هذا شأن 38 دولة في العالم تمارس هذا الإجراء، وإن تنازلت عن شيء منه، فذلك يعني العودة إلى التحقيق العسكري، وإلى الكسر والخلع في زنازين التحقيق.

ظلم الإداري دفع بالمعتقلين الإداريين إلى أن يقاطعوا أولاً المحاكم العسكرية، والتي لا تعمل إلا بوحي من الشاباك، والتي كان الإداريون يعزون أنفسهم في الذهاب إليها. وإن كان هناك من دافع لذلك، فإنه "الفرفطة" و"الفشفشة"، كما عبّر عنها الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان رحمه الله:

برقت له مسنونة تتلهب ... أمضى مِنَ القدر المتاح وأغلب
حزّت فلا حدّ الحديد مُخضبٌ ... بدم ولا نحر الذبيح مخضب
وجرى يصيح مصفقاً حيناً ... فلا بصرٌ يزوغ ولا خُطى تتنكب

ولطالما قلنا للنيابة الصهيونية ولمحاكمها، خذونا للتحقيق أو حاكمونا، أما أن تحتجزونا هكذا باسم المواد السرية الكاذبة التي تعرفونها ولا نعرفها، فماذا يسمى

هذا؟ هذا ظلم زيادة على الظلم الذي نحن فيه... هذا هو التلذذ بعذابات الآخرين. ولكن دون جدوى، فالحاكم قبل النيابة وبعدها هو غريمك، وما يقرره الشاباك لن يخرج الحاكم عن نصه. ولقد سبق للإداريين أن قاطعوا المحاكم سنة 1996، ثمّ رجعوا عنها، وهذه الأيام كل مَنْ خاض الإضراب عن الطعام، على صعيد الأفراد، فالحل لا يتم إلا بصفقة مع الشاباك، وعن طريق المحكمة، وعلى مزاج الشاباك.

لقد كتب لي الأخ أبو همام رسالة ليبدد تخوفي وتحفظي على هذه الخطوة، قبل أن يعلِّق "النقب" موقفه، "وكأنك يا أبا زيد... ما غزيت". وإن كان لي كلمة في أبي همام، فهو، واللهِ، أكبر مِنْ أن أقول فيه، إنه فارس الميدان، وإنه الذي هزم عدوه في جميع معاركه، وهو الذي لا يبارى، وقد كان له تجربته في هذا المضمار. فالله يشهد أن ما بين روحي وروحه عشق، وأن الصبايا لو يعلمن ما بين روحَيْنا مِنْ دفء وعاطفة وحب لأكلتهن الغيرة. وهذه رسالة أبي همام، يا رعاهُ الله:

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد
وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم أن نلقاه...
أخي وشيخي وصديقي الحبيب "أبو مصعب" حفظه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،
وأسعد الله أوقاتكم بكل خير

بدايةً، أُشهد الله أنّي أحبّك في الله حبّاً كبيراً، وأنَّ لك في القلب منزلة وقدراً، وعلم الله أنني أدعو لك في أوثق الأوقات والحالات التي أتوجه فيها إلى ربي وربك بأن يجعل لك في كل ميادين الخير نصيباً وحظاً، وأن يكتب لك الله فرجاً عاجلاً وشيكاً، وعوْداً إلى أهلك عزيزاً قريباً... إن ربي سميع الدعاء.

أخي الأحب الأعز...

لقد عزم الإخوة —كما تعلم— على مواجهة الاعتقال الإداري بخطوات، وقد شرعوا بذلك الفعل. وأَعلم أنَّ لك، كما لي، كما لعددٍ من الإخوة بعض التحفظات على بعض الخطوات، أو على كلها... ولكن اتُّخِذ القرار بأغلبية كبيرة على خوض غمار المواجهة وبدأت المعركة، وليس لنا، والله، إلا أن نشدّ على أيدي إخواننا، وندعم خطوتهم ونرفع معنوياتهم. فالأمر اليوم جامع، والكل

له داعم، وإن كان بحاجة لِنَفَسٍ يبعث فيه الروح، فهو نَفسُ الشيخ الأثير الأديب الأريب الشجاع الكريم الحبيب محمد أبو طير.

صاحبي وشيخي الغالي،

لا أُخفيك، فقد كنت على تردد في بداية الأمر، غير أنّ تمادي العدو في الاعتقال الإداري من غير ما مناسبة ولا مبرر، وحماسة الشباب لمواجهة ذلك بكل قوة، دفع عنّي الريبة والشك في جدوى الخطوات، وأجدُني اليوم منشرحاً كما ذهب إليه الأحباب.

أخي وسيدي المفضال وزينة الرجال...

عزمتُ —أكثر من مرة— على زيارتكم، ولكن لم يتحقق لي ذلك، وكأن الإدارة لها غاية في المنع هذا... وإنّي لأرجو منكم —وأنتَ لا تردّ رجاء مُحب— أن يكون هذا الكتاب كافياً للمضي قُدماً على ما توافق عليه أحبتك وخاصتك وإخوانك، وأن تجعل كل همتك، وكل خبرتك، لدعم الخطوة، وإسناد المعركة برأيك الرشيد، وهمتك الصلبة، ونَفَسِكَ المبارك، وإني لك محب وبك واثق.

لك منّي خالص الودّ وعميق الدعاء
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
الجمعة 26/ذي الحجة/ 1434
11/تشرين ثاني/2013
أخوك
محمد جمال النتشة/ أبو همام

بعد هذه الرسالة، قمت بزيارة إلى قسم (16)، وجمعتنا الساحة مع أحبابنا، وتناجينا فيما بيننا والأخ أبو همام حول هذه الخطوة، وتحفظاتي عليها، وأبديت موقفي مِنْ مدى جدية دخول "النقب" ومشاركته في هذه الخطوة. وأنه هو نفسه وجه عتاباً قاسياً للذي فعلوه. و"النقب" تاريخياً بجميع الفصائل، لم يسبق له أن خاض غمار هذه التجربة، يوم أن جمعت ساحاته عشرة آلاف معتقل إداري.

وبالعودة إلى القسم عندنا، فالتباين في الآراء شيء صحي، وهو حاضر، والوضوح هو السيد لا الغموض. واجتمع الإخوة الإداريون لأكثر من مرة على صعيد قسمنا، وتداولوا الأمر مع الأمير العام أبي إبراهيم [سامي حسين]. وناقش أبو إبراهيم الأمر

هنا وهناك في قسم (16) مع الإخوة، والتقى لجنة الإضراب هنا وهناك، ولم يبخل على اللجنة في إدارة الملف متجرداً، وبلا انحياز. ومن واقع المسؤولية تصرف —والإنصاف ألا يُعتب عليه— والمصلحة العامة هي التي نعمل من أجلها، ومع قناعاتي بأن التنظيم هو صاحب الشأن، لوجود معتقلين غير إداريين، فالتنظيم هو المسؤول، وهو الذي يقود، والثقة هي حبل الودّ بين اللجنة والأمير، بل الأمير دفع صلاحياته للجنة، وأعطاها حرية التصرف.

على كل حال، شاركت لمرة واحدة الإخوة الإداريين في اجتماعاتهم، وهي لم تتعد ثلاثة اجتماعات. مع أنني ما غيبت نفسي عن خطواتهم، لكن لِلَوم وعتاب لحق بي، ولتصرفات لم ترق لي، قلت لإخواني: ما أنا بالمتأخر عنكم، ولا أنتمً بالمتقدمين عليَ في هذه الخطوة. ولكن تجربتي علمتني ألا أكون مندفعاً في شأن يخص حياة الناس، وفي خطوة مصيرية كهذه، وألا يصادر رأيي بالخجل؛ لأن الأخ أمجد توعدني مداعباً، فشكاني إلى أبي همام ليكتب إليّ، فكتب إليّ، غفر الله لنا جميعاً. ولا أدري ماذا يُراد مني بعد هذا العمر وأنا في الرابعة والستين، وقد خرج الإجماع بإعفاء المرضى، ومَنْ هم فوق الخمسين من العمر.

وحتى لا يُظلم "النقبُ" فقد شارك أفراد منه لا يتجاوز عددهم 25 مجاهداً، إخوانهم في إضراب الكرامة سنة 2004، الذي خاضته حماس في "نفحة". كل هذه الأحداث دارت فصولها أواخر سنة 2013، وأوائل 2014، إلى أن جدّ جديد.

قرار الإضراب، نيسان/ أبريل 2014:

تنادى الأخوة من جديد هنا في "عوفر"، وهناك في "النقب"، لخوض غمار هذه المعركة، ضدّ سياسة الاعتقال الإداري. وبعد لوم من هنا، وعتاب لإخواننا هناك في "النقب" على تعليق الخطوة فيما مضى، تداعوا من جديد، وأثمرت الاتصالات على تحديد يوم للانطلاق. وبعد تعبئة ومشاورات ولقاءات هنا في قسم (12)، وهناك في قسم (16)، أجمع الكل على يوم الخميس 2014/4/24 أن يدخلوا في الإضراب عن الطعام. وتشكلت لجان من جديد، هنا في "عوفر" الأخ عبد الجابر فقهاء رئيساً وعضوية الأخوين أشرف عصفور وأمجد الحموري.

وجاءنا الأخ أشرف عصفور من قسم (16) زائراً لأيام، وهو يحمل المشروع الذي عليه سيدخل الإداريون الإضراب. وقد تحفظ الجميع هنا في قسم (12) على صيغة الإلزام التي جاءت في ثنايا البيان، والتي تبنتها اللجنة الجديدة، لكن مضى الإخوة في حشدهم. وجاء يوم الخميس... يوم البداية لمعركة الأمعاء الخاوية، وكل مَنْ دخل الإضراب من "عوفر" رُحّلوا إلى سجن الرملة، وأما النقب فتم عزلهم هناك في قسم الخيام.

لقد خرج من قسم (16) واحد وعشرون حمساوياً، وعلى رأسهم النائب المجاهد محمد جمال النتشة، وخمسة من الجهاد الإسلامي، واثنان من الجبهة الشعبية، ومن قسم (12) خرج ستة من حماس، وعلى رأسهم الأخ محمود الورديان وفرج رمانة، وقد أبلغت السجون بهذا، والهيئة القيادية العليا لحماس داخل السجون، وكذلك وسائل الإعلام هي الأخرى في صورة الحدث. أما "النقب" فقد دخل الإضراب منهم 46 من حركة حماس، وخمسة من الجهاد الإسلامي. ويصاحبهم جميعاً الدعاء في الصلوات الجامعة، ومن الليل، وفي صلاة الصبح. والخطوة ماضية إلى أن يأذن الله بحل لها، ورجاؤنا في الله أن ينصرنا، حتى إنه كتب إليّ أخي أبو همام برسالة ثانية أثبتها هنا، يستنهضُ الهمم، ويستنفر الجهد.

بسم الله الرحمن الرحيم
صديقنا الحبيب وشيخنا الكبير وأخانا الغالي العزيز
(أبو مصعب)
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،
وأسعد الله أوقاتك بكل خير

شهد الله أنَّ لك في القلب منزلةً وقدراً، وكم أنا مشتاق لنتناول الحديث معك أيها الصاحب الحبيب الأريب... سررت جداً بما وصلنا من حثّ للإخوة على اللحاق بالركب المنطلق، فقد أجمع الناس وعقدوا العزم، ويبدو أن بعض الإخوة القادرين على الإضراب في شكّ من جدوى الخطوة، وهم بحاجة إلى حفز وحضّ على المضي قُدماً مع إخوانهم، فالخطوة بحاجة إلى تعزيز بالعدد والإسراع ليبدأ الناس يوم الخميس بقوة وحشد جماعي مذكور معتبر.

لا ريب أنَّ كلمتكم ذات أثر في نفوس الأحبّة. نرجو أن تُتبع كلمتك المشجعة في اللقاء المذكور بكلمات على مسامع الإخوة فُرادى ومجتمعين، لنجعل من الأيام

المتبقية حتى يوم الخميس القادم 4/24، أيام حشد وحفز، لتكثير السواد، وجمع الجهد ليكون ذلك أدعى لنجاح المشروع وتحقيق الإنجاز، ولا ريب أن الشيخ أبا مصعب هو الأقدر على ذلك، إذ البعض بحاجة إلى كلمة من صاحب همة وتجربة كحضرة شيخنا الغالي الحبيب.

لك منّي كل الحبّ وكل الودّ وكل الدعاء بالفرج والخير كله
السبت 4/19/ نيسان/ أبريل/2014
19/ جمادى الأخرة/1435
بحبك كثيراً
أبو همام

وفي اليوم الثاني للإضراب، يوم الجمعة، خَطَبَنا الأخ عبد الرحمن اشتيه عن الحرية، يا رعاه الله، ولقد أحسن وأجاد، وألقى بإضاءات رائعة فقال:

الحمد لله رب العالمين، عليه نتوكل وبه نستعين، وإليه نلتجئ وله ندين، الحمد لله حمد مَنْ لا يرجو سواه، ولا يدعو إلا إياه، ولا يُتوكل إلا عليه، ولا يُطمع إلا فيما لديه، ولا يُفر إلا إليه، وأشهد أن لا إله إلا الله، ولا رب غيره، وأشهد أن سيدنا وقائدنا وقدوتنا محمد عبد الله ورسوله... حادي لواء الأحرار.

أما بعد، فيا أيها الذي آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفسٌ ما قدمت لغد...

فراشة هامت بضوء شمعة، قالت لها الأنسام: مجنونة أنت، كثير قبلك مَنْ أودى بهن الهيام، لم تسمع الكلام، وراحت تحوم وتحوم حتى هوت وحشرج الحطام، أموت في النور، ولا أعيش في الظلام، بل اسمع لسحرة فرعون لما آمنوا، ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾[10] وقالوا في موقع آخر من القرآن: ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[11]. فحين يتساوى البشر والكائنات في طلب الحرية، وحين تكون الحرية في كل زمان ومكان شعار الثورات والنهضات... كان التمايز في مناهج هذه الحرية.

[10] **القرآن الكريم**، سورة الشعراء، آية 50.

[11] **القرآن الكريم**، سورة طه، آية 72.

ثمّ قال، يا رعاه الله: "حريتنا نهج حياة"، وجعلها إضاءات:

أولاها: أن حريتنا مقيّدة، ثانيها: أن حريتنا عزة وكرامة، لقول النبي ﷺ: "اطلُبوا الحوائجَ بِعِزَّةِ الأنفسِ، فإنَّ الأمورَ تَجْرِي بالمقاديرِ"[12]، ثالثها: أن حريتنا ضرورة بحيث لا تبغي، ولا تطغى على حريات الآخرين، ولا هي على حسابهم، كردة فعل السلطان العثماني سليم الأول، على تنصير المسلمين في الأندلس، أراد أن يكره نصارى مصر على دخول الإسلام مقابل ذلك، فرفض شيخ الإسلام في عصره. رابعها: ولأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، كانت حريتنا واجبة لا تُستجدى، ولا نرضى بها مجزأة.

وتحدث رضي الله عنه عن معركة اليرموك في يوم ذكراها 25 جمادى الثانية/ 13هـ، فاستشهد بقول سيدنا خالد رضي الله عنه: "إنما تكثر الجيوش بالنصر وتقل بالخذلان". ودعا لإخواننا المضربين عن الطعام.

الإضراب، الانطلاقة والمعيقات:

انطلق الركب الكريم، انطلق قطار الإضراب، بصدورٍ حِمَمُها كالبركان —والله نسألُ أن يجعل النصر في ركابه— انطلق الركب من الرجال بهممٍ كالجبال، والذي يعتلج في صدروهم أكبر مِنْ كل التحديات. فلم يبق لهم خيارات، بعدما استنفذوا كل الخيارات. إنه لم يبق لهم إلا المواجهة الساخنة بالقوة الممتنعة، بعد التوكل على الله. إنه لم يبقَ لهم إلا شراع الجوع يمخر بسفينتهم ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾. ولم يبق لهم إلا الصبر على نقنقة الأمعاء الخاوية، وأن يتضامن الأسرى مع إخوانهم المضربين في معركتهم العادلة، وأن يتفاعل الشارع الفلسطيني، والرأي العام العالمي ضدّ سياسة الاعتقال الإداري الظالمة. فلا بد لهذه جميعاً أن تجتمع روافدها في نهرٍ واحد لِكَيِّ اليد الجائرة العقور، وأن تنتصر لمعركة الجُنوب الطاوية.

على كل حال، كانت لي زيارة لإخواننا في قسم (16) لثلاثة أيام، وفي هذه الزيارة نزلت ضيفاً على الأخوين الحبيبين نبيل النتشة ونضال القواسمي، وتمت سعادتنا بانضمام الأخ عيسى الجعبري ضيفاً على الغرفة فترة إقامتي بينهم. وحظيت بلقاء الإخوة

[12] لنص الحديث وتخريجه انظر: **سلسلة الأحاديث الضعيفة**، الحديث رقم 390. [المحرر]

جميعاً. وفي اليوم التالي للزيارة كانت الجمعة وكُنتُ خطيبَها. وجزى الله إخواننا خير الجزاء على حسن الضيافة، وعلى الحفاوة التي أحاطوني بها وهؤلاء هم أهل الخليل.

وكان الإضراب عن الطعام الحاضر القوي في حياة الأسرى، مَنْ أضرب منهم عن الطعام، ومَنْ لم يضرب. إنه سلاح القوة الممتنعة في مواجهة السادية الملعونة، والعدوانية المتغولة المستهترة... إنه معركة الجموع المغلوبة المقهورة، التي أخذت على عاتقها أن تنتصر لحريتها، ولإنسانيتها من الكراهية العمياء، ومن الحقد الدفين الذي يجري في حياة الاحتلال مجرى الدم... إنه معركة الأهالي مِنْ الآباء والأمهات، ومن الأبناء والبنات، ومن الإخوة والأخوات... إنه معركة العدالة ضدّ الظلم والنذالة، ومعركة الإرادة ضدّ الاستهتار والخسة والبجاحة، وإنها روح التضامن التي لا تغيب عن ضمائر الجموع الثائرة.

بل إنها حالة عاطفية تلقي بظلالها على الأرواح الطليقة، لتنتصر على شهوة الجوع، مِنْ أجل العيش في ظلّ حياة كريمة، إنها حالة عاطفية تُلقي بظلالها على يوميات الأسرى، وعلى نشاطات الساحة الاعتقالية، وعلى المزاج العام لهذه الجموع. فنحن جسم اعتقالي واحد: "إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[13]. وعواطفنا تعيش نسيجاً واحداً ومتماسكاً. ولوداع الرجال جراحات لها في القلب غُصة، وموقف له في الكبد قُرحة. وأصعب ما في الأمر هو العجز، ولكن هذا هو الطريق. ورياضة الصباح كذلك غاب عنها فرسانُها، وتبقى الأعصاب مشدودة لا تعرف التراخي حتى يترجل الفرسان عن صهوات الخيل بالنصر إن شاء الله. ولا شكّ أن مَن بقي من الرجال هم جزء من المعركة يخوضونها بخطواتهم التضامنية، "ومَنْ خلّف غازياً في سبيل الله فقد غزا"[14]، فهي معركة واحدة فرضتها ملحمة العواطف، حيث لا ينقطع الدعاء، ومع الدعاء لا يتوفر "القطران". ولا يتناول المرضى استحقاق الدواء، إلا مَنْ اضطر لذلك، وحالته لا تسمح بذلك. ومع الدعاء والامتناع عن الدواء تضامن في الميدان، والإضراب ليوم واحد في الأسبوع، أو ليومين، أو لثلاثة، وقد حصل، ولقد حاول القائمون على الأمر أن يأتوا بالإخوة من فتح ليتضامنوا، ولو ليوم واحد، لكن دون جدوى، فاقتصر الأمر علينا وعلى رفاق الشعبية حتى النهاية ومعنا الإخوة في الجهاد الإسلامي.

---

[13] جزء من حديث أخرجه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير.

[14] **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير، حديث رقم 2688.

ومن خلال أحاديث الناس، واللقاءات التي أمضيتها مع الإخوة في قسم (16)، وجدت وجْداً على فراق الأحبة، ووجدت تفاوتاً حول التصور لطبيعة المرحلة التي يمر بها الإضراب، كما وجدت توافقاً وانسجاماً في المشاعر بين جميع المجاهدين هنا وهناك، فمشاعر الجميع تفيض بالحيوية وتدفع بالتضامن وبقوة، بل ويوم الجمعة ولمرتين حرض الخطباء على التضامن، وفي الجلسات العلمية كذلك.

وكيف لا يكون هذا والمعركة معركة الجميع. والمضربون إخوانهم؟ وكيف لا تفيض مشاعرنا جميعاً هنا وهناك بالتضامن مع الشيخ الجليل محمد جمال النتشة؟ ومشهد الرحيل يعتصر له الفؤاد، وتتفتت له الأكباد؟ مَنْ منا لا تأخذه الحمية مِنْ أجل الشيخ أبي همام؟ ومِنْ أجل الجيش الذي خرج معه؟

لأجل هذا كرهت حديثاً نبا أطرافه إلى سمعي، يلذع القائمين على الأمر وبقية إخوانهم، وفيه ظلم وتحامل لا مبرر له، وسقطات لسان ظالمة، بلغت بأهوج أن رمى إخوانه بـ"المخلفين"، وهذا ظلم يفسد النوايا، ويفسد على الأخوة روحها، ويأتي على العمل ببرودة في المواقف، وزعزعة في العواطف. وكما قيل: "البعيد عن الطوشة"، "يقول عن حاله خيال".

لم يأل التنظيم وقيادته جهداً في نُصرة الإضراب، ودَفَعَ بالأمور دفعاً نحو التضامن، ووضع نفسه في خدمة الإضراب، وحرض للإضراب على عين قيادة التنظيم، والأخ باجس نخلة لم يُبق في قوس التحريض من منزع. وكذلك الأخ عدنان عصفور، وخطيب الجمعة لم يبق على أحد تحت عنوان: "الحمية والأعذار". والأمير العام هو الذي شكل لجنة إسناد لمتابعة أحوال المضربين مِنْ الإخوة باجس نخلة ونزار رمضان، والتنظيم هو الذي تبنى ويتبنى الإضراب بمسؤولية عالية، وهو الذي يدير معركة الإعلام وحركة التضامن ويتواصل مع وزارة الأسرى، ومع نادي الأسير ومع أصحاب الشأن في غزة.

وعندما تعرض للاعتداء الشيخ محمد جمال النتشة والأخوين محمد ماهر بدر —الذي كُسر إصبعه— وطارق ادعيس، من قبل فرقة التفتيش التابعة لمصلحة السجون، باشر الأمير العام سريعاً بالتواصل مع وسائل الإعلام، ومع الأخ قدروة فارس، والأستاذ فادي القواسمي، وجواد بولص، وطلب منهم زيارة عاجلة للأخ

محمد جمال النتشة للاطمئنان على صحته، والاضطلاع على طبيعة الاعتداء وحجمه. وهذا واجب لا يشكر عليه أحد: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً﴾[15]. ولكن لا يعرف الفضل لأولي الفضل إلا أولوا الفضل.

وبعد هذا التفاني مع الشعور بالتقصير، هناك مَنْ يخرج على هذه الروح ويعكر المِزاج، ويؤذي إخوانه ويُعرّض بهم، ويتعدى متبرعاً على صلاحيات التنظيم، لينقل أخباراً لا تخدم الإضراب، وتحمل في طياتها الأذى وعدم المصداقية وتفاجئ الرأي العام، والقائمين على الأمر، فالأخبار بابها التنظيم، وهو الذي يملك صحيحها. ومن الناس كذلك من ركب موجة الإضراب، ودفع بصدره مستعرضاً لأحداثه، وما كان له أن يغبر قدميه، نعم ما اغبرت قدماه، بل هو كَلٌّ على سواه، أحاط نفسه بهالة القيادة ظلماً وزوراً، والأدهى من ذلك، أنه أسقط فشله على "الشللية" و"المناطقية"، والأولى به أن يقول: دعوها فإنها نتنة. ووالله إن كان لها بداية، فمن عنده ابتدأت، وهو صاحبها ليبرر بالخديعة أضاليله ودخيلة نفسه، متكئاً في دواوينه على عُجْبٍ أصابه، وقد أشقى نفسه بثقة المجاهدين تحيطه بالمقت، وتلذعه بنظرات الشتيمة، لأنه خدعها ببُهرج الوجاهة، وبدد الثقة وقتل معاني القدوة في نفوس المجاهدين، وهذا كله مِنْ إفرازات الإضراب، وجزى الله الشدائد كل خير، لأنها تفضح دخيلة المرضى.

وعودة إلى قسم (12) مرة أخرى، فهو مُتَّكأُ القوى والنشاطات واللقاءات والحوارات، ولا يقل حميّةً وعطاءً عن بقية الأقسام في موقفه من الإضراب، وقد دفع بِمَن فيه من الإداريين لمعركة الإضراب، إلاّ مَنْ له عذره أو سُحِبَ إلى التحقيق. وشرّ الناس من لا يقبل عذراً، ولا يقيل عثرة، فدفعات التضامن منها مَنْ انطلق في إضرابه، ومنها مَنْ ينتظر دوره، والمعركة تتدافع أحداثها من يوم إلى يوم... ولا يعلم نهايتها إلا الله.

الدواء كوسيلة احتجاج:

أما موضوع الدواء الذي يتم استغلاله في الإضراب كوسيلة للاحتجاج، فلي رأي فيه، وهو رأي عن تجربة وله وجاهته، حيث إن السجون عانت طويلاً من دور العيادة القذر في ابتزاز المرضى من الأسرى، فالرأي أنه ما دام الجميع لا غنى لهم عن الدواء، وأنه في النهاية سيصلهم مرة واحدة أو على دفعات، فالأحسن عندي أن أستلمه مرة واحدة

[15] **القرآن الكريم**، سورة الشورى، آية 23.

على رأس كل أسبوع، وأنه لا منطق في الذهاب إلى العيادة يوم، يوم، تحت اسم الاحتجاج والتعويق على العيادة وإدارة السجن؛ فالقانون عند عيادات مصلحة السجون أن تستلم الدواء يومياً وشخصياً.

فإذا غَلَبنا العيادة بالحصول على الدواء مرة كل أسبوع، وعن طريق الناطق باسم القسم وهو أخونا، فهذا بحدّ ذاته إنجاز. ولا يحصل هذا إلا بتعاون الممرض معنا، أما أن أعود إلى السيرة الأولى تحت مسمى الاحتجاج، فهذا لا أستسيغه، ولا ينسجم مع تجربتنا، وأجد في هذا فلسفة غير ناضجة، لأن الماضي يشهد على عيادات مصلحة السجون بأنها كانت وكراً للإسقاط الأمني والأخلاقي، والحالة التي وصلنا إليها اليوم ناضجة جداً مع احترامي لرأي إخواني. والحالة هذه مسموح بها هنا في سجن عوفر، وغير مسموح بها في بقية السجون.

سجن عوفر والإضراب:

"عوفر" معتقل للموقوفين من جميع الفصائل، وفيه قسم للأشبال، ومن بينهم الأسرى الإداريين. وعندما دخل الإخوة إضرابهم، كان لسجن عوفر دوره الطليعي في قيادة الإضراب والدعوة إليه. بل كان متقدماً على بقية السجون في إضرابه ومواقفه، وفي تضامنه وحراكه. حتى إن ضباط مصلحة السجون قالوها بصراحة: أنتم متقدمون على الجميع في شأن الإضراب، وأنتم من يحمل لوائه، بالرغم من أن عوفر مركز توقيف. والحقّ أن سجن عوفر تفاعل بموجة عالية مع خطوة الإضراب، بالرغم من أنه يفتقر إلى القليل مِنَ الاستقرار، ولأن ميزته السلبية هي التجديد لهذه الجموع الوافدة. فما مِنْ ليلة إلا ولها حظها في الاعتقالات، ولسجن عوفر حظهُ الأوفر في استيعاب القادمين الجدد، فهو يستقبل ويودع كالمطار ولا يعرف الاستقرار. والمسؤولية كبيرة، ومع هذا فهو الذي يتحمل العبء الأكبر في هذه المرحلة الفاصلة، مع إقرارنا أن صوت المضربين هو الذي يعلو على الجميع، فالسجون الأخرى ما يزال دورها بطيئاً في دعم هذه الخطوة، وهي مدعوة للمشاركة.

بل وتعجب أن عوفر، بوضعه الاستثنائي الذي يتكئُ على عدم الاستقرار، والذي تتغير أيامه بديموغرافية جديدة كل شهرين على التقريب، ويزاحم بقية السجون ليأخذ دوره في دعم هذه الخطوة. وبعيداً عن الذين أضربوا من الإداريين، فإن الدفعة

الأولى من المتضامنين لحقت بالإضراب بأعداد بلغت 49 متضامناً من حماس والشعبية والجهاد. والجبهة الشعبية كانت حاضرة في الإضرابين الإداري والتضامني، وكذلك الجهاد الإسلامي، ومن بينهم رفاق كرام كقُصي حسونة، وسالم بادي، وعبد الرزاق فراج، وغسان جابر، ومحمد قاحوش، وبشار دعنا، ومن الجهاد جمال حمامرة، وداود حمدان. وليس هذا فحسب بل على الطريق دفعات أخرى تنتظر، بينما المطلوب من النقب أن يدفع بحجمه، ومن نفحة أن تحافظ على رمزيتها، وفيها أبو تقي. وأما سجن مجدو فلا يُقبل منه الحياد، ولا مِنْ بقية السجون كذلك، وعلى الهيئة القيادية العليا أن تأخذ دورها في هذه المعركة، ولا يقبل منها زحف السلحفاة، مع تحفظي على مصطلح التوريط الإيجابي، وهو سلبي بامتياز، والذي طوى عليه بعض المضربين جوانحهم بقناعات ليس هذا سبيلها، ولا هي إيجابية في قيادة الناس.

بعد أسبوع من زيارتي لقسم (16)، عدت إليه ثانية لخطبة الجمعة بعد أن جاءنا ضابط السجن بخبر مفاده أن خطيب الجمعة ذهب في سفرية للعلاج إلى مستشفى الرملة ولما يعد بعد، فعرضوها على الأخ النائب أحمد عطون فاعتذر، فأخذت العيون تبحث عن بديل، والحيرة تطوف بيننا في نظراتها، وكأنها تريدني، فتبرعت متثاقلاً بالرغم من تعبي مِن الخطبة الماضية، وحتى أرفع الحرج عن الحاضرين.

وتشرفنا في يوم الإثنين 2014/5/12 بزيارة الإخوة الكرام نبيل النتشة وعيسى الجعبري ونضال القواسمي وفراس طبيش، بناءً على طلب الأمير العام، للوقوف على آخر المستجدات التي تتعلق بالإضراب، ولتشكيل لجنة طوارئ تقود المرحلة. وقد استنفذت الدورة الانتخابية نصابها القانوني، ولتتولى مسؤولية الفترة الانتقالية، إلى أن تتجلى معركة الإضراب، في ظلّ جوّ لا يسمح بإجراء انتخابات عامة. ولقرب الأخ أبو إبراهيم [سامي حسين] مِنْ ساعة الفرج، وقد اقترب أجلُها، فحضرت وجوه الخير وبقية الشورى ولجنة الإسناد مع الضيوف الكرام، واجتمعوا في غرفتنا، وبحضور الأخ أحمد عطون، وكاتب هذه السطور. وافتتح الجلسة الأمير العام، وخرجت الشورى بتشكيل لجنة طوارئ مِنَ الإخوة الأمير العام، وباجس نخلة، وشكري الخواجا، ونبيل النتشة، وفراس طبيش وماجد ربايعة. وانفضَّ الاجتماع على حلّ لجنة الإسناد وبقية التنظيم، وأنْ تأخذ اللجنة دورها في مسألة الإضراب إعلامياً وتضامنياً، وأن تتواصل مع الجهات الرسمية والحقوقية وبقية السجون لدعم الإضراب. ودعونا الله لهم بالتوفيق.

مضى على الإضراب عشرون يوماً ثقالاً، على المضربين وعلى المتضامنين، وأخذت حركة الشارع الفلسطيني بالتفاعل، ولكنه تفاعل خجول، وعلى تفاوت في بعض المحافظات، وإن تألقت الخليل على الجميع في الحراك. وكذلك نشكر لإخواننا في العمق الفلسطيني على تفاعلهم هناك في حيفا، وأمام السجون، حيث يقيمون صلاة الجمعة وسواها. والمطلوب هو المزيد إلى أن نعتق إخواننا مِنْ الأسر، ويتحرروا مِنْ نير الاعتقال الإداري إن شاء الله.

شهداء على عتبة "عوفر":

في يوم الخميس 2014/5/15 كانت الذكرى السادسة والستين على نكبة الشعب الفلسطيني؛ يوم أن شردته العصابات الصهيونية على وجهه هائماً، وأخرجته من دياره عنوة وقسراً بقوة السلاح سنة 1948. فخرج الشعب الفلسطيني في ذكرى النكبة في مسيرات حاشدة، ومظاهرات عارمة كلمتها واحدة هنا وهناك في أرض الشتات: لا بديل عن حق العودة إلا بالعودة، وحق العودة لا يضيع بالتقادم. وفي مواجهات هذا اليوم مع جيش الاحتلال بالقرب من سجن عوفر، وعلى أرض بيتونيا ارتقى إلى علياء الخلود الشهيدان محمد عودة أبو ظاهر، ابن الخامسة عشر من عمره من بلدة أبو شخيدم... ونديم نوارة، ابن السابعة عشرة من عمره، وهو ابن بلدة المزرعة القبلية، وخرج في تشييعهما جماهير غفيرة. وعندنا في السجن قمنا بواجب العزاء لأخينا الشيخ مشهور أبو الظاهر في ابن أخيه الشهيد محمد، فما أن سمعنا عن اسم الشهيد في الأخبار، إلا وذهب بنا الاسم إلى الشيخ مشهور. وهذه معركتنا مع الاحتلال في يوم من أيام النكبة.

يوم الجمعة 16 أيار/ مايو، وبعد صلاة الصبح وقراءة المأثورات، ذهبنا إلى فرشنا، وفي نفسي رؤية النبي محمد ﷺ، وقد طلبتها من ربي سبحانه، لأستريح مِنْ هَمٍّ ثقيلٍ جاثمٍ على صدري يخص إخواننا في مصر. وأنتظر يوماً في الغادر عبد الفتاح السيسي، وإذ بي في المنام أرى فضيلة المرشد الدكتور محمد بديع، رضي الله عنه، جالساً على أريكة في ثقةٍ واطمئنان، وتحفز وقوة وعنفوان، ويرتدي بدلة سوداء، مع ربطة عنق زرقاء في مظهر جميل، ومِنْ حوله وعلى الأرض أناسٌ مُنبطحون يرتدون ثياب العساكر بلونها الكاكي، ورؤوسهم في الأرض، وأدبارهم هي الظاهرة. فاستبشرت خيراً برؤية المرشد على هذا الحال وعلى ما فيه مِنْ شباب، ورأيت السواد الجميل في شعر رأسه.

وفي رؤية أخرى تخصني، قصها عليّ أحد الإخوة فقال: المشهد في دير قديس في منطقة المسجد رأيتك وبيدك مُصحف، فقلتَ لي: أريدك أن تُسمِّع لي المصحف، فقلتُ لك: سيستغرق ذلك وقتاً طويلاً. فقلتَ لي: سَمِّعْ لي ثلاثة مقاطع فقط، قمتُ بفتح المصحف على أواخر سورة الأنعام، وبدأتَ أنت بالقراءة، ثمّ بعدها شرعت في ابتهال ديني كان الواضح فيه "يا الله"، وكان النداء في كل مرة يرتفع أكثر، ومع كل صيحة كُنتُ أرى مجموعة مِنَ الناس تنضمُ خلفك وترفع يديها، وتقول معك: "يا الله" حتى أصبحت الجموعُ حاشدة.

إنهاء الإضراب:

إنها خطوة لم يكن في الحسبان أن تنتهي على هذا الشكل في ظنّ مَنْ ذهبوا إليها، فقد ظنوها مقرط العصا، قريبة المدى، صبحها قريب ونصرها سريع، ولكن هناك بون شاسع ما بين منطق السرايا ومنطق القرايا. على كل حال، إنها خطوة لم تُحْبَك خيوطها جيداً. ولأول مرة خطوة بدأها الإداريون بروح الارتجال، ولم يحيطوا بأقطارها في مواطن الدعم والتضامن، ومِنْ ثمّ لم يسلم في نهايتها المتورطون إيجابياً من القيل والقال، في ساحات التضامن. وعندنا مثل يقول: "اللّي بكبر حجره... ما بصيب".

بعد أن مضى على الإضراب ثلاثون يوماً لم يحدث أي اختراق، وبعد هذا الحشد المتواضع مِن التضامُن، الذي دفع به سجن عوفر وبقية السجون، والدور الإعلامي الذي قامت عليه وزارة الأسرى بقيادة الأخ عيسى قراقع، ونادي الأسير بقيادة الأخ قدورة فارس، ودور الإخوة في غزة، ودور الفضائيات والأهالي في المحافظات. على الرغم من كل هذا الدفع لم يحصل أي اختراق، ولم تُفتح قناة للمفاوضات بين المضربين والجهات المعنية الإسرائيلية، مما دفع بالأخ الأمير العام أن يتصل بسجون الجنوب نفحة، والنقب، وريمون، وبرسائل بعثها إلى سجون الشمال، في دعوة لإضراب مفتوح عن الطعام تدخله السجون.

ولأول مرة يحصل هذا في تاريخنا، أن يكون الإضراب غير مطلبي... كل هذا رحمةً بالموقف المتشنج، ونصرة للحال الذي وصل إليه المضربون. حتى يشكل ذلك ضغطاً على مصلحة السجون، ومن ورائها الشاباك الذي طلب مِنْ مصلحة السجون أن ترفع يدها عن هذه الخطوة؛ لأنها كما قالوا: هذه حربٌ تحوضها حماس مِنْ داخل السجون

ضدّ "دولة إسرائيل". لأجل هذا بادر الأخ الأمير العام بالاتصالات مع السجون المذكورة، وعرض عليها أن يدخل الجميع في إضراب مفتوح عن الطعام، ابتداء من يوم الأحد 2014/6/1، بعد أن تتداوله الهيئة القيادية العليا. لكنها لم تتخذ قراراً في ذلك، فبقي الأمر عائماً، وظنّ "النقب" كما ظننا أن الجميع وافقوا على خوض غمارها.

ولقد سمعت من الأخوين جمال الهور [مسؤول] خارجية الهيئة، ومحمود عيسى، نائب رئيس الهيئة، أن السجون غير مستعدة لمثل هذه الخطوة، وأن عليها أن تبقي على حالة التضامن ضمن البرنامج الذي سارت عليه، والباب مفتوح لكل طارئ. لكن وضع المضربين تخطى كل هذا، فمع نقلهم إلى المستشفيات تبدلت الحسابات، لأن في ذلك إرهاقاً للطواقم الطبية، والأمنية، والمالية لدولة الاحتلال. والذي يعنيه ذلك أن حالة التضامن باهتة أمام الذي وصلت إليه الأمور، وأن الإضراب سيأخذ شوطاً بعيداً، والتصعيد السلبي من قبل حكومة الاحتلال، مع أننا حزمنا أمتعتنا، وعقدنا العزم على دخول هذه الخطوة وقلتها في خطبة الجمعة واضحة: "أنا أبداً في موقف الجيش تحت السلاح"، كما قالها الرافعي.

فعزمت أنا وأخي أبو مجاهد أن نخوض غمارها. بالرغم من أن إخواننا تحفظوا على دخولنا لاعتبارات منها كبر السن، ولأننا أتينا على كل الإضرابات إلا إضراب 2012، ولظروفنا الصحية... ولا نزكي أنفسنا على الله.

يوم الإثنين 2014/6/2، ووسط هذه الأجواء، وفي زيارة خاصة وخاطفة، حضر إلينا زائراً من سجن الشارون محمد أحمد عطون، ابن أخينا النائب أحمد عطون ليوم واحد، بل لساعات، وكان لهذه الزيارة وقعها علينا. فبقدر ما أدخلت علينا السرور، بقدر ما أوجعتنا، فبلقائه سررنا، وعند الوداع حزنا، كنّا به حفيين، وكانت لوالده فرصة أن يلتقيه، وأن يحيطه بالنصيحة، وبقليل مِنَ التجربة، وكانت مشاعرنا فياضة لهذا اللقاء ولحرارة اللقاء ما بين الوالد وولده، وفي غرفتنا جمعتنا مائدة الإفطار، وكذلك الغداء، وكان لوداعه في القلب حرقه، وفي العين دمعة، وعند والده دمعات. ولم يتحمل محمد لحظة الفراق، فبكى وأبكانا، والحمد لله، فهذه ضريبة الجهاد يدفعها الآباء والأبناء، لقد كانت لحظات موجعة، وعند الله نحتسبها.

مضى على الإضراب خمسون يوماً، والشارع الفلسطيني يتفاعل بوتيرة عالية، والمعركة الإعلامية على أشدّها، نتاجاً لهذا الصبر العظيم، ونتيجة لهذه المعاناة الطويلة

التي يعيشها المضربون لحظة بلحظة. فهذا الإضراب بمستواه الجماعي، وحدوده الزمنية، تخطى كل ما فات من الإضرابات التي خاضتها السجون من قبل، وهذا الإضراب هو الأول لجموع الأسرى الإداريين في تاريخ الاعتقال الإداري. مما دفع بالشاباك أن يرفع بتوصياته إلى رئيس حكومة الاحتلال، بأن يتخذ إجراءً يُجبرُ فيه الأسرى المضربون على تناول الطعام بالقوة و"بالزندة". وفعلاً اجتمعت حكومة الاحتلال على هيئتها المصغرة التي تعرف بالكابينت... اجتمعت لثلاث مرات حتى تعالج هذا الموقف، وحتى تجد حلاً لهذه الأزمة. وقدمت اقتراحاً للكينست لتقنن ذلك، ووافقت عليه بالقراءة الأولى، ثمَّ اعتُمِدَ بعد القراءتين الثانية والثالثة. أما "الزندة"، فهي مصطلح عبري يتكون من خلطة الحليب والبيض والسكر، كان الأسرى يجبرون عليها في إضراباتهم من خلال طواقم طبية تابعة لعيادات مصلحة السجون، كانت تقوم بحقن الأسرى عن طريق البربيج، يوضع بطريقة قاتلة وبالقوة في حنجرة الأسير المضرب ويحقن بـ"الزندة"، فإما إلى معدته إن لم يضل الطريق، وإما إلى القصبة الهوائية، ثمَّ الرئتين إن ضلّ طريقه، وفي هذه الحالة يقع المحظور وتتم عملية القتل. وهذا ما حصل للرفيق إسحق مراغة من القدس، وللأخوين علي الجعفري من الدهيشة، وراسم حلاوة من غزة في إضراب نفحة سنة 1980، فكانت النهاية القاتلة والمقصودة عن طريق "الزندة". ولقد كان مقبولاً على الأسرى في حينها أن يتناولونها عن طيب خاطر، إلا أنهم كانوا يغصبون عليها ويرغمون إمعاناً في الأذى، وبهذه الطريقة يُقتلون. ولقد أثارت هذه التوصية ردود فعل غاضبة عند نقابة الأطباء الإسرائيلية، حيث إنها رفضت رفضاً قاطعاً أن تتعامل النقابة مع هذه التوصية، وهددت بإجراءات عقابية ضدّ كل طبيب لا يقف موقف النقابة أو يتجاوزه، وهذا موقف يُسجل لها.

في اليوم الخمسين من الإضراب تمت عملية خطف لثلاثة إسرائيليين من منطقة غوش عتصيون Gush Etzion شمال مدينة الخليل، أحدهما جندي في التاسعة عشر من عمره، والآخران من طلبة المدارس الدينية القائمة على الاستيطان وعلى العنصرية والكراهية للعرب، والتدريب على السلاح جزء من مهمتها، وهما في السادسة عشر من أعمارهما. وعلى أثر ذلك قامت الدنيا ولم تقعد لخطف هؤلاء الأولاد كما يزعم الاحتلال وقادته. فهؤلاء بأعمارهم هذه "نوعر"، ولم يبلغوا الحلم حسب دعوى الاحتلال مع أنهم من حملة السلاح.

أما أطفالنا الذين قتلتموهم بدم بارد، وهم حقاً دون سنّ البلوغ على يد جنودكم، كمحمد الدرة وإيمان حِجو، وأخيراً إحراق الطفل الرضيع علي دوابشة وهو ووالديه؛ وقد أتت النيران على البيت وما فيه، ومنذ أيام محمد أبو ظاهر ابن الخامسة عشر من عمره، ونديم نوارة ابن السابعة عشر من عمره، ولحق بهم شهيداً كذلك محمد أبو خضير الذي أحرقه "النوعر" من المستوطنين، بعدما أحاطوا جسده بالسكاكين في طعنات غادرة... فهؤلاء ليسوا أطفالاً في عرفكم، هؤلاء جنرالات، وهم جنرالات أكبر من جنرالات جيشكم، هؤلاء ليس لهم عائلات ولا أمهات. وإن فعلتكم في الفتى محمد أبو خضير، حددت حقيقة وجوهكم التي تتستر وراء الإجرام. إن أطفالنا الذين يُعتقلون يومياً، وهم ما بين الثانية عشر من أعمارهم والخامسة عشر... هؤلاء جائز في حقهم الاعتقال والترعيب والشبح والوقوف أمام المحاكم الإسرائيلية. فقط لأنهم فلسطينيون، لذلك لا تجوز الطفولة بحقهم، وهؤلاء ليسوا "نوعر" يا دولة الإجرام والإرهاب، ومن ثمّ فعليهم أن يعاقبوا حسب شرعة الاحتلال، وعليهم أن تقتل طفولتهم في سجونكم ومعتقلاتكم، وهم كثير. بينما المجندون من "النوعر" الصهيوني، والذين يعيثون في الأرض فساداً، وتحقنونهم بإبر الكراهية والتطرف من خلال مدارس الاستيطان، فلا يجوز تحجيم عدوانيتهم. هؤلاء القطعان من "النوعر" والمستوطنين الذين أتوا على حقول القمح كالخنازير فأحرقوها، وعلى أشجار الزيتون فقطعوها، وعلى المواشي والأغنام فسمموها وقتلوها وسرقوها. وعلى المساجد فانتهكوا حرماتها ودنسوها... هؤلاء يا دولة الإجرام "نوعر"، ولم يبلغوا الحلم. فلا يجوز لهم إلا مدّ حبال العدوان على غارِبها.

وعلى إثر هذه العملية، أعلنت حكومة الاحتلال عن الخليل ومحيطها منطقة عسكرية مغلقة، فاستباحت المدينة بيتاً بيتاً بأذرعها العسكرية والأمنية. واستدعت سلاح المظليين لهذه المهمة. وجميعها تعمل جاهدة على قدم وساق في البحث عن هؤلاء المخطوفين. نعم، لقد أعطوا الحق لأنفسهم أنْ يَفعلوا ما يريدون، فاستباحوا المدينة وما حولها من القرى والريف. والملفت للنظر أن تصريحات قادة الاحتلال جميعاً هي التركيز على أن المخطوفين صغارٌ في السن، وأن اختطافهم عمل إرهابي. والذي زاد الطين بلة هو الدور الذي تقوم به الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة، والتي وضعت كل إمكانياتها في خدمة الاحتلال، وتحت تصرفاته.

على إثر هذه العملية لم تكتف دولة الاحتلال بما فعلته في مدينة الخليل من خراب واعتقالات وترويع للأطفال والنساء، ولأكثر من مليون من سكان المدينة وضواحيها، بل وأتت على الضفة الغربية من شمالها إلى جنوبها، واعتقلت الجسم القيادي لحركة حماس، بما فيهم نواب عن المجلس التشريعي الفلسطيني، والعنوان هو العدوان بكل ما تعنيه هذه الكلمة، ولن أفاجأ بشيء لكل ما هو آت. فليس فيها إما نحن، وإما هم، بل نحن على طول المدى حتى نأتي على بنيانهم من القواعد، وما ذلك على الله بعزيز. وفي ظلّ هذه الأجواء المحمومة الساخنة، والتحريض على حماس هو الخطاب، فلا حديث عن الإضراب إلا بأكف الضراعة. وهذه أيامٌ ظِلُّها ثقيل... ثقيل جداً وتدور همومها ما بين الحال الذي وصل إليه المضربون، وقد أتى علينا من الهم ما يطغى على الإضراب... وبين الحرب التي تدور رحاها على أرض الضفة الغربية...

وكان الله في عون الخليل وأهلها. ولقد أوقدوها ناراً للحرب، ولن يتلظى بنارها إلا مَنْ أوقدها، وسيطفئها الله. أما حماس فلست بخائف عليها، وقدرها مع الأيام أن تأتي على دولتهم من القواعد، فإذا هي إلى زوال إن شاء الله. ولست بخائف على حماس ما دام في الميدان من يخشى الله، وعنده بقية وفاء لدماء الشهداء، وعندما يفرط مَنْ في الميدان بدماء الشهداء... عندها يصبح الخوف حقيقة، وهذا لن يكون بإذن الله لأن الظلم قد استنفد أيامه، ولأن الأمة لن ترجع القهقرى فيستحمرها العملاء.

لقد كان للإضراب دوره الإيجابي على صعيد حركة التضامن في ساحات الضفة الغربية ومدنها، فحراك الشارع الفلسطيني أثار حفيظة السلطة وأجهزتها الأمنية، والتي لا يعجبها هذا الظهور لحركة حماس بهذا الزخم. بل إن الذي فجر بحور الغيظ عند الاحتلال... هو أن يرى الضفة الغربية تتوشح بالأخضر مِنْ جديد بعد هذه السنين من الحرب التي مارسها الطرفان بالتنسيق فيما بينهما ضدّ حماس، ولكن هيهات!!

في يوم الثلاثاء وبتاريخ 2014/6/24، وبناءً على طلب إخواننا في لجنة الإضراب محمود شبانة وعبد الجابر الفقهاء، ذهبت في معية الشيخ الفاضل حسن يوسف إلى مستشفى تل هاشومير Tel Hashomer للقائهم، وكانوا من قبل طلبوا لقاءنا، لكننا اعتذرنا بسبب الإجراءات القمعية التي فرضتها دولة الاحتلال ضدّ سجناء حماس في سجونها دون غيرهم، حيث حصرت الفضائيات التلفزيونية في ثلاث، اثنتان منها عبرية وواحدة عربية وما هي بعربية وهي "العربية"، ولأنها على مزاجهم وتنسجم مع

سياستهم. وضيقوا على الفورات لساعة في الصباح لكل أربع غرف، وساعة في المساء، وبالطبع لوجود الحمامات خارج الغرف فإن ذلك على حساب الفورة، ويستهلك زمناً ليس بالقليل. وكذلك عقوبات على الكانتينا والزيارات، وهذا لحماس وحدها.

على كل حال، ذهبت في صحبة الشيخ، وأنا كاره لذلك، ولا أريد لأحد أن ينال مني، أو يشار إليّ. ولا أن يُسجلَ في صفحتي يوماً أني كنت سبباً في تعليق إضراب، ولا حتى مُتَّكأً لذلك. وإن كنت مِنْ أكثر إخواني رحمة بإخواني، وهم أصحاب القرار أولاً وآخراً. ومع المساء وصلنا إلى المستشفى في بوسطة خاصة أخذتنا ورجعت بنا بعد أن اجتمعنا بإخواننا في لجنة الإضراب، عبد الجابر فقهاء، ومحمود شبانة، وأشرف عصفور، وأمجد الحموري، وبحضور الإخوة جواد الجعبري، ومازن النتشة، ومحمود الورديان، وجمال حمامرة من الجهاد، والرفيق سالم بادي من الشعبية. ولحق فيما بعد الأخ داود حمدان، من الجهاد الإسلامي، قادماً من مستشفى آخر، ومنتدباً عن إخوة آخرين، وكذلك الأخ فادي عمرو، من حماس، قادماً من الجنوب، ومنتدباً عن بقية إخوانه هناك.

دخلنا على الرجال، وهم رجال شموخهم كالجبال، واستقبلونا بعاطفة جياشة، كالأرض العطشى في الشوق إلى إخوانهم، وإنهم كذلك، رجال ما زادتهم الأيام إلا ثباتاً، وانتصروا على الألم، وضربوا أروع الأمثلة في الصبر والثبات، ولهم قناة هيهات لها أن تلين!! فقدمني الشيخ للحديث، بعد أن ارتاحت العيون لهذا اللقاء، وتبادلت أرواحنا عاطفة الأخوة، وبادئ ذي بدء، قلت لهم بصراحة متناهية: أنتم أصحاب القرار، ولقد رفعتم رؤوسنا عالياً، وإضرابكم أتى على كل ما مضى مِنَ الإضرابات، واحفظوا عني للتاريخ، أنني لن أقبل على نفسي في يوم من الأيام أن يُسجل في صفحتي أني كنت سبباً في فكّ إضرابكم أو تعليقه، ولا حتى مُتَّكأً لذلك. ولا أطلب منكم أن تعلقوا إضرابكم، فأَنْتم مَنْ يقرر، ونحن فئتكم حتى النهاية.

فاعترضني الأخ أبو حمدي بأدب، وقال، بعد أن رحب بنا وحيانا: أنت شيخنا، ولن نقبل على أنفسنا أن نسبب حرجاً لمشايخنا، ولقد سعدنا بلقياكم، وتشرفنا بمجيئكم إلينا ونحن مَنْ طلبناكم أولاً وآخراً، فأنتم مشايخنا، وقرارنا اتخذناه قبل وصولكم إلينا، ولا نخجل أن نصدره للرأي العام، لكننا في غيبوبة عن الأحداث داخل السجون وخارجها. ونريد أن تضعونا في صورة الأحداث، فتحدث الشيخ حسن، رضي الله عنه، وأفاض في الحديث عن خارج السجن وحركة التضامن، والانتفاضة التي يعيشها الشارع الفلسطيني في مدن الضفة، ولقد كان لإضرابكم هذا الفضل في تثوير

الشارع، وكنتم السبب في خروج الشارع على المألوف، والضفة من شمالها إلى جنوبها يتضامن شارعُها مع إضرابكم.

ولقد ضاقت السلطة ذرعاً من حراك الشارع، واعتدت أجهزتها الأمنية على المتضامنين. فكم من اعتداء قامت به هذه الأجهزة ضدّ المسيرات؟ وعملت على إفشالها؟ حتى بلغت بها الوقاحة أن اعتدت على النساء، وحصل هذا في البيرة والخليل وطولكرم. فقالوا لنا، وهم يُصْغون إلى الشيخ بشغف: اعتدوا على أمهاتنا وأخواتنا؟ قلنا لهم: نعم، ولم يتورعوا. ومن ثمّ تحدثت ثانياً عن الأحداث داخل السجون، وعن ظروفها، وأن حركة التضامن الآن معلقة، لارتباطها بالذي يجري في الخارج، وفي الذي كتبته سابقاً يغني عن الإعادة. وأخيراً قال لنا الإخوة جميعاً وعلى رأْسِهمْ أعضاء اللجنة: إنهم للأوضاع التي في الخارج، اتخذوا قرارهم بتعليق الإضراب، وكتبوا في ذلك لوزير الأسرى، وللإعلام، ولمن يعنيه الأمر، وإن قرارهم كان مكتوباً قبل وصولنا إليهم، وطلبوا منّا أن نطمئن الجميع، وعلى الخصوص الأهالي، والأُسر، والعائلات.

ودّعناهم بحرارة الانتظار، وقد أخذنا على الدكتور بيطون عهداً، أن يعودوا إلينا مِنْ حيث خرجوا إن شاء الله، وقد كان هو في استقبالنا ومعه طاقم من مصلحة السجون، وتحدثنا مع قيادة الإضراب بمنأى عن حضورهم، وأن تُحفظ حقوق الإخوة. فوعد بذلك، وانتهت صفحة الإضراب والحمد لله ربّ العالمين، والمهم استخلاص العبر.

مدرستان في السجن:

هناك داخل الحركة الأسيرة مدرستان، لكل واحدة منها عيشُها الخاص بها، فالأولى مدرسة السجون المركزية التي يعيش في بطن حوتها إخواننا مِنْ ذوي الأحكام العالية، وعلى الخصوص المؤبدات وما حولها. والثانية مدرسة المعتقلات، التي اختفت أخيراً، وعاشت طويلاً تحت مسؤولية الجيش، ثمّ انتقلت فيما بعد صلاحياتها إلى مصلحة السجون. وكان من أهم المعتقلات ثلاث هي "النقب" و"عوفر" و"مجدو". وبدخول مصلحة السجون على خطها انتهى عهد الخيام بسجون مبنية على طراز بقية السجون، حيث كان معظم روادها من الإداريين وذوي الأحكام الخفيفة.

ولهذا كان لكلا المدرستين تفكيرهما الخاص بهما، فالمدرسة الأولى مغلقة، وكانت في القديم تستقبل ولا تودع، ولها ظروفها الخاصة، وعيشها الذي يخضع لمزاج الأحكام

العالية. وهمها على الدوام الاستقرار في العيش، والاستفادة من الوقت من خلال المطالعة وطلب العلم والدراسة في الجامعات المفتوحة. والكثير منهم استفاد واستثمر وقته في الحصول على الشهادات الجامعية العليا. وبلا أدنى شك أن مستوى هذه الأحكام يتطلب هذه الظروف؛ لأنها لا تستطيع العيش طويلاً وأعصابها مشدودة فتنهك، ومستفزة فتخرج عن سيطرتها، أو أن تستنزف الفوضى حياتهم، أو أن يحكم التوتر أسلوب عيشهم.

وأما الثانية: فهي حياة الخيام والساحات المفتوحة، والعيش مع النجوم من خلال الليل، ولهم مع القمر حكايات وأحاديث، وربما المناغاة مع الأهل والعيال من خلال الهواتف الخلوية كذلك. فالقمر يجمع بين الأرواح المحرومة والمتباعدة. هذا في الليل، فكيف بالنهار الذي هو حقل الإنسان الخصيب حتى داخل السجن؟ والذي جعله الله للناس نشوراً؟ ولقد عاشت المعتقلات في سعة من العيش. في الوقت الذي حُرمت منها السجون المركزية، حتى بلغ الأمر بها أن أصبحت التجارة في الهواتف الخلوية رائجة ومربحة. والمواد الغذائية والفواكه كانت تدخل عليها بالشاحنات من الجمعيات الخيرية. وفي الأعياد كانت لحوم الأضاحي من الضأن والإبل لها حظ وافر في الحصول عليها، وحتى اللبن السوري "الكشك" دخل على المعتقلات هدية مقدمة من الحركة الإسلامية في الداخل الفلسطيني إلى معتقل النقب الصحراوي. ولقد حدثني الأخ أبو عاصف (عمر البرغوثي) أنه وصل إلى معتقل مجدو سنة 2001، بعد عيد الأضحى بيومين، وإذا باللحوم من الأضاحي مكدسة في الثلاجات، فسألت: مِنْ أين هذه الكمية؟ قالوا: إن الحركة الإسلامية في أم الفحم تبرعت بـ 3,750 كغ، بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك.

هذا العيش مرَّ على المعتقلات في يوم من الأيام، بينما الحال في السجون المركزية لم تحظ بالقليل القليل مِنْ هذه السعة. بل على العكس مِن ذلك، فقد خاضت إضرابات عن الطعام كانت طاحنة في معاناتها، وأطنان من لحوم البشر استهلكتها معارك الأمعاء الخاوية. كل ذلك لتحسين الأوضاع المعيشية التي كانت بالكاد وبالقطارة في أيامها الأولى، وسقط شهداء من الحركة الأسيرة لأجل ذلك ولأكثر من خمسة وأربعين سنة خَلَت، ولمّا تنتهي المعاناة.

وكانَ آخر الإضرابات لها سنة 2012، والذي امتدت أيام معاناته لثلاثين يوماً انتصرت فيه الحركة الأسيرة انتصاراً باهراً، وحققت إنجازاً عظيماً، أعادت من خلاله

الاعتبار إلى جموع الأسرى بعد كبوتهم في إضراب 2004. بينما المعتقلات ولظروفها في الأحكام الخفيفة والقصيرة في أمدها، ولأن أغلب معتقليها من الإداريين لم تعش حالة الإضرابات عن الطعام على مدى هذه السنين، ولم يساورهم القلق إلا بعد أربعين سنة، ويوم أن شعرت بالضيق في عيشها، وحوصرت في حركتها، ويوم أن فقدت كثيراً من الامتيازات التي حظيت بها أيام الجيش، وتبدلت الحياة من سعة الخيام إلى ضيق الحجرات كباقي السجون.

عندها شعرت بالمعاناة يطوقها حبلُها من أطرافها، وضاق حال الاتصالات، وقلَّ عدد الهواتف الخلوية، من هاتف لكل واحد أو لخمسة على الأكثر، إلى واحد أو اثنين لكل قسم، هنا في "عوفر" وهناك في "النقب"، أما "مجدو" فالمحْلُ والقحط هما سيدا الموقف على هذا الصعيد. وانتهت الأيام الخوالي من حياته. فأين ما كان مما هو حاصلٌ الآن؟

وهناك الكثير الذي في الحديث عنه إحراج كثير. وما أتى هذا الحرمان إلا بعد كفران بالنعمة، فقد عشت لأشهر في "مجدو" يوم أن كان معتقلاً وتحت سيطرة الجيش، ورأيت بأُم عيني كيف يرهق الأسرى أهاليهم؟ فقلت: لن تطول هذه الأيام بسعتها على الناس.

"قرامي" التنظيم ودوارة السجن:

آه يا ساحة السجن، بين حين وآخر تستقبل قادمين جدد، فلا يمر يوم بلا قادم جديد، أما أن تودع فقليل. وفي السجن معادلات مطلوب منك أن تكون الأقوى فيها، لأن منطق القوة الباغية لا يضبطه إلا قوة الاحترام والمنطق، وحالة الضعف لا تفرض احتراماً. وعلى هذا ففي ساحتنا "قرامي" تنظيمية تحافظ على قواعد العمل التنظيمي، ولها جذور عميقة تدلل على صلابتها، ومعروفة بين المعتقلين وعند إدارة السجن، ومهمتها أن تستوعب الأذواق جميعاً، وأن تضبط السلوك العام، وتحافظ على الاستقرار، فوجود المعتقلين الإداريين بخبرتهم وتجربتهم يوحي بالاستقرار ويدفع على الانضباط.

ووسط هذه الحالة تتعمد إدارة السجن أن تعكر المزاج العام وأن تستفزنا، فتقوم بنقل مَنْ لهم احترامهم وحضورهم القيادي. ومع ثقتنا أن هذا النقل لن ينال من نسيج القاعدة التنظيمية الصلبة، غير أنه عزيزٌ على العاطفة التي بيننا أن يفارقنا الشيخ صالح العطية إلى "مجدو"، أو الابن البار محمد ناجي صبحة كذلك، فنبذل جهدنا حتى نحول بين هذا النقل. ومع هذا، فإن حركة السجون فيها عوضٌ لنا عمّا فات، فرحيل محمد

صبحة عوضنا الله بالأخ الحبيب معتصم سمارة؛ ورحيل شيخنا أبو محمود [صالح العطية] عوضنا بالمجاهد باجس نخلة، وغادرنا إلى البيت الحبيب أبو خبيب الدكتور محمد غزال، فعوضنا الله بالحبيب أبي صايل عدنان عصفور.

هذه هي دوارة السجن، حركة عجيبة لا يعرف أبعادها هذا الظالم؛ فمثلاً، أفواج من طلبة الجامعات، هم في حاجة إلى تطعيم تجربتهم، فيتعس الاحتلال، فيعتقلهم ليأخذوا حظهم مِنْ مدرسة يوسف عليه السلام. وقد خاطبتهم يوماً على صعيد الجمعة، قائلاً: يا طلبة الجامعات، أنتم ملحُ البلد، فكيف يصلح الحال إذا الملح فسد، يا طلبة الجامعات، أنتم السياج الأمني لهذه المسيرة، فبوركت سواعدكم. وهم بلا أدنى شك تقرّ بهم العيون، ويُسند بهم الظهر، وإنهم صِباح الوجوه، قضوا سنين من أعمارهم ما بين الجامعة والسجون من أجل أن تنتصر فكرتهم، ويعلو كعب كتلتهم، ولهم سبق في مقارعة الاحتلال.

أمّا وزارة الأوقاف في السجن، فالشيخ مشهور أبو الظاهر هو من يتولى تصريفها وإدارة شؤونها، وهو الذي يعتمد الخطباء والمؤذنين وجزاه الله خيراً.

على مائدة الحفيد، اخلفونا في أبنائنا:

وسط هذا العجيج، ومن خلال دائرة الاتصالات يأتيك من الأخبار ما يسرك وما لا يسرك، فمما لا يسر نبأ اعتقال محمد عطون، ابن أخينا النائب أحمد عطون، الذي شغلنا اعتقاله، وشغل والده على الخصوص، ولأنه دون الخامسة عشر من عمره، وتلميذ نجيب، والخوف على مستقبله الدراسي هو أكثر ما يشغل، وما يزال، ونسأل الله له الفرج العاجل. وأما الذي يسرُّ، فإن الله سبحانه، رزقنا بمولود لولدنا مصعب أسماه "محمداً"، اللهم صلِّ على سيدنا محمد، وذلك بتاريخ 28 جمادى الأولى 1435 – 29 آذار/ مارس 2014، وفرحت للمولود الجديد باسمه محمداً، حباً في سيدنا محمد ﷺ، وقلت: اللهم اجعله قرة عين لوالديه، اللهم أنشئه نشأة مباركةً، وارزقه رزقاً حسناً، واجعله من الصالحين... اللهم آمين. قلت: فرحوا به وهشوا له وبشوا، وقد جاء لهذه الدنيا يبكي، فدعوت له ولوالديه، ولأخته هاجر.

وعلى شرف هذا المولود أصر أخونا الفاضل أبو صايل إلا أن يجمع إخوانه بعد صلاة الجمعة في حجرتنا على وليمة اسمها عاشوراء، كان ذلك في يوم الجمعة

4 جمادى الثانية 1435–4 نيسان/ أبريل 2014، ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾[16]، ذلك أننا كنا نطمع في أبنائنا أن يكونوا خيراً منا، ولكن كيف السبيل وقد حيل بيننا وبين العيش معهم؟ حيل بيننا وبين تربيتهم، وحُرموا وحُرمنا أن تجمعنا مائدة طعام، ولو لمرة واحدة. وحتى إذا جمعتنا مائدة الطعام فيما بعد، فبعد ما شبوا على الطوق، وبالمناسبات ومع الناس، ولا طعم لذلك، لأن الحرمان أدمى قلوبنا، لقد انتظرنا أن يخلفهم... ويخلفنا فيهم مَنْ يرعاهم، ويقولون: هؤلاء أبناء أخينا، وواجبهم علينا. إن الناس لذعونا في أبنائنا، إنهم جلدونا وما رحمونا.

وأقول: إن أبناءنا ليسوا بمارقين، ولا سيئين، إنهم لم يجدوا مَنْ يحضنهم، وبالرغم من ذلك، إنهم يحافظون على صلواتهم، ويسعون على أرزاقهم، فيا إخواننا قبل أن تجلدونا في أبنائنا، لوموا أنفسكم، واحفظوا غيبة أخيكم، فأبناؤنا إن خرجوا على النص، فبظلم منكم.

وذات مرة كنت بصحبة الشيخ الشهيد صلاح شحادة وبضيافته في حضرة عرس إسلامي في غزة سنة 1986، وإذا بغلام في العاشرة من عمره يهتف من خلال الحفل: "الله غايتنا، والرسول زعيمنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا..." . فقال لي أبو مصطفى، رحمه الله، أتدري ابن مَنْ هذا الغلام؟ قلت له: وكيف أدري؟ فقال: هذا ابن أخينا عرب مهرة، أخوهم في المجموعة، والذي ما يزال سجيناً.

إن أبناءنا على احتكاك مباشر مع الاحتلال، ومع المجتمع الصهيوني، وإن الاحتلال فرض عليهم أن يدفعوا ضريبة صمودهم. فأهلنا في القدس ومحيطها في حصار، والهوية الزرقاء تجلدهم، وتستنزفهم، والآلاف المؤلفة من أهلنا في القدس لا يجدون فرص العمل إلا عند الصهاينة، وأبناؤنا منهم؛ وهذا الاحتكاك بقدر ما هو سلبي —بل ضرّه أكثر من نفعه— بقدر ما هو إيجابي.

إن هذا الاحتكاك عرَّى النفسية التي يختبئ مِنْ ورائها الاحتلال، فبدت الحواجزُ على حقيقتها، بدت باهتةً أمام أبنائنا، فحاجز الخوف الذي اختبأ الاحتلال مِنْ ورائه عرَّاه أبناؤُنا، فلأبنائنا جرأةٌ على المحتل ليست لغيرهم، وما لأهلنا في الداخل الفلسطيني من جرأة على المحتل... ليست لأهلنا في الضفة الغربية، بل إن أبناءنا يعرفون كثيراً من

[16] **القرآن الكريم**، سورة الكهف، آية 46.

خصوصيات المحتل والمجتمع الاسرائيلي. وبلغني عن ولدي مصعب أن بلغت به الجرأة أن ينزل في عراك حرّ مع جندي حرس حدود إسرائيلي، بل إنهم في الشرطة طاردوه حتى أعجزهم وأعياهم.

ولقد سمعت عن ولدي محمود، وهو ما يزال في الصف السادس الابتدائي، أنه بلغ مِنَ الجرأة على أبناء جيله وتمرده على المدرسة، أن قال الأستاذ سعيد أبو طير مدير مدرسة أم طوبا الأساسية: إما أنا في هذه المدرسة، وإما محمود الشيخ؛ حيثُ يُنسب محمود لأبيه في المشيخة. ولقد خشيت عليه، فسألته يوماً: لربما ضحك عليك اليهود، قال: ماذا تعني؟ لكأنك تشك بي؟ قلت: معاذ الله، ولكن مخالطة القوم غير مأمونة، قال: اسمعها مني، هؤلاء لا سلطان لهم إلا على الجبان، فذات مرة استدعاني ضابط المنطقة واسمه نور (الشاباك ينتخل الأسماء العربية غالباً) فقال لي: محمود، ما رأيك تشتغل معي، وأنا أعطيك معاشاً؟ قلت له: كم تدفع لي؟ قال: ألفي شيكل (نحو 446 دولار أمريكي)، قلت له: نور، قال: نعم، قلت له: أنا أعطيك أكثر بشرط أن تعمل معي، فرد عليّ مُسْتَفَزّاً: محمود، أخرج من هنا، فخرجت وتعبطت باب مكتبه بيدي، وقلت له: نور، وأزيد لك في العطاء، فشتمني، وشتم أبي وتركته.

هذا محمود، ولم يبلغ العشرين من عمره في حينها، ولم يحصل على الثانوية، فأبناؤنا يا قوم لم يخلفنا أحدٌ في تربيتهم، ويريد الناس منهم أن يكونوا نُسخاً كربونية عن آبائهم. أقول هذا، لأن الناس أوجعونا في ذرارينا ولم يرحموا غربتنا. ولقد سمعت عن أحد الإخوة الأفاضل أنه قال: نجحنا في تربية أجيالٍ مِنْ هذا الشعب، ولم ننجح في تربية أبنائنا.

السجن ظلّ ثقيل:

هو السجن ظله ثقيل، حتى ممن تعايشهم: وهذا مِنْ نكد الدنيا، ظلٌ ثقيل على ظلّ ثقيل، والاحتلال هو السبب مِنْ وراء هذه الحالة، فالاحتلال والاعتقال كوابيس. ومن ضحايا الاحتلال الرفيق أ. ط. الذي ظلُه أثقل من وزنِه، وتعاسة لسانه لا تشفع لحالته المرضية التي توجع القلب، وسببها الاحتلال الذي أطلق على ساقه اليمنى عياراً نارياً عن قرب فعطلها وهتك أعصابها. ذلكم أ. ط. الحمساوي الأصيل، الذي "يقاهره" إخوانه بالرفيق لعلاقته مع شباب الجبهة الشعبية، وهو إلى العامية و"الهمشرية" أقرب منه إلى المتعلم والاتزان، ولكنه مع عدوه صدامي من الدرجة الأولى ومبادر.

لقد روضني الصبر في السجن، ولقد جاهدت نفسي جهاداً مُراً، وأخذتها ما استطعت إلى جنب الله حتى أجنبها الهلاك. والنفس بين ما تتمنى فيراودها الشيطان ولا يغلبه على سلطانه إلا الخوف مِنَ الله، وبين ما تتسامى فيحجزها الورع مِنْ أن تتردى. نعم، إنها النَفْس الشموس، ولا يلجمها إلا الخوف مِنَ الله، وإن أخطر أمراضها هو التردد والتميُّع، وإنها الحالة التي يتمناها الشيطان، وإنها فرصته التي يجدها في ضعف الإنسان، حتى قيل: "عقل الكسلان بيت الشيطان".

إنَّ السجن ميدان لمجاهدة النفس، والنفس كالطفل. وإن السجن مشاكُلُه كثيرة، فهو مجتمع مغلق، وساكنوه منهم مَنْ يفتعل المشاكل، ومنهم مَنْ هو عين عليك تحوم مِنْ حوله الشبهات، ورضي لنفسه أن يخون العشرة، وأن يعُقَّ الوطنية، وأن يكون عميلاً مزدوجاً للسلطة والاحتلال. فأي شيء أثقلُ ظلاً مِنْ هذه الظاهرة.

إنه السجن ميدان لهموم النفس، وإن همومنا في السجن هِمَمٌ عاليةٌ تأخذُ بُعداً ثأرياً في الحرب مع الشيطان، ومع المحتل الذي هو على دين الشيطان. ففي السجن فرصة للثأر والانتقام من سطوة الشيطان، وتحجيم الحالات المرضية التي يستثمرها. فميدانها هنا أقوى من الخارج، وشحنةُ الثأر تأخذ مفعولها داخل السجن بالتعبئة ضدّ المحتل أكثر مِنَ الخارج، لأن الظلم واقع بلا مبرر، والشعور به يحرك كوامن النفس، ويلهب فيها الغضب، وإنه من زمن بعيد، وأنا أتلمظ ليوم الثأر. حتى وإن كان لي نصيب في مناوشته عن قرب، وبلغ مني أني لذعته في أكثر من موقع وفي قلبه لهذا المحتل، وأوجعته لأكثر من مرة. لكن لي ثأر على الأيام التي قضيتها في السجن، وأريد لساعدي، وبدم قلبي، أن يحظى بثأره، فما تمنيت لقاء العدو يوماً، ولكن ما ترددت في حربه لحظة واحدة، حتى قلت: والله ما ندمت يوماً على لحظة في حياتي، إلا على لحظةٍ لم أقاتل فيها عدو الله. وإن سيد قطب، رحمه الله، كان يقول: إن إصبع السبابة التي تشهد لله بالوحدانية في كل صلاة... لن تكتب حرفاً تقرّ به حكم طاغية، وإنني من بعده أقولها: إنّ إصبعي هذه التي تشهد لله بالوحدانية في كل صلاة: لن تتراخى عن الزناد في حربها مع هذا المحتل، حتى يأخذ الله أمانته، وحتى يبلغ الكتاب أجله، وحتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

في السجن لنا سلوى، ومع الظلال مرة أخرى؛ هو مرجعيتي في صقل شخصيتي، وبناء نفسيتي، وهو المرجعية في تربية النخبة داخل سجون الاحتلال، بل إن سيد في كلماته، وكتاباته، لكأنه يُطل علينا مِنْ علياء الخلود، ولا أراه إلا مبتسماً. فرحم الله

سيد، فكلما قرأت الظلال، أو حفظت نصاً مما كتب، استشعرت بعملقته، واستشعرت باستعلاء على هذه الجاهلية التي تموج في الأرض، وهو ينظر إليها مِنْ عَلٍ: "إن الداعية المسلم ينظر إلى غالبه مِنْ علٍ ما دام مؤمناً، ويستيقنُ أنها فترةٌ وتمضي، وأن للإيمان كرةٌ لا مفر منها، إن الناس كلهم يموتون، أما هو فيستشهد، وشتان، شتان!! وهو يسمع نداء ربه: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾"[17].

إنه سيد، وإنه قطب، وإنه صاحب الباع الطويل في تعرية الجاهلية، واستعلى على اهتماماتها، وعاش لفكرته واستشهد مِنْ أجلها، وفي سبيل الله، وإنه الذي أبتْ عليه نفسُهُ أن يعطي الدنية في دينه. وأقول: إنَّه سيد الذي نقلني، ونقل غيري بما وقَّع على ما كتب مِنْ دمه. لقد نقلني من السفوح الهابطة إلى القمة السامقة. وإن قراءتي لظلال سورة الأنعام، جعلتني أدرك. ولو القليل. مِنَ الذي وصل إليه سيد رضي الله عنه. وإنني أتذكر الآيات التي تلوتها على طلبة المدرسة وأنا غلام، أو أقرب إلى الفتوة يوم استشهاده بالضبط... مِنْ سورة الأنعام، وقد قدمني لتلاوتها الأستاذ الفاضل عواد أبو قلبين: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[18]. إن اختياري لهذه الآيات في حينها، كأنه يقول لي قبل ست وأربعين سنة هذا هو الطريق ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾[19]، ولقد أراد الله لي من الخير الكثير ولم يكن في الحسبان. فالحمد لله على نعمة الإسلام، وعلى ما في الظلال من ندى، وإنها لنديةٌ لِمَنْ أراد الله له أن يتفيأ من حرِّ الهجير في ظلالها، وحتى لا يتنكّب الطريق الذي لا دليل فيه، إنه الظلال أعشقه، ولا أعرف الملل مِنْ قراءته.

ومِنْ خلال هذه "الحَبْسَة"، وجدت الرضى بطعمه غير المعهود، استوت عندي الأمور تماماً، العداد على طبيعته يعمل، لا يفوته شيء، فماذا يفعل بي أعدائي؟ والله ما زادتني السنون إلا شباباً، ولا زادتني الخطوب إلا إصراراً، وما زادني السجن إلا تحدياً وثباتاً. فيا دولة الاحتلال، موتوا بغيظكم، فلن تدور الدائرة إلا عليكم، ولن نقيل حتى تغوروا، فنحن على موعدٍ مع الصبح... أليس الصبح بقريب؟

---

[17] **القرآن الكريم**، سورة آل عمران، آية 196–197.

[18] **القرآن الكريم**، سورة الانعام، آية 75.

[19] **القرآن الكريم**، سورة الحج، آية 78.

على كل حال، لقد أدركت تماماً ما الذي يعنيه الإمام ابن تيمية، رحمه الله، عندما قال: ما يفعل بي أعدائي؟ إن قتلوني فقتلي شهادة، وإن سجنوني فسجني خلوة، وإن نفوني فنفيي سياحة. فلقد اجتمعت علينا اثنتان لا تقل الواحدة عن الأُخرى، فهذه أخت هذه، بل الإخراج مِنَ الديار لا يقل عن القتل، وهو على النفس أقسى من السجن والقتل، فالسجن له نهاية، ونهايته إلى البيت، أما الطرد فكما قال الشاعر:

لقتلٌ بحد السيف أهون موقعاً ... على النفس من قتل بحد فراق

وقيل لبعض الحكماء: ما أشدُ من القتل؟ قال: الذي يتمنى فيه الموت، فالطرد من الأوطان من المحن التي يُتمنى عند الموت، ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً﴾[20]. لقد طردنا الصهاينة من ديارنا، وألقوا بنا في غياهب السجون، وبقي الثالثة بإحدى الحسنيين، إن شاء الله، إما النصر وإما الشهادة.

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى ... إذا ما نوى خيراً وجاهد مسلماً
وواسى رجالاً صالحين بنفسه ... وخالف مثبوراً وفارق مجرماً
فإنْ عشت لم أندم، وإنْ متُ لم أُلم ... كفى بك ذلاً أن تعيش وترغما

كنا نعظ الناس من خلال الأحداث، ونطمع أن يكون ثمة صدىً لكلماتنا في نفوسهم، ولكن هيهات للموعظة أنْ تأخذ سبيلها في النفوس ما لم يكن لها رصيد في النفس، وما لم يكن ظاهرها كباطنها في القوة والصدق، فإن قوتها مِنْ صدقها. فالرضى عنوان لقوة النفس وصدق الكلمة، والهدوء النفسي مِنَ الرضى، والرضى على تمامه كالدائرة الكهربائية عندما تكتمل. ويكفيني من رضى هذه الجولة أن حفظي للقرآن عادت له حيويته وانطلاقته، ومن فضل الله عليَّ، أنْ هيهات!! لذاكرتي أن تجاري لساني في السرعة. والحمد لله، عدت للظلال مرة أخرى، أعيشُ تجربة المحنة مِنْ خلال التوقيعات التي أراها شاهدة على هذه المرحلة التي أحاطت بإخواننا في مصر، وهم أبناء هذه المدرسة. ولقد حلقت بي هذه "الحَبْسَةُ" عن سابقاتها حتى تمنيتُ على الله أن أسجد لله سجدة لا أرفع منها رأسي حتى يبقى لروحي أشواقها، وتبقى على حريتها في السجدة، ولتستريح مِنْ أوهاق الأرض، وبين ساعة وساعة يدور الحديث بين إخوان الأسرة، ممزوجاً بالمزاح الذي لا غنى عنه، وخاصة الشباب منهم الذين يعيشون "فيعة" الشباب.

[20] **القرآن الكريم**، سورة النساء، آية 66.

فالسجن أقسام، والقسم حجرات، وكل حجرة عدد أفرادها عشرة، وتتفاوت فيما بينها بالواجبات، والنظافةُ الحاضر القوي والشعار الذي لا بديل عنه. والحرص على ذلك بالغ الأهمية، وقد غزانا البقُّ عن طريق "البوسطات"، أو السفريات القادمة مِنَ السجون الأخرى، والحمد لله، أنه حيل بيني وبينه، فدمي مُرٌّ عليه، وقلما أراه، بينما بعض الأخوة في حرب مفتوحة معه، ورحم الله أستاذنا أبا سليمان حسن القيق، كان على حرب معه، يوم أن كنا في سجن عسقلان، ولقد نجحنا في القضاء عليه بعد أن "بيّضنا" حجراتنا. وبروح العائلة تتعالى التعليقات بين أفراد هذه الأسرة، فمِنهم مَنْ يقول لي: أيها الشيخ، لا تخيب ظنك فينا، فنحن والله عُبّاد، نقوم الليل، ونصوم رمضان، ونصوم يوم عرفة، ولا نزيد، فقلت: يا سبحان الله!! ربع ساعة من الليل قبل أذان الفجر تعدونه قياماً.

يا أحبابنا، إنه لا يقوم الليل إلاّ مَنْ كانت سجدته نصف "طن"!! وحتى لا أظلمهم، فإن منهم مَنْ يقوم لأكثر من هذا، ولا أقل من نصف ساعة، ومنهم من يزيد، ومنهم من يحافظ على صيام الإثنين والخميس، والكثير يصوم في ساحتنا، والشعار: "وأن تُفَطِّر صائماً" حاضرة بقوة وعلى حبات من التمر، فالحمد لله. التربية لا يعجبها القليل، بل إنه الكمال، ولا بديل عن الكمال، فهل هناك أروع مِنَ البدر على تمامه؟ إنك تُسبحُ الله، وبلا تخطيط، وتستشعر بالراحة، وتردد ما علمك نبيك ﷺ مخاطباً القمر: "اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ علَيْنَا بِالأَمْنِ والإِيمَانِ، وَالسَّلامَةِ والإِسْلامِ، رَبِّي ورَبُّكَ اللَّه، هِلالُ رُشْدٍ وخَيْرٍ"[21]، اللهم آمين.

ومنهم مَنْ قال لي، وهو يشيرُ إلى مَنْ في الساحة مِنَ الناس: كأنك نافضٌ يديك مِنْ هؤلاء؟ قلت له: معاذ الله، لو لم يكن فيهم خيرٌ، لما وصلوا إلى هنا. وذلك لأن شريحةً منهم دخلوا السجون وهم أقرب إلى العامية، والمواجهات مع المحتل طبعت كثيراً منهم على التمرد، وفي مثل هذه الحالة الشارع في غياب عن المسجد لا يربي، بل لا بد من الخشونة ومُعاوَدةُ الطَّرْق. إن هذه لفتةٌ من الحبيب ماهر شريتح، وأذكر في هذا المقام أن الشيخ أحمد ياسين، رحمه الله، قال لأحد مرافقيه داخل السجن، تقول إنك حماس، ولسان الحال يقول: إنك لا تقوم الليل، ولا تتطوع ليومي الإثنين والخميس صياماً، وتدعي أنك حماس، وزيادة على ذلك أنك تدخن. فقلت لأبنائي الذي "يُفيِّعونَها" فيما بينهم بالتعليقات: مِنْ مصعب غيظان خريج جامعة بيرزيت، إلى الفتى الذي أحبه كثيراً سيف الإسلام دغلس الطالب

[21] رواه الترمذي.

في قسم الهندسة جامعة بيرزيت، إلى يحيى جادو "ريحة الغوالي"، وابن أخت للشهيد القسامي القائد عمر سعادة، رحمه الله، قلت لهم مداعباً وقد طال سهرهم، مِنْ حواليكم تأتي الهزيمة. وأقر وأعترف مِنْ خلال هذه المالحة، وعلى صعيد خطبة الجمعة، أني كثيراً ما كان لكلامي خشونة، حتى إن الشيخ الفاضل جمال الطويل خطبنا يوماً فقال: لا تهربوا مِنْ خشونة شيخنا أبي مصعب، فالإمام الجيلاني كان يخاطب تلامذته فيقول لهم: لا تهربوا مِنْ خشونة كلامي، فوالله ما رباني إلا الخشونة.

ومن نكد الدنيا والسجن، أنْ تُبتلى بالفضائيات السابق ذكرها مرة أخرى، فبعدما كشرت المحنة عن أنيابها، وألقى الظلم بكلكله والافتراء على صدور إخواننا في مصر، تخرج علينا "العربية" بافتراءاتها، وهي ترفع شعار: العربيةُ أن تعرف أكثر، والحقيقة: العربيةُ أن تكذب أكثر، وأن تفتري أكثر. ووسط هذه الأجواء يقيمون الدنيا ولا يقعدونها بافتراءاتهم على أردوغان، فبعد النجاح الكاسح للعدالة والتنمية The Justice and Development Party *(Adalet ve Kalkınma Partisi (AKP))*، وبعدما أُسقط في أيديهم، فالمذيعون لا يعطون الفرصة لمن يحاوروه، وإنْ كان يحالفهم، بل يعملون جاهدين أن يلقموه بما تهوى أنفسهم، ووسط هذه الأجواء كان يشدني الوليد الأعظمي، رحمه الله، بأبيات من شعره:

فيكف يرتاح للبلوى أخو شمم ... وعينُه تبصر الأوباش يبغونا؟
وكيف يسكت ذو حق وقد عبثت ... بحقه عصبةٌ تقفوا الشياطينا؟

وعندما يرتفع المزاج، يأتيك الوليد بنداء لهذه الدنيا:

يا هذه الدنيا أصيخي واسمعي ... إنا بغير محمدٍ لا نقتدي

لحظات غالية:

ومِنَ اللحظات الغالية في السجن، أن جاء اليوم الذي غادرنا فيه الأخوان الحبيبان أبو عماد سيف الإسلام دغلس، وأبو قتادة الدكتور فادي عصيدة، بعدما أنهيا محكوميتهما. وعلى شرف هذا الإفراج احتفل قسمنا بلقاءٍ جامعٍ لوداع الأخوين الكريمين، ووُزع ما تيسر مِنَ الحلوى والشراب، كان ذلك في 13/ جمادى الآخرة/1435، الموافق 2014/4/13، والحمد لله ربّ العالمين.

وذات ليلة وعلى وضوحٍ مِنْ رؤيا رأيتها في المنام، استيقظت لورديِ مِنَ الليل، وهي أني خيرٌ بالصلاة على النبيِ، كنت أقطع أرضاً لجيران لنا على قربٍ مِنْ بيتنا، في بقية مِنْ أواخر القثاء، وعهدي بالأرض أنها مزروعة بالشجرة المباركة وما تزال. ومما رأيت مجلةً عبرية يتصدر صفحتها الأولى كلمة عبرية بالـ"بونط العريض" وهي "عتسوف" مشطوبة بخطين متوازيين... رأيتها وبالتفاتة مني للوراء، وإذا بالسيد الوالد، عليه رحمةُ الله، يمشي في الشارع على قربٍ منْ بيتنا، فلوحت له بيدي، ومضيت في السير حتى انتهيت مِنْ أرض الجيران إلى الشارع العام، لكن تفاجأت بالشارع على غير عهده، وإذا به طريق ضيقٌ على الجانب الأيمن منه صخور حادة ببروزها كالأخاديد لا يستطيعها المارة. فبقدرة الله دفعتها بيميني على الرغم من حدتها، وأزحتها من مكانها ووسعت الطريق، وإذا بي على مفترق طرق لشارع عام. فوجدت كما بدا لي في المنام رسول الله ﷺ جالساً وجهه لوجهي، والذي أذكرهُ أني قلت له: جئتك مبايعاً، فتوجه بجلسته إلى القبلة ورفع يديه إلى السماء في دعاء.

بعدما توضأت من الليل للصلاة، واستيقظ الأخوان أبو مجاهد عطون، وأبو إبراهيم سامي حسين، الذي هو ضليع في اللغة العبرية، سألته عن كلمة "عتسوف" فقال: تعني الحُزُن، وبما أنها مشطوبة، قلت: لا حزن بعد اليوم إن شاء الله. واستبشرت خيراً، وشعرت بالرضى، وقلت: وقد خلوت بنفسي، ما يفعل بي أعدائي، وأنا في هذه الحالة من الرضى؟ ولا أدري ماذا تعني بقثائها في أواخره، لكن العجب في يدي اليمنى بقوتها، بعد قوة الله، كيف دفعت بالشفرات الحادة من الحديد دون أن تتأذى. والمفاجأة الواضحة التي لا تحتاج إلى تأويل رؤيا الرسول ﷺ وقولي له جئتك مبايعاً.

ذكريات رمضانية:

دخلت إلى السجن هذه المرة قبل حلول شهر رمضان بثمانية أيام، في الثاني والعشرين من شعبان لعام 1434هـ، ودخل علينا رمضان هذه المرة لعام 1435هـ، الموافق 29 حزيران/ يونيو 2014، وقد مضى عليّ سنة في الاعتقال الإداري، الذي جدد للمرة الثالثة.

رمضان بمجيئه يخفف عنّا، وينقلنا بعيداً عن اهتمامات الدنيا، رمضان بإقباله علينا شهرُ الفُرص، وصيامه رياضة نفسية وروحية وجسدية، والأهم من ذلك أنه

استجابة من المؤمنين لنداء الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[22]. والمؤمن يطرب قلبه لما لهذه الفريضة مِنْ شفافية، وتسكن جوارحه إجلالاً لرمضان، فهي فرصته من كل عام ليناجي ربه بقلبه. وهو مفعمٌ بجلال هذه العبادة، ويناغي بروحه حبيبه الذي ملأ عليه جوانحه، وتستجيب لذلك جوارحه. وقد جمعتنا الغرفة بالأحبة من المجاهدين النائب أحمد عطون، والأخ سامي حسين، والوزير السابق للقدس خالد أبو عرفة، ويحيى جادو، وماجد ربايعة، ومصعب غيظان، الذي جمعني به رمضان للمرة الثانية في هذه الغرفة، وعبد الرحمن سرور، وأخوه أحمد، وأُسيد الأجرب.

دخل علينا رمضان برحلة العمر، وبدأت رحلتنا مع قيام ليله وصيام نهاره، وحظي دائماً في الإمامة أنها قدري على غير رغبة مني ببركة حفظي للقرآن، وبحب إخواني لي، ورضاهم عني. فبدأت قيامه بسورة البقرة لليلتين، وآل عمران حتى بداية الجزء الخامس في ليلتين لأختم في ليلة السابع والعشرين من رمضان التي توافق ليلة القدر، كما تعودت على لك.

تحقيق جديد في ظل معارك "العصف المأكول":

وهكذا عشنا مع رمضان، ومن كل ليلة يتخلل القيام مواعظ يلقيها علينا الإخوة أبو مجاهد، وأبو محمد، وأبو إبراهيم، وأبو بسملة، إلى يوم الأربعاء العاشر من رمضان الموافق 9 تموز/ يوليو، وإذا بالأخ أبو إبراهيم [سامي حسين] يقطع رحلته معنا، ليعيش بقيتها مع يوم العيد في زنازين المسكوبية للتحقيق معه حول خلايا عسكرية، ونشاطات تنظيمية، سلّمه الله في النهاية مِنْ مكرهم. وكنت أذكر أبا إبراهيم، بحظه الوافر من الأجر والثواب لعظمة هذه المحنة، وقد أتى عليه العيد، وهو هناك في زنازين المسكوبية. وما كُنت أدري أنَّ القدَرَ يُخَبِئُ لي أني سأكونُ مع يوم العيدِ هناك، وبعد أن أحيينا العشر الأواخر من رمضان، وختمنا القرآن ليلة القدر طمعاً في رحمة الله، واستجابة لسنة نبيه ﷺ وبعدها بليلتين، وفي قيلولة يوم الأحد 29 رمضان، وإذا بالأخ المجاهد فضل عرابي يوقظني من نومي، ويقول لي: البس ثياب الشاباص[23]، بطلب من إدارة السجن،

[22] **القرآن الكريم**، سورة البقرة، آية 183.

[23] الشاباص: سلطة إدارة السجون، وهي تابعة لوزارة الأمن الداخلي الإسرائيلية.

فقلت له: إنه التحقيق وإنها "المسكوبية"، حيث سبق أن استدعيت مجموعة للتحقيق هناك ولحقنا منها "طراطيش" واعترافات، ضَعُف صاحبها، ولا تستحق أن تذكر.

فلولا ضعف حصل، وخَور تغلَّف بالكذب لما حصل ما حصل. كان ذلك في التاسع والعشرين من رمضان، حيث حملتني "البوسطة" الانفرادية إلى سجن الرملة، وهناك أفطرنا من الصيام لنستقبل العيد في صبيحة اليوم التالي، وليكون عيدنا في زنازين المسكوبية، بعد ليلةٍ قضيتها في "الرملة"، ضاقت روحي من رطوبة المكان وحرارة الجو، ومِنْ فوضى المسافرين الذين لا ينتهي إزعاجهم ولا ينقطع صراخهم.

في الصباح، وبعد صلاة الصبح، وقبل صلاة العيد حملتني بوسطة خصوصية إلى القدس، حيث المسكوبية بزنازينها المقرفة، ورطوبتها التي أكل عليها الدهر طويلاً. وصلتها وقد انتهى الناس في الخارج من صلاة العيد، وعَيَّد الناس ليوم الفطر، وعيدته وإخواني المغلوبين في أقبية التحقيق. وفي أول مواجهة مع الشاباك بعد انقطاع طويل منذ سنة 1998، حيث كان الجو استفزازياً في البداية ولأيام، وقد علا الصوت بيني وبينهم، رداً على استفزازات الطاقم الذي يتولى التحقيق، واتهامي بالكذب والمرواغة. ولا شكّ أنَّكَ تخوض حرباً، هي أشد وأقسى من حرب الميدان، فأنت لا تملك إلا نفسية المؤمن التي هي أقوى من سطوتهم، وأقوى من شيطنتهم، وأنت مدافع من الطراز الأول، وكل ما فيك مستنفر، والاتهامات تحيط بك من كل جانب، والمعلومات عندهم وفي ظنهم لا يرقى إليها شك، من خلال اعترافات بليغة نتَجَتْ عن ضعف أحد أعضاء هذه المجموعة. في البداية يريدون كل شيء، وأنت الكل في الكل، وفي النهاية يضعون الكلمات في فمك، ويحضرون اتهاماتهم في نقاط.

قالوا لي: أنت دخلت المحظور، وأنت تريد بيتاً لتستعمله في أغراض أمنية، ومقراً للاختباء والاختفاء، فأنكرت ذلك، لأني سألت كثيراً عن بيت أريده لاستقبال أهلي وبناتي وأبنائي وضيوفي من القدس، ولأن بيتنا في كفر عقب لا يحتمل ذلك. وقالوا: أنت تقود مشروعاً عسكرياً مع الأخوين إسماعيل الزير وصالح الهريمي، فأنكرت ذلك، وهذا الإنكار ليس بعدد الكلمات، وإنما بعدد الأيام، ولأول مرة ارتفع ضغطي 97/150، وما عرفت هذه الحالة من قبل. وقلت لهم: اذهبوا بي إلى حيث تريدون، حتى ولو كان تحقيقاً عسكرياً —وقد مرت عليّ تجربته وعشتها سنة 1998— واتوا بمن تريدون، فليس عندي نوايا لهذا الأمر، وقد تجاوزته منذ زمن. فقالوا لي: يعني أن فلاناً كذاب، قلت:

لا يعنيني هذا. قالوا لي: فإذاً أنت كذاب؟ قلت له لستُ بالكذاب. واحتد الموقف وتشنج، وقد وجدتهم جميعاً حُبالى عليَّ، ويتحينون فرصة للإيقاع بي. وقال لي أحدهم واسمه رامي، سبق له أن حقق معي في سنتي 1992 و1998 في "الخليل" و"المسكوبية"، قال لي، بعد أن أتى بدفتر وألصق به جواله، وبيده عود لتنظيف الأسنان: أنت هنا تماماً بين الدفتر الذي هو العمل العسكري، وبين الجوال الذي هو العمل السياسي، فأنت قريب جداً لهذا وهذا، ولا تستطيع الاستغناء عن أحدهما، وقال لي أحدهم، وقد يئس: اذهب واستخر، أي صلِّ صلاة الاستخارة. فضحكت وضحك، وقلت له: مِنْ أين لك هذه الثقافة؟ فهزّ رأسه وتركني بلا جواب. وأحدهم قال لي لما سألني عن اللّبن السوري: أنه يعرفه، وأنه أكل منسف عربي في الأردن، وهذا لا يكون إلا ضمن "مهمة تربوية"، حتى أنه لما خرج من عندنا، وأنا جالس مع محقق آخر قال: ادعوا لي.

دخل المحقق رامي على التحقيق وله سابقة معي، ولطّف الجو بعد أن ساده التشنج، وقد أتوا على بقية الاتهامات، منها ماهية العلاقة بيني وبين موسى الخطيب، وعمران مظلوم، وكذلك العلاقة التي بيني وبين الأخ سامي حسين؟ وقد اعترف عليه مَنْ أتى مِنْ عنده الضعف والخلل أن أبا إبراهيم صاحب سري، وموضع ثقتي. وسألوني عن طلبي لإبرة بندقية أم 16 من الأخ سامي حسين، فأنكرت ذلك، وعلاقاتي مع الأخ سامي أخوية واجتماعية لا غير.

وجمعوني برياض ناصر، والأخوين ذياب كراجة، والدكتور صالح بركات، الذي لم يسبق لي أن عرفته من قبل، فاستغرب المحقق بأني لا أعرف الدكتور صالح، فأكد الدكتور صالح ذلك، وأنه يعرفني لشهرتي، وكان ذلك في محاولة منهم لإقناعي بالاعتراف. وكان لي جلسة ثانية انتهت بعدم الاعتراف، ثمَّ أخذوا بي إلى شاب من القدس أعرفه قديماً من الجهاد الإسلامي، وهو الأخ محمد عوض، الذي طلب من الميجر أن يجمعني به ليراني ويقبّل يدي، فقلت له بعد أن جمعني به: لا أقبل من أحد أن يقبّل يدي، ولكني عانقته، وهو مشبوح وبكى لحرارة اللقاء، فقلت له: اصبر فأنت قوي، والأمر لا يستحق أن تتأثر، وهو اليوم من إخواننا في حماس.

وسألوني عن علاقتي مع الشيخ رائد صلاح، الذي ورد اسمه على هامش التحقيق، بأني طلبت منه أن يخرج بالحركة الإسلامية إلى ميدان المواجهة العسكرية ضدّ دولة الاحتلال، وهذا لم يحصل أبداً. فقلت لهم: حركة الشيخ رائد قانونية، وأنتم تعملون ليل

نهار على إخراجها عن القانون، فالشيخ رائد ليس بالغبي حتى يعطيكم هذه الفرصة، ويخرج بحركته عن القانون، والشيخ رائد كذلك كان يتجنب اللقاء معنا، بل ويتخوف من ذلك. ومن التسريبات التي لا داعي لذكرها في التحقيق قال لي المحققون: أن عندي مصدر تسليح داخل الأراضي المحتلة سنة 1948.

انتهى التحقيق وكان أكثر ما يشغلني الحرب على غزة، فلا أخبار إلى أن جاءني الأستاذ فراس صباح، وسألني عن أحوالي وعن ظروف التحقيق، فقلت له: لا تقلق وأخبرني عن غزة، فآلمني حجم التضحيات من قتل في الأهالي، ودمار في الأحياء والبيوت، ولكن هدّأ من روعي فعلُ رجالنا في الميدان، فقد تفننوا في القتال، وأَذاقوا جنود الاحتلال الموت الزؤام. ولم يُعهد لدولة الاحتلال أن عاشت مثل هذه الحروب، فقد أذلها الله على يدي عباده، وليس بيننا وبينهم إلا الميدان حتى يرحلوا عن ديارنا.

ولقد تخلل التحقيق أنهم كانوا يتندرون على أبي الوليد خالد مشعل، ومن ذلك أنه يعيش حياة القصور في قطر، فقلت لهم: رجل طردتموه من وطنه، ويعيش مهاجراً ومنافحاً عن قضيته، تستكثرون عليه أن يعيش في قطر التي بيوتها قصور؛ بينما رئيس حكومتكم السابق واللاحق، يعيشون في قصورهم هنا في القدس، وهناك في قيسارية، وفي تل الربيع، وقضايا الفساد التي يعيشها ساستكم، والتحرش بالنساء على مستوى رئيس دولتكم القابع في السجن، وقيادات أخرى أنتم أدرى بها. والذي سمعته عن الرجل، عن أبي الوليد، أنه متواضع في عيشه وفي مسكنه، ولكنه الغيظ أكل قلوبَكم.

نحن أمة لا تعرف التقاعد:

وفي محكمة التمديد في المسكوبية، قال الحاكم العسكري لي: أليس في حياتكم تقاعد؟ فتوقفت عن الجواب، وقلت في نفسي: شمعون بيريز في التسعين من عمره، وهو يقوم مقام رئيس لدولتكم، ويقول إن له عمل سيزاوله بعد انتهاء مدة رئاسته للدولة. وكان الشيخ الفاضل حسن يوسف، يا رعاه الله، يخطبنا في السجن ويقول: نحن أمة لا تعرف التقاعد. وجمعتنا الزنازين بالأستاذ المحامي محمد مجدي أبو خضير، ابن عم الشهيد محمد أبو خضير، الذي أحرقه الصهاينة وقتلوه بالخناجر. وكذلك الإخوة شريتح، وموسى الخطيب، وباسم شلالدة، الذي هو والأستاذ محمد أبو خضير اعتقلوا على خلفية الأحداث التي تلت استشهاد الفتى محمد أبو خضير، يوم أن انتفضت شعفاط،

وبيت حنينا، والقدس، وخرج شبابنا وأهلونا على دولة الاحتلال، واشتبكوا مع شرطته ومخابراته. وإن دلّ على شيء فإنه يدل على الوطنية الصادقة، وعلى الظلم الواقع على شعبنا في القدس والذي تفجر غضباً على ممارسات الاحتلال.

انتهى التحقيق دون الإجهاز على قناعات المحققين، لأن طبيعة التحقيق لم يغير وجهها الإنكار. لكنني منذ اللحظة الأولى احتسبت نفسي عند الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأذكر بتاريخ 1 تموز/ يوليو 2014، أن الأخ عبد الله السعافين جاءني صباحاً وقال: جئتك مودعاً لأن اسمي جاء للنقل إلى "النقب"، واسمح لي أن أُقبل رأسك، فكان له ذلك. وقصّ عليّ رؤيا أن الشاباك جدد لي الإداري لستة أشهر أخرى، وأني أقود سيارة في نزول من بيتونيا إلى عين عريك. وفي الطريق وقعت في مطب، فما كان مني إلا أن قلت: حسبنا الله ونعم الوكيل. وهنا انتهى المشهد وسافر عبد الله إلى "النقب"، لكنه تركني في وضع لا أُحسد عليه، لأن المطب مصيبة هي في الطريق، ولا يؤول إلا على عدم الارتياح، لكنني ارتحت لختامها بقولي: حسبنا الله ونعم الوكيل، فهدأ ذلك من روعي، وقلت هذه تكفيني. والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[24]، والحمد لله رب العالمين.

وفي يوم الخميس 2014/8/7 حملتني "البوسطة" من "المسكوبية" صباحاً إلى محاكم عوفر، وبعد العرض على المحكمة تقرر تمديدي إلى يوم الثلاثاء 12 آب/ أغسطس ليتحول الملف من الإداري إلى قضية وتنزيل لائحة اتهام، ﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[25]. وعدت يومها إلى القسم الذي خرجت منه، واستقبلني إخواني بعاطفتهم الجياشة، وجزاهم الله خيراً، وقد أجهدني ألمُ الظهر حتى أقعدني، وبقي يعاودني حتى كتابة هذه السطور. وما زال بقية وجع بالرغم من العلاج والماء الساخن وكاسات الهوى؛ التي حرص أخي الحبيب أبو الأمير أنس رصرص أن يعالجني بها. وإن لم تنفع، فلن تضر، وبلا شكّ النافع هو الله، هذه محنة تحتاج إلى مراجعة ووقفة.

[24] **القرآن الكريم**، سورة آل عمران، آية 173–174.

[25] **القرآن الكريم**، سورة بوسف، آية 21.

فلئن أوتينا مِنْ قِبَلِ مَنْ لم يصبر على المحنة، فالأمة ولود، وصبر لهذه المحنة رجال هم كالجبال. وممن صبر لها شكري الخواجا، ومحمد مصطفى شريتح، وصبر لها محمد جميل كفاية، ومحمد فؤاد العدوين، وصبر لها ذياب كراجة. وآخرون في مواقع أخرى صبروا لهذه المصيبة في الجلمة وعسقلان، منهم المجاهدون: نزيه أبو عون، وعبد القاهر سرور، وعبد الكريم أبو رموز، وحمزة أبو عيشة وضرار أبو منشار. وجزاهم الله خيراً وثبتهم.

الخاتمة

أما بعد، فلم أكن في يوم من الأيام على علم بالذي هو آت من الأقدار، وما تحمل في طياتها مِنْ هموم وأحداث. يوم أن انطلق بي قطارُ العمر، في رحلته المكتوبة بين المراغمة والمصابرة، والتي ارتضيتها لنفسي عن رضا، وانطلاقاً من قناعاتي التي وقَّعْتُ عليها، يوم أن ابتدأتُ سيرتَها قبل الاحتلال، وحتى الآن لم تنته فصولها، وإن بدأت معالم النضج، تغدو نحو غاياتها، وتعلو علواً يستفز الاحتلال ومَنْ هم على شاكلته، في ظل اهتراء أتى على مفاصل كثيرة من حياته، وإنه في طريقه إلى الانهيار... إن شاء الله وعما قريب.

ومع تقديري لأبعاد الصراع، وقد اقترب حسمه لصالحنا، لا أقول اليوم، ولكنه يحتاج إلى عشر سنوات قادمة وحاسمة، وإذا بمحمد ﷺ والخميس العرمرم يزحف وتتجدد صيحاتُهما، وإنّا إذا نزلنا بساحة قوم ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾[1].

إنه ما أتى على الاحتلال أسوأ مِنْ هذه الأيام، فيوم أن قامت دولته، لم تكن بهذا المستوى من السوء، إذ كانت حال الأمة والقضية كما قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾[2]، فالناس يومئذ خرجوا على وجوههم، وتركوا ديارهم، أما اليوم، فزحف العودة على الحدود، وثقافة المقاومة هزمت الاحتلال، وشاهدت بأم عيني كيف كان جنود الاحتلال يفرّون من الحرب في الجنوب اللبناني سنة 2006، أما الحرب على غزة، فمن كان خارج غزة رجع إليها والحرب دائرة، والموت يحصد أرواح الناس.

لقد انطلق القطار في رحلته، والمخبوء من الأحداث تدرج بالهموم شيئاً فشيئاً، حتى تعودت النفس الصبر على المصائب، فالغيب عالم مستور لا تتبدّى لك أحداثه، إلا مع الزمن، ويطل عليك من نافذته، بقدر ما هو مقدر لك، وما عليك إلا الرضا، ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾[3].

---

[1] **القرآن الكريم**، سورة الصافات، آية 177.

[2] **القرآن الكريم**، سورة البقرة، آية 243.

[3] **القرآن الكريم**، سورة النجم، آية 39–42.

ويوم ارتضيت الجهاد والتحرير طريقاً، كان السجن ضمن توقعاتي، وكنت على خشيةٍ منه؛ لأن باطنه مجهول، ومن ورائه ظلم الاحتلال الذي استثمر الهزيمة. ونغّص علينا حياتنا، وحاصرنا بالخوف من الماضي. واعتدى على الحرمات، وانتهك حرمة المقدسات، التي مِنْ أجلها يكثر الفزع ولها خصوصية النفير.

ولقد شاءت الأقدار أن ألج السجن، وأن أصارع همومه، وأن أتحدى كل ما فيه، وكنت بعون الله أكبر منه، وما سمحت لنفسي أن تستكين. فهو أولاً وآخراً لا يليق بآدمية الإنسان، بل هو عقوبة ظالمة، وأداة من أدوات الطغاة، كما جاء على لسان فرعون في حقّ موسى عليه السلام ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾[4]، ذلك ليحول بين منطق الحق، الذي يحمل لواءه روادُ التغيير... وبين الجماهير التي استخف بها هؤلاء الطغاة.

إنه ما من لبنة من لبنات السجن، ولا باب من أبوابه، إلا والقسوة لها فراش، أو متكأ، أو ستار، ومن وراء ذلك ظلم يمارسُه الاحتلال. ولولا أن الحرية حالة نفسية مفطور عليها الإنسان، ويغذيها الإيمان بشحناته... لانتهى الإنسان في صراعه إلى الهزيمة، وللبسه ثوب القهر حتى الممات، حيث لا قوة تحول دون المصيبة، كما قال شيخنا مصطفى صادق الرافعي: "ولا يكون شيءٌ حينئذٍ، أضعف من قوة القوي، ولا أضيع من حيلة المحتال، ولا أفقر من غنى الغني، ولا أجهل من علم العالم، ويبقى الجهد والحيلةِ والقوة والعلم... والغنى والسلطان... للإيمان وحده".

إنّ حياة السجن وحاله، لا تقل عن حالة القبور، فكنت بعد عدد الصباح في رمضان أنزل إلى الساحة للرياضة، ومعي الأخ طه الشخشير، ومعنا ربما ثالث... كنا ننظرُ إلى الغرف عن بعد مترين... والناس نيام وصيام، وكأنها الكهوف بلا إنارة، وكنت أقول للأخ طه: "انظر إلى هذه المغارات، كأنها القبور"، وهي بلا شك أوكار وقبور، لولا نافذة في باب يغطيها الشبك الحديدي.

إن حياة السجين لها شبهٌ مع حياة الموتى في القبور، فكما أن القبر يُنوره العمل الصالح، فالسجن كذلك لا يبدد ظلماته إلا العمل الصالح، والعلم النافع، والصبر على النفوس المريضة. وجماع الأمر، أن تستشعر دوماً أنك في حمى الله، فالمهمة الأساسية التي مِنْ أجلها بُني السجن، هي الإذلال، وكسر الكبرياء الوطنية والإيمانية، وتحطيم

[4] **القرآن الكريم**، سورة الشعراء، آية 29.

القوة النفسية، لهذا المتمرد الذي لا تعجبه شنشنة الطغاة. فموشيه ديان، وزير دفاع الاحتلال الأسبق، يوم أن طالبوا في الكنيست بإقرار عقوبة الإعدام بحق الأسرى الفلسطينيين، ردّ عليهم بقوله: "أتريدون أن أجعل منهم أبطالاً، لأجعلن منهم مع السنين، مَنْ ينظر إلى وجهه في المرآة... فلا يعرف نفسه".

إنه السجن، كالزمن، إن لم تستثمره كان وبالاً عليك، وإن لم تقطعه بالعمل الصالح، قطعك بالأمراض والشهوات. فاشغل نفسك بما ينفعها ويقربك من الله، تظفر بالطمأنينة، وتتجدد فيك نشوة الشباب. وأما الذين يخالفون عن العمل الصالح، ويستسلمون للظلال القاسية، فمعيشتهم ضنكٌ، والمكابرة حياتهم، والضياع سبيلهم، ويتزلفون إلى حياة اللهو والفراغ، عن طريق التلفزيون والموسيقى الصاخبة، والأغاني الماجنة، على حساب الوطنية التي فرغوها من مضامينها، وأصبحت وطراً للمتزلفين.

إنه السجن الذي يُعري النفس البشرية، ولا تُذكر الأسفار مع توقيعاته وبصماته، فإن كان السفر يسفر عن أخلاق الرجال، فالسجن كما قال الشاعر:

ومهما تكن عند امرئٍ من خليقة وإنْ خالها تخفى على الناس تُعلم

فمهما حاول الإنسان، أن يتصنع داخل السجن، ففي النهاية إلى متى؟ فالسجن أرض محروقة، والعِشْرة بين الأسرى لا ثوب يغطيها، إلا الأخلاق الطيبة، والمعاني الحميدة، وأن يلتمس الأسرى لبعضهم الأعذار. وأن يعودوا بسلوكهم إلى قائدهم محمد ﷺ فالسجن لا تُحصى عوراته، والسجين عليه مجاهدة نفسه، فإن نام، فنومه عورة، وإن استيقظ لعدد الصباح، فيقظته عورة، وإن ذهب إلى قضاء الحاجة، فعورة. وأستميح القارئ عذراً، على هذا الحديث، فالغرف في السجن، تتسع إلى ما بين العشرة والعشرين، والخلاء مع الحمام في الغرف، ويجمع بينهما موقع واحد، بل هو محور الغرفة. وأحياناً ينتظر الأسرى على الدور، لقضاء حاجتهم، وإن احتلم فغلسه عورة، وأحياناً تضيق بك الحال، فتخرج عن طورك، فتتدافع على لسانك العورات كما قال سيدنا عليّ رضي الله عنه:

لسانك لا تذكر به عورة امرئ فكلك عورات وللناس ألسنُ

وكم من أناس وقعوا فريسة المرض؛ لأنهم لا يأخذون راحتهم عند قضاء الحاجة حياءً وخجلاً؛ ومنهم من يتعب من قضاء الحاجة، وقد استنزفه الوقت لنصف ساعة للمرة الواحدة.

إنها ضريبة لأجل معانٍ عظيمة، من خلال هذه المحنة التي تأكل من أعمارنا، ونتعجل أيامها، والكل يريدها أن تنقضي، وهي تستنزف منّا زهرة الشباب، والكل يسابق الزمن، ويستعجل طموحاته، ويريدها مع أنفاسه اللاهثة، ولكن هيهات:

ما كل ما يتمنى المرءُ يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفنُ

وإنه السجن، بقدر ما هو استنزاف لعمر الإنسان وطاقته، بقدر ما هو تجربة لها حساباتها، وللهندسة فيها نصيب؛ لأن لكل نفس بناءَها الهندسي، ويتفاوت الفن المعماري في هذا المضمار، من إنسان لإنسان. وبقدر ما أنت حاذق في اختيار المواقف، وعندك إبداع في استغلال الفرص، بقدر ما أنت ناجح، في صياغة الواقع، إلى حالة إيجابية، تنسجم روحُها مع الكينونة البشرية، التي تجد راحتها في السمو الأخلاقي، الذي يحفظ النفس من أن تتردى.

إن من ثمرات الهندسة النفسية، أنها لا تقبل الالتواء، الذي هو من العيوب في هندسة النفس، والمقصود أن ما ينطبق على الأشياء في الهندسة، ينطبق على الإنسان كذلك، فقد تعلمت مِنَ السيد الوالد، رحمه الله، أن "الإفتال" مصطلح يقع على حجر البناء، وكذلك يقع على بعض الناس. فمن الناس من هو مفتول في رأسه، أو فكره، أو سلوكه، أو أخلاقه. فالوالد عاش صنعته بين الحجارة والحديد، وهو دقّاق بامتياز، والدقاقة قائمة على هندسة الحجر، ولقد برع الوالد، رحمه الله، في هذه الصنعة، يوم أن كانت الحجارة عصية، قبل المحاجر، وآلات قصّ الحجارة من خلال المناشير، كان ذلك قبل 60 سنة ويزيد. وكان يُخَرِّجُ حجارة البناء بامتياز، بحيث لا يحتاج الحجر إلا موقعه في البناء، وهي صنعة في حينها، وإلى اليوم، يقتات منها الإنسان، من بين الحديد الفولاذي والحجارة الصلدة، والماهر فيها مهندس في ذاته، حتى ولو كان أميّاً.

إنّ الذي دعاني إلى هذا المنحى أن "الإفتال" مرض يقع على الحجارة، وعلى مَنْ هم كالحجارة. فالبنّاء مهندس، والدقّاق طبيب ومهندس دون البنّاء، وكلاهما يُشخّصُ "الإفتال"، الذي هو عجز في قدرة الدقّاق، على الإتقان، والعين هي الميزان.

و"الإفتال"، لئن رميناه على حجر البناء، فيصح أن نرميه على رؤوس البشر، وعلى أفكارهم، وعلى سلوكياتهم، وَمَنْ هذه حاله، وقد عايشنا شريحة من مرضى "الإفتال"، وسمعنا لأناس على هذه الشاكلة، مِنَ الذين يتصدرون القضية الفلسطينية، إعلامياً وسياسياً. فهيهات لحال هؤلاء أن تستقيم، أو تتعافى، ولو أتيته بسِنِمَّار، أو سنان باشا

(المهندس المعماري التركي الشهير)، ما لم يتحرر من جاهليته، ويتخلَّ عن أحكام سابقةٍ في ذهنه، ويراجع رصيده الفطري، حتى يبدأ من جديد، ما دام في العمر بقية؛ لأن فطرته ذهبت بعيداً عن الحق، الذي قامت عليه السماوات والأرض. ولأن الغزو الفكري أتى على دماغه ففتله، وأصبح ضحية، من ضحايا التميّع الفكري، وقد تحصن بالشبهات بعيداً عن الحقائق، وركب موجة الشبهات والمزايدات، وإذا بالنهاية قول الله تعالى يغلب: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[5].

إنني في الختام، أستميح عذراً، مِنْ كل مَنْ ناله سوطي بظلم أو أذى، حتى ولو كان عن طريق المداعبة. ومنهم من يستحق أن يُجلد، ومنهم من كنت أرى فيه أكبر وأعز مِنْ أَنْ أوجعه، ولو بنظرة، لماضيه الحافل والمشرّف في المقاومة. فكثيراً ما كان الأخ محمود مرداوي، يقول لي عن موسى دودين: هذا موسَك، وكنت أرد عليه: نعم هذا موسي، لثقتي بموسى وحبي له، وكذلك عن الأخ هارون ناصر الدين، كانوا يقولون لي: هذا ولدُك المدلّل. وأقول: نعم إنه مِنْ أحب الناس إلى قلبي، وكانوا يقولون: لماذا هارون فقط؟

نعم لقد كان سوطي حاضراً، وأحياناً موجعاً لكل من خرج عن المألوف، أو أساء أدبه، وأحياناً بحضرة الحاج إسماعيل أبو شنب، رحمه الله، لكن لا يُرفع السوط إلاّ بروح المداعبة، حتى مع أولئك الذين خرجوا عن المألوف، وكانت القهقهة حاضرةٌ مع كل جولة، أو صوْلة من صَوَلات السوط.

وأختم بمثلٍ سمعته عن أبي، رحمه الله. فقد كان لي صديقٌ يتردد على بيتنا، هو الأخ الحبيب عزمي أبو رمّوز، رحمه الله، وعلم أبي عن حاله، أنه تزوج من أربع نساء ولم يعقّب. فقال أبي، رحمه الله: "يا ولدي، البيت الذي لا يعمره ربّ العالمين... يحار البنَّاء فيه". ومات أبو عبد الله في حادث انهيار مقبرة باب الساهرة سنة 1990 رحمه الله، وعقّب لنا الذكر الحسن والعمل الصالح.

[5] **القرآن الكريم**، سورة الأنبياء، آية 18.

ملحق الصور

أولاً: الصور الشخصية

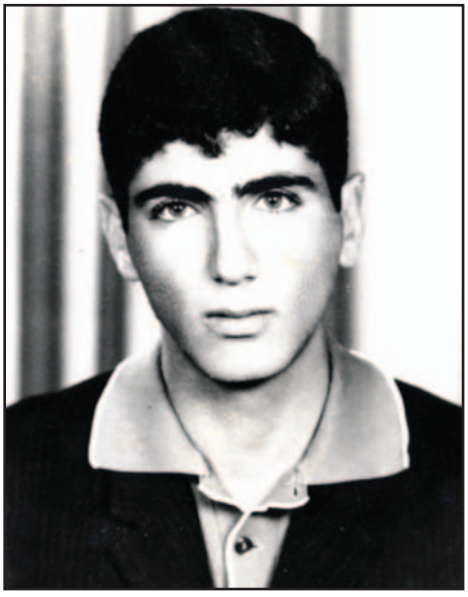

الشيخ محمد أبو طير في صباه، 1968

الشيخ محمد أبو طير شاباً، 1971

الشيخ محمد أبو طير في قرية الجيب أيام كان إماماً للقرية، 1973

الشيخ محمد أبو طير في رحلة ويظهر خلفه مرج ابن عامر، 1987

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

الشيخ محمد أبو طير في رحلة لشمال فلسطين،
صيف 1987

الشيخ محمد أبو طير في سجن الخليل،
صيف 1994

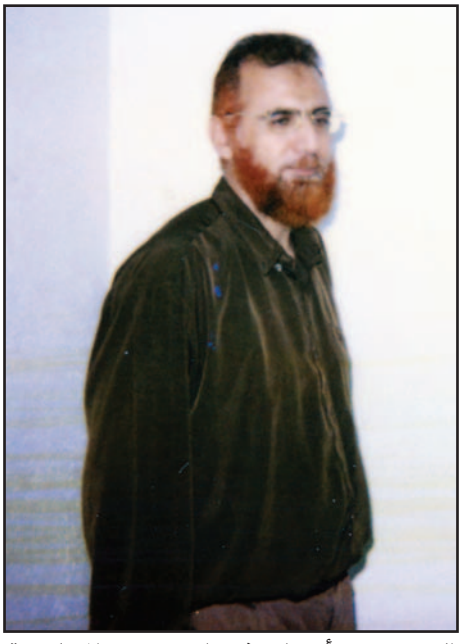

الشيخ محمد أبو طير في زنازين سجن المسكوبية
إثر التحقيق معه، مطلع 1999

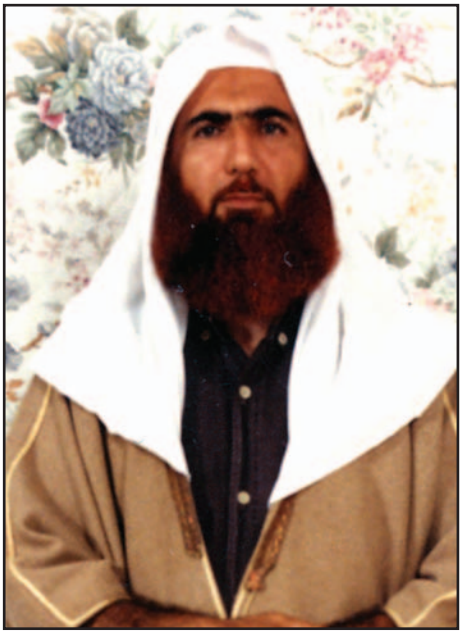

الشيخ محمد أبو طير في سجن عسقلان،
صيف 1999

الشيخ محمد أبو طير في المعتقل، نهاية 1999

الشيخ محمد أبو طير في المعتقل، نهاية 1999

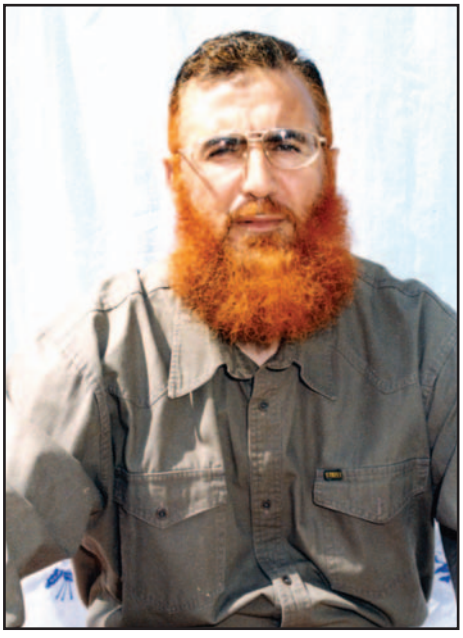

الشيخ محمد أبو طير في سجن شطة،
صيف 2000

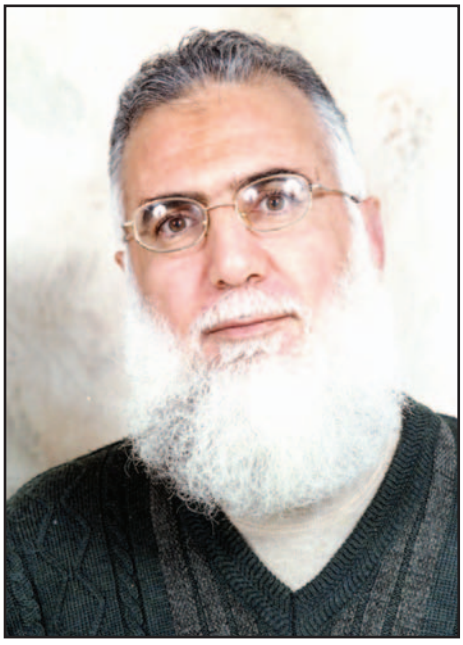

الشيخ محمد أبو طير في سجن مجدو،
شتاء 2004

الشيخ محمد أبو طير معتقلاً مع والدته في سجن المسكوبية لدوره القيادي في كتائب القسام، ودورها في نقل السلاح لمقاتلي الكتائب، مطلع 1999

الشيخ أبو طير مع والدته في منزلهما في قرية أم طوبا بعد فوزه في انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني، كانون الثاني/ يناير 2006

من اليمين: فلسطين ابنة الشيخ محمد أبو طير، وشقيقه موسى أبو طير أستاذ الفيزياء في جامعة القدس، والشيخ محمد أبو طير وبصحبتهم عدد من أبناء العائلة، صيف 1986

من اليمين: فلسطين ابنة الشيخ محمد أبو طير، والشيخ أبو طير، وولده مصعب، التقطت الصورة في منزل العائلة في قرية أم طوبا، كانون الثاني/ يناير 2006

من اليمين: سليم العواودة من كفر كنا، والشيخ محمد أبو طير، بالقرب من طبريا، صيف 1988

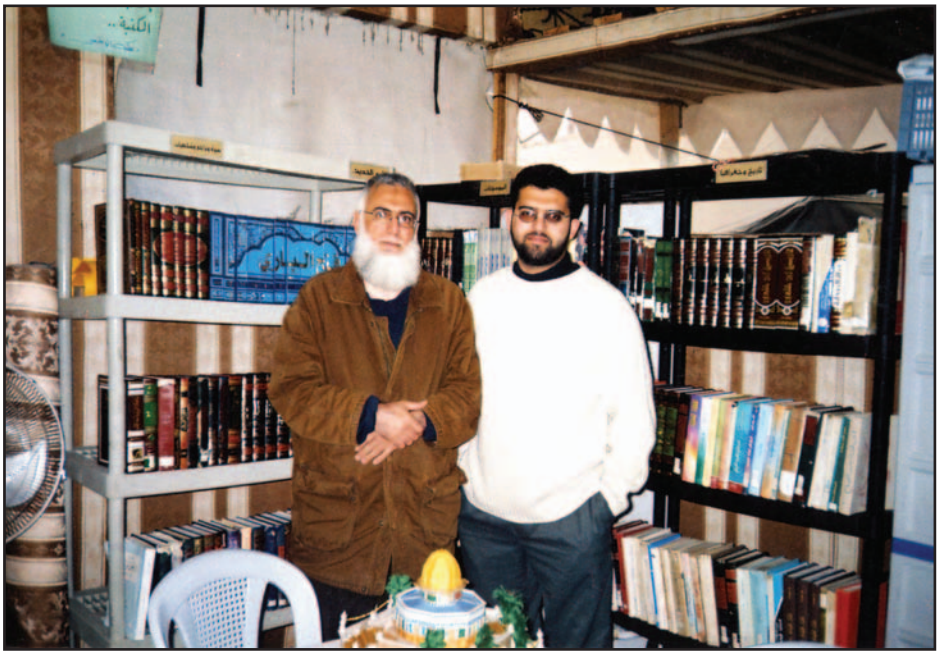

من اليمين: الأسير المحرر رامي الأقرع، والشيخ محمد أبو طير في مكتبة سجن مجدو، شتاء 2005

من اليمين: الأسير المحرر فازع صوافطة، والشيخ محمد أبو طير، والأسير المحرر عرفات صوافطة، في ساحة سجن مجدو، شتاء 2005

من اليمين: النائب محمد طوطح، والشيخ محمد أبو طير، والنائب وائل الحسيني، في حفل انتخابي لكتلة التغيير والإصلاح، أقيم في بلدة بدو، 2006/1/20

الشيخ محمد أبو طير يسلم على الأستاذ عبد الرحمن صالح، وبصحبتهم الشيخ إبراهيم حمادة في مسجد بلدة صور باهر بعد الفوز في انتخابات المجلس التشريعي، شباط/ فبراير 2006

من اليمين: النائب أحمد عطون (أبو مجاهد)، والشيخ محمد أبو طير، يؤدون صلاة الجمعة في مسجد صور باهر إثر فوزهم في انتخابات المجلس التشريعي، شباط/ فبراير 2006

من اليمين: الشيخ محمد أبو طير والنائب أحمد عطون (أبو مجاهد) في صورة لهما في أثناء الاستعداد للدعاية الانتخابية، 2005/12/31

الشيخ محمد أبو طير في مقعده في المجلس التشريعي الفلسطيني في أثناء انعقاد إحدى جلسات المجلس، 2006/3/29

من اليمين: رئيس المجلس التشريعي الفلسطيني الدكتور عزيز دويك، والنائب والوزير نايف الرجوب، والنائب الشيخ محمد أبو طير، والوزير عيسى الجعبري، والنائب الدكتور إبراهيم أبو سالم، خلال جلسة محاكمة في محكمة عوفر العسكرية، 2006/9/19

ابنة الشيخ أروى أبو طير، صيف 1990

ابنة الشيخ مريم أبو طير، صيف 1995

من اليمين: مصعب، وأروى أبناء الشيخ محمد أبو طير، شتاء 1998

من اليمين: محمود، ومصعب أبناء الشيخ محمد أبو طير، 1998

ثانياً: صور الشهداء والأسرى وإهداءاتها:

الشهيد فوزي أبو طير، شهيد معركة الكرامة، 1968/3/21

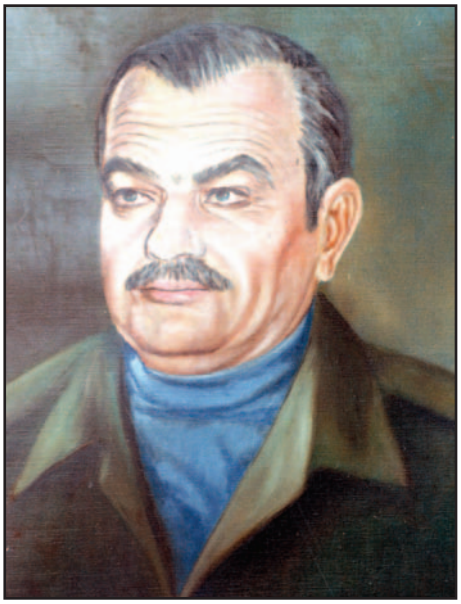

الشهيد سعد صايل (أبو الوليد)، اغتيل في لبنان في 1982/9/27

الشهيد محمد عزيز، استشهد بالقرب من الخليل في 1993/9/13

الشهيد الأسير جمعة إسماعيل، استشهد في سجن الرملة في 2008/12/24، وكان اعتقل في آذار/ مارس 1993

الشهيد إسلام أبو ارميلة، استشهد على حاجز إيريز في 1994/3/8

الشهيد عبد المنعم أبو احميد، اغتيل في بلدة الرام في 1994/5/31

الشهيد زهير فراح، اغتيل في بلدة الرام في 1994/5/31

الشهيد المهندس يحيى عياش، اغتيل في غزة في 1996/1/5

الشهيد المهندس محيي الدين الشريف، استشهد في رام الله في 1998/3/29

الشهيد عادل عوض الله، اغتيل بالقرب من الخليل في 1998/9/10

الشهيد عماد عوض الله، اغتيل بالقرب من الخليل في 1998/9/10

الشهيد عمر سعادة، اغتيل في بيت لحم في 2001/7/17

من اليمين: الشهيد رياض أبو زيد، والأسير المحرر وسام فرحات، والشيخ أحمد ياسين، وأبو نضال فرحات. التقطت الصورة في منزل آل فرحات في حي الشجاعية بغزة، 1999/5/31

الشهيد أيمن حلاوة، اغتيل في مدينة نابلس في 2001/10/22

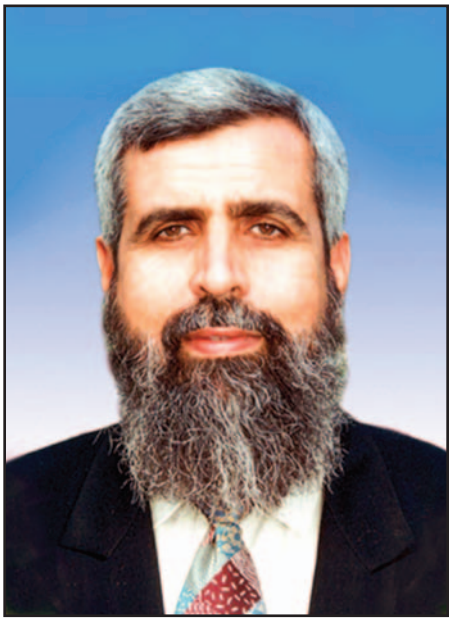

الشهيد صلاح شحادة، اغتيل في غزة في 2002/7/22

الشهيد نصر جرار، استشهد في بلدة طوباس في 2002/8/14

الشهيد إبراهيم المقادمة، اغتيل في غزة في 2003/3/8

الشهيد المهندس إسماعيل أبو شنب (أبو حسن)، اغتيل في غزة في 2003/8/21

الشهيد عبد العزيز الرنتيسي، اغتيل في غزة في 2004/4/17

الشهيد مالك ناصر الدين، اغتيل في مدينة الخليل في 2004/7/15

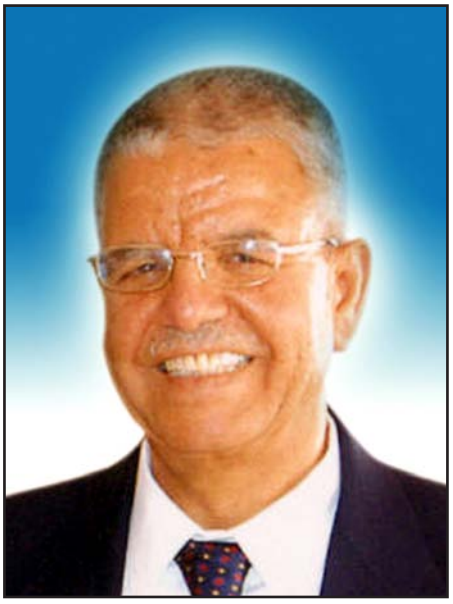

المهندس والأسير المحرر حسن القيق (أبو سليمان)، توفي في شباط/ فبراير 2006

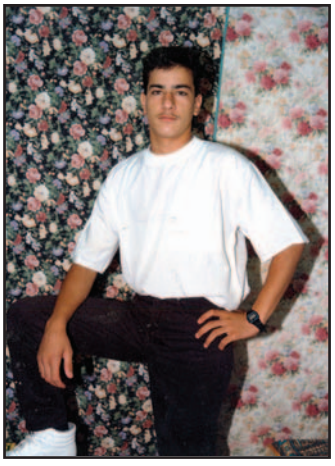

الشهيد علي علان، استشهد في 2003/3/18. عُلِّق على الصورة: "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله حمداً لا يحد بحد والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى صلاة وتسليماً لا يحدان بحد، وبعد: إلى الأب الحنون الذي عوضنا على فقدنا الأهل فكنت عندما تضع يدك المباركة على رأسي اشعر بحنان لم أشعره من قبل، فأنت شيخنا الأب الحنون والمربي والقائد وإني لأهديك هذه الصورة وأنا أطمع ولو بدعوة منك. فلا بدّ لنا أن نلتقي في ساحات المسجد الأقصى الحزين، ولا أطمع كثيراً في اللقاء بهذه الدنيا؛ دنيا الأحزان والألم والصعاب، فلا بدّ لنا يا شيخ من اللقاء في جنان النعيم عند الأحبة، عند جمال الهريمي الذي كان دوماً يقول الطريق طويل وأنفاسنا أطول، وعند ماهر ومحمد عزيز. فاسأل المولى الكريم أن يفك أسرك وأسر جميع المجاهدين. وأخيراً لا تستطيع هذه الكلمات أن تصف قدرك في نفوسنا. وأخيراً لا لا تقولوا وداعاً... بل قولوا إلى اللقاء... إن لم يكن فوق الثرى... فبجنة رب السماء. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ابنك وأخوك الفقير إلى الله، علي موسى علان. أ. معاذ، مخيم عايدة، ما أجمل العذاب في سبيل الله".

الشهيد راغب عابدين، استشهد في 1994/8/12. عُلِّق على الصورة: "بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله، إلى شيخي الجليل أبو مصعب الخير، وأدعو المولى عزّ وجل أن يجمعني بك مع النبيين والصديقين والشهداء. أخوك الداعي لك، فائق الجعبة أبو حمزة. صورة الشهيد راغب عابدين".

الشهيد حسن النتشة، استشهد في 1994/10/14. عُلِّق على الصورة: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا الرسم لابن عمي وأخي الشهيد حسن النتشة إهداءً لشيخنا الجليل أبو مصعب الخير "أبو طير" سائلاً الله تعالى أن يجمعنا بهم، وأسأله تعالى أن يخفف عنك ويحميك من أعدائه. أخوك المحب لك في جلال الله، أيمن ياسر النتشة، أ. القسام، سجن عسقلان".

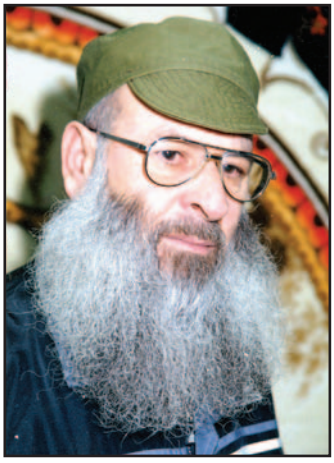

الشهيد محمد أبو وهدان، استشهد نتيجة للإهمال الطبي في سجون الاحتلال، في 2004/11/4. عُلِّق على الصورة: "بسم الله الرحمن الرحيم أستاذي وشيخي المكرم فضيلة الشيخ محمد أبو طير، أبو مصعب، إني أدعو الله أن يمتعك بالصحة والسعادة وأن يسترك فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض وأن يجمعنا الله على حوض نبيه الكريم في جنة النعيم، اللهم آمين وألف شكر لك، تلميذك الحاج محمد أبو هدوان، أبو حسن، 2002/4/7م".

الشهيدين محمد وعاصم ريحان، اغتيل محمد في بلدة تل في 2001/10/12، واستشهد عاصم في عملية استشهادية في 2001/12/12. عُلِّق على الصورة: "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد وعلى آله وصحبه وسلم، إلى شيخنا الفاضل أبو مصعب أهدي لك هذا الرسم لأخوي الشهيدين محمود وعاصم، رحمهما الله سائلاً المولى عز وجل أن يجمعنا وإياهم في جنان الخلد، مع دعائي لك بالفرج العاجل ولا تنسانا من دعائك الخالص في ظهر الغيب، أخوك عماد ريحان أبو عمرو، الصورة للشهيدين محمد وعاصم ريحان، 2005/1/11م، تل – نابلس".

الأسير المحرر مروان أبو ارميلة. عُلِّق على الصورة: "بسم الله الرحمن الرحيم أهدي هذه الصورة إلى أخي الحبيب الفاضل محمد أبو طير "أبو مصعب" لتكون ذكرى بيننا، ودليل على المحبة، وأسأل الله أن يفك أسرنا ويجمعنا مع أهلنا على خير، إنه على كل شيء قدير، أخوك مروان أبو ارميلة، أبو مصعب، 1995/7/3، القدس، الرام، عسقلان الرباط".

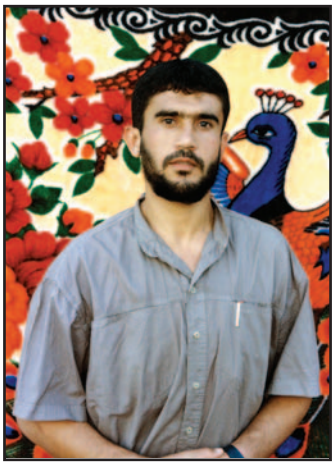

الأسير المحرر راتب زيدان. عُلِّق على الصورة: "بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على المصطفى وبعد، شيخي الفاضل أبو مصعب محمد أبو طير، يا من بعت والله اشترى، أهدي إليك رسمي هذا تعبيراً عن المحبة والأخوة. لتدعو لي يا شيخي الفاضل بظهر الغيب بالمغفرة والرحمة كلما نظرت إليها وخطرت إليك على بال، لتتذكر أخاً أحبك في الله. واعلم يا شيخي الغالي مهما ادلهمت الخطوب فلا بدّ من انبلاج فجر للحرية جديد، ويسألونك متى هو قل عسى أن يكون قريباً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، أخوك المحب لك دوماً، راتب عبد الله زيدان، أ. عبد الله، قبيا، رام الله، 1997/1/22، 13 رمضان الخير".

الأسير المحرر عامر أبو سرحان. عُلِّق على الصورة: "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وكفى، والصلاة على النبي المصطفى وبعد، تعبيراً عن الشوق والحنين، للأخ الفاضل والوالد المربي الأخ محمد أبو طير أبو مصعب أقدم رسمي متواضعاً تعبيراً عن علاقة الأخوّة التي ألفت ما بين قلوبنا ولتكون ذكرى طيبة لدعوة صالحة في ظهر الغيب، وسلاماتي لجميع سكان أ، أخوكم عامر أبو سرحان، أبو حماس، نفحة، 1996/6/1م".

الأسير المحرر توفيق عبد الله أبو نعيم. عُلِّق على الصورة: "بسم الله الرحمن الرحيم إهداء إلى شيخي الفاضل أ. مصعب الخير، عبد الله توفيق، أ. نعيم، 2000/9/23".

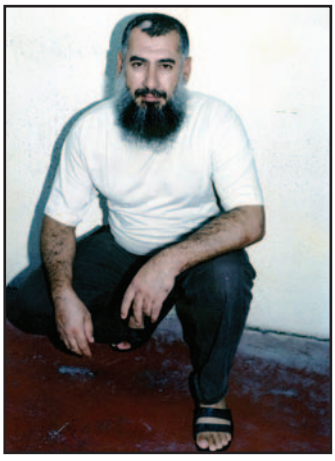

الأسير المحرر إبراهيم الباز. عُلِّق على الصورة: "بسم الله الرحمن الرحيم، الأخ الحبيب أبو مصعب أهدي هذه الصورة المتواضعة إليك، وأسأل الله يجمعك بين أهلك وأقربائك وأحبابك في القريب العاجل، أخوك المحب لك والداعي لك إبراهيم طلال الباز، قلقيلية حي التفاح، 2005/2/7".

الأسير المحرر هارون ناصر الدين. وعُلِّق على الصورة: "بسم الله الرحمن الرحيم إهداء إلى شيخي الفاضل والحبيب أبو مصعب الخير، مع تحيات أخوك هارون".

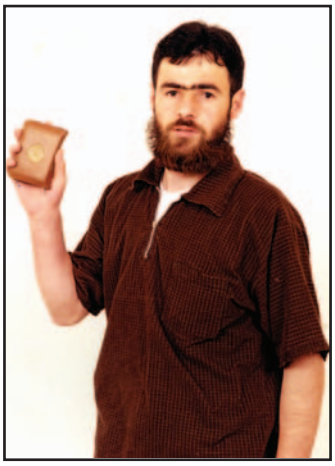

الأسير المحرر نزار محمد رمضان. عُلِّق على الصورة: "أهدي رسمي هذا إلى الأخ الحبيب في الله، الشيخ محمد أبو طير أبو مصعب الخير، لتبقى ذكرى بيننا في عالم النسيان، وأسأل الله القدير أن يفرج كربنا وأن يجمعنا في ساحات المسجد الأقصى، في ظلّ عدالة قدسية، وقد تحقق وعد الله، إن ربي على كل شيء قدير. أخوك في الله نزار محمد تيسير رمضان، تل/ نابلس، ربيع الثاني 1421هـ، تموز[/ يوليو] 2000م".

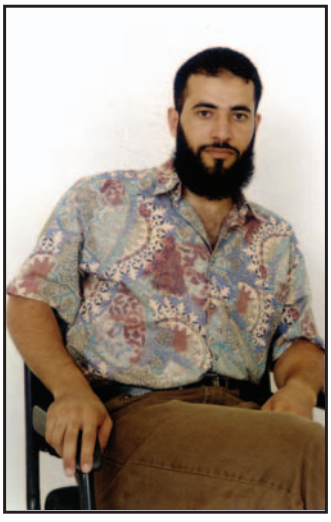

الأسير جمال الهور. عُلِّق على الصورة: "بسم الله الرحمن الرحيم، شيخي الفاضل أيها الأخ الكبير، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، شيخي أبو مصعب، القلب مليء بالقول، واللسان يريد الحديث، ولكن يقف القلم استحياءاً، أما معكم فتتلعثم الكلمات في فيه، ويرتعد ارتجافاً وهو يقول أخ كريم وأخ حبيب. فرَّج الله كربتك، وحرر قيدك، وأعانك على بلواك، الله كن له معيناً، وأهده سراجاً منيراً، واجعله نوراً مبيناً. أخي ومعلمي الكبير يقول رسولنا الكريم وأنت أعلم بما قال، يقول في حديثه الشريف "إن الله ليغذي المؤمن بالبلاء كما تغذي الوالدة ولدها باللبن"، وأنا أراك رضعت البلاء والعناء، وغذاك الله منه قدر محبته لك. أخي الكريم هذا رسمي يذهب إليك على استحياء منك، فتقبله لينال شرف ما يبصر منك، أخوك الصغير أبو تقي الدين، جمال الهور".

الأسير المحرر محمد الرشق. عُلِّق على الصورة: "الشيخ أ. مصعب، أ. طير، حماس/ شطة، بسم الله الرحمن الرحيم إنا لله وإنا إليه راجعون، حسبنا الله ونعم الوكيل، لا حول ولا قوة إلا بالله، ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾، والدي الحبيب الشيخ أ. مصعب، أحبك بالله، لا تنساني من دعائك، ابنك محمد، 1999/11/16م".

الأسير المحرر أحمد حسين شكري. عُلِّق على الصورة: "إلى الغالي محمد أبو طير، أبو مصعب، أبعث إليك برسم لبوزي، لا تنسانا يا شيخنا من دعوة في جوف الليل، أخوك الغلبان أحمد حسين شكري، أبو ذر، رام الله التحتا – الشارع التجاري، محددة التقدم، رقم 11، لا تنسانا من أن ترسل لنا صورة لطلعتك البهية، 2000/5/2م".

الأسير المحرر صالح العاروري. عُلِّق على الصورة: "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، شيخنا الفاضل الكريم أ. مصعب الخير، أهدي صورتي هذه تعبيراً بسيطاً عاجزاً عن الإفصاح عما تكنه النفس وينطوي عليه الفؤاد تجاه قادتنا وروادنا الذين يلهمون الأجيال الشموخ والصبر والرباط، ومن تهبّ من تلقائهم عبير الآخرة، وتذكّر رؤياهم بأمجاد السلف الخالدين وللآخرة خير لك من الدنيا بإذن رب العالمين مع خالص حبي ودعائي، أخوك وجنديك صالح محمد العاروري، هدريم 2000/6/27م".

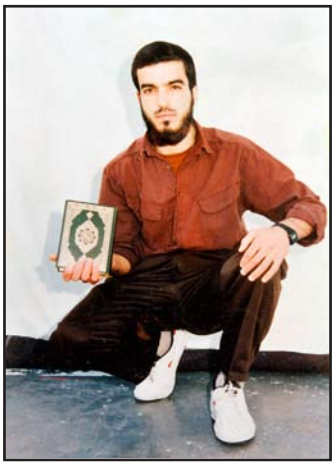

الأسير المحرر محمود عطون. عُلِّق على الصورة: "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ناصر المؤمنين الصادقين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم وبعد، الأخ الكريم شيخي الفاضل أبو مصعب، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهديك رسمي هذا ليبقى ذكرى بيننا فالذكرى تنفع المؤمنين، وأسأل الله ولي الحمد أن يجمعنا على ثرى القدس وقد تحققت آمال المسلمين بالنصر والحرية. ثبتك الله ونصرك وجزاك عنا كل خير، أخوك المحب محمد عطون "أبو قتيبة"، سجن نفحة الشهداء، 1994/4/9م، حماس".

الأسير المحرر أياد محمد عطون. عُلِّق على الصورة: "بسم الله الرحمن، إهداء، إلى الأخ الحبيب والشيخ المجاهد "أبو مصعب" حفظه الله أهدي إليك يا شيخنا هذا الرسم لأعبر من خلاله عن حبي واعتزازي بك يا من شرفني الله بلقائك خارجاً ومعرفتك، وكنت مشتاقاً للعيش معكم ولكن مهما باعدت بيننا الأقدار، وتفرقت الأجساد فإن الأرواح متلاقية متعانقة في سماء الأخوة إن شاء الله، وكما يقول الشاعر: فصبراً أخي على ألم الفراق، فكلنا للشوق والندى باق. إذا انفصلت هياكلنا وبانت، فروحي وروحك في عناق. وأسأل الله القدير أن يجمعني وإياك عن قريب على ثرى الأقصى وأم طوبا الحبيب، وإن لم يكن ففي جنات الخلد إن شاء الله. أخوك وابنك المشتاق لك إياد محمد عطون (أبو حذيفة)، القدس، صور باهر، سجن عسقلان، 1995/1/5م".

الأسير أحمد عطون. عُلِّق على الصورة: "بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الأمين إمام المجاهدين وسيد الأولين والآخرين إلى الأخ المجاهد والمربي الفاضل، أ. مصعب الخير، إلى من أحببته حباً جماً في الله يقول تعالى ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾، فكم أنا مشتاق لرؤية وجهك الوضاء، وسماع أخبارك إذا بقيت فإن شخصي بينكم، وإذا رحلت فصورتي تذكار، أخوك أ. مجاهد، 1994/8/7م".

الصف الخلفي، من اليمين: الأسير المحرر صالح العاروري، والأسير المحرر محمد صلاح، والشهيد عادل عوض الله. الصف الأمامي، من اليمين: النائب الأسير محمود الرمحي، والأسير المحرر خالد قاسم. التقطت الصورة في سجن رام الله، شتاء 1992

من اليمين: راضي أبو طير شقيق الشيخ محمد أبو طير، والشهيد القسامي القائد أحمد الجعبري، وأسير ثالث، التقطت الصورة في سجن النقب، في صيف 1994

الأسير المحرر حازم محمد عسيلة

الأسير المحرر عصام القضماني

الأسير المحرر سعيد بدارنة

الأسير المحرر إبراهيم الحزيبي

الأسير الأردني المحرر سلطان العجلوني يتوسط والديه في سجن هدريم

الأسير النائب الشيخ جمال أبو الهيجاء

الأسير الليبي المحرر خليفة الصغير المبروك خليفة

الأسير المحرر صلاح الخواجا

الأسير المحرر نائل المحتسب

الأسير المحرر عبد الرحمن القيق

شجرة عائلة أبو طير
اسماعيل
اسحق
مكمد
ياسين
أسحف
«الملف أبو طير»
الشيخ محمد
«الشهير بالطيار»
عبد الباسط
حسني
ناصر الدين
محمود
نعمه
١٤٢٨هجرية
٢٠٠٧ميلادية

ملحق الوثائق

الوثيقة رقم (1):

من تغطيات إعلام الثورة الفلسطينية لخبر اعتقال الشيخ أبو طير[1]

خبر نشر في مجلة فلسطين الثورة في 1975/5/4؛ وصورة للشيخ نشرت في إحدى مجلات الثورة الفلسطينية؛ وملصق صادر عن الإعلام الموحد نشر سنة 1976.

[1] أرشيف المحرر.

الوثيقة رقم (2):

طابع بريدي كويتي تكريماً للشيخ أبو طير وإخوانه الأسرى، معنوناً بـ"نكافح لتحرير فلسطين وإحلال السلام"[2]

1977/7/1 [المحرر]

[2] نادر خيري الدين أبو الجبين، **تاريخ فلسطين في طوابع البريد مجموعة نادر خيري الدين أبو الجبين**، ط 2 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2012)، ص 267.

الوثيقة رقم (3):

مقطع من خبر محاكمة الشيخ أبو طير وإخوانه المنشور في صحيفة "صوت الحق والحرية" لسان الحركة الإسلامية في فلسطين المحتلة سنة 1948، العدد 25[3]

1412/12/25هـ – 1992/6/26م [المحرر]

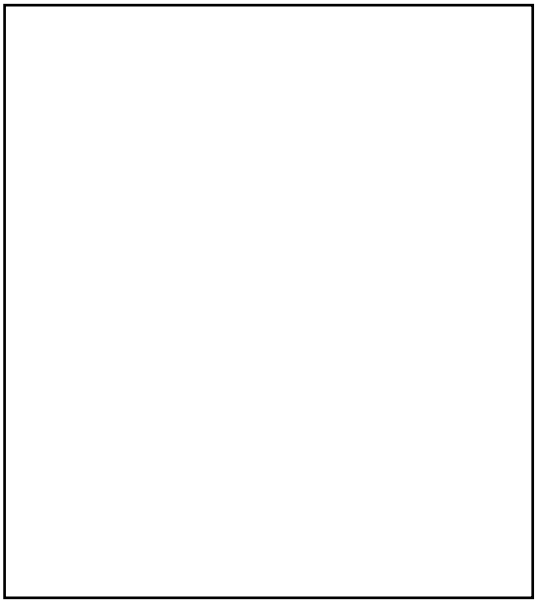

تقديم لوائح اتهام ضدّ الشيخ محمد أبو طير وإخوانه

خاص بصوت الحق: قدمت للمحكمة العسكرية في رام الله لوائح اتهام ضدّ الشيخ محمد أبو طير –41 عاماً– من قرية أم طوبا، وشقيقه راضي محمد أبو طير –33 عاماً–، ونبيل نوح –32 عاماً– من القدس، ومازن توفيق الحجة –25 عاماً– من بير نبالا، وإبراهيم أحمد الغوارنه –28 عاماً– من بيت لحم. وتضمنت لائحة الاتهام المقدمة ضدّ الشيخ محمد أبو طير اتهامه بتشكيل خلية مسلحة تابعة لتنظيم –الإخوان المسلمين– في عمّان، وتجنيد شقيقه راضي وأربعة من الإخوان إلى صفوف الخلية المسلحة.

[3] أرشيف المحرر.

وكذلك استلام مبلغ 8500 دينار أردني من جماعة الإخوان المسلمين في عمّان، وشراء أسلحة نارية وقنابل بمبلغ 6000 دولار –من أشخاص عرب من يافا والنقب– وذلك لاستعمالها في عمليات مسلحة ضدّ قوات الجيش الإسرائيلي في الضفة الغربية. وتضمنت لائحة الاتهام المقدمة ضدّ الشيخ أبو طير قائمة بالأسلحة التي اشتريت من –عربي في يافا– خمس مسدسات من عيارات مختلفة مع ذخائرها، وشراء بندقية رشاشة من طراز –إم 16– وقنابل يدوية ومواد متفجرة –من عرب النقب–. ووجهت للشيخ تهمة قيادة الخلية المسلحة وإعطاء الأوامر لأعضائها للقيام بعمليات مسلحة ضدّ قوات الجيش الإسرائيلي، وصناعة العبوات المتفجرة، وتزويد أعضاء الخلية بالأسلحة والقنابل بهدف الإضرار بأمن الجيش الإسرائيلي. وتشير لوائح الاتهام المقدمة ضدّ أعضاء التنظيم الآخرين إلى امتلاك كل واحد منهم لسلاح ناري –من القطع المذكورة أعلاه– والتي ضبطت بحوزتهم، والعضوية في خلية مسلحة معادية، وتلقي الأموال من الخارج، وشراء الأسلحة والتدرب عليها بهدف استعمالها ضدّ الجيش الإسرائيلي. ووجهت للمتهم إبراهيم أحمد الغوارنه –من بيت لحم– قيامه بتفجير عبوة ناسفة –صناعة محلية– لدى مرور باص إسرائيلي ينقل مستوطنين يهوداً في الشارع الرئيسي في بيت ساحور. ويرافع عن المتهمين المحامي عبد المالك دهامشه الذي يمثلهم منذ تاريخ اعتقالهم في شهر رمضان الماضي. وجدير بالذكر أن العضو السادس في الخلية هو المواطن عادل عوض الله من البيرة، والذي اعتقل سوية مع المتهمين المذكورين أعلاه، وقد حوّلته السلطات العسكرية الإسرائيلية إلى الاعتقال الإداري لمدة ستة أشهر –حيث أنه لم يعترف بالتهم الموجهة إليه، وهو الآن يقبع في سجن نفحة بالنقب.

الوثيقة رقم (4):

مقتطفات من فيديو للشهيد عادل عوض الله يرد فيه على اتهام أجهزة السلطة الفلسطينية له بمسؤوليته عن استشهاد محيي الدين الشريف[4]

نيسان/ أبريل 1998

عادل عوض الله

عادل عوض الله متنكراً

في هذا التسجيل من طرفنا في كتائب الشهيد عز الدين بالوقوف على حقيقة ما رددته أجهزة أمن السلطة من أكاذيب وتلفيقات.

ادعت أجهزة أمن السلطة أن عادل عوض الله، قام بإطلاق النار في الشهيد [محيي الدين الشريف] —رحمة الله عليه— من يحدثكم الآن عبر هذا الشريط هو عادل عوض الله بنفسه، وتفنيد ذلك عندي وعندنا في كتائب الشهيد عز الدين القسام من أسهل ما يكون، يتم ذلك بأن أعلن عن مكان تواجدي، أين كنت، ومع من كنت، في اللحظة التي ادعت أجهزة أمن السلطة أنه تمّ فيها استشهاد الأخ القائد محيي الدين الشريف. كما أن إخوة آخرين ليسوا مطاردين، جمعني وإياهم اجتماع في ذلك اليوم بدأ من آخر ساعات نهاره وانتهى في أواسط ليله، عندهم كامل الاستعداد لتبيان الحقيقة بأنني كنت وإياهم في جلسة تنظيمية تختص في شؤون عمل جهادنا في كتائب عز الدين القسام[5].

[...] أمر آخر وإن كان هذا الدليل وحده يكفي للتدليل على كذبهم وافترائهم، هو مقولتهم أن لديهم معتقل [غسان العداسي] قام بالاعتراف على أنه كان معي في تلك

[4] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية.

[5] كان الشيخ محمد أبو طير ممن حضروا هذا الاجتماع في مدينة الخليل.

اللحظة، التي كما زعموا تمّ [فيها] تصفية الشهيد البطل الأخ القائد محيي الدين الشريف، رحمة الله تعالى عليه، وللسلطة في ذلك أسبقيات معنا في حركة حماس، ومعنا في كتائب عز الدين القسام، فهذا الأخ المعتقل مجدي أبو وردة الذي تمّ اعتقاله في أعقاب العمليات الاستشهادية التي جاءت رداً على استشهاد الأخ القائد الشهيد يحيى عياش، رحمه الله، في حينه لقّنوه قصة نقلها تلفزيون، نعم، وبثّ هذه المقابلة التي تمت فيها تلك القصة الملفقة، تلفزيون العدو نقلاً عن تلفزيون السلطة، حيث لقّنوا الأخ مجدي —فكّ الله أسره وفرج كربه— حينها، أن يقول أن تلك العمليات —عمليات الرد على استشهاد الأخ القائد يحيى عياش، رحمه الله، في حينه— ما جاءت إلا محاولة من حماس، كما لقنوه، لاستبدال حزب العمل الصهيوني الحاكم حينها بحزب الليكود الصهيوني الحاكم وقتها، ثم ماذا حصل نزل مجدي إلى السجن وابتعد عن أجواء الضغط التي مارسوها عليه و[نفى صحة كل ما قال].

[مقطع محذوف من الشريط الأصلي] التي أعلن فيها أن إسرائيل العدو الصهيوني يقف خلف استشهاد القائد محيي الدين الشريف، نتيجة رضوخها لإملاءات صهيونية أمريكية خشية من الرد المتوقع الذي ستقوم به كتائبنا، وإن كان هذا فإن الرد سيكون، هم لم يتعلموا من تجربة اغتيال الشهيد يحيى عياش، ردنا سيكون بليغاً ردنا سيكون موجعاً، والله يشهد أن نيتنا أن ندخل الخوف والهلع إلى قلب كل صهيوني، في كل بيت صهيوني، حتى لا يعيدوا الكرة، فلسنا نحن الذين نفرط بدماء شهدائنا. شأن آخر قد تكون أجهزة أمن السلطة ومن يقف وراءها ومحاولة توجيه ضربة معنوية لحركتنا حماس، ولجهادنا في كتائب القسام، وهذا بعيد عنهم فإن مثل هذه التلفيقات لن تنال منا، فنحن أكبر منها، نحن الأكبر، نحن الأعز، ولن يبت في عضدنا، ولن يهز في جسدنا شعرة، تلفيقات من هنا، وتلفيقات من هناك.

شأن ثالث قد يكون وجيهاً في لحظة ما، ويصل إلى أن يكون الأول في مرتبة الأولويات، ذلك هو خشية أجهزة أمن السلطة أن تقود تحقيقاتنا التي نجريها سوياً في حركة حماس وفي كتائب الشهيد عز الدين القسام للكشف عن أن لهم في أجهزة أمن السلطة يداً مباشرة في حادث استشهاد القائد محيي الدين الشريف، رحمه الله، فأرادوا أن يبادروا، بأن يلقوا الكرة في ملعبنا تحسباً لهجوم قد نشنه إعلامياً وجماهيرياً ضدهم للكشف عن تورطهم في ذلك. ويبرز سؤال آخر، من الذي يتهمنا؟ من الذي يوجه الاتهامات؟ نسي نفسه،

إنه الشخص الذي يقف على أحد أجهزة أمن السلطة، وهو الذي قام بتسليم أخوين مجاهدين لنا، عضوي خلية صوريف المجاهدة، الأخ عبد الرحمن غنيمات والأخ جمال الهور —فكّ الله أسرهم وفرج كربهم— والذي يبدو أنه أغاظهم أن نكون قد تمكنا من كشف عملية التسليم التي تمت في وضح النهار بناء على اتفاق مسبق، أم أنه نسي أنه هو الذي قام بتسليم الأخ المجاهد البطل حسن سلامة —فرج الله كربه وفكّ أسره— مهندس عمليات الثأر بُعَيد اغتيال القائد الشهيد يحيى عياش، عندما أوصل خبراً لأجهزة أمن عدونا بأن حسن سلامة يرقد جريحاً في إحدى مستشفيات الضفة الغربية، ونحن لا ننسى ونعلم تماماً أنه أصدر مرتين أوامر بإطلاق النار على العبد الفقير الذي يتحدث إليكم عبر هذا الشريط [...] شخص آخر يمارس تلك الهجمة الشرسة علينا في حماس والكتائب، وبات يتهمنا ووسائل إعلام العدو تفتح له ذراعها، وها هو نتنياهو يطير فرحاً جراء هذا الانقلاب الذي أحدثته أجهزة أمن السلطة كما ادعوا في تحقيقاتهم، هو الطيب عبد الرحيم [...].

هذا هو نسخة للتسجيل أجريته، ثم عندما شاهدته بان لي أنني كثير الحركة فيه، فسجلنا شريطاً آخر هو الذي دفعناه إلى وسائل الإعلام، وكان بين أيديهم، ولكن عرض لنا عارض، يجب الأخذ بكل الاحتمالات، أنه في حالة إقدام أجهزة أمن السلطة على عملية قتل لي، في لحظة من اللحظات، في يوم من الأيام، فستزعم حينها في ضمن مزاعمها أن الذي سجل هذا الشريط غير عادل عوض الله، سيقولون ذلك، وسيجدون من ضمن الناس من سيصدقهم، لذا ورداً على مثل هذه الفرية الجديدة، التي قد يقومون بها، قررت أن أقوم بعد تشاوري مع إخواني وأحبابي، أن أقوم بالكشف عن شخصيتي لأعلن أنني بملابسي بهيئتي باسمي برسمي، أنا الذي سجلت هذا الشريط ومن هذا الباب أقوم بالكشف الآن عن حقيقة شخصيتي [في هذه اللحظة يكشف اللثام عن وجهه] ولعل بعض الإخوة الذين كانوا يعرفوني قديماً يستغربون هذا الإجراء، وهذا التغير بشكلي، إلا أنها الظروف التي قضت علينا رغماً عن أنوفنا أن نتعامل مع الواقع الأمني الذي نعيشه مطاردين في ديارنا من يهود وأبناء جلدتنا، الذين جاؤوا باسم كونهم فاتحين لديارنا، إلا أنهم [لا] يزيدون في معظمهم (كثيرٌ من قياداتهم عن علم وكثيرٌ من أتباعهم عن جهل) في [إلا] أن يكونوا ويتحولوا إلى أداة تقمع شعبنا وتذهب بسياطها جهود الشرفاء من أبناء شعبنا، لهذا من هذا الباب، قررنا أن يكون ذلك؛ بحيث في اللحظة

التي إذا ما قدر الله تعالى لي أن أرتفع شهيداً وإن كانت أمنيتي كما هي أمنية كل إخواننا، كانت أمنية أن تكون إن كانت شهادة ولا بد، يقدرها الله تعالى على أيدي يهود، لينال الواحد فينا أجر شهيدين، أما إذا قدر أن تكون الأداة الطيعة وأعني أجهزة أمن السلطة في يدي يهود، ويقوموا بأداء تلك المهمة عنهم، فلسنا نقول إلا حسبنا الله ونعم الوكيل.

الوثيقة رقم (5):

مقتطفات من رسالة من المعتقل في سجون السلطة الفلسطينية غسان العداسي والذي اتهمته بالمشاركة في استهداف محيي الدين الشريف[6]

1998/4/12

[...] ليعلم الجميع أنني لا أعلم عن استشهاد محيي الدين الشريف أي شيء. ولم أشارك ولم أكن شاهداً على قتله كما يدعي المحققون. فلقد أدليت بهذه الرواية بعدما تعرضت له من تعذيب وتهديد لم أرَ مثلهما في حياتي، لقد هددوني بأن يتهموني بالعمالة وأنني شاركت باغتيال محيي الدين لحساب اليهود. وقد ضربوني ضرباً شديداً ومنعوني من النوم لأكثر من ثلاثة أيام متواصلة. وعلقوني من يدي في سقف الزنزانة. لقد مارسوا مع الإهانات والأساليب الهمجية ما يعجز اللسان عن وصفه. كل ذلك من أجل أن أذكر رواية هم ألفوها بالكامل ولا علم لي بها. وقد [كان] ذلك من قبل [جبريل] الرجوب والطيب عبد الرحيم و[توفيق] الطيراوي وإسماعيل جبر ومحققين آخرين. فقد أخبروني أن أدلي بهذه الرواية بالقوة وتحت التهديد. [...] ويعلم الجميع وأولهم أهلي وإخوتي أنني بريء مما يفترونه علي وأنني كنت نائماً في البيت عندما وقع الانفجار.

[...] وأخيراً إذا كانت هذه الرسالة هي آخر عهد لي بالدنيا. فإنني أطلب من أهلي ومن الشعب الفلسطيني ومن إخواني في حماس بأن يسامحوني جميعاً ويعلم الله أني بريء والله على ما أقول شهيد.

---

[6] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية.

الوثيقة رقم (6):

مقتطفات من رسالة الشهيد عماد عوض الله "إلى إخوانه وشعبه وأمته" بعد هروبه من سجون السلطة الفلسطينية[7]

1998/8/18

إلى إخواني قادة وكوادر حركة المقاومة الإسلامية (حماس) إلى جماهير شعبنا وجماهير أمتنا العربية والإسلامية، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فقد منَّ الله تبارك وتعالى علي بتحرير نفسي من سجون سلطة الحكم الذاتي، بعد أن قضيت في سجونهم أربعة أشهر وثمانية أيام (128 يوماً)، لاقيت فيها من المعاناة والتعذيب ما لا يتحمله أو يطيقه بشر، ولكن رحمة الله تبارك وتعالى ألقت بظلالها علي، فصمدت وثبتّ، وتمكنت بفضله تعالى من الخروج من بين أيديهم القذرة، ورأيت أن أكتب إليكم وقائع هذه التجربة المريرة، متوخياً الموضوعية في الكتابة، والابتعاد عن الانفعالات العاطفية، آملاً أن يكون ما أكتبه مفيداً في فهم طبيعة هؤلاء القائمين على الأمر في السلطة، وفي إدراك أبناء شعبنا وأمتنا للحقيقة المجردة كما هي، رغم مرارتها وقسوتها.

[...] كان يجلس في المكتب [مكتب التحقيق] قادة السلطة وقادة أجهزتها الأمنية بعدما علموا باعتقالي، وكان من الموجودين الطيب عبد الرحيم وجبريل الرجوب وأمين الهندي والحاج إسماعيل جبر وتوفيق الطيراوي ومحمد الجبريني (أبو أسامة) الذي هو نائب جبريل الرجوب، وقد حقق معي فيما بعد، وكان الطيب عبد الرحيم يتصدر الجلسة إلا أنه لحظة دخولي وقبل أن أجلس بادرني جبريل الرجوب من بينهم قائلاً وعلى وجهه ابتسامة اختلط فيها معنى الشماتة بالنصر: ليش قتلت الزلمة يا فلان (يعني الشهيد محيي الدين الشريف)، فكان ردي المباشر وأنا أتجه للجلوس: ما قتلتش أحد.

بعد ذلك بدأ الطيب بالحديث قائلاً: أنا جاي من غزة ومعي صفقة من الرئيس عرفات كي أعرضها عليك، وهي أن تقول إن رصاصات قد خرجت من سلاحي باتجاه الشهيد محيي الدين بدون قصد مني، وهم بعد ذلك سيرتبون أمر خروجي من القضية، فكان

[7] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية.

ردي عليه: مش أنا اللي بتاجر بدم الشهداء والأمر مرفوض عندي. وعندها عرض علي جبريل الرجوب وآخرين من الموجودين الصفقات التالية:

أن أقول إن الشهيد تمت تصفيته لثبوت تعامله مع الاحتلال.

أن الشهيد تبين أنه لا أخلاقي وعليه تمت تصفيته.

وكان ردي: ابحثوا عن غيري ليشوه لكم الكتائب والشهداء. وبعدها تركوا المجال وهم جلوس لمحمد الجبريني الذي كان على ما يبدو متابعاً لعملية التحقيقات التي جرت قبل اعتقالي مع كافة الإخوة الذين تمّ اعتقالهم، حيث وجه لي عدة أسئلة عن علاقتي بفلان وعلان وذكر أسماء إخوة كانوا قد اعترفوا تحت التعذيب بأنني نظمتهم للجهاز العسكري وسلمتهم سلاحاً..إلخ، نفيت أي علاقة لي بهؤلاء الإخوة، وبعدها وقفت أمامهم جميعاً ورفعت يدي إلى السماء من خلال شباك الغرفة مقسماً ومعاهداً رب العالمين أنني لو نشرت بالمناشير وقطعت فلن تأخذوا مني كلمة أظلم بها نفسي أو غيري، فكان رد الطيب نحن لا ننشر أحداً أنتم الذين تفعلون ذلك، وأخذ يوجه الاتهامات يمينا وشمالاً، المهم بعد جلسة مع هؤلاء استمرت ساعة تقريباً تم أخذي لمكتب آخر ومنه لسيارة نقلتني من رام الله إلى أريحا وكان يجلس معي في السيارة مدير جهاز المخابرات العامة أمين الهندي.

[...] وصلنا إلى مقر التحقيق المركزي في أريحا التابع للمخابرات العامة الفلسطينية، وقد أنزلوني إلى زنزانة لمدة عدة ساعات، وفي الليل أخذوني لمكتب التحقيق، ووجدت بداخل المكتب عدة محققين شباب، تبين لي فيما بعد أن منهم من هم من الأمن الوقائي ومنهم من هو من المخابرات، وبدأ التحقيق على شكل سلسلة أسئلة مما توافر بين أيديهم من مادة اعترافات الإخوة تحت التعذيب، ولقد لاحظوا من البداية أنني سلبي للغاية في إجاباتي، حيث إنني أنكرت أنني تابع لحماس وباختصار أنكرت كل شيء كان بين أيديهم؟. [... ثم] تم نقلي إلى مركز تحقيق الأمن الوقائي الرئيسي، وهناك بدأت فعلاً معاناتي الحقيقية.

[...] كان التحقيق معي مشتركاً ما بين المخابرات العامة، حيث كان الشهر الأول من التحقيق عند الأمن الوقائي (30) يوماً، بعدها تم نقلي إلى المخابرات (34) يوماً، وبعدها أعادوني إلى الأمن الوقائي (64) يوماً. [ثم يبدأ بسرد أساليب التعذيب لدى الأجهزة المختلفة ويختم بشكر الله تعالى على أن منّ عليه بالفرج].

الوثيقة رقم (7):

رسالة من الأسير زهير (أبو مجاهد) إلى الشيخ محمد أبو طير[8]

1999/12/12

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين.. محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه واقتفى أثره إلى يوم الدين.. وبعد،

أخي الحبيب "عصام"، شيخي الجليل "أبا مصعب الخير" حفظكم الله ورعاكم

أحييكم أيها الأحبة، بتحية من عند الله طيبة مباركة.. تحية صدق ومحبة، أبعثها لكم عبر نسمات الصباح، التي تعبق برائحة المسك والياسمين.. تحية نابعة والله من أعماق ذلك القلب، الذي أحبكم في الله ولا يزال.. بهذه التحية يطيب لي أن أحييكم يا أحباب:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

أستهل رسالتي هذه بحسن السؤال عنكم، وعن أخباركم.. أسأله سبحانه وتعالى أن تصلكم رسالتي هذه، وأنتم ترفلون بوافر الصحة والعافية.. كيف هي معنوياتكم، وهممكم يا أصحاب الهمم العالية..؟ لقد وصلت رسالة من الأخ نور إلى الرشق يقول فيها: إن أوضاعكم صعبة للغاية، وهذا ما نقرؤه في الجرائد عن أوضاعكم ورداءتها.. صبراً صبراً أيها الأحباب.. فإن مع العسر يسراً، إن مع العسر يسراً، ولن يغلب عسرٌ يُسْرين إن شاء الله.. وقد قال أحد الرجال: بشِّر المنكوب، بلطفٍ خفي، وكفٍ حانية وادعة، إذا رأيت الصحراء تمتد وتمتد، فاعلم أن وراءها رياضاً خضراء وارفة الظلال، إذا رأيت الحبل يشتد ويشتد، فاعلم أنه سوف ينقطع، مع الدمعة بسمة، ومع الخوف أمن، ومع الفزع سكينة، النار لا تحرق إبراهيم التوحيد؛ لأن الرعاية الربانية فتحت نافذة ﴿بَرْدَاً وَسَلَامَاً﴾، البحر لا يُغْرق كليم الله؛ لأن الصوت القوي الصادق نطق بـ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، المعصوم في الغار بشّر صاحبه بأنه وحده معنا، فنزل

[8] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية.

الأمن والفتح والسكينة، إن عبيد ساعاتهم الراهنة، وأرقاء ظروفهم القاتمة، لا يرون إلا النكد والضيق والتعاسة؛ لأنهم لا ينظرون إلا إلى جدار الغرفة، وباب الدار فحسب، ألا فليمدوا أبصارهم وراء الحجب، وليطلقوا أعنّة أفكارهم إلى ما وراء الأسوار، إذاً فلا تضيقوا ذرعاً، فمن المحال دوام الحال، وأفضل العبادة انتظار الفرج، الأيام دول، والغيب مستور، والحكيم كل يومٍ هو في شأن، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً، وإن مع العسر يسراً.

وأذكرك يا شيخي العزيز، بقولك في إحدى خطب الجمعة، إن فرنسا سجنت —قبل ثورتها العارمة— شاعرين مجيدين، متفائلاً ومتشائماً، فأخرجا رأسيهما من نافذة السجن، فأما المتفائل، فنظر نظرة في النجوم فضحك، وأما المتشائم، فنظر إلى الطين في الشارع المجاور فبكى، انظر إلى الوجه الآخر للمأساة؛ لأن الشر المحض ليس موجوداً، بل هناك خير، ومكسب، وفتح، وأجر، فإذا دهمتك داهية، فانظر في الجانب المشرق منها، فتكيّف في ظرفك القاسي، ليُخرج منه زهراً ووروداً وياسميناً، "وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم". وقد قالت زينب الغزالي، رضي الله عنها: إن غياهب السجون، ومقاصد التعذيب، وشراسة حملة السياط، لم تزد المخلصين من أبناء الدعوة، وبناة فكرها، إلا قوة وثباتاً وصبراً على دفع الباطل. ونحن نؤمن بأن فترة سجننا وتعذيبنا، هي من حق التاريخ، ومن حق الذين على الطريق أن يعوها ويدرسوها، حتى يبقوا على طريق الجهاد، فلنكن أيها الأحباب على الطريق مثابرين، محتسبين ما نلاقي عند الله، ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾.

إخوتي الأحباب:

لا أقول هذا الكلام لكي يقال هذا متكلم، وهذا كذا.. لا وألف لا.. فهذا الكلام هو مقتبس، وما أردت به سوى الذكرى.. ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ جعلنا الله وإياكم منهم، فأنتم أيها الأحباب، أصحاب فضلٍ وسبق في الدعوة.. وأصحاب علم.. وما أردت بهذا الكلام سوى التخفيف عنكم، ورفع الهمم والمعنويات.. وهذا واجب علينا تجاهكم إخوة العقيدة والإيمان..

وأخيراً وليس آخراً أيها الأحباب، ها نحن قد دخلنا في شهر الخير والبركة.. شهر رمضان المبارك، فهو شهر الله، ونحن ضيوف عليه، وضيف الكريم لا يُضام.. فالله كريم كرمه ليس له حدود، فلنجتهد في طاعة ربنا، حتى نستحق كرمه. ولنضرع إليه،

ولتلهج ألسنتنا بذكره واستغفاره، ولنخلص النوايا له وحده.. فنحن نعيش هذه الأيام، وضعاً الله أعلم به، ولن يكشف هذا البلاء الذي وقع علينا، نحن كحركة إسلامية وأبناء دعوة، سوى الله وحده، فلندْعُهُ من أعماق قلوبنا بصدق وصفاء، لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً.. ونحن أبناء الشمال، ها نحن نعيش في سجن نفحة الصحراوي، ولا يسعنا إلا أن نقول حسبنا الله ونعم الوكيل، وقد فوّضنا أمرنا إلى الله، فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين، والله المستعان على كل من شارك في هذه الهجمة علينا، وعليكم سكان المسجد الأقصى.. والآن مع الأخ إبراهيم الحزيبي (أبو صهيب) يريد أن يتحدث إليكم، وبعدها أعود إن شاء الله.

ملاحظة: أكتب هذا الحديث بخطي، على لسان أبا صهيب– سلامي الحار إلى الأب الفاضل أبي مصعب الخير، وما هي أخباركم؟ أرجو أن تكون صحتك بخير، ومعنوياتك عالية، وبلّغ سلامي للأهل: الحاجة، والأولاد، وابعث لنا بأخبارك وأخبارهم، ويهديك الأهل السلام (صهيب، وأم صهيب وصائب)، ويوجد عندنا في القسم شبانٌ صور باهر، وهم يهدونك أحرّ السلامات، وهم مشتاقون لك وأوصل سلامي، وسلامهم للإخوة عصام، ونور وأبو آدم، ويسلّم عليك سعادة وبعد 45 يوماً سوف يفرج عنه إن شاء الله، ويقول لك كل عام وأنتم بخير، ونحن هنا مبسوطون، وقد زارنا الأهل والحمد لله..

انتهى

سلامي الحار أيها الأحباب، للإخوة نور وعصام وأبو آدم وأمجد، وجميع شبان الحركة بطرفكم، وأقول لكم كل عام وأنتم بألف خير، وأعاد الله علينا رمضان ونحن ساجدون في الأقصى، إن شاء الله.. وسلام حار لكم من الأخ محمود أبو سرية، وعاطف حسان، وياسر شلالدة، وعبد المجيد نصار، وجميل مسك، وحسن الزاغة، ومحمد الرشق، وجميع من يحبونكم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،
ودعواتكم يا طيبون
واسلموا لأخيكم المحب

زهير أبو مجاهد
نفحة – قسم 6
1999/12/12

الوثيقة رقم (8):

رسالة من الأسير عبد الله أبو شلبك (أبو ماهر) إلى الشيخ محمد أبو طير[9]

2000/1/3

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولي الصابرين الرحمن الرحيم

وأصلي وأسلم على الرسول الأمين وآله وصحبه وسلم

شيخنا الحبيب "أبو مصعب" محمد أبو طير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بداية أسأل المولى عز وجل، أن تكون أنت وإخوانك في [سجن] شطة، بالسلامة والعافية والمعافاة في الدين والدنيا والآخرة.

أوضاعنا، وكما أتصور، عندكم صورة جلية عنها من الناحية المعيشية، ولا جديد عملياً تقريباً، سوى ما يلمسه الإنسان، من ميل الإنسان للراحة، والبحث عن الذات.

واليوم ونحن نودع رمضان، والذي، والحمد لله، لم يمر عليَّ والله أعلم، مثيل له في سنيّ السجنة، من ذكر وقيام وقراءة للقرآن، وكان الشعور برحمة الله عظيماً.

ولعلها من المبشرات على الطريق أزفها إليك، ولو أنها كانت متأخرة، فقد مَنّ الله علي في ليلة كان الهم مطبقاً، وأثناء نومي رأيت فيما يرى النائم، ونسأل الله أن يجعل فيه الخير ما يلي:

رأيتك تقف عند سور طويل، وأنا وأحد الإخوة نقف ننظر إليك، ونحن بضيق شديد، وأنت تلبس عباءة، وإذا بك ترفع يديك إلى السماء، وتدعو بدعاء غريب وتصرخ وتبكي، وكنت ترتجف في منظر عظيم، وأنت تناجي الله، فإذا بمحدثي يقول لي مستغرباً من دعائك وابتهاجك، ماذا يعمل الشيخ، هل سيستجاب له؟ وإذا بغيمة تقترب فوق رأسك،

[9] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية.

وإذا بها تمطر عليك، فأُصِبْنا بالذهول، وتحدثت مع محدثي هل على الشيخ وحده؟ وإذا بالمطر يتحرك تجاهنا، ويعم المطر المكان، فأسأل الله أن يكون مطر خير.

(وكان هذا قبل رمضان بأسبوع)

أبا مصعب الخير:

أرجو منك أن تهدي سلامي للحبيب عصام، وتوصيه بالدعاء لنا، وأرجو أن تطمئننا عليه. وتهدي سلامنا لجميع الأحباب عندك (أبو الحارث "بسام"، وأبو زياد "طارق"، وأبو علي "العباسي")

وسلام لنا على أم نجيب، إليّ بتودي وبتجيب

ودعواتكم

يهديك السلام جهاد يغمور أبو عمر، وربيع الزغل وجلال رمانة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوك الصغير
عبد الله أبو شلبك (أبو ماهر)
2000/1/3 (سجن شطة)

الوثيقة رقم (9):

رسالة من الأسير أيمن أبو خليل (أبو حمزة) إلى الشيخ محمد أبو طير[10]

2000/1/3

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على دربه وجاهد جهاده، واستنَّ بسنته إلى يوم الدين وبعد،

[10] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية.

فيا والدي الحبيب.

أحييك بتحية الإسلام العظيم.. تحية من عند الله مباركة طيبة.. لنا إخوة وأحباباً في هذه الدنيا، وفي الآخرة على سرر متقابلين، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون.. إلا من أتى الله بقلب سليم.. تحية محملة بكل معاني الحب والشوق والحنين، تفوح بعطور الوفاء والإخلاص، أزكى من الفل والزهر والياسمين، تحية أبعثها من القلب، لتصل إلى القلب، وتلامس من الأحباب القلب وشغافه فتقول: "أنا لكم رسول من الإخوة المحبين"..

فالسلام عليك شيخي ورحمة الله وبركاته،،

وإنني إذ أكتب هذه السطور أبعثها، وكلي رجاء ودعاء إلى المولى جل وعلا، أن تصلك وأنت تنعم من الله العزيز الحكيم، بالصحة والعافية والستر، وهدوء البال وراحة النفس وسكونها، أنت وكل من تحب من الأهل والإخوة.. إنه سبحانه سميع قريب مجيب الدعاء.

هذا ولا يفوتني والدي الحبيب، أن أستغل هذه الفرصة السعيدة، وقرب مرور عيد الفطر السعيد، لأبعث لك بتحياتي وخالص تبريكاتي، ودعواتي وأطيب أمنياتي لك ولكل الأحباب في طرفكم.. سائلاً المولى أن يعيد علينا هذا العيد، بكل ما فيه من بركة وصفاء وطهر ونقاء، بعد شهر البركة والبركات والقربة والطاعات، وقد تحررت البلاد والعباد.. وقد دفع الله عنا البلاء.. وأبدلنا خيراً مما فقدنا في دنيانا وآخرتنا.. إنه سبحانه مجيب الدعاء.. قريبٌ.. أمرنا بالدعاء.. ووعد بالإجابة.. إذ قال ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، فَإن صَدَقْناه صَدَقَنا.

فكل عام وأنتم بخير، وتقبل الله منا ومنكم الطاعات

والدي وشيخي الفاضل:

يعلم الله أنني كنت دائماً، أحاول أن أكتب لك باستمرار، حتى إنني ولغاية خروجي من نفحة، حاولت المداومة على الكتابه لك.. وقد أرسلت لك عدة رسائل. ولكني لم أتلق منك إجابة. حتى وصلتني رسالة قصيرة منك تتهمني فيها بالعقوق، والتقصير في حقك والكتابة لك، وأنا من ذلك بريء، إلى أن ترحلت إلى هنا إلى شطة، وقد وصلتني سلاماتك وتحياتك مع الإخوة وهممت دوماً أن أكتب لك. لولا أن علمي أن ما سأكتب

غالباً، قد لا يصل؛ لأنه يصادر الداخل والخارج، وأخذت لذلك عنوان السجن عندكم بالبريد، وهممت أن أكتب لك وللحبيب الغالي علي العامودي، إلى أن علمت بسفر رشدي إلى المستشفى، فآثرت أن أرسل معه.. راجياً أن تلتمس لي عذراً.. واعداً إياك بالمراسلة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، متأملاً أن أسمع منك أيضاً في القريب، وأن لا تحرمني من الاطمئنان عليك وعلى أخبارك.

أما إن سألت عني وعن أخباري.. فلدي الكثير الكثير لأقوله لك، وأحكيه لك.. ولا يتسع هنا المقام لذلك، وأكتفي أن أعطيك ومضات ولمحات.. يا سيدي الوالدة والحمد لله بخير وصحة ممتازة، وأختي أم شهد عندها، هالأمورة الحلوة. ماشاء الله عليها زي القمر.. صار عمرها ستة أشهر.. ومبسوطة كثيراً معها ومعطيتها كل وقتها، وقد تركت عملها حالياً.. ومبسوطة والحمد لله مع يعقوب، وينتظران ولي العهد (محمود) في القريب بإذن الله.. وأما عن الوالد وإخوتي.. فالحمد لله أحاول أن أحافظ على خط موصول معهم، وعلاقة ممتازة بالمراسلة الداعمة والهدايا، وأطلب إخوتي للزيارة.. ومرات يأتون كلما تسنت لهم فرصة لذلك.. وهم يحبونني كثيراً ومتعلقون بي لدرجة لم أكن أتوقعها.. وعلاقة أبي وإخوتي مع أمي وأختي ممتازة جداً والحمد لله، وهناك تزاور وود وألفة والحمد لله.. ولله الفضل والمنة أن زال الجفاء والقسوة، كان في القلوب ونشأ مع السنين.. ولكن يبدو أن رب ضارة نافعة.. وحبستي كانت جرعة حرارية، أذابت الجليد وقربت القلوب.. لدرجة أن أمي تذهب إلى كتاب أخي، وترقص في الحفلة وكأنها في عرسي وهي مسرورة لذلك.. والعزايم متبادلة بين الطرفين.. وحتى إن إخوتي يزورون أمي، ويقدمون لها الهدايا في عيد الأم، أم شهد أنهت الماجستير.. أما يعقوب، فقد أنهى البكالوريوس، ويعمل في المركز الطبي.. ويفكر بإكمال الماجستير بجدية.. هذا عن أخبار الأهل. أما عن محسوبك ومحبك وابنك المخلص أبي حمزة أسدِ الله، فأنا كما أنا، بإذن الله لن يضيرني سجن أو شبك أو أسوار.. فأنا وأعوذ بالله من قولة أنا أو العجب.. أسأل الله أن أكون كقول الشاعر:

قالوا: حُبستَ، قلتُ وما يَضيرني... وأي مهند لا يغمدُ..؟

وإن شاء الله إن طرأ تغيير فبإذنه ورعايته وفضله للأحسن، وبعد ذلك بدعوات لإخوتنا ومحبينا ومشايخنا وأهلنا، كما تعلم تعلمت اللغة العبرية منذ زمن، ودرست

فترة في العبرية.. وبعد أن برقت بارقة الأمل الأخيرة.. طلقت العبرية بالثلاث، وأحاول أن أتفرغ لما هو أهم وأجدى، فكما أتوقع ومثل الجميع.. الحبسة ما بقي فيها، والله أدرى وأعلم أكثر من الذي مضى، وأولى أن أستغل الوقت قدر الإمكان. لأن البداية أمامنا وليست وراءنا.. وعلينا وعلى كاهلنا الكثير لنبنيه ونرفعه، ونضع له أساساته القديمة قد غارت واهتزت. وتحتاج إلى من يقول أنا، ويشمر عن ساعديه، ليرفع البنيان ويقيم الأركان.. والله أسأل أن نكون لها.. فالحمل ثقيل والهم كبير، والمتغيرات والمستجدات سريعة، تحتاج أن نرقبها بعناية وعيون صقور حادة، تتفحص وتدرس.. والله المستعان.. قلت لك يا شيخ الكلام كثير.. والقلب مليء مليء.. ولا مكان هنا إلا للمحات وومضات، ولكن حسبنا يا شيخ أن الرائد لا يكذب أهله، والحمد لله كانت لنا الريادة وستبقى بإذنه تعالى.. على فكرة.. الوالدة تنتظرني بفارغ الصبر، وصارت تحضر لي وتجهز لي (وبدها تجوزني)، ومتفائلة كثيراً.. والله نسأن ألا يخيب رجاءنا.. فهو حسبنا ومولانا.. نعم المولى ونعم الوكيل.. ولا يفوتني في هذه العجالة، أن أبرق بتحياتي وأشواقي وسلامي، إلى كل الإخوة عندك دون استثناء، ومعذرة إن لم أعرف كل من عندك، ولكن أذكر منهم الحبيب الأخ الغالي الرجل أبا أحمد العامودي، والأحباب أبا عمر جهاد، وأبا عبد الله زكريا، والزغل إخوان، والشيخ الحبيب المشتاق لرؤياه صالح العاروري، ورفيقي وصديقي العزيز الغالي موسى دودين، وعصام الحبيب، وهارون ناصر الدين، وعلي عطاطرة، وكل الأحباب، وتقبل مني خالص الحب والتقدير، والاحترام واسلم لابنك.

المحب دوماً

أبو حمزة (أيمن) أسد الله

سجن شطة

الأربعاء

2000/1/3

الوثيقة رقم (10):

رسالة من الأسير حسن الزاغة (أبو علي) إلى الشيخ محمد أبو طير[11]

2000/1/16

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين.. والصلاة والسلام على محمد الأمين.. وعلى آله وصحبه أجمعين..

سيدي الشيخ أبا مصعب.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

أحييك بتحية إسلامنا العظيم.. تحية طيبة مباركة، أرجو وآمل أن تصلك وأنت بألف خير من مولانا عز وجل..

فيا أبا مصعب الخير والبركات.. كيف الحال وكيف الصحة؟ عساك بأحسن حال من ربنا الكريم العظيم.. كم كنت أود لو أسألك هذه الأسئلة وأنت أمامي بدون رسالة، ولا أي حاجز.. لكن هذا قدر العظيم الحكيم.. ولله الحمد رب العالمين..

أعرف يا سيدي أنك لا تحب المراسلة، ولكن لا بدّ أن تخفق قلوبنا —وقد خفقت— بنبضات من المحبة، على شكل كلمات تخطها يميني، لتشاهدها وتقرأها عيناك، فكيف تريدني أن أستغني عن هذه البركة، وعن هذا التواصل.

رغم أني أعرف أن قلبك ولسانك لا ينساني من الدعاء.. أعرف أيضاً أن قلبك الكبير، وسع حسناً المسكين، ووسع معه كثيراً من إخوانه، ولأن قلباً خصني بما خصني به هو قلبك، فلا بد أن تترجم هذه المشاعر إلى كلمات.. لتحصل بالنهاية البركات الطيبة، التي أسعد وأهتم أن تتداركني.. وحتى تكون اللغة المادية، دليلاً وبرهاناً على التواصل الروحي.

شيخي أبا مصعب.. كتبت لك قبل هذه المرة.. ولكن ربما لم يصلك، وإن شاء الله تصل رسالتي هذه، وقرأت رسالتك لمحمد، وعرفت كيف أنك لا تحب المراسلة من خلالها.. ولا أطلب منك شيئاً، لأني أعرف ماذا يُكنّ لي قلبك الطيب، فكان طبيعياً أن أقرأ برسالتك،

[11] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية.

وصية لمحمد توصية بي، وكان لهذه الوصية أثرٌ في قلبي كبير.. رسخت من خلالها أنك الكبير وأنا الصغير، وأنك صاحب الفضل (بعد الله)، وأنا ذلك المقصر المذنب، قبل حوالي أسبوع رأيتك في غرفة، وجئت إليك، وقلت لك لماذا لا تخرج كثيراً من الغرفة يا شيخ، فقلت لي أريد أن أتقرب إلى الله عز وجل. في الليلة نفسها رآك فؤاد الهودلي وأنت تمشي بالفورة، وتقرأ القرآن، لعل ذلك يكون رفعاً في درجاتك إن شاء الله، فؤاد يسلم عليك.

لعلّي قلّبت عليك مواجع، لكن لا بدّ أن أكتب لك، أذكرك دائماً وبئس عسقلان بدونكم، قل لعصام ونور وكل الأحباب، أننا هنا نقاسي بعدكم، قبل أن نقاسي أي شيء آخر، أذكرك وأذكر بعض كلماتك لي، حديثٌ حسن*. وأيضاً ذبّاح كفه لا ارتحم (مثل كانت أمي رحمها الله، ترددده بشأن مَنْ لا يعتبر). ولبيك، والله يرضى عنك، كل هذه عبارات أذكرها دائماً، ومنك لا أريد أن أطلب شيئاً، فأنت لا تريد توصية علي.. فادعو لإخوانك.. ادعو لمحمد.. هو بخير، وإجمالاً متأقلم مع السجن، وعندي أمل كبير أن يحضر لطرفكم، (ليس إلا أملاً عندي)، ولكن أُدعّمه بالدعوات، والطلب من المولى الكريم، أن يعيش أيامه المقدرة عليه في السجون، بين مَن يحبّهم ويرتاح معهم.. ومن ثم أطلب منك ذلك، مدركاً جداً لصعوبة الموضوع، لكن هو جُهد المُقل، بل هو جهدي كله، فلو استطعت لحمَّلته لنسمات الجو وطيور السماء.. لكن لله في كل شيء حكمة، وإن شاء الله خير.

أخيراً أخوك كثير غلبة، الله يعينك عليّ، الله يفك أسرك في القريب العاجل، إن شاء الله ويرضى عنك..

كل عام وأنت بخير

* حديث حسن: حديث حسن، عن الحسن، عن جد الحسن، "إِنَّ أَحْسَنَ الْحُسْنِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ"[12].

أخوك وابنك الصغير
حسن (أبو علي) الزاغة
2000/1/16

[12] نص الرواية: عن الْحَسَنُ، عَن الْحَسَن، عَن الْحَسَن بْن أَبِي الْحَسَن، عَن الْحَسَن، عَن النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "إِنَّ أَحْسَنَ الْحُسْنِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ". قَالَ أَبُو الْعَبَّاس: أَمَّا الْحَسَنُ الأَوَّلُ هُوَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْد، وَالْحَسَنُ الثَّاني هُوَ الْحَسَنُ بْنُ حَسَّانَ، وَالْحَسَنُ الثَّالثُ هُوَ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَن الْبَصْرِيُّ، وَالْحَسَنُ الرَّابعُ هُوَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْن أَبي طَالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الألباني إنه حديث موضوع حسبما ذكر في **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، الجزء 2، ص 187.

الوثيقة رقم (11):

رسالة من الأسيرين محمود عطون (أبو قتيبة) وموسى العكاري (أبو خباب) إلى الشيخ محمد أبو طير[13]

2000/2/9

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله

شيخي الفاضل أبا مصعب الخير

سلام الله عليك ورحمته وبركاته وبعد،،

بداية أدعو القدير أن تصلك رسالتي هذه، وأنت تنعم بوافر الصحة وتمام والعافية. وأسأله تعالى لك الثبات والنصر، وسلامة الدين والدنيا والآخرة.

والدي العزيز.. إن شاء الله تكون بأفضل حال، وأهدأ بال، وكذلك الأهل الكرام، الوالدان الفاضلان، مصعب ومحمود والأميرات، وكل من كان لك قرّة عين.

أما إن طاب لك السؤال عنا، فنحن بصحة جيدة، وبحمد الله على العهد ماضون، لا نقيل ولا نستقيل، وندعو الله أن يحفظنا لديننا بما يرضى به عنا، —أوضاعنا هنا شبه جيدة، فأنا الوحيد الذي يسمح له بالزيارة، ومع قدوم الأخ طه الشخشير، سنكون اثنان فقط بعد انتقال الأخ كمال أبو نعيم إلى هدريم أول أمس—، الدراسة الجامعية تأخذ منا جل الوقت، وقد قدمنا امتحانات الأسبوع الماضي، وإن شاء الله خير، الإدارة تتعامل معنا بين مد وجزر، ولكن بالمجمل الوضع حسن ومقبول. والمدة الطويلة هنا لعبت دوراً في تأقلمنا على الوضع، وعن أخباري الشخصية الصحة جيدة والمعنوية حديد بعون الله، غارق بالجامعة والتقدم بطيء، زيارتي كل ثلاثاء من أسبوعين، والمسموح بزيارتهم هم فقط الوالدة وأخي أحمد "أبو مجاهد"، أما الوالد ورائد وعماد فممنوعون، وهذا الموضوع حالياً في المحكمة. الأهل بخير وأوضاعهم جيدة، وكل أخبارهم عند إياد،

[13] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية.

فهو يعرف عنهم أكثر مني، قدمت قبل شهرين طلباً للمحكمة العليا، بالسماح لي بكمبيوتر، وإدارة السجون رفضت، والقضية مستمرة بالمحاكم. وآخر تطور حصل، أن المحكمة طلبت رأي الأجهزة الأمنية بذلك، أن أحصل على كمبيوتر بدون ربطه بشبكات اتصال وأن يكون تحت المراقبة، وحالياً أنا بانتظار الرد من المحكمة. وإن شاء الله يكون خيراً.

أما عن خروجي من العزل، فدائماً يرمون لي الوعود بإخراجي من العزل، وقد كثرت هذه الوعود في الفترة الأخيرة، من كل المستويات هنا، ولكن على ما يبدو أن لا شيء في الأفق، وإن شاء الله خير.

حالياً أعيش مع الأخ موسى عكاري بنفس الإكس، وهو حملني أمانة التسليم عليك، فهو يبلغك السلام ولكل الإخوة بطرفك بذلك، ونحن نعيش معاً منذ أربعة أشهر، ومرتاحون كثيراً مع بعض بحمد الله، ونأخذ العزل رحلة شوي وطبيخ "ببساطة جداً".

شيخي الكريم، هذه مقتطفات عن أخباري، أما عن أوضاعنا العامة، فالإخوة هنا 8 إخوة وموعودون بالتاسع حسب آخر كلام عند الإدارة، لم نعرف من هو بعد. وهم (عبد الناصر عيسى، وزاهر جبرين، وطه الشخشير، ويحيى السنوار، ومحمد الشراتحة، ومحمد دخان بالإضافة لي وموسى عكاري) وكل الإخوة ممنوعون من زيارة الأهل، وقد مدد العقاب حتى 2000/5/3، ويوجد مبشرات بإمكانية السماح لعبد الناصر بالزيارة، فقط (ليس بعد). كل اثنين في إكس واحد، ونحن في قسم صغير 12 إكساً وعندنا 8 سجناء مدنيون نصفهم عرب، وعلاقتنا هنا مع الكل جيدة، بل ممتازة، نخرج للفورة ساعة واحدة باليوم، كل إكسين مع بعضهما، ولا ينقصنا شيء هنا، نأخذ كنتينة مرتين بالشهر، ونصرف لكل مجاهد 350 شيكلاً بالشهر، ورغم أن ما نحصل عليه من الإخوة والسُلطة لا يسدد ذلك، إلا أننا نتدبر أمرنا والحمد لله، والأخ زاهر هو ممثلنا أمام الإدارة، ونحن نتعامل مع الإدارة بشكل تنظيم جماعي، وممثل وليس فردياً، وكل الإخوة الموجودين حالياً ملتزمون بذلك بفضل الله.

يأتي أحياناً محامون لزيارتنا من كل المؤسسات. وكذلك جاء النائب عبد المالك دهامشة لزيارتنا، قبل أكثر من شهر، وكذلك وزير الأمن الداخلي، ولكن لم يقابل أحداً منا، وكانت زيارته عدة أيام. عندنا عدد من الإخوة ينزلون المحاكم، ولا يمر أسبوع

دون أن يكون أحد بالسفرية، زاهر وعبد الناصر للشمال، دخان والسنوار وشراتحة للجنوب وهكذا.

شيخي الحبيب أبا مصعب، هذا مجمل أوضاعنا هنا، وأرجو أن تعذرني لسوء الخط، والضغط المتراص، فقط كتبتها الليلة بعد منتصف الليل؛ لأتمكن من إرسالها مع الأخ زاهر، وقد آثرت الكتابة لك، رغم رغبتي الكتابة كذلك للأخوين الحبيبين أبي العباس، ماجد أبو قطيش وأخي إياد، أبي حذيفة.

فأمانتك أن تسلم عليهما الاثنين جداً جداً، ولم يكن متسع من الوقت للكتابة إليهما، أما أبو العباس، فقد وصلت رسالتك أخي الحبيب، مع الأخ أبي العلي العباسي، والتي بعثتموها بالبريد للتهنئة بالعيد، وقد سررنا بها جداً، مبارك زواج أخيك مازن، وقد باركنا للأهل بذلك، وقد علمت بوصول رسالتك بالبريد لأهلي، والوالدان مسروران بها جداً. علمنا أن أبا البراء (طباخ عزل عسقلان) أخباره جيدة مع أحمد شكري، وهو ينوي دخول الجامعة، واليوم بعثنا له بكتب تعليم العبرية والتي تركتها لنا، وحبذا يا أبا العباس أن تدخل معنا أيضاً بالجامعة فهي سهلة ومفيدة جداً عن تجربة، سلامٌ للأهل الأفاضل نحن آتون عندك، أما إياد، فقد وصلت رسالتك "وواجبك علينا يا أبا حذيفة" معذرة للتقصير —أخبارك عندي من الأهل— سلامٌ لزوجك، وشد حيلك. ثبتك الله وفرج كربك.

في الختام، دعواتك لنا شيخنا الفاضل، وإن شاء الله نلتقي قريباً، فالسجون ليست لنا.

نستودع الله دينكم وأماناتكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ابنك

أبو قتيبة: (محمود عطون) أبو قتيبة مع أبو خباب

أبو خباب: (موسى العكاري)

عزل/ السبع

الساعة 1:30 فجراً

2000/2/9

الوثيقة رقم (12):

رسالة من الأسير محمد الرشق إلى الشيخ محمد أبو طير[14]

2000/3/2

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وألّف بين قلوبنا من غير أحساب بينها ولا أنساب، والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد وبعد،

شيخي الفاضل والأخ الحبيب الغالي أبا مصعب الخير، السلام عليك ورحمة الله وبركاته وأسعدك بكل خير، أستهل بداية رسالتي هذه بالسؤال عن أخبارك وأحوالك، وعن صحتك بعد دينك أولاً، فكيف يدك الطاهرة، وكيف المعنويات، رغم أنني متأكد أنك تمُد من حولك بكل المعنويات، الله يرضى عليك يا شيخ، أخوك مشتاق لك كثيراً، وكيف الشباب من حواليك، وخاصة أبا الحارث الله يسعده، ومن عندي وقبل أن أنسى فازع يُهديك السلام، حيث إنني أعيش معه، وكذلك يهديك سلاماً أيضاً أخي عصام، وكذلك أبو عبد الله، وأبو عمر، والجميع هنا بخير وافر والحمد لله، والشبان مبسوطون ومرتاحون، وكما كتبت سابقاً الوضع ممتاز لولا عدم الزيارة، وفي الحقيقة أنني مش حابب أنتقل من هنا، ومن أراد الاستفادة فالمجال مفتوح لذلك، إذا استغنيت قليلاً عن التلفاز، وعلى صعيدي الخاص الحمد لله أراجع وأثبت القرآن، وأقرأ تفسير سيّد قطب "الظلال"، وسأتعلم اللغة الإنجليزية، وأقرأ كتباً أخرى، ونأخذ أُسَراً مرتين أسبوعياً. وعصام مرتاح أيضاً هنا، وهو يعيش مع أبي عبد الله، ويقول رغم عدم الزيارة إلا أنه أفضل من شطة ولا مجال للمقارنة، فأهم شيء هو راحة البال، وأهم شيء يا شيخ أبا مصعب هو علاقات الشباب، إذ إنها جيدة ويوجد تفاعل مع الجميع، وهنا المجال متوفر لذلك سواء من خلال زيارات الغرف طول النهار تقريباً، أم من خلال الخروج لغرفة الأكل فتجلس مع أي أربعة تشاء..

[14] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية.

لك يا أبا مصعب كل التحايا والأشواق القلبية التي لم أعد أفهمها، فهي أمر غريب.. والله الواحد ما يشتاق لأهله وأمه وأبيه، مثل ما يشتاق لكم.. المهم كيف حالك يا شيخ، وإن شاء الله مبسوط.. أخي الحبيب هل تعرف بحور الدنيا كلها، مع المحيطات الخمسة، من بينهما القطبان الشمالي والجنوبي.. مشاعري تفيض قليلاً عن ذلك، ولكن أخاك لضعف تعبيره لا يعرف أن يكتب مثلكم، ولا حتى أن يحاول، فالتعبير عندي كالسمك في البحر الميت..

روحي الغالية وأخي أبا مصعب.. ها أنا أكمل الكتابة، حيث إنني بدأت بها قبل 3 أيام، ولكنني أكملها بعد أن جاء اسم فازع بوسطة للمجنونة، وقد أخبرني عصام بالأمس أنه بعث لك برسالة، وإن شاء الله تصل.. طبعاً سيرتك بيني وبين عصام في كل وقت، ولم تنقطع، وكما تعلم فنحن نحبك كثيراً.. وأصلاً ما لنا غيرك يا شيخ.. وهذه نعمة كبيرة، أن ألّف الله سبحانه بين قلوبنا، وأنا أعرفك تقدر هذه المعاني التي شارف الناس على نسيانها، ولكن الدنيا بدونها لا طعم لها. فوالله يا شيخ، إن أجمل شيء بهذه الدنيا أتذوقه هو هذه المعاني.

قبل قليل جاء خبر عودتك سالماً، والحمد لله له من قبل ومن بعد.. هكذا هي سنة الله في خلقه. من أحبه ابتلاه من دون سائر خلقه، ابتلاه لكي يصبر ويشكر فيزيد في محبته، فمن دون كل أولئك الخلق الذين بدأوا نهارهم بالعيد السعيد، اختار من بينهم واحداً لأنه يحبه. أغبطك على محبة الله لك، فذلك واضح جليّ.. أوصيت عصاماً أن يكتب لك، ولكن أخاف أن ينسى، فلذلك اعتبر هذه الرسالة مني ومنه، وهو بخير ويهديك السلام، ويقول لك ألف ألف حمدٍ لله على سلامتك، وكل عام وأنت بألف خير.. كم سعدنا يا شيخ بنبأ عودتك.. الله يا شيخ ما أعظم شوقي إليك !. مشتاق جداً لأقبلك، وأقبل جبينك الطاهر بل يديك الطاهرتين.. وطبعاً كل القسم بأجمعهم فرحوا بنبأ رجوعك من التحقيق، فانتشر الخبر بثوانٍ في كل القسم مثل انتشار النار في الهشيم، ذلك دليل محبتهم وتقديرهم لك، كيف لا وقد أحبك الله فأمر جبريل عليه السلام أن يحبك الخلق، وأنا من بينهم الذي تعلم إن أحب أن يخلص الحب..

وقبل أن أنهي لا أريد أن أوصيك أن تخصّنا بدعواتك الطيبة، فالله يسمع من عباده الذين يحبهم، وأمر جبريل عليه السلام بحبهم، ومن ثم أعلن الأخير أن الله قد أحب فلاناً فيحبه الناس أيضاً، وعلامات حب الله لك يا أبا مصعب يراها جميع الناس..

وبلغ سلامنا للجميع من حولك بدون نسيان أحد وأولهم بسام، وأبو زياد حمدان، وإياد عطون، وبسام إدريس، وعبد المعين، وأمجد زغير، وأمجد مجاهد، ورجب، ومهند، وعصام سدر، ورامي البسيط، وفهد، ونور الغالي، وماجد قطيش، وسليم، ورائد، وشاكر، وأيمن، وفؤاد، وشعيب، ومحمود، ولروحك الطاهرة أطهر وأجمل وأزكى وأعطر سلام.

وفي النهاية أستودعك الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مع خالص تحيات أخوك

محمد الرشق

2000–3–2

هدريم

الوثيقة رقم (13):

رسالة من الأسير وليد خالد من سجن هدريم إلى الشيخ محمد أبو طير[15]

2000/3/28

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وبعد:

شيخنا الحبيب أبا مصعب الخير يحفظك الله ويرعاك

سلام الله ورحمة الله وبركاته عليك، أيها الأخ الكبير، ما طرف لك جفن، أو نبض لك فؤاد ورضي الله عنك وأرضاك، وانتصر لك انتصاره لأوليائه على أعدائه وبعد،

فحمداً لله على سلامتكم.. والحمد لله على كل حال.. ولست أدري ما أقول في هذا المقال، فليس مثلنا من يواسي أو يصبّر أو يشدّ من أزر مثلكم.. فمنكم نتعلم الصبر ونستمد المعنويات.. وكأنه قدر الرجال الكبار أيها الشيخ الحبيب، أن يثبّت الله بهم من خلفهم من رجال، ومن معهم من إخوان، ينظرون إلى أنموذجهم الفريد في البذل والبلاء.. امتحاناً تلو آخر، فلا تزيدهم جراحات المعارك إلا ارتفاعاً في ضمير الناس، ولا تكون لهم

[15] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية.

هذه الجراح إلا أوسمة وشارات، يتربعون بها على عرش القلوب التي تحبهم، وتزداد لهم حباً ما زادت الأيام، وترى في بطولاتهم الأخاذة ما يدفعها للمواصلة والثبات.. وإذا ما وسوست النفس —أو أرادت— بالقعود والراحة والدعة.. كانت تلك النماذج التي يصنعها الله على عينه علماً في الطريق، يشير إلى القاعدين أن ها هنا الطريق..

كم تكبرون يا شيخ.. وكم يزداد حبنا لكم.. ومعه يزداد الشوق والحنين.. ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ..﴾

أخي وأستاذي الحبيب: يهديك من عندي السلام كل من تحب.. الذين تعلقت قلوبهم بك، وما فتئوا يدعون الله لك.. وسرّهم خبر عودتك سالماً.. والحمد لله رب العالمين..

ثم إن ربنا الكريم سبحانه، قد أنعم علينا بصحبة الشيخ أ. محمد[16] رضي الله عنه وأرضاه.. وإني ألازمه على الدوام، أتعلم منه وأتتلمذ على يديه.. ولعمر الحق إنه بحر لا ساحل له.. وكل يوم أتعلم منه جديداً.. ولولا خشيتي في أن أثقل عليه، ولأدع لغيري نصيباً.. ما تركته إلا عند النوم.. ثم إن له سحر الحبيب أبي الفداء[17] رحمه الله.. إذا تكلم أو قال.. روح ما وجدتها إلا في هذين الرجلين العظيمين، سحر ليس لغيرهما.. فيا سبحان الله.. والحمد لله الذي أكرمني بالتتلمذ على يديهما وصحبتهما.. وإنها لنعمة لا بدّ لها من شكر..

بخصوص محكمتنا.. بلغنا أنهم وافقوا على حل الحكم، والمسألة مسألة وقت والحمد لله رب العالمين.

سلّم على كل الأحباب عندكم: أمجد، وفهد الشلودي والجميع..

والكل من عندي يهدونك السلام.. خاصة كرز وهذه الرسالة باسمي وباسمه...

وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوك وليد خالد

هدريم

2000/3/28

[16] المقصود بأبي محمد الشيخ صالح العاروري.

[17] المقصود بأبي الفداء الشهيد عادل عوض الله.

الوثيقة رقم (14):

رسالة من الأسير حسن الزاغة (أبو علي) إلى الشيخ محمد أبو طير[18]

2000/9/23

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين.. والصلاة والسلام على محمد الأمين.. وعلى آله وصحبه أجمعين.

أخي الكبير.. وشيخي أبا مصعب.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كيف أنت يا شيخي، عساك بأحسن حال من الله تبارك وتعالى، كيف الصحة والعافية..؟ أرجو من الله العلي الكبير أن تصلك رسالتي هذه، وأنت على خير ما يرضاه الله تبارك وتعالى.

لا أدري من أين أبدأ.. فأنا مقصر معك، وتقصيري يخجلني.. ولكني متأكد أنك مسامح لي.

لا أدري ما هي أخبارك..؟ هل ما زلت على حالك..؟ لقد أثر في نفسي أن خرجت وأنت زعلان، ولكن كما يقولون؛ ما في اليد ولا حيلة. وربنا يرفع عنك الهم والغم.

إن طاب لك السؤال عني، فأنا مشتاق لكم، نزلت هنا إلى العمل، (خياط)، وأنا أجوب السجن طولاً وعرضاً، أذهب إلى قسم 12، وإلى باقي الأقسام، أقضي كثيراً من وقتي في الساحة، وأذهب إلى الغرفة وقت النوم والراحة فقط، يعني الغرفة بالنسبة لي فندق ليلي.

أعيش في غرفة 9، على البرش الذي بجانب برش عصام، —سهل الله أمره ورضي عنه—، وأظن أنك عشت على هذا البرش، يوجد لدي كثير من الأفاضل بالغرفة، وأيضاً كثير "الخالصين" على رأسهم محمود عيسى، وزاهر وياسر داوود، وأيضاً دودين والرجوب وعثمان، وعندي الأمريكان وغلمة والتعمري (عادل شواورة) وآخرون.

[18] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية.

طبعاً بعد هذه الحياة الفردية بهدريم، يصعب العيش مع 18؟!! ولكن تعودت والحمد لله رب العالمين..

آه يا شيخ.. ماذا أقول لك.. حقاً أنني أستشعر ما يقلقك ويزعجك ويثقل عليك.. ربنا يفرج عنك، ودائماً أدعو الله أن يرضى عنك ويفك أسرك، هذه الدنيا كدٌ وتعب، كما قال الله ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾.

هذه الأيام أقرأ للإخوة بعد صلاة العشاء أحاديث نبوية، بالأمس قرأت قصة كعب بن مالك، وعشت مع تلك القصة، وتحرك قلبي لها.. ومنها انتقلت إلى أحاديث الصبر، فكم قال النبي ﷺ في الصبر؟!

أيضاً بالأمس، سمعت قصة أبي بكر الرازي، عندما رأى في المنام الرسول ﷺ.. يقول له قل لفلان (وكان فلان هذا أسيراً للسلطان) أن يدعو بهذا الدعاء.. الموجود في صحيح البخاري (لا إله إلا الله الحليم الكريم. لا إله إلا الله العلي العظيم. لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم) طبعاً دعا بهذا الدعاء وفك الله أسره.

أخيراً أخي وسيدي، كلي أمل أن يفك الله أسرك عما قريب، إن شاء الله.. أرجو أن تسلّم لي كثيراً على عصام وماجد وموسى ومحمد وأبي حذيفة، ولا أريد أن أزيد بالأسماء حتى لا أثقل عليك، دعواتك يا شيخ، يسلّم عليك كثيراً أبو درويش، ودائماً نذكرك بالخير، وهو دائم الدعاء لك.. طبعاً يا شيخ، لا أنسى أن أقول لك إنني هنا مسرور بفضل الله.. فأنا كثير الحركة هنا.. ولا أمكث في أي مكان إلا قليلاً، فلا أشعر بالوقت أبداً.. لا تنْسَ سلامي للأهل يا شيخ وسامحني ودعواتك.

عثمان يهديك السلام

أخوك حسن الزاغة

2000/9/23

هدريم

الوثيقة رقم (15):

رسالة من الأسير سامر محمد حمادة (أبو محمد) إلى الشيخ محمد أبو طير[19]

2000/9/24

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد،

لا أعلم حقيقة، وفي بداية رسالتي هذه لك شيخي الفاضل، بماذا أدعوك.. أأقول أخي الفاضل أم أقول الوالد الكريم، أم أقول المجاهد العريق.. صعب والله الاختيار بينها، غير أني قد حاولت أن أجمع بينها جميعاً بكلمة شيخي الفاضل، فأرجو أن تتقبلها مني أيها الشيخ الجليل.

شيخي الكريم، إن خير ما أستهل به رسالتي المتواضعة هذه، هو الاطمئنان على شخصك الكريم، فكيف أنت شيخي؟ وما هي أخبارك؟ وهل يا ترى للسنين وَقعٌ عليك؟، عرفتك شيخي ولا زلت أذكرك، بأن ذاك الرجل الجبلي الأشم لا تلويه رياح عابرة أو كاسرة، وذلك من مبدأ ومن منطلق الحق تبارك تعالى ﴿إِنّ اللهَ مَعَنَا﴾، سريعة هي (شيخي) الأيام في جريانها، فنحن الآن في بداية السنة الرابعة، ولله الحمد، حيث كان لي الاستفادة العظيمة، سواءً في التحصيل العلمي أم العملي، وهذا كله من فضل ربي.. سمعت يا شيخي الفاضل، بأنك مبسوط عندك في هداريم.. حيث إنك بحاجة لنوع من الراحة والهدوء والاختلاء بالكتب، فحفظك الله يا شيخي وزادك بسطة في العلم والجسم، ما هي أخبار الرياضة معك يا شيخي الفاضل، أم أنك قد اعتزلت اللعب — لعب الرياضة—، شيخي الفاضل لم تُتح لي الفرصة لأن أعيش معك، ولكم تمنيت ذلك، فأسأل الله أن يجمعنا بك في القريب العاجل، خارج هذه الأسوار الظالم أهلها،

[19] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية.

وما ذلك على الله بعزيز.. شيخي وأبي ومعلمي وأستاذي، نحن أبناؤك هنا، فإن كان بيننا بُعد من مسافة وأسوار، إلا أن القلوب متواصلة مترابطة، فلا تحرمني يا والدي من دعواتك في سجود السحر، ولك مني المثل إن شاء الله الولي عز وجل، بالنسبة لأخبارنا فنحن بخير والحمد لله، محمد إبراهيم "أبو بصير" انتقل إلى عسقلان، وبقينا هنا أنا ومحمد خليل حمادة، حيث إنه قد بقي لمحمد 9 أشهر، ويتم الإفراج عنه إن شاء الله.. والله المستعان، الشيخ صالح "أبو محمد" موجود هذه الأيام في غرفتي 64 وما شاء الله عنه، يعجبك في التفاعل، بس معظم وقته شغل، يا الله نحن نعذره لأنها فترة قصيرة، وراجع عندكم، شيخي الفاضل يهديك أحر السلامات من عندي، خالد أ. غليون، وأكرم القواسمي، وسامر القواسمي، ومحمد خليل، وجميع الإخوة دون استثناء.. وفي ختام هذه الرسالة المتواضعة، أرجو منك يا شيخي الفاضل، أن ترسل مني سلاماً خاصاً، لكل من الإخوة (زكريا أبو عبد الله، ومحمد الرشق، وعصام، ورشيد، طبعاً لا أنسى أبا قتيبة محمود عطون، وقل له إننا مشتاقون له، وكذلك الإخوة بكيرات إيهاب، وإبراهيم، وسامي أبو الحلاوة ومعاذ بلال، ولا أنسى الأخ العزيز والرفيع، أيضاً الرفيع مكانة وليد خالد، وأشرف وربيع الزغل، وموسى دودين) ولكل الإخوة عندك بالله سلام خاص.. خاصة لعماد السمودي وماجد الجعبة.

وفي ختام هذه الرسالة أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوك الصغير

سامر محمد حمادة (أبو محمد)

2000/9/24

نفحة

الوثيقة رقم (16):

رسالة من الأسير شادي فايز (أبو قتيبة) إلى الشيخ محمد أبو طير[20]

2000/9/27

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، سيدنا وحبيبنا وقائدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد،

شيخنا الفاضل أبا مصعب، حفظك الله ورعاك، بتحية ملؤها الشوق والحنين أحييك، أبعثها لك لتخترق كل القضبان، فالسلام عليكم ورحمة الله.

الشيخ الطيب أبا مصعب الخير: ائذن لي في بداية هذه الكلمات القصيرة، أن أطمئن عليك. فيكف حالك؟ وما هي أخبارك؟ التي أسأل الله أن تكون بخير. وكيف تسير أمورك في هدريم؟ عساها جيدة. وكيف الأمور عندكم؟ أرجو أن تكون مستقرة، فالصحيح أننا مشتاقون لك، ولرؤيتك أيها الطيب، وأسأل الله أن يجمعنا قريباً فوق ثرى القدس الشريف بإذن الله، أكتب لك هذه الرسالة من معبار الرملة، وبجانبي هاني الشريف، وباسم الجعبري، وهما يهديانك سلاماتهم الحارة جداً جداً، إن سألت عن أخبارنا، فنحن والحمد لله بخير وبصحة جيدة، ومعنويات تفوق الخيال، وذلك بفضل الله عز وجل. أوضاعي تمام تمام، حيث تبت توبة نصوحاً من عمل الأفلام[21]، حيث رأيت فيما يرى النائم، أن شخصاً يحاول قتلي، ومسدسه على رأسي، وفي تلك اللحظة تراءت لي جميع الأفلام، على شكل معاصٍ تقصم الظهر، وصرت أرجو أن يتركني فقط لأسبوع، وقبل أن يضغط على الزناد، قمت من النوم، وأصبح بيني وبين الأفلام حاجزٌ كبيرٌ، وأسأل الله القبول، واعذرني يا شيخ فلقد رأيت رؤياي قبل أن أنفذ مخططي ضد زاهر فمعذرةً. الواد مجدي أبو سن مكسور، يهديك سلاماته الحارة جداً.

---

[20] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية.

[21] يقصد أنه كان كثيراً ما يصنع "المقالب" التمثيلية على إخوانه.

بالنسبة للمحكمة: رفضت النيابة أن تقلل من الصفقة، التي عرضتها على المحامي، وهي 22 سنة ونصف، وقررت الخوض في مرافعة الحد الأعلى لها 35 بدون حد أدنى، ورغم ما بها من مخاطرة، فقد قبلتها، وخلال الشهرين سأصبح[22]، والله يجيب اللي منه الخير، فلا تنسونا من دعواتك يا شيخ، طبعاً لي الآن في المعبار ثلاثة أيام، وقبل أن يأتي اسمي إلى (شكيما)[23]، جاء مرة أخرى إلى (بيت إيل)[24]، وسأظل ليوم الإثنين القادم، وكل ذلك من بركات القاضي اللعين دمره الله.

في ختام هذه الكلمات القصيرة، لا تنساني من دعواتك في سجدات السحر، ولك مثلها إن شاء الله.

وأنهي كلماتي، ولا أنهي محبتي، والسلام عليكم ورحمة الله

أخوك شادي فايز (أبو قتيبة)
وباسم وهاني
معبار الرملة
2000/9/27

الوثيقة رقم (17):

رسالة من الأسير الشيص مؤيد إلى الشيخ محمد أبو طير[25]

2000/10/29

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الغالي والصديق الرائع أبا مصعب الخير.. أبو طير..

سلام الله عليك ورحمته وبركاته، وألف تحية من أعماق قلبي، الذي أبداً لا ينسى إخوته وأعزّاءه، والذي يبقى يدق على وقع ذكرياتهم الطيبة، كيف ينسى؟ وأنت أعطيت

[22] هكذا في أصل النص.

[23] شكيما: اسم لسجن عسقلان.

[24] بيت إيل: مستوطنة صهيونية بالقرب من رام الله، وكان فيها محكمة عسكرية صهيونية.

[25] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية.

لهذا القلب بعضاً من حياة، وبعضاً من أمل وفرح، وتفاؤل وإرادة، أنت وكل الرائعين ممن جمعتنا بهم طريق العطاء، هذه الطريق التي لا تنتهي، إلا حين تنتهي آلامنا، وجراحنا، أقصانا الحبيب الذي بات تحريره أكيداً، وقريباً بإذن الله، ما دامت القلوب تشتد زحفاً إليه، وتشد إليه الرحال، وفيها كل الغضب والثورة والتمرد، وفيها كلُّ وقْعٍ: الله أكبر، وكلُّ دويٍّ: لا إله إلا الله، وكلُّ نبضات العشق لفلسطين، للوطن الذي زرعه الله في عقولنا وأجسادنا، وقلوبنا، وفوق أكفنا، وجعله كوكباً دريّاً يوقد من شرايين وفية خصيبة، حباها الله بوفرة الدماء ورفعة النقاء، إذ ذاك يا أخي، وحين يطلع الفجر الآتي على بلدنا المحرر، ومسجدنا المطهّر، وأقصانا، إذ ذاك سنلتقي حتماً في رياضه وحياضه، وتحت زيتونه المبارك، قد نكون مسنين شيوخاً، أو قد يلتقي أبناؤنا، أو فرع من شجراتنا بعد جيل، يكونون مؤمنين مطمئنين، فيتحدثون عنا أو قد نتحدث عن أنفسنا، ونقرأ بفرح صفحة ماضية، كانت لنا نسأل الله أن تكون ناصعة. المهم نلتقي يا أخي قريباً، نلتقي فقد أرسل الله بشائره لنا، ليحيي في قلوبنا أملاً كان يعلوه الصدأ، وكدنا نيأس من مشقة السفر وطول العناء، لا تعجب يا أخي، فرسل الله على عصمتهم، كانوا ييأسون قال تعالى: ﴿حَتّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ القَوْمِ المُجرِمِينَ﴾ صدق الله العظيم.. ما أريده منك يا رفيق، ويا أخي الطيب، أن يشتد دعاؤك، بأن نكون ممن نجوا وينجو، مع أنك ستقول لي: إن النجاة من ربقة القيد، وظلام السجن، ليست نجاة، فهناك نجاة أعظم، فلا بأس يا أخي أن يكون دعاؤك للنجاتين.

الحديث معك لا يمل يا أخي، ووالله ما اخترت الرحيل عنكم.. ولكن عسى الله أن يجمعنا في لقاء، وفي ظروف أحسن وأفضل.

تحياتي لك ولكل الأحبة بطرفكم، تحياتي لموسى، وأبي محمد الشيخ صالح، والأخ هارون الطيب الذي لا ينسى، والشيخ ماجد قل له اسمه في القائمة، واشترينا تبادلاً، طالما انتظرناه وانتظرناه، آمل لكم ولي الحرية العاجلة القريبة. الكل يسلمون عليكم، سامر وحمزة أبو سعود وعصمت وعامر القواسمي والجميع سعداء، دغلس ومؤيد جلاد دائماً في سيرتكم مشتاقون لكم. نلتقي بإذن الله، أخباري جيدة والحمد لله وآمل أن تكونوا بألف خير.

* أخوك/ مؤيد عبد الصمد (الشيص)

سلام الله عليكم مرة أخرى وإلى اللقاء

وهذه أبيات كتبها الشيص مؤيد:

أما زال وجهك ذاك الكريم ... يجود من النور أزهى الضياء؟

وقلبك ذاك العرين الجميل ... أما زال ينبض معنى الوفاء؟

ونظرات عينك فيها الشموخ ... شموخ السحاب الذي في السماء؟

أما زلت تقرأ في الصالحين ... وتنشر فيهم هدى الأنبياء؟

وتبعث في الناس روح الجهاد ... وتحفر في الصخر نبع العطاء؟

وتسمو بروحك فوق الجراح ... وفي الله تحسب هذا العناء؟

رسمت لنا الدرب درباً جميلاً ... إذا ازدان دوماً بأزكى الدماء

وقلت لنا النصرُ يغدو أكيداً ... إذا الله أكبر كان النداء

فأجريت نهراً من الحب فينا ... وأعظمت في النفس مغزى الفداء

أبا مصعب الخير قلبي حزين ... ولكن يعز عليه البكاء

لبُعدك طعم الفراق المرير ... فشوقيَ نار وعيشي شقاء

دعوت لكي ما يزولَ الظلام ... ويطلع من الليل فجر الضياء

لتغدو أخ القيد حراً طليقاً ... ويكشف ربك هذا البلاء

فديتك نفسي أخا المؤمنين ... وبشراك رب مجيب الدعاء

فنصر من الله آت قريب ... وفي القدس حتماً يكون اللقاء

ستفتح أبوابٌ مشرعات ... وتلقاك حباً بوجه مُضاء

هو الليل يذوي أبا مصعبٍ ... فنور التحرر يملا الفضاء

سينهدُّ هذا الجدار اللعين ... وخط قيود الطغاة الفناء

لنا الله كم شيدوا من سجون ... وللقهر أعلَوْا صروح البناء

وللظلم كم حشدوا من حديد ... ملا الكون بأساً شديد الدهاء

ولكـــن يـد الله أعلـى وأقـــوى وأمضى من السيف صوتُ الإباء
هو الشعب يمضي أبـا الطيبين بـزحـفٍ جـديـد شـديـد البهـاء
ويصطف حشد الكفاح الجميل بســـاحٍ أبـــيٍّ بـهـــي اللـــواء
لقد صاح مسرى النبي الكريم فـلـبـت جمـوع الأبـاةِ النـداء
فهـب المثلث صنـو الجليـل وهـبـت ربـوع البـلاد ســواء
وثارت عواصف ريح الخليل تحيـل صـروح اليهـود خـواء
فـثـبـت فـؤادك لا تـقـنـطـن تجمـل بصبـر أخـا الشـهـداء

*مؤيد: رفيق جبهة شعبية

الشيص مؤيد
2000/10/29

الوثيقة رقم (18):

رسالة من الأسير عرفات (أبو جعفر) إلى الشيخ محمد أبو طير[26]

2001/3/11

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسولنا المصطفى، الحمد لله الذي جلعنا مسلمين وبعد،،

شيخنا الفاضل أبا مصعب الخير، سلام الله عليك يا صاحب النَفَس الطيب، تحية طيبة تحية معطرة، برائحة المسك والعنبر، تحية الرجال للرجال، والجنود للقادة، فالشوق لك لا يوصف، ويشهد الله كم معزتك عندي يا أعز الأحباب على القلب؟ فيا قرة العين لو تعلم كم أنا خجِلٌ منك؟ وذلك بسبب طول هذه المدة بدون رسائل من جانبي،

[26] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية.

وأرجو منك أن تعذرني يا شيخنا الفاضل، ولكن أقولها لك وبكل صراحة، إنك دائماً على البال وفي القلب، وكان دعائي لك كل يوم وهذا عهدٌ علي. ومن الصعب عليّ أن أنسى تلك الأيام التي عشناها، وكنت لي بمنزلة الأخ والصديق والمربي في كل شيء، ولا أنسى آخر أيام عسقلان قبل ترحيلك إلى شطة، فكم كان صعباً بالنسبة لي؛ لأن الفراق أصعب من ذلك، فيا عزيزي، لقد طال الفراق واشتد الشوق إلى لقياك، والذي شدني إلى الكتابة هو شوقي الشديد، الذي لا يوصف لشخصك الكريم، فلقد وصلت هداياك وبارك الله فيك، أما بالنسبة إلى أخباري والأوضاع عندي، طبعاً الشيخ المزيني بقي له أكم من يوم [بضعة أيام]، وعقبال عند الجميع، ورَوْحي وهو يهديانك السلام الحار، والشيخ عطية رُحِّل قبل شهر إلى عسقلان، وكان يريد أن ينقل إلى هدريم، وكان دائماً يقول لي الشيخ أبو مصعب طلبني، المهم الله يفرج كربه، أما بالنسبة لي كما تعلم، لقد أنهيت الحفظ قبل أشهر والحمد لله على ذلك، طبعاً عندي برامج ثانية.

الشيخ الغالي أبا مصعب الخير، وقرة العين، طبعاً قبل حوالي ستة أشهر، كنت أزور وكانت دائماً الوالدة تبعث لك بالسلامات الحارة، وأيضاً عن طريق الإذاعة تبعث لك، والحمد لله لقد ذهبت ومعها أبي إلى أرض الحجاز، لأداء فريضة الحج الله يتقبل من الجميع.

في أول شهر في الانتفاضة، اتصلت تلفون لأن أختي الأكبر من الصغيرة، تزوجت من وائل قفيشة، أخو طاهر قفيشة الشهيد، والحمد لله على ذلك طبعاً، العرس كان في أول يوم من الانتفاضة، ولقد علمت مؤخراً بأن أختي الصغيرة أيضاً، تزوجت قبل حوالي شهر من واحد من دار النتشة، (أخوه عديله يعني اثنين عدايل ولكن الحمد لله النتشة ما في قرابة بينهم). أما دار عمي إللي [الذين] مشاكله معهم، لقد علمت أيضاً أن الأوضاع، [حُلَّت] وصار في زيارات بيننا على الأعياد والأعراس، التي مضت هذه كل الأخبار حالياً. أما يا شيخ أبا مصعب كان عدم المراسلة لك مني، هو الكسل مني وأنا أعترف على ذلك، وسامحني وأرجو ذلك، صدقاً يا شيخ كم أريد أن أكون عندكم في هدريم، وأعيش معك ومع الناس الذين أحببتهم من كل قلبي. عندي في نفس الغرفة سفيان جمجوم، وهو يهديك السلام، وبدر العواودة وجمال يهدونك السلامات الحارة، ولا أنسى أخي جميل مسك فهو يسلم عليك أيضاً، طبعاً يا عزيزي علاقتي مع جميل أكثر من أول، وأكثر من الإخوة الحمد لله. داوود عبيات وعلقم وزين شبانة، وأبو عاصم النتشة والسلايمة عوض، يهدونك أحر السلامات.

وفي ختام هذه الرسالة لا تَنْسَني من دعائك واعذرني على عدم المراسلة، واعلم أن لك مكانة لا توصف في قلبي. وسأكون كما عرفتني، وبلغ سلامي إلى جميع الشبان عندك، وخاصة الشيخ موسى دودين، وهارون، وماجد، وسلام حار إلى عصام قضماني، ومحمد كميل، وسلامة والشيخ صالح، ويا شيخ إذا أردت أي شيء ابعث برسالة وحياك الله.

أخوك عرفات (أبو جعفر)

2001/3/11

الأحد/ نفحة

الوثيقة رقم (19):

رسالة من الأسير وليد دقة إلى الشيخ محمد أبو طير[27]

2001/5/6

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ العزيز أبا مصعب تحية وبعد،،

وصلتني سلاماتك عبر الرسائل للشبان عندي، وأشكرك جزيل الشكر على اهتمامك، لكن اعذرني يا أخي على الإلحاح الزائد، فأنا وبكل صدق، لم أعد قادراً أو مستعداً نفسياً لتحمل أجواء شطة، وقد فكرت أكثر من مرة في الخروج من القسم، على أمل أن أفرض على الإدارة عندي، التعاطي الجدي مع طلبي، وقد عدلت عن ذلك، خشية من أن تُفَسر من الشبان على نحو خاطئ. الظروف التي أعيشها سيئة على المستوى الشخصي، ولا أرغب هنا، وضع تفسيرات أو توضيحات للأسباب، وسأترك ذلك إلى حين ألتقيك.

سامحني على الاندفاع، والحديث عن قضية النقل قبل السؤال عن صحتكم، وأوضاعك، وخصوصاً الأجواء التي تحب أن تعيشها فهل أمورك تمام؟ كيف أخبار

[27] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية.

والدتك والأولاد؟ أسأل الله أنهم جميعاً على أتم الصحة، وأن يصبرهم رب العالمين، ويصبر أهلنا جميعاً على ما هم فيه. الأهل عندي والحمد لله بخير والوالدة (شوي) قلقة، فحتى الآن غادرها اثنان من أشقائي لأمريكا، والثالث (الدكتور) على الطريق، ويغادرون هم وأسرهم وهذا أصعب عليها من أسري، فكما تقول أنا على الأقل تراني كل أسبوعين.

لا أحد في هذه الدنيا سعيد، والهجرة هذه يبدو لي راضية عنها إسرائيل فالأوضاع الأمنية والاقتصادية عندنا سيئة جداً، منذ أحداث أكتوبر (الأقصى)، ورغبتي في الانتقال إليكم، تسهل علينا كثيراً أي على الوالدة، وتنسجم مع ظروف عمل الخطيبة.

أنا أعلم جيداً بأن العقبة الوحيدة أمام انتقالي هو "جباي"، الذي يتحجج بأن القسم مغلق أمام أسرى الداخل، وهذا كلام غير صحيح. والصحيح هو أنه يخشى أن يكون لي دور ما في القسم، وأنا وعدت المدير عندي بأني لن أخرج من الإكس إلا للفورة، ولن أشتغل في أي عمل اعتقالي أو حوار أو غيره، والله زهقان كل هذا الأمر. وأعتقد بأن مسألة المكان محلولة إذا تمّت الاستجابة لطلب نقل عمر مسعود، الذي يطالب به عسقلان، وقد قدم من عندكم طلب أيضاً.

أخي أبا مصعب:

مؤخراً كانت لي مقابلة مع المدير عندنا في شطة، وتحدثت معه عن موضوع النقل، وأكد لي بأنه لا يوجد عنده أية مشكلة، وطلب مني الانتظار قليلاً كي يستفسر من "جباي"، وما أتوقعه منكم هو الحديث مع المدير عندكم، على أمل أن يسهل نقل عمر، ويمكني من الانتقال لطرفكم.

ختاماً تحياتي لجميع الإخوة والرفاق من حولك، ولك مني فائق التقدير والاحترام.

أخوك

وليد دقة

2001/5/6

الوثيقة رقم (20): ملصق انتخابي لقائمة التغيير والإصلاح لانتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني الثانية، والذي يأتي ترتيب الشيخ أبو طير فيه ثانياً[28]

كانون الثاني/ يناير 2006

[28] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية.

الوثيقة رقم (21):

بيان مرشحو كتلة التغيير والإصلاح عن دائرة القدس وأنصارهم يشجبون تعرضهم لإطلاق النار في مخيم قلنديا من قبل مسلحين من فتح[29]

2006/1/6

بيان شجب واستنكار

مرشحو كتلة "التغيير والإصلاح" عن دائرة القدس وأنصارهم يشجبون تعرضهم لإطلاق النار في مخيم "قلنديا" من قبل مسلحين من "فتح"

نحن مرشحو كتلة "التغيير والإصلاح" عن دائرة القدس نشجب ونستنكر ما قامت به حركة "فتح" في مخيم "قلنديا" من تعطيل وتخريب لعقد مهرجاننا الانتخابي، وإطلاق حملتنا الانتخابية على أرض المخيم، حيث كان مقرراً اليوم الجمعة أن يعقد هذا المهرجان ففوجئنا بالمسلحين والملثمين من حركة "فتح" يطلقون النار، ويرشقون أنصارنا بالحجارة ويضربونهم مستخدمين العصي والجنازير والبلطات لثنينا عن ممارسة حقنا الطبيعي في القيام بالدعاية الانتخابية، مما أدى إلى إصابة قرابة عشرة من المشاركين بجروح مختلفة، كما قاموا بحفر أرض الملعب الذي كان معداً للمهرجان بالجرافات وملئوه بأطر السيارات، وحين توجهنا للعديد من مسئولي "فتح" المعروفين في رام الله والقدس فإنهم لم يحركوا ساكناً ولم يبادروا إلى حل الإشكال وأظهروا عجزاً واضحاً عن فعل أي شيء.

إننا إذ ندين ونشجب هذه الأعمال الرعناء لنوجه نداءنا إلى لجنة الانتخابات الفلسطينية، وإلى السلطة وأجهزتها الأمنية لحماية حقنا المكفول في إدارة حملتنا الانتخابية، ونؤكد على أن هذه "الزعرنة" والخروج عن القانون، والتعدي على الحريات من شأنها أن تؤدي إلى فتنة لا تحمد عقباها، ونحمل حركة "فتح" المسئولية الكاملة عن هذه الحوادث الخطيرة وتبعاتها.

[29] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية.

وفي الوقت نفسه فإننا نتوجه بالشكر الجزيل لأهلنا في مخيم قلنديا الذين أعربوا عن دهشتهم واستنكارهم وأسفهم الشديد لما حصل من قبل فئة خارجة عن كل الأعراف والتقاليد والقيم الإسلامية والوطنية، كما نشكرهم على تعاطفهم ووقفتهم معنا، ونعاهدهم أننا سنكون أمناء في التعبير عن مشاعرهم والحفاظ على حقوقهم كما عهدونا.

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾

مرشحو كتلة "التغيير والإصلاح" عن دائرة القدس

الوثيقة رقم (22):

خبر عن محاصرة الشرطة الصهيونية لاجتماع تمهيدي لإطلاق الحملة الانتخابية للحركة الإسلامية في القدس، وحديث للشيخ أبو طير في المؤتمر[30]

الاحتلال يحاصر قاعة الاجتماع

الحركة الإسلامية تعقد اجتماعاً انتخابياً في القدس

الاحتلال يحاصر قاعة الاجتماع

الحركة الإسلامية تعقد اجتماعا انتخابيا في القدس

بيت المقدس. منبر الإصلاح:

حاصر الجيش الصهيوني قاعة للاجتماعات يعقد فيها مؤيدو الحركة الإسلامية في محافظة القدس المحتلة اجتماعاً تمهيدياً للإعلان عن قرب انطلاقة الحملة الانتخابية للمجلس التشريعي.

وتحدى أنصار الحركة الإسلامية الحصار الذي فرضته قوة كبيرة من جيش الاحتلال على القاعات الكبرى في قرية بير نبالا شمال القدس المحتلة، وعقدوا اجتماعهم

[30] صحيفة **منبر الإصلاح**، العدد 17، الأحد 1426/12/8هـ الموافق 2006/1/8م.

التمهيدي للإعلان عن قرب انطلاق حملتهم الانتخابية، رغم استفزازات الجيش الصهيوني وعناصر مخابراته.

وأغلقت عدة دوريات عسكرية صهيونية كافة الطرق المؤدية إلى القاعة، وتمركزت دوريتان على المدخل الرئيس للقاعة، فيما نصب أفراد المخابرات الصهيونية آلات للتصوير بهدف مراقبة المشاركين في الاجتماع التمهيدي.

ورغم كل محاولات التخويف والترهيب من قبل جنود الاحتلال الصهيوني وعناصر مخابراته، عقدت الحركة الإسلامية اجتماعها بمشاركة المرشحين الذين ستدعمهم الحركة الإسلامية.

وأكد الشيخ محمد أبو طير في كلمته على أن المرحلة التي وصلت إليها الحركة الإسلامية في فلسطين وصلت إليها بعد أن دفعت ثمناً باهظاً وغالياً من دماء أبنائها وقادتها الشهداء وآلاف الأسرى حتى عز البناء على الهدم.

واعتبر الشيخ أبو طير أن كل واحد من أبناء الحركة الإسلامية سهم من سهام الإسلام وجندي من جنود الدعوة، مؤكداً على "أننا لن نخذل شعبنا وأمتنا".

من جهته استعرض الدكتور الأسير إبراهيم أبو سالم في كلمته التي ألقاها عبر الهاتف من سجن النقب حرص العدو الصهيوني على النيل من الحركة الإسلامية من خلال الإبعاد وعمليات التصفية والاغتيال وملاحقة ومطاردة رموزها السياسية والعسكرية.

وأشار أبو سالم الذي يقضي حكماً بالسجن الإداري لمدة ستة أشهر "إلى أن أفضل الأعمال نصرة الإسلام ومكافحة الباطل بكافة مسمياته وأشكاله، معتبراً أنه بركة من بركات الله أن نكون خدماً للقدس وحماة للأقصى".

وأكد أبو سالم على أن الحركة الإسلامية لا تنافس الآخرين على شخوصهم ومصالحهم، وإنما تنافسهم على النقاء والنهج، مضيفاً "إننا لا نعادي أحداً ولكننا ندافع عن القضية ونحافظ على الثوابت"، داعياً أبناء الحركة الإسلامية للعمل بأقصى جهد لكي يصل صوت الحركة الإسلامية إلى كل بيت.

الوثيقة رقم (23): ملصق باسم المجلس التشريعي الفلسطيني يطالب بإطلاق سراح رئيسه ونوابه، ويأتي ترتيب الشيخ أبو طير فيه الأول يساراً[31]

[31] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية، تشرين الأول/ أكتوبر 2006.

الوثيقة رقم (24):

خبر عن الاعتداء الصهيوني على مرشحي حماس في القدس مرفق بصورة لاعتداء الشرطة الصهيونية على الشيخ أبو طير أحد المرشحين[32]

حماس تتحدى وتعلن مواصلتها لحملتها:

ابوطير للمحققين: القدس محتلة وهي لنا ولن يمنعنا أحد حقنا الأبدي

الاحتلال يعتقل مرشحي حماس ويمنع مؤتمرها في القدس بالقوة ويفرج عنهم لاحقا

بيت المقدس - منبر الإصلاح

لم تستطع حكومة البغي الصهيونية الصبر على رؤية انعقاد المؤتمر الصحفي لمرشحي حماس في القدس عند بوابة الأسباط بالمدينة، واعتقلت أمام مختلف وسائل الإعلام العديدة مرشحي حماس الأربعة لانتخابات التشريعي، واعتدت عليهم بالضرب وسط حالة من السخط الشعبي والكبرياء والشموخ الذي تحلى به عمالقة القدس، فيما أعلنت شخصيات فلسطينية استنكارها الاعتقال على استحياء.

حماس تتحدى وتعلن مواصلتها لحملتها:

أبو طير للمحققين: القدس محتلة وهي لنا ولن يمنعنا أحد حقنا الأبدي

الاحتلال يعتقل مرشحي حماس ويمنع مؤتمرها في القدس بالقوة ويفرج عنهم لاحقاً

بيت المقدس - منبر الإصلاح:

لم تستطع حكومة البغي الصهيونية الصبر على رؤية انعقاد المؤتمر الصحفي لمرشحي حماس في القدس عند بوابة الأسباط بالمدينة، واعتقلت أمام مختلف وسائل الإعلام العديدة مرشحي حماس الأربعة لانتخابات التشريعي، واعتدت عليهم بالضرب وسط حالة من السخط الشعبي والكبرياء والشموخ الذي تحلى به عمالقة القدس، فيما أعلنت شخصيات فلسطينية استنكارها الاعتقال على استحياء.

[32] جريدة **منبر الإصلاح**، العدد 18، الثلاثاء 1426/12/17هـ الموافق 2006/12/17م.

فقد اعتدت قوات كبيرة من الشرطة الصهيونية والوحدات الخاصة، وأفراد ما يسمى حرس الحدود على مرشحي كتلة التغيير والإصلاح عن دائرة القدس، مما أدى إلى إصابتهم بجروح مختلفة قبل أن يتم اعتقالهم.

وكانت قوات كبيرة من الشرطة الصهيونية والوحدات الخاصة، وأفراد ما يسمى حرس الحدود تمركزت قبل صلاة ظهر الأحد أمام باب الأسباط، أحد أبواب الرئيسة للمسجد الأقصى المبارك، بعد أن أعلن مرشحو كتلة التغيير والإصلاح عن نيتهم عقد مؤتمر صحفي في ساحة باب الأسباط بعد صلاة ظهر.

وفور خروج مرشحي الكتلة والمصلين، وقف العشرات من أفراد الشرطة والوحدات الخاصة أمام باب الأسباط وحالوا دون وصول المرشحين إلى الصحافيين الذين تجمعوا في الساحة.

(.....)

الوثيقة رقم (25):

رسالة من الأسير مصطفى الأسطل (أبو معاذ) إلى الشيخ محمد أبو طير[33]

1429/12/16هـ – 2008/12/14م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد،،

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

شيخنا الحبيب الغالي —شيخ القدس والجليل بل فلسطين، المحبوب الحنون— أبو مصعب الخير أبو طير الموقر، حفظك الله وأسعد أوقاتك، وإن شاء الله الفرج قريب وتكون في القدس وفي بيت المقدس، وقد تحررت من دنس الغاصب، اللهم آمين..

[33] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية.

شيخنا الفاضل: كنت كتبت رسالة وفيها ما يجب عليّ ذكره تجاهك من ألقاب أراها قاصرة عن إيفائك حقك، ولكن خشيت أن تكون لها كارهاً، فعزمت على كتابة غيرها.. فأنت تعلم ويعلم الله كذلك كم كنت أنتظر الفرصة واللحظة التي تصافح يدي يدك، وتضغط على يدي ضغطة حب وحنان، بل أعانقك عناق المشتاقين، كنا ننتظر اللحظة التي تقدم إلينا فيها وكان الأمل يحدونا أن نراك في العيد ولو للحظات، ولكن الحاقد لا يرتاح أن يراك بين أبنائك توزع عليهم الابتسامات وتمدهم بالعزيمة والقوة والأمل، من شيخ قدوة كانت سني جهاده في السجون أكثر من التي عاشها على الأرض المباركة —وكل أرضنا مباركة— وكل حياتنا جهاد وما نزال ننتظر، ننتظر أن نراك — نصافح يدك— نعانقك، نحادثك، نقبل يديك.

شيخنا الحبيب/ من حقك أن تعتب علينا بُطء المراسلة، ولا تقبل أعذارنا مهما كانت مُبراراتها أو جُمِّلت عباراتُها أو أُحْكِمت مُسوغاتها، فأعترف أمامك بالتقصير، وأُقر بالخطأ.

شيخنا الحبيب الغالي، يعلم الله كم كانت عليّ ثقيلة أن تناديني قبل أن أناديك وتخاطبني قبل أن أخاطبك وتسمعني ولا أسمعك.. رغم أنني مباشرة هُرعت إلى الشباك كي أراك ومعي الشباب كذلك ونظرنا إلى الشباب علّنا نجدك بينهم، ولكن أهل السبق والفضل يأبى الله إلا أن يجعلهم القدوة وأصحاب السبق الدائم وإن كان الأمل أن نكون مثلكم..

وأطلب منك أن تغفر زلّتي، إذ ظننت أن الأحداث المتراكبة والمتراكمة قد أثقلت عليك فأصبحت الأيام التي عشناها لا تُذكر بتفاصيلها بل بعناوينها، فكانت المفاجأة، بل الدرس الذي يجب أن يُتعلم وألا يُنسى، أن الإخلاص والمحبة للإخوان تَتَطلبُ منهم تذكُّر الأيام الرائعة بجمالها وروعتها وإن كانت في أشد المحن..

الشيخ الحبيب.. أتقدم منك بالتهنئة الحارة المحمّلة بباقات من الورود والرياحين بمناسبة عيد الأضحى المبارك أعاده الله عليك وعلى كل الأسرى وقد فُكّ القيد وحُررت الديار.. كما أتقدم منك بأسمى آيات العز والفخار بمناسبة مرور الذكرى الواحدة والعشرين لانطلاقة حركتنا الغرّاء وبهذه المناسبة اخترت الكتابة باللون الأخضر، رغم أن الأريح للعين والأوضح هو الأسود، وأتقدم منك بكل الذكريات والانتصارات التي مرّت علينا وعلى حركتنا بدءاً من الإفراج عنك، واندحار المحتل عن أرض غزة، والانتصار الرائع في الانتخابات والحسم المبارك وتبديد الوهم عند العدو، وانتصار

الإخوان في مصر، والتيار الإسلامي في تركيا، وقوة المقاومة في أفغانستان —والقائمة طويلة— وقدر الله أن تداول الأيام والعاقبة للمتقين.

الحبيب.. كل الشباب عندنا يقرؤنك السلامات والتحيات الطاهرات الزكيات، وكلهم يودون لو يراسلونك أو يحادثونك أو يعانقونك ولكن تحول بينهم وبينك الجدران والأبواب وضعف المراسلة بسبب ملاحقة السجّان لها.. وأنا هنا أستغل مقدرتي على المراسلة لأراسلك، فإن كانت المراسلات الشخصية ممنوعة أو غير مسموحة عبر الطريق إلا لأمور تنظيمية، ولكنّ مثلك فالمراسلة معه ليست شخصية بل تنظيمية بامتياز، وإن كنا أمس أنزلنا تعميماً عندنا بمنع الحديث الشفوي بين قسمي 13 مع 6، وإن كان الأجدر بالامتثال هم أولو الأمر الذين أنزلوا التعميم، إلا أن الحديث معك —وإن لم أسمعك— كان خارجاً عن الإطار، وإن قالها البعض مازحاً "الإدارية تحكي على الشبابيك" فقلت لهم أنا مستعد للمساءلة والمحاسبة، المهم مكالمة الشيخ... يعني يا شيخنا الحبيب، أقصد من وراء هذه الكلمات أنني أنوب عن كثير من المراسلات التي يقرؤنها الشباب إياك؛ فالأخ أحمد القدرة أبو عبيدة كم شعر بالإحراج لتأخر المراسلة وسيراسلك قريباً؟ والأخ أبو الليث مؤنس العقاد يقرؤك السلام كذلك وسيراسلك إن شاء الله وأخبارهما عندك بالتفاصيل، وهما من القدوات، وعندي من الأفاضل الذين يُقرؤنك التحيات الأخ أبو بصير عوكل ومقداد، والأمير أبو النمر، ورامي زويدي وأخباره وصحته ممتازة الآن وإن كان يعتمد على الدواء. وعندي الخليلي إياد يقول لك ابنك إياد الخليلي يقرؤك السلام وسامحني يا شيخنا.. إن قبلت الاعتذار، عن كتابة أسماء كل الإخوة الذين يقرؤنك السلامات والتحيات..

يا شيخنا الفاضل، أما عن الأستاذ سامي أبو محمد فنِعم الأستاذ، وهو يعمل مدرس ويكمل في الماجستير في تخصصه، وقد أفلت من السجن بنعمة الله عليه، وقد كلمت الشيخ سعيد زعرب قبل أيام وكانت عنده خطبة جمعة في مسجد المجمع الإسلامي (يعين الآن خطيب) وهو مسؤول الأوقاف في خانيونس. والأهل والأقارب والأحباب.. كلهم بخير.. وأخبارنا الميدانية الرسمية تقدم على كل الأصعدة وفي كافة المجالات فلله الحمد والمنة.

شيخنا الحبيب، سامحنا على الرسالة إن أطلت الكلام، فمن وجهة نظري رسالة عاجلة وسريعة وقصيرة ومن الوجهة الأخرى أُراعي وقتك وأريح عينيك عن مواصلة القراءة، ويكفيني أنني أوصلت إليك التحية والسلام والتهاني مني ومن الأحبة، وأنني

أدعوه تعالى أن يعجّل لك بالفرج ويمن عليك وعلى دعوتنا بالنصر، وأطلب منك العفو والسماح على التقصير، ولا أنسى أن أحمل عبرك تحياتي العطرات للأحبة بطرفك بلال البرغوثي وبلال أبو دقة وعماد صقر وأبو خميس وجميع أبناء غرفتك والأحبة الذين تحب أن تقرئهم تحياتي عندك، وليسامحوني على عدم ذكر الأسماء فإنني لا أود أن أحملك أمانة السلامات للجميع. واسلم لمحبك المشتاق لرؤياك وسماع حديثك الداعي لك بالفرج القريب والنصر والتوفيق وإطالة العمر وحسن العمل.

ابنك المشتاق إليك وبصدق وعلى الدوام
أبو معاذ/ مصطفى أحمد عبد الحميد الأسطل
16/ ذو الحجة لعام 1429هـ

الوثيقة رقم (26):

رسالة من الأسير أبو النمر إلى الشيخ محمد أبو طير[34]

2008/12/16

بسم الله الرحمن الرحيم

شيخنا الفاضل أبو مصعب حفظه الله، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

بداية أسأل الله العليّ العظيم لك الفرج القريب ويعلم الله إننا مشتاقون لك كثيراً ولرؤيتك، وللحديث معك يا أطيب المشايخ، وأرجو أن تسامحني على التأخير بالرسالة؛ فكنت في البداية أظن أنهم سيأتون بك لقسمنا ففرحنا كثيراً، ولكن لم يفت فوات، يا ريت تأمر بأن نسجل اسمك نقل عندنا، فكل الشباب مشتاقون لرؤيتك الطيبة وحديثك الأطيب، فلا تحرمنا من هذه البركة، وأسأل الله لك الصحة والعافية ومقاماً قصيراً في هذه البلاد بل في هذه السجون الظالم أهلها.

أخوك أبو النمر
2008/12/16م

[34] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية.

الوثيقة رقم (27):

رسالة من الأسير أحمد شكري القدرة (أبو عبيدة) إلى الشيخ محمد أبو طير[35]

1429/12/18هـ – 2008/12/16م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله والصلاة والسلام على رسوله الكريم وبعد، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

شيخنا الفاضل وأستاذنا الحبيب، أ. مصعب الخير.. "حفظه الله"

كل عام وأنت بألف خير وكل انطلاقة وحماس والإسلام عزيز..

الصحيح يا سيدنا الشيخ تأخرت الرسالة رغم حرصي منذ وصولك أن أراك في الفورة لأتحدث معك عبر غرفة 58 ولكن قدر الله فلم أرك، وانتظرنا أن تَصعد إلينا زيارة في العيد فلم يقدر لك ذلك، ولعل المانع خير، المهم إلتمس لنا العذر، والعذر عند الكرام مقبول..

يعلم الله أنني أحبك فيه وكم مشتاقين لنرى طلتك البهية ونفسك الزكية ولحيتك المهيبة، فأيام جميلة وأوقات طيبة قضيناها معك وهي محفورة في الذاكرة لا تنسى، وعلى الدوام كنا نتابع أخبارك ونستبشر ونسر كلما رأيناك على الشاشة، وبعد الاعتقال عبر "البوسطات" وقرأت جزءاً من قصيدة القدس التي نظمتها والتي أرسلتها مع الأخ الفاضل رامي سليمان، سهل الله طريقه وعجل له ولنا جميعاً بالفرج.. اللهم آمين، وسررت كثيراً والإخوة بعد قراءتها وكذلك بعد سماعنا من الأخ رامي أخبارك ومواقفك الصلبة العزيزة حول أحداث غزة وكذلك الضفة، ولا غَرو فأنت أستاذنا في الجرأة والجهر بكلمة الحق، فلطالما خطبتنا وعلمتنا العزة في خطبك الصادقة، فالله أسأل أن يجعلها في ميزان حسناتك.

الشيخ الموقر.. أستاذنا الفاضل

[35] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية.

أتمنى عليك أن تفكر بجدية بعد أن يشبع الإخوة منك، وما أظنهم يشبعون، أن تنتقل إلى طرفنا، فأولاً: نحن مشتاقين لك كثيراً، وثانياً: يوجد إخوة سمعوا عنك كثيراً ولم يتشرفوا بالتعرف عليك يلحوا أن تأتي إلينا، فأرجو أن لا تتردد بسبب تمسك الإخوة بك فلنا حق فيك كما هم..

ختاماً..

أتمنى عليك أن لا تنساني من دعواتك وخاصة أن يثبت الله القرآن في فؤادي فقد أكرمني الله وتفضل علي بحفظ القرآن، وأنا بالتأكيد لن أنساك، وإن كنت أحوج إلى الدعاء منك فنحسبك من أهل الله...

رضي الله عنك ونفع الله بك الإسلام والمسلمين ولقاؤنا إن شاء الله في الانطلاقة القادمة في القدس ﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

ابنك الصغير الداعي لك بكل خير
أحمد شكري القدرة/ أ. عبيدة
الثلاثاء 18/ ذو الحجة/ 1429هـ
الموافق 2008/12/16م

الوثيقة رقم (28):

رسالة من الأسير أكرم قاسم (أبو معاذ) إلى الشيخ محمد أبو طير[36]

1429/12/18هـ – 2008/12/16م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

الشيخ الفاضل والوالد العزيز/ أبو مصعب الخير – حفظك الله ورعاك.

[36] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية.

أُحييك بتحية طيبة ملؤها الحب لك في الله.. تحية الصابرين الموحدين المرابطين.. تحية – الجنة – الى أهل الجنة إن شاء الله "فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

أولاً: عملاً بقوله ﷺ "تهادوا تحابوا".

وثانياً: بمناسبة عيد الأضحى المبارك رغم أن الوقت فات وبمناسبة مرور 21 عاماً على انطلاق ماردنا الإسلامي، أرجو أن تقبل هذه الهدية المتواضعة.

ووالله يا شيخي إني أحبك في الله.. وأسأل الله أن يكون ذلك في سبيل الله ومن أجل الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

ابنك المحب لك في الله
أكرم بن عبد الله قاسم
معاذ
الثلاثاء 2008/12/16
ذي الحجة 1429

الوثيقة رقم (29):

رسالة من الأسير ضرار محمد الحروب (أبو نمام) إلى الشيخ محمد أبو طير[37]

2010/1/21

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدالله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...

عندما تتوالد السحب في السماء وتعزف بها الريح لحن الشتاء، وتكتب الأرض بريشةِ المطر أنشودة السماء، وتتطاير الذكريات كأوراق الخريف على وجه الحياة، تطير كالفراشات فتغازل نور القمر وتغسل تعب الروح بماء الندى، وتقبل أعتاب يومٍ

[37] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية.

جديد وتعلن ميلاد النور من رحم الظلام... شيخنا الفاضل أبو مصعب الخير حفظك الله ورعاك، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... أتمنى أن تكون بأحسن حال وأطيب بال، كم هي الكلمات كثيرة، ولكنها تقف مرات عديدة عاجزة عن تصوير الأحلام والطموحات، وتبقى عاجزة عن إخراج الأرواح من أرماسها ولكنها تخط خيطاً من حنين تحت أي شمس أو أي سماء.

أتمنى لك الإقامة القصيرة في هذه السجون، وإن شاء الله يكون الفرج قريباً بإذن الله...

هذي عزائمنا المجيدة تعانق شُمَّ الجبال *** شقت بنتق الصخر درباً صعيباً محال

وسلامي الحارّ لجميع ألأحباب عندك: الشيخ هارون، مهند، وسام العباسي: وأنا مقصر معه في المراسلة وأعرف أنه مشغول في الكنتينة والله يعينه... والشيخ ضياء الشرفا... والسلام عليكم في العالمين.

ودعواتك يا صاحب السفينة.

وأنا أسمع صوتك الجبلي الأخاذ عند الفجر في قسم 11، ولنبقى على تواصل... وسلامٌ عليك وعلى روحك الطاهرة.

ابنكم المحب لكم

ضرار محمد الحروب (أبو تمام)

2010/1/21م

الوثيقة رقم (30)[38]:

رسالة من الأسير الأردني سلطان العجلوني إلى الشيخ محمد أبو طير[39]

بسم الله الرحمن الرحيم

شيخنا الفاضل أبا مصعب: تحية طيبة وبعد، أعلم أني وعدتك اليوم بأمر.. لم أتمكن منه، وسأوجز رأيي ونصحي إن سمحت لي بهذه الأبيات:

أما أنا فلي العذر:

قصد الفتى في كل ما رامه *** أن يدرك الغاية أو يُعذرا

وأما رأيي:

لا خير في ود امرئ متقلب *** إذا الريح مالت مال حيث تميل

وأنصحك بالإجابة:

إذا ما افترقنا فادر أنْ لست من ذكري *** ولا تك في شكٍ كأنك لا تدري

كشفت خبيئات الأمور وأدركتْ *** يدي فلتات الرأي في مبتدى الأمرِ

عليك سلامٌ لا لِوُدٍّ رعيته *** ولكن مثلي لا يقيم على صغرِ

وكأني بك إذ تقرأ كلامي تقول:

وأرى مغانم لو أشاء حويتها *** فيصدني عنها الحيا.. وتكرمي

وإنْ لم أجد في نفسي الجرأة على قول ذلك، فتذكر: أن في التعريض للعاقل تفسير المعاني.

وسامحني..

ابنك المقصر: سلطان العجلوني

---

[38] الوثائق المرقمة في هذا الملحق من 30 إلى 37 هي وثائق غير محددة بتاريخ معين بحسب ورودها من المصدر.

[39] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية، رسالة غير مؤرخة.

الوثيقة رقم (31):

رسالة من الأسير وليد الهودلي (أبو أحمد) إلى الشيخ محمد أبو طير[40]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

شيخنا الحبيب أبا مصعب الخير.. السلام عليكم ورحمة الله وبركانه،

ما زلنا نعيش في حنايا أرواحكم الطاهرة.. نتنسم شذا عطركم، ونتظلَّل مودة أخوّتكم، على بساط قول الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام "ما تحابَّ رجلان في الله إلا كان أحبّهما إلى الله أشدّهما حبًّا لصاحبه".. أتساءل أحياناً بعد أن أتمنى لأهلي خارج السجن، أن يكونوا مثل أهلي داخله.. أتساءل مع نفسي، هل ترى أنك لا تبخس إخوانك، مما يستحقون من مشاعر الحب؟!أجد الجواب أنني لا أعطي الأمر ما يستحق، من حب ومودة وتقدير.. عندئذ أتوجه إلى العلي القدير، أن يرزقني حبّه وحبّ من أحبَّه، وأن يضاعف هذه المحبة، حتى تضاهي أرواحاً علّقت وصالها، بأعز حبيب على قاعدة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لله﴾.

تحياتنا لكم جميعاً فرداً فرداً.. أخبارنا ولله الحمد نترقب أن نُرمضن[41] في هدريم بإذن الله.. التفصيلات عند علاء، حيث إنه غداً مسافر إلى طرفكم. أرجو ألا تنسانا من دعواتكم..

من غ. 3[42] يطيّر لكم أبو درويش، وجمال، وعبد الناصر، أحرّ السلامات. القلوب تتحرّق على الدم النازف، ولا تملك سوى التوجه والتضرّع لمن بيده الأمر كله، أن يبارك في هذه الدماء، ويجعلها نوراً يبدد ظلمات الطغاة.

---

[40] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية، رسالة غير مؤرخة.

[41] نُرمضن: نصوم شهر رمضان.

[42] غ.3: أي الغرفة رقم 3.

اللهم إنا نسألك بمعاقد العزّ من عرشك، وباسمك الأعظم، وبكلماتك التامّات كلها، وبإشراق وجهك المنير، أن تصلّي على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، صلاة تحلّ بها العقد، وتعطي بها كل سائل ما سألك.. ارزقنا فإنك خير الرازقين، وافتح لنا فإنك خير الفاتحين.. (اللهم انتصر لنا، انتصارك لأحبابك على أعدائك).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوك/ وليد الهودلي (أبو أحمد)

الوثيقة رقم (32):

رسالة من الأسير موسى دودين (أبو محمد) إلى الشيخ محمد أبو طير[43]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الأمين وبعد،

شيخنا الكبير ووالدنا الفاضل أبا مصعب الخير، سلام الله ورحمته وبركاته عليكم وعلى كل من تحبون وترضون من الأحبة حولكم.

سريعاً أكتب إليك رسالتي هذه من معبار الرملة، حيث أجلس أنا وأخي عايد في الإكس نفسه[44]، ويا له من لقاء حميم لأبناء عائلة الحاج محمد بعد خمس سنوات، نستذكر فيه حوادث العمر وعائليات البيت وحكايا الطفولة، بأثر رجعي.

شيخي الحبيب لا شك أنك تعلم، ما لك في ضمائرنا وأفئدتنا، إذْ لك فيها من الوقف ما ليس لغيرك، ويشاء الله أن تجدد فروسيتك بين الحين والحين، كأنك أقسمت على نفسك أن تلقى الله ممحضاً مخلصاً على أحب ما يلقى عبد ربه، طبعاً يا والدنا على السريع أقول باسم كل إخواني في هداريم حمداً لله على السلامة وأجر وعافية، وهذه حال الكرام..

---

[43] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية، رسالة غير مؤرخة.

[44] الإكس: الزنزانة، للمزيد انظر ملحق معجم "السجون الصهيونية".

لـولا المشـقة سـاد النـاس كهـم *** الجـود يفقـر والإقـدام قتـال

أوضاعنا في هداريم تسير بحمد الله بإذن ربها، حيث تكاد تستقر، وعلى وشك أن تحسم الأمور، ولك في أعناقنا دين، إن كادت تستقر ألا يكون لها ذلك، إلا أن تكون حيث نكون، وما ذاك إلا لحاجتنا إليك، وعدم استغنائنا عن وجودك.

مرة أخرى اعذرني، فلست مصدقاً أني مع "أبو حمزة"، سلامات حارة لك من "أبو محمد" (صالح) وماجد، وهارون، وعصام، وراتب، وسلامة، وفازع وحسن وياسر، ووليد وأ. شلبك، وصلتني الأغراض التي دخلت عن طريق شطة، وأرجو أن تشكر لي الجنجي، وجزاكم الله خيراً، وسلاماتي الحارة له ولأخيه، ولأبي قطيش وأمجد وأ. الحارث وأ. جابر... والكل.

ختاماً أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم

موسى دودين (أبو محمد)

الوثيقة رقم (33):

رسالة من الأسير جمال الهور (أبو ماهر) إلى الشيخ أبو طير[45]

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لله العلي العظيم، والصلاة والسلام على سيد الأنام محمد النبي العظيم..

والدي الكريم، وشيخي المفضال، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

من قلب يخفق لذكركم، وعيون تدمع على فراقكم، ومن يدٍ ظمأى لمصافحتكم، ومن روح تحوم مَرِحةً في سماء سيرتكم العطرة، من هذا كله أزفُّ إليكم همسات الشوق، وحروف المحبة أنْظمها عقداً يتلألأ بريقه لمعاناً على صدروكم الطاهرة، العامرة بهدي الإله. نعم والدي، يقف الصغير حيرانَ أمام من يألفهم، يرتشف من نبعهم رشفة حنان،

[45] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية، رسالة غير مؤرخة.

تسري في ثناياهم على مدد السنين وطول الأزمان، ويقف أمثالنا بطرفكم ويلوذون ببابكم، راجين همسة تطرق مسامعهم، كي تنسيهم ألم الأيام، وتعيدهم إلى حظيرة الرحمن، فلك يا سيدي كل تحية وحب، وإليكم نخلص الدعاء، ليمن الله علينا بفرجه العاجل.

أيها الحبيب، إن كتبت الأقلام دُرراً، وإن حمل القرطاس إليكم أَجْوَد الكلم، فلن أجد كلمة أكثر جمالاً أسطّرها على هذا الرسول، لتحلَّ ضيفاً على شخصكم الكريم، ولتبثكم مشاعري الفياضة تجاهكم، أكثر من كلمة (أحببتك في الله يا والدي).

أيها الحبيب عذراً، لقد أخذني القلم بعيداً وجرياً وراء مشاعري، وأنساني السؤال عنكم وعن أحوالكم، فيا رب السماء أنعم عليهم برحمتك، واحفظهم بلطفك، واحرسهم بجندك، واجمعنا وإياهم في (وديان) جنتك وعلى موائد رحمتك.

نهايةً والدي، أرجو من الله ألا يطيل غربتك، وألا يحرمنا مشاهدة أنوارك، وإلى كل إخوانك خالص الدعاء والمحبة.

هارون، موسى، صالح عليهم صلوات الله والرحمة وإلى جميع من بطرفكم، سعيد بدارنة، معاذ، أبو حذيفة وإلى الحبيب عصام كل التحية.

أما إن تشرفت بالسؤال عنا، فبحمد الله ونعمه وبرحمته نعيش، ومن رحيق فضله ننهل، فله الحمد على كل حال.

ابنك المشتاق

جمال الهور

الوثيقة رقم (34):

رسالة من الأسير أحمد ملايشة (أبو عصام) إلى الشيخ محمد أبو طير[46]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وبعد،

أخي وشيخي الفاضل أبا مصعب، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

أحييك بتحية إسلامنا العظيم، الذي شرفنا بالانتماء إليه، تحت رايته العظيمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، الذي أخرجنا من الظلمات إلى النور، وجعلنا إخوة متحابين، وبإذنه تعالى سنظل بظله يوم القيامة، وأسأله أن يكون اللقاء قريباً بين الأهل والأحباب، وأسأله تعالى فرجاً قريباً عاجلاً غير آجلٍ يا رب العالمين، كما أرجو أن تكون معنوياتك تعانق عنان السماء، وثقتي ومعرفتي بك تطمئنني، أنك دائماً متوكل على الله، وأنك أهل للصبر والثبات.

أخي الحبيب أبا مصعب،

يطيب لي أن أتقدم إليكم بأحر التهاني والتبريكات، بحلول شهر رمضان علينا، والذي أسأل الله تعالى أن يعيده علينا في العام القادم، ونحن خارج هذه السجون بين الأهل والأحباب، وأعاده علينا بالخير واليمن والبركة، وأعاننا الله وإياكم على صيامه وقيامه، وجعلنا من عتقاء شهر رمضان، وغفر الله لنا ولك ما تقدم من ذنوبنا، وجعلنا كيوم ولدتنا أمهاتنا.

ربي اغفر لي ولأمي ولجميع إخواننا، ولا تجعل في قلوبنا غلاً أو ذرة واحدة من الذنوب، اللهم تغمدنا برحمتك وعفوك إنك أنت أرحم الراحمين.

[46] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية، رسالة غير مؤرخة.

كم يسرني أن أتقدم بالسؤال عنكم وعن أحوالكم، يعلم الله كم نحن قلقون عليكم وعلى أوضاعكم. ولا أملك إلا أن أتوجه إلى العلي القدير أن يخفف عنكم، وأن يغير أحوالكم إلى أحسن حال، وأن يكون معكم ويحفظكم ويرعاكم.

ومن عندي يهديك السلامات الحارة الأخ أبو همام ربحي هرشة، وأبو حسن هدوان.

وأرجو أن تبلغ سلاماتي لجميع من حولك.

وإلى اللقاء بكم قريباً بين الأهل بإذن الله

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ابنك الصغير
أحمد ملايشة (أبو عصام)
مستشفى الرملة

الوثيقة رقم (35):

رسالة من الأسير عصام قضماني (أبو محمد) إلى الشيخ محمد أبو طير[47]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسولنا الذي اصطفى وبعد، أخي الحبيب وشيخنا أبا مصعب، سلام من الله عليك وعلى روحك الطاهرة يا أبا المصاعب، اشتقنا لك يا شيخ قبل أن نخرج من باب سجن شطة، فكيف بنا اليوم، وقد مر على فراقكم شهرٌ تقريباً، اليوم صباحاً ذهب هارون للمستشفى، ولم أتمكن من كتابة رسالة لك لأبعثها معه، والحمد لله سينزل شاب غداً للمستشفى، وأسأل الله أن تصلك هذه الرسالة، وأنت بمعية رب العالمين، فإذا كانت الولاية تامة تامة، كانت الكفاية تامة تامة، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. أعلم يا شيخ أنك في ضيق في شطة، ولكنها أيام وتنقضي،

[47] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية، رسالة غير مؤرخة.

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

والأجر على قدر المشقة، فأعانك الله وتقبل منك إن شاء الله، ولولا محبة الله لبقينا في بيوتنا، لكنه العذاب العذب، الذي لا يستعذبه إلا الرجال فهنيئاً لك يا شيخ.

لم تصلني منك أي رسالة، ولكني لست ممن يهتم بذلك، وأعلم جيداً أنك — إن شاء الله— لن تنساني من دعائك، ولكني أحب أن أسمع أخبارك وأخبار الأحبة عندك.

أخبارنا هنا لا جديد فيها، سوى الحديث عن أوضاع السجن، وهل سيبقى أو يغلق أو، صحيح أن الحياة هنا فيها نوع من الحرية، إلا أن موضوع الزيارة قد أغلق النافذة التي يشتم منها الأسرى، رائحة الحرية، فلهذا لا أفضلية في هذا السجن عن السجون الأخرى، إلا إذا تمت الزيارة، وآمل أن تتم زيارة الأهل إن شاء الله، ولا تنْسَ أن هذا القسم تقريباً شبه عزل، حيث إنك تخرج للفورة أحياناً، ولا تجد أكثر من 20 شخصاً. الشباب يلعبون رياضة في الساعة الثانية، إذا زارتك الحاجّة، فأرجو أن تبلغها السلام هي وإخوتك وأولادك، وسلام خاص لمحمود مختار دار أبو طير.

بعث لك ماجد شاياً، وأرجو أن تشربه يا شيخ، وتكفر عن يمينك من بعض الفورات، وهذا يعني أني سأصعد للغرفة وأنا محترم، يا زلمة هدِّ وصلِّ على النبي.

بدأ موسى بتعلم اللغة العبرية مع حسن الزاغة، الحاج ماجد قال له: إني سآخذ جلسة في الوقت الذي تأخذ أنت فيه الجلسة، (كل هذا مزح بعد صلاة الفجر، وصوت الحاج وهو يضحك مثل صوت الشلبي الله يسهل عليه)، سمعت بذلك، وقلت للحاج إني مستعد لأعلمه من أجل أن يجنن موسى، فقال لي إذا كانت النية كذلك، فلن يوفقنا الله، أما إن كانت النية لله فسوف يوفقنا. فكم سررت بهذا الرد يا شيخ، مع أني كنت أمزح مع الحاج، ونحن نسير ولكن ببطء، إلا أننا مسرورون، وصدّق يا شيخ أن الحاج ماجد من أفضل الشبان الذين عرفتهم، ويعلم الله كم يحبك، ودائماً يتحدث عنك، كذلك هارون يأخذ معنا عبري، إلا أنه كما تعلم نزل للمستشفى وقطع فينا، محمد يسكن مع فازع، وأنا مع أبو عبد الله ويسلم عليك، والحمد لله عاد من المستشفى بعد أن أجريت له عملية لإزالة ظفر من عينه، والحمد لله هو بصحة جيدة الآن، اليوم جاءت الإدارة وقالت إنها ستضع شادراً كبيراً في الفورة، وذلك لكيلا يؤثر الشتاء على أداء صلاة الجمعة، وهذا والله أعلم دليل على أن القسم سيبقى مفتوحاً.

بالنسبة للتلفزيون، لا توجد سوى 3 إذاعات، إسرائيل والأردن، وأخذوا الشرق الأوسط والسلطة، يعني تتمنى أن تسمع أخبار زي العالم، أو تسمع العربية

أحياناً. بدأت أجهزة الأتاري بالدخول على القسم، سعر الواحدة 750ش، بعد أن كانت في السابق 1600ش، أو أكثر، يعني إذا لم يكن الاثنان في الغرفة يلعبان الأتاري، فذلك جحيم للآخر، حيث يجلس لا شغلة ولا عملة. الشيخ صالح نزل محكمة للمجنونة. هذه شيخي أفكار مبعثرة، وأخبار متناثرة، وضعتها على هذه الورقة لتصل ليدك، لعلي أحظى بدعوة من دعواتك.

سلام لنور وعبد المعين وفهد ورائد وأيمن وأبو الحارث وأبو جابر ونور.

أخوك

عصام قضماني (أبو محمد)

الوثيقة رقم (36):

رسالة من الأسير محمود أبو سرية إلى الشيخ محمد أبو طير[48]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وبعد،

شيخنا الغالي حفظك الله ورعاك

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

أستهل رسالتي هذا بأن أقول لك يا شيخي: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوْا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِيْنَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوْا حَتَّى يَقُوْلَ الرَّسُوْلُ وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيْبٌ﴾.. هذه هي الطريق مدة لا تتجاوز 100 عام، بعدها حياة الخلود في جنات النعيم عند ملك الملوك، فصبراً يا شيخي، فكل ما ازداد صبرك زادت درجتك، وارتفعت مرتبتك، لا تشكو همك لغير الله، على ما أذكر أنك قلت لي مرة، إن الله عاتب زكريا لما قال آه لما لمسه المنشار، فهذه الكلمة تنقص الأجر، وأذكرك بحديث سيدنا محمد ﷺ (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا

[48] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية، رسالة غير مؤرخة.

أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط) حديث حسن. وقال "لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة، في نفسه وولده وماله، حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة" حسن صحيح. ومن وصايا الحبيب المصطفى: "يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله تعالى، فإن العباد لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله تعالى لك، لم يقدروا على ذلك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يكتبه الله تعالى عليك، لم يقدروا على ذلك، جفت الأقلام وطويت الصحف"، فإن استطعت أن تعمل لله تعالى بالرضا في اليقين فافعل، فإن لم تستطع، فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع اليسر يسراً، و"لن يغلب عسر يسرين" حديث صحيح.

نعم يا شيخنا الطريق صعبة وشاقة، لكنّها والله جميلة، وأجمل ما في هذه الطريق، أنك تجد أناساً تحبهم أكثر من نفسك، يسيرون معك على الطريق نفسها، ويضحّون مثل ما تضحي وأكثر، فتشعر بأنك لست وحدك، وإن كنت في غرفة لا يصلها ضوء الشمس، ولقد قالوا لم يبْق من حلاوة الدنيا إلا ثلاثة، منها لقاء الإخوة، فكفى بها من نعمة.

شيخنا الكريم،

هذه هي حياة المؤمن الذي سار على الطريق المستقيمة، يلاقي ابتلاءات ومحناً، إما في جهاد أهل الباطل، وإما في تبليغ الدعوة إلى الناس، والمؤمنون في هذا درجات، فأهل العزائم وأهل الرخص، فأما أهل الرخص، فقد نسيهم التاريخ، وينساهم الناس، رضوا بالدرجات الدنيا، يؤثرون السلامة، لكي لا يتعبوا أنفسهم، هؤلاء يهاجمون من العامة، بل يكونون حجة لضعاف النفوس لترك واجبهم، أما أهل العزائم، فلا يرضون إلا القمم العالية، لا يرضون إلا أن يكونوا في المقدمة، يكونون في الصف الأول، أو قبل الصف الأول، يكونون مُتْبَعين ولا يتبعون أحداً أبداً، لا تجدهم إلا في الشدائد، فهم مدرسة يتعلم منهم الناس التضحية والصبر والرجولة، لكنهم ليسوا مثل الناس؛ لأن أخطاءهم لا تغتفر، بل تحسب عليهم طوال حياتهم، وأنت يا شيخنا اخترت هذه الطريق الصعبة، لتنال شرف المقدمة عند رب العزة، فستواجهك محن من كل حدب وصوب، حتى إذا نجحت في هذا الامتحان، انفتحت لك الدنيا قبل الآخرة، كما وعد رب العزة في كتابه.

شيخي الكريم، اسمح لي أن أسأل عن أخبارك، فعساك بخير وصحة جيدة، أرجو أن تكون مرتاحاً عندك، وأرجو منك أن تبلغ سلامي، إلى والدتك وأبنائك حفظهم الله.

أما إن تكرمت بالسؤال عني، فالحمد لله بخير، والمعنويات أعلى من الجبال، أتممت حفظ سورة البقرة مع آل عمران، وعمّا قريب سأبدأ بسورة النساء إن شاء الله، والحمد لله أحافظ على شرف المؤمن وعلى السنن، ما زلت في صراع مع التلفاز، وإن شاء الله عمّا قريب لا يكون في نفسي منه شيء، وأخيراً ما زلت على العهد الذي بيننا. (سلامي إلى ياسر ونور)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

أخوك محمود أبو سرية

هدريم

3/27

الوثيقة رقم (37):

رسالة من الأسير علي العامودي (أبو أحمد) إلى الشيخ محمد أبو طير[49]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وقائد المجاهدين وعلى من سار على دربه إلى يوم الدين.

والدي وشيخي الحبيب أبو مصعب، حفظك الله ورعاك وجزاك الله عنا وعن أمتنا وحركتنا خير الجزاء وأحسن الأجر، وأتاك ثواب الصابرين المحتسبين الذين يوفّون أجرهم بغير حساب اللهم آمين.

بداية، أرجو منك المعذرة على عقوقي وقلة وفائي، فقد كان ينبغي أن تكون هذه الرسالة منذ زمن، ولكن كان لي أمل أن يكون لقاء بيننا نمتع ناظرنا برؤياكم والحديث

[49] مجموعة الشيخ محمد أبو طير الشخصية، رسالة غير مؤرخة.

معكم والجلوس إليكم، أما وقد تعذر ذلك وعلمت أنكم عائدون إلى قسم "13" فقد كان لزاماً أن أكتب لك، وإني أُشهد الله سبحانه وتعالى وأشهدك يا شيخنا أن لك في القلب من المحبة والتقدير ما يفوق أن يُسطر على ورق؛ فهي محبة الولد لوالده والأخ لأخيه والصديق لصديقه. وأسأل الله أن يجعلها لي ذخراً يوم لا ينفع المرء إلا بالتقرب به إلى ربه، ولعل محبة المجاهدين والعُبّاد الصالحين الذين لاقوا من العنت والعناء في سبيل دعوة الله ورفع رايتها ما لاقوه فظلّوا على العهد وما بدلوا تبديلاً، لعلها قُربى إلى الله كيف بلا وهو يقول: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

أسأل الله العلي العظيم أن يعجِّل لنا بالفرج وأن يجمعنا عما قريب تحت رايةٍ يحبها الله ورسوله، وفي مكان يحبه الله ورسوله. وأسأله سبحانه أن لا يجعل هذا آخر العهد بيننا، وأن يتم وعده لعباده يوم اللقاء الأكبر، بأن يجمعنا وإياكم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأن يظلنا بظله "يوم لا ظل إلا ظله"، ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾.

شيخنا الحبيب أبو مصعب/ كم هو الشوق إليكم كبير وعظيم، ولكم كنت أتمنى لقاك فلا أنسى الأيام الجميلة التي تشرفت فيها بلقاك ومعرفتك والجلوس إليك، وهي أيام لا تُنسى ولن تُنسى بإذن الله سبحانه وتعالى، أتمنى أن تكون أخبارك بخير وصحتك على خير ما يرام، وأن تكون مسروراً هنا في نفحة، على الرغم من أن السجن لا حديث كثير فيه عن السرور، والحمد لله على كل حال. أما أخباري فهي والحمد لله بألف خير وألف صحة وعافية، مررت في السنوات الأخيرة بأزمات عديدة تعرفها، ولكن الحمد لله بقيت واقف رغم كل شيء. ففي ظل الأوضاع التي مرت كان يتوجب عليَّ ضميرياً أن أقف المواقف التي وقفتها، وأنت تعرف يا أبو مصعب أن ليس لي فيها على المستوى الشخصي ناقة ولا جمل، بل على العكس لو بحثت عن ناقة وجمل فكان لا بد أن أقف موقف تصفِّق الناس فيه لي. ولكن على الرغم من ذلك أقول إنني لا أدَّعي أن كل ما فعلته صواب، على الرغم من أن اللجان التي شكلت أقرت بعد ذلك أن القرارات كانت صائبة ومعقولة.. على العموم، ذلك عهد مضى بما فيه وأسأل الله ألا تعود تلك الأيام.

أما صحتي، فهي والحمد لله بخير والأهل جميعاً بألف خير وصحة وعافية، كبروا الأولاد والبنات وتزوجوا وخلفوا ونحن على قارعة الحياة نرتب الأحداث والخطوب..

أخبار الدراسة في الجامعة؛ أنهيت الماجستير بامتياز والحمد لله، وأسعى الآن للدكتوراه، وطلبت تسجيل ماجستير ثاني، وأسال الله التوفيق ودعواتك يا شيخنا.

في ختام رسالتي لا يسعني إلا أن أطيّر لك محبتي الخالصة وتقديري واعتزازي، متمنياً لك الفرج القريب والسرور والحبور على ساحات القدس الحبيبة وأقصاها المبارك، فهي الآن بحاجة لك وأنت شيخها، ولها بجانب الشيخ رائد جزاه الله خيراً، وهذا خير ما يفعله الإنسان ويقوم به في هذه الأيام.

مرة أخرى جزاك الله عنا وعن دعوتنا وحركتنا خير الجزاء، وجعل ذلك في ميزان حسناتك أيها المجاهد أبداً والصابر أبداً، ثبتنا وإياك الله على الحق والدين واليقين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

أخوك علي العامودي

أ. أحمد

ملحق حول عملية نقل الأسرى "البوسطة"

البوسطة:

هذا نصّ يبرز معاناة الأسرى الدورية، والتي تحدث عنها الشيخ أبو طير باقتضاب، في "البوسطة"، كتب هذا النص الدكتور عبد الرحمن زيدان، الأسير المحرر والنائب في المجلس التشريعي، بناء على طلب من الشيخ أبو طير. [المحرر]

أولاً: التعريفات:

البوسطة (النقل): هي عملية نقل السجين (الأمني والمدني) من السجن أو الاحتجاز، إلى المحكمة وبالعكس، أو عملية نقل السجين بين السجون المختلفة بأنواعها ودرجاتها التابعة لإدارة مصلحة السجون (الشاباص)، علماً بأن نقل السجين بعد اعتقاله وقبل تسليمه إلى مصلحة السجون، يتم من قبل وحدات الجيش وبطريقة ونظام مختلف.

البوسطة (الحافلة): وهي أساساً حافلة نقل ركاب حديثة أو شاحنة مقطورة (مجهزة لنقل العمال في العادة).

النحشون: فرقة من الشرطة الخاصة، تابعة لإدارة مصلحة السجون تقوم بالإشراف على نقل المعتقلين، عالية التدريب والتجهيز، ولها نظام عمل صارم ومعناها بالعبرية "الإصرار".

الامتناه: غرفة الاحتجاز المؤقت، وتعني بالعبرية "غرفة الانتظار" وتستخدم عادة لتجميع وتصنيف المعتقلين في كل سجن، تمهيداً لعملية النقل أو ملحقة بالمحكمة، لحين انتهاء الإجراءات. وهي إما غرف مبنية من الباطون ولها أبواب مصفحة وفتحات تهوية صغيرة، وإما أقفاص من الحديد، أو القضبان الفولاذية، وتحوي أحياناً مرحاض بسيط أو مبولة وحنفية ماء، يحتجز فيها المعتقل لساعات قبل أو في أثناء نقله.

المعبار (مركز التوزيع): وهو مكان احتجاز المعتقلين المؤقت، ويكون ملحقاً بكل سجن، ولكنه مفصول عن المعتقلين المحتجزين بشكل دائم، ويستخدم لمبيت المعتقلين بين مراحل النقليات المختلفة التي تستغرق أكثر من يوم، وأهمها معبار الرملة، حيث يقيم فيه كافة المنقولين من المناطق الشمالية أو الجنوبية في طريقهم إلى المحاكم، أو

لمراجعة مستشفى سجن الرملة. ويتكون من زنازين متفاوتة السعة وبتجهيزات غير مريحة أو صحية. وتمتد الإقامة في المعبار من ليلةٍ إلى أربع ليالٍ، حسب غرض النقل أو لتداخل الأعياد والعطلة الأسبوعية، وتكون في غرف مليئة بالقذارة، وسيئة التهوية، ومليئة بالحشرات، وتتساقط مياه المجاري من سقفها وتخلو من مرافق الاستحمام.

ثانياً: فلسفة البوسطة:

هي عملية أمنية معقدة، يقصد منها أساساً نقل السجناء إلى المحاكم أو بين السجون مع ضمان عدم هروب أي منهم، أو السماح بالوصول إلى السجين (أمنياً أو مدنياً) لتهريبه، أو الاعتداء عليه، ومنع تهريب أي شيء من وإلى السجين (رسائل، سلاح، ...إلخ) في أي مرحلة من مراحل الرحلة وداخل قاعة المحكمة، ولهذا الغرض تتخذ إجراءات معقدة من تربيط الأيدي والأرجل طوال الرحلة بقيود فولاذية —تستخدم أحياناً قيود مضاعفة، أو قيود متصلة بالأيدي والأرجل— وإجراءات تفتيش دقيقة، وعزل المعتقل ومنعه من التواصل مع أي طرف، ويصاحب ذلك قدر كبير من الخشونة والتضييق الشديد.

نبذة تاريخية:

استخدمت البوسطة، في سنوات ما قبل منتصف الثمانينيات، كإجراء عقابي وحشي، بحيث كانت القوة المشرفة على النقل تقوم برش الغاز المسيل للدموع داخل صندوق البوسطة، وتستخدم الضرب المبرح في أثناء النقل، ولم تتوقف هذه الأساليب الوحشية، إلا بعد أن قام المعتقلون باستهداف أفراد الشرطة بالشفرات الحادة دفاعاً عن أنفسهم، مما أحدث عاهات وإصابات مستديمة عند بعضهم، وشكل رادعاً لهم فتغيرت سياسة النقل.

ثالثاً: مركبات البوسطة:

حافلات حديثة بأحجام مختلفة ومنها شاحنات لها مقطورة تستخدم لنقل العمال عادة، سعتها من 10–48 معتقلاً للحافلة.

تجهيزاتها: يتم تصفيح الحافلات من الداخل بالصاج السميك، وإغلاق نوافذها بشكل كامل، وتعتيم النوافذ الزجاجية الصغيرة أصلاً، وتحصين تلك النوافذ بقضبان فولاذية أو صاج مخرم لا يسمح بالرؤية. وهي عادة مكيفة الهواء لعدم وجود تهوية طبيعية، مقاعدها من الصاج المخرم غير مريحة، خصوصاً للفترات الطويلة من

الاحتجاز، وهي شديدة البرودة شتاءً وشديدة الحرارة صيفاً، إضافة إلى أنها تحدث تقرحات عند الجلوس عليها لساعات طويلة والمسافة بينها ضيقة، ولها حواف حادة ومؤذية.

تقسيماتها: تقسم الحافلات إلى زنازين منفصلة، ليسهل تقسيم وتصنيف المعتقلين والسيطرة عليهم، ويفصل بينها قواطع من الصاج لا تقل عن 10 ملم مع أبواب من النوع نفسه، ويتم مراقبة كل زنزانة بواسطة كاميرات موصولة بمقصورة السائق. وهناك مساحة تتوسط تلك الزنازين تحوي ممراً ومقاعد للشرطة المرافقة للبوسطة.

سعتها: تتسع الحافلات الكبيرة لنحو 48 معتقلاً، وبتقسيمات متفاوتة أقلها زنازين تتسع لِـ 12 معتقلاً في وضع مزدحم.

مرافقها: مع أن هناك قرار محكمة بإلزام مصلحة السجون بتوفير مرحاض في حافلة البوسطة إلا أن القرار لم يطبق حتى كتابة هذه السطور.

وتتحرك تلك الحافلات على شكل فرق، تضم سيارات حراسة منفصلة، ودراجات نارية، وكلاب بوليسية مدربة على ملاحقة ومطاردة المعتقلين والسيطرة عليهم، وهي عبارة عن سجن صغير متحرك ومحصن.

ويلاحظ انتشار الحشرات الزاحفة (صراصير) في الفراغات بين قطع الصاج وقضبان الحماية، بسبب القذارة المتراكمة، وعدم تنظيف الحافلات، وتتحرك هذه الحشرات بحرية تامة في أثناء سفر البوسطة.

رابعاً: رحلة البوسطة:

1. الإبلاغ: يُبلغ المعتقل عادةً قبل وقت قصير بتحضير نفسه للبوسطة —سواء النقل الكامل أم السفر والعودة— وفي حالات النقل، يطلب منه إحضار كافة أمتعته معه، أما في حالات السفر القصير فلا يسمح له بأخذ شيء، ومدة الإبلاغ عادةً لا تتجاوز الدقائق المعدودة، ونادراً ما تكون أطول من ذلك.

2. التفتيش: يتم تفتيش المعتقل وتجهيزه للبوسطة على عدة مراحل (تستغرق قرابة الساعتين):

أ. تفتيش الحراس داخل القسم الذي يحتجز فيه، ويتم منعه من اصطحاب أي شيء، بما في ذلك الساعة أو المسبحة أو سجادة الصلاة أو المحارم الورقية

أو السجائر —ويسمح أحياناً لمرضى السكري اصطحاب بعض حبات السكاكر فقط— أما السفر الذي يستغرق أكثر من يوم ويحوي مبيتاً في المعبار، فيسمح له بحقيبة يضع فيها تجهيزاته الضرورية (بشكير، وغيارات، وبعض اللوازم كالصابون وغيرها، إضافة إلى المخدة، والغطاء، وبعض المعلبات)، وتخضع هذه المسموحات لمزاج الحراس داخل القسم أحياناً، ويخضع المعتقل لتفتيش جسدي عاري، للتأكد من عدم حمله رسائل أو غير ذلك في طيات ملابسه.

ب. التسليم إلى النحشون: بعد إخراج المعتقل من القسم، يوضع في الامتناه ثم يسلّم رسمياً إلى فرقة النقل (النحشون) وبعدها تبدأ سلسلة الإجراءات كما يلي.

3. **التشخيص:** حيث يتم التأكد من شخصية المعتقل، وصورته، واسمه الرباعي من قبل ضابط النحشون.

4. **التربيط:** يتم تربيط أيدي المعتقل ورجليه بقيود حديدية تابعة لفرقة النحشون.

5. **التفتيش الجسدي:** بعد التربيط تقوم فرقة النحشون على عدة مراحل بتفتيش ملابس المعتقل وجيوبه، وإخراج أي شيء منها حتى المناديل الورقية والسجائر وطيات الملابس، ولا يسمح له شتاءً أن يلبس ملابس داخلية طويلة تحت البنطال، ويجبر على خلعه بالقوة. ويطلب منه كذلك بعد تربيط يديه ورجليه خلع الحذاء والجوارب لتفتيشها بدقة، ثم يطلب إليه إعادة لبسها بسرعة، وهذه العملية بحد ذاتها عقاب وتنغيص، ثم ينقل المعتقل إلى التفتيش بالماكنة "ماغنوميتر" التي تشير إلى أي جسم معدني لم يظهر في أثناء التفتيش. ويجري في أثناء هذه المراحل نقل المعتقل من قفص لضمان دقة التفتيش، ويصاحب هذه الإجراءات خشونة وإساءات لفظية وصراخ بشكل دائم.

6. **الصعود إلى البوسطة:** يطلب من المعتقلين بعد هذه الإجراءات الصعود إلى البوسطة، حيث يتم التأكد من سلامة القيود وإقفالها، وتوزيع المعتقلين على الزنازين داخل الحافلة حسب تصنيفات معينة —يفصل الأشبال تحت سنّ 18 وكذلك العناصر الخطرة والمعاقبين عن باقي المعتقلين— ولكن يتم في البوسطة دمج الأسرى الأمنيين مع الأسرى المدنيين، غرباء ويهوداً، ويتم وضع حقيبة المعتقل أسفل البوسطة في خانات خاصة، ويحدث أحياناً أن يقوم المعتقلون المدنيون بسرقة حقيبة المعتقل الأمني، ليدخل في متاهة مزعجة.

7. المراحل والوقفات: تمر البوسطة في أثناء سيرها بعدة محطات، حيث تتوقف عادة في كافة السجون الواقعة على خطّ السير لإنزال أو تحميل معتقلين آخرين، وقد تصل هذه الوقفات في رحلة واحدة إلى عشر وقفات تستغرق كل منها نصف ساعة على الأقل، وقد تمتد إلى ساعتين، لا يسمح خلال ذلك للمعتقل بمغادرة البوسطة، ويمكن أن يسمح للمرضى وكبار السن بالخروج لقضاء الحاجة سريعاً، ولمرة واحدة خلال رحلة البوسطة، مما يضطر بعض المعتقلين إلى قضاء الحاجة داخل البوسطة أحياناً في قوارير شرب المياه.

8. الوصول: عند الوصول إلى الوجهة المقصودة (المحكمة أو المعبار)، وبعد ساعات من الاحتجاز في البوسطة —تصل إلى ثماني ساعات— يطلب من المعتقلين النزول والتعرف على حقائبهم وحملها وهم على حالة التربيط بالأيدي والأرجل، ثم الانتقال إلى مرحلة تفتيش إلكتروني بواسطة القوس حيث يمر المعتقل من بوابة إلكترونية تشير إلى وجود المعادن في ثيابه، وتمر حقيبته وحذاؤه داخل جهاز الأشعة (المشكيف)، ويتم احتجازه في غرف أو الامتناه مؤقتة لساعات أو أيام حسب الحاجة.

9. الممنوعات في البوسطة: يمنع المعتقل من اصطحاب أي شيء معه في رحلة البوسطة عادة، حتى أبسط المستلزمات كالمصحف، والمسبحة، أو سجادة الصلاة، أو الساعة، أو المحارم الورقية أو أي طعام، وفي الرحلات التي تستدعي المبيت في المعبار يسمح له ذلك بشرط وضعه في حقيبة وليس في جيوبه (وينطبق ذلك على السجائر). ويمنع المعتقل في الشتاء من لبس أي ملابس داخلية طويلة تحت ملابسه وبالذات البنطلون الداخلي، ويجبر على خلعه بالرغم من برودة الجو الشديدة داخل حافلات البوسطة. ويمنع أيضاً من الوقوف للنظر من نوافذ الحافلة الصغيرة والمرتفعة أو لتنسّم بعض الهواء النقي بسبب فساد الحافلة. ويتم الصراخ عليه من قبل الحراس، وقد يتعرض لتسجيل اسمه من أجل العقاب لاحقاً إضافة إلى الإساءات اللفظية. ويمنع المدخنون من التدخين داخل الحافلة، وهذه نقطة إيجابية على الرغم من أن البعض وخصوصاً المعتقلون المدنيون ينجحون في تهريب السجائر والولاعات ويغافلون الحراس في أثناء سير الحافلة، ويتجنبون الظهور في مجال الكاميرات والمراقبة، ويشعلون السجائر ويتبادلونها، مما يضع باقي المعتقلين في حرج شديد بسبب الجو الخانق أمام هذا الابتلاء.

10. العقوبات غير المباشرة: تتمثل العقوبات غير المباشرة في رحلة البوسطة، باصطناع حالة من الضيق والقهر تجعل المعتقل يفضل أحياناً أن يحكم عليه بأشهر زائدة عن حكمه المتوقع لتفادي كثرة "البوسطات" لأنها في حدّ ذاتها عقوبة إضافية، ومن ذلك مثلاً:

- الاختلاط بالمعتقلين المدنيين من تجار الحشيش واللصوص والمغتصبين من اليهود، وما في ذلك من أذى نفسي وجسدي، وفيها قلة الطعام؛ فإن ما يقدم منه خلال الرحلة الطويلة لا يزيد عن شرحتين من الخبز المقطع المدهون بقليل من المربى، إضافة إلى خيارة أو حبة فواكه وفي جوّ كئيب، كما أن من العقوبات الضيق والزحام الشديد حيث أن المساحة المخصصة للمعتقل لا تكفي لجلوس مريح، ويتعرض كثيراً لإصابة رأسه أو رجليه ويديه المكبلة لاصطدامها بالمقاعد والأجزاء الحديدية المحيطة به بسبب ضيق المسافة أمامه، كما لا يمكنه بسبب ذلك وتقييد يديه، أن ينام أو يتحرك داخل الحافلة، وكل توقف مفاجئ يعني بالضرورة كدمات جديدة لمن لم يكن منتبهاً، لأن كل ما حوله حديد صلب.
- كما أن من العقوبات غير المباشرة: شدة الحرارة صيفاً داخل الحافلة، ونقص التهوية، مما يصيب الكثيرين بالغثيان لانعدام التهوية على الرغم من تشغيل ما يسمى زوراً بمكيّف الهواء، حتى تغدو ملابس المعتقل في الحافلة مشبعة بالعرق والروائح النتنة.
- من العقوبات أيضاً برد الشتاء، حيث الجلوس الطويل على مقاعد حديدية باردة، وجوّ بارد يصيب المعتقل بالتهابات حادة في الجلد والمفاصل المؤلمة، والإسهال والديزونطارية Dysentery.
- كما تستخدم البوسطة كعقاب في حدّ ذاتها، حينما يكتشف المعتقل عند وصوله إلى المحكمة أنه لا يوجد له جلسة محاكمة، فيقضي رحلة العذاب التي تستغرق أياماً دون مبرر، ليكتشف عند عودته إلى السجن أنه سيعيد الكرة ودورة التعذيب مباشرة، فيقضي أيامه في البوسطات. وقد سجل رئيس المجلس التشريعي عزيز دويك والنواب والوزراء المختطفون الرقم القياسي في عدد البوسطات التي عُذِبوا عن طريقها خلال فترة زمنية قصيرة —عمر عبد الرازق سجل 150 رحلة بوسطة، وعزيز دويك 125 بوسطة، كل ذلك خلال سنتين، وجميعها تقريباً من ثلاثة إلى خمسة أيام، لكن بوسطة الباقي أقل من ذلك بقليل.

- من العقوبات النفسية إضافة إلى ذلك سوء المعاملة والخشونة، وكثرة الصياح والنكد، والمعاملة غير الإنسانية.
- من العقوبات المصاحبة للبوسطة، تجرؤ فرقة النحشون على ضرب أي معتقل لأتفه الأسباب، وبطريقة وحشية، مما يؤدي إلى إصابات، وكسور أحياناً، دون مبرر سوى إظهار السيطرة وردع المعتقلين عن الاحتجاج على الظروف غير الإنسانية للبوسطة، علماً بأن المعتقل يملك الحق في تقديم الشكاوي بسبب تلك المعاملة، أو الإساءات والعنف، ومتابعة ذلك قضائياً لوقفهم عند حدهم.
- تطبيق كافة الإجراءات دون مراعاة لسن المعتقل، أو مرضه، أو حتى إصابته بعاهة أو شلل، ويتعلق ذلك بإجراءات التفتيش والتربيط بالقيود للأيدي والأرجل، وكلٌ ينال نصيبه من المعاملة السيئة والأذى.

أبرز التواريخ في سيرة محمد أبو طير

- **1951/4/16:** ولادة الشيخ أبو طير في قرية أم طوبا، إحدى القرى الواقعة بين القدس وبيت لحم.
- **[حزيران]/ [يونيو]/1971:** الشيخ أبو طير يتقدم للتوجيهي الأردني والشرعي، وينجح بهما، ثم يغادر للأردن للدراسة في الجامعة الأردنية، لكنه يقطع رحلته هذه ويعود للقدس ليبدأ العمل إماماً لمسجد قرية الجيب سنة 1972 ومأذوناً لقرى الجيب، وبير نبالا، والجديرة.
- **صيف 1972:** الشيخ أبو طير يسافر إلى بيروت للمرة الأولى للالتحاق بحركة فتح، ويبدأ العمل للإعداد لعمل عسكري في صفوفها.
- **1973/3/3:** الشيخ أبو طير يتزوج من زوجته الأولى أم مصعب.
- **صيف 1973–1974:** الشيخ أبو طير يسافر ويلتحق بالعمل مع الشهيد سعد صايل ليبدأ مرحلة جديدة من العمل العسكري في صفوف حركة فتح.
- **1974/2/1:** ولادة ابنة الشيخ أبو طير البكر "فلسطين".
- **1974/9/12:** قوات الاحتلال تعتقل الشيخ أبو طير للمرة الأولى، وتحاكمه بتهمة الانتماء لحركة فتح، والتدرب على السلاح في الخارج، وحيازة أسلحة.
- **1975/5/5:** الحكم على الشيخ أبو طير بالسجن الفعلي لمدة 16 عاماً و37 عاماً مع وقف التنفيذ، وخفض السجن الفعلي بعد الاستئناف لمدة 13 عاماً.
- **أواخر 1976:** الشيخ أبو طير يفارق تنظيم حركة فتح في السجن، ليلتحق بمجموعة من الأسرى ليشكلوا لاحقاً الجماعة الإسلامية في سجن الرملة.
- **1977/7/1:** الكويت تصدر طابعاً بريدي تكريماً للشيخ أبو طير وإخوانه الأسرى، وضعت عليه صورته، معنوناً بـ"نكافح لتحرير فلسطين وإحلال السلام".
- **1980/2/1:** مصلحة السجون تنقل أبناء القدس جميعاً، إلى سجني عسقلان وبئر السبع، وكانت وجهة الشيخ أبو طير وإخوانه في الجماعة الإسلامية سجن عسقلان.

- **1982/6/6:** جيش الاحتلال الصهيوني يبدأ عدواناً ضدّ لبنان، استهدف إخراج "الثورة الفلسطينية" من لبنان، ونجح الاجتياح في إخراج جلّ قوات الثورة وتشتيتها بين البلدان العربية، وانتهى باحتلال بيروت. ونقل الشيخ أبو طير تعسفياً إلى سجن بئر السبع لمهاجمته العدوان.
- **1982/9/27:** اغتيال سعد صايل، "قائد أبو طير" في أثناء عمله مع فتح، وقائد غرفة العمليات المركزية للثورة الفلسطينية في لبنان وفي أثناء معركة بيروت، في عملية غامضة. وكان صايل يطالب بمعاقبة المسؤولين عن فشل القوات الفلسطينية في الدفاع عن الجنوب اللبناني.
- **1985/5/20:** الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة تنجز عملية الجليل، والتي أطلقت "إسرائيل" بموجبها سراح 1,155 أسيراً مقابل ثلاثة من جنود الاحتلال، وأسهم أبو طير في إتمام الصفقة وتحرر فيها.
- **1986/3/15:** ولادة مصعب، الولد الأول للشيخ أبو طير.
- **1987/7/25:** ولادة أروى، الابنة الثانية للشيخ أبو طير.
- **1989/2/1:** قوات الاحتلال الصهيوني تعتقل الشيخ أبو طير للمرة الثانية، بتهمة التواصل مع قيادة الجبهة الشعبية – القيادة العامة في الخارج من أجل الإعداد لعمل عسكري، وحكم بالسجن لمدة 13 شهراً.
- **1989/5/21:** ولادة مريم، الابنة الثالثة للشيخ أبو طير.
- **1990/8/30:** اعتقال الشيخ أبو طير للمرة الثالثة والحكم عليه بالسجن الإداري لمدة ستة أشهر، وخرج من السجن في 1991/3/1.
- **1990/12/28:** ولادة خولة، الابنة الرابعة للشيخ أبو طير.
- **1992/3/8:** اعتقل الشيخ أبو طير للمرة الرابعة في كمين نصبته له المخابرات الصهيونية بعد إتمام صفقة أسلحة من أجل الإعداد لانطلاقة عمل عسكري لحركة حماس، وحكم بالسجن لستّ سنوات.
- **1992/6/6:** ولادة محمود، الابن الثاني للشيخ أبو طير.
- **1992/9/27:** الأسرى يبدأون إضراباً شاملاً في سجون الاحتلال استهدف إجبار مصلحة السجون على تحسين الظروف المعيشية للأسرى وإنهاء سياسة العزل، وانتهى الإضراب بعد 15 يوماً في السجون، و19 في سجن نفحة بعد أن حقق الأسرى مطالبهم.

- **1992/10/18:** ولادة هند، الابنة الخامسة للشيخ أبو طير.
- **1998/9/10:** وحدات صهيونية خاصة تصفي قائد كتائب القسام في الضفة الغربية عادل عوض الله وشقيقه عماد في "عزبة" بالقرب من الخليل، وتصادر أرشيف الكتائب الذي كان مع الشهيد عادل لتبدأ على إثرها بحملة اعتقالات استهدفت أعضاء وكوادر التنظيم وعلى رأسهم الشيخ أبو طير.
- **1998/9/20:** وحدات صهيونية خاصة تعتقل الشيخ أبو طير للمرة الخامسة ليدخل في تحقيق قاسٍ حول دوره القيادي في التنظيم العسكري لحماس الذي كان يقوده الشهيد عادل عوض الله، ويحكم بالسجن لمدة سبعة أعوام. وشاركه اعتقاله في التحقيق والدته لدورها في نقل السلاح للكتائب.
- **2000/5/2:** الأسرى في سجون الاحتلال يبدأون إضراباً عن الطعام احتجاجاً على سياسة العزل والقيود على زيارات الأهالي، وشهد الإضراب تفاعلاً جماهيرياً كبيراً، وانتهى بعد مفاوضات شارك فيها الشيخ أبو طير ووافقت مصلحة السجون على طلباتهم.
- **2004/8/15:** الأسرى يبدأون إضراباً عن الطعام تضامناً مع أسرى سجن جلبوع، ولتحقيق تحسينات في ظروفهم المعيشية.
- **2005/6/5:** الإفراج عن الشيخ أبو طير وعودته إلى قريته أم طوبا، وبدء الاستعداد لخوض انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني الثانية على قائمة كتلة التغيير والإصلاح، تحت شعار "يدٌ تبني ويدٌ تقاوم".
- **2006/1/25:** الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة يختار كتلة التغيير والإصلاح لتكون الكتلة الأكبر في المجلس التشريعي، وبلغ مجموع مقاعدها في المجلس 74 مقعداً، موزعة على 29 مقعداً للقائمة، و45 مقعداً للدوائر، وصوَّت لقائمة التغيير والإصلاح في مدينة القدس وعلى رأسها الشيخ أبو طير، 16,035 مواطن مقدسي.
- **2006/6/30:** اعتقل الشيخ أبو طير للمرة السادسة وجاء الاعتقال ضمن حملة استهدفت وزراء ونواب حركة المقاومة الإسلامية حماس وكتلة التغيير والإصلاح.
- **2006/11/27:** وفاة والد الشيخ أبو طير، شريكه في الاعتقال الأول، وكان الشيخ في السجن.
- **2007/6/14:** يوم الإكراه والاضطرار [كما يقول الشيخ أبو طير]، وإقالة رئيس الوزراء الفلسطيني إسماعيل هنية رئيس حكومة الوحدة الوطنية.

- **2008/11/24:** بعد ثلاث سنوات من المحاكم، صدور القرار بحكم الشيخ أبو طير بالسجن 42 شهراً، لانتخابه في المجلس التشريعي الفلسطيني على قائمة التغيير والإصلاح.
- **2009/1/25:** وفاة والدة الشيخ أبو طير، رفيقة دربه في الجهاد، وهو في السجن.
- **2009/3/15:** الشاباك يطلب التفاوض مع قيادات أسرى حماس في السجون من أجل إتمام تبادل الأسرى بين الاحتلال وآسري شاليط، والشيخ أبو طير أحد المشاركين.
- **2009/4/30:** بعد قرار النيابة العسكرية الصهيونية استئناف الحكم الصادر بحق الشيخ أبو طير، لخطورته على أمن الدولة، المحكمة تقرر زيادة الحكم ليصبح 48 شهراً، وشهراً آخر لرفضه الوقوف للقاضي.
- **2010/5/20:** خروج الشيخ أبو طير من السجن بعد قضائه أربعة أعوام، لفوزه في انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني على قائمة التغيير والإصلاح.
- **2010/6/30:** قوات الاحتلال تعتقل الشيخ أبو طير للمرة السابعة، بعد القرار بإبعاده عن مدينة القدس، واعتباره متسللاً لـ"أرض إسرائيل"، وتحوِّله إلى محكمة مدنية.
- **2010/12/8:** شرطة الاحتلال تبعد الشيخ أبو طير عن مدينة القدس وتضعه على حاجز بيتونيا العسكري، بعد قرار المحكمة الصهيونية إطلاق سراحه ورفضها تمديد اعتقاله.
- **2011/9/6:** قوات الاحتلال تعتقل الشيخ أبو طير للمرة الثامنة وتحتجزه في الاعتقال الإداري لمدة عام كامل.
- **2011/10/18:** إتمام اتفاق بين حركة المقاومة الإسلامية (حماس) ودولة الاحتلال على إجراء صفقة تبادل أسرى، يتم بموجبها الإفراج عن 1,027 أسيراً فلسطينياً، منهم 477 أسير وأسيرة من ذوي الأحكام العالية، و320 أسير وأسيرة من ذوي الأحكام المؤبدة، وخرج في هذه الصفقة عدد كبير من الأسرى الواردة أسماؤهم في متن المذكرات.
- **2012/9/5:** قوات الاحتلال تفرج عن الشيخ أبو طير من سجن عوفر قرب رام الله.

فهرست

(أ)

آرنس، موشيه، 191
ابحيص، محمد حسن، 107
ابن علي، زين العابدين، 387
أبو ادهيم، علاء، 369–370
أبو ارميلة، إسلام، 168، 201
أبو ارميلة، عبد المطلب، 86، 88
أبو ارميلة، مروان (الأسير المحرر)، 245
أبو ارميلة، مروان (الشهيد)، 169، 225
أبو اسنينة، عدنان، 159–160
أبو اسنينة، محمد خليل، 160
أبو البها، مراد، 390
أبو تبانة، عدنان، 419
أبو ترك، ياسر، 346، 381
أبو جابر، سالم، 193، 198–200
أبو جحيشة، محمد، 267، 395
أبو جريدة، جهاد عواد، 257
أبو جزر، علاء، 399، 401
أبو جياب، غازي، 147
أبو حجاج، سلمان، 103
أبو حديد، إياد، 225
أبو حسنة، إياد، 238
أبو الحلاوة، سامي، 248
أبو حمدية، رائد، 262
أبو حميد، عبد المنعم، 201، 216، 261، 299، 364
أبو حميد، ناصر، 364
أبو حية، عماد، 97
أبو خبيزة، عطا، 381
أبو خضر، علاء، 395
أبو خضير، محمد، 438، 456
أبو خضير، محمد مجدي، 456
أبو خلف، أمجد، 217
أبو خلف، عمران، 86–87
أبو خليل، أيمن، 237–238، 245، 368
أبو دية، ممدوح، 113
أبو راس، علي، 185، 202، 214
أبو الرب، فيصل، 293–294، 313
أبو رجب، حازم، 386
أبو رجب، منتصر، 386
أبو رموز، عبد الكريم، 458
أبو رموز، عزمي (أبو عبد الله)، 463
أبو الروس، نسيم، 270
أبو زايد، فاخر، 221
أبو زايدة، سفيان، 318
أبو زهرة، مصطفى (أبو الأمين)، 181
أبو زهري، سامي، 184
أبو زياد، خليل، 79
أبو زياد، زياد، 79
أبو زيد، خالد عمر، 256–257
أبو زيد، محمد فؤاد، 157
أبو سالم، إبراهيم (أبو إسحق)، 158، 185، 189، 241، 346–347، 404
أبو سرحان، عامر، 188، 192
أبو سمرة، محمود، 308

أبو سنينة، شعيب، 271–273، 288
أبو سير، سامر، 295
أبو شباك، رشيد، 355، 357–358
أبو شرار، ماجد، 233
أبو شلبك، نافذ، 326
أبو شنب، إسماعيل (أبو حسن)، 182–183، 185، 188، 228، 234–240، 243، 301، 303، 463
أبو شنب، كمال، 346
أبو طير، إبراهيم، 56، 58
أبو طير، أحمد (أبو أنور)، 56، 59، 70
أبو طير، أحمد (أبو منير)، 27
أبو طير، حامد، 319
أبو طير، خالد (أبو العز)، 53، 90
أبو طير، خليل محمود، 53
أبو طير، راضي (أبو زيد)، 27–28، 47–48، 198–199
أبو طير، رجب، 56
أبو طير، سعيد، 56، 446
أبو طير، عقاب، 90
أبو طير، علي حسن (أبو جلال)، 169
أبو طير، عمر، 28، 47، 91
أبو طير، فوزي موسى، 25، 53، 62
أبو طير، لطفي، 54
أبو طير، محمد (أبو زهير)، 53، 90–91
أبو طير، محمود، 53–54، 62، 86، 88، 91
أبو طير، محمود حمدان، 48
أبو طير، منير محمود (أبو أشرف)، 25، 40، 53–54، 62، 91
أبو ظاهر، محمد عودة، 434، 438
أبو ظاهر، مشهور، 434، 444
أبو عايش، محمد، 305
أبو عرفة، خالد (أبو محمد)، 139، 169، 183–185، 319، 324، 326، 328، 331، 338، 340، 383–385، 453
أبو عرفة، طارق، 169
أبو عسلة، يوسف، 30
أبو عصب، أمجد، 382
أبو عصب، يعقوب، 319، 382–383
أبو عصبة، طلال، 420
أبو عفيفة، طلال، 179
أبو عمرو، زياد، 330
أبو عون، نزيه، 289، 458
أبو عيد، رياض، 170
أبو عيد، سلمان، 108–109، 169–170، 200–201، 214، 266، 270–272، 274، 286
أبو عيد، سليم، 170، 270–272، 286
أبو عيشة، جميل، 96، 103، 207
أبو عيشة، حمزة، 458
أبو عيشة، عماد، 171
أبو غليون، خالد، 239
أبو غوش، عمرو، 412
أبو الغيط، أحمد، 375
أبو الفحم، عبد القادر، 32، 103
أبو قبيطة، زهران، 109
أبو القرايا، عبد العزيز، 33
أبو قطيش، ماجد، 209–210، 244–245
أبو قلبين، عواد، 34، 448
أبو قويدر، كمال، 278

أبو كرش، ماهر، 306
أبو كويك، حسين، 108–109
أبو كويك، ماهر، 210، 214
أبو الليل، محمد خليل، 95
أبو مخ، فريد، 191
أبو مرخية، أشرف، 305
أبو منشار، ضرار، 458
أبو ميالة، صبحي، 86، 88
أبو نجمة، ناجي، 86–87، 98، 134
أبو نعيم، توفيق (أبو عبد الله)، 186–188، 220، 294، 297، 301–304، 306، 312، 379
أبو هدوان، محمد حسن، 237، 255–257، 373
أبو هلال، علي، 181
أبو هنية، خليل، 200
أبو الهيجاء، جمال، 266، 316، 399
أبو وردة، مجدي، 249–250
أبو وردة، محمد، 248
اتفاق أوسلو، 79، 146، 164، 202، 207، 211–212، 217–219، 228–230، 232–243، 300، 332، 335–337، 352–357، 362–373
اتفاق غزة – أريحا، 218، 232
اتفاقيات جنيف، 373
أثيوبيا، 72
الأجرب، أسيد، 453
الأحمد، عزام، 333، 390
الإخوان المسلمون، 27، 64، 84، 96، 99، 113، 139، 165، 178، 180
إدري، شارون، 262
إدريس، عبد القادر، 230
إدريس، محمود، 288
إربد (الأردن)، 54
ارحيمي، مجدي (الريماوي) (أبو السائد)، 347، 382
الأردن، 25، 27، 33، 36–38، 40–41، 54–56، 60–63، 72، 79، 87، 96، 101–103، 109، 227، 239، 250، 255، 274، 314، 328، 377، 455
– الجيش الأردني، 31، 38، 53–54، 57–59، 61–62، 69، 329، 341
– الحكومة الأردنية، 34، 255
– غور الأردن، 53، 91، 102
– المخابرات الأردنية، 63
أردوغان، رجب طيب، 414، 451
ارشيد، يوسف، 312، 316
أريحا، 177، 218، 233، 277، 352، 365
الأزرق، خالد، 222، 306
الأزعر، عصام، 173
الأسد، حافظ، 222
الأسطة، سمير، 395
أسعد، سمير، 181
أسعد، عمار زهير، 316
أسعد، فخري، 112–113
إسلام، يوسف، 174–175
إسماعيل، مصطفى، 130
الإسماعيلية (مصر)، 34
اشتيه، بلال، 227

اشتيه، عوض الله، 395
أشكنازي، غابي، 211
اشنينه، نظام، 395
الأطرش، عايد، 225
الأعرج، عمار، 362
اغبارية، سليمان، 308
أفغانستان، 72، 179، 197، 391
الأفغاني، عبد الكريم، 87
الأفندي، ناصر، 113
أفندي، وليد، 180
أفنيري، أوري، 132
الأقرع، رامي، 317
أم طوبا (القدس)، 26، 31، 38، 45، 51، 59–61، 128، 152، 168، 177، 274، 319، 383، 390
أم الفحم، 180، 183، 193، 309، 442
أم كلثوم، 35، 116، 135
الإمارات، 377
الأمم المتحدة، 168
– مجلس الأمن، 192
– وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا)، 26، 28، 375
أمين، عيدي، 129
أنغولا، 72
أوكاموتو، كوزو، 153
أيالون، عامي، 283
إيران، 131، 250، 377

(ب)

البابا، صبحي، 125
بادي، سالم، 433، 440
بار أون، روني، 338
بئر السبع، 34، 314
باراك، إيهود، 167
بارود، إبراهيم مصطفى، 256
الباز، يوسف، 97
البازيان، علاء الدين، 256–257
البازيان، منذر، 256
باقة الغربية، 191
باكستان، 65، 391
البحر، عبد الناصر، 381
بختان، فواز، 253
بدر، أحمد، 226
بدر، محمد ماهر، 224، 419، 430
بدران، رأفت، 188
بدرساوي، جبر علي عمار، 33، 86، 96، 100، 104، 116، 119، 126
بدو (القدس)، 41، 108، 270، 328
البدوي، محمد، 205
بديع، محمد، 434
البراغيت، جلال، 166، 201، 205، 242
برغال، مخلص، 220
البرغوثي، بلال، 365
البرغوثي، جاسر، 367
البرغوثي، عبد الله، 365
البرغوثي، عمر (أبو عاصف)، 95، 227، 394، 398، 412، 442

البرغوثي، فخري، 143، 364
البرغوثي، مجد، 60
البرغوثي، مراد، 367
البرغوثي، مروان، 299، 315
البرغوثي، نائل (أبو النور)، 143، 227، 364، 386، 398
برقة (نابلس)، 197
بركات، صالح، 455
برناوي، فاطمة، 130
البريج (غزة)، 97، 120
البسيط، موسى، 30
بشارات، محمد، 364
بشارة، عزمي، 295، 340
البكري، عبد الله، 270
بكيرات، إبراهيم، 271
بكيرات، إيهاب، 271
بكيرات، ناجح (أبو مالك)، 99
بلال، سعيد، 386
بلال، عثمان، 386، 399
بلال، معاذ، 386، 399
البلبول، رائد، 250
البلتاجي، صقر، 184
بلير، توني، 337
البنا، حسن، 84، 130، 145، 227
بنوره، عيسى، 29
بورقيبة، الحبيب، 33
البوريني، حسني، 390
البوسنة والهرسك، 391
بوش، جورج (الأب)، 182
بوش، جورج (الابن)، 359
البوطي، محمد سعيد، 83
بولص، جواد، 219، 430
بويز، فارس، 210
بيت أمر، 201، 242
بيت حانون، 176، 369
بيت حنينا (القدس)، 33، 457
بيت درّاس (المجدل)، 33، 102، 119
بيت ساحور، 29، 266
بيت صفافا (القدس)، 37
بيت عنان (القدس)، 328
بيت عوا (الخليل)، 201، 266
بيت عور التحتا (رام الله)، 188
بيت لاهيا (غزة)، 109
بيت لحم، 26، 48، 103، 108، 151–152، 176، 198، 209، 216، 220، 240، 247، 250، 266، 269، 274، 278، 327، 331، 366، 398
بيت لقيا، 201، 271
البيتاوي، حامد، 157، 159، 173، 316
بيتونيا، 363، 385، 390، 392، 404، 434، 457
– سجن بيتونيا، 341، 400
بير نبالا (القدس)، 41، 283، 284
البيرة، 198، 270، 275، 286، 331، 410–411، 441
بيروت، 55–63، 70، 84، 87، 131–134، 149، 167
بيريز، شمعون، 229، 233، 249، 284، 360، 456

(ت)

تركيا، 360، 413–414
تل أبيب/ تل الربيع، 137، 199، 226، 456
تِل (نابلس)، 247، 354، 366
التل، وصفي، 55
التلاحمة، صالح (أبو مصعب)، 247، 365
تلفيت، 171–173
تمراز، عبد الرحمن (أبو ماهر)، 184
تمراز، ماهر، 184
التميمي، حمدي سلطان، 107
توليدانو، نسيم، 210
تونس، 167، 218، 387، 413–414

(ث)

ثابت، محسن، 94، 113

(ج)

جابر، عبد المحسن، 29–30
جابر، غسان، 433
جابر، فايز، 128
جابر، هاني بدوي، 257، 303
جاد الله، يوسف (أبو صلاح)، 103، 124
جادو، يحيى، 451، 453
الجامعة الأردنية (الأردن)، 40–41
جامعة الأزهر (مصر)، 40
الجامعة الإسلامية (غزة)، 106، 119، 149–150، 157، 162، 165، 176، 244، 359، 375
الجامعة الإسلامية (المدينة المنورة)، 40
جامعة بيرزيت، 162، 197، 365، 411، 450–451
جامعة بيروت العربية (لبنان)، 54، 56، 63
جامعة حيفا، 179
جامعة الخليل، 162، 197، 231
جامعة الدول العربية، 377
الجامعة العبرية (القدس)، 39، 255، 263
جامعة القدس، 162، 272
جامعة القدس المفتوحة، 296
جامعة النجاح، 317، 362، 395
جبارة، مؤاب، 263
جباليا (غزة)، 117، 163، 165، 338، 369
جبر، أحمد فهيم، 30
جبر، توفيق، 375، 377
جبريل، أحمد (أبو جهاد)، 106، 124، 132–133، 143–144، 148، 177–178
جبرين، زاهر، 237، 244–246، 264، 297
الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، 69، 72، 78–79، 104، 108–109، 167، 181، 220، 251، 295، 324، 355
الجبهة الشعبية – القيادة العامة، 79، 124، 132، 143–144، 147، 151، 177–178، 192، 355، 396
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، 33، 69–72، 78–79، 85، 88، 95، 97، 99، 101، 104، 109، 124–125، 127–129، 147–148، 166–167، 181، 188، 201، 220، 240، 245، 251–252، 256، 262، 291، 295–296، 306، 312، 316–317، 324،

326، 346–347، 355، 390، 400،
419–420، 426، 429، 433، 440، 446
جبهة النضال الشعبي، 78، 87–88، 180
الجبهة الوطنية، 70–71
جدة، علي، 129
جدة، محمود، 109
الجديرة (القدس)، 41
جراد، محمد (أبو أنس)، 230
جرادات، جهاد، 205، 221
جرادات، موسى، 205
جرار، فراس، 289، 395
جرار، نصر، 114، 266
الجراعي، راضي (أبو شادي)، 184
الجزائر، 129، 377، 391
جعارة، عمر، 123
الجعافرة، عبد الكريم (أبو سياف)، 403
الجعبة، سليم، 295، 367، 370، 381–383
الجعبة، ماجد (أبو زيد)، 208، 224، 234،
264، 288–289
الجعبري، إسماعيل، 377
الجعبري، جواد (أبو يحيى)، 230، 413،
440
الجعبري، عيسى، 419، 428، 433
الجعفري، علي، 105، 307، 437
جليل، سليم، 48
الجماعة الإسلامية (تنظيم في سجون
الاحتلال)، 80–81، 83، 85–87،
91–92، 94–95، 99، 102، 104، 108،
113–114، 118، 124، 177، 184
جمجوم، سفيان، 215، 231
جندل، عصام داود، 256–257
جنين، 176–178، 233، 251–253، 278،
316، 331، 342–343، 398
– سجن جنين، 114، 266
– معركة جنين، 266
الجولان، 25، 36، 56، 65، 72–73، 77–78،
131، 295
الجولاني، فتحي، 395
الجولاني، محمد عبد الحميد، 257
جولدشتاين، باروخ، 222
الجيب (القدس)، 41–42، 57–59

(ح)

حامد، إبراهيم، 275
حامد، عباس محمد، 117
الحايك، شعيب، 97، 103
حبش، جورج، 85، 128، 227
حبيب، فيليب، 133
حجاج، عبد الله، 145
حجاز، هشام، 367
حجازي، أيمن (أبو سلطان)، 170
حجة، جهاد، 214
الحجة، مازن، 200–201
حداد، ربحي، 124
حداد، سعد، 353
حداد، وديع، 128
حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)،
33، 53، 56، 69، 71–72، 78–79،
83–85، 87–88، 90، 92–93، 95،
97، 100–101، 103–109، 111–116،
120، 124–125، 127، 132–133،

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

145، 147، 165–167، 169، 171–173،
179، 184–185، 188، 203، 205، 209،
214، 218، 221، 229، 242، 251–253،
255، 279، 291، 293–295،
301، 305–306، 316–317، 324،
326–328، 331–332، 334–336،
338، 346–347، 359، 363، 381،
384، 390، 397، 399، 400، 429
–تنظيم فتح في سجون الاحتلال، 70،
83–84، 90، 95، 99، 104، 110،
112، 125، 146، 188، 201–204،
206، 220، 241، 243–245، 253،
255–256، 291، 293، 294، 312،
326، 363، 379–380، 397، 400–401
–جهاز الأمن المركزي، 57، 61، 70
– الشبيبة الفتحاوية، 80، 114، 160،
169، 229
–كتائب شهداء الأقصى، 335، 367
–اللجنة المركزية، 203
– المجلس الثوري، 191
حركة الجهاد الإسلامي (فلسطين)، 100،
106، 167، 181، 184–185، 188،
201–203، 207، 210، 220–222،
243، 291–296، 301، 306، 312،
316–317، 346–347، 355، 363،
385، 389، 390، 400، 420، 426،
429، 433، 440، 455
–سرايا القدس ، 300
حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، 106،
158، 164–173، 177، 185–187، 188،
193، 201–203، 207–208، 210–211،
219–220، 222، 225–226، 230–231،
239، 241، 243–244، 249، 251–253،
255، 264، 277، 291، 293–296،
300–303، 305، 312–313، 316–317،
324، 327–328، 330، 332–333، 336،
339، 341، 346–347، 355–356،
359–364، 367–368، 373–380،
384–385، 390، 393–394، 396–398،
400–401، 403، 411، 419–420،
425–426، 433، 435، 439–440،
450، 455
–تنظيم حماس في السجون، 204–206،
220، 230، 235، 241–242، 245،
291، 301–303، 306، 315، 347،
425، 430–431، 433، 443
–كتائب الشهيد عز الدين القسام، 159،
190، 195، 197، 225، 248، 259،
261–262، 273، 279، 286، 300،
314، 340، 368، 377، 386
–الكتلة الإسلامية، 231، 317، 411
–كتلة التغيير والإصلاح، 325، 330،
334
–المكتب السياسي، 250
حريزات، عبد الصمد، 201، 205، 287
حزب الله (لبنان)، 192، 274، 292–293،
373–374
حزب التحرير، 328–329
الحزب الشيوعي، 70–71، 99، 165

حزما (القدس)، 95، 114، 328، 395
الحزيبي، إبراهيم، 200–201، 290
حسونة، عاصم، 125
حسونة، عزام، 419
حسونة، قصي، 433
حسين، سامي (أبو إبراهيم)، 95، 316–317، 393–394، 400–402، 404، 418، 421، 424، 433، 452–453، 455
حسين، صدام، 130، 190، 192–193
حسين، محمد، 30، 153
الحسيني، زياد، 33
الحسيني، عبد القادر، 59، 61، 138
الحسيني، فيصل (أبو العبد)، 138، 193، 323
الحشاش، محمد عاصم، 381
الحشاش، مهاوش، 101
الحضيري، علي، 366
الحكومة الإسرائيلية/ الصهيونية،
–الشاباك، 69–70، 92، 128، 178–179، 187، 193، 211، 213–214، 263–264، 275، 283–285، 296–297، 299، 301، 304، 307–308، 310، 340–342، 372، 378–379، 384، 394–395، 398، 401، 410، 420–423، 435، 437، 446، 454، 457
–مصلحة السجون، 73، 75، 92، 105، 110، 117، 147، 186–189، 204، 206–207، 226، 263–264، 291، 293، 296–297، 302، 304–305، 307، 309–318، 342، 345–346، 388–389، 397، 399–402، 412، 416، 420–421، 430، 432، 435، 437، 441
–الموساد، 107، 233، 250–251
–وزارة المعارف، 29
حلاوة، أيمن، 261
حلاوة، راسم، 105، 307، 437
حلحول (الخليل)، 96، 109، 111، 115، 125
الحلف، ماجد، 180
الحلواني، رامي، 326، 328–329، 340، 383
حماة، 131، 222
حمادة، إبراهيم، 319
حمامرة، جمال، 433، 440
حمامي، جميل (أبو حمزة)، 30، 139، 158–159، 168، 184–185، 319
حمد، فادي، 420
حمد، محمد (أبو العز الكتري)، 106، 145، 330
حمدان، داود، 433، 440
حمدان، شحادة، 30
حمدان، عبد الرحمن، 299
حمدان، غالب، 90
حمدان، فضل، 395
حمدان، محمد، 104–105
حمود، سامر، 412
الحموري، أمجد، 413، 422، 425، 440
الحنبلي، محمد، 225
حنيني، عبد الحكيم (أبو حذيفة)، 173،

246، 289، 297–299، 301، 313، 364
الحوتري، رائد، 316
الحوتري، سعيد، 54
حيفا، 137، 162، 177–178، 180، 308، 316، 434

(خ)

خاراس (الخليل)، 54، 91
خالد، حسن (المفتي)، 86
خالد، ناصر، 309
خالد، وليد، 279
الخالص، موسى، 37
خانيونس، 30، 56، 162، 238، 388
خريشة، إبراهيم، 333
خريشة، حسن، 330
الخضر (بيت لحم)، 152
خضر، حسام، 312، 315
الخضري، جمال، 330
خطاب، عدنان، 419
الخطيب، إسماعيل، 149–151
الخطيب، تاج الدين، 89
الخطيب، جميل، 30
الخطيب، روحي، 138
الخطيب، سفيان، 177–178
خطيب، عارف، 114
الخطيب، عزام، 283
الخطيب، محمد، 160
الخطيب، موسى، 395، 455
خلاف، طلال، 97
خلف، صلاح (أبو إياد)، 97، 124، 165
خليفة، فرسان، 316
الخليل، 34، 88، 127، 146، 151، 176، 185، 189–190، 211، 214، 220–226، 230–231، 233، 242، 247–248، 251، 266–269، 272، 274، 277–278، 300–303، 330–331، 365–366، 383، 394، 398، 429، 434، 437–439، 441، 455
– سجن الخليل، 114، 146، 166، 199–206، 208، 211–215، 218–219، 221–222، 227–228، 230، 233–234، 243–244، 246، 264، 270، 272، 290، 296، 298، 365
خليل، عايد (أبو سلمان)، 316
خليل، عبد الفتاح، 221
الخواجا، شكري (أبو ساجدة)، 208، 433، 458
الخواجا، صلاح، 208
خوري، سمعان، 181

(د)

دار الأيتام الإسلامية (القدس)، 37
داود، ياسر، 188
دايتون، كيث، 359–363
الدبج، إسماعيل، 124
الدبل، حافظ، 166–167، 254
دبور، وسيم، 412
دحدول، أنور، 198
دحلان، محمد، 249، 355، 357، 359–361،

372
دخان، محمد، 231
الددو، سعيد، 84
دراغمة، أيمن، 213، 395
دربل، قاسم محمد، 103، 124
دردونة، وائل، 312
درعا (سورية)، 40، 56
دروزة، صلاح الدين (أبو النور)، 161، 234
درويش، شادي، 214
درويش، غالب، 88
درويش، محمد (أبو داود)، 80، 86–88، 106، 146
دعنا، بشار، 433
دعنا، نبيل (أبو عبد الله)، 112، 117–118، 198–199، 201، 214
دغلس، سيف الإسلام، 415، 450–451
دقة، وليد، 295، 312، 316
دلايشة، أيوب (أبو ماهر)، 418–419
دلايشة، ماهر، 418–419
الدلقموني، حافظ، 96، 103، 117، 124، 133، 143–144، 177
دمشق، 35، 55–56، 60–63، 70، 117، 143–144، 167، 301
دهامشة، عبد المالك، 191، 219، 295
دوابشة، علي، 438
دوابشة، نديم (أبو مصعب)، 173
الدودة، مسلم، 111، 115–116
دودين، عايد، 276، 288–289، 379
دودين، موسى، 208، 213، 231، 234، 236، 238–239، 245–246، 264–266، 276، 285، 288، 297، 299، 379، 463
دورا (الخليل)، 189، 205، 214، 266–267، 301–302
دوفش، عزت، 30
دوما (نابلس)، 172–173
الدويات، عمر علي، 60
الدويك، عزيز، 333، 368، 395
ديان، موشيه، 36، 138، 461
ديختر، آفي، 345
دير شرف (نابلس)، 177
ديسكين، يوفال، 285، 297
الديك، زكريا، 224

(ذ)

ذهب، صائب، 162–163
ذوقان، غسان، 395

(ر)

الرابي، راتب، 30
رابين، إسحق، 167، 174، 207، 210، 229، 232، 247، 366
الرازم، أيمن، 248–249
الرازم، عبد الباسط، 180
الرازم، فؤاد، 143، 306
الرازم، مأمون، 248
الراشد، محمد أحمد، 344
رافات (سلفيت)، 247، 341، 392
رافع، علي، 179
الرافعي، مصطفى صادق، 460
رام الله، 34، 95، 99، 176، 185، 188،

219–220، 231، 233، 247،
251–253، 266، 270، 272، 274–275،
277–279، 286، 299، 326، 331،
334، 339، 350، 355، 365، 380،
385، 387، 390
راهط (النقب)، 162–193
رايس، كوندوليزا، 358
ربايعة، ماجد، 433، 453
الرجوب، جبريل، 118، 249، 277، 331
الرجوب، جمال، 397، 400
الرجوب، رزق، 248، 302، 413
الرجوب، زياد، 206
الرجوب، نايف، 166، 202، 214، 248،
302، 331
رداد، رياض (أبو أحمد)، 214، 390
رداد، محمد، 362
رزاينة، أيمن، 362
رشدي، محمد عزيز، 190، 365
الرشق، محمد، 237، 247، 289، 304، 386
رشيد، محمود خليل، 48
رشيد، نذير، 63
رصرص، أنس (أبو الأمير)، 219، 457
الرطاسي، موسى، 200
رفح، 30، 101، 178، 238
– معبر رفح، 376
رمانة (جنين)، 114
رمانة، حسنين، 247، 365
رمانة، فرج، 426
الرمثا (الأردن)، 56، 63، 118، 134
الرمحي، محمود (أبو محمد)، 208، 213،
219–220، 351، 364، 404
رمضان، مصطفى، 238، 240، 305
رمضان، نزار عبد العزيز، 224، 419، 430
رمضان، نزار محمد، 247، 304
الرملة، 34، 146، 152، 162، 179، 266
– سجن الرملة، 72، 77، 80، 83–91،
99، 123–125، 129، 134، 179،
182، 289، 302، 305، 342–344،
351، 363–364، 382–383، 389،
426، 454
– المستشفى، 255، 433
الرنتيسي، زهير، 97، 99
الرنتيسي، عبد العزيز، 163، 211، 303
الرنتيسي، عبد الفتاح، 235
رومانين، علي، 352
روهان، دينيس مايكل، 43
ريان، نزار، 376
ريحان، عاصم، 317
ريحان، علي (أبو محمد)، 183–184، 200
ريحان، عماد، 289، 317
ريحان، محمد، 317، 367
الريس، ناهض (أبو منير)، 62، 101

(ز)

الزاغة، حسن، 290
زئيفي، رحبعام، 347
زحالقة، جمال، 340
زحايكة، صلاح، 179
الزرو، بهاء، 226، 266
الزعتري، محمد (أبو معن)، 269

زعرب، سعيد، 291، 303
الزعنون، سليم، 333
الزغل، أشرف، 271
الزغل، ربيع، 271
الزقزوق، فهد، 367، 382
زقوت، ماهر، 237، 382
زكارنة، رائد، 226
زلوم، نضال، 188، 389
الزهار، محمود، 325
زهران، حمزة، 347
زهران، زهران إبراهيم، 170، 270–272، 286
زيادة، شريف، 381
الزيتون (غزة)، 109
زيدان، سامي، 366
زيدان، عبد الرحمن، 368، 390، 395
الزير، إسماعيل، 393، 410، 454
الزير، خالد، 190
الزيود، طاهر، 312، 316

(س)

السائح، بسام، 84
السائح، عبد الحميد، 138
السادات، أنور، 65، 129–130، 353
ساسبورتس، آفي، 182، 191
السبع، إبراهيم، 390، 405
سجن بئر السبع، 92–93، 99، 110، 113، 117–118، 133–134، 145، 220، 238، 256، 312، 314
سجن بتاح تكفا، 199، 213
سجن بيت ليد، 70
سجن جلبوع، 309–312، 314–316
سجن الجلمة، 178–179، 213، 308، 313، 316، 458
سجن جنيد، 94–95، 117–118، 151، 204، 221، 228، 233، 243، 271، 295
سجن رام الله، 219، 233، 290
سجن شطة، 105، 184، 189، 211، 246، 289، 294–296، 298، 316، 393
سجن الظاهرية، 217
سجن عسقلان، 26، 32، 78، 86–87، 91، 92، 96، 98–100، 102–105، 108–110، 117، 119، 124، 126، 128، 146–147، 149، 164، 167، 181، 183، 189، 203–204، 209، 211، 228، 230، 234، 242–244، 249، 252، 256، 264، 272، 288–289، 294، 301–302، 304، 312، 364، 400، 415، 450
سجن كفاريونا، 70، 72–73، 75–78
سجن مجدو، 167، 211، 222، 235، 241–242، 315، 317–318، 382، 420–421، 433، 441–443
سجن المسكوبية، 69–70، 76، 108، 178، 191، 205، 213، 263، 284، 287، 289–290، 298، 329، 338، 372، 383–385، 453–457
سجن نفحة، 105، 145–147، 149، 187–188، 207، 237، 255–256، 263، 293، 296، 301–303، 305،

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

310–312، 314، 316، 347،
363–364، 367، 379، 382، 387–389،
399–401، 425، 433، 435، 437
سجن النقب، 167، 233، 241، 324،
363، 378–379، 388، 403، 416،
420–421، 423–426، 433، 435–436،
441–443، 457
سجن نيتسان، 179–181، 185، 191،
305، 344
سجن هدريم، 263، 291، 296–298، 301،
311–312، 314–315، 319، 382
سدر، أيمن، 399
السدمير، عبد القادر، 88
السراحنة، إبراهيم، 249
سرايا الجهاد، 106
سرساوي، سمير، 180
السرطاوي، حسين هاني، 247
السركجي، يوسف، 270، 366
سرور، عبد الرحمن، 453
سرور، عبد القاهر، 458
سعادة، عمر، 201، 214، 269، 274، 285،
287، 451
السعافين، عبد الله، 393–394، 404، 457
سعدون، إيلان، 182، 191
السعودية، 72
سعيد، أحمد (مذيع)، 28، 32
سعيد، مهند، 412
سعير (الخليل)، 205
السكافي، زهير، 386
السكسك، عادل، 183
سكيك، سعيد، 382
سلامة، حسن، 246، 248–249، 262، 399
سلامة، كمال، 345
السلايمة، راضي، 130، 139، 332
السلايمة، عوض، 303
سلفيت، 176، 244، 247
سلمة، حسن علي، 221، 257
سلمية، جواد، 162–163
سلهب، عزام، 224، 267، 304
سلواد (رام الله)، 117، 275
سلوان (القدس)، 34، 105
سليمان، تيسير، 245، 264، 285، 288،
372، 398
سليمان، عمر، 360
سماحة، محمد ياسين (أبو ياسين)، 158
سمارة، معتصم، 444
سمارو، جاسر، 270
سمحان، جهاد، 279
السموع (الخليل)، 34، 94
سنقرط، ناجي، 230
السنوار، يحيى (أبو إبراهيم)، 186، 188،
238، 297، 300، 312، 314–315،
379، 382، 386، 387
سنيورة، مصطفى، 113
السودان، 27–28، 72، 105، 167، 377، 391
سورية، 25، 27، 34، 54–55، 65، 72–73،
88–89، 103، 114، 116، 131–132،
227، 252، 377، 391، 394، 413–414،
417
–الجيش السوري، 65

سوسلوف، ميخائيل، 127
السويس (مصر)، 34، 65، 376
السويطي، أبو مصعب، 214
السويطي، إسماعيل، 201
السويطي، جهاد، 166
السيد، بلال شريف، 257
السيد، عباس، 213، 398، 399
سيد أحمد، عاصم، 290
السيسي، عبد الفتاح، 415، 434
سيناء، 25، 36، 65، 103، 376

(ش)

شارون، أريل، 250، 298، 300، 309، 311، 335–337، 355
الشاعر، ناصر الدين، 384
شاليط، جلعاد، 340، 342، 371، 373، 378، 380، 396
الشامي، أيمن، 192
شامير، إسحق، 174، 178
شاهين، أيسر، 171، 173
شاهين، حسن، 125
شاهين، عبد العزيز (أبو علي)، 80، 104–105، 123–125، 149–150، 360
شاهين، عيسى، 103
شاهين، لؤي، 173
شاور، محمد تحسين، 419
شاور، مصطفى، 224
الشايب، جهاد، 221
شبانة، أمجد، 202، 217
شبانة، زين الدين، 290
شبانة، عباس، 231، 246
شبانة، محمود، 439–440
شبيب، معين، 197
الشحاتيت، عادل، 235، 242
شحادة، صلاح (أبو مصطفى)، 150، 163، 185، 188، 236، 239، 272، 303، 445
شحرور، معمر، 399
الشخشير، طه، 292، 460
شديد، عبد الرحمن، 159، 386–387
شديد، محمد سلمان، 114
الشراتحة، محمد (أبو النمر)، 119، 185، 188، 191، 382
الشرفا، ضياء، 381
شريتح، ماهر، 450
شريتح، محمود، 399
الشريف، عز الدين، 62
الشريف، عماد، 365
الشريف، محيي الدين، 161، 201، 261، 264، 266، 268–269، 272، 274، 277–278، 286
شريم، مهند، 399، 401
شعبان، أحمد، 107
الشغنوبي، رائد، 249
شفا عمرو، 162، 177، 193
شفيق، منير، 106
الشقيري، أحمد، 32–33، 102
شكري، أحمد، 187
شلالدة، عدنان، 181
الشلودي، فهد، 169
شلوف، سعيد، 388

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

شماسنة، سليم، 170
شماسنة، منصور، 169، 299
شنيور، عادل، 267
شهاب، عبد الحليم، 97، 99
شهاب، محمد (أبو العبد)، 184
الشوا، أيمن، 382
الشوا، رشاد، 33، 104
الشواورة، داود، 347
الشوبك (الأردن)، 55
الشوبكي، جمال، 114
شوكة، جاد الله، 202
الشويكي، رشدي، 139
الشويكي، زهير، 265
الشويكي، كمال، 191
الشيخ جراح (القدس)، 33، 384
الشيخ قاسم، ربيع، 277
الشيخ قاسم، سيد، 365
الشيخ مسكين (سورية)، 56
الشيشان، 391، 417

(ص)

صادق، أحمد، 97
الصاعقة (تنظيم)، 70، 239
صافي، سالم، 214
صالح، فضل، 333
صايل، سعد (أبو الوليد)، 60–63، 70، 132
صباح، فراس، 385، 456
صبحة، محمد ناجي، 413، 443
صبري، سعيد، 30، 41، 138
صبري، عكرمة، 30، 41، 76، 139، 157
صب لبن (أبو إياد)، 252–253
صبيحات، سمير، 114
صرصور، جميل (أبو سالم)، 230، 286–287
صرصور، محمد، 286
الصعيدي، أكرم، 388
صفد (الخليل)، 335
الصفدي، إحسان، 388
الصفدي، عصام، 73
الصفدي، محمود، 181
الصفطاوي، أسعد، 332، 362
الصفطاوي، عماد، 306، 382
صقر، عماد، 365، 386، 388
صقر، ماجد، 210
صلاح، رائد، 193، 308–309، 455–456
صلاح، محمد (أبو أحمد)، 230
صلالحة، أمير، 412
الصليبي، محمد علي، 395
صوافطة، فازع، 289، 292، 317
صوان، محمد، 191
صور باهر (القدس)، 26، 31، 37–38، 57، 60–61، 87، 128، 152، 168، 180، 209، 271، 341، 383، 385
الصوري، مصباح، 97، 100، 159–160
الصومال، 72، 417
صوي، صالح، 226
صيام، سعيد، 331، 358، 360، 376
صيام، عبد الله، 149
صيام، محمد (أبو محمود)، 157
الصيرفي، محمد، 35

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

الصين، 78–79، 391

(ط)

طافش، خالد، 395، 403
الطاهر، مهند، 366
طبهوب، فضل، 151
طبيش، فراس، 433
الطحان، رجب، 288
طرعان (الناصرة)، 162
طعمة، يوسف، 345
الطل، محمد إسماعيل، 419
طلال، الحسين بن (ملك الأردن)، 36، 62، 250، 251
طلعت، يوسف، 34
طنطش، خالد، 79، 90، 151
طه، أيمن (أبو محمد)، 304
طه، هيثم (أبو احمد)، 326، 328، 340
طه، واصل، 340
طوطح، محمد (أبو معاذ)، 139، 328، 331، 338، 384
طولكرم، 62، 113، 159، 233، 316، 331، 441
الطويل، جمال، 185، 270، 420، 451
الطويل، حسام، 330
الطويل، معز الدين، 219
الطيبة (المثلث)، 89، 263
الطيبي، أحمد، 193، 295
الطيراوي، توفيق، 334، 339، 357
الطيراوي، جمال، 397، 400
الطيرة (المثلث)، 89، 90
الطيطي، أحمد (أبو حمزة)، 393

(ظ)

الظاهرية، 176، 205

(ع)

عابدين، راغب، 169
العاروري، سليمان، 413
العاروري، صالح، 188، 197، 208، 213–214، 219، 231، 241، 288، 291، 297، 352، 368، 378، 394
عازم، لبيب، 172
عاشور، خميس، 184، 200
عاشور، علاء، 192
عاشور، يوسف سيد، 184
عاصي، نايف، 201، 219
العالول، محمود (أبو جهاد)، 133
العامودي، علي، 297–299، 387–388
العايدي، حازم، 237
العايدي، حمد (أبو رمزي)، 57–59، 70
عباس، محمود (أبو مازن)، 332–333، 335–336، 343، 357–358، 361–362، 384، 390
العباسي، إبراهيم (أبو علي)، 271، 273، 285، 288–289
عبد الله الثاني (ملك الأردن)، 314
العبد الله، توفيق (أبو إبراهيم)، 228، 244، 364
عبد الله، عبد الله، 327
العبد الله، لمياء (أم إبراهيم)، 228

عبد الجواد، ناصر، 390
عبد الحليم، محمود، 134
عبد الحميد، هايل (أبو الهول)، 59، 73
عبد الرازق، عمر، 368، 384، 390
عبد الرازق، هشام، 297–298، 318
عبد الرازق، يوسف، 126–127
عبد ربه، بلال، 347
عبد الرحيم، الطيب، 277
عبد الشافي، حيدر، 119
عبد الصمد، مؤيد، 347
عبد القادر، حاتم، 191
عبد اللطيف، توفيق، 308
عبد الناصر، جمال، 32، 63–64، 99، 180
عبد الهادي، يوسف، 338
عبده، محمود، 28، 31، 41
عبوين (رام الله)، 99
العبيات، محمد سلامة (أبو سلامة)، 201، 209، 216
عبيات، ناصر، 346
عبيد، رمزي، 346، 381
عبيد، عزمي، 412
عبيد، ماهر، 185
العبيدية (بيت لحم)، 38، 302
عبيدية، منصور، 86، 88
عثمان، محمد، 382
العجرمي، أشرف، 363
العجرمي، سالم سلامة، 256
العجرمي، عبد الله، 104–105
العجلوني، سلطان، 255
العجوري، يوسف (أبو نضال)، 124، 177
العداسي، غسان، 273، 277
عدوان، كمال، 57، 70
عدوي، محمود، 152
عرابي، فضل، 453
العراق، 27، 55، 102، 131، 284، 310، 370، 391
العراقي، عبد الرحيم، 90
العرعير، يوسف، 373
عرفات، ياسر (أبو عمار)، 40، 54، 58، 61، 64، 85، 129، 132–133، 143، 150، 167، 177، 200، 218، 227–229، 232، 250، 297، 335–336، 354–355، 358
العروج، طه، 214، 269
عريقات، صائب، 337، 344
عزام، أجود، 345
عزام، عبد الله، 94–95، 179، 197
عزبة سلمان (قلقيلية)، 170
عزرائيل، يوسف، 293–294
عزون (قلقيلية)، 151
عسيلة، حازم (أبو جابر)، 107، 237
العصا، أحمد (أبو أنس)، 222
العصا، أيوب، 347
العصافرة، علي، 386
عصفور، أشرف، 425–426، 440
عصفور، عدنان (أبو صايل)، 430، 444
عصيدة، عاصم، 366
عصيدة، فادي، 451
عطون، أحمد (أبو مجاهد)، 26، 139، 168، 180، 185، 189، 197، 242، 265، 267، 288، 319، 324–325،

327–328، 330–331، 333، 338،
345–347، 383–385، 404، 410،
416، 421، 433، 436، 444، 452–453
عطون، رمضان، 60
عطون، فايز، 60
عطون، محمد أحمد، 444
عطون، محمود (أبو العز)، 26، 180،
209–210، 237، 245
العطية، صالح، 412، 421، 443–444
العظيمة، سليمان، 26
عفانة، محمد، 354
عقاب، وليد (أبو علي إياد)، 54، 102
العقابنة، علي، 53، 90
العقاد، عباس محمود، 84
العقاد، مؤنس، 382
عقل، خميس، 381–382
عقل، عماد، 173، 231، 237، 365–366،
382
العكاري، موسى (أبو خباب)، 209،
237–238، 245
علاء الدين، نادر (أبو طلحة)، 108
علان، علي، 261، 366
العلمي، رشدي، 274
علوي، مازن، 253
عليان، عطاف، 107، 228، 313
عمار، محمد (أبو صالح)، 327، 390، 394،
403
عمان (الأردن)، 40–41، 54–56، 62–63،
102، 144، 197–198، 264
عمرو، فادي، 440
عمرو، فتحي، 202، 214، 267
عمرو، موسى، 231
عمرو، ناصر، 205، 221
عمرو، نبيل، 334
العمري، خالد، 79
العمري، وليد، 367
عمرية، علي، 180
العملة، رياض (أبو علي)، 173
عميرة، إبراهيم، 325
عميرة، محمود، 86–87، 134، 152
عناد، ياسر، 173
عواد، محمد، 150
عواد، يونس، 171
العواودة، أحمد، 114
العواودة، حذيفة، 393
العواودة، صلاح، 231
العواودة، موسى، 208، 276
عودة، ماهر، 272
عوريف (نابلس)، 366
عوض الله، عادل (أبو الفداء)، 161، 197–198،
200–201، 213، 219–220، 227، 248،
263–266، 268–269، 272–273،
275–279، 283–288، 290، 331
عوض الله، عماد، 263، 269–270، 273،
275، 277–278، 283
عوض، فايز، 117
عوض، محمد، 60، 455
عوفر، 394، 457

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

– سجن عوفر، 318، 341–343، 363، 392، 400–401، 404، 411، 420–421، 425–426، 432، 434–435، 441، 443
عويسات، محمود علي، 257
العويوي، عباس، 224
عياش، يحيى، 226، 246–249
عيزرا، جدعون، 299، 301
العيزرية (القدس)، 152
عيسى، سليمان داود، 60
عيسى، عبد الناصر، 166، 245، 247، 399
عيسى، محمود، 209–210، 238، 244–245، 264، 273، 288، 297–399، 436
العيسوية (القدس)، 39، 80، 87، 146

(غ)

غانم، عبد الله، 390
الغرباوي، أبو إسماعيل، 116
الغرباوي، ظافر، 116
غزال، ربحي، 227
غزال، محمد (أبو خبيب)، 395، 413، 421، 444
الغزالي، زينب، 416
غزة، 30، 32، 36، 75، 89، 97، 100–106، 109، 111، 119، 145، 150–151، 162–163، 165، 168، 176، 180، 184–185، 218، 225، 230–231، 233، 238، 241، 247–248، 254، 293–294، 300–304، 318، 330–331، 334–337، 342، 357، 359–360، 362، 365–366، 368–369، 371–377، 379–381، 396، 398–402، 413–414، 430، 435، 437، 445، 456، 459
– سجن غزة، 91، 101، 103، 105، 116–117، 119–120
غلمة، جهاد، 217
غلمة، شادي، 224
غلوب، جون باغوت، 31، 328
غنمة، شادي، 364
الغنوشي، راشد، 211
غنيم، عبد الهادي، 188
غنيمات، إبراهيم (أبو فادي)، 262
غنيمات، عبد الرحمن، 261، 303، 324
غنيمات، موسى، 249، 262، 268
الغوراني، فايز، 108
غورباتشوف، ميخائيل، 182
الغول، عدنان، 368
الغول، محمد فرج، 182، 188
غيث، طالب، 127
غيث، عبد اللطيف (أبو نضال)، 78، 181
غيث، عبد الله، 412
غيظان، صهيب، 412
غيظان، مصعب، 412، 450، 453

(ف)

فارس، قدورة، 204، 221، 297–298، 401، 430، 435
فايد، عطا الله، 97، 103
فتح الانتفاضة، 105، 203، 256
فتوح، روحي، 332
فراج، عبد الرزاق، 433

فرّاح، زهير، 168، 261
فرج، طايل، 171
فرج، علي، 171، 174
فرح، بهاء، 390، 405
فرحات، أمين (أبو عبد الله)، 86، 88
فرغلي، محمد، 34
الفروخ، إياد، 346، 381
الفقهاء، عبد الجابر، 395، 419–420، 425، 439–440
فقوعه، هاشم، 95
فلاح، جهاد، 345
فواقة، أحمد، 30
فواقة، محمود، 57، 319
فياض، سلام، 356، 362
فياض، محمد، 113
فياض، محمد فياض، 29
فيشمان، أليكس، 277

(ق)

قاحوش، محمد، 433
قاسم، أكرم، 388
قاسم، رائد، 220
قاسم، سعيد (أبو عبد الله)، 96، 103، 117، 124، 144، 148
القاسم، عمر، 72، 78–79، 108، 145، 181
قاسم، ماجد، 97، 99، 111–112، 125
القاضي، سمير، 324
القاضي، كامل، 153
قبرص، 107، 133
قبلان (نابلس)، 171–173، 317
قبيه (رام الله)، 34
القدومي، ناصر، 167
القذافي، معمر، 180
قراقع، عيسى، 390، 401، 435
القرضاوي، يوسف، 83
قريوت (نابلس)، 172
قزل، إياد، 345
قشوع، موسى، 89
قُصرة (نابلس)، 170، 172–173
قضماني، عصام، 289، 364
قطب، سيد، 31، 34–35، 83–84، 94–96، 103، 112، 118، 120، 129، 162، 244، 447، 448
قطب، محمد، 72، 84
قطر، 377، 456
قلعة شقيف، 131
قلقيلية، 41، 54، 97، 125، 170، 317
قنديل، محمد (أبو أسد)، 124
قنطار، سمير، 306، 312، 315
قنن، إيهاب، 388–389
القنيطرة (سورية)، 56، 131
القواسمي، أكرم، 248–249، 399
القواسمي، حاتم، 226
القواسمي، سلمان، 86، 88، 134
القواسمي، عبد الله (أبو أيمن)، 202، 208، 210
القواسمي، فادي، 384–385، 395، 416، 430
القواسمي، فارس، 386
القواسمي، مراد علي، 232

القواسمي، نضال، 395، 419، 428، 433
القيق، أحمد، 266
القيق، حسن (أبو سليمان)، 138، 168، 182، 184–185، 189، 266، 318، 323–324، 326، 331، 361، 415، 450
القيق، عبد الرحمن، 241

(ك)

كابوتشي، هيلاريون (المطران كابوتشي)، 62، 86، 129–130
الكتائب اللبنانية، 58، 110
الكتري، جمال، 145
الكجك، ناصر، 176
كراجة، ذياب، 455، 458
كرام، إلياس، 383
الكرمي، بشار، 214، 245
الكرمي، نشأت، 245
كريم، يوسف، 109
كشكو، محمد، 111
كشمير، 391
كفاية، محمد جميل، 458
كفاية، يوسف، 201، 214
كفر كنا، 162، 176
كفر مندا، 162
الكفراوي، محمد، 30
كميل، أحمد عوض، 293
كنفوش، حمزة، 97، 105–106، 146
كوسوفا، 391
الكويت، 61، 130–131، 190، 192–193، 377
الكيالي، مروان، 107
كيسنجر، هنري، 65
الكيلاني، رجب، 97، 109

(ل)

لانجر، فيليتسيا، 75، 84
لبنان، 25، 54، 62، 72، 87، 89، 132، 167، 171، 180، 227، 252، 301، 335، 374، 377
– جنوب لبنان، 62، 96، 99، 105، 107، 110، 131–132، 143–144، 192، 210، 287، 292، 353، 373–374، 459
اللحام، يوسف، 420
اللد، 75، 108، 120، 153، 162، 178–179، 181، 183، 266، 349
لدادوه، يحيى، 403
اللداوي، محمد، 75
اللطرون، 34، 274
اللوح، ذياب، 111
اللوح، فرحان، 97
ليفني، تسيبي، 375
ليفي، ديفيد، 207

(م)

مائير، جولدا، 45، 162
مبارك، أحمد، 286، 395
مبارك، محمد حسني، 229، 314، 356، 360، 376
المبتسم، محمد، 412
المبحوح، فايق، 305

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

المبحوح، محمود، 119، 185، 191، 305
المبروك، خليفة الصغير، 180، 245، 257، 290
متسناع، عمرام، 151
مجد (منظمة الجهاد والدعوة)، 186
المجدل (عسقلان)، 33، 102
المجلس التشريعي الفلسطيني، 173، 180، 323، 330، 332–333، 335–336، 338–340، 343، 362، 368، 378، 382، 395، 411، 439
المحتسب، حاتم، 223
المحتسب، حلمي، 41، 138
المحتسب، نائل، 223
محمد، محمود الحاج، 170–173
مخزومي، باسم، 179
مخزومي، نبيل، 89، 177
مخيم الأمعري (رام الله)، 108
مخيم برج البراجنة (لبنان)، 56
مخيم جنين، 233، 316
مخيم خانيونس، 163
مخيم الدهيشة (بيت لحم)، 105، 152، 437
مخيم الرشيدية (لبنان)، 57، 96، 144
مخيم الشاطئ (غزة)، 106، 146
مخيم شعفاط (القدس)، 38، 209، 456
مخيم عقبة جبر (أريحا)، 34
مخيم قلنديا (القدس)، 326–328
مخيم اليرموك (سورية)، 114
المدرسة الإسلامية (نابلس)، 170
مدرسة الأقصى الشرعية (القدس)، 25، 30، 36، 47
مدرسة أم طوبا (القدس)، 48، 56، 446
مدرسة بحر البقر (مصر)، 65
المدرسة التنكزية (القدس)، 36
المدرسة الخيرية الإسلامية (الخليل)، 272
مدرسة الرشيدية (القدس)، 29
مدرسة صور باهر (القدس)، 26، 28، 31، 60، 79
مدرسة اليتيم العربي (القدس)، 138
مراغة، إسحق، 105، 307، 437
مرج الزهور (لبنان)، 106، 167، 209–210، 230
مرداوي، خالد، 244، 364
مرداوي، محمود، 244، 364، 463
مرعي، سلامة، 237، 245
المزيني، أسامة، 188
مسالمة، بسام، 166، 202، 214
مستشفى هداسا (القدس)، 88، 138
مستعمرة رامات راحيل (القدس)، 37، 340
مسك، جميل، 215، 245–246
مسك، عز الدين، 226
مسلم، سليم، 173–174
مُسَلَّم، قتيبة، 171، 174
مُسَلَّم، نسيم، 171
المسلماني، عبد المعين، 245
مسودة، عدنان، 185
مشتهى، روحي (أبو جمال)، 186، 297، 301، 312، 315
مشعل، خالد (أبو الوليد)، 250، 342، 456
مصاروة، بلال، 90

مصر، 27–28، 32، 34، 65، 72، 130، 180، 185، 314، 337، 353، 360، 374، 380، 387، 391، 411، 413–415، 434، 449، 451
–الجيش المصري، 65
مصلح، عثمان (أبو الناجي)، 244–245، 253، 293–294، 312–313، 364
مصلح، محمود، 404
مصلح، ناصر، 119، 120
مطاوع، يعقوب، 223
مطر، إبراهيم، 97
مطر، جمال، 168
مظلوم، خلدون، 390، 405
معان (الأردن)، 38
معسكر أنصار (لبنان)، 132–133، 143
معسكر دوما (سورية)، 62، 88
المغربي، سفيان عيسى، 257
مفارجة، كريم، 271، 366
المقادمة، إبراهيم (أبو أحمد)، 33، 150، 184، 301
المقادمة، حسن (أبو علي)، 186، 301، 312
المقت، بشر، 73
المقت، صدقي، 73
مكي، هشام، 332
ملحم، محمد، 109
منصور، أبو عمار، 390
منصور، جمال، 230
منصور، منى (أم بكر)، 390
منظمة التحرير الفلسطينية، 32، 54، 72، 77، 85، 92، 102، 111، 133، 136، 150، 164–165، 167، 181، 202، 217–218، 229، 243، 293–294، 296، 301، 323، 328، 335، 353، 355، 362–363، 373
– جيش التحرير الفلسطيني، 32–33، 86، 102
– قوات التحرير الشعبية، 32–33، 80، 86–88، 97، 102–103
– المجلس الوطني، 333
مهرة، عرب، 163، 445
مهنا، أحمد، 100، 128، 148، 180
موسى، جمعة إسماعيل، 373
موسى، عبد العظيم، 172، 174
موفاز، شاؤول، 212، 225، 277

(ن)

نابلس، 34، 95، 113، 117، 123–124، 131، 133، 151، 170–171، 176–177، 221، 225، 233، 247، 251–252، 331، 354، 366، 395، 398
– سجن نابلس القديم، 118
ناصر، رياض (أبو مسلم)، 394، 400–403، 455
ناصر، فتحي، 89
ناصر، كمال، 57، 70
ناصر الدين، هارون، 208، 224، 231، 234، 237–238، 245، 264–265، 289، 297–298، 368، 382، 463
الناصرة، 89، 162، 176–177، 179، 183، 193، 198، 266

ناصيف، رأفت، 420–421
النتشة، باسل، 240
النتشة، جميل، 231
النتشة، جواد بحر، 329
النتشة، سامر، 222
النتشة، سفيان، 226
النتشة، عبد الخالق (أبو جبير)، 224، 242، 267–268، 312، 316، 378
النتشة، عرفات، 237
النتشة، مازن، 419، 440
النتشة، محمد جمال (أبو همام)، 224، 242، 268، 378، 419، 423–424، 426، 430، 431
النتشة، نبيل (أبو نعيم)، 224، 395، 419–420، 428، 433
النتشة، وليد، 266
نتنياهو، بنيامين، 250، 355
النجار، أحمد، 367
النجار، رمضان، 147
النجار، فاطمة، 369
النجار، محمد (أبو يوسف)، 57، 70
النجار، مراد، 347
نجم، محمد، 170
نجيب، زكريا (أبو عبد الله)، 89، 192، 297
النحال، مازن، 238، 240
نخالة، زياد، 100
نخلة، باجس، 286، 325، 418، 430، 433، 444
نسيبة، سري، 191
نسيبة، سليم، 147
نصار، زاهر، 33
نصار، محمد، 33، 119، 120، 185، 191
نصار، نبيل، 33
نصار، وليم، 79، 86
نعلين (رام الله)، 208–209
النقب، 72، 89، 101، 145، 183، 193، 266، 389
النمري، عماد طه، 257
النمري، كمال، 78
النمري، منذر يوسف، 257
النمورة، أحمد، 114
نوارة، نديم، 434، 438
نوفل، أيمن، 97
نوفل، جميل، 97، 99

(هـ)

الهباهبة، محمد (أبو سلطان)، 55، 60
الهجين، عبد الرحمن، 97، 109
هرماس، غسان، 185
الهريمي، صالح، 215، 454
هزاع، محمد، 367
الهسي، محمد (أبو بكر)، 116
الهند، 65، 391
هنغبي، تساحي، 311
هنية، إسماعيل، 324، 359، 375
الهودلي، فؤاد، 95
الهودلي، وليد (أبو أحمد)، 107
الهور، جمال (أبو تقي)، 262، 324، 386، 399، 401، 436
هيكل، محمد حسنين، 28، 361

(و)

الوحوش، صبحي، 96، 99، 103، 111، 115
الوحيدي، موسى (أبو ماجد)، 189
الوحيدي، ناصر، 274
الورديان، محمود، 421، 426، 440
الوزير، خليل (أبو جهاد)، 61، 107، 133، 144، 185
الولي، عاصم، 73
وهدان، عبد المنعم، 221

(ي)

ياتوم، داني، 251
اليازوري، إبراهيم، 168
ياسين، أحمد، 87، 88، 106، 119، 146، 149، 150، 153، 162، 163، 165، 167، 168، 185، 188، 197، 210، 227، 250، 277، 304، 323، 450
ياسين، عدنان، 233، 373
يافا، 162، 183، 184، 193، 199، 200، 254، 266
يغمور، جهاد، 297
اليمن، 34، 72، 377، 391
اليمن الجنوبي، 72
يوسف، حسن، 166، 185، 202، 214، 378، 393، 395، 439، 456
يونس، كريم، 295

إصدارات مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

أولاً: الإصدارات باللغة العربية:

سلسلة التقرير الاستراتيجي الفلسطيني:

1. بشير نافع ومحسن محمد صالح، محرران، **التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2005**، 2006.
2. محسن محمد صالح، محرر، **التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2006**، 2007.
3. محسن محمد صالح، محرر، **التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2007**، 2008.
4. محسن محمد صالح، محرر، **التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2008**، 2009.
5. محسن محمد صالح، محرر، **التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2009**، 2010.
6. محسن محمد صالح، محرر، **التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2010**، 2011.
7. محسن محمد صالح، محرر، **التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2011**، 2012.
8. محسن محمد صالح، محرر، **التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2012–2013**، 2014.
9. محسن محمد صالح، محرر، **التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2014–2015**، 2016.

سلسلة الوثائق الفلسطينية:

10. محسن محمد صالح ووائل سعد، محرران، **مختارات من الوثائق الفلسطينية لسنة 2005**، 2006.
11. محسن محمد صالح ووائل سعد، محرران، **الوثائق الفلسطينية لسنة 2006**، 2008.

12. محسن محمد صالح ووائل سعد، محرران، **الوثائق الفلسطينية لسنة 2007**، 2009.
13. محسن محمد صالح ووائل سعد وعبد الحميد فخري الكيالي، محررون، **الوثائق الفلسطينية لسنة 2008**، 2011.
14. محسن محمد صالح ووائل سعد، محرران، **الوثائق الفلسطينية لسنة 2009**، 2012.
15. محسن محمد صالح ووائل سعد، محرران، **الوثائق الفلسطينية لسنة 2010**، 2015.

سلسلة اليوميات الفلسطينية:

16. محسن محمد صالح، إشراف وتحرير، **اليوميات الفلسطينية لسنة 2014**، 2015.
17. محسن محمد صالح، إشراف وتحرير، **اليوميات الفلسطينية لسنة 2015**، 2016.
18. محسن محمد صالح، إشراف وتحرير، **اليوميات الفلسطينية لسنة 2016**، 2017.

سلسلة أولست إنساناً:

19. عباس إسماعيل، **عنصرية إسرائيل: فلسطينيو 48 نموذجاً**، سلسلة أولست إنساناً؟ (1)، 2008.
20. حسن ابحيص وسامي الصلاحات ومريم عيتاني، **معاناة المرأة الفلسطينية تحت الاحتلال الإسرائيلي**، سلسلة أولست إنساناً؟ (2)، 2008.
21. أحمد الحيلة ومريم عيتاني، **معاناة الطفل الفلسطيني تحت الاحتلال الإسرائيلي**، سلسلة أولست إنساناً؟ (3)، 2008، ط 2، 2009.
22. فراس أبو هلال، **معاناة الأسير الفلسطيني في سجون الاحتلال الإسرائيلي**، سلسلة أولست إنساناً؟ (4)، 2009، ط 2، 2010.
23. ياسر علي، **المجازر الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني**، سلسلة أولست إنساناً؟ (5)، 2009.
24. مريم عيتاني ومعين منّاع، **معاناة اللاجئ الفلسطيني**، سلسلة أولست إنساناً؟ (6)، 2010.

25. محسن محمد صالح، **معاناة القدس والمقدسات تحت الاحتلال الإسرائيلي**، سلسلة أولست إنساناً؟ (7)، 2011.
26. حسن ابحيص وخالد عايد، **الجدار العازل في الضفة الغربية**، سلسلة أولست إنساناً؟ (8)، 2010.
27. حياة الددا، **معاناة الطالب الفلسطيني تحت الاحتلال الإسرائيلي**، سلسلة أولست إنساناً؟ (9)، 2015.
28. مريم عيتاني وأمين أبو وردة ووضّاح عيد، **معاناة العامل الفلسطيني تحت الاحتلال الإسرائيلي**، سلسلة أولست إنساناً؟ (10)، 2011.
29. فاطمة عيتاني وعاطف دغلس، **معاناة المريض الفلسطيني تحت الاحتلال الإسرائيلي**، سلسلة أولست إنساناً؟ (11)، 2011.
30. فاطمة عيتاني ونظام عطايا، **معاناة البيئة والفلاح الفلسطيني تحت الاحتلال الإسرائيلي**، سلسلة أولست إنساناً؟ (12)، 2013.
31. فاطمة عيتاني ومحمد داود، **معاناة الفلسطينيين من الحواجز الإسرائيلية في الضفة الغربية**، سلسلة أولست إنساناً؟ (13)، 2015.

سلسلة تقرير معلومات:

32. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **معاناة قطاع غزة تحت الحصار الإسرائيلي**، سلسلة تقرير معلومات (1)، 2008.
33. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **معابر قطاع غزة: شريان حياة أم أداة حصار**، سلسلة تقرير معلومات (2)، 2008.
34. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **أثر الصواريخ الفلسطينية في الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي**، سلسلة تقرير معلومات (3)، 2008.
35. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **مسار المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية ما بين "أنابوليس" والقمة العربية في دمشق (خريف 2007 – ربيع 2008)**، سلسلة تقرير معلومات (4)، 2008.
36. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **الفساد في الطبقة السياسية الإسرائيلية**، سلسلة تقرير معلومات (5)، 2008.

37. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **الثروة المائية في الضفة الغربية وقطاع غزة بين الحاجة الفلسطينية والانتهاكات الإسرائيلية**، سلسلة تقرير معلومات (6)، 2008.

38. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **مصر وحماس**، سلسلة تقرير معلومات (7)، 2009.

39. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة (2009/1/18–2008/12/27)**، سلسلة تقرير معلومات (8)، 2009.

40. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **حزب كاديما**، سلسلة تقرير معلومات (9)، 2009.

41. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **الترانسفير (طرد الفلسطينيين) في الفكر والممارسات الإسرائيلية**، سلسلة تقرير معلومات (10)، 2009.

42. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **الملف الأمني بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل**، سلسلة تقرير معلومات (11)، 2009.

43. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **اللاجئون الفلسطينيون في العراق**، سلسلة تقرير معلومات (12)، 2009.

44. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **أزمة مخيم نهر البارد**، سلسلة تقرير معلومات (13)، 2010.

45. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **المجلس التشريعي الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة 1996–2010**، سلسلة تقرير معلومات (14)، 2010.

46. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **الأونروا: برامج العمل وتقييم الأداء**، سلسلة تقرير معلومات (15)، 2010.

47. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **دور الاتحاد الأوروبي في مسار التسوية السلمية للقضية الفلسطينية**، سلسلة تقرير معلومات (16)، 2010.

48. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **تركيا والقضية الفلسطينية**، سلسلة تقرير معلومات (17)، 2010.

49. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **إشكالية إعطاء اللاجئين الفلسطينيين في لبنان حقوقهم المدنية**، سلسلة تقرير معلومات (18)، 2011.

50. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **حزب العمل الإسرائيلي**، سلسلة تقرير معلومات (19)، 2011.
51. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **قوافل كسر الحصار عن قطاع غزة**، سلسلة تقرير معلومات (20)، 2011.
52. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **الاستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية 1993–2011**، سلسلة تقرير معلومات (21)، 2012.
53. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **شاليط: من عملية "الوهم المتبدد" إلى صفقة "وفاء الأحرار"**، سلسلة تقرير معلومات (22)، 2012.
54. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **الموقف الإسرائيلي من ثورة 25 يناير المصرية**، سلسلة تقرير معلومات (23)، 2012.
55. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **الجيش الإسرائيلي 2000–2012**، سلسلة تقرير معلومات (24)، 2013.
56. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **الأحزاب العربية في فلسطين المحتلة 1948**، سلسلة تقرير معلومات (25)، 2014.
57. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **المقاومة الشعبية في فلسطين**، سلسلة تقرير معلومات (26)، 2014.
58. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **مصر وقطاع غزة منذ ثورة 25 يناير 2011 وحتى صيف 2014**، سلسلة تقرير معلومات (27)، 2015.
59. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **واقع اللاجئين الفلسطينيين في سورية 2011–2015**، سلسلة تقرير معلومات (28)، 2015.

كتب عامة:

60. وائل سعد، **الحصار: دراسة حول حصار الشعب الفلسطيني ومحاولات إسقاط حكومة حماس**، 2006.
61. محمد عارف زكاء الله، **الدين والسياسة في أميركا: صعود المسيحيين الإنجيليين وأثرهم**، ترجمة أمل عيتاني، 2007.
62. أحمد سعيد نوفل، **دور إسرائيل في تفتيت الوطن العربي**، 2007، ط 2، 2010.
63. محسن محمد صالح، محرر، **منظمة التحرير الفلسطينية: تقييم التجربة وإعادة البناء**، 2007.

64. محسن محمد صالح، محرر، **قراءات نقدية في تجربة حماس وحكومتها 2006–2007**، 2007.

65. خالد وليد محمود، **آفاق الأمن الإسرائيلي: الواقع والمستقبل**، 2007.

66. حسن ابحيص ووائل سعد، **التطورات الأمنية في السلطة الفلسطينية 2006–2007**، ملف الأمن في السلطة الفلسطينية (1)، 2008.

67. محسن محمد صالح، محرر، **صراع الإرادات: السلوك الأمني لفتح وحماس والأطراف المعنية 2006–2007**، ملف الأمن في السلطة الفلسطينية (2)، 2008.

68. مريم عيتاني، **صراع الصلاحيات بين فتح وحماس في إدارة السلطة الفلسطينية 2006–2007**، 2008.

69. نجوى حساوي، **حقوق اللاجئين الفلسطينيين بين الشرعية الدولية والمفاوضات الفلسطينية – الإسرائيلية**، 2008.

70. محسن محمد صالح، محرر، **أوضاع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان**، 2008، ط 2، 2012.

71. إبراهيم غوشة، **المئذنة الحمراء**، 2008، ط 2، 2015.

72. عدنان أبو عامر، مترجم، **دروس مستخلصة من حرب لبنان الثانية (تموز 2006): تقرير لجنة الخارجية والأمن في الكنيست الإسرائيلي**، 2008.

73. عدنان أبو عامر، **ثغرات في جدار الجيش الإسرائيلي**، 2009.

74. قصي أحمد حامد، **الولايات المتحدة والتحول الديموقراطي في فلسطين**، 2009.

75. أمل عيتاني وعبد القادر علي ومعين منّاع، **الجماعة الإسلامية في لبنان منذ النشأة حتى 1975**، 2009.

76. سمر جودت البرغوثي، **سمات النخبة السياسية الفلسطينية قبل وبعد قيام السلطة الوطنية الفلسطينية**، 2009.

77. عبد الحميد الكيالي، محرر، **دراسات في العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة: عملية الرصاص المصبوب/ معركة الفرقان**، 2009.

78. عدنان أبو عامر، مترجم، **قراءات إسرائيلية استراتيجية: التقدير الاستراتيجي الصادر عن معهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي**، 2009.

79. سامح خليل الوادية، **المسؤولية الدولية عن جرائم الحرب الإسرائيلية**، 2009.

80. محمد عيسى صالحية، **مدينة القدس: السكان والأرض (العرب واليهود) 1275–1368هـ/ 1858–1948م**، 2009.

81. رأفت فهد مرة، **الحركات والقوى الإسلامية في المجتمع الفلسطيني في لبنان: النشأة – الأهداف – الإنجازات**، 2010.

82. سامي الصلاحات، **فلسطين: دراسات من منظور مقاصد الشريعة الإسلامية**، ط 2 (تمّ النشر بالتعاون مع مؤسسة فلسطين للثقافة)، 2010.

83. محسن محمد صالح، محرر، **دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس**، 2010.

84. مأمون كيوان، **فلسطينيون في وطنهم لا دولتهم**، 2010.

85. محسن محمد صالح، **حقائق وثوابت في القضية الفلسطينية: رؤية إسلامية**، طبعة مزيدة ومنقحة (تمّ النشر بالتعاون مع مؤسسة فلسطين للثقافة)، 2010.

86. عبد الرحمن محمد علي، محرر، **إسرائيل والقانون الدولي**، 2011.

87. كريم الجندي، **صناعة القرار الإسرائيلي: الآليات والعناصر المؤثرة**، ترجمة أمل عيتاني، 2011.

88. وسام أبي عيسى، **الموقف الروسي تجاه حركة حماس: 2006–2010**، 2011.

89. سامي محمد الصلاحات، **الأوقاف الإسلامية في فلسطين ودورها في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي**، 2011.

90. نادية سعد الدين، **حق عودة اللاجئين الفلسطينيين بين حل الدولتين ويهودية الدولة**، 2011.

91. عامر خليل أحمد عامر، **السياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه إفريقيا: السودان نموذجاً**، 2011.

92. إبراهيم أبو جابر وآخرون، **الداخل الفلسطيني ويهودية الدولة**، 2011.

93. عبد الرحمن محمد علي، **الجرائم الإسرائيلية خلال العدوان على قطاع غزة: دراسة قانونية**، 2011.

94. محسن محمد صالح، **القضية الفلسطينية: خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة**، طبعة مزيدة ومنقحة، 2012.

95. نائل إسماعيل رمضان، **أحكام الأسرى في سجون الاحتلال الإسرائيلي: دراسة فقهية مقارنة**، 2012.

96. حسني محمد البوريني، **مرج الزهور: محطة في تاريخ الحركة الإسلامية في فلسطين**، 2012.

97. غسان محمد دوعر، **المستوطنون الصهاينة في الضفة الغربية: الاعتداء على الأرض والإنسان**، 2012.

98. دلال باجس، **الحركة الطلابية الإسلامية في فلسطين: الكتلة الإسلامية نموذجاً**، 2012.

99. وائل عبد الحميد المبحوح، **المعارضة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) 1994–2006: دراسة تحليلية**، 2012.

100. محسن محمد صالح، محرر، **أزمة المشروع الوطني الفلسطيني والآفاق المحتملة**، 2013.

101. بلال محمد، محرر، **إلى المواجهة: ذكريات د. عدنان مسودي عن الإخوان المسلمين في الضفة الغربية وتأسيس حماس**، 2013.

102. أحمد جواد الوادية، **السياسة الخارجية الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية 2001–2011**، 2013.

103. ناصر عبد الله عبد الجواد، **الديموقراطية الزائفة والحصانة المسلوبة: زفرات نائب عن الضفة الغربية في المجلس التشريعي الفلسطيني**، 2013.

104. محسن محمد صالح، **الطريق إلى القدس: دراسة تاريخية في رصيد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين منذ عصور الأنبياء وحتى أواخر القرن العشرين**، ط 5، 2014.

105. عبد الله عياش، **جيش التحرير الفلسطيني وقوات التحرير الشعبية ودورهما في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي 1964–1973**، 2014.

106. محسن محمد صالح، **مدخل إلى قضية اللاجئين الفلسطينيين** (تمّ النشر بالتعاون مع أكاديمية دراسات اللاجئين)، 2014.

107. محسن محمد صالح، محرر، **حركة المقاومة الإسلامية (حماس): دراسات في الفكر والتجربة**، 2014، ط 2، 2015.

108. محسن محمد صالح، محرر، **منظمة التحرير الفلسطينية والمجلس الوطني الفلسطيني: تعريف – وثائق – قرارات**، 2007، ط 2، 2014.

109. ماهر ربحي نمر عبيد، **البناء التنظيمي والفصائلي للأسرى الفلسطينيين في سجن النقب**، 2014.

110. محسن محمد صالح، محرر، **قطاع غزة: التنمية والإعمار في مواجهة الحصار والدمار**، 2014.

111. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **الموقف الإسرائيلي من الأحداث والتغيرات في مصر في عام: منتصف يونيو 2013 – منتصف يوليو 2014**، ملف معلومات 21، 2014.

112. قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة، **العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة: عملية "العصف المأكول" – عملية "الجرف الصامد" 2014/7/7– 2014/8/26**، ملف معلومات 22، 2015.

113. محسن محمد صالح، محرر، **السلطة الوطنية الفلسطينية: دراسات في التجربة والأداء 1994–2013**، 2015.

114. عطا محمد زهرة، **البرنامج النووي الإيراني**، 2015.

115. باسم القاسم، **صواريخ المقاومة في غزة: سلاح الردع الفلسطيني**، 2015.

116. رائد نعيرات وسليمان بشارات، **النظام السياسي الفلسطيني: إشكاليات الإصلاح وآليات التفعيل**، 2016.

117. رامي محمود خريس، **الخطاب الصحفي الفلسطيني تجاه المقاومة الفلسطينية: دراسة تحليلية وميدانية مقارنة**، 2016.

118. فرحان موسى علقم، **النزاع على السيادة في فلسطين في ظلّ اتفاقيات أوسلو: المخزون المائي نموذجاً**، 2016.

119. خلود رشاد المصري، **النسوية الإسلامية ودورها في التنمية السياسية في فلسطين**، 2016.

120. باسم القاسم وربيع الدنان، **مصر بين عهدين: مرسي والسيسي: دراسة مقارنة، (1) التغيرات الدستورية والانتخابات**، 2016.

121. باسم القاسم وربيع الدنان، **مصر بين عهدين: مرسي والسيسي: دراسة مقارنة، (2) الأحزاب والقوى السياسية**، 2016.

122. باسم جلال القاسم، **مصر بين عهدين: مرسي والسيسي: دراسة مقارنة، (3) الأداء الاقتصادي**، 2016.

123. باسم جلال القاسم، **مصر بين عهدين: مرسي والسيسي: دراسة مقارنة، (4) الأداء الأمني والقضائي**، 2016.

124. ربيع محمد الدنان، **مصر بين عهدين: مرسي والسيسي: دراسة مقارنة، (5) الأداء الإعلامي**، 2016.

125. ربيع محمد الدنان، **مصر بين عهدين: مرسي والسيسي: دراسة مقارنة، (6) السياسة الخارجية**، 2016.

- **ملاحظة:** تم جمع الكتب الستة السابقة في مجلد بعنوان **مصر بين عهدين: مرسي والسيسي: دراسة مقارنة**، وصدر عن المركز في 2016.

126. أحمد حامد البيتاوي، **العملاء والجواسيس الفلسطينيين: عين إسرائيل الثالثة**، 2016.

127. عدنان أبو عامر، **منظومة الأمن الإسرائيلي والثورات العربية**، 2016.

128. أشرف عثمان بدر، **إسرائيل وحماس: جدلية التدافع والتواصل والتفاوض 1987–2014**، 2016.

129. أمل عيتاني ورنا سعادة وفاطمة عيتاني، معدّون، محسن محمد صالح، محرر، **الجماعة الإسلامية في لبنان 1975–2000**، 2017.

130. بلال محمد شلش، محرر، **سيدي عمر: ذكريات الشيخ محمد أبو طير**، 2017.

ثانياً: الإصدارات باللغة الإنجليزية:

The Palestinian Strategic Report Series:

131. Mohsen Mohammad Saleh and Basheer M. Nafi, editors, *The Palestinian Strategic Report 2005*, 2007.
132. Mohsen Mohammad Saleh, editor, *The Palestinian Strategic Report 2006*, 2010.
133. Mohsen Mohammad Saleh, editor, *The Palestinian Strategic Report 2007*, 2010.
134. Mohsen Mohammad Saleh, editor, *The Palestinian Strategic Report 2008*, 2010.
135. Mohsen Mohammad Saleh, editor, *The Palestinian Strategic Report 2009/10*, 2011.
136. Mohsen Mohammad Saleh, editor, *The Palestinian Strategic Report 2010/11*, 2012.

137. Mohsen Mohammad Saleh, editor, *The Palestinian Strategic Report 2011/12*, 2013.
138. Mohsen Mohammad Saleh, editor, *The Palestinian Strategic Report 2012–2013*, 2015.
139. Mohsen Mohammad Saleh, editor, *The Palestinian Strategic Report 2014–2015*, 2016.

Am I Not a Human? Book Series:

140. Abbas Ismail, *The Israeli Racism: Palestinians in Israel: A Case Study*, Book Series: Am I Not a Human? (1), translated by Aladdin Assaiqeli, 2009.
141. Hasan Ibhais, Mariam Itani and Sami al-Salahat, *The Suffering of the Palestinian Woman Under the Israeli Occupation*, Book Series: Am I Not a Human? (2), translated by Iman Itani, 2010.
142. Ahmad el-Helah and Mariam Itani, *The Suffering of the Palestinian Child Under the Israeli Occupation*, Book Series: Am I Not a Human? (3), translated by Iman Itani, 2010.
143. Firas Abu Hilal, *The Suffering of the Palestinian Prisoners & Detainees Under the Israeli Occupation*, Book Series: Am I Not a Human? (4), translated by Baraah Darazi, 2011.
144. Mariam Itani and Mo'in Manna', *The Suffering of the Palestinian Refugee*, Book Series: Am I Not a Human? (6), translated by Salma al-Houry, 2010.
145. Mohsen Mohammad Saleh, *The Suffering of Jerusalem and the Holy Sites Under the Israeli Occupation*, Book Series: Am I Not a Human? (7), translated by Salma al-Houry (published in collaboration with al-Quds International Institution (QII)), 2012.
146. Hasan Ibhais and Khaled 'Ayed, *The Separation Wall in the West Bank*, Book Series: Am I Not a Human? (8), translated by Baraah Darazi, 2013.
147. Hayat Dada, *The Suffering of the Palestinian Student Under the Israeli Occupation*, Book Series: Am I Not a Human? (9), translated by Salma al-Houry, 2017.

148. Mariam Itani, Amin Abu Wardeh and Waddah Eid, *The Suffering of the Palestinian Worker Under the Israeli Occupation*, Book Series: Am I Not a Human? (10), translated by Salma al-Houry, 2014.
149. Fatima Itani and Atef Daghlas, *The Suffering of the Palestinian Patient Under the Israeli Occupation*, Book Series: Am I Not a Human? (11), translated by Mohammed Ibrahim El-Jadili and Saja Abed Rabo El-Shami, 2012.
150. Fatima Itani and Nitham ʻAtaya, *The Suffering of Palestinian Environment and Farmer Under the Israeli Occupation*, Book Series: Am I Not a Human? (12), translated by Salma al–Houry, 2016.

Non-Serial Publications:

151. Muhammad Arif Zakaullah, *Religion and Politics in America: The Rise of Christian Evangelists and Their Impact*, 2007.
152. Mohsen Mohammad Saleh and Ziad al-Hasan, *The Political Views of the Palestinian Refugees in Lebanon as Reflected in May 2006*, 2009.
153. Ishtiaq Hossain and Mohsen Mohammad Saleh, *American Foreign Policy & the Muslim World*, 2009.
154. Karim El-Gendy, *The Process of Israeli Decision Making: Mechanisms, Forces and Influences*, 2010. (electronic book)
155. Ibrahim Ghusheh, *The Red Minaret: Memoirs of Ibrahim Ghusheh (Ex-Spokesman of Hamas)*, 2013.
156. Mohsen Mohammad Saleh, *The Palestinian Issue: Historical Background & Contemporary Developments*, 2014.
157. Muslim Imran Abu Umar, *Egypt, Syria and the War on Gaza: A Study on the Egyptian and Syrian Foreign Policy Responses to the 2008/2009 Gaza War*, 2015.
158. Mohsen Mohammad Saleh, editor, *Islamic Resistance Movement (Hamas): Studies of Thought & Experience*, 2017.